المطران يوسف الدبس

تاريخ سورية الدنيوي والديني

الجامع المفصل

في تاريخ الموارنة المؤصل

راجعه ودققه
الدكتور مارون رعد

إشراف
نظير عبود

دار نظير عبود

تاريخ الموازنة

المطران يوسف الدبس

الجامع المفصل

في تاريخ الموارنة المؤصل

الجزء التاسع

راجعه ودققه

الدكتور مارون رعد

إشراف

نظير عبود

دار نظير عبود

فهرس

عدد | صفحة

المقالة الأولى

القديس مارون وتلاميذه

مقالة ثانية

تاريخ الموارنة في القرن السابع

الفصل الأول

حالة الموارنة الدنيوية في هذا القرن

الفصل الثاني

منشأ القديس يوحنا مارون وأسقفيته وبطريركيته وتآليفه

الفصل الثالث

براءة المارونين والموارنة من بدعة المشيئة الواحدة

مقالة ثالثة

تاريخ الموارنة في القرن الثامن

مقالة رابعة

تاريخ الموارنة في القرن التاسع والعاشر والحادي عشر

مقالة خامسة

تاريخ الموارنة في القرن الثاني عشر

مقالة سادسة

تاريخ الموارنة في القرن الثالث عشر

مقالة سابعة

تاريخ الموارنة في القرن الرابع عشر

مقالة ثامنة

تاريخ الموارنة في القرن الخامس عشر

مقالة تاسعة

تاريخ الموارنة في القرن السادس عشر

مقالة عاشرة

تاريخ الموارنة في القرن السابع عشر

الفصل الأول

أعيان الموارنة في القرن السابع عشر

الفصل الثاني

بطاركة الموارنة في القرن السابع عشر

الفصل الثالث

أساقفة الموارنة في القرن السابع عشر

الفصل الرابع

المشاهير من علماء الموارنة وفضلائهم في القرن السابع عشر

الفصل الخامس

الأديار والكنائس التي أنشئت للموارنة في هذا القرن

ذيل

المجمع الذي عقده البطريرك يوسف العاقوري في دير حراش

المقالة الحادية عشرة

تاريخ الموارنة في القرن الثامن عشر

الفصل الأول

أعيانهم الدنيويون في هذا القرن

الفصل الثاني

بطاركة الموارنة في القرن الثامن عشر

الفصل الثالث

مشاهير العلم الموارنة في القرن الثامن عشر

الفصل الرابع

المجامع التي عقدها رؤساء الموارنة في هذا القرن

الفصل الخامس

المقالة الثانية عشرة

تاريخ الموارنة في القرن التاسع عشر

الفصل الأول

حكام الموارنة وأعيانهم

الفصل الثاني

بعض المشاهير بالعلم من الموارنة

الفصل الثالث

بطاركة الموارنة ومن رقوهم إلى الأسقفية في هذا القرن

الفصل الرابع

ما عقده أساقفة الموارنة من المجامع في القرن التاسع عشر

الفصل الخامس

الأديار والمدارس والكنائس التي أنشأها الموارنة في القرن التاسع عشر

المقالة الأولى

القديس مارون وتلاميذه

عد ١

القديس مارون الناسك

نروي خبر القديس مارون عن توادوريطوس أسقف قورش الذي كان معاصراً ومجاوراً له ولا يبعد أن يكون عشيراً له. فإنّ توادوريطوس قال في مقدمة كتابه في النساك حيث تكلّم في القديس مارون: «وكان يلذّ لي أن أطوف في براري قورش وأنعم عيناً بهذه الأزهار العجيبة التي يزري عرفها بأفخر الطيوب». ومن المؤكد أنّ توادوريطوس رقي إلى كرسي أسقفية قورش سنة ٤٢٣م والقديس مارون كان كاهناً في أوائل القرن الخامس كما يظهر من رسالة فم الذهب إليه من منفاه وسنأتي على ترجمتها. وفم الذهب توفي سنة ٤٠٧م وإذا كان القديس مارون لقي ربه نحو سنة ٤٣٣م على قول بعضهم فيكون عاشر توادوريطوس أسقفاً، وإن كانت وفاته سنة ٤١٠م على قول آخرين فيكون عاشره كاهناً. فشهادة توادوريطوس للقديس مارون إذاً لا مرد لها ولا معترض عليها، لأنهما كانا في عصرٍ واحد وبلد واحد وتوادوريطوس ثقة. وإليك ترجمة ما قاله في كتابه في النساك فصل ١٦ .

«سبيلي أن أذكر بعد هذا (أي شبسيماس) مارون، فإنّ هذا أيضاً جمل عقد القديسين الإلهي، فإنه عزم على أن يصرف حياته في البرية لا يأوي منزلاً، فتسلّق إلى قمّة جبل (في قورش)، وكان هناك هيكل للوثنيين يعبدون فيه الأبالس فكرّسه لله، وكان يتردد إليه. ونصب لنفسه مظلّة حقيرة قلّ ما أوى إليها. وكان يجهد نفسه في الاعمال اليدوية التي اعتادها النساك، بل استنبط زيادة عليها حاشداً ثروة الحكمة واثقاً بأنّ المجاهد يزداد نعمةً ما ازداد عملاً. فمنّ عليه الله الجوّاد بموهبة

شفاء الأمراض سابغة، حتى ذاعت شهرته في كل قطر، واستأتت إليه الزائرين من كل فُج. فكان يحقق خبرهم الخبر، وكنت ترى الحمى تزول بظلّ بركته والأبالس ينهزمون من الممسوسين والمبتلين بأي نوع كان من المرض بعلاج واحد. فللأطباء في كل داءٍ دواء وأما القديسون فلهم دواء واحد في كل الأدواء، وهو الصلاة. ولم يكن يشفي الأمراض الجسدية فقط بل كان يبرئ أيضاً النفوس المعتلّة فيشفي هذا من داء البخل، وذاك من مرض الغضب، معلماً هذا القناعة وشارحاً لذاك وصايا العدل والبرّ حاثاً البعض على العفاف والطهارة ومحرضاً غيرهم على الدعة والتواضع. وقد انكبّ على الحراثة الروحية فغرست يداه اغراساً كثيرة مونعة فيها ثمار الحكمة، وهذه الجنة المخضلة المزهرة الآن في قورش إنما هي لله من صنع يديه. ومن ثمار هذه الحراثة يعقوب الكبير (يريد يعقوب تلميذ مارون الآتي ذكره) الذي حقّ له أن يخصّ به القول النبوي. «الصديق كالنخل يزهر ومثل أرز لبنان ينمي» وغيره ممن سنأتي على ذكر كل منهم ان شاء الله. وبينما كان منصبّاً على هذه الحراثة في كرم الرب شافياً النفوس والاجساد، دهمه مرض خفيف فقضى به منتقلاً إلى ربه. فكان نزاع شديد بين مجاوريه على جثته، ولما كان أهل البلد الاقرب إليه أكثر عدداً وقد أتوا جميعهم هزموا الباقين واختطفوا هذا الكنز النفيس وبنوا له هيكلاً عظيماً وينتفعون إلى اليوم بمعونته، ويكرمون هذا البطل الظافر بحفلات عامة، وأما نحن فننعم ببركاته وإن كنا بعيدين عنه، ويغنينا ذكره عن قرب ضريحه إلينا» انتهى مترجماً عن كتاب توادوريطوس في النساك الموسوم بالتاريخ الديني عن طبعة الأب مين (مجلد ٨٢ من مكتبة الآباء الشرقيين).

وكان القديس مارون صديقاً صدقاً للقديس يوحنا فم الذهب، يجمعهما ولاء مستديم وحب قديم، تدل على ذلك رسالة كتبها إليه فم الذهب في منفاه وهي السادسة والثلاثون من رسائله التي نشرها الأب مين (في المجلد ٥٢ من مكتبة الآباء الشرقيين) وإليك ترجمتها بما أمكن من الدقّة.

«إلى مارون الكاهن الراهب

أما بعد، فإنّ علاقات المودّة والمعروف التي تضمنا إليك تجعل أبصارنا شاخصة إليك كأنك قائم هنا، فإنّ آواصر المحبة من طبعها أن لا يحجبها بعد المسافات ولا

يوهنها طول الزمان. وكان في ودّنا أن تكون مكاتباتنا إليك متتالية، ولكن يحول دون ذلك مشقّة الاسفار وندور المسافرين. والآن نهدي إليك طيّب السلام ونسألك أن تتيقّن أننا نذكرك كلّ حين وأنّ لك في فؤادنا منزلة أينما حللنا. فاهتمّ أنت إذاً بأن تواتر إلينا أنباء عافيتك، فإنّ أخبار صحتك على بعدنا بالجسد تولينا عظيم السرور وتخوّلنا تعزية كبرى في غربتنا ووحدتنا، ويلذّ لنا كثيراً أن نعلم أنك متعافٍ وجلّ ما نسألك إياه أن تصلّي وتبتهل لله من أجلنا».

وهذه الرسالة لم تكن مؤرخة، ولكن لا بد من أنها كُتبت في احدى السنين من سنة ٤٠٤ إلى سنة ٤٠٧م التي كان فيها فم الذهب في المنفى. وقد أنبأنا العلامة البطريرك اسطفانس الدويهي الأهدني (في كلامه في تاريخ الموارنة على القديس مارون) أنّ هذا القديس لم يقتصر على الإماتات والتقشّف والعكوف على الصلوات وهو منتصب على قدميه، بل باشر أعمال الرسالة. فإنه كان يجول أحياناً متعهداً النساك والمجاهدين حاضاً لهم على تحمّل مشاق سيرتهم وعلى التقدّم في الكمال والحكمة الروحانية، ويطوف في القرى والمدن مستميلاً الكفرة والأثمة إلى سواء السبيل، حاثاً المؤمنين على مجانبة الرذائل والجدّ في السير في طريق الفضيلة، داعياً الموسرين إلى مباشرة أعمال الرحمة معزياً البائسين إلى غير ذلك من أعمال الرسالة.

أما سنة وفاة القديس مارون فلم يذكرها توادوريطوس ولم نعثر في كتب القدماء على ما يعيّنها. والذي رواه العلامة البطريرك بولس مسعد (في كتابه الدرّ المنظوم صفحة ١٣١) أنه لقي ربه سنة ٤١٠م. وجاء في المعجم التاريخي الجغرافي ليوليا (في طبعته الحادية والثلاثين التي صححها وهذّبها عمدة من العلماء) «القديس مارون ناسك ورع كان في سورية في القرن الخامس رقي إلى درجة الكهنوت سنة ٤٠٥م وأدركته الوفاة سنة ٤٣٣م، وقد نسك على جبل قريب من قورش، واستدعى إليه جمعاً كبيراً من التلامذة، فأنشأوا أدياراً عديدة. ويعيّد لذكره في ٩ و ١٤ شباط». وحبذا لو كان مؤلف هذا المعجم أو مصححوه أنبأونا عمن من القدماء أخذوا رواية تاريخهم لترقي القديس مارون إلى الكهنوت ولوفاته. أما المعبد الذي أُقيم على ضريحه ثم صار ديراً لرهبانه فلم يذكر توادوريطوس محله ولا اسم البلد الذي أهله اختطف جثة القديس مارون لأنّ ذلك كان معلوماً عند ذلك الجيل. والذي عليه المحققون، أنّ المعبد والدير كانا على شاطئ العاصي بين حماه

وحمص كما حقق السمعاني (في مجلد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ٤٩٧) مفسراً كلام توادوريطوس، ومستشهداً باجيوس (في تاريخ سنة ٤٠٠ عد ١٩) الذي قال: «إنّ هذا الدير نزله الجميع منزلة أول الأديار في سورية الثانية كما يتبيّن من أعمال المجمع الخامس المسكوني الذي شهده بولس الشماس ويوحنا الكاهن ووقّعا على رسائل رهبان ذاك الاقليم إلى يوستنيانس الملك، وإلى منّا بطريرك قسطنطينية بمنزلة نواب دير القديس مارون أولى أديار سورية الثانية».

وقد أخذ المؤمنون يعيّدون للقديس مارون بعد وفاته كل سنة بحفلات عامة كما رأيت في كلام توادوريطوس. وتعيّد الكنيسة الرومانية له في ١٤ شباط ومثل ذلك كنيسة الروم وتسميه 'مارونيوس بحسب صيغة نهاية الاسماء اليونانية. وكان الموارنة قديماً يعيّدون له في الخامس من كانون الثاني وهو اليوم الذي كرّس فيه القديس يوحنا مارون كنيسة دير كفرحي باسمه في أواخر القرن السابع. قال العلامة البطريرك اسطفانوس الدويهي (في تاريخ الموارنة) تشهد للتعييد للقديس مارون في الخامس من كانون الثاني نسخ الشحيم المخطوطة احداها خطّها الشماس الياس بن داود من بلاد اطرابلس سنة ١٨٠٥ يونانية توافق سنة ١٤٩٤م، وأخرى خطّها جرجس البردوط ابن يوحنا بن بشارة التحومي سنة ١٥٣٣م في قبرص بقرية قرباسية. وكان الموارنة يعيّدون للقديس يوحنا مارون البطريرك في ٩ من شباط وصاروا يحتفلون لذكر القديس مارون ويوحنا مارون في يوم واحد كما يظهر من فهرست أعيادنا المطبوع في روما. وفي سنة ١٧٨٧م نقل البطريرك يوسف اسطفان عيد القديس يوحنا مارون إلى الثاني من آذار واستمر عيد القديس مارون في ٩ شباط إلى اليوم (ملخص عن الدرّ المنظوم وتاريخ الأهدني).

وأما الأديار التي بُنيت على اسم القديس مارون فكثيرة، منها الدير المذكور الذي بُني في محل مدفنه بين حماه وحمص بالرستن. ويقال أنه كان فيه ثمانمائة راهب، وكان يسمى دير البلّور. ومنها دير قريب من مخرج نهر العاصي ويسميه أبو الفدا مغارة الراهب، وقد نُقرت مخادعه كلها في صخرة صمّاء. ومنها دير على مقربة من دمشق قال الدويهي فيه: قد استدللنا برسومه وأطلاله الباقية إلى الآن على عظمته وحسن رونقه. وقد ذكره ابن الحريري المؤرخ في كلامه على الملك الحاكم بأمر الله في تاريخ سنة ٣٨٦ للهجرة الموافقة لسنة ٩٩٥ م حيث قال: «إنّ الملك كان ينزل بمكان يقال له الدكة بين نهر يزيد وتورا، وقيل هي فوق نهر يزيد قرب

دير مارون». ومن أدياره الشهيرة دير بناه القديس يوحنا مارون في بلاد البترون في شرقي قرية كفرحي، فإنّ هذا البطريرك لما فرّ من وجه جيش يوستنيانس الأخرم سنة ٦٩٤م سار على ما قيل من انطاكية إلى دير الرستن، فأخذ هامة القديس مارون ولما استقرّ في كفرحي بنى هيكلاً وديراً على اسم القديس مارون ووضع هامه هنالك. وسمي ذلك الدير ريش مارو ܪܝܫ ܡܪܘܢ أي راس مارون أو ܪܝܫ ܡܪܢ (ريش مُارَن) أي راس سيدنا. وأمر أن يعيّد للقديس مارون في الخامس من كانون الثاني كما مرّ ذكراً لنقل هامته إلى هذا الدير.

قال العلامة الدويهي (في تاريخ الموارنة) روى لودوفيكس بن يعقوب في كتاب له جمع فيه تراجم القديسين الموجودة ذخائرهم في مدينته فولينيو بايطاليا أنه في سنة ١١٣٠م قدم الشام أحد رهبان القديس مبارك وطاف في الأماكن المقدّسة، وبعد أن أتمّ زيارته جال في لبنان وظفر بهامة القديس مارون، ففرح بها فرحاً عظيماً وأخذها إلى وطنه، وطفق يخبر الشعب بفضائل هذا القديس وبالمعجزات التي أجراها الله على يده والأمّة المنتمية إليه، فبنى له أهل فولينيو كنيسة ووضعوا فيها هامة القديس مارون في ١٨ آب، فانتشر ذكره في تلك الأصقاع وكثر عداد من يحجون إلى كنيسته، وفرضوا عيداً سنوياً له. ومنح أحد الاحبار الرومانيين غفران مئتي يوم لمن زار كنيسته يوم عيده. ثم إنّ لوقا أسقف فولينيو نقل سنة ١١٩٤م راس القديس مارون من هذه الكنيسة إلى كنيسة الاسقفية وعمل له المؤمنون صواناً من فضة ويعيّدون له كل سنة في العاشر من آذار، ويطوفون به أمام الشعب بالتجلّة والاحتفاء.

هذا ما رواه العلامة الدويهي ونقله عنه العلامة البطريرك بولس مسعد، وقد تسنى لي مدة اقامتي في روما سنة ١٨٨٧م أن قابلت أسقف فولينيو وحدثته في هذا الشأن، فحقق لي أنّ التقليد عندهم ينطبق على ما رويته. وإنه ما برح في كنيستهم شيء من هامة القديس مارون يعطون منه المؤمنين ذخائر، فسألته أن يتحفني بشيء منها فأهدى إليّ خمساً منها، فكنت له شاكراً لهدية أثمن عندي من الذهب والجواهر.

وقد تعطّف الحبر الأعظم الروماني البابا اكليمنضس الثاني عشر ومنح في براءته المؤرخة في ١٥ نيسان سنة ١٧٣٤م، وفي براءة أخرى مؤرخة في ٢١

كانون الثاني سنة ١٧٤٠م غفراناً كاملاً يغنمه من اعترف بخطاياه، وتناول القربان الأقدس، وزار احدى كنائس الرهبان أو الراهبات اللبنانيين أو رهبان القديس أشعيا في ٩ شباط الذي يعيّد به الموارنة للقديس مارون. ثم عمّم العلامة البابا بناديكتس الرابع عشر في براءته المؤرخة في ١٢ آب سنة ١٧٤٤م هذا الغفران الكامل لكل من يزور أيّة كنيسة كانت من كنائس الطائفة المارونية المبنية وقتئذٍ، والتي سوف تُبنى يوم عيد القديس مارون في ٩ شباط. ومن شاء الاطلاع على هذه البراءة فليراجعها في كتاب الدرّ المنظوم للمثلث الرحمة البطريرك بولس مسعد صفحة ١٣٣.

عد ٢

تلامذة القديس مارون

قد أشار توادوريطوس في كلامه في القديس مارون إلى أنه الغارس والحارث لجنّة الله في قورش كما رأيت. وإنه قد أينع من هذه الجنّة ثمار شهيّة ذكر منها يعقوب معيناً، وقال إنه سيأتي على ذكر الباقين مفصلاً. وعليه فيظهر أنّ أكثر النساك الذين ذكرهم بعد مارون إنما هم بأجمعهم تلاميذه أو متابعوه في طريقته. وقد صرّح توادوريطوس في كلامه على كثيرين منهم بأنهم من تلاميذ القديس مارون، أخصّ هؤلاء أولاً يعقوب الناسك الذي وصفه توادوريطوس بالكبير. وقل إنه زاره وقد كان مضى على جهاده نحو من ثماني وثلاثين سنة، فرأى منه ما يُدهش العقول، وإنه يُروى عنه لا ما رواه له غيره بل ما رآه بنفسه من جهاده وتقشفه ولبسه المسيح، واثقاله نفسه بالحديد، وتعرّضه لحرّ الشمس صيفاً، وللبرد القارس والعواصف والثلج والجليد شتاءً، واقتياته بقليل من العدس المبلول، وصرفه أكثر نهاره وليله بالصلوة والتأمل. وإنّ الله قد منّ عليه بموهبة صنع المعجزات. وقصّ توادوريطوس أخبار كثير منها، وفي جملتها اقامته ابن فلاح من الموت. وقال هذا المؤرخ عند ذكره هذه الآية: «إني رأيت بنفسي هذا الغلام وسمعت أباه يخبر بهذه الآية الرسولية، وذكرتها لكثيرين عالماً بما يكون من الفائدة من هذا الخبر. وجاء في سنكسار طائفتنا في ٢٠ شباط أنّ هذا القديس أقام ابنة فلاح من الموت. ولا شك في أنّ ذلك زلّة من قلم الناسخ لأنّ توادوريطوس المعزو خبر الآية إليه قال

إنّ المنبعث ابن لا ابنة. ومن آيات القديس يعقوب التي رواها هذا المؤرخ العلامة الثقة مساعدته له في مضايقه بنوعٍ عجيب، وابراؤه كثيرين من المرضى أمراضاً عضالة، واخراج الأبالس من الممسوسين وطرده الشيطان إذ تراءى له بصورة وحش ليخرجه من الجبل الذي كان ناسكاً عليه، وإذ تراءى لأحد تلاميذه بهيئة معلمه وكان يأخذ من يده الماء الذي استقاه له، ويريقه على الأرض ليعذّب القديس بالظمأ. فتقاطر الناس إليه من كل صوب حتى أنّ الجبل الذي كان خامل الذكر قبل نسكه عليه أصبح يؤمه الناس من كل طبقة، ويأخذون من ترابه ويتهادون به تبركاً وطلباً للشفاء.

ومن تلامذة القديس مارون القديس تلاسيوس المسمى ليميناوس أيضاً، وقد كتب توادوريطوس ترجمته في الفصل ٢٢ من كتابه المذكور قائلاً إنّ ما رواه عنه رآه بنفسه، إذ اجتمع به وأنس بحديثه العذب مرات. وإنه أتى إلى مارون العظيم إذ كان عنده يعقوب المار ذكره. ثم نسك في جبل قورش قريباً من القرية المدعوّة جرجلة أو ترجلة، وأقام له حظيرة من حجر وحبس نفسه فيها لا يخرج منها ولا يُدخل أحداً إليها. بل يخاطب الناس من كوّة في جدارها، ولم يفتح بابها لأحد إلّا لتوادوريطوس عند زيارته له. وقد شابه الرسل بآياته فكان يُبرئ المرضى، ويشفي الممسوسين. وقد اعتراه المرض المعروف بالقولنج، فلم يعالجه إلّا بالصلوة. وداس في طريقه أرقم فلدغه عشر لدغات في يديه ورجليه فتحمّل من ذلك آلاماً مبرحة صابراً. وسمح الله بمصابه تبياناً لصبره الجميل، ولم يتداوَ إلّا بطليه محال اللدغات برهم الصليب والصلوة. ورأى كثيرين من العمي يستعطون الصدقة فابتنى لهم مخادع حوله، وكان يُنفق عليهم من صدقات المؤمنين ويعلّمهم التسبيح لله. واستمر على جهاده كيعقوب ثماني وثلاثين سنة. ويعيّد لذكره في ٢٢ شباط.

وذكر توادوريطوس بعد هذين يوحنا الناسك الذي انفرد في جبل شمالي قورش وأقام به خمساً وعشرين سنة غطاؤه الجو وفراشه الأرض وطعامه الخبز والملح ولباسه المسح مسمّرة به صفائح من حديد ثقيلة. ثم موسى الناسك الذي صرف سنين متطاولة في قمة جبل شامخ حذاء قرية تدعى راماص. ثم انطيوكس وانطونينوس اللذين زهدا في شيخوختهما وعكفا على الصلاة والسهر والصوم المديد. ثم زابينا الشيخ الذي كان القديس مارون يحبه حباً شديداً ويجلّه لتقدّمه عليه سناً، ويدعوه أباً ومعلماً له. وكان يرسل إليه من يقصدونه ليستمدوا البركة

منه. حتى أرسل إليه تلميذه يعقوب المار ذكره ليلبسه اللباس الشعري. ولما كان زابينا توفي قبل مارون، أوصى مارون تلاميذه أن يدفنوه في قبر زابينا. ومن هؤلاء أيضاً بوليكرونيوس، وموسى آخر، ودميانس، ويعقوب آخر، ذكر جميعهم تواودويطوس، وأخذ عنه العلامة الدويهي (في تاريخ الموارنة) موجز تراجمهم.

ومن مشاهير هؤلاء بردات ويسميه السريان ܒܪ ܚܕܕ (بَارْ هَدُدْ) ذكره تواودوريطوس في الفصل السابع والعشرين . ووصف جهاده ونسكه العجيب، وقد اشتهر هو ويعقوب الكبير المار ذكره بفضائلهما بل بعلمهما أيضاً. حتى أنبأنا افاغريوس (ك ٢من تاريخه فصل ٩): «إنّ الملك لاون كتب رسائل عامة إلى جميع أساقفة المسكونة وإلى مَن تساموا في السيرة الرهبانية يسألهم عما يرون في شأن المجمع الخلكيدوني وترقية بطرس الألثغ إلى كرسي اسكندرية». ومن هؤلاء سمعان العمودي... وبردات الراهب ويعقوب السريانيان. وروى كذلك توافان في تاريخ سنة ٤٥٢م قائلاً إنّ الملك لاون كتب أيضاً إلى القديس سمعان العمودي وبردات الراهب ويعقوب صانع العجائب، واستحلفهم ليجيبوا كأنهم يؤدون لله حساباً عما يرون في هذه المسائل المختلف فيها. وقد ذكرهما أيضاً افرام البطريرك الانطاكي، كما أثبت فوتيوس (في مكتبته ك ٢٢٨) حيث قال أنّ افرام هذا كتب رسالة ومما قاله فيها: «إنه يلزم الاقتداء بسمعان (العمودي) وبردات ويعقوب الذائع صيت فضائلهم في المسكونة كلها. وقد صرفوا حياتهم برمتها في السيرة الرهبانية». وقال (في ك ٢٢٩) في افرام أيضاً «إنّ هذا كان مبشراً باسلاً بالمجمع الخلكيدوني الذي أثبته ثلاث مئة وسبعون أسقفاً بتوقيعهم، وأيّد هذا الايمان سمعان ويعقوب وبردات العجيبة سيرتهم». ونرى رسالة بردات الجواب للملك معلّقة في ذيل المجمع الخلكيدوني عدد ٦١. طالع المكتبة الشرقية (مجلد ١ صفحة ٢٥٥ وصفحة ١٩).

ولم يكن للقديس مارون تلاميذ فقط بل كانت له تلميذات أيضاً، منهنّ مارانا وكورة، فهاتان كانتا من حلب من أسرة شريفة فتركتا مجد العالم وزهوه وحبستا نفسيهما في غرفة حجرة، ولم تتركا منفذاً فيه إلّا كوّة صغيرة تتناولان الطعام منها. وعكفتا على الورع والتهجد والصلوة، واقتدتا بايليا النبي بصومهما أربعين يوماً.ولم تكونا تكلمان أحداً إلّا في الخمسين يوماً من أحد القيامة إلى أحد العنصرة،بل مارانا وحدها كانت تكلّم الزائرين والمسترشدين، وكورة لم يسمعها أحد تتكلم. وكان لباسهما خشناً وتثقلانه بالحديد حتى حدبت كورة لضعف جسمها. وقال

توادوريطوس أنه زارهما وقد قصدتا زيارة الأماكن المقدّسة ومضيتا ماشيتين لم تذوقا زاداً في سفرهما. ولما أتمّتا زيارتهما تناولتا قوتاً ثم عادتا صائمتين إلى حلب. هذا ما وجدته في نصّ توادوريطوس (في طبعة الأب مين)، وأراه أصحّ مما روي في تاريخ الدويهي المطبوع حديثاً، وفي سنكسار طائفتنا في ٢٨ شباط من أنهما لم يأكلا شيئاً في سفرهما ذهاباً واياباً. وقال العلامة الدويهي «إنّ منزلهما في حلب كان معروفاً إلى أيامه بدار كورة».

ومن هؤلاء التلميذات دمنينا قال توادوريطوس فيها (فصل ٣٠) إنها اقتدت بالقديس مارون في نسكها، وكانت ابنة والدين حسيبين غنيين. ولما توفيا ضربت كوخاً من هشيم الذرة في بستان أمها، وكانت تقضي يومها كله مصلّية باكية على ذنوبها وتبلّ فراشها الشعري بدموعها. وكان طعامها العدس النقيع. وكانت تنفق من مال أمها على من ذكر من النساك والمعوزين. قال توادوريطوس إنّ كثيرات من النساء أحببنَ هذه الطريقة فآثر بعضهنّ السيرة المنفردة، وبعضهنّ العيشة المشتركة حتى ربا عدادهنّ إلى نحو مئتين وخمسين عابدة يأكلنَ طعاماً واحداً، ويرقدنَ على الحصر، ويغزلنَ الكتان، وأفواههنّ تترنم بالتسابيح لله. انتهى

عد ٣

انتشار رهبان القديس مارون في سورية وتسمية متابعيهم موارنة نسبةً إليهم

قد مرّ قبلاً ذكر توافر عدد تلاميذ القديس مارون والأديار التي بُنيت على اسمه. فأولئك النساك المتوحدون في حياة القديس مارون قد انضووا بعده إلى رهبانية واحدة يضمها قانون واحد، وأقاموا لهم أدياراً كثيرة يعيشون فيها العيشة المشتركة، ومحابس للمتوحدين، ومدارس لاقتباس العلوم، ومنازل يأوي إليها الغرباء والفقراء. واقتنوا حقولاً ومزارع لتقوم بأود الرهبان والمتنسكين والمتعلمين والزائرين، حتى يظهر أنه كان لهم دير في قسطنطينية عاصمة الملك نفسها. فإنّ الرسائل التي رفعها مريان رئيس دير القديس دلماتيوس وغيره من رؤساء دير قسطنطينية إلى الملك يوستنيانس، ومنّا البطريرك القسطنطيني سنة ٥٣٦م تشفعاً بالرهبان الذين قدموا من سورية للتشكي على ساويرس بطريرك انطاكية، يتبيّن منها أنه كان في ضواحي

قسطنطينية دير على اسم القديس مارون، ونعلم أنّ رئيس هذا الدير شهد المجمع الخامس المسكوني، وقد دوّن توقيعه في الرسائل المذكورة(توادورس القس برحمة الله رئيس دير القديس مارون وقعت وتضرعت (رواه البطريرك اسطفانس الدويهي في تاريخ الموارنة). وقد ذكرنا قبلاً أنّ ديرهم الأكبر كان على ضفة العاصي بين حمص وحماه، وأنه كان فيه نحو من ثماني مئة راهب، وأنه كان له الرياسة على أديار سورية الشمالية كلها، وإنهم كان لهم دير عند منبع العاصي وآخر في جوار دمشق. ويظهر من رسالتهم الآتي ذكرها أنهم أخذوا دير القديس سمعان العمودي ووسعوا مبانيه حتى كان يسع مئات من الرهبان، كما يدل ما بقي من أطلاله التي ذكرها دي فوكواي في كتابه في آثار سورية (مجلد ١). ولا مراء في أنه كان لهم أديار أخرى نجهل مواقعها ولا نشكّ في وجودها إذ نرى في رسالتهم المذكورة توقيع خمسة وعشرين رئيساً.

إنّ رهبان دير القديس مارون لم يكونوا يقتصرون على النسك والتكامل بالفضيلة وتخليص نفوسهم فقط، بل كانوا يباشرون الرسالة والاهتمام بخلاص الآخرين أيضاً، فيطوفون المدن والقرى منادين بكلام الله ومحرضين الشعب على اقتفاء الفضائل والتحاشي عن الرذائل، ولا سيما الكفر بالدين، ويناصبون أصحاب البدع والآراء الفاسدة ولا سيما النساطرة والساويريين والاوطاخيين بخطبهم ومكاتباتهم وجدالهم، فكان رؤساؤهم كقادة جيش يدافعون عن الدين القويم، ورهبانه جنوده الباسلون وكماته الظافرون،وأديارهم كقلاع حصينة يلجأ إليها كل من ضايقه المارقون، ويؤمها كل من عازه سلاح العلم الصحيح لمناوأة الجاحدين، يستعين بهم الاساقفة والرعاة على حفظ خرافهم في حظيرة الدين القويم، ويستنجدهم الكهنة واولو الغيرة لارشاد الضالين وتقوية الضعفاء. وقد كان في المشرق من أقدم الأيام ما نراه إلى اليوم أنّ عامة الشعب يتبعون آثار رؤسائهم الروحيين وينتمون إليهم، ويسترشدونهم ويكلون إليهم أمورهم الدينية والدنيوية، وكأنه رسخ في طبعهم الميل إلى الشيوكراسي أي الانقياد إلى السلطة الروحية. وعلى هذا النحو كان جميع المتشبثين بالدين الكاثوليكي في ذلك العصر ينقادون إلى رهبان القديس مارون، ويصغون لتعليمهم وينتمون إليهم، وهم يقيمون بناصرهم ويدافعون عنهم، وما جرى عليهم من الاضطهاد بحرق أديارهم وقتل جمّ غفير منهم كما سترى زاد الشعب علاقةً بحبهم واجلالاً لهم ذلك حظ كل مضطهد

ظلماً، فأخذ خصومهم ازدراء بهم يسمونهم مارونيين أو موارنة نسبةً إلى هؤلاء الرهبان، وإلى القديس مارون أبيهم على نحو ما يسمي بعض السفهاء والمارقين في هذا العصر يسوعيين من ينقادون إلى ارشاد الآباء اليسوعيين الأفاضل. فهذا كان أصل هذه التسمية وبداءتها وهم لم يكونوا يأنفون منها، وتمكنت فيهم وجعلوها شعاراً لهم بعد أن انفصلوا عن اولي البدع، وأقيم لهم القديس يوحنا مارون من رهبان القديس مارون بطريركاً عليهم.

ولنا على قولنا هذا الأخير أدلّة جلية قاطعة أولها أنّ كثيرين من الأحبار الرومانيين سموا القديس مارون الرئيس أبا الطائفة المارونية، منهم بناديكتس الرابع عشر في براءته في ١٢ آب سنة ١٧٤٤م التي بها «منح غفراناً كاملاً لكل من يزور كنيسة من كنائس الطائفة المارونية في اليوم التاسع من شهر شباط الذي يحتفل فيه الموارنة كل عام بعيد القديس مارون أبي طائفتهم الخصوصي من مساء مدخل العيد إلى مغرب الشمس يوم العيد». وقال هذا الحبر العلامة في رسالته إلى البطريرك سمعان عواد في ١٢ آذار سنة ١٧٥٥م: «لا شك في أنّ قاصدنا الأب ايسيدورس حقق لاخوتك كم لنا من الغيرة والمحبة لك أيها الأخ المحترم وللإخوان المطارين الموقرين وسائر الأبناء الأعزاء بني ملّتك الجليلة والطائفة المارونية كلها التي تفتخر باقرارها بأنها أخذت عن القديس مارون بالخصوص الايمان الكاثوليكي، وإنّ ثباتها فيه ونموّه فيها من نتائج تشفعه بهم». وقد سمى القديس مارون أبا الطائفة المارونية في رسالته أيضاً إلى نيوقولاوس لركاري في ١٨ ايلول سنة ١٧٥٣م. ونرى مثل ذلك في براءات غيره من الأحبار الرومانيين. ثم إنّ المحققين من العلماء أثبتوا أنّ الموارنة سموا بهذا الاسم نسبةً إلى القديس مارون. نقتصر منهم على ذكر لكويان في كتابه الموسوم بالمشرق المسيحي في الفهرست الملحق بالمجلد الثالث حيث قال: «إنّ الموارنة سموا بهذا الاسم في القرنين الرابع والخامس نسبةً إلى مارون الكلي القداسة، ومن البعيد عن الصواب أن يكون هذا الاسم مشعراً ببدعة بل إنه دال على المعتقد الكاثوليكي خلافاً لبدعتّي نسطور واولي الطبيعة الواحدة في المسيح، إذ كان كل من يهمهم حفظ الايمان الكاثوليكي يتقاطرون إلى دير القديس مارون فيرشدهم رهبانه إلى الايمان الصحيح والثبات فيه. وعليه فكانوا يسمون موارنة كأنهم تابعون أخصاء لايمان رهبان القديس مارون». ونذكر إيضاً شهادة الأب بريسيوس الكبوشي في مختصر تاريخ بارونيوس في الحاشية على تاريخ سنة

٤٠٧م حيث قال: «وقد سُمي باسم هذا القديس مارون لا أبناؤه الرهبان فقط بل جمهور وافر العدد أيضاً قد اتبعوا في تلك الاصقاع دين الحق وتشبثوا بقوانين المجامع الستة التي انتصر لها تلاميذه الرهبان». وتحرير هذا المبحث أنّ اسم موارنة أُطلق على الرهبان الذين تتلمذوا للقديس مارون أو طرقوا طريقته، كما سُمِّيَ انطونيون من تتلمذوا للقديس انطونيوس أو عملوا بدستوره، إلى غيرهم من الرهبانيات التي تنسب إلى واضعي طريقها. ثم أطلق خصوم رهبان القديس مارون هذا الاسم على من رأى رأي هؤلاء الرهبان في الايمان الصحيح من عامة الناس فسموهم موارنة نسبةً إلى هؤلاء الرهبان وإلى أبيهم القديس مارون. وهم لم يأنفوا من هذا الاسم بل تمكن ورسخ فيهم عندما انفصلوا عن اولي البدع واختار أساقفتهم بطريركاً على ملّتهم يوحنا مارون الذي اتخذ اسم مارون لأنه كان من رهبان القديس مارون. فمرجع هذه التسمية إذاً إلى القديس مارون لا إلى مارون اراتيكي كما وهم افتيشيوس المعروف بسعيد بن بطريق بطريرك الملكيين الاسكندري عن حسد وضغينة. وانتحل كلامه غوليلمس أسقف صور اللاتيني، وتابعهما على وهمهما جمهور من العلماء مغترين بشهادتهما، وخالفهم كثيرون من العلماء المحققين المدققين، بل كثيرون من الأحبار الرومانيين الأعظمين. ونكتفي الآن لرد هذا الوهم بقول سعيد بن بطريق نفسه فهو قال: «كان في عصر موريق ملك الروم راهب اسمه مارون قال إنّ لسيّدنا يسوع المسيح طبيعتين ومشيئة واحدة وأفسد مقالة الناس ... فسمي التابعون لدينه مارونيين نسبةً إلى مارون. ولما مات مارون بنى أهل حماه ديراً سموه دير مارون... وقورش بطريرك الاسكندرية وسرجيوس وبيرس أسقف قسطنطينية ومكدونيوس ومكاريوس أسقفا انطاكية وانوريوس بابا رومية وهرقل الملك كانوا مارونيين». فكل من له أقل المام بالتاريخ يهيّجه هذا الكلام للضحك ويزدريه. فمما لا يمترى فيه أحد المؤرخين أنّ القديس مارون الذي بنى أهل حماه الدير على اسمه كان في عهد توادوسيوس الكبير واركاديوس ابنه الذي رقي سدّة الملك سنة ٣٩٥م وتوفي سنة ٤٠٨م، وإنّ موريق استوى على أريكة الملك سنة ٥٨٢م وتوفي سنة ٦٠٢م، فبين موريق ومارون نحو من قرنين. ومما أجمع عليه المؤرخون أيضاً أنّ بدعة المشيئة الواحدة في المسيح نشأت في قسطنطينية سنة ٦٢٨م فكيف ابتدعها مارون وقد مضى إلى ربه قبل ظهورها بنيف وقرنين، وإن قال أنه عني يوحنا مارون فيكذبه قوله أنّ أهل حماه بنوا ديراً على

اسمه، ولا جرم أنّ الذي بُني الدير على اسمه هو القديس مارون لا القديس يوحنا مارون، فضلاً عن أنّ يوحنا مارون لم يكن وُلد عند ظهور بدعة المشيئة الواحدة سنة ٦٢٨م أو كان حدثاً ليس في مقدوره أن يبدع بدعة، فقد أجمعوا على أنه رقي إلى أسقفية البترون نحو سنة ٦٧٥م، وإلى بطركية انطاكية سنة ٦٨٥م وتوفي سنة ٧٠٧م. فإن كان قد بلغ الثمانين من عمره فيكون مولده سنة ٦٢٧ أو سنة ٦٢٨م سنة ظهور هذه البدعة. ولا خلاف في أنّ قورش وسرجيوس وبيرس ومكدونيوس ومكاريوس هم مبدعو هذه البدعة وأنصارها، ولم ينسبها إلى مارون إلّا ابن البطريق. ومن لا يسخر من قوله أنّ انوريوس بابا روما وهرقل الملك كانا مارونيين وهو لم يسند قوله إلى أحد، ولا ترى خطة تشير إليه في كل ما كتب مدة ثلاثة قرون (أي مذ نشأة هذه البدعة إلى أيامه)، ولا في المجامع التي عُقدت لتحريمها، ولا في كتب العلماء الذين ناصبوها أو دافعوا عنها،ولا في آثار المؤرخين الذين تقدموه، فزعمه إذاً مردود بنفسه ويقضي كل عالم أنه هذيان. وأما قول غوليلمس الصوري فيفنده قوله نفسه في مقدمة تاريخه: «وقد اعتمدنا خاصة على شهادة الرجل المحترم سعيد بن بطريق البطريرك الاسكندري» فقوله مبني إذاً على باطل، وكل مبني على باطل فهو باطل وكذا قل في كل من تابعهما على قولهما.

وسنعود إلى رد هذه التهمة في ما بعد بأكثر اسهاب. فنكتفي الآن ببرهان آخر هو أننا إذا سلمنا بقول ابن البطريق وغوليلمس ومن تابعهما وردت علينا معضلة أكثر اشكالاً من هذا التسليم، فالأحبار الرومانيون اثبتوا أنّ مارون قديس،وقد أفرد بناديكتس الرابع عشر رسالته إلى نيقولاوس ليركاري المار ذكرها لاثبات قداسته، ومنح البابا اكليمنضس الثاني عشر غفراناً كاملاً لمن يزور كنيسة من كنائس رهبان الموارنة يوم عيده في ٩ شباط. ثم عمم بناديكتس الرابع عشر هذا الغفران إلى زيارة جميع كنائس الموارنة. وقد ترك الأحبار الرومانيون كلهم الموارنة يسمون بهذا الاسم بل هم سموهم به كلما أتوا بذكرهم، فهل سموهم باسم مبتدع؟ ونراهم لم يتركوا السريان الكاثوليكيين يسمون يعاقبة ولا الكلدان ليسموا نساطرة ولا الأرمن ليسموا براصمة فإذاً تسليمنا بقول ابن بطريق يضطرنا إلى أحد أمرين: إما أن نقول أنّ الأحبار الرومانيين ضلّوا أو غلطوا، وإما أنّ ابن البطريق ضلّ أو غلط، وأي عالم منصف يؤثر أن يصم بالضلال الأحبار الاعظمين على أن يصم به ابن البطريق الذي شحن تاريخه بالأقاصيص والخرافات، وتعقبه بها كثير من العلماء الاعلام،

وسوف نبيّن بعضها وليت كتّاب هذا العصر عصر الانتقاد ولا سيما الاورباويين منهم يتدبرون هذين البرهانين اللذين اقتصرنا الآن عليهما كيلا يتهافتوا إلى رشق الموارنة بأسهم الاتهام مغترين بما كتبه سعيد بن بطريق أو غوليلمس أسقف صور أو غيرهما من المتابعين لهما، كبرجياه في معجمه اللاهوتي وكايتانس موروني في معجمه التاريخي، ويوليا في معجمه للتاريخي الجغرافي وغيرهم، ولو أكثروا من المطالعة كما يلزم كتّاب التاريخ خاصة لوجدوا كثيرين من المحققين الاورباويين أنفسهم، منهم: يوحنا منسي، ويوحنا بلما، ورنكاليا، وباجيوس، أثبتوا مايخالف زعمهم ولوقوا أنفسهم من الخطأ والموارنة من الاتهام.

عد ٤

مناضلة الرهبان الموارنة عن الايمان الكاثوليكي وما عانوه من الاضطهاد

لذلك لا نرى أجدر بهذا المقام من ايراد الرسالة التي رفعها هؤلاء الرهبان إلى الحبر الروماني البابا هرمزدا الذي تبوّأ السدّة الرسولية من سنة ٥١٤ إلى سنة ٥٢٣م، وأنفذوها إليه مع يوحنا وسرجيوس من اخوتهم، وقد أثبتها لاباي (في مجموعة المجامع مجلد ٤) ونقلها عنه روهربخر في تاريخه (ك ٤٣) ورواها البطريرك اسطفانس الدويهي الأهدني في تاريخ الموارنة (صفحة ٤١) وهذه هي الرسالة مترجمة عن ترجمتها الافرنسية.

«إلى بطريرك المسكونة كلها الحبر هرمزدا الكلي القداسة والطوبى الجالس على كرسي بطرس زعيم الرسل تضرّع وخشوع يرفعهما إليه أحقر رؤساء الأديار في سورية الثانية وغيرهم من رهبانها. أما بعد، فلما كانت نعمة الله مخلّص جميعنا تدعونا أن نلجأ إلى طوباويتكم كما يلجأ إلى مرفأ لدن مهاب العواصف، فأتيناكم موقنين أننا ننجو مما يحف بنامن المخاطر، فإننا وإن قاسينا الاضطهاد فنتحمله مسرورين، ولما كان المسيح إلهنا قد أقامك رئيساً للرعاة ومعلماً للنفوس وطبيباً لها، أنت وملكك الصالح كان لازماً أن نرفع إليك شرح ما حلّ بنا من الاضطهاد ونعلمك بالذئاب التي تفترس رعية المسيح لتقصيهم عن الحظيرة بعصا سلطانك، وتبرئ النفوس بكلمة تعليمك، وتضمد جراحها ببلسم صلواتك، فهؤلاء المضطهدون المفوقون أسهمهم علينا إنما هم ساويرس وبطرس اللذان لا يعدان

في عداد المسيحيين لأنهما يحرمان كل يوم علانية المجمع الخلكيدوني المقدّس، وأبانا لاون الحبر الأقدس غير مبالين بدينونة الله المرهبة، بل قد وطئا قوانين الآباء ورقيا إلى الاسقفية بسطوة الملك، وأذاقانا أعذبة مبرحة ليكرهانا على الاحتقار للمجمع المقدّس المنوّه به. فبعض الناس ماتوا بتعذيبهم لهم،وقد قتلوا جماً غفيراً منا لأننا بينما كنا ذاهبين إلى دير القديس سمعان (العمودي) قد أكمن لنا في طريقنا بعض الخبثاء الأشرار ووثبوا علينا وقتلوا منا ثلاث مئة وخمسين راهباً، وأثخنوا الجراح في كثيرين وأبسلوا في جانب المذبح من لجأوا إليه، وأحرقوا أديارنا وأرسلوا ليلاً جماعة من الأشرار ورشوهم بدراهم فنهبوا ما بقي ولم يبقَ إلّا شيء يسير. ويتيسر لطوباويتكم أن تقف على تفصيل هذه الأمور بمطالعة المذكرة التي يرفعها اليكم أخوانا المحترمان يوحنا وسرجيوس اللذان كنا قد أرسلناهما إلى قسطنطينية آملين انصافنا ومنع هذا الجور عنا فلم يتنازل الملك إلى سماع شكواهما بل أمر بطردهما فعلمنا ما كان يلزمنا أن نعلمه من ذي قبل أنه هو علّة كل هذه الشؤون والآمر بها.

فنبتهل إليك أيها الأب الأقدس أن تأخذك الشفقة على كلوم الجسد فإنك أبو الجميع، وأن تثأر للايمان والقوانين والآباء والمجمع، فقد أولاك الله سلطان الربط والحلّ فهلمّ أيها الأب الأقدس لخلاصنا، واقتدينّ بربنا الذي نزل من السماء إلى الأرض ناشداً الخروف الضال وتأمل ببطرس زعيم الرسل الذي تشرف كرسيه وبولس الاناء المختار فقد طافا المسكونة لينيراها، والكلوم الكبيرة تحتاج إلى أدوية عظيمة. إنّ المستأجرين إذا رأوا الذئاب مقبلة تركوا الخراف لكنك أنت الراعي الحقيقي الذي سُلمت إليه الخراف،فإذا نجت الخراف من الوحوش الضارية مشت قدامك وعرفت راعيها وأتبعت صوته، كما قال ربنا إنّ خرافي تعرف صوتي وأنا أعرفها وهي تتبعني. فلا تهملنا إذاً أيها الأب الأقدس نحن الذين تسطو علينا الوحوش الضارية في كل يوم، وبارشاد ملكك القدوس نحرم باستغاثتنا هذه منزلينها منزلة دستور الايمان لك من ينبذهم كرسيك الرسولي، ونحرمهم أي نسطور واوطيخا وديوسقورس وبطرس الالثغ وبطرس القصار واكاشيوس وكل من يدافع عن أحد من هؤلاء الهراطقة». وقد ذكر البطريرك اسطفانس الدويهي في ذيل هذه الرسالة تواقيع من وقّعوا عليها بخط أيديهم كمايلي:

١ أنا اسكندر برحمة الله قسيس ورئيس دير القديس مارون أتضرّع

٢ شمعون برحمة الله قسيس ورئيس

٣ يوحنا برحمة الله قسيس ووكيل

٤ بروكوب برحمة الله قسيس ورئيس

٥ بطرس برحمة الله قسيس

٦ اوجان برحمة الله قسيس

٧ جيلاد برحمة الله قسيس

٨ بسوس برحمة الله قسيس

٩ رامولس برحمة الله قسيس

١٠ اورشال برحة الله قسيس

١١ ملنخس برحمة الله قسيس

وبعد هؤلاء تواقيع كثيرين وجملتهم مئتان وعشرة، منهم مئة واثنان وخمسون قسيساً وثلاثة وثلاثون شماساً وخمسة وعشرون رئيساً وهؤلاء الرؤساء ستة قسوس وثمانية شمامسة والباقون دونهم درجة.

فلما وقع البابا على رسالتهم هذه أجابهم في ١٠ شباط سنة ٥١٨م برسالة ذكر روهربخر ملخصها في تاريخه (ك ٤٣)، وذكره أيضاً البطريرك اسطفانس الدويهي (في تاريخ الموارنة صفحة ٤٤) عن لاباي (في مجموعة المجامع مجلد ٥)، وكلامه في هذه الرسالة المنفذة إليهم شامل جميع الكاثوليكيين في المشرق، فيشجعهم على الثبات في الايمان القويم قائلاً إنّ هلاك الأبدان في سبيل الايمان لا يُعدّ خسراناً بل ربحاً وافراً بالنظر إلى الثواب الأبدي، وإلى أنّ المسيح يزيدهم في هذه الحياة أيضاً أبداً بنعمته. ويذكرهم بمثل المكابيين قائلاً إن كانوا قاسوا ما قاسوه حباً بظل الحقيقة فكم يكون أولى بنا أن نتحمل الاضطهاد حباً بالحقيقة نفسها، وإنه يلزمهم أن يتجنبوا مخالطة ذوي الضلال ويرعوا أوامر المجمع الخلكيدوني ورسائل القديس لاون البابا، وأن ينبذوا لا مبدعي البدع فقط بل متابعيهم عليها أيضاً. وأشار إلى الملك انسطاس فقال إنّ سلطة الناس شيء وخدمة الأحبار شيء آخر، فلو اقتصر عوزيا على تدبير المملكة لما أصابه البرص الذي اعتراه لأنه أراد أن يجمع بين الملك والكهنوت خلافاً لارادة خادمي الهيكل فخسر الملك والكهنوت معاً. ولم نغفل نحن عن شيء مما هو لازم في هذه المحن، فأرسلنا وفدين واستخدمنا التضرعات الذليلة وايراد البراهين المعقولة والتصريح بالأوامر الخلاصية،

ولا يوقفنا الاصرار عن السلوك في جادة العدل فمن لا يرعوون عن طريق الاثم سوف يهلكون دون أن يمسونا بضرر.

وبعد أن قضى الله على انسطاس الملك سنة ٥١٨م وخلفه الملك يوستينس، وأمر بأن يرجع الاساقفة المنفيون إلى كراسيهم، واستمر بطرس أسقف أباميا على غيّه واضطهاده الكاثوليكيين، أخذ رؤساؤهم في انطاكية ورهبان القديس مارون يرفعون الرسائل إليه وإلى يوحنا بطريرك قسطنطينية متشكين من بطرس المذكور واتباع ساويرس. فعقد البطريرك القسطنطيني مجمعاً في هذه المدينة شهده ثلاثة وأربعون أسقفاً، فحرموا ساويرس وبطرس المذكورين وأرسلوا رسالة مجمعية إلى بطريركيتي انطاكية وأورشليم، فعقد في أورشليم وصور المجمعين اللذين ذكرناهما في كلامنا على المجامع، وأرسل اكليرس انطاكية وصور إلى يوحنا البطريرك القسطنطيني ومجمعه رسالة مسهبة ذكرها البطريرك اسطفانس الدويهي في تاريخ الموارنة (صفحة ٤٥) وقد اشتملت على عبارات كثيرة من العبارات الواردة في رسالة رهبان القديس مارون السالف ذكرها إلى البابا هرمزدا. وفي جملة تواقيعها تواقيع كثيرين من رهبان القديس مارون، وذكر الدويهي منهم يوحنا راهب دير القديس مارون. يعقوب راهب دير الرجل الصالح. قسطنطين راهب وقاصد دير استيرس ذي الذكر الصالح. نونيس شماس دير القديس بولس. سليمان راهب دير القديس اغابيطس. سرجيوس راهب دير القديس سمعان. حلفى راهب دير القديس يعقوب. سعيد راهب دير القديس يوحنا. سمعان راهب دير القديس بولس. بولس راهب دير القديس ليبسيكس. عبد الأحد راهب دير القديس دوروتاوس. فلما علم الملك يوستينس بهذه الرسالة ألقى بطرس أسقف اباميا وأخسنيا أسقف منبج في السجن، وسمع ساويرس بذلك فولّى هارباً كما مرّ في كلامنا عليه.

وتوجد رسائل معلّقة في ذيل المجمع الخامس من رهبان القديس مارون وهي ناطقة بما كان لهم من الحمية والغيرة على الايمان الكاثوليكي والمجمع الخلكيدوني، وما كان لهم من الاجلال للبابا لاون القديس الذي أمر بعقد هذا المجمع. ويتبيّن منها أيضاً أنه لما قدم البابا اغابيطس إلى قسطنطينية أنفذوا إليه وفداً من أخوتهم ليرفعوا إليه فروض الطاعة والشكر لعزله انتيمس بطريرك قسطنطينية عن كرسيه لزيغانه عن الايمان الصحيح. ولما عقد منّا خليفة انتيمس المذكور مجمعاً سنة ٥٣٦م كتب إليه رهبان القديس مارون رسالة وأنفذوها مع يوحنا القسّ سفيرهم ويرى توقيعه هكذا: «يوحنا برحمة الله القسيس الراهب سفير دير القديس مارون المترئس

على جميع الأديار والرهبان في سورية الثانية، والمتكلم عن جميع رؤساء الأديار والرهبان الذين في سورية هذا كتبت» ورفعوا رسالة أخرى إلى الملك يوستنيانس وأوفدوا إليه بها بولس الشماس وتوقيعه: «بولس الشماس برحمة الله سفير دير القديس مارون المقدم على جميع الأديار الموقرة في سورية الثانية والمتكلم عن جميع رؤساء الأديار التي في سورية المذكورة تضرعت وقدمت» (عن تاريخ البطريرك اسطفانس الدويهي صفحة ٤٩).

إنّ دير القديس مارون على العاصي الذي أشار رهبانه في رسالتهم المثبتة آنفاً إلى حرقه في أيام الملك انسطاس ودك أسواره، قد جدده الملك يوستنيانس الكبير كما أنبأنا بروكوب الكبادوكي (في مؤلفه في ابنية يوستنيانس ك ٥ فصل ٩). وكان بروكوب في دولة يوستنيانس وكاتباً لباليصار وقائد جيشه، ثم والياً في العاصمة كما رأيت آنفاً، فهو شاهد عيان. فعاد هذا الدير مزهراً برهبانه ومناضلتهم عن الايمان والمجمع الخلكيدوني إلى سنة ٦٩٤م التي فيها دخلت جنود يوستنيانس الثاني الملقب بالأخرم إلى سورية فدكوه دكاً وجعلوه قاعاً صفصفاً انتقاماً من رهبانه الدين لم ينقادوا إليه في الاعتقاد بمشيئة واحدة وفعل واحد في المسيح (طالع الدر المنظوم للمثلث الرحمة البطريرك بولس مسعد صفحة ١٣١).

ويظهر ان هذا الدير جدده رهبان دير القديس مارون بعد انتقاضه فقد أفادنا الأب نو العالم الافرنسي بأنه طالع كتاباً سريانياً مخطوطاً في المتحف البريطاني في عدد ١٧١٦٧ فوجد معلقاً عليه ان هذا الكتاب كتبه رجل اسمه سركيس سنة ٥٨١ واشتراه راهب من دير القديس مارون ووضعه في مكتبة هذا الدير سنة ٧٤٥ إذ كتب عليه حاشيتان الأولى ترجمتها: «فليكن ذكر صالح أمام الله الأب القدير على كل شيء وأمام سيدنا يسوع المسيح وأمام الروح القدس المحيي للكاهن مار متى من قرية قولاب في بلاد الصوفانيين الساكن بدير الطوباوي مار مارون ولتلاميذه الذين شروا هذا كتاب يوحنا الراهب مع عدة كتب غيره للانتفاع بها وقد دخل إذاً هذا الكتاب إلى مكتبة دير مار مارون سنة ١٠٥٦ (لاسكندر الموافقة لسنة ٧٤٥) في زمان الرئيس مار جرجس من خربة مارويا وكان حافظ المكتبة اتناسيوس من (الكلمة غير مقروءة في الأصل) ومار سركيس من ديلام ومار قزما من معرة منشرين (لعلها قنسرين) ومار زكريا من «متا» فدير القديس مارون كان قائماً إذاً سنة ٧٤٥.

ولكن يظهر أنّ هذا الدير خرب في القرن التالي أي في القرن التاسع واستدل الأب نو على ذلك بالحاشية الثانية المعلقة على هذا الكتاب أيضاً في القرن التاسع أو العاشر إذ قيل فيها: «إنّ هذا الكتاب وهبه اخوان متى وابراهيم راهبان من تكريت لكنيسة السيدة والدة الله كنيسة السريان في برية لاسقيط واستدل الأب نو من انتقال هذا الكتاب من دير مار مارون مع انه معلق عليه أنّ من أخذه يكون محروماً أنّ الدير خرب واتصل الكتاب المذكور ليد الراهبين اللذين وهباه لكنيسة الاسقيط. انتهى وقد أخذ هذا الكتاب من كنيسة الاسقيط رجل رومي اسمه باخوس وباعه سنة ١٨٤٥ للمتحف البريطاني حيث عثر عليه الأب نو.

عد ٥

رسالة رهبان القديس مارون إلى رؤساء اليعاقبة وجواب هؤلاء لهم

عثر الأب نو العالم المذكور في المتحف البريطاني في الكتاب المخطوط السرياني في عدد ١٢١٥٥ صفحة ١٦٣ على رسالة سريانية كتبها رهبان القديس مارون إلى رؤساء اليعاقبة بانطاكية وعلى جواب هؤلاء الرؤساء لهم ونشر ترجمة افرنسية للرسالة وجوابها في جريدة الجمعية المعروفة بجمعية القديس لويس للموارنة في نشرتيها السابعة والتسعين في شهر كانون الثاني والثامنة والتسعين في شهر نيسان من سنة ١٩٠٣ ثم طبع ذلك الأثر بالسريانية طبعاً فوتوغرافياً وأهدى إلينا عدة نسخ منه راغباً إلينا أن نترجمه إلى العربية وننشره وسنجيب إلى رغبته إن شاء الله ونقتصر الآن على ما يأتي:

فمن رأي الأب نو أنّ هذا الأثر خط في القرن الثامن للميلاد وأنّ الرسالة والجواب عليها كتبا في أواخر القرن السادس وأوائل السابع وقد أنبأنا العلّامة السمعاني (مجلّد ثانٍ من المكتبة الشرقية صفحة ٧٢) نقلاً عن ديوانسيوس التلموس أنّ العالمين بربوس ويوحنا بعد أن عضدا بسورية ومصر بطرس القالينيقي بطريرك اليعاقبة قلبا له ظهر المجن واعتقدا ما علمه المجمع الخلكيدوني وأحدثا قلقاً بين اليعاقبة في بلاد انطاكية. ولما توفي البطريرك المذكور سنة ٥٩١ طلبا من البطريرك انسطاس خليفته (كان من سنة ٥٩٥ إلى سنة ٥٩٩) أن يستدعي جميع

الرهبان إلى انطاكية ليبحثوا في الايمان وليثبتوا أنّ إنكار بطرس المذكور الطبيعتين في المسيح إنما هو أمر محدث في الكنيسة، فدعا الرهبان إلى انطاكية بنوع من الإكراه أيضاً وأمسكهم فيها ستة أشهر ويظهر أنه بهذا المعرض كانت كتابة رهبان القديس مارون لليعاقبة وجواب هؤلاء عليها.

ويظهر من الرسالة وجوابها أنّ رهبان القديس مارون كانوا رؤساء الحزب الكاثوليكي وأنّ هذا الحزب الذي قهره اليعاقبة في أوائل القرن السادس قد تغلب على اليعاقبة بعد ذلك وكان للرهبان المذكورين سيطرة على المسيحيين إذ ترى في جواب اليعاقبة أنهم يقولون لأهل هذا الحزب الكاثوليكي «إنكم تحملون العصي فتضربون وتضطهدون وتطهرون وتهينون الكهنة المؤمنين بالمسيح الذين لا يرضون أن يتابعوكم على عتوكم فتشبهون اللصوص وقطّاع الطرق العائثين في الجبال والبراري. ونرى ابن العبري يصرّح بحصول شيء من ذلك في تاريخ سنة ٦٣٠ إذ قال في تاريخه السرياني: «إنّ رهبان مارون في منبج وحمص أبدوا قسوة شديدة فأخربوا كثيراً من الكنائس والأديار التي لليعاقبة. ولما كان جماعتنا يتشكون إلى هرقل الملك لم يكن يجيبهم على أنّ إله النقمة أرسل العرب لكي يخلصنا من الروم ومع ذلك لم ترد علينا كنائسنا بل بقي لكل فريق ما كان بيده ولا أقل من أننا نجونا من ظلم الروم وبغضهم لنا».

وفي سنة ٦٥٩ جادل الموارنة بعض رؤساء اليعاقبة بحضرة الخليفة معاوية وأفحموهم ففرض عليهم الخليفة تأدية عشرين ألف دينار كل سنة ليحميهم من خصومهم وكل ما مر يثبت إثباتاً قاطعاً أنّ الموارنة كانوا مخالفين لليعاقبة قبل ظهور بدعة المشيئة الواحدة سنة ٦٢٨ وحين ظهورها وبعده. ومما يعرفه الجميع أنّ منشئيّ هذه البدعة إنما هم رؤساء اليعاقبة وهي نتيجة لازمة من بدعتهم الطبيعة الواحدة ينتج من ذلك نتجاً بيّناً أنّ الموارنة براء لا من بدعة اليعاقبة فقط بل من بدعة المشيئة الواحدة أيضاً. ذكرنا ذلك استطراداً ولنعد إلى الغرض.

فهذه ترجمة رسالة رهبان القديس مارون عن أصلها السرياني:

«مباحث رهبان بيت مارون التي هي حكم على حزب بطرس (بطريرك اليعاقبة) المنشقّين وهم فرقة من فرق اوطاخي وساويروس وقد قبحوا أسماءهم

وجعلوا مساكنهم أشبه بمغاور السرقة واللصوص من رهبان بيت مارون المستقيميّ الايمان أبناء البيعة المقدسة الكاثوليكية.

قال الكتاب الإلهي يكونون خزياً لآبائهم ولا يتعلمون الأدب فقد صدق عليكم وتحقق فيكم هذا الكلام لأنّ لكم وجوهاً من نحاس فلا تخجلون وإلا فكنتم تقولون للجبال اسقطي علينا وللآكام غطينا فإننا من خمسة أيام نتوقّع الجواب منكم على المسائل الخمس التي سقطتم بها وما استطعتم أن تجاوبوا ومع ذلك اهتممنا بكم وأنفذنا إليكم رسالة مشهورة على يد مار قسطنطين الجليل حفظه الله وعلى هذه الرسالة أيضاً لم تجيبوا والتقرير الذي طلبناه منكم بمدينة الله (انطاكية) نطلبه الآن منكم برسالتنا هذه ونستشهد عليكم الله والناس فأجيبونا إن استطعتم أو بيّنوا لنا عذراً مقبولاً إن كان لكم في المسائل الخمس التي حجيناكم بها أمام أهل المدينة كلهم وأمام غرباء عنهم شهدوا ما كان بيننا وبينكم فأجيبوا بخوف الله وبالاعتماد على علماء مشهود لهم بالفضل والقداسة ولا خلاف بيننا وبينكم وبين أحد المسيحيين على صدق أقوالهم والأولى من المسائل الخمس هي أيصحّ القول إنّ المسيح مضاعف (أي إله وإنسان) والثانية أيقال إنّ في المسيح طبيعة مركبة والثالثة هل الطبيعة والأقنوم والقوام هي شيء واحد في المسيح والرابعة هل حرم ديوسقورس معلمكم اوطاخي بعد أن قبله في شركته والخامسة هل تحرمون كل من يقول إنّ في المسيح طبيعتين قبل الاتحاد وحين الاتحاد وبعده. هذه هي المسائل الخمس.

أما المحامون الذين أتيتم بهم فإن أخذوا على أنفسهم أن يدافعوا عن الأضاليل التي تسكعتم بها فليجيبوا أولاً على المسائل الخمس المذكورة آنفاً وإن كان لهم بعد ذلك ما يقولون أو يحتجون به فليجاهروا به دون خوف وإن لم يصوبوا أن يدافعوا عن هذه الخزعبلات فليحرموا القضايا الأربع المار ذكرها ويوقعوا على حرمهم بها ويبيّنوا أنّ ديوسقورس حرم اوطاخي. وبعد ذلك نذهب نحن إليكم فنتباحث معاً دون مواربة ولا التباس ليتبيّن هل يلزم أن يقال إنّ في المسيح طبيعتين أو طبيعة واحدة ومن دون أحد الأوجه المذكورة لا نقبل نحن البتة أن نخاطبكم أو نسمع كلامكم ونستحلفكم بالثالوث الأقدس المتساوي جوهراً وبإسكيمكم الموقر إن كنتم توقّرونه أن تطلعوا على رسالتنا هذه جميع الأساقفة القريبين منكم في جهة المشرق وتجيبونا عليها كما تقدم».

وهذه ترجمة رسالة اليعاقبة عن أصلها السرياني:

«جواب وحل موجز للمسائل الخمس التي أرسلها رهبان بيت مارون من قرية ارماز بعد ذهابهم من انطاكية إلى الرهبان الأرثوذكسيين المقيمين بالأديار المقدسة في ما بين النهرين.

إلى غض الجفنة الخلكيدونية وفرع جرثومة لاون وأصل الحمض الذي نبغ في كرم توادوريطوس وبالإجمال إلى أبناء الشقاق الكبير الذي كان في الكنيسة وبدّد أعضاء المسيح وقسم جسده إلى أقسام شتى إذ لم يألُ أصحابه جداً في أن يبطلوا ايمان الحق الذي علمه الرسل القديسون بما أمكنهم من الجسارة إلى فيلبوس وتوما واهبي بيت مارون المستسيرين سيرة الله يعلمها والناس لا يجهلونها بسوق الكلام توادورس أحقر أبناء الكنيسة التي أنشأتها يد الله وجعلت أسوارها الصخور المنتخبة أعني بطرس السليح وخلفاءه والرسل والأنبياء والملافنة قاصداً أن يبيّن بطلان زعمهما (أي زعم فيلبوس وتوما) في ما يخالفان به الحق وأنصاره.

لما بلغتنا رسالتكم المشتملة على الإهانات لنا وتصفّحنا كلامكم المتضمن الافتراء علينا لم نغتمّ لذلك بل يمكننا أن نقول إنه أوعب قلبنا سروراً لأنه أفصح لنا عن ضعف أفكاركم ووهن آرائكم وأبان لنا أنكم ليس لكم حجة كافية للدفاع عن بدعتكم السيئة إلا ما أحدثتموه قاصدين به الفرار من الحق والتستر من العار بحسب ما قال اللاهوتي (القديس غريغوريوس النزينزي) عندما تكلم في بعض السفسطيين في خطبته على وصوله الأساقفة حيث قال: «يعدون أبحاثاً غامضة ليتستروا بها عن أن يفحموا ويتعسر لذلك إقناعهم». فأنتم أشبه بهؤلاء إذ لم تقدروا أن تجيبوا ببنت شفة على ما سألكم إياه تلاميذ الحق في انطاكية خطأً وشفاهاً بل تريدون تستير عاركم بالكلام المهين وتحاولون الفرار من الحق المبين ولم تكتفوا بهذا بل تقولون إنّ الرب «الذي غرس الأذن لا يسمع أم الذي جبل العين لا يبصر أم الذي يؤدب الأمم لا يبكت (مزمور ٩٣ عد ٩٠) فتطوفون كل محل مسرورين بالباطل وتعلقون آمالكم على الخداع وتتسترون بالكذب فتضلّون السذّج وتذيعون الأحلام الافكية كما قال عنكم وعن أمثالكم النبي أنكم تتكلمون وتكتبون بالكذب... ثم يأخذ كاتب الرسالة يحاول الرد على المسائل الخمس التي ذكرها رهبان القديس مارون فيقول في الرد على المسألة الأولى وهي أيصح القول

إنّ المسيح مضاعف «إنني لمتعجب من جهلكم كيف تجهلون هذا وأنتم علماء افرام (يريد افرام البطريرك الانطاكي الذي كان عدوّاً ألدّ لأصحاب الطبيعة الواحدة) فأشبهتم بهذا إنساناً يسأل نوراً في الثالثة أو السادسة أو التاسعة من النهار ونور الشمس ساطع ومع ذلك إذا ابتغيتم بياناً لما هو بيّن وواضح فهذا القديس كيرلس لا خلاف على شهادته وهو يقول في رسالته التي كتبها إلى نسطور عدو الله حيث قال إنّ كلمات الإنجيل الذي كتب لخلاصنا لا تؤذن لنا بأن نقسم المسيح إلى أقنومين أو قوامين فليس هو مضاعفاً من هو واحد أحد وإن تركب من شيئين فقد اجتمعا بالوحدانية».

فاليعاقبة يتخذون آيات الكتاب وأقوال الآباء الدالة على أنّ للمسيح أقنوماً واحداً ليدعموا ضلالهم بأنّ فيه طبيعة واحدة.

ثم يأخذ الكاتب بالرد على المسألة الثانية وهي هل في المسيح طبيعة مركبة؟ فيقول: وأما مسألتكم الثانية فيظهر أنه ربما كان لكم نفع منها مع من يتابعكم على ضلالكم وأما من كان اعتمادهم على الصخرة الصلدة التي هي المسيح فيسخرون من هذه الخزعبلات ويظهر أنكم لا تفهمون ما تكتبون ولا تطالعون الكتب. فإذا كان مقصدكم أن تقولوا طبيعة متجسدة كما عبّر عنها الملافنة وأوجبوا أنّ في المسيح طبيعة متجسدة فذلك صحيح، وأما إن كان مقصدكم بذلك أن تقولوا طبيعة مركبة أي مؤلفة من شيئين فيخالفكم بذلك القديس كيرلس إذ قال في خطبته الثالثة ما نصه: «إذا كانت بعض الأشياء التي لا تشابه بينها طبعاً تعاون على الوحدة في التركيب فلا ينبغي فصلها وجعلها اثنين ولو بقي شيء في كل منهما في المركب لأنّ اجتماعهما لقيام الوحدة لا يمكنه أن يبطل طبعها ولو ساغ لنا أن نسمي كل واحد من الأشياء المتحدة باسم لأنّ المجموع من شيئين». إنّ كلام القديس كيرلس هنا أيضاً هو في وحدانية أقنوم المسيح لا في طبيعته كما هو واضح خاصة من قوله إنّ اجتماع الشيئين لقيام الوحدة لا يمكنه أن يبطل طبعها فإذاً اجتماع الطبيعتين في المسيح لا يمكنه أن يبطل طبع كل منهما.

وأما في المسألة الثالثة وهي هل الطبيعة والأقنوم والقوام في المسيح هي شيء واحد فقال: أنا أسألكم: «أتقولون إنّ الطبيعة والأقنوم والقوام هي شيء واحد في المسيح أم تقولون إنها مدلولات مختلفة؟ فإن قلتم إنها شيء واحد أثبتم أنّ

أبحاثكم باطلة ولا محل لها في هذا الموضوع وإن قلتم إنها ليست شيئاً واحداً نتج من قولكم إنكم تعترفون بثلاثة أشياء في المسيح هي: الطبيعة والأقنوم والقوام، بل إنّ فيه أشياء أخرى كثيرة لكونه ابناً وسيداً وكلمة الله إلى غير ذلك من الأسماء الواردة في الأسفار الملهمة. وعلى ذلك يلزمكم أن تقولوا بطبيعتين وأقنومين بحسب تجديفكم وتجديف علمائكم إلى الآن ولا أن تعتقدوا الرابوع عوضاً عن الثالوث بل يجركم ذلك إلى ما هو أعظم... فاعلموا أننا لا نعتقد أنّ عمانوئيل ذو قوامين كما لا نعتقد أنه ذو طبعين أو أقنومين متبعين في ذلك القديس كيرلس الجليل الذي كتب في رسالته إلى نسطور: «لا يلزم أن نجزئ سيدنا يسوع المسيح الوحيد إلى ابنين».

إن منبع ضلال اليعاقبة هو عدم تفرقتهم بين الطبيعة والأقنوم فيعتقدون طبيعة واحدة لأنّ فيه أقنوماً واحداً والتعليم الكاثوليكي أنّ الطبيعة غير الأقنوم فنعتقد أنّ في الله ثلاثة أقانيم وطبيعة واحدة ونعتقد أنّ في المخلّص أقنوماً واحداً وطبيعتين إلهية وبشرية.

وفي المسألة الرابعة قال كاتب رسالة اليعاقبة: أما مسألتكم الرابعة وهي هل حرم ديوسقورس معلمكم اوطيخا بعد أن قبله في شركته فهي باردة تفهة لا ذوق فيها ولا يليق ايرادها بأولاد يلعبون في الشوارع فاسألوا قبلنا آباءكم الذين هم عمدة مذهبكم فيجيبونكم أنّ انطوليوس بطريرك القسطنطينية صاح بأعلى صوته أمام كل آباء المجمع: إننا لا نحط ديوسقوروس بسبب الايمان بل لأنه يخالف رسالة البابا لاون ولأنه دعي ثلاث مرات فلم يحضر. فديوسقوروس لم يأثم ضد الايمان ونحن وديوسقوروس وتيموتاوس نحرم اوطاخي ونسطور والمجمع الخلكيدوني لأنهم مخالفون للدين على حدٍّ سواء وهم عندنا بمنزلة غير مؤمنين وعندنا إلى الآن رسالة لاوونكم الذي يسمى اوطاخي ابنه الروحي وابن مذهبه وشريكه في الايمان ويحرضه على أن يصلح ما يميل إلى تعليم نسطور». وأورد الكاتب بعض أقوال ديوسقوروس التي يظهر منها أنه حرم اوطاخي وكلاهما يعتقدان الطبيعة الواحدة وهذا ما قصد رهبان القديس مارون أن يبينوه.

وأما في المسألة الخامسة وهي: هل تحرمون كل من يقول إنّ في المسيح طبيعتين قبل الاتحاد وحين الاتحاد وبعده؟ فيقول إنّ جميع الذين يحبون الحق

يعلمون أنكم تعتقدون هذه القضايا الثلاث أي إنّ في المسيح طبعين قبل الاتحاد وفي حينه وبعده وتلعنون كل من لم يعتقد بها. ويورد شهادات من القديس كيرلس ويوليوس الحبر الروماني وغريغوريوس نيصص وغيرهم تأييداً لزعمهم أنّ في المسيح طبيعة واحدة. لكن الكلام في كل منها على أنّ في المسيح أقنوماً واحداً وأنه مسيح واحد وابن واحد لله لكنهم لا يفرقون بين الطبيعة والأقنوم فيتوهمون أنّ تلك الشواهد تؤيد رأيهم وأساس ضلالهم هو عدم التفريق.

ويختتم الكاتب اليعقوبي رسالته بقوله: «لما كنتم استحلفتمونا أن نطلع آباءنا على أفكاركم المنقوضة التي أرسلتموها من أرماز على يد اسحق وسمعان قد أتممنا ما سألتمونا رغبة في خلاصكم ولذلك عهدوا إليّ أنا الأخ توادورس من دير ماراباس بأن أجاوبكم فأتممت ذلك على ما بي من ضعف القوة فأستحلفكم أنا أيضاً بالثالوث الأقدس أن تقرأوا رسالتنا الحاوية التفنيد لتجاديفكم على جماعة بيت مارون كلها علكم تستفيدون منها وأستحلفكم بإسكيمكم الموقّر وأنا أعلم أنكم لا توقّرونه ولا تظهرون نفسكم أهلاً له إذ كنتم تحملون العصيّ فتضربون بها وتطردون وتضطهدون وتهينون الكهنة والمؤمنين بالمسيح الذين لا يتابعونكم على عثوكم فأنتم أشبه باللصوص وقطّاع الطرق الذين يسكنون الجبال والبراري. فهذا ختام الجواب على مسائل بيت مارون المقيمين ببلاد اباميا.

لا بد أن يكون رهبان القديس مارون أجابوا اليعاقبة على هذه الرسالة ولعله يأتي يوم يسعدنا الحظ فيه بالاطلاع على هذا الجواب.

مقالة ثانية

تاريخ الموارنة في القرن السابع

الفصل الأول

حالة الموارنة الدنيوية في هذا القرن

عد ٦

سطوة المردة أي الموارنة في هذا القرن

ذكرنا في تاريخ الموارنة – في القرنين الخامس والسادس – القديس مارون وتلامذته، وتكاثر رهبانهم، وأديارهم، وتوافر الجمهور المنتمي إليهم والمسمّى باسمهم . ونذكر في هذا العدد طورهم الدنيوي في هذا القرن ؛ وذلك درس نلقيه إلى أبناء ملّتنا وجميع مواطنينا نحذّرهم به من التهوّر في مهواة المناوأة للسلطة السائدة. فيهم بوسوسة أصحاب الأغراض البعيدين عنهم . فمن المعلوم أن الخلفاء الراشدين صرفوا اهتمامهم عند أخذهم سورية وطردهم ملوك الروم منها إلى فتح مدنها ، ولم يكترثوا لسكان جبالها لقلّة أهميتها وعدم المنفعة منها، ولتعسّر مسالكها وأن ملوك الروم ما انقطعت مطامعهم في استردادها، وظلوا يوسوسون لسكانها ليلبكوا أمرها ولا تستقيم حالها، ليتيسّر لهم العود إليها كما حاولوا مرات فلم يظفروا . فمن ذلك أنهم وسوسوا للموارنة وكانت مساكنهم حينئذ في الجبال من جبال الجليل إلى جبال انطاكية، فلبكوا حكومتهم وتوافرت غزواتهم في السهول حتى اضطر بعض الخلفاء أن يعقد صلحاً مع ملوك الروم على شرائط سيأتي

ذكرها؛ ومنها أن يبكتوا الموارنة الذين تلقّبوا عندئذ مردة، ويصدّوهم عن غزواتهم. وكانت النتيجة حينئذٍ أن هؤلاء الملوك البيزنطيين أنفسهم الذين وسوسوا للموارنة وهيّجوهم على مخالفة رضى حكومتهم انقلبوا على المردة وأذاقوهم الأمَّرين ومكروا بهم، فسبوا اثني عشر ألفاً من نخبة شبّانهم وأبعدوهم عن أوطانهم وجيّشوا عليهم وأخربوا أكثر بلادهم، وحرقوا أديارهم، وعمدوا إلى القبض على بطريركهم. واتصلوا إلى طرابلس على مقربة منه. ولو لم يتدارك الله أمرهم بالنصر على الجيش البيزنطي لأبادوهم عن آخرهم. فهذه هي الأمثولة التي نريد أن يتمثّل بها أبناء ملّتنا ومواطنونا ليخلصوا في الطاعة للحكومة السائدة عليهم. وإليك تفصيل هذه الأحداث.

قد روى كثيرون من علماء أمّتنا أنه كان للموارنة في القرن السابع سطوة وصولة حتى ضبطوا كل ما كان من انطاكية إلى أطراف الجليل، على أننا نؤثر أن نروي أخبار هذه الأحداث عن كتب المؤرخين القدماء التي أخذ علماؤنا عنها هذه الأخبار، لأنها أبعد مجالاً عن مظنّة الغرض والغلوّ والتعصّب لأمّتهم. قال توافان المؤرّخ الشهير (في تاريخ السنة التاسعة للملك قسطنطين اللحياني): «في هذه السنة خرج المردة من لبنان[1] فضبطوا كل ما كان من الجبل الأسود (المعروف اليوم بالجبل الأقرع فوق السويدية) إلى المدينة المقدسة (أورشليم) واستحوذوا على قمم لبنان، وانضمّ إليهم كثيرون من العبيد والأسرى والوطنيين حتى أصبح عددهم في مدة وجيزة ألوفاً كثيرة، وسمع معاوية وأصحاب مشورته بذلك فخشوا جداً من عاقبته حتى فكروا بأنّ الله محامٍ عن مملكة الرومانيين، وأرسلوا وفداً إلى قسطنطين الملك يطلبون الصلح ويعدون بوفاء جزية كل سنة. فتقبّل الملك وفدهم بالإعزاز والتكريم وأجابهم إلى سؤالهم، وأوفد معهم إلى سورية البطريق يوحنا المسمّى بتسيكود وكان من رجال الندوة في حكومته، ومتّصفاً بالخبرة والحكمة وبحسن التعاطي والمداولة مع العرب ليتفق معهم على شرائط الصلح. ولما بلغ سورية قابله معاوية بالترحاب وعقد ديوان مشورته. وبعد المداولة بشروط الصلح قرّ رأيهم على كتابة عهدته موثقة باليمين على أن يدفع العرب كل سنة إلى الرومانيين ثلاثة آلاف

(١) قال العالم يعقوب كوار محشى تاريخ توافان في حاشية علقها على هذا المحل ان ابراهيم الحاقلي الماروني يتفاخر بأنه لبناني ومن نسل هؤلاء المردة.

ذهب، وثمانية آلاف أسير، وخمسين جواداً من الخيل الجياد. وأبرم الصلح بين الرومانيين والعرب على هذه الشروط إلى ثلاثين سنة، ودوّنت العهدة ووقع على نسختين منها لكل فريق نسخة. وعاد ذاك الرجل الشهير البطريق يوحنا المتواتر ذكره إلى الملك بهدايا نفيسة جداً». وقال توافان أيضاً في تاريخ السنة الأولى لعبد الملك بن مروان: «في هذه السنة حدثت مجاعة شديدة وطاعون في سورية، وولّى عبد الملك في أمّته، وتواترت غارات المردة في جوار لبنان، وثقلت وطأة الطاعون. فطلب عبد الملك تجديد عهدة الصلح التي كانت قد أبرمت في أيام معاوية، وأرسل وفوداً إلى الملك واعداً أن يدفع كل سنة ثلاث مئة وخمسة وستين ديناراً. وكذلك من العبيد، وليس بأقل من ذلك من الخيل الجياد»[1]. وقال في تاريخ السنة الأولى ليوستينيانوس الملك: «في هذه السنة أرسل عبد الملك رسلاً إلى الملك لإبرام عهدة الصلح فعقد الصلح على الشروط الآتية: وهي أن الملك يمنع غارات عسكر المردة من لبنان ويصدّ غزواتهم، وعبد الملك يدفع إليه في كل يوم ألف دينار وفرساً ومملوكاً، وأن الملكين يقتسمان بينهما خراج قبرص وأرمينيا وايباريا قسمة عادلة سوية. وأرسل الملك بولس ماجيستريانس إلى عبد الملك لإبرام عهدة الصلح فكتب صكّها ووقّع عليه أمام الشهود. وعاد ماجيستريانس مكرّماً إلى الملك. وأبرز الملك أمراً بإبعاد اثني عشر ألفاً من المردة عن أوطانهم، وقد أضعف بذلك قوة المملكة الرومانية لأنّ جميع المدن المجاورة لبنان من المصيصة إلى أرمينيا الرابعة كانت ضعيفة وكانت خالية من السكان بسبب غارات المردة الذين كبتهم الملك. وقد توالت من ذلك اليوم إلى الآن المحن والمصائب في المملكة الرومانية بسبب سطو العرب». وقال في تاريخ السنة الثانية ليوستينيانس: «إنّ الملك مضى في هذه السنة إلى أرمينيا فقابل هناك عسكر المردة الذي كان قبلاً في لبنان بمنزلة سور نحاسي لمملكته فدكّه بيده». وقال في تاريخ السنة الخامسة للملك المذكور: «في هذه السنة نقض الملك يوستينيانس لطيشه عهدة الصلح المبرمة مع عبد الملك». وذكر ما رويناه في الكلام على عبد الملك من أمره بنقل سكان قبرص وتعنّته في قبول الدنانير الحديثة التي صكّها عبد الملك إلى أن قال ما ملخّصه:

---

(١) قد لاحظ محشي تاريخ توافان المذكور ان عدد ثمانية الآلاف اسيراً في الفقرة الاولى كثير جداً وعدد الثلاثمائة والخمسة والستين ديناراً في هذه الفقرة قليل جداً فلا بد من غلط من النساخ في ذكر هذه الاعداد. وسترى ان المؤلف يخالف ذلك في الفقرة التالية.

« ولما بلغ ذلك عبد الملك أرسل يسأل يوستينيانس أن لا ينقض العهدة المبرمة بينهما فظنّ يوستينيانس أن عبد الملك يخاف سطوته ولم ينتبه إلى أنّ العرب يتطلّبون بعد كبت المردة علة لنقض عهدة الصلح، فكتب يوستينيانس إليهم أنه لا يريد العمل بالشروط المتفق عليها فأجابوه هم أنهم متشبثون بها وأنه إذا نقضها وأرغمهم على الحرب فيكون هو علة لنقضها . والتقى جيش الملك وجيش العرب في الكبدوك، فأرسلوا يسألونه أن لا يخالف العهد الوثيق الإبرام بينهما باليمين، وإلا فينتقم الله من المخالف فأعارهم أذناً صمّاء واقتحم جيشهم فعلّقوا الصحيفة المكتوبة عليها عهدة الصلح على رمح بمنزلة راية لهم . فدارت الدوائر على يوستنيانس وجيشه » – كما رأيت قبلاً . فهذا ما ترجمناه بما أمكن من الدقّة عن تاريخ توافان .

وإليك ما قاله شدرانس في موجز تاريخه: « في السنتين الثامنة والتاسعة (لقسطنطين اللحياني) دخل المردة لبنان فاستحوذوا على كل ما كان من الجبل الأسود (الجبل الأقرع) إلى المدينة المقدسة ، وضبطوا أعالي لبنان ، وتألب إليهم كثيرون من العبيد والأسرى والوطنيين حتى أصبحوا في مدة وجيزة ألوفاً كثيرة . فوجس منهم معاوية ومن معه وفكّروا بأنّ الله يحامي بعونه مملكة الرومانيين، فأرسلوا رسلاً إلى قسطنطين الملك يطلبون الصلح فأرسل الملك بيساكود إلى السراكسة واتفق معهم على الصلح ودوّنوا صكّه في صفائح على شريطة أن يدفع الشراكسة كل سنة إلى الرومانيين عشرة آلاف ذهب. (وفي كتاب زوناراس ثلاثة آلاف) ومائة عبد وخمسين جواداً أصيلاً . ولما علم ذلك سكان المغرب طلبوا هم أيضاً الصلح . وقال في تاريخ السنة الأولى ليوستينيانس : « في السنة الأولى لملكه أرسل إليه عبد الملك رسلاً لإثبات الصلح واتفقا على أنّ الملك يحصر عسكر المردة في لبنان ويمنعهم عن الغارات، ويدفع العرب إلى الرومانيين في مقابلة ذلك في كل يوم ألف دينار وجواداً وعبداً، فأرسل الملك بولس ماجستريانس إلى عبد الملك لإبرام العهد فوقع على العهدة أمام الشهود، وأرسل االملك قائداً فأبعد اثني عشر ألفاً من المردة فأضرَّ ذلك بمصلحة المملكة الرومانية . فكل ما يستحوذ عليه العرب الآن من المصيصة إلى أرمينيا الرابعة كان واهناً لا قوة فيه وخالياً من السكان بسبب غزوات المردة، فكبتهم أنزل بالمملكة الرومانية مضارّ كبيرة إلى اليوم . فيوستينيانس لم يكن حينئذٍ أكمل السادسة عشرة من عمره فتصرّفه كان على غير هُدًى » . وقال في تاريخ السنة السادسة ليوستينيانس : « في هذه السنة نقض يوستينيانس بحماقة عهدة

الصلح مع عبد الملك لأنه أراد أن يأخذ جالية من قبرص لغير داع ، وأنف من أن يأخذ من عبد الملك الدنانير التي صكّها حديثاً، ولاعتماده على عسكر اختاره من الصقالبة (من اسكلافونيا) نقض المعاهدة المذكورة وزحف بهذا العسكر بكتائب من الفرسان إلى آسيا الصغرى، وأكره العرب بطيشه على نقض المعاهدة . ولما التقى الجيشان أقام العرب الحجة عليه ودعوا إلى الله أن ينتقم ممن نقض العهد، فلم يقف الملك بل سارع إلى تسعير نار الحرب، فعلق العرب صفيحة المعاهدة على علمهم ووثبوا على الجيش الروماني. وكان قائدهم يسمّى محمداً فتقهقر العرب أولاً ثم تغلّبوا على الجنود الرومانيين وقتلوا كثيرين منهم، وقرض الملك من بقي من الصقالبة مع أطفالهم ونسائهم »

وقال زوناراس (في ك١٤ من تاريخه في كلامه على يوستنيانس) : « قد استوى يوستنيانس على منصّة الملك وعمره ست عشرة سنة ، وكان يدبّر جميع مهام المملكة على هواه . فأوقع المملكة في مهالك كثيرة ؛ منها أنّ شعباً يلقّب بالمردة كان قد استحوذ على مشارف جبل لبنان في أيام قسطنطين اللحياني، وكان العرب يخشون صولتهم حتى حملوهم على طلب الصلح من ملوك الرومانيين كما مرّ. (كان زوناراس قد ذكر عقد هذا الصلح قبيل كلامه هذا كما رويناه عن غيره) . ولما كان معاوية قد توفي وخلفه عبد الملك أرسل رسلاً إلى الملك الذي ولي حديثاً سائلاً إياه تجديد الصلح وأن يبعد المردة عن لبنان . وإذا رضي هذا الشرط يدفع هو إلى الرومانيين في كل يوم ألف دينار ومملوكاً وجواداً من الجياد . ولما أبرما هذه العهدة أبعد الملك اثني عشر ألف مقاتل من المردة عن لبنان، فاطمأنّ العرب، ولم يبقَ ما يخشونه فأنزلوا بالمملكة الرومانية مصائب شتى. وأرسل يوستينيانس لأنتيوس بجيش فأخضع ايباريا والبانيا وغيرها لسلطته ونقض عهدته مع البلغار، ولم يرضَ أن يفوه الجزية بل غزا الأمصار الغربية وألب منها جيشاً من ثلاثين ألفاً من نخبة الشبان، وأعزّهم وسمّاهم الشعب المختار فعظم سروره بهم. واعتماده عليهم حتى أراد أن ينقض عهده للعرب أيضاً: متمحّلاً لذلك سبباً بأنهم يؤدونه مال العهدة دنانير ليست عليها صورة الملوك الرومانيين بل دنانير عربية حديثة، مدّعياً أنه لا يسوغ صكّ الدنانير إلا وعليها صورة الملك الروماني، وأعلن عليهم الحرب معتمداً لا على جيش الرومانيين بل على شعبه المختار الحديث. وسأله العرب بإلحاح أن لا ينقض العهد ويخالف صكّ

الموثق باليمين بالله وهو ينتقم لمن يتسبّب بشبوب نار الحرب فصمّ أذنيه عن سماعهم، وأقدم على الحرب فعلق العرب صفيحة العهد على رايتهم وألحموا القتال فانحاز عشرون ألفاً من أولئك المسمّين بالشعب المختار إلى العرب فتغلّبوا على الرومانيين وتتبّعوا آثارهم وقتلوا منهم كثيرين، وفرّ الملك بنفر قليل مدحوراً، وأمر بقتل من بقي من أولئك الجنود وإلقاء جثثهم في البحر وعاد إلى بيزنطية خجلاً » . وروى ذلك أيضاً انسطاس المكتبي في تاريخ السنين الأولى والسابعة والثامنة ليوستينيانس . وروى الاهدني أنّ بولس الشماس قال ما قاله هؤلاء وذكر مقاله فإذا هو مطابق لما رويناه . ولم نعثر على كتابه لكن الاهدني ثقة في كل ما نقل، بل أشار ابن خلدون إلى ذلك (جزء ٣ صفحة ٧٠) إذ قال : « اشتدّ القتال أيام عبد الملك واجتمعت الروم واستجاشوا على أهل الشام، فصالح عبد الملك صاحب قسطنطينية على أن يؤدي إليه كل يوم جمعة ألف دينار خشية منه على المسلمين » . وذكر ذلك ابن العبري أيضاً في تاريخ الدول (صفحة ١٩٤ من طبعة بيروت) فقال : « استجاش يوستينيانس ملك الروم على من بالشام من المسلمين فصالحهم عبد الملك على أن يؤدي إليه كل يوم جمعة ألف دينار وقيل كل يوم ألف دينار وفرساً ومملوكاً » . هذا ما ذكره هؤلاء المؤرخون القدماء وقد تابعهم عليه كثيرون من الحدثاء منهم بارونيوس إمام المؤرخين في تاريخ السنين المذكورة، وديلارو في موجز تاريخ الملك السافل في كلامه على قسطنطين اللحياني ويوستينيانس الأخرم، ونطاليس اسكندر في كلامه عليهما في تاريخ القرن السابع، وروهر بخر في الكتاب الخمسين من تاريخه العام وكثيرون غيرهم .

عد ٧

هل المردة موارنة

إن سطوات الموارنة المارّ ذكرها وحربهم مع عساكر يوستينيانس التي سنروي أخبارها أكسبتهم لقب مردة الذي سمّاهم به المؤرخون القدماء المذكورون . وهذا مما لا يمتري فيه عالم بالتأريخ أو مطالع لأقوال المؤرخين التي رويناها مترجمة بحروفها، إذ صرّحوا بأنّ المردة سكان لبنان خرجوا من لبنان فاستحوذوا على ما جاوره وضبطوا مشارف وأعالي لبنان إلى غير ذلك مما يدلّ صراحة على أنّ هؤلاء

المردة إنما هم الموارنة سكان لبنان وجواره، وإلا فمن أين أتى هذا الشعب النفير الباسل إلى لبنان ومتى هاجر إليه ولِمَ لا نرى في كتب المؤرخين القدماء والحدثاء خطة تشير إلى مهاجرة شعب أوطانه وتوطّنه في لبنان وجواره مكان أولئك المسيحيين المنتمين إلى القديس مارون ورهبانه، أو تنبئنا بأنّ أحد الملوك جلا شعباً غفيراً فأحلَّه في لبنان وتغلَّب على سكانه الأصليين. على أنّ الحدثاء من المؤرخين ولاسيما من ذكرناهم آنفاً وهم بارونيوس وديلاروك ونطاليس اسكندر وروهر بخر يسمون هؤلاء المردة الموارنة ويصرّحون بأنهم إنما لقّبوا مردة لتمرّدهم على الحكومات المارّ ذكرها ومحاربتهم عساكر يوستينيانس الأخرم. ونقتصر من إيراد أقوالهم على ذكر قول ديلاروك في كلامه على قسطنطين اللحياني قال: «إنّ الأمّة المارونية أشبه بالمواد الخفيفة. فلم يكن لتيار القبائل التي غشت سورية أن يغرقها وما برحت كذلك إلى اليوم ومساكنها لبنان العسر المسالك، وأهلها شديدو الحرص على دينهم وشرفهم وكانوا جنوداً كماةً يحسنون الرمي وتفويق السهام، وفرسانهم أحسن الفرسان ورجالهم أشجع رجال المشرق. وقد أخذوا (في أيام قسطنطين اللحياني) يشنّون الغارات على الأعمال المجاورة لهم واستحوذوا على قسم كبير من سورية وأنزلوا الرعب بالسكان من جهة إلى أورشليم، ومن أخرى إلى دمشق وتخوم بلاد العرب. وكانت أهم أعالي لبنان قلاعاً حصينة وابتنوا فيها مدناً كبيرة فوجس معاوية من غزواتهم وغاراتهم» إلى آخر كلامه. إلا أنّ هذه الغارات والسطوات التي كان ملوك الروم يحملونهم عليها كانت عليهم وبالاً بمكر هؤلاء الملوك كما رأيت. فإنّ يوستينيانس الأخرم أبعد اثني عشر ألفاً من نخبة رجالهم. وسترى تفصيل ذلك في العدد التالي وترى في ما يليه إنفاذ جيشه إليهم وحرق أديارهم وتدمير قسم كبير من بلادهم.

هذا ما سطرته في تاريخ سورية ولكن ظهر في إحدى المجلات العلمية سنة ١٩٠٢ فصل لأحد العلماء اهتم كاتبه أن يجعل هذه المسألة محلاً للريب وجل ما قاله إنه يتعجب من ظهور المردة من أول أمرهم جاثمين فوق مشارف لبنان ضابطين مضائقه ثم خرجوا منه بغتة دون أن يبقى لهم أثر وأسند زعمه هذا إلى قول بعض المؤرخين إنّ المردة دخلوا إلى لبنان ونتج أنهم لم يكونوا من سكانه الموارنة وأورد آراء مختلفة في أصل المردة بين إن كانوا من آسيا الصغرى أو من بلاد العرب أو

الأرمن أو الكلدان. وقال إنهم بعد خروجهم من لبنان توطنوا في بلاد الأرمن أو جوار اضاليا وكان لهم نظام مخصوص وولاة على حدة.

فأجبته على ذلك في المجلة المذكورة مبيّناً بطلان ما ادعم عليه في بحثه ومثبتاً أن ليس المردة إلا اسم للموارنة في القرن السابع وصفوا به لتمرّدهم وأنّ تعجبه من ظهورهم بغتة في لبنان وخروجهم منه دون أن يتركوا فيه أثراً يزول قطعاً إذا نظر في الأمر على بساطته، أي إنّ المردة هم الموارنة وكانوا يسكنون لبنان وما جاوره شمالاً وجنوباً وعند ثورتهم تحصّنوا به وجعلوه مركزاً لغزواتهم وآثارهم به باقية إلى الآن. ثم أوردت لإثبات هذه الحقيقة عدة براهين: الأول مأخوذ عن التقليد العام والثابت عند الموارنة والحال أنه في كل بلاد وعند كل أمة يعتمد في تواريخها على تقليداتها مفضلة على غيرها فإذاً يلزم الاعتماد على تقليد الموارنة في تاريخهم. الثاني أنّ اسمي مردة وملكية لشعبين في لبنان في القرن السابع اسمان تغلّبا معاً على أمتين مقابلاً أحدهما الآخر وما من قائل إنّ الملكية أتوا من خارج لبنان إليه فكذلك المردة كانوا من سكانه وهم هم الموارنة. الثالث لما كان العالم المذكور عدّد كثيرين من العلماء الذين أيدوا رأينا المذكور وذكر ثلاثة شهود أو اربعة مخالفين لهذا الرأي أبنت له عظمة ثبوت شهادة من أيدوا رأي الموارنة وكثرة عديدهم وأنّ شهادة المخالفين ساقطة وهو أسقط بعضهم. والرابع أنه لو ثبت أنّ توافان قال إنّ المردة دخلوا لبنان وتحصّنوا به وأنه ضوى إليهم أسرى ووطنيون فلا ينتج من ذلك أنّ المردة غير الموارنة لأنّ هؤلاء كانوا منبثين في السهول والمدن المجاورة لبنان وحين ثورتهم دخلوا إليه معتصمين به وضوى إليهم أسرى وعبيد ومن كانوا بلبنان وليسوا موارنة. الخامس أنّ ما ذكره توافان وغيره من أنّ المردة المجلوين من لبنان أقاموا بأضاليا أو أرمينيا منفصلين عن باقي السكان بنظام مخصوص لهو بيّنة قاطعة على أنّ المردة لم يكونوا من آسيا أو أرمينيا ولا عسكر أرسله أحد ملوك الروم وإلا لما كان موجب لهذا الانفصال وهذا الامتياز. السادس أنّ توافان وغيره من مؤرخي الروم نصوا على عهدة صلح وقّع عليها معاوية وقسطنطين اللحياني ومعاهدة أخرى وقّع عليها عبد الملك بن مروان ويوستنيانس الأخرم وفي كلتا العهدتين شرط الخليفتان منع إغارات المردة وصدّ غزواتهم. فلو كانوا شعباً دخل حديثاً إلى لبنان أو عسكراً أرسله الملكان الروميان لشرط جلاء هذا العسكر أو الشعب الغريب عن لبنان لا صدّ غزواته. ثم إنه بعد الصلح الأول بقي هؤلاء الغزاة على سطوهم كما

أثبت المؤرخون المذكورون ولو كانوا عسكراً لملك الروم لجلاهم حالاً بحكم الصلح وما كانت حاجة إلى أن يحتال ملك الروم بعد الصلح الثاني على سحب اثني عشر ألف منهم فإذاً المردة كانوا من سكان لبنان وجواره وهؤلاء لا يمكن أن يكونوا في تلك الظروف إلا من الموارنة. وزد على ذلك أنّ اختلاف من يضاد هذه الحقيقة في أصل المردة وعدم اتفاقهم على قول هو مما يبيّن بطلان زعمهم ويؤيد ما يخالفه.

إن العالم المذكور بعد اطلاعه على ردنا الذي لخصناه عاد إلى البحث دون أن يرد دليلاً واحداً من أدلتنا بل زعم أنّ المردة هم الجراجمة نسبةً إلى مدينة اسمها جرجومة في جبل اللكام واستند إلى أقوال رواها البلاذري فيها ما يشبه ما ذكره توافان عن المردة وانتصر له عالم آخر باسطاً رأيه فأجبناهما بمقالة أثبتتها المجلة المذكورة منكرين عليهما أنّ ما ذكراه من فقر البلاذري مطابق لما ذكره توافان عن المردة. وبينّا كثيراً من الفرق بين أقوال المؤرخين العربي والرومي وأبنّا أنّ التشابه بين أمرين ليس بحجة للحكم بأنّ الأمرين واحد.

ثم قام بيننا عالم آخر يبيّن أنّ ما جاء به العالمان المذكوران من الشواهد والأدلة والنتائج هو أضعف من أن يردّ براهين علماء الموارنة. وأورد أدلة راهنة على أنّ سكان جبل اللكام والجراجمة أو أكثرهم كانوا في ذلك العصر موارنة كسكان لبنان. ومن هذه الأدلة أنّ رهبان دير القديس مارون كانوا حينئذٍ أنصاراً للايمان الكاثوليكي والمجمع الخلكيدوني مستشهداً الأثر الذي وجد في المتحف البريطاني وهو رسالة هؤلاء الرهبان إلى اليعاقبة وجواب هؤلاء عليها وبالأثر الآخر الدالّ على جدالهم مع اليعاقبة بحضرة معاوية وبشهادة عالم يعقوبي في القرن السابع دالّة على أنّ بدعة الموارنة ظهرت في أيام قسطنطين اللحياني ويراد بها انفصالهم عن باقي سكان البطريركية الأنطاكية بإقامتهم يوحنا مارون السرومي من جبل اللكام مطراناً على البترون ثم بطريركاً. وبالجملة إنّ أكثر سكان جبل اللكام المسمون جراجمة كانوا موارنة كسكان لبنان.

وقال هذا العالم في النتيجة (إذا صحّ هذا التقدير المسند إلى الحقائق التي بين أيدينا ألا يصحّ أن يكون مردة توافان وجراجمة البلاذري وأصحاب بدعة الموارنة التي ذكرها، المؤلف اليعقوبي شيئاً واحداً وإن تعددت الأسماء؟ وأجاب على هذا

بقوله: (عندنا إنّ هذا أقرب إلى الصواب ولنا عليه أدلة شتى. وأورد من هذه الأدلة أنّ يوحنا مارون ولد ونشأ بسروم إحدى قرى جبل اللكام حيث الجراجمة. ومن تقليد الموارنة واليعاقبة أنّ الأمير ابراهيم ابن أخت هذا البطريرك أتى إلى لبنان بزمرة الأبطال. وقد روى البلاذري أنّ أمر الجراجمة كان في أيام استيلاء الروم إلى بطريق انطاكية وواليها.

فشهرنا نحن مقالة صادقنا بها على رأي هذا العالم مبيّنين أنّ ما ذكره توافان والبلاذري وابن العبري عن غزوات المردة وسطوهم على كل ما كان من جبل اللكام إلى جبل الجليل وعن بقائهم على ذلك سنين وإكراه معاوية وعبد الملك على عقد صلح مع ملوك الروم يقضي على كل متبصر أن يسلّم بهذا الرأي بل لا يمكن من دون ذلك أن يفهم كيف يمكن شعب محصور بلبنان أن يسطو أو تمتد صولته إلى جبلي اللكام والجليل.

على أننا لا نعلم ما الذي حمل هذا العالم أن يعدل عن رأيه هذا الصائب إلى رأي لم يسبق إليه وهو أنّ المردة خيل أرسلهم الملك قسطنطين اللحياني إلى سورية لصد فتوحات العرب وأسند رأيه هذا إلى قول للبلاذري قال به: (خرجت خيل الروم إلى جبل اللكام وعليها قائد من قوادهم ثم سارت إلى جبل لبنان وقد ضوى إليها جماعة كثيرة من الجراجمة وأنباط وعبيد وأباق واضطر عبد الملك أن يصالحهم على ألف دينار في كل جمعة. ووضع عبد الملك على قائد الروم سحيم بن المهاجر فكاد عليه وقتله مع أصحابه وأمن من ضووا إليه). فأجبنا نحن هذا العالم أنّ هذه الغزوة يراد بها أحدث غزوات المردة لا كلها ولا ينتج منها أنّ خيل الروم هم المردة لأنّ اسم الروم كان يطلق حينئذٍ على كل من كان من أنصار ملوك الروم وأنّ ابن الأثير الذي ذكر هذه الحادثة كالبلاذري قال: خرجت خيل الروم من الضواحي إلى جبل اللكام أي من ضواحي انطاكية وأصحاب هذه الغزوة قتلهم عسكر عبد الملك والمردة كانوا من أيام معاوية واستمروا بعد ذلك يحاربون.

وأورد العالم المذكور شهادة من السمعاني قال فيها إنّ المردة أقيموا بعد إبعادهم في بمفيليا ولهم حكام وقضاة مخصوصون ونظام مخصوص وكل يرى أنّ هذا القول هو حجة لنا لأنه إن كان المردة خيلاً لملك الروم فما الحاجة إلى أن يكون لهم حكام على حدة ونظام مخصوص. وأورد أيضاً شهادتين لابن العبري قال

فيهما إنّ هؤلاء المردة يسميهم السريان جراجمة وإنهم استحوذوا على كل ما هو من جبل اللكام إلى جبل الجليل وإنّ عبد الملك لما رأى الحرب تحيط به من كل جهة خاصة من مردة الروم الذين بلبنان عقد صلحاً مع يوستنيانس الذي أخرج من المردة اثني عشر ألفاً وكل متبصر يرى أنّ هذه الأقوال تؤيد رأينا لا رأي العالم المذكور.

لكنه اثنى موردا حججاً لم أرها صالحة مع ذلك أجبته مورداً هذين البرهانين الأول أنّ خيل الروم الذين ذكرهم البلاذري صرّح بأنهم كانوا في أيام عبد الملك والمردة الذين ذكرهم توافان كانوا بلبنان منذ أيام معاوية وأكرهوه على عقد صلح مع الملك قسطنطين اللحياني قبل تسع سنين من خلافة عبد الملك فإذاً لا يمكن خيل الروم هؤلاء أن يكونوا المردة إلّا أن يقال إنهم كانوا قبل أن يكونوا. والثاني أنّ البلاذري صرّح بأنّ خيل الروم وضع عليهم عبد الملك ابن المهاجر فكاد على قائدهم وقتله مع أصحابه. والحال أنّ المردة على ما صرّح توافان استمروا يغزون إلى أن أكرهوا عبد الملك على صلح مع يوستنيانس فإذن هؤلاء المردة لا يمكن أن يكونوا خيل الروم إلا أن يقال إنهم انبعثوا من قبورهم وعادوا إلى الحرب.

وسنداً إلى كل ما مرّ نقول إنّ المردة هم الموارنة حقيقة وإنّ الجراجمة كانوا أيضاً موارنة. ولما كان من يخالفوننا بذلك لم يردّوا براهيننا ولم يتفقوا على أصل للمردة حقّ لنا أن نبقى على رأينا ونعتقده مؤكداً إلى أن ترد براهيننا ونحتج بغيرها مما لا يمكن ردّه.

عد ٨
امراء الموارنة والاثني عشر الفاً المجلوّون منهم

قد روى العلاّمة السمعاني (في المكتبة الشرقية مجلد ١ صفحة ٥٠١) نقلاً عن البطريرك اسطفانس الدويهي الاهدني عن كتاب سرياني خُطَّ سنة ١٦١٦ يونانية الموافقة سنة ١٣١٥م، ترجم الدويهي ما استشهد به من هذا الكتاب إلى العربية هكذا: «في بداية دولة العرب كان يوسف ملكاً على جبيل، وكسرى على الداخلة التي من اسمه تكنّت كسروان، ثم في خلافة عمر بن ابي طالب (هنا سهو

من الكاتب والصحيح عمر بن الخطاب) كان أيوب متولي قيسارية فيلبس وبيت المقدس وبعد أيوب تخلف الياس. ولما توجه هرقل الملك إلى بلاد الشام كان ينجده بجيشه، ثم أنّ بعد هؤلاء تولى الملك يوسف تدبير جبيل وجبل لبنان وبعد وفاته تخلف عليه الملك يوحنا ». إنّ العرب والسريان اعتادوا غالباً أن يسموا كل متول ملكاً ومن ذلك تسمية هؤلاء ملوكاً والمراد والٍ أو أمير كما كان قديماً لكل قبيلة أو فصيلة أمير يدبر مهامها، وله الكلمة النافذة فيها، وتنقاد إلى أمره. فالظاهر من العبارة المذكورة أنّ يوسف وكسرى كانا يليان جبيل وكسروان عند استفحال دولة العرب في العربية، ولما أخذوا يغالبون ملوك الروم على سورية في خلافة ابي بكر الصديق وعمر بن الخطاب. كان أيوب في خلافة عمر متولياً على قيصرية فيلبس، وهي بانياس إلى القدس، فقتل ايوب في الحروب الاولى في فلسطين أو توفي في أثنائها، فخلفه الياس في الامارة على الموارنة ، فساعد هرقل في الحروب الأخيرة في خلافة عمر بن الخطاب، ثم توفي ، فخلفه في هذه الامارة يوسف آخر (على ظاهر العبارة) . كان يلي جبيل وجبل لبنان، وبعد وفاته خلفه الامير يوحنا؛ وأما يوحنا هذا فقال السمعاني (في المحل المذكور) نقلاً عن الاهدني عن الكتاب السرياني المذكور ما ترجمته: « وقام بعد يوسف ملك (أمير) اسمه يوحنا واستحوذ على الأرض المقدّسة (فلسطين) وخرج من لبنان ماضياً إلى الكرمل ومعه جم غفير، وأراد أن يمضي إلى أورشليم فخرج عليه لصوص كثيرون من محل الرغيزيين (لم يبيّن السمعاني ولا الاهدني من المراد بهؤلاء فيظهر أنهم ينتسبون إلى محل اسمه رغيز في تلك النواحي، أو الكلمة كناية عن اناس أشرار لأنّ معناها اللغوي المغضوب عليهم)، وأحاقوا به فوق برج الغرباء فقتلوا من جماعته ثلاثة آلاف بالسيف، فجمع شمل قومه ووثب على الرغيزيين وبلدهم، وقتل منهم تسعة آلاف، وغنم منهم مالاً وحيوانات ونساء وأطفالاً، وعاد إلى محله وسكن في بسكنتنا وتوفّي شيخاً » . وروى الاهدني أنّ في جملة أعمال الامير يوحنا هذا أنّه جهز اثني عشر الف فارس وذهب بهم إلى البقاع فحلوا في قب الياس، وشرعوا يغزون الجبل الشرقي ويشنون الغارات، فقطعت الطرق وسدت المسالك، فكان من ذلك ضيق شديد وصحبه طاعون وغلاء.

فهذه التعديات وما أشبهها حملت معاوية على مراسلة الملك قسطنطين اللحياني بطلب الصلح، فعقد بينهما كما رأيت من أقوال المؤرخين التي اثبتناها آنفاً، ولم ينفكّ هؤلاء الامراء وجماعتهم عن السطو والغزو وشن الغارات بوسوسة

ملوك الروم أنفسهم أملاً بأن يستردوا سورية إلى ولايتهم ، حتى أكرهوا الخليفة عبد الملك ابن مروان أن يكاشف يوستنيانس الثاني الملقّب بالاخرم طالباً إليه منع هؤلاء الجماعة الذين سموهم لذلك مردة عن غزواتهم وصولاتهم، ومتعهداً أن يدفع له كل يوم الف دينار ومملوكاً وجواداً إنْ جلا عسكر هؤلاء المردة عن بلادهم لإيهان قوتهم، فانقاد يوستنيانس لطيشه وحداثة سنه فجلا من الموارنة اثني عشر الفاً من نخبة شبانهم، كما تبين من أقوال المؤرخين المذكورين. على أنّ هؤلاء المؤرخين لم يفصلوا كيف توصل يوستنيانس إلى ابعاد هؤلاء الشبان عن مواطنهم ولا بأية وسيلة توسل إليه فجلْ ما ذكره بعضهم أنّه توسل إلى ذلك بمكر ومكيدة وأنّه أضر مملكته بإبعاد هؤلاء على أنّ علماءنا قد نقبوا عن هذه الأمور وانبأونا بما علموه من تفاصيل هذه الاحداث فنرويه عنهم .

وروى العلامة السمعاني (في المكتبة الشرقية مجلد ١ صفحة ٥٠٢) عن البطريرك اسطفانس الدويهي الاهدني (فصل ٩ في تاريخ الموارنة) أنّ يوستنيانس جهز جيشاً وسيره إلى سورية وأشاع أنّه حامل على العرب ، ودفع إلى قائد جيشه خلعاً سلطانية ورسالة مشرفة ليسلمها إلى أمير لبنان، وأمره أن يقابل هذا الامير منفرداً وإذا سنحت له الفرصة قتله . وعند بلوغ القائد إلى البقاع مضى إلى يوحنا أمير المردة بنفر قليل إخفاءً لمكيدته ، وقابله في قب الياس ودفع إليه الرسالة والخلع السلطانية ولم يُلفِهِ متحذراً، بل قابله الامير يوحنا بالترحاب والإجلال ، وأخذ القائد يستشيره في محاربة العرب ويستنجده عليهم ثم دعاه إلى مؤاكلته . وبينما هم على المائدة أشار القائد إلى جنوده فوثبوا على الأمير وقتلوه. ودرى بذلك عسكر المردة فسعر نار الحرب على القائد وجيشه فاقتتلوا طويلاً وظهرت جيوش القائد المستعد للقتال على عسكر الامير الذي اندفع إليه بغتة. وإلى ذلك أشار الاسقف جبرائيل اللحفدي المعروف بابن القلاعي في ازجاله في كسروان حيث قال :

سكن الامير في بسكنتا وارسل عساكر في بغتة
نهب البقاع بفرد نكته وقتل رجاله مع النسوان
طلع سكن في قب الياس وارسل عساكر مع حراس
والبقاع تحت حوافر خيله انداس طلع خبره للسلطان

بعث له خلعة مع قصاد تطمن واكل معهم زاد
عساكر وراهم تتجرد كبسوه في ساعة اطمئنان
قتلوه وانقتل معه العسكر وانقتل كثير من الاوخار

وجاء في تاريخ الموارنة المطبوع حديثاً في بيروت (صفحة ٧٤) بأثر ما مرّ من تاريخ الدويهي: «ولما قتل أمير المردة أمّروا عليهم سمعان ابن أخت المقتول ، وكان رجلاً شجاعاً فمشى في اثني عشر الفاً إلى جهة أرمينية وهدم السد النحاسي ومن هناك اجتاز إلى بلاد تراكية». فهذه الرواية غير صحيحة ولا تلتحم مع ما تقدّمها وكلمة هدم السد النحاسي مأخوذة من كلام المؤرخين انّ يوستنيانس بإبعاده عسكر المردة نقض بيده السد النحاسي الذي كان للمملكة في لبنان. ولا أشك في انّ النسخة التي اعتمد عليها المعلم رشيد الشرتوني طابع الكتاب المذكور غير صحيحة، بل يظهر أنّ العلامة البطريرك بولس مسعد قد اغترّ أيضاً بهذه النسخة غير الصحيحة حتى قال مثل هذا القول في درّه النظوم صفحة ٩٦. والصحيح ما رواه السمعاني (في المحل المذكور أنفاً) من كلام الدويهي وهو: «اما جيش الملك فمن بعد هذه المقاتلة أخذ يخمد جذوة غيظ سكان لبنان ويجامله ويعتذر عن سوء صنيعه، ويقول إنّ قسطنطينية محفوفة بمخاطر شديدة من جراء حملات العرب والفرس عليها، وهي في أقصى الحاجة إلى انجادهم، ومعاونتهم وأنّه يلزم تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، واكثر من الوعود بأنّ الملك يجزل المكافآت الملكية لمن يطيعه وينجده ، وبعد العناء الشديد، المديد حملهم على أن يقيموا سمعان ابن أخت الامير يوحنا القتيل قائداً لهم، فمضى قائد يوستنيانس به وباثني عشر الفاً منهم إلى ارمينيا (حيث قابلهم الملك يوستنيانس كما رأيت في كلام توافان الذي رويناه انفاً) ثم إلى تراكية». فهذا ما رواه السمعاني من كلام الدويهي وعليه الاعتماد. ويظهر من ذلك ما أشرنا إليه أولاً من أنّ ملوك الروم كانوا يوسوسون للمردة ليخرجوهم عن طاعة الدولة السائدة بهم حتى صار للمردة ضلع مع هؤلاء الملوك، ولولا ذلك لما صدقوا وعود قائدهم ولما أغضوا على قتل أميرهم. ويتبين لي أنهم راعوا من جهة اسخاطهم لدولتهم بتعدياتهم، ومن جهة أخرى أنهم إذا عصوا ملوك الروم أيضاً لم يكن لهم طاقة على معاندة الدولتين معاً، فآثروا مطاوعة القائد والمسير معه على بقائهم في أوطانهم عرضة لتنكيل الدولتين بهم، وكانوا يرجون أنّ

يوستنيانس ينتفع بخدمتهم ويعيدهم إلى وطنهم، ولم يدروا باتفاق الدولتين على ابعادهم إلّا بعد حلول المصاب بهم. ولا غرو ان عيالهم لحقت بهم ويظهر أنّ ذلك كان سنة ٦٨٥ أو سنة ٦٨٦م، إذ روى المؤرخون المذكورون أنّ ذلك كان للسنة الثانية ليوستنيانس الاخرم، وحينئذٍ أمّر الموارنة عليهم ابراهيم ابن أخت بطريركهم القديس يوحنا مارون كما سيأتي.

وأما ما كان للاثني عشر الفاً المجلوين بعد مضيهم إلى ارمينيا ثم إلى تراكية وأين هي تراكية التي حلوا فيها؟ فقد كان لعلمائنا في ذلك أقوال مبناها على الحدس والتخمين ولم ينبئنا السمعاني بشيء من ذلك في المكتبة الشرقية التي تتداولها أيدينا، ولما كنت في روما سنة ١٨٦٧م بخدمة المثلث الرحمة العلامة البطريرك بولس مسعد لحضور حفلات العيد القرني للقديسين الرسولين بطرس وبولس ولتطويب بعض القديسين، وكنت مهتماً بتاليف كتابي الموسوم بسفر الاخبار في سفر الاحبار، أخذت اتفقد بعض كتب مكاتبها لالتقط منها ما أُضَمِّنُهْ كتابي المذكور، فعثرت في مكتبة مجمع انتشار الايمان على كتاب العلامة السمعاني الموسوم بمكتبة الناموس الديني والمدني وهو نادر ولا يوجد إلّا في اوروبا في بعض المكاتب الشهيرة، ولا أعلم أن في الشرق نسخة منه فأخذت عنه بعض تعليقات ضَمّنْتُها كتابي سفر الاخبار ودونك خلاصتها.

قال العلامة السمعاني في المجلد الرابع من المؤلف المذكور المطبوع في رومة سنة ١٧٦٤م (فصل ٣٥ صفحة ٦٢٠) ما ملخصه: «إنّ توافان المؤلف الرومي الذي ذكر خبر ابعادهم لم ينبئنا أين اقاموا وجلّ ما قاله أنّ يوستنيانس إذ سافر إلى ارمينيا التقى هناك بعسكر المردة الذي أمر بإخراجه من لبنان، ودكّ بذلك السور النحاسي الذي كان لمملكته، إلّا أنّ قسطنطين بورفيروجنات (هو قسطنطين السابع أحد ملوك الروم في قسطنطينية وبروفيروجنات لقب كان أبناء هؤلاء الملوك الذين يولدون لهم في مدة ملكهم يلقبون به وتأويل الكلمة المولود بالبرفير، إذ كانت القابلة تقبل الطفل بالبرفير أو تفرش غرفة الولادة بالبرفير». ابن لاون الحكيم (هو لاون السادس أحد الملوك المذكورين) قال في كتابه الموسوم بتدبير الملك المطبوع في باريس (فصل ٥٠ صفحة ١٣٧) أنّ المردة نقلوا إلى بمفيلية، وقام قائدهم في مدينة اضاليا. وذكر في كتابه الاول في اعمال المملكة (فصل ١٤) عمل بمفيلية وفيه المردة الذين جلوا من لبنان يليهم قائد لهم وقد استمروا هناك من عهد يوستنيانس إلى أيامنا أي أيام المؤلف

الذي كان في منتصف القرن العاشر. وقد أسهب هذا المؤلف الكلام فيهم في الفصل الخمسين من كتابه المذكور، ومما قاله ان ملك قسطنطينية كان يُنَصِّب للمردة والياً منهم في اضاليا يسمى قبطاناً، وأنّ الملك أباه نصَبَ لهم والياً اسمه استوراشيوس بلاتين، واردف السمعاني كلام قسطنطين بقوله يظهر مما قيل أنّ المردة كانوا في بمفيلية في عهد الملك لاون الحكيم وأخيه اسكندر وابنه قسطنطين صاحب التأليف المذكور – أي في سنة ٩٥٠م إلى أن قال كان الملك ينصب لهم قاضياً يسمى قاضي اضاليا. وفي سنة ١٠٧٤م في أيام الملك ميخائيل السابع من ملوك الروم كان أحد هؤلاء القضاة اسمه ميخائيل الف كتاباً في الناموسين الديني والمدني طبع في فرنكفورت سنة ١٥٩٦م، وكان في قسطنطينية مرتبة لكبير المردة من ايام الملك ميخائيل المذكور إلى أن أخذت قسطنطينية من ملوك الروم سنة ١٤٥٣م. ويستشهد السمعاني لصحة ذلك كتاباً لغريغوريوس كودونيوس كوروبالات الذي كان حياً عند افتتاح العثمانيين قسطنطينية حيث ذكر كبير المردة في قسطنطينية، ومما قاله إنّه كان يحمل عكازاً من فضة مموهاً بالذهب. واستشهد أيضاً متى جاتر الراهب الكاهن في كتابه في مراتب القصر القسطنطيني حيث روى أنّ الرتبة السابعة عشرة بعد الملك كانت لكبير المردة. واستشهد أيضاً كتاباً أخر مجهول المؤلف. فالناتج من كل ذلك أنّ الموارنة المجلوين استمروا في بمفيلية ولهم ممثل في قسطنطينية إلى أن أخذت الدولة العثمانية قسطنطينية سنة ١٤٥٣م .

وأمّا تراكية التي أقاموا فيها فالصحيح أنّها قسم من كيليكيا وهي الآن ولاية ادنه، ومن المعلوم أن كيليكيا مقسومة إلى قسمين سهلية وجبلية فالسهلية قاعدتها ادنه وترسيس، والجبلية من مدنها سلوقية كيليكيا، وكان القدماء يسمونها تراكة أي الحجرية أو المحجرة، والآن يعبرون عنهما بكيليكيا الاولى وكيليكيا الثانية. وبمفيلية متاخمة لتراكية غرباً. وهذا يؤيد ما رواه السمعاني وليست تراكية تراسة أي الروملي كما فسر بعض علمائنا .

وأمّا ما كان من أمرهم بعد ذلك فلم نطلع إلى الآن على شيء أكيد منه قال بعضهم: ان المرديت المقيمين الآن في البانيا هم المردة الموارنة ارتحلوا من بمفيلية إلى هناك وروى بعضهم أنّ بعض هؤلاء المرديت حقق أنّ عندهم تقليداً يؤيد ذلك.

عد ٩

حرب الموارنة وعسكر الملك يوستنيانس الاخرم

إنَّ يوستنيانس الأخرم لم يقصر على تدبير مملكته بطيشه وسوء تصرفه بل أراد أن يدبر كنيسة الله كذلك، فعني بعقد مجمع بقصره وهو المعروف بمجمع قصر الملك دون أن يعلم الحبر الروماني به، وأدخل الأساقفة في ذلك المجمع قوانين لا تسلم بها الكنيسة الكاثوليكية، وطلب الملك إلى البابا أن يثبت ذلك المجمع فلم يجبه إلى سؤاله، وتسكع يوستنيانس ببدعة المشيئة الواحدة وطفق يؤيد أصحابها ويضطهد الكاثوليكيين، فناصبه البابا سرجيوس الحبر الروماني، وناضل البطريرك يوحنا مارون وشعبه الموارنة عن المعتقد الكاثوليكي بالمشيئين، فبلغ من حمق يوستينيانس ان ارسل قائداً من قادة جيشه إلى رومة ليشخص البابا سرجيوس إلى قسطنطينية وقائداً آخر إلى سورية لينكل بالموارنة ويأتي إليه ببطريركهم. أما إرساله الجيش إلى رومة ليأتي إليه بالبابا فقد أثبته كثير من المؤرخين، ودونك ملخص ما رواه أحدهم روهربخر (في ك ٥٠ من تاريخه) نقلاً عن أنسطاس المكتبي في كلامه على البابا سرجيوس وعن بولس الشماس (في ك٢ من تاريخه فصل ١١) قال: «إنَّ الملك ارسل زكريا أحد أعوانه ليشخص البابا إلى قسطنطينية فاستشاط أهل إيطاليا والمغرب عند سماع هذا الخبر، فزحف الجنود من رافنا وغيرها تباعاً إلى رومية غيرة على دينهم ورئيسه، وشعر زكريا بدنوهم من المدينة ففزع إلى البابا يسأله أن يوصد أبواب المدينة ويقيم الحراس لئلا يقتلوه، ولم يعبأ الجنود بتوصيد الابواب ولا بالحراس وانتهوا إلى قصر لاتران حيث كان البابا، فأسرع زكريا مرتعداً إلى مخدع البابا يسأله بدموعٍ سخينة ان ينجيه من الموت، واختبأ تحت سرير البابا مرتعشاً مضيعاً رشده، فسكّن البابا روعه وأشرف على الجنود والشعب الغفير المتألب هناك فجاملهم وأسكن جيشانهم ولم ينفكوا حتى طردوا زكريا من رومة مذعوراً مسبوباً.

وأما يوحنا مارون البطريرك فقد أنبأنا البطريرك إسطفانس الدويهي أن الملك عزم أولاً أن يرسل إليه لاون قائد جيشه ليأتي به مكبّلاً، فأحجم القائد عن المسير معتذراً بأن البطريرك معزز بقومه فلا يمكن الإتيان به إلا بعد حرب شديدة، وكان هذا القائد يحب الموارنة وقد أنجدوه في حربه للعرب. فسخط الملك على لاون وطرحه في السجن، وأمر موريق ومرقيان أن يسيرا بجيش إلى سورية، وأشاع انه سيرهم

لقتال العرب ودرى البطريرك بما دبره الملك فاستدعى ابن اخته الأمير إبراهيم فأتاه باثني عشر ألف مقاتل، فنقلوا البطريرك من دير القديس مارون على العاصي إلى سمر جبيل. وإليك ما رواه السمعاني (مجلد من المكتبة الشرقية صفحة ٤٠٥) نقلاً عن الدويهي في تاريخ الموارنة في شأن هذه الحملة عليهم: «لما كانت سنة ٦٩٤ بلغ جيش الملك في أواخر الربيع إلى سورية فوثبوا أولاً على دير القديس مارون لأنه علة هذه الحرب وقتلوا من رهبانه خمسماية راهب، وجعلوا الدير قاعاً صفصفاً وتحولوا من هناك إلى قنسرين والعواصم وضربوا هذين البلدين المهمين في ذلك العمل، وقرض أصحاب المشيئة الواحدة سكانهما عن آخرهم، وتركوا كل ما فيهما غنيمةً للجنود، ولم يتوقفوا عن قتل أحد من اصحاب الإيمان القويم إلى ان انتهى مريق ومرقيان إلى مدينة طرابلس وخرجوا منها، فضرب جيشهما أطناب خيامه في السهول المجاورة المدينة، فالتقاهم سكان الكورة واعدين أنهم يصنعون ما أمر الملك به إذا أعطوهم الامان، فاعطوه بطيبة خاطر بعد أن أقرّوا بالضلال (أي بدعة المشيئة الواحدة)، فحلَّ الجيش في السهل الذي بين قرية أميون وقرية الناوس الواقعتين في سفح جبل لبنان، فقدم لهم سكان القرى المجاورة ما يحتاجون من الزاد وغيره. وسأل بعض أعيان تلك البلاد مريق ومرقيان القائدين ان يعطيهم هدنة واعدين ان يحملوا قومهم في تلك المدة على الطاعة والخضوع لمولاهم، فهادنوهم وأرسلوا إلى أمراء المردة رسائل يحضونهم بها على العمل بمقتضى أوامر الملك، واستحوذ الرعب على السكان الكاثوليكيين لدنو العدوّ إليهم، وأيقنوا انهم لم يعد لهم منجاة إلا بالالتجاء إلى الله بصلوات خاشعة ودموع هامعة، فاستجاب الرب صلواتهم وعزاهم بحدوث حدث لم يكن في حسبانهم، فقد وردت حينئذٍ رسائل من قسطنطينية من لاون (أولانتس) القائد المذكور آنفاً إلى البطريرك يوحنا وإلى سمعان أمير لبنان يبشرهما فيها بخلع يوستينيانس من الملك وترقيته هو (أي لاون) إلى منصته، ويأمرهما بضرب الجيش الذي أرسل إلى سورية بمنزلة عدو للملك، وذاع هذا الخبر بين الكاثوليكيين فحمدوا الله وشكروه على هذه المنة واستبشروا بنصر مبين وارتأوا أنه لا يلزم انتظار العدو ليقدم إليهم فاندفقوا من أعالي الجبال اندفاق الماء المنهمر ووثبوا على جيش يوستينيانس وثبة الاسود، حتى ان كثيرين من الاعداء ولوا الفرار قبل وصول الواثبين إليهم، وتفرقت صفوف العدو وأحاق بهم الموارنة من ورائهم ومن جانبيهم فاثخنوا فيهم وابسلوا كثيرين منهم، ووقع موريق

قتيلاً فأخذ أهل الكورة جثته ودفنوها في أميون ». وقال السمعاني بعد ذلك أنّ الدويهي استكمل خبر انتصار الموارنة مستشهداً كتاب تعليم اليعاقبة واشعار البطريرك يوسف العاقوري واليك ما اشار السمعاني إليه من مقال الدويهي: « وهكذا اخبر اليعاقبة في كتاب معتقدهم » ولما انتهى الملكية إلى قرية اسمها اميون تميز مويرين (بالتصغير تحقيراً) وابن اخته بريهيم من الملكية ولحقوا سمر جبيل وحموا أهلها من اداء الجزية التي فرضها الملكية على من لا يتبع مذهبهم ووافق مارون كل السريان الذين في جبل لبنان ونجوا مما كانوا يخشون ». وإلى ذلك أشار الخوري يوسف العاقوري (الذي صار بطريركاً على الموارنة بعد ذلك) في زجلياته التي اخبر بها عن قدوم عسكر الروم إلى لبنان في الميمر الذي الفه سنة ١٦٢٠م.

خرجوا من اسطنبول متفقين	مع جوقة أعداء شياطين
والسيوف على الموارنة مسلولين	خالفوا لمارون وطاعوا الملكية
فيهم من طاع ومن خالف	والسيف فوق رأسه مؤلف
والبعض من الفزع تخلف	وطاعوا إلى الملكية
داموا في الشر مصطدمين	حتى نزل الأمير مسعود والمقدمين
والعساكر في أميون مجتمعين	والقتل وقع في الملكية
انقتلوا القواد في أميون	وانتصر جماعة مارون
والروم على موريق ابتون	كنيسة لليوم مسمية

هذا ما أشار السمعاني إلى ان الدويهي استكمل به خبر إنتصار الموارنة وأردفه بقوله إن الدويهي قال في مريق ومرقيان عند تفنيده مزاعم سعيد بن بطريق بطريرك الإسكندرية: « من البيّن أن مريق قتل في الحرب التي ذكرناها، ودفنه الملكية في قرية أميون، وأقاموا على مدفنه كنيسة وجعلوا عيداً لذكره في اليوم ٢٦ من تموز وهو من الأعياد المشهورة عندهم. وأما مرقيان فجرح في وقعة الحرب فحمل إلى قرية شويتة في عكار ومات بعد قليل من الزمان، وأقام الملكية له هيكلاً وعيداً » وقد ورد مثل ذلك في مقالة مرهج بن نمرون الباني في أصل الموارنة.

انتهى كلام السمعاني وقد أشرنا أن ننقل عنه كلام الدويهي مترجماً عن

اللاتينية من ان ننقل كلام الدويهي العربي ؛ أولاً : لأن نقل العلامة السمعاني له يزيده قوة وثباتاً ولاسيما انّ السمعاني قد انتقد الدويهي في كل ما كان من كلامه محلاًّ للنقد كما سترى ، وشرح كل ما كان مبهماً أو غامضاً فيه ثانياً، لأن نسخ تاريخ الدويهي التي اعتمد عليها السمعاني في رومة أصحّ من النسخ العربية التي تتداولها ايدينا في سورية ، وقد رأيت آنفاً ما أبناه من الخطأ في النسخة التي اعتمد عليها العلامة البطريرك بولس مسعد وطابع كتاب تاريخ الدويهي، ثالثاً لأننا نظن السمعاني لم يروِ ما رواه عن الدويهي إلا معارضاً بنسخ كتابه العربية التي كانت في رومة وبترجمته إلى اللاتينية. وقد أنبأنا (مجلد ١ من مكتبة الشرقية صفحة ٤٠٥) أن العلامة الآخر الاب بطرس مبارك اليسوعي الماروني قد ترجم هذا الكتاب من العربية إلى اللاتينية، وهذا ايضاً مما يزيد شهادة الدويهي ثبوتاً وثقة بصدقها .

واقول ان ارسال يوستينيانوس عساكره في الدفعتين لجلاء عسكر المردة من لبنان والقبض على بطريركهم لا بد ان كان بقوة المعاهدة المنعقدة بينه وبين عبد الملك ابن مروان وإلّا فكيف تمكن دخول عساكر ملك الروم إلى سورية وهي بحوزة الخلفاء وان اوهت سلطتهم عليها غزوات المردة وعليه فارسال هذه العساكر إلى سورية هو مما يؤيد المعاهدة المذكورة التي لا ينكرها المؤرخون المسلمون.

عد ١٠
الإنقسام بين الموارنة والملكية

يشهد الله ، ويعلم كل من عاشرني وأطلع على دخيلتي ، أني والحمد لله منزه عن كل تعصّب طائفي لغير الحق وهائم بالإلفة والوفاق بين كل اصحاب المذاهب الدينية أيها كان ، كلفاً بالراحة والتضافر على كل ما به الخير العام والخاص والنجاح والقوة التي لا تقوم إلا بالإتحاد والخضوع للسلطة الشرعية . وعليه فما ذكرته في الفصل السابق ، وما سأذكره الآن ، لا يحملني عليه وآيم الله إلا بيان الحق كما يحصحص لي ويتجلى عليّ ، ولا أشاء ان اتنقص ملة أو أحداً أيًا كان بل ان اكشف عن وجه الحقيقة التاريخية كما أراها في كتب القدماء الموثوق بصدقهم .

روى الدويهي في تاريخه ان بدء الإنقسام بين الموارنة والملكية إنما كان بسبب التحامل على يوحنا مارون وبسبب الواقعة التي كانت بين جيش الروم وأهل الكورة وبين مجاوريهم الموارنة . فالذين تبعوا جيش الروم وانقادوا لرأيهم سموا ملكية نسبة إلى الملك الذي كان من أهل البدعة، والذين ثبتوا على الإيمان وطاعة البطريرك يوحنا مارون استمروا يسمون موارنة. وقد أورد السمعاني (مجلد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ٥٠٧) . قول الدويهي كما ذكرناه وقول ابن نمرون الباني الماروني إلا أنّ بعضهم رأى أن تسمية الملكية أقدم من ذلك العصر وقال انهم ينتسبون إلى الملك مرقيان والمجمع الرابع (الخلكيدوني) . وأول من قالوا بهذا القول من السريان على ما اعلم إنما هو ديونيسيوس بن صليبا سنة ١١٦٠م (في الفصل الاول من شرحه رتبة القداس) وهاك قوله « إنما سموا ملكية لانهم تركوا إيمان الآباء واتبعوا رأي الملك مرقيان ». وقال مثل ذلك من اليونان نيكوفور كالستس الذي كان مشهوراً في سنة ١٣٣٠م (في تاريخه ك١٨ فصل ٥٢) وهاك قوله « ظهر في سورية شقاق عظيم في أيام يعقوب (البردعي) هذا الذي كان يدعو إلى بدعة الطبيعة الواحدة، فمن تشبثوا بالإيمان القويم سموا ملكية لأنهم اتبعوا المجمع الرابع المقدس والملك لان ملكو عند السريان تأويلها ملك ». ولا أذكر أحداً من المؤرخين اليونان والعرب واللاتينيين الذين كانوا بعد نيكوفور وابن صليبا كساويرس أسقف الاشمونيين ، وابن الراهب مؤلف التاريخ الشرقي وجيورجيوس بن العميد الذين اتبع بارونيوس رأيهم لأنهم انتحلوا كلام ابن صليبا ونيكوفور، ولا أحفل بذكر سعيد بن البطريق البطريرك الإسكندري وان كتب في القرن العاشر، وذكر الملكية متواتراً (مجلد ٢ صفحة ١٦ و ٣٣، و٧٩ و٩٥ و١٠٠ و١٠٣) ولم يذكر اصل هذا الاسم بل يتبين من كلامه انه كان مستعملاً قبل مرقيان الملك مراداً به اصحاب الإيمان القويم لأنه قال (صفحة ١٠٠) : « وكان مرقيان الملك حسن الامانة وكان يدين ويقاتل عن امانة الملكية » ولا اعبأ ايضاً بقول توما الحاراقي اسقف كفرطاب من اصحاب بدعة المشيئة الواحدة الذي كانت محاورة بينه وبين يوحنا بطريرك الملكية سنة ١٠٨٩م، في ان في المسيح مشيئة واحدة اثبت فيها ان الملكية سموا بهذا الاسم لأنهم اتبعوا بإرشاد القديس مكسيمس المعترف الملوك : مرقيان وأخاه وموريق سلفاء هرقل، وإليك قوله (عن كتابه الذي هو الرابع عشر من كتب الحاقلي في المكتبة الواتيكانية). « ان مكسيمس مضى إلى الملكين مرقيان وأخيه وإلى

موريق الذي خلفهما في قسطنطينية فرخصوا له أن ينذر بمشيئتي المسيح في سررية، فمن امتثلوا اوامرهم سموا ملكية ». قلت لا أعبأ بهذا القول لانه لا شاهد له بل هو مخالف لجميع آثار التاريخ الكنسي التي نصت على ان الملك مرقيان كان قبل موريق الملك بمئة سنة ونيف وانه لم يكن أخ يشاركه في الملك ولم يكن في أيامه ولا في ايام موريق الملك بحث في مشيئتي المسيح بل نشأ هذا البحث في ايام الملك هرقل خليفة فوقا وموريق لنحو سنة ٦٢٨م .

والذي أراه راجحاً انّ اسمي الملكية والمردة كانا في عصر واحد وأحدهما يخالف الآخر، ولم يكونا يدلان في أول استعمالهما على دين أو طقس كما ارتأى بعض العلماء الموارنة، بل على غرض او حزب مدني، وان دلاًّ على ذلك بعداً أعني لما افترق كل فريق منهما عن الآخر بطقسه ورعاته ومذهبه، لان من عصوا الملك بسورية سموا مردة اي عصاة ومن استمروا على طاعة الملك سموا ملكية، وإنما كان هذا في أيام الملك قسطنطين اللحياني لما استحوذ المردة على كل ما كان من الجبل الأسود (المعروف بالجبل الاقرع) إلى مدينة أورشليم المقدسة كما أثبت توافان وشدرانس. ويؤيد ذلك صمت جميع الآباء والمؤرخين القدماء عن ذكر الملكية، فقلب ما شئت كتب الآباء في القرون الرابع والخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع فلا تجد ذكراً للملكية، ودقّق في مطالعة تواريخ بروكوب وأفاغريوس وتوافان وشدرانس وزوناراس وتوافيلكتس، فلا تلقى أثراً لهذا الاسم في كتبهم بل لا نجد ذكراً للملكية في كتب اولي البدع ايضاً كبطرس القصار، وفيلوكسينس المنبجي، وساويرس، وبطرس الالثغ، ويوحنا فيلوبون، والداراوي وغيرهم، بل تراهم سمّوا الكاثوليكيين متواتراً خلكيدونيين او مجمعيين ولم يسمّوهم قط ملكيين. وبعكس ذلك ترى توافان وشدرانس صرّحا مرات بذكر المردة ولم يصماهم ببدعة وهذا دليل واضح على ان اسمهم دال على غرض او حزب مدني لا على زيغان عن الدين، ولذلك سمي اعداء المردة ملكيين بلغة موطنهم. ولو أشعرت هذه التسمية ببدعة لكان من كتبوا تاريخ تلك الايام والبدع التي نشأت فيها بسورية وصفوا إحدى الفرقتين باراتيكية ثم ان هذين الاسمين سريانيان واول استعمالهما كان في سورية، ويؤيد ذلك اللفظ نفسه، وإقامة المردة والملكية قديماً وإلى الان في سورية. وقد ندر او انقطع وجود الامتين في غيرها، ولهذا لا يعبأ بقول باجيوس (في تاريخ سنة ٦٢٢م) إن اسم ملكية وضع في ايام

مرقيان في مصر ... إذ لم نرَ مؤرخاً قبل سعيد بن بطريق عزا اسم ملكية إلى مرقيان ولو وضع هذا الاسم في مصر لما سمي الكاثوليكيون ملكية، وهو لفظ سرياني او عربي بل باسيلين عن لفظ ملك في اليونانية ، او بلفظ آخر من لغة المصريين والامر بيّن كالنور. فالمصريون لم يستعملوا السريانية قط ولم يتكلموا بالعربية إلا بعد مرقيان، والمجمع الخلكيدوني بقرنين لما فتح عمر بن الخطاب مصر. وأما تسمية العلماء الحدثاء الروم المصريين ملكية فلا يحفل بها لأن اسم اليعاقبة لا مراء في انه منسوب إلى رجل سرياني، ووضع في سورية، وقد سمي به بعد ذلك اصحاب بدعة الطبيعة الواحدة في مصر. فإن هذه الاسماء عرضة لتغير مدلولها ، يؤيد ذلك اسم الملكية فقد كان اولاً دالاً على السريان الكاثوليكيين والآن هو عبارة عن الروم المتحدين وغير المتحدين وعن المصريين اصحاب الطقس اليوناني، واللبنانيون كانوا يسمون في القرن السابع مردة، والآن يسمون موارنة نسبة إلى القديس مارون الذي بني له الدير على العاصي في جانب أباميا، وفيه نشأ يوحنا بطريركهم وقد سمي لذلك مارون». انتهى كلام السمعاني مترجماً بحروفه ولا يتسنى لي أن أزيده بياناً. فعمدة برهان هذا العلامة أنّ اسمَيّ مردة وملكية يقابل أحدهما الآخر وقد كانا في عصر واحد ونشآ في بلاد واحدة وهي سورية وجل الخلاف في نسبة الملكية إلى مرقيان الملك. وهذه النسبة غير ثابتة إذ لا تجد لها ذكراً في كتاب من جميع كتب العلماء والمؤرخين من القرن الرابع إلى القرن العاشر كاثوليكيين كانوا أو هراطقة. وأول من ذكرها هو رجل هائم أن يشرف امته ومعروف بطيشه وكثرة اغلاطه وهو سعيد بن البطريق البطريرك الاسكندري الملكي ومن أخص قواعد الانتقاد أنّ الاحداث الهامة إذا لم يذكرها مؤرخو القرن الذي حدثت فيه فلا يركن إلى صحتها ومن قالوا كسعيد بن البطريق بصحة هذه النسبة إلى مرقيان الملك يحمل كلامهم على انتحاله عنه أو على المتابعة له على زعمه ولا تصلح شهادتهم لتأخرها قروناً عن هذه التسمية ولم يعزوها إلى مؤرخ معاصر فلا أساس راهن لها ، وعليه فهي ساقطة ولو كثر عدد القائلين بها من المتأخرين ولو صدقت هذه التسمية على من اتبعوا المجمع الخلكيدوني والملك مرقيان لكان رهبان القديس مارون أحق بها من سواهم ؛ إذ ناضلوا عن هذا المجمع وسفك كثيرون منهم دمهم في الدفاع عنه كما روى كثيرون من القدماء والمتأخرين ، وكما تشهد الكنيسة الرومانية بتعييدها لهم، ولا نرى أحداً دعاهم ملكية. والحق أقول أني لم

أجد أنا أيضاً في مطالعاتي (وان لم تقس على شيء من مطالعات العلامة السمعاني) قولاً واحداً من أقوال العلماء قبل القرن العاشر يثبت هذه النسبة، واحسبني سعيداً ان ظفرت بشيء من ذلك لأغيّر رأيي هذا.

الفصل الثاني

منشأ القديس يوحنا مارون واسقفيته وبطريركيته وتآليفه

عد ١١

منشأ القديس يوحنا مارون

نعتمد في ترجمة القديس يوحنا مارون على ما دوّنه العلامة السمعاني (في مجلد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ٤٩٦ وما يليها) نقلاً عن الكتاب العربي الذي خطه سنة ١٤٩٥م جبرائيل اللحفدي المعروف بابن القلاعي اسقف نيكوسيا بقبرص إلى القس جيورجيوس بن بشاره رداً على اليعاقبة، وقد اذاعه الأب فرنسيس كوراسمس مترجماً إلى اللاتينية سنة ١٦٣٩م في مؤلفه وصف الارض المقدّسة (ك ١ فصل ٢٧ صفحة ٩٦)، ونقلاً عن العلامة البطريرك اسطفانس الدويهي الاهدني في كتاب محاماته عن الموارنة (ك ١ فصل ٧ وما يليه).

قال السمعاني في المحل المذكور ولد يوحنا في قرية تسمى سروم موقعها في جبل السويدية على مقربة من مدينة انطاكية، وقد استشهد لصحة ذلك افاغريوس (في ك ٤ من تاريخه فصل ٣٨) وكاتب ترجمة يعقوب البردعي بالسريانية على ما روى الاهدني (في الفصل السادس من تاريخ الموارنة) حيث يقول: «اشتهر يعقوب بحفظ ايمان الرسل الذي تلقيناه من يعقوب أسقف أورشليم الاول، وملأ الكنيسة بأسرها بأعماله الحسنة، وإذ يلتقي الآن الهراطقة وأصحاب الايمان القويم فيسألهم الهراطقة من أنتم ومن تتبعون، فيجيبهم الارثوذكسيون اننا نتبّع ايمان

يعقوب اول الرسل الذي سمي اخا الرب بالجسد وهذا الايمان قد أرشدنا إليه يعقوب هذا الإلهي (أي البردعي) .واما المخالفون فيقولون نحن نتبع افرام الآمدي (بطريرك انطاكية الذي ذكرنا ترجمته) أو يوحنا السرومي وهو البطريرك المخالف لله ». ولا مراء في أنّ كاتب هذه الترجمة اليعقوبي يريد بيوحنا السرومي يوحنا مارون الذي كان يناصب اليعاقبة في سورية لا يوحنا السرومي الآخر الذي خلف افتيشيوس بطريرك قسطنطينية في أيام يوستنيانس الملك كما روى افاغريوس في المحل المذكور، لأنّ هذا السرومي لم تكن له علاقة أو بحث مع سكان لبنان وسورية بل ربما لم يعرفوه ولم يسمعوا باسمه.

وقد جاء في تاريخ البطريرك اسطفانس الدويهي أنّ ابا يوحنا مارون كان اسمه اغاتون، وكان اسم أمه انوهاميا، وأنهما كانا حسيين شريفين من نسل ملوك فرنسا. وقد اعتمد في ذلك على كتاب قديم كرشوني كان في كنيسة السيدة بدمشق قيل فيه: « كان رأس الأمة المارونية رجل اسمه يوحنا فاضل عالم مستقيم كثير الفضائل وهو من أصل شريف، اسم أبيه اغاتون واسم أمه انوهاميا واسم جده اليديس ابن أخت ملك فرنسا » وجاء مثل ذلك في ترجمة يوحنا مارون التي كتبها جبرائيل اللحفدي اسقف نيكوسيا إلى القس جرجس بن بشاره سنة ١٤٩٥م كما مرّ. وارتأى الدويهي وابراهيم الحاقلي (في شرحه قصيدة عبد يشوع الصوباوي) أنّ يوحنا مارون هو المراد بقول عبد يشوع ܝܘܚܢܢ ܒܪ ܦܪ̈ܢܓܝܐ أي يوحنا ابن الافرنج. على أنّ هذه الرواية لا يمكن تحقيقها ولا القطع بصحتها وان كنا لا ننكر أنّ كثيرين من الافرنج كانوا يسكنون وقتئذٍ في سورية للاتجار وللهرج الذي احدثه الغطط والبندالة وغيرهم في اوروبا في القرنين الخامس والسادس، بل قد اثبت القديس ايرونيموس أنه كان من أيامه كثيرون من الاوروبيين في سورية، وإن كان الدويهي بعد ان روى ان اليديس جد يوحنا مارون كان ابن أخت كارلس الكبير ملك فرنسا، انتبه إلى ما يرد على ذلك من ان هذا الملك كان بعد يوحنا مارون بسنين متطاولة، وحل هذا المشكل بأنّ كثيرين من ملوك فرنسا سموا باسم كارلس وأنّ كارلس المذكور لم يكن ملكاً بل كان أميراً في انطاكية، ودعي ملكاً. جرياً على عادة السريان والعرب أن يسموا كل حاكم أو متولٍ ملكاً إلّا أنّ كل ذلك لا يبلغ هذه الرواية إلى درجة التحقيق بل إلى درجة احتمال الصحة فقط، وقد أثبت العلامة السمعاني (مجلد ٢ صفحة ٣٠٦) أنّ الدويهي والحاقلي قد

انخدعا برواية عبد يشوع الصوباوي وصحيح كلامه ܝܘܚܢܢ ܒܪ ܦܚܪ̈ܐ أي يوحنا ابن الفخارين لا ابن الافرنج، فمن ذكره عبد يشوع إذاً ليس يوحنا مارون فلا يثبت قوله أنّه كان افرنجياً .

إنّ والدي يوحنا سلماه مذ حداثته إلى المدارس لاقتباس العلوم في انطاكية أولاً ثم في دير القديس مارون، فنبغ في العلوم اللغوية والرياضية والآلهية، ولشدة هيامه بالعلم سار إلى قسطنطينية فاتقن تعلم اليونانية بفنونها، والفلسفة، وانكبّ على مطالعة كتب الآباء القديسين وتفسيراتهم، وبلغه نعي والديه فعاد إلى انطاكية وكانت له شقيقة لها ابنان يسمى احدهما ابراهيم والآخر قورش، وكان ابراهيم فطناً أديباً شجاعاً فسلم إليه تدبير البيت والأملاك وساد بعد ذلك في قومه وأخذ يوحنا قورش أخاه وصعد به إلى دير القديس مارون الذي على ضفة العاصي زاهداً في العالم ومجده وكرامته، فلبس هو وابن اخته قورش زي الرهبان ونذر يوحنا نفسه لله ورقي إلى درجة الكهنوت وسمي يوحنا مارون نسبة إلى القديس مارون أو إلى ديره، وتفانى في حب خلاص النفوس وارشاد الناس إلى الايمان القويم والفضائل مناضلاً اولي البدع ومناصباً الأشرار، فصنّف كتباً كثيرة ووضع مقالات شتى سنأتي على ذكرها، وكان ينمو بالحكمة والنعمة كل يوم ويعظم ثوابه لدى الله ويرتفع قدره لدى الناس ولم نظفر بما ينبئنا بسنة مولده وقد أجمعوا على أنه توفاه الله سنة ٧٠٧م، فإن قُدِر أنّه عاش ثمانين سنة كان مولده سنة ٦٢٧م .

عد ١٢
أسقفية القديس يوحنا مارون

جاء في ترجمة يوحنا مارون التي ذكرها السمعاني (مجلّد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ٤٩٩) أنَّ يوحنا مارون هدى كثيرين إلى الإيمان القويم، وكان كثيرون يأتون إليه ويعملون بما يشير عليهم به . ولذلك رأى أوجان البرنس (أي أمير أنطاكية) وجميع الإفرنج المقيمين في أنطاكية أن يقدموا يوحنا إلى الكردينال سفير الكرسي الرسولي الروماني ليرقيه إلى درجة الأسقفية على مدينة البترون، ليقي أهل جبل لبنان من الضلال ويثبتهم في إيمان الكنيسة الرومانية . وقد صرّح اليعاقبة بإقرارهم بذلك في كتاب معتقدهم الذي كان في العربية بمكتبة مدرسة الموارنة

برومة حيث يقول مؤلف هذا الكتاب: «أنتم كلكم سريان وكان كرسي بلدكم لانطاكية السريان إلَّا لمَّا جارت ملوك الروم على السريان وقتلوهم قام مارون ووافق ملك الإفرنج الذي في أنطاكية وكان اسمه أوجان برنس، وقال له يا ملك الزمان نخاف على جبل لبنان أن تستميله أمَّة الملكية إلى معتقدهم فقلْ للكردينال الذي عندك وألزمه يكرسني مطراناً حتى أمسك بعض الناس على أمانة الفرنجية، إلَّا أمانة يعقوب فلا أذكرها فكرسه مطراناً على البترون» انتهى كلام مؤلف كتاب تعليم اليعاقبة ولا شكَّ في أنَّه يريد بمارون يوحنا مارون راهب دير القديس مارون.

ولم نرَ السمعاني تصدى في المكتبة الشرقية لشرح هذه الفقرة من ترجمة يوحنا مارون، لكننا رأيناه شرحها بإسهاب في الكتاب الرابع من مكتبته في الناموس الديني والمدني في ثلاثة فصول هي: الثامن عشر، والتاسع عشر، والعشرون من الكتاب المذكور حيث أطال وأجاد في ذكر إقامة يوحنا الفيلادلفي (أسقف فيلادلفيا وهي المعروفة اليوم بعمان في عبر الأردن) نائباً للكرسي الرسولي في بطريركيتي أنطاكية وأورشليم كما ذكرنا في كلامنا على بطاركتهما في القرن السابع إذ لم تمكن الحال من إقامة بطريركين فيهما، وأورد البراءة التي نصب فيها البابا مرتينس يوحنا الفيلادلفي في هذه النيابة ومما قاله فيها: «ونحرضك على أن تكون نائباً لنا في هذه الأمصار الشرقية في جميع المقتضيات البيعية فأسرع إلى إصلاح كل ما كان إصلاحه لازماً، وإلى إقامة أساقفة وكهنة وشمامسة في جميع المدن التابعة بطريركيتي أنطاكية وأورشليم، إننا نأمرك بذلك بالسلطان الرسولي الذي أولانا الله إياه بواسطة بطرس زعيم الرسل (عن براءة البابا مرتينس التي أثبتها لاباي في مجلَّد ٦ من مجموعة المجامع صفحة ٢٠). وقد أنفذ البابا مرتينس أيضاً رسالة أخرى عامة إلى جميع الكهنة والأساقفة والشمامسة ورؤساء الأديار في بطريركيتي أنطاكية وأورشليم قال فيها إنَّه بالسلطان الذي أولاه الله إياه قد أقام يوحنا الفيلادلفي نائباً له في المشرق، ويناشدهم أن يحسنوا الطاعة له وأن يجانبوا الأراطقة ولاسيما مكدونيوس الذي غصب كرسي أنطاكية وبطرس الذي تدخَّل على كرسي اسكندرية وأعلمهم بحرمه بدعة المشيئة الواحدة في مجمع لاتران، وأنَّه أرسل إلى يوحنا الفيلادلفي نسخة من أعمال هذا المجمع ليطلعهم عليها. وقد ذكر هذه الرسالة أيضاً لاباي في مجموعة المجامع (مجلَّد ٦ صفحة ٢٩) والسمعاني في مكتبة الناموس (في المحل المذكور آنفاً).

فأتم الفيلادلفي ما عهد إليه به البابا مرتينس رغماً عن تشيّع الملك قسطنس بن هرقل وبطاركة قسطنطينية لأصحاب بدعة المشيئة الواحدة، وتيسّر له العمل بنيابته بعد موت قسطنس وخلافة ابنه قسطنطين اللحياني له، إذ كان حسن المعتقد كثير الغيرة على الإيمان الكاثوليكي؛ وقد رأيت ما كان من السطوة حينئذٍ لسكان لبنان وقد كان مكدونيوس ومكاريوس بطريركا انطاكية حينئذٍ متشبثين ببدعة المشيئة الواحدة مقيمين في قسطنطينية. فسأل الكاثوليكيون في أنطاكية ولبنان يوحنا الفيلادلفي أن يرقي القس يوحنا مارون الذي كان اشتهر بعلمه وفضيلته ومناضلته أصحاب البدع إلى أسقفية البترون فرقّاه إليها سنة ٦٧٥ أو سنة ٦٧٦م.

حقق ذلك السمعاني في ك ٢ فصل ٢ من مكتبته في الناموسين وفي مجلّد ٢ في مؤلفي تاريخ إيطاليا، والبطريرك يوسف أسطفان قسم ٣ فصل ٦ في قداسة يوحنا مارون، والخوري أنطون قيالة البيروتي في رده كلام القس يوحنا عجيمي الملكي الكاثوليكي وروهر بخر في تاريخه لسنة ٦٦٨م حيث قال: «إنَّ يوحنا الفيلادلفي الذي أقامه البابا مرتينس نائباً للكرسي الرسولي في المشرق سر بما بلغه من امتداد سطوة الموارنة، ولئلا يفتقروا إلى المساعدات الروحية أقام لهم أسقفاً يوحنا مارون راهب دير القديس مارون». روى كل ذلك البطريرك بولس مسعد في الدرّ المنظوم صفحة ١٤١.

وجاء في الترجمة التي أثبتها السمعاني في المجلّد المذكور من المكتبة الشرقية أنَّ يوحنا مارون بعد ترقيته إلى أسقفية البترون انتقل من دير القديس مارون إلى فينيقية أي إلى أبرشيته، وتفانى في حراثة كرم الرب، وردَّ إلى الإيمان القويم كثيرين من أصحاب بدعتي الطبيعة الواحدة أو المشيئة الواحدة من رعيته وغيرها، فنما شعبه وكثر عديدهم، وانبسطت مساكن كثيرين منهم حتى أورشليم وبلاد الأرمن وكان يعضدهم بكثرة الكهنة ورؤساء الكهنة لخلاص نفوسهم، بل أقام لهم أمراء وقادة لجيشهم يذبّون عن جماعتهم ويحمون حماهم من كل معتد وكان من أمراء جيشهم ابراهيم ابن اخته الذي مرَّ بنا ذكره، وكانت لهم السطوة والغزوات التي رويناها عن توافان وشدرانس وزوناراس وغيرهم حتى ألجأوا معاوية وعبد الملك بن مروان إلى الإتّفاق مع ملوك الروم عليهم بشرط أن يصدُّوا غزواتهم ويجلوا عسكرهم كما مرَّ.

وأمّا دعوى القس يوحنا عجيمي الملكي الكاثوليكي برسالته المنفذة إلى الخواجه الياس عبدو الحلبي بأنَّ يوحنا مارون رقاه إلى الأسقفية مكاريوس بطريرك أنطاكية المتسكع ببدعة المشيئة الواحدة فهي دعوى باطلة لم ينوّرها صاحبها بدليل راهن أو حجة قاطعة ولم يقل بها مؤرخ صادق، بل هي مخالفة لأقوال المؤرخين المحققين ومضادة لتصريح الأحبار الأعظمين ولاسيما البابا بناديكتس الرابع عشر العلّامة، وقد فنَّد الخوري أنطون القيالة البيروتي تلميذ مدرسة الموارنة في رومة رسالة القس يوحنا عجيمي المذكورة، وأثبت هذا التفنيد المطران ارسانيوس شكري أسقف حلب الماروني وقد طبع في بيروت هذه السنة ١٨٩٩م في كتاب المحاماة عن الموارنة وقديسيهم، فمن شاء زيادة بيان في هذا الشأن فليطالع الكتاب المذكور.

عد ١٣

بطريركية القديس يوحنا مارون

جاء في ترجمة يوحنا مارون التي أثبتها السمعاني في المحل المذكور من المكتبة الشرقية أنَّه في السنة الثانية للملك يوستنيانس (الأخرم وهي سنة ٦٨٥م) قضي أجل توافان الذي أقامه آباء المجمع السادس بطريركاً على أنطاكية فاجتمع الرؤساء ليختاروا رجلاً صحيح المعتقد ليخلفه، وبعناية الله أجمعوا على انتخاب يوحنا الأسقف بطريركاً على أنطاكية وقلّدوه رئاسة الكرسي الأنطاكي. وروى البطريرك اسطفانس الدويهي في تاريخ الموارنة أنَّه سار مع قاصد البابا من طرابلس إلى رومة إلى البابا سرجيوس فأحسن استقباله لأنَّه كان أنطاكيّ الأصل، ووشحه بدرع الرياسة ودفع إليه التاج والخاتم والعصا وخوَّله كل ما كان لأسلافه من المنح وعاد إلى أنطاكية، فأرغمه أصحاب البدع أن يفرَّ أولاً إلى دير القديس مارون ومنه انفذ إلى اللبنانيين كتابه الموسوم بإيضاح الإيمان، ثم لم ينجُ هناك أيضاً من اضطهاد الملك يوستنياس الآخرم وأولي البدع ففرَّ إلى لبنان وأقام أولاً في سمر جبيل، ثم في كفرحي حيث بنى ديراً على اسم القديس مارون ووضع فيه هامته التي كان قد نقلها من ديره على العاصي.

على أنَّ السمعاني ذيَّل كلام البطريرك اسطفانس الدويهي بحاشية قال فيه ما ملخصه: «اعتمد اسطفانس الدويهي في بطريركية يوحنا مارون على التقليد العام

عند الموارنة ، وعلى إقرار اليعاقبة الذي مرَّ ذكره ، وعلى مقدِّمة كتاب يوحنا مارون الموسوم بإيضاح الإيمان الذي دوَّنه وأنفذه إلى سكان لبنان حيث قيل: « ورأى (يوحنا) مارون أنَّ الأولى به أن يغير مقام كرسيه ولا يغير الإيمان القويم الذي علمه الآباء الذين اجتمعوا في نيقية وأثبتته باقي المجامع ففر من أنطاكية وأتى إلى دير في جهة اباميا على ضفة العاصي (وهو دير القديس مارون) وكان في ذلك الدير ثماني مئة راهب أطهار قديسون فأقام كرسيه بينهم، وكتب ثمَّ هذا الكتاب وأنفذه إلى سكان لبنان المقدس ». وهذه المقدمة تراها في الكتاب الرابع عشر من كتب الحاقلي في المكتبة الواتيكانية مدونة بالسريانية والعربية كما رويناها إلَّا في تغيير يسير، وهذا الكتاب قد خط سنة ١٧٠٣ يونانية الموافقة لسنة ١٣٩٢ للميلاد على أنَّ انتخاب يوحنا مارون بطريركاً في مجمع أساقفة في أنطاكية لم يقل به إلَّا الإهدني ولو انتخب بطريركاً في أنطاكية باجتماع أصوات الأساقفة لذكر المؤرخون الروم واللاتينيون اسمه في سلسلة بطاركة أنطاكية سواء كان كاثوليكياً أو أراتيكياً كما ذكروا أسماء جميع بطاركة أنطاكية الكاثوليكيين وغير الكاثوليكيين ممن كانوا قبله أو صيروا بعده . ولهذا أظن أنَّ الأمثل أن يقال إنّه لم ينتخبه أساقفة الكرسي الأنطاكي الذين كانوا طوع يدي يوستنيانس ملك الروم ، بل انتخبه بطريركاً أساقفة المردة أي الموارنة . ويظهر لي أنَّه يؤيد هذا اعتياد الموارنة إلى اليوم أن يقيموا لأنفسهم بطاركة بالإنفصال عن الروم واليعاقبة والنساطرة، ولا يصدق أنَّ جمهوراً كبيراً من الناس وقد استحوذوا على كلّ ما كان من الجبل الأسود إلى أورشليم كان خلياً من رئيس وراع ، وانضوى إلى أمة واحدة تخالف غيرها في طقوسها وعوايدها دون أن يكون لهم رئيس يجمع شملهم، ولهذا لا ترى المؤرخين الروم واللاتينيين ذكروا أعمال يوحنا مارون لأنَّها كانت في جبل لبنان ولم يذكر المؤلفون الروم بطريركيته لأنَّ رعيته جميعها كانت من السريان وهم لا يذكرون إلى الآن خلفاء يوحنا مارون من بطاركة الموارنة في عداد البطاركة الأنطاكيين . أما ما رواه كوارسمس في ترجمة يوحنا مارون من أنَّه أتى إلى رومة وأقامه البابا سرجيوس بطريركاً على أنطاكية فأظن مصدره أنَّ يوحنا مارون والموارنة تشبثوا بعرى الكرسي الرسولي الروماني خلافاً لباقي السريان انتهى كلام السمعاني .

وقد انتحل لكويان (في مجلَّد ٣ من المشرق المسيحي صفحة ٤٩ في بطاركة الموارنة) كلام السمعاني برمته ولم يزد عليه إلَّا فقرة من كتاب يوحنا سافريوس في

رحلته إلى أورشليم (فصل ٢٧) نقلها عن مقالة نيرون الباني في الموارنة (صفحة ٣١) وهي: «أنَّ الموارنة لوجودهم بين أصحاب البدع الكثيرة في سورية التمسوا من الحبر الروماني أن يقيم عليهم بطريركاً خاصاً بهم فأجاب سؤلهم وأقام (يوحنا) مارون في المقام البطريركي ... فعاش مجملاً بالقداسة ومذ ذاك الحين أخذ الموارنة يختارون لأنفسهم دائماً بطريركاً خاصاً».

والحاصل مما مرَّ أنَّ ترقية يوحنا مارون إلى البطريركية اختلفت فيها الأقوال فمن قائل إنَّ القاصد الرسولي في سورية أخذه بعد موت توافان إلى رومة وكان وقتئذٍ أسقفاً على البترون فأقامه البابا سرجيوس بطريركاً على أنطاكية. ومن قائل: إنَّ الأساقفة اجتمعوا في أنطاكية وأقاموه بطريركاً واضطرَّ أن يهرب منها إلى دير القديس مارون ثم إلى لبنان كما روى الاهدني. ومن قائل أنَّ أساقفة الموارنة اجتمعوا في لبنان واختاروه بطريركاً أنطاكياً عليهم كما روى السمعاني. وكل هذه الأقوال نراها محتملة الصحة ولا يتسنى لنا أن نرجح أحدها على الآخر ولاسيما أنَّ العلامة السمعاني لم يقطع بصحة قوله بل عبَّر عنه بكلمة أظن، ولم يقم عليه دليلاً إلَّا صمت المؤرخين اليونان واللاتين عن ذكر يوحنا مارون وخلفائه في سلسلة بطاركة أنطاكية. وكلّ يعلم أنَّ هذا الدليل وحده ليس بقاطع ولكن بأيّ هذه الأقوال قلنا تبين أنَّ الأحبار الرومانيين أقروا ليوحنا مارون بالبطريركية على أنطاكية ولاسيما أنّ توافان أثبت (في تاريخ سنة ٧٤٣م) أنَّ كنيسة أنطاكية لم يقم فيها راع مدة أربعين سنة، وتوافيلكتس روى أنَّها استمرت حينئذٍ خمسين سنة خالية من بطريرك وتابعه على ذلك إدوار برنردس في سلسلة بطاركة أنطاكية واعتمد لكويان هذه الأقوال (في المشرق المسيحي في بطاركة أنطاكية) ولم يحقق وجود بطريرك يقيم في أنطاكية إلَّا أسطفانس أقيم سنة ٧٤٢م (طالع عد ٦٩٢) ولا تسة عما كانت عليه حال سورية في تلك الأيام من الحروب والتشيع للبدع وما كان للمردة أي الموارنة من السطوة والصولة واستحواذهم على كل البلاد من الجبل الأسود إلى أورشليم. فهل يخطر على بال أنَّ الأحبار الرومانيين تركوا أنطاكية وسورية خلواً من رئيس يعني بأمر المؤمنين ويقيهم الضلال ويثبتهم في الإيمان الكاثوليكي، ويكفينا مؤونة البرهان في ذلك قول العلامة البابا بناديكتس الرابع عشر بخطبته بكرادلة الكنيسة الرومانية في ١٣ تموز سنة ١٧٤٤م حيث قال: «لا يفوتكم أنَّه في أواخر القرن السابع عندما فشت بدعة القائلين بمشيئة واحدة في المسيح وأفسدت سكان

البطريركية الأنطاكية، جزم الموارنة حينئذٍ رغبةً في وقاية طائفتهم سالمة من ذلك الفساد أن يختاروا لهم بطريركاً يثبت من الحبر الروماني». وقد أجمع كل من ذكروا هذه الأحداث أنَّ البطريرك الذي اختاره الموارنة حينئذٍ إنَّما هو البطريرك يوحنا مارون.

وقد ورد في تاريخ أنسطاس المكتبي أنَّه كان في السنة الأولى ليوسستنيانس الملك توادورس البطريرك القسطنطيني، واسكندر البطريرك الأنطاكي. ولكن اسكندر هذا قل من ذكره ممن كتبوا تاريخ بطاركة أنطاكية، وأثبت العلامة السمعاني في مكتبة الناموس (مجلَّد ٥ صفحة ٢٧) أنَّ اسكندر هذا إنَّما هو جيورجيوس الآتي ذكره وكذلك سماه كثيرون جيورجيوس أو اسكندر وعن لكويان (في المشرق المسيحي في بطاركة أنطاكية) أنَّ ابن البطريق لم يذكر اسكندر بل ذكر توما، وقال إنَّه استمرَّ في البطريركية عشرين سنة وقام بعده جيورجيوس في السنة الأولى لخلافة عبد الملك بن مروان، فقال لكويان هذا عن التاريخ الصحيح بمراحل. وأمَّا جيورجيوس فقد جاء اسمه في جملة توقيعات الأساقفة على مجمع قصر الملك الذي عقده يوستنيانس الأخرم سنة ٦٩٢م وقال فيه لكويان (في المحل المذكور) إنَّه يظهر من أعمال المجمع السادس المسكوني أنَّ جيورجيوس هذا كان راهباً كاهناً في سبسطية (السامرة) بفلسطين وكان في جملة نواب بطريركية أورشليم في هذا المجمع، ويظهر من توقيعه على مجمع قصر الملك ان صير بعد ذلك بطريركاً على أنطاكية، ولكنّ يتبين من توقيعه أنَّه زيد بعد انحلال المجمع من يد كاتب حديث. وقال السمعاني (في مكتبة الناموس مجلَّد ٥ صفحة ٣١) ان توقيعه على هذا المجمع، كان على الهامش بهذه الصورة: «الحقير جيورجيوس أسقف أنطاكية وقعت حاكماً بما رسم» وإنَّه هو الذي سماه مكاريوس البطريرك الملكي في فهرست بطاركة أنطاكية، اسكندر وأوجب أنَّه شهد مجمع قصر الملك لكنَّه أثبت أنَّ البطاركة الأنطاكيين مكدونيوس ومكاريوس وتوافان وجيورجيوس هذا ارتقوا إلى بطركية أنطاكية في قسطنطينية، واستمروا فيها إلى يوم وفاتهم إلَّا مكاريوس فإنَّه توفي في رومة بعد أن عزله المجمع السادس، وحضور جيورجيوس في مجمع قصر الملك الذي نبذه الكرسي الرسولي إلى الآن والذي كان فيه الأساقفة طوع يدي يوستنيانس الأخرم لا يدل البتة على أنَّ جيورجيوس كان صحيح العقيدة، ويظن أنَّه كما اختار

قسطنت الملك مكدونيوس ومكاريوس بطريركي أنطاكية لتشيعّهما لبدعة المشيئة الواحدة كما حقق السمعاني (مجلّد ٤ من مكتبة الناموس فصل ٢٠) هكذا اختار يوستنيانس الأخرم جيورجيوس هذا وأقام في قسطنطينية كأسلافه . والحاصل ممَّا مرَّ أنَّ جيورجيوس يشكُّ في صيرورته بطريركاً أنطاكياً إذ لا يستدلُّ على ذلك إلّا بتوقيعه وتوقيعه يشك في صحته على ما رأيت من كلام لكويان والسمعاني ويرجّح أنَّه لم يكن صحيح العقيدة وإنَّ يوستنيانس أقامه بطريركاً إن صحَّت بطريركيته، ومن المؤكَّد أنَّه لم يقم في أنطاكية كما رأيت وقد فرغت بطريركية أنطاكية من بطريرك بعد ذلك أربعين سنة أو خمسين كما أثبتنا وقد حققه السمعاني (في مكتبة الناموس مجلّد ٥ صفحة ٢٧ و٥٠٠ و ٥٠١) وفي مقالته في بطاركة اليعاقبة المعلقة على ترجمته لتاريخ ابن الراهب صفحة ١٧١) .

فإذاً الخليفة الشرعي والكاثوليكي لتوافان الذي أقامه المجمع السادس بطريركاً لأنطاكية إنَّما هو القديس يوحنا مارون، وفي مدَّة أربعين أو خمسين سنة بعد ذلك لم يقم بطريرك على أنطاكية ، ولم يكن بطريركها الكاثوليكي إلّا القديس يوحنا مارون ، ومن بعده قورش ابن اخته وخلفاؤهما كما سترى. نعم إنَّه كان بطريركاً خاصاً على الموارنة ولكن لم يكن في تلك الحقبة بطريرك أنطاكي كاثوليكي سواه وكان الموارنة السواد الأعظم من سكان هذه البطريركية الكاثوليكيين، وكانوا محتازين كل ما كان من الجبل الأقرع إلى أورشليم كما رويناه عن ثقاة من المؤرخين ، وكان باقي السكان إما يعاقبة ولهم بطريرك خاص بهم ينسب إلى أنطاكية، وإما متسكعين ببدعة المشيئة الواحدة إتباعاً لأكثر ملوك قسطنطينية ورؤسائها، وإما كاثوليكيين ولكنهم مشتتون في أصقاع كثيرة ويمنع الخلفاء من إقامة بطريرك في أنطاكية، ولمَّا رخصوا للنصارى بذلك اختاروا أسطفانس المارّ ذكره في أواسط القرن الثامن لكنه لم يكن بطريركاً عاماً لأنَّ النساطرة أنشقوا عن بطريركية أنطاكية وأقاموا لهم بطريركية في بابل . واليعاقبة بعد موت ساويرس أخذوا يختارون بطاركة خاصين بهم يسمونهم أنطاكيين والموارنة اعتادوا إقامة بطريرك خاص بهم يثبته الكرسي الرسولي ويوليه حقوق بطريركية أنطاكية كما رأيت وسترى، فلم تكن أهمية للبطريرك المقيم في أنطاكية ، ولم يكن يلي إلّا الكاثوليكيين القلائل المشتتين عدا الموارنة ولم يكن جميع هؤلاء البطاركة كاثوليكيين، ولم يمضِ زمان طويل إلّا عمَّ انفصال كنيسة الروم المشرق وأخذوا

يقيمون بطاركة في أنطاكية إلى اليوم، ولما زحف الإفرنج إلى هذه البلاد أقاموا بطاركة على أنطاكية وغيرها ولكن على اللاتينيين وحدهم ولما طردوا من هذه البلاد لم يبق لمن سمي بطريركاً إلّا الشرف. وعلى هذا المنوال استمرَّ خلفاء القديس يوحنا مارون البطاركة الشرعيين الكاثوليكيين وحدهم لأنطاكية قروناً كثيرة. وفي القرن السابع عشر ارتدَّ بعض الملكية المنفصلين إلى الإيمان القديم فرخص لهم الحبر الروماني في القرن الثامن عشر أن يقيموا بطريركاً خاصاً بهم وأن يسمى أنطاكياً وارتدَّ بعض السريان عن اليعقوبية إلى الإيمان الكاثوليكي فرخص لهم الحبر الروماني أن يقيموا بطريركاً خاصاً بأمتهم وأن يسمى أنطاكياً أيضاً. فقد كانت هذه البطريركية أشبه بشجرة فصمت بعض أغصانها القديمة ونبت في موضعها فروع حديثة واستمرَّ غصن فيها متمسكاً بالأصل مزهراً مثمراً والحاصل من ذلك أنَّ القديس يوحنا مارون وخلفاءه إلى اليوم هم البطاركة الشرعيون الكاثوليكيون لكرسي أنطاكية خلفاء توافان خليفة بطرس في الكرسي الأنطاكي. وإليك إثبات هذه الحقيقة بأقوال الأحبار الأعظمين أنفسهم والقول ما قالوا.

قال البابا أينوشنسيوس الثالث في رسالته إلى بطريرك الموارنة وأساقفتهم وشعبهم سنة ١٢٠٧م ما ترجمته: «إننا نثبت أيها الأخ البطريرك لكنيستك على اسم العذراء بيانوح كراسي المطارنة والأساقفة الآتي ذكرها الخاضعين بحق الرئاسة لك ولخلفائك؛ أي مطرانية مار اسيا تربل المنيطرة ورشعين وكفرفو وعرقا وتأخذ الباليوم درع ملء الخدمة الحبرية بحسب العادة فيسلمه إليك بطريرك أنطاكية اللاتيني وكان البابا قد أرسل الباليوم معه إليك) من غير ما صعوبة ونثبت لك العوايد الجارية التي كانت لك ولمن سلفوا قبلك في الكنيسة الأنطاكية إلى الآن ونهبها لك ولخلفائك بالسلطان الرسولي». وإنَّ كانت حالة القرون الوسطى لم تؤذن لنا بإيراد أقوال من الأحبار الأعظمين أسلاف أينوشنسيوس الثالث فلنا الغنى عنها بقوله نثبت لك العوائد الجارية التي كانت لك ولمن سلفوا قبلك في الكنيسة الأنطاكية ولا نغفل عن أن براءات الأحبار الأعظمين الخمس عشرة التي كان الأسقف جبرائيل القلاعي يذكر البطريرك بأنَّها موجودة في كرسيه بختومها ورصاصها ما برحت محفوظة في الكرسي البطريركي الماروني وجميعها نسجت على منوال براءة أينوشنسيوس الثالث، ومنها براءة من البابا اسكندر الرابع يثني فيها على البطريرك لقبوله في جملة رعيته من تخلفوا في سورية من اللاتين بعد

طرد الصليبيين منها ويسميه بطريركاً أنطاكياً كما صرّح بذلك بناديكتس الرابع عشر في خطبته بكرادلة الكنيسة الرومانية المكرر ذكرها والبابا لاون العاشر في رسالته إلى البطريرك سمعان الحدثي في ١ آب سنة ١٥١٥م حيث يقول « إنّنا اطلعنا في براءتي أينوشنسيوس (الثالث) واسكندر (الرابع) الصالحي الذكر أنّ أرميا الذي يسمى بطريركاً أنطاكياً (هو بطريركنا أرميا العمشيتي) أدى الطاعة كما اعتاد البطاركة تأديتها للكرسي المقدّس في مدينة طرابلس بحضرة المطارنة والأساقفة على يد بطرس الكردينال . .. قاصد الكرسي الرسولي ». وكتب البابا أدريانس السادس إلى البطريرك المذكور في ٢٢ تشرين الأوّل سنة ١٥٢٢م: « أدريانس الأسقف عبد، عبيد الله إلى الأخ الموقر (سمعان) بطرس البطريرك الجالس على كرسي أنطاكية ». وكذا كتب البابا بولس الخامس إلى البطريرك يوحنا مخلوف في ١٠ آذار سنة ١٦١٠م، والبابا غريرغوريوس الخامس عشر في براءته إلى هذا البطريرك في ١ تموز سنة ١٦٢٢م، والبابا أوربانس الثامن في ٣٠ آب سنة ١٦٢٥م وفي رسالته إلى البطريرك جرجس عميرة في ٣ آذار سنة ١٦٣٥م وأينوشنسيوس العاشر في رسالته إلى البطريرك يوسف العاقوري في ٢٠ أيلول سنة ١٦٤٦م، وفي رسالته إلى البطريرك يوحنا الصفراوي في ١٣ أيلول سنة ١٦٤٩م ومثلهم كتب البابا اسكندر السابع إلى البطريرك جرجس السبعلي في ٩ آذار سنة ١٦٥٩م حيث قال « إنّ الكنيسة البطريركية الانطاكية التي تخصّ طائفة الموارنة وكان يدبرها يوحنا الصفراوي بطريرك أنطاكية أضاعت تعزيتها براعيها لوفاة البطريرك يوحنا المذكور اذ قضى دين الطبيعة ». وكذا كتب البابا اكليمنضس العاشر إلى البطريرك الدويهي في ٦ آب سنة ١٦٧٢م. وفي ١٢ كانون الأوّل من السنة المذكورة وفي ٢٠ أيار سنة ١٦٧٣م وأينوشنسيوس الحادي عشر في ٢٣ تشرين الآخر سنة ١٦٨٠م والبابا أكليمنضس الثاني عشر في رسالته ١ نيسان سنة ١٧٣٢م إلى البطريرك يعقوب عواد. وفي رسالته في ٢٩ تشرين الآخر سنة ١٧٣٥م إلى البطريرك يوسف درغام الخازن وكل هؤلاء الأحبار الأعظمين كانوا قبل البابا بناديكتس الرابع عشر الذي يدعي خصوم الموارنة أنّه أوّل من سمى بطريركهم أنطاكياً.

ولا حاجة مع شهادة الأحبار الأعظمين إلى شاهد آخر، لكننا نورد شيئاً من شهادات العلماء مقتصرين على قول الأب فرنسيس سوريانس نائب اسكندر

السادس في الأرض المقدسة من رسالته في ٢٥ تشرين الآخر سنة ١٤٩٤م إلى البطريرك سمعان الحدثي: «إلى الأب الموقر (سمعان) بطرس الحدثي الرابع من استحق بنعمة سابغة أن يُدعى بطريرك أنطاكية ومدبّر كرسيها من الخادم الحقير فرنسيس سوريانس رئيس أديار الإفرنج ومدبر الإخوة الصغار في أورشليم ونائب قداسة سيدنا البابا اسكندر في جميع الأرض المقدسة». وقول باجيوس في تاريخ سنة ٦٣٥م: «إنَّ بطريرك الموارنة يسميه الأحبار الأعظمون في براءاتهم الرسولية منذ أيام أينوشنسيوس الثالث بطريرك الموارنة الأنطاكي». وقول ديلاروك في كتاب رحلته إلى سورية ولبنان (مجلّد ٢ صفحة ٢٣٢) وهو «إنَّ هذه الكنيسة (المارونية) يمكن أن تسمى الكنيسة الأولى في المشرق لكاثوليكيتها وللبطريركية: الانطاكية التي هي كرسيها». وقول دومينيكس ماكري في اسم بطريركية وهو «إنَّ في رومة أربع كنائس بطريركية تعين للبطاركة الأربعة إذا عقد مجمع عام في رومة وهي كنيسة مار يوحنا لاتران للبابا، وكنيسة القديس بطرس لبطريرك قسطنطينية وكنيسة القديس بولس لبطريرك اسكندرية، وكنيسة مريم الكبرى لبطريرك أنطاكية وهو وحده الآن كاثوليكي يرؤس ويدبر الطائفة المارونية الشديدة التعلّق بالكنيسة المارونية الشديدة التعلّق بالكنيسة الرومانية». طالع كتابنا روح الردود المطبوع مع ترجمته اللاتينية في بيروت صفحة ٢٧٣ إلى صفحة ٢٩٠.

وأمَّا أعمال القديس يوحنا مارون في مدة بطريركيته فقد جاء ذكرها بإيجاز في ترجمته التي أثبتها السمعاني في المحل المذكور فقال إنَّه بعد أن فرَّ إلى دير القديس مارون على العاصي أمّر ابن أخته ابراهيم على جماعته واستدعى إليه سمعان من لبنان، وسار بجيش وافر من دير القديس مارون إلى قلعة سمر جبيل فوق البترون، وقد ذكر ذلك مؤلف كتاب معتقد اليعاقبة إذ قال: «لما وصل تملّك الملكية إلى قرية اسمها أميون ارتفع مويرين (مصغراً للتحقير) وابن اخته بريهم إلى سمر جبيل وحماهم من الجزية التي فرضها الملكية على من لا يتبع دينهم ووافقه كل السريان والذين في جبل لبنان وتبعوا مارون». وبعد أن ظفرت جماعة البطريرك بجيش مريق ومرقيان كما مرَّ واستراح من عواصف الإضطهاد وأخذ يجول في أعمال لبنان مجاهداً فيثبت المؤمنين ويعني برد المخالفين إلى حظيرة الحياة، وينشئ كنائس وأدياراً ويقيم لها كهنة وخداماً وينصب أساقفة ويهتم بحالة كراسيهم ويجعل لهم أوقافاً تتكفّل بحاجات معاشهم. ولما رأى أنَّ جيش

موريق ومرقيان دك دير القديس مارون وقتل رهبانه وضبط أملاكه » ليستأصل ذكره ، أنشأ ديراً آخر على اسمه في شرقي قرية كفرحي من عمل البترون . ويقال : إنّه نقل إليه هامة القديس مارون من ديره على العاصي ، وفرض عيداً في الخامس من كانون الثاني الذي كرست فيه الكنيسة على اسمه ولما أتمَّ جهاده ودبَّر قومه تدبير الرعاة الصالحين انتقل من دار الشقاء إلى دار البقاء لينال ثواب أعماله الصالحة ومبراته الجزيلة ممن لا يضيع أجر التعيين في كرمه الروحي، وكان انتقاله في التاسع من شباط (سنة ٧٠٧) في دير مارون بقرية كفرحي، فاجتمع الأساقفة والكهنة والرهبان وجمع لا يحيطه العدد من كل بلاد الموارنة ليتباركوا بجسده الطاهر ، وحملوه بالمصابيح والبخور والترانيم ودفنوه في الدير المذكور كما جاء في ترجمته أنّه مات قديساً ودفن في كفرحي وقال الأسقف جبرائيل اللحفدي في قصيدته في المجامع : « في كفرحي مات ذا المختار » .

عد ١٤

مؤلفات القديس يوحنا مارون

لما كان البطريرك أسطفانس الدويهي وابراهيم الحاقلي الماروني قد ظنا أنَّ يوحنا ܒܪ ܦܪ̈ܢܓܐ (ابن الإفرنج) والصحيح ܒܪ ܩܘܠܠ̈ܐ (ابن الفخارين) الذي ذكره عبد يشوع في قصيدته هو يوحنا مارون عزوا إلى هذا البطريرك الكتب السبعة التي عزاها عبيد يشوع إلى يوحنا المذكور وأطال في شرحها، ولما كان العلامة السمعاني قد أثبت أنَّهما انخدعا بهذا الاسم وأنَّ يوحنا ابن الفخاري هو كاتب نسطوري لا يوحنا مارون اقتصرت على ذكر مؤلفات يوحنا مارون التي روى السمعاني أنَّها في المكتبة الواتيكانية وأوَّلها.

نافور أي رتبة القداس

إنَّ فاتحة هذا النافور ܩܕܡܝܟ ܡܠܟܐ ܕܡܠܟ̈ܐ ܘܡܪܐ ܕܡܪ̈ܘܬܐ أمامك يا ملك الملوك وسيد السادات وهو مثبت في الكتاب الخامس من كتب الحاقلي

في المكتبة الواتيكانية صفحة ١٠٠، وقد خطَّ في كمبليني بقبرص سنة ١٨٤٦ لاسكندر وهي سنة ١٥٣٥ للميلاد وقد ذكره الدويهي في كتابه المناير العشر (فصل ٢ في مؤلفي النوافير الكاثوليكية) حيث قال «يوحنا المسمى مارون الذي ارتقى بعد توافان بطريرك أنطاكية إلى ذلك الكرسي في سنة ٦٨٥م صنّف النافور الذي بدؤه ܡܫܒܚ ܡܠܟܐ ܕܡܠܟܐ. وقد نبذ رينودوسيوس (في مجلَّد ٢ من تأليفه في الليتورجيات الشرقية صفحة ١٥) هذا النافور مع غيره من مؤلفات يوحنا مارون ولم يورد سبباً لنبذه إلَّا قوله: «لا وجود له في مكتبة وإن توافرت فيها الكتب الشرقية» فكأنَّه اطَّلع على جميع المكاتب أو قلَّب كل الكتب في كل منها أو لم يبقَ في المشرق أثر لأحد المؤلفين إلَّا أتى به إلى مكاتب أوروبا. وقد احتج بعضهم على هذا النافور، بحجتين فقال إنَّه مجموع من نوافير اليعاقبة الكثيرة. كما يظهر لمن يقابل وإنَّ من طبعوا كتاب قداس الموارنة سنة ١٥٩٤م لم يطبعوا فيه هذا النافور فأجبنا في كتابنا روح الردود على الحجة الأولى أنَّ كلَّ النوافير التي يستعملها السريان قلَّ ما يختلف أحدهما عن الآخر ولا يمكن من يعارضها أن يقول إنَّ أحدها لا يشبه الآخر، ولم يبيِّن المعترض أي فقرات هذا الكتاب انتحلت إليه، ومن أي النوافير جمعت فيه، فلا سبيل إلى الإسهاب برد حجته القاصرة. واجبنا على الحجة الثانية بأنَّ النوافير الكاثوليكية التي نعتقد صحتها خمسة وعشرون نافوراً ولم يطبع منها في كتاب قداسنا المذكور إلَّا أربعة عشر نافوراً فلا يستدل بعدم طبعه مع عشرة نوافير أخرى كاثوليكية على أنَّه مجموع من نوافير اليعاقبة ولا على أنَّه كان غير معلوم لأنَّ الكتاب الواتيكاني المذكور المثبت فيه هذا النافور قد خطَّ قبل إحدى وستين سنة من طبع كتاب قداسنا الذي اتَّخذ حجة.

كتاب إيضاح الإيمان

قال العلَّامة السمعاني (مجلَّد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ٥١٣) إنَّ هذا الكتاب أنفذه يوحنا مارون إلى اللبنانيين من دير القديس مارون وهو مثبت بالسريانية مع ترجمته العربية في الكتاب الرابع عشر من كتب الحاقلي في المكتبة الواتيكانية، وقد خطَّ سنة ١٣٩٢م كما يتبيَّن من الذيل المعلَّق على آخره وهو: «كان الفراغ

من نسخ هذا الكتاب كتاب إيمان الكنيسة المقدَّسة سنة ١٧٠٣ (يونانية توافق سنة ١٣٩٢ للميلاد) بيد رجل حقير خاطي اسمه الشماس يوسف غريب من قرية اسمها ثمانية ومئة وثلاثين (يريد ܩܠܐ بالسريانية وهي حاقل موطن ابراهيم الحاقلي) من عمل جبيل ساكن بقرية بان من جبة بشرِّي وكان الفراغ منه في ٢٠ شهر شباط» وقد عثر الأب نوا العالم أحد كهنة باريس الفقهاء على نسخة من هذا الكتاب في مكتبة الأمة في باريس في ٢٠٣ منها خطت سنة ١٤٧٠م ونشرها بالسريانية مع ترجمتها إلى الإفرنسية في هذه السنة في القسم الأوَّل من كتابه الموسوم بكتب مارونية وأهدى إلينا هذا الكتاب. وفي مكتبة بطريركيتنا نسختان منه إحداهما خطها الشدياق موسى وأخوه عيسى أبناء الخوري يوسف من قرية حاقل وقد اطَّلع عليها الأسقف جبرائيل اللحفدي المعروف بابن القلاعي وكتب عليها بعض تعليقات بخطه سنة ١٥٠٣م وقد طالعتها مرات، والثانية قدمها بيِّن لكنَّها خلت من تاريخ نسخها لتمزق أولها وآخرها وفاتحته مترجمة عن السريانية: «بسم الله نأخذ في تدوين كتاب الإيمان المقدَّس الذي ألَّفه مارون المدعو يوحنا وكان بطريركاً على مدينة الله أنطاكية وسائر الشام وسورية وكان تأليفه بدير القديس مارون الطوباوي المتَّشح بالله». وفاتحة ترجمته العربية «بسم الله نبتدي نكتب إيضاح الإيمان المقدَّس اعتقاد البيعة الرسولية الذي كتبه القديس يوحنا بطريرك أنطاكية في دير مارون على نهر العاصي بلد حماه وحمص وأورد ذلك إلى جبل لبنان ولأجل يسموا أهل الجبل المذكور موارنة على اسم الدير، ويسمى يوحنا المذكور مارون هو أيضاً على اسم الدير».

قد علّق الناسخ السرياني على هذا الكتاب مقدِّمة قال فيها ما ترجمته: «لما أنشأ نسطور وأوطيخا الأبله المعتقد الذي فصم وحدة ربنا وجعل اختلاطاً وامتزاجاً بين طبيعتي ربنا الممجدتين والمتحدتين وطفق تلاميذ هذين المبتدعين يدافعون عن ضلالهما أخذ حينئذٍ يوحنا الذي سمي مارون يؤنبهم تونيباً متصلاً ويرد زعمهم بالشهادات القاطعة الآتي ذكرها، وكذلك فعل برده مزاعم تلاميذ انتيمس (وعلى الهامش قورش وهو بطريرك اسكندرى من أصحاب بدعة المشيئة الواحدة كأنتيمس) الذين كانوا يعتقدون مشيئة واحدة تبعاً لملوك ذلك الزمان ويوحنا نفسه أرسل هذا الكتاب إلينا». وقال السمعاني بعد ذكره هذه المقدِّمة: «لا امتري في أنَّ العبارة، وكذلك فعل برده مزاعم تلاميذ أنتيمس الخ قد أدخلها المترجم العربي

على الاصل لأنَّ يوحنا بطريركنا هذا لم يدافع عن بدعتهم كما جسر هذا المترجم أن يقول في ترجمته العربية ما نصّه بحروفه: « وعندما نهضت مقالة نسطور الجاعل في تأنس ربنا أقنومين ومن آخر يسمى أوطيخا قال إنَّ خاصّتي لاهوت الابن وناسوته تبلبلت واختاطت وصارت واحدة وعندما انقبل قولهم من كثيرين جعل يوحنا مارون يوضح بالبرهان ويردهم إلى الصدق من شهادات الكتب المقدَّسة الأنبياء والآباء. وأيضاً جعل شهادات ترد كثرة مقالات إخوتنا الملكيين أهل الراهب مكسيمس تلك المقالة التي جعلها على يد الملكيين مرقيان وأخيه باعتقاد مشيئتين » فقال السمعاني بعد إيراده هذا القول « ما هذه إلَّا أضغاث أحلام توما الكفرطابي فليس في كتاب يوحنا مارون كلمة في البحث عن مشيئتي المسيح بل هو برمته في رد مزاعم النساطرة وبدعة الطبيعة الواحدة مثبتاً أنَّ في أقنوم المسيح الواحد طبيعتين كاملتين وقد شهد البطريرك أسطفانس الدويهي الإهدني (في ك٢ من محاماته عن الموارنة » انَّ توما الكفرطابي إنَّما هو الذي ترجم هذا الكتاب إلى العربية وحرَّفه وأدخل عليه هذه العبارة وذلك بيِّن من النفس فإنَّ هذه العبارة هي بنفسها في كتاب توما المقسوم إلى عشر مقالات منفذاً إلى يوحنا بطريرك الملكيين، وهو معلَّق في آخر كتاب إيضاح الإيمان ليوحنا مارون، وقد أفرغ جهده بإيراد حجج واهنة ليؤيد بها بدعة المشيئة الواحدة طالع ما كتبه في شأنه نيرون الباني في كتابه افوبليا (سلاح) الإيمان صفحة ٦٩ ولا عجب من أنَّ توما المغوي ببدعة المشيئة الواحدة يحرف كلام يوحنا مارون ليخدع الموارنة باسمه، وقد بلغ من جهله أن يزعم خلافاً لكل تاريخ صحيح أنَّ مكسيمس المعترف ابتدع بدعة المشيئتين في المسيح في أيام مرقيان وأخيه الملكين (ومرقيان لم يكن له أخ شاركه في الملك وكان قبل ظهور بدعة المشيئة الواحدة بنحو من قرنين) وقد عزا الكفرطابي إلى سفريانس أسقف جبلة أيضاً كلاماً لم يقله ليخدع الناس ببدعته » انتهى كلام السمعاني وقد تابعه عليه لكويان (في مجلَّد ٣ من الشرق المسيحي صفحة ١٨) مبيناً تحريف الكفرطابي ومكره وترى في النسخة القديمة لهذا الكتاب في مكتبة بطريركيتنا أنَّ الأسقف جبرائيل اللحفدي ضرب بقلمه تلك العبارة وهي جعل شهادات كثيرة ترد مقالات إخوتنا الملكيين أهل الراهب مكسيمس » الخ. وكتب بخط يده « من هنا تبرهن أنَّ توما يعقوبي ».

أمَّا توما الكفرطابي هذا فقد روى لنا خبره البطريرك اسطفانس الدويهي (فصل

١٦ من كتاب تاريخ الموارنة ورد التهم) فقال إنَّ توما مطران كفرطاب الأراتيكي أتى لبنان سنة ١١٠٤م وأقام فيه ست سنين مجداً في إضلال الموارنة ببدعة المشيئة الواحدة كما يظهر من تأليفه الموسوم بالمقالات العشر رداً على يوحنا بطريرك الملكية الأنطاكي ولرغبته في خدعة الموارنة سمى نفسه مارونياً. وقد ذكره الأسقف جبرائيل اللحفدي القلاعي بقوله وهو بحروفه:

تبعهم توما من حاران من قصته الصدق يبان
في كورة حلب كان مطران وكرسيه ليس هو سمعاني[1]
قلت لي أنّه من مردين زدتني به رغبة ذا الحين
مردين مسكن الشياطين نسطور ويعقوب سكاني
قلت إنّه جاء لجبل لبنان شهدت أنّه جاب الطغيان

وقال الإهدني أيضاً إنَّ القلاعي عثر سنة ١٥٠٣م على كتاب المقالات العشر للكفرطابي فكتب عليه بخط يده: «إنَّ توما هذا ما كان مارونياً ولا كان للموارنة أسقف في كفرطاب وأنَّ جماعته اليعاقبة نفوه فسار إلى لبنان وأقرّ بالطبيعتين خدعة للموارنة ليضلّهم ببدعة المشيئة الواحدة» (وقد طالعت بنفسي ما خطّه القلاعي فإنَّ هذا الكتاب ما زال محفوظاً في خزانة بطريركيتنا) إلى أن يقول الإهدني إنَّ البطريرك يوسف الجرجسي والمطران أرسانيوس أسقف العاقورة ناصبا الكفرطابي فلم يغوِ بضلاله إلَّا الخوري فرشع في بلاد جبيل ونفراً قليلاً فعاد بخفي حنين نادباً سوء المنقلب، لكنّه ترجم في مدّة إقامته في لبنان كتاب الإيمان ليوحنا مارون فحرّف بعض عباراته وأدخل الزيادة المحكى، عنها وكذا فعل في كتاب القوانين للأسقف داود الماروني الذي سوف يأتي ذكره.

وقد ضمّن القديس يوحنا مارون كتابه هذا شهادات نحو من ثلاثين أباً من آباء الكنيسة الكاثوليكية وبعضهم شهادتين وثلاثاً وأكثر واستشهد أيضاً بأقوال المجامع ولاسيما الأربعة الأولى المسكونية لكنّه لم يستشهد المجمعين الخامس والسادس، أمّا الخامس فلأنّه لم يكن فيه ما يستعين به على إثبات مقصده لأنَّ كلّ ما كان في

---

(١) أي ليس هو ببطرسي أو كاثوليكي.

هذا المجمع إنّما هو تحريم الفصول الثلاثة وليس ثم ما يؤيد غرضه، وأمّا عدم استشهاده بالمجمع السادس فالأظهر فيه عند العلّامة السمعاني أنَّ يوحنا مارون كتب كتابه هذا قبل انعقاد هذا المجمع إذ كان أسقفاً أو كاهناً وتسميته بطريركاً في عنوان الكتاب المذكور إنّما كتبها الناسخ لا المؤلّف الذي لا إشارة في كتابه هذا إلى أنّه كان بطريركاً عندما كتبه.

أما نظراً إلى قدم هذا الكتاب فقد مرّ أنّ نسخة الفاتيكان كتبت سنة ١٣٩٢ للميلاد ونسخة مكتبة الأمة بباريس خطّت سنة ١٤٧٠ على أنّ العلّامة المستشرق الاب نو الافرنسي وجد دليلاً يتبيّن منه أنّ كتاب يوحنا مارون هذا كتب في نحو القرن السابع للميلاد. ففي جملة الشهادات التي أوردها يوحنا مارون في هذا الكتاب أربع شهادات من أقوال القديس افرام السرياني إحداها مأخوذة عن ميمر هذا القديس في التجسد يقول فيها إنّ في المسيح طبيعتين إلهية وبشرية. وقد نشر هذا الميمر المونسنيور لامي أحد أساتذة كلية لوفان بالبلجيك مأخوذاً عن كتاب في المتحف البريطاني خطّ في القرن العاشر وعن كتب مؤتى بها من الموصل فإذا ما استشهد به يوحنا مارون من هذا الميمر ساقط منه في نسخة المنسنيور لامي لكن المنسنيور لامي قد نبّه إلى أنّ هذا الميمر لعبت له أيدي اليعاقبة فأسقطوا منه كل ما يضاد بدعتهم ثم عثر الأب نو على رسالة من القديس يعقوب الرهاوي إلى شماس اسمه جرجس مصونة في المتحف البريطاني في عد ١٢١٧٢ فنشر الاصل السرياني مع ترجمته الافرنسية في المجلة الموسومة بالمشرق المسيحي سنة ١٩٠١ فالرهاوي يستشهد القديس افرام في ميمره في الميلاد طبق ما استشهده يوحنا مارون في كتابه ايضاح الايمان. ولما كانت رسالة الرهاوي هذه كتبها في أواخر القرن السابع أو أوائل الثامن وأورد بها قول القديس افرام كما أورده يوحنا مارون نحو ذاك الزمان نفسه. ولما كانت نسخ هذا الميمر المخطوطة بعد ذلك الحين تجدها محرفة ساقطاً منها كل ما يخالف اليعاقبة نتج الأب نو من ذلك النتائج الآتية: الأولى أنّ اليعاقبة حرّفوا هذا الميمر أو حذفوا منه ما يضادهم. الثانية أنّ يوحنا مارون عاش وكتب قبل تحريف الميمر المذكور بل إذ كان سالماً كاملاً كما استشهد به يعقوب الرهاوي ويوحنا مارون. الثالثة أنّ يوحنا مارون كان يستخدم كتباً لم يحرّفها القائلون بالطبيعة الواحدة بل كانت تخص جماعة كاثوليكية. وبالجملة إنّ يوحنا مارون وأتباعه كانوا كاثوليكيين.

قد خمن الأب نو أنّ اليعاقبة عاثوا بميمر القديس افرام المذكور بعد إفحام رهبان القديس مارون لهم بحضرة معاوية سنة ٦٥٩ كما سيجيء، إذ يظهر أنّ الرهبان الموارنة حجّوهم بقول القديس افرام إنّ في المسيح طبيعتين إلهية وإنسانية وهو نص صريح في نقض بدعتهم فعمدوا بعد ذلك إلى إسقاط هذا القول من ميمره المذكور.

كتابه في رد مزاعم اليعاقبة والنساطرة

أمّا كتابه في ردّ مزاعم أصحاب الطبيعة الواحدة فهو مثبت في الكتاب الرابع عشر من كتب الحاقلي بالمكتبة الواتيكانية بعد كتاب إيضاح الإيمان المذكور من صفحة ١٠٣ فصاعداً وفاتحته: «ثم نكتب شيئاً من الأبحاث رداً على أصحاب بدعة الطبيعة الواحدة في المسيح وهم من يزعمون أنَّ طبيعة كلمة الله البسيطة قد امتزجت واختلطت بطبيعة ناسوته فكانت فيه طبيعة واحدة» إلى أن يقول: «قولوا لنا أيُّها الإخوة الأبرار أنَّ هذه الطبيعة التي تعتقدونها بربنا من بعد الإتّحاد أهي مساوية للآب جوهراً أم غير مساوية» أمّا كتابه في رد مزاعم النساطرة فهو مثبت في كتب الحاقلي المذكور أيضاً صفحة ١١٤ وفاتحته «ثم نكتب قليلاً من كثير في رد مزاعم النساطرة» إلى أن يقول: «قال بولس الرسول إنَّ الله رضي عنا بموت ابنه».

رسالة في التريصاجيون

ويعزى إلى يوحنا مارون رسالة في التريصاجيون أي التقديسات الثلاثية قدوس الله، قدوس القوي، قدوس الذي لا يموت، عنوانها جواب على من يزعمون أنّنا نعزو الصلب إلى الثالوث الأقدس، إذ نزيد على التقديسات يا من صلبت لأجلنا. وهذه الرسالة مثبتة في كتاب الحاقلي المذكور صفحة ١٢٥ لكنها مكتوبة بخط يختلف عن خط باقي أجزاء هذا الكتاب. ولذلك ارتاب السمعاني في صحة نسبتها إلى القديس يوحنا مارون لوجهين: الأوّل لأنَّ الكتاب أردفها بمحاورة بين رجل سرياني ورجل رومي على هذه الزيادة ومؤلف تلك المحاورة غير معروف في

كتاب الحاقلي لأنَّه ممزَّق أو لأنَّه لم يكتب اسمه ، ولكن قد أنبأنا ابن العبري في كتاب ادبياته ان مؤلِّف هذه المحاورة إنَّما هو داود بن بولس من أساقفة اليعاقبة ، والبراهين الواردة في رسالة يوحنا مارون هي البراهين نفسها الواردة في المحاورة. والثاني أنَّ بعض ورقات الرسالة ساقط من الكتاب المذكور وفاتحة المحاورة ساقطة أيضاً فأدمج الكاتب الأثرين معاً، ثم إنَّ الغرض من الرسالة والمحاورة واحد والنتيجة واحدة هي أن يثبت الكاتب أنَّ السريان بزيادتهم يا من صلبت لأجلنا على التقديسات لا يعنون أقانيم الثالوث الأقدس بل أقنوم الابن الذي وحده تأنَّس وصلب، كما لا يعتقدون أن الأقانيم الثلاثة تجسَّدت هكذا لا يعتقدون أنَّها صلبت وإذا زادوا على التقديسات يا من صلبت يختصون بهذه الزيادة أقنوم الابن الذي تجسد. وقد نشر الأب نو الإفرنسي هذه المحاورة في جملة ما أشهره السنة ١٨٩٩م معنوناً كتب مارونية آخذاً إياها عن كتاب قديم في مكتبة باريس في عد ٢٠٣. ومهما يكن من أمر هذه الرسالة فليوحنا مارون فقرة من كتابه بهذا المعنى في شرح رتبة القداس (فصل ١٩) قال فيها: «إنَّنا نبيِّن لسؤالكم أيها الأبناء الأحباء هل ينبغي أن يترنَّم بالتقديسات مع الزيادة عليها يا من صلبت من أجلنا ومتى يترنَّم بذلك، فاعلموا أنَّ هذه التسبحة توجَّه تارة إلى الثالوث الأقدس وتارةً إلى أحد الأقانيم الإلهية فقط فإذا وجِّهت إلى الثالوث المسجود له لم يسغ البتة أن يلحق بها يا من صلبت، فانَّ هذا إنَّما هو ضلال بطرس بطريرك أنطاكية الملقَّب بالقصار الذي زعم أنَّ الثالوث صلب بجملة أقانيمه وأوجب الألم على طبع أسمى من كل ألم وهذا اثم يرجح على كل اثم ولذا حرم عدلاً وحطَّ عن كرسيه على أنَّ التسبحة توجَّه أحياناً إلى أحد أقانيم الثالوث وهو الإبن وذلك بيِّن في نوافير الرسل القديسين وآبائنا الأطهار الذين ذكرناهم آنفاً فمتى وجِّهت هذه التسبحة إلى الإبن فلا مانع أن يزاد عليها ذكر الآلام والصلب والموت والدفن والقيامة وباقي أسرار تدبير مخلِّصنا إذ لا مراء أنَّ الابن تألَّم وصلب ومات من أجلنا».

كتابه في الكهنوت

قال السمعاني (في مجلَّد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ٥٢٠) في جملة مؤلفات يوحنا مارون: «كتابه في الكهنوت مقسوماً إلى أربعين فصلاً وهو مثبت في

الكتاب ٦٤ من كتب الحاقلي بالمكتبة الواتيكانية وقد خطته يد الحاقلي نفسه ولم يبيِّن عن أيَّة نسخة كتبه. والمحقق عندي أنَّ هذا الكتاب ليوحنا أسقف دارا كما سأبيِّن عند الكلام فيه». وقال في المجلَّد الثاني من هذه المكتبة عند الكلام في الداراوي (صفحة ١٢٣) «إنَّ قدم الكتاب (أي كتاب الداراوي) الذي أطلعت عليه يثبت إثباتاً كافياً أنَّ ذلك الكتاب هو للداراوي لا ليوحنا مارون ومنه إثنان وثلاثون فصلاً مثبتة في الكتاب الذي خطَّه الحاقلي بيده وعزاه إلى يوحنا مارون» على أنَّه في كتابه الموسوم بفهرست الكتب القديمة المخطوطة في المكتبة الواتيكانية الذي شاركه في تأليفه ابن اخته المطران أسطفانس عواد السمعاني ذكر كتاب الكهنوت ليوحنا مارون في عد ١٠١ في جملة الكتب التي عزاها إليه وقال إنَّ يوحنا أسقف دارا وديونيسيوس بن صليبا أسقف آمد انتحلا منه أشياء كثيرة فكأنَّه رجع عن رأيه الذي قال به في المكتبة الشرقية ويؤيِّد ذلك قول يوحنا مارون في فاتحة كتابه في شرح رتبة القداس (الذي سنثبت صحة نسبته إليه) «بعد أن كتبنا في الكهنوت البيعي بإسهاب ... بقي علينا أن نكتب في الذبيحة غير الدموية» هذا وقد كان يوحنا الداراوي بعد يوحنا مارون وكان من عادة القدماء أن ينتحل المتأخِّر كلام المتقدِّم فأي العجب من أن يكون الداراوي انتحل كلام يوحنا مارون في كتاب سماه باسم كتابه وأن تكون تلك الفصول التي ذكرها السمعاني انتحلها الداراوي عن كتاب يوحنا مارون ولم يأخذها الحاقلي عنه ويعزوها إلى يوحنا مارون.

كتابه في شرح رتبة القداس

قال السمعاني (مجلَّد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ٥٢٠) في جملة تآليف يوحنا مارون «كتاب في شرح رتبة القداس وهو مثبت في الكتاب ٦٤ من كتب الحاقلي بعد كتابه في الكهنوت وقد خطَّه الحاقلي بيده وهو مقسوم إلى خمسين فصلاً واستشهد به نيرون الباني في كتابه الموسوم بسلاح الإيمان، والإهدني في محاماته عن الموارنة وكلاهما أخذا عن الحاقلي الذي كثيراً ما استشهد هذا الكتاب في حواشيه على قصيدة عبد يشوع الصوباوي، ولكن قد ظنَّ رينودوسيوس (في مجلَّد ٢ من كتابه في الليتورجيات الشرقية صفحة ٧٤) إنَّ الصحيح أنَّ هذا الكتاب هو لديونيسيوس بن صليبا وسوف أثبت بأدلَّة سديدة ظنَّه نظراً إلى هذه

المقالة الأخيرة عند كلامي في ابن صليبا». على أنّه يظهر أنَّ السمعاني عدل عن رأيه هذا لأنّه لمّا تكلّم في كتاب ابن صليبا في المجلّد الثاني من هذه المكتبة صفحة ١٧٦ لم يأت بشيء من الأدلة السديدة التي وعد بها في المجلّد الأوّل ولم يقل إنَّ كتاب يوحنا مارون في شرح رتبة القداس هو لابن صليبا بل عزا إلى ابن صليبا كتاباً موسوماً بهذا العنوان وقال ذكره الإهدني في فصل ٧ في مؤلفي النوافير من الهراطقة قائلاً: «ديونيسيوس هو يعقوب بن صليبا من ملطيني أسقف آمد له شرح لرتبة القداس أنفذه إلى اغناطيوس مطران بيت القدس سنة ١٤٨٠ يونانية (توافق سنة ١١٦٩ م) ليقاوم به الإفرنج الذين كانوا قد تملّكوا الأرض المقدّسة». إلى أن يقول السمعاني: «وذكره رينودوسيويس في المجلّد ٢ من كتابه في الليتورجيات الشرقية صفحة ٤٥٤ ونيرون في فهرست المؤلفين الذين ذكرهم في كتابه سلاح الإيمان. وفي المكتبة الواتيكانية نسخة له حديثة الخطّ وهي في عد ٣٦ من كتب الحاقلي، وجزء كبير من هذا التأليف الذي يعزوه السريان إلى ابن صليبا تراه كأنّه بألفاظه في المقالة التي عزاها الحاقلي إلى يوحنا مارون كما أشرت في المجلّد الأوّل صفحة ٥٢٠». والمطالع يرى أنَّ لاستشهاد السمعاني بالإهدني والباني إنّما هو ليثبت أنَّ لابن صليبا أيضاً كتاباً في شرح رتبة القداس لا ليعزو إليه كتاب يوحنا مارون، وقوله إنَّ جزءاً كبيراً منه في المقالة التي عزاها الحاقلي إلى يوحنا مارون يحتمل المعنى أنَّ ابن صليبا انتحل كلام يوحنا مارون عن أنَّ الجزء وإن كبيراً لا يطلق على الكتاب كلّه.

هذا وقد ذكر السمعاني في فهرست المجلّد الأوّل من مكتبته الشرقية صفحة ٥٧٨ في جملة كتب الحاقلي «عد ٣٦ شرح رتبة القداس لابن صليبا موجهاً إلى اغناطيوس أسقف اليعاقبة قاطني أورشليم خطّه يوسف الحصروني ابن خاطر سنة ١٦٤٦م». وفي صفحة ٥٨٠ «عد ٦٤ كتابان ليوحنا مارون: الأوّل في الكهنوت والثاني شرح رتبة قداس السريان مقسوماً إلى خمسين فصلاً صفحة ٢٤٩ خطّه الحاقلي». وقد صرّح بأنَّ كتاب ابن صليبا ينطوي على عشرين فصلاً فقط وذكر خلاصة كل منها مع ذكره أنَّ كتاب يوحنا مارون يُحوي خمسين فصلاً ثم أنَّ الأب بطرس مبارك الماروني اليسوعي علّق مقالتين على ترجمته لكتب القديس أفرام السرياني إلى اللاتينية، واستشهد بكتاب يوحنا مارون هذا مرات منها في صفحة ٨ و ٣٦ و ٤١ و ٤٨ و ٥٠، وكان السمعاني نفسه

الفاحص للمقالتين والمؤذن بطبعهما كما يظهر مما علّقه عليهما وكان بينهما إخاء، فكان على السمعاني لا أقل من أن ينبهّه إلى أخطائه بعزوه كتاباً يعقوبياً إلى أوّل بطاركة الموارنة. والمجلّد الأوّل من المكتبة الشرقية طبع سنة ١٧١٩م وإجازة السمعاني طبع مقالتي مبارك كان سنة ١٧٤٠م، ثم إنَّ يوسف لويس السمعاني ابن أخي السمعاني الشهير ألّف كتاباً في رتب القداس عنوانه codexliturgicus أي كتاب الرتبي، وأثبت كتاب شرح رتبة القداس ليوحنا مارون في المجلّد الرابع من تأليفه المذكور مترجماً من السريانية إلى اللاتينية، وقد أيّد بأدلّة قاطعة أنَّ هذا الكتاب ليوحنا مارون وطبعه في رومية سنة ١٧٥٢م بحضرة عمّه السمعاني، فلو لم يكن عمّه ارعوى عن رأيه لنهاه عن طبع كتاب لأحد اليعاقبة معزواً إلى بطريرك الموارنة. وقد أثبت البطريرك يوسف أسطفان (في كتابه في قداسة يوحنا مارون قسم ٣ فصل ٨) إنَّ كتاب شرح رتبة القداس هو ليوحنا مارون حقيقة مورداً لتحقيق ذلك حججاً دامغة.

ولنأتِ إلى القول الفاصل في هذا الجدال! قد عثرت في مكتبة بطريركيتنا على كتاب شرح رتبة القداس ليوحنا مارون، خطّه الخوري بطرس مخلوف (الذي صار بعداً أسقفاً على قبرص) سنة ١٦٧٠م في رومة فعارضته بالفقرات التي رواها السمعاني في كتاب ابن صليبا فألفيت الفرق بينهما أظهر من أن يبين، فكتاب ابن صليبا موجّه إلى اغناطيوس أسقف اليعاقبة في أورشليم ولا شيء من ذلك في كتاب يوحنا مارون، وكتاب ابن صليبا ينطوي على عشرين فصلاً وكتاب يوحنا مارون يشتمل على خمسين فصلاً، وفي كتاب يوحنا مارون أمور شتى لا يمكن أن يقولها ابن صليبا وفي كتاب ابن صليبا أمور شتى لا يمكن أن يقولها يوحنا مارون، منها قول يوحنا مارون في فصل ١٦: «وأوحد اللاهوت والنفس والجسد بالأقنوم الإلهي وشوهد بطبيعتين إلهية وبشرية». وقوله في فصل ١٩ في التقديسات: «إذا وجهت إلى الثالوث المسجود له لم يسغ البتة أن يزاد عليها يا من صلبت فإنَّ هذا إنَّما هو ضلال بطرس بطريرك أنطاكية الملقّب بالقصار ... ولذا حرم عدلاً وحطَّ عن كرسيه» وقوله في هذا الفصل: «كل من لا يعترف بأنَّ كلمة الله اتحاد جوهري بالجسد مع حفظ الطبيعتين الإلهية والبشرية خواصهما متّحدتين بأقنوم الكلمة الواحد دون اختلاط ... فليكن محروماً». وقوله في فصل ٢١ في تباع ديوسقورس «الذين زعموا في ربّنا طبيعة واحدة

فكيف يمكن أن يكون بطبيعة واحدة إنساناً وإلهاً مائتاً وغير مائت صانعاً ومصنوعاً خالقاً ومخلوقاً أزلياً وزمنياً». وقوله في هذا الرأس أيضاً: «حاشا أن نقول إنَّ ابن الله تألَّم وصلب ومات بطبعه الإلهي ... لكنَّه تألَّم وصلب ومات بالجسد». وأمثال ذلك كثيرة مما لا يمكن ابن صليبا أن يقوله لأنَّه نقض صريح لمذهبه. وممَّا قاله ابن صليبا ولا يمكن يوحنا مارون أن يقوله قوله في فصل ٦: «يلزم أن تكون البرشانات وتراً لا شفعاً إلَّا الإثنتين». وقال يوحنا مارون فصل ١٨ مفنداً هذا الضلال: «أمَّا نحن فنقول إنَّه يجوز للكاهن أن يقدِّم ما أراد من البرشانات وتراً أو شفعاً». وقال ابن صليبا في فصل ٦ أيضاً «يتألَّف خبز الأسرار من القمح سر المياه ومن الخمير سر الهوى ومن الملح سر الأرض ومن الزيت سر النار هاك الإستقصات الأربع». وقال يوحنا مارون في فصل ١٦: «إنَّ الخبز المقدَّم على المذبح يلزم أن يكون من القمح ولا شيء غيره». وقال ابن صليبا فصل ٧ «رتب الرسل ما كتب في القانون أنَّ القربان يرفع على المذبح يوم خبزه لا بعد يوم فهذا لا يجوز». وأسهب الكلام في فصل ١٤: «إنَّ القديس يتم بكلمات الرب ودعوة الروح القدس». واستشهد في فصل ١٦ «ساويرس البطريرك المسكوني» إلى غير ذلك ممَّا لا يمكن أن يقوله يوحنا مارون أو ممَّا صرَّح بتفنيده. وعليه فلا يبقى محل للإرتياب في أنَّ كتاب يوحنا مارون غير كتاب ابن صليبا الذي كان في أواخر القرن الثاني عشر قد انتحل بعض كلام يوحنا مارون الذي كان في القرن السابع على عادة القدماء، فلا مرية إذاً في أنَّ كتاب شرح رتبة القداس إنَّما هو ليوحنا مارون، وإذا ثبت ذلك رجح أن لم نقل ثبت أنَّ الكتاب في الكهنوت أيضاً لهذا البطريرك إذ قال في مطلع كتاب الشرح المذكور: «بعد أن تكلَّمنا في الكهنوت بقي أن نتكلَّم في الذبيحة غير الدموية» كما مرَّ. طالع كتابنا روح الردود من صفحة ١٨٨ إلى صفحة ٢٠٣ من طبعة بيروت.

وهذا ما جاء به العلاَّمة يوسف لويس السمعاني في إثباته أنَّ هذا الكتاب ليوحنا مارون قال (مجلَّد ٥ في المقدمات صفحة ٦١) في المكتبة الواتيكانية: الكتاب الرابع والستون خطَّته يد ابراهيم الحاقلي موضوعه الكهنوت مشتملاً على أربعين فصلاً وملحقاً به كتاب شرح رتبة القداس مقسوماً إلى خمسين فصلاً وشرح رتبة القداس هذا ذكره مرهج بن نيرون سالفي (في التعليم بمدرسة السابيانسا برومة) في كتابه سلاح الايمان صفحة ١١٦ واستشهد به اسطفانس الدويهي

بطريرك الموارنة في ردّ التهم الذي لم يطبع بعد. على أنّ رينودوسيوس ظنّ في المجلد الثاني في الليتورجيات صفحة ٧٤ أنه تأليف ديونيسيوس بن صليبا وجاراه عمي السمعاني على رأيه ناسباً كتاب الكهنوت إلى يوحنا أسقف دارا وكتاب شرح رتبة القداس إلى ابن صليبا (المكتبة الشرقية مجلّد ٢ فصل ١٨ و ٣٢) لكنني مع احترامي لهما أقول إنّ براهينهما التي اعتمدا غليها في إنكار كتاب شرح القداس على يوحنا مارون هي واهنة. فبرهان رينودوسيوس هو أنه ما أحد يعرف أنّ هذا الكتاب ألفه يوحنا مارون إلا الموارنة في هذه الأعصار وبرهان السمعاني أنّ في كتب الداراوي وابن صليبا بعض كلام يوحنا مارون بنفسه.

على أنني لا أرى أنّ هذه البراهين تثبت مدعاهما وإن سلّمت بما أورداه فلا ينتج منه ما قصدا أن يثبتاه وانتقد أولاً تقدير رينودوسيوس وافتراضه فأقول إنّ الصمت عن ذكر كتاب لا يصلح برهاناً لإنكاره إلا أن تؤيد ذلك قرائن قوية تجعل السلب إيجاباً. فبرهان رينودوسيوس السلبي لم يثبت ولن يثبت قطعاً مدعاه وأي عجب من أن يخفى كتاب يوحنا مارون هذا ولا يعرفه إلا الموارنة ولم يكتب ولم يوجّه إلا إلى الموارنة وحدهم والسواد الأعظم منهم قاطن بلبنان ولا موجب لنشره على غيرهم وأما تقدير عمي السمعاني فأراه ضعيفاً أيضاً أن يثبت أنه لا يمكن اتفاق مؤلفين على رأي واحد، وهذا لا يمكن إثباته بل كما يمكن اتفاق مؤلفين على رأي واحد يمكن اتفاقهما على التعبير عنه بألفاظ واحدة. والعادة المألوفة عند الشرقيين هي أنّ الكاتب الحديث ينتحل آراء من تقدّمه وألفاظه أيضاً إن لاءمت مقصده. وإذا ثبت ذلك انتقض تقدير عمي الذي هو أعلم الناس بهذه العادة عند المؤلفين الشرقيين وأنا عرفتها خاصة من الكتب التي جمعها من المشرق وعلّق عليها الشروح الضافية ثم إنّ يعقوب أسقف تكريت جمع شرحاً للرتب والصلوات أشبه بشرح ابن صليبا لرتبة القداس والتكريتي كان بعد ابن صليبا بقرن كامل. وقد طالع عمي بلا بد كتاب الكنوز الذي في المكتبة الواتيكانية. وفي القسم الثاني منه ما هو أشبه بشرح ابن صليبا لرتبة القداس فلِمَ لم يعزُ أحد هذين الكتابين إلى ابن صليبا؟

ذكرت ما مرّ مفترضاً أنّ شرح يوحنا مارون وشرح ابن صليبا واحد بألفاظهما لكن هذا الافتراض غير صحيح وعمي يعلم ذلك حقيقة. فإنّ شرح ابن صليبا يختلف عن شرح يوحنا مارون أولاً بأنّ شرح ابن صليبا موجّه إلى اغناطيوس

مطران أورشليم من أصحاب الطبيعة الواحدة ليردّ به على الإفرنج الذين كانوا حينئذٍ ببيت المقدس وعلى الروم وغيرهم. ويثبت خلافاً لهم بشهادة الليتورجية السريانية وطقوس اليعاقبة (طالع المكتبة الشرقية مجلّد ٢ صفحة ١٧٧). والحال أنّ شرح يوحنا مارون لا شيء فيه من ذلك كما ترى في هذا الشرح المعلّق على هذا المجلّد. ثانياً أنّ شرح ابن صليبا مقسوم إلى عشرين فصلاً وشرح يوحنا مارون يشتمل على خمسين فصلاً. ثالثاً أنّ شرح ابن صليبا يثبت استعمال الخبز الخمير وينبذ الفطير وشرح يوحنا مارون يثبت الخلاف. رابعاً أنّ ابن صليبا ينقض كلامه بكلامه لجهة دعوة الروح القدس ويعزو إليها الفاعلية في التقديس (طالع كلام السمعاني صفحة ١٩٥) ولا شيء من ذلك في شرح يوحنا مارون. فهذه وكثير غيرها تبيّن جلياً أنّ لكل من الشرحين مؤلفاً وليس المؤلف واحداً.

وزد على ذلك أنه يظهر أنّ الشرحين لم يكتبا في زمان واحد. فشرح يوحنا مارون يظهر أنه كتب في صدر الإسلام وفيه إشارة إلى ذلك مع أنّ ابن صليبا كان في القرن الثاني عشر ولنا أدلة أخرى على أنّ هذا الكتاب ليوحنا مارون منها: أنّ نسق عباراته وألفاظه تطابق عبارات يوحنا مارون في الكتب التي لا يمتري السمعاني في نسبتها إليه، ومنها أنه يلزم أن يحكم شرعاً بهذا الكتاب ليوحنا مارون لأنه لا يمكن أن يعيّن لنه بتوكيد مؤلف آخر ولا أن يعيّن زمان كتب فيه غير زمان يوحنا مارون. فالكتاب له شرعاً وما قلناه إلى الآن يكفي مؤونة الإثبات لتقليد الموارنة في هذا الشأن.

عد ١٥

هل كتب يوحنا مارون شيئاً في بدعة المشيئة الواحدة

قال السمعاني (مجلّد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ٥١٠) هل كتب يوحنا مارون شيئاً في مشيئتي المسيح؟ لا اجترئ أن أقطع بذلك فإني لم أرَ له إلى الآن مقالة في هذا الصدد ويظهر في إيضاح الإيمان الذي أنفذه إلى اللبنانيين أنّه لم يتكلّم قط في هذا البحث ولو كان قد كتب شيئاً يؤيّد هذه البدعة لالفيناه بلا مراء في هذا الكتاب الذي ترجمه توما الكفرطابي إلى العربية وحرّفه، بل لكان توما المذكور استشهده في كتابه الذي أنفذه إلى يوحنا بطريرك الملكيين (الأنطاكي) ليدافع عن

بدعة المشيئة الواحدة حيث أسهب في كلامه على الموارنة والملكية، وبعكس ذلك أنَّ يوحنا مارون لو كان قد فنَّد بدعة المشيئة الواحدة لتعقبه توما وندَّد به ولا أقل من أن يغتابه كما اغتاب القديس مكسيمس، ولوجد له في إيضاح الإيمان ما يؤنبه عليه لقوله في المسيح مشيئتين، ولو قال شيئاً من ذلك لاستشهد به علماء الموارنة والباني والحاقليّ وابن القلاعي وغيرهم من القدماء ليبرئوا أمَّتهم من بدعة المشيئة الواحدة. وبما أنَّني لم أجد أحداً فعل كذلك أرجِّح أنَّ يوحنا مارون لم يكتب شيئاً في هذا البحث. وقد أورد الباني في مقالته في أصل الموارنة ودينهم وباجيوس في تاريخ سنة ٦٣٥م فقرة من كتاب يوحنا مارون في شرح رتبة القداس قال فيها: «قد كتبنا بإسهاب في هذه الأمور وأثبتنا بشهادات آبائنا الأولين في كتابنا الذي أنفذناه إلى محبتكم رداً على من خلطوا طبيعتي ربنا ومشيئتيه». على أنَّه وإن ثبت أنَّ هذا الكتاب ليوحنا مارون (وسأبيِّن رأيي فيه) فالأظهر عندي أنَّ هذه الفقرة زادها عليه كاتب حديث لأنَّنا لا نرى يوحنا مارون كتب في إيضاح الإيمان شيئاً يثبت المشيئتين، وقلّ مثل ذلك في كل ما أورده الباني في مقالته المذكورة من أقوال يوحنا مارون ولِمَ لم يكتب يوحنا مارون شيئاً في هذه البدعة. فالذي أراه إمَّا أنَّه كتب قبل انتشارها، وإمَّا أنَّ اللبنانيين الذين كتب إليهم لم يكونوا يبالون بهذه البدعة بل كان كل جدالهم للنساطرة واليعاقبة في وحدة أقنوم المسيح وطبيعتيه وبدعة المشيئة الواحدة فرع لبدعة الطبيعة الواحدة. (كما مرَّ) فاعتقد أنَّ تفنيده بدعة الطبيعة الواحدة هو تفنيد أيضاً لبدعة المشيئة الواحدة وقد يكون كتب إيضاح الإيمان وهو راهب قبل أنْ تشتهر هذه البدعة ويحرمها المجمع السادس» انتهى كلام السمعاني ملخصاً.

على أنَّ البطريرك يوسف أسطفان قد أثبت (في كتابه في قداسة يوحنا مارون قسم ٣ فصل ٧ وما يليه) رأي السمعاني أنَّ يوحنا مارون لم يدافع عن بدعة المشيئة ولكن تعقبه في قوله إنَّه لم يكتب شيئاً يدحضها به، مبيناً أنَّ السمعاني لم يقطع بصحة رأيه بل عبَّر عن ذلك بقوله يظهر، ولا اجترئ على القطع بذلك وأرجح. ثم أخذ في نقض أدلته وأولها أنَّه لو كتب يوحنا مارون رداً على بدعة المشيئة الواحدة لهجاه توما الكفرطابي كما هجا القديس مكسيمس، فيجيب البطريرك يوسف أسطفان أنَّ توما الكفرطابي كان يدَّعي أنَّه ماروني ويعزو القول بالمشيئة الواحدة إلى يوحنا مارون، فكان يخالف غرضه أن يهجو يوحنا مارون ويقرعه كما قرع مكسيمس وهذا بين بديهي وثانيها أن ليس من كتاب إيضاح

الإيمان إشارة إلى تفنيد يوحنا مارون هذه البدعة، فردَّ البطريرك يوسف اسطفان هذا الدليل بأنَّ توما الكفرطابي تلاعب بهذا الكتاب فأسقط منه العبارات التي تدل على هذا التفنيد وأنَّ نسخته التي كانت بيد السمعاني هي التي خطَّها الحاقلي كما صرَّح السمعاني، ويوسف قد نسخها عن الكتاب الذي عبث وعاث فيه توما الكفرطابي، وهذه النسخة نفسها كانت بيد ابراهيم الحاقلي وبيد مرهج بن نيرون الباني فلا عجب من أنَّهما لم يستشهدا بكلام يوحنا مارون في دحض هذه البدعة لأنَّ الكفرطابي كان قد كشط منها ترويجاً لغرضه كل ما يدل على ذلك. وقال لكننا نعرف نسخاً أخرى من هذا الكتاب لم تزل باقية إلى اليوم فقد ذكر البطريرك أسطفانس الدويهي (في القسم الثالث من كتاب احتجاجه عن الموارنة) نسختين من هذا الكتاب ونسخة في خزانة مدرسة الموارنة في رومة وأخرى في بطريركية الموارنة ونسخة عند المطران أرسانيوس عبد الأحد مطران دمشق وقد كتبها جبرائيل القلاعي في بيروت على ورق سنة ١٤٩٨م. ففي أكثر هذه النسخ ترى يوحنا مارون قال: ܘܐܝܬ ܗܘܐ ܠܗ ܬܪ̈ܝܢ ܟܝ̈ܢܐ ܠܡܫܝܚܐ ܐܠܗܝܐ ܘܒܪܢܫܝܐ ܕܐܝܬ ܠܗܘܢ ܨܒܝ̈ܢܐ ܘܡܥܒܕܢܘ̈ܬܐ ܬܪ̈ܬܝܢ ܓܡܝܪ̈ܬܐ ܐܝܟ ܕܟܬܝܒ ܒܗܘܢ أي وكان له (للمسيح) طبيعتان إلهية وبشرية لهما مشيئتان وفعلان كاملان كما كتب فيهما» (وفسَّر الدويهي هذه الجملة الأخيرة بقوله كما كتبنا فيهما) وقال في محل آخر من هذا الكتاب في المسيح: «له مثلنا نفس ناطقة عاقلة وله مشيئة خصوصية علة فاعلة طبيعية لجميع ما يشاء والذي كان يتألَّم مثلنا كان له كما لنا أفعال خصوصية طبيعية وبشرية». وهذا صريح بأنَّ المسيح كان فيه طبيعتان ومشيئتان وفعلان، ثم أنَّ كثيراً من الشواهد التي ذكرها يوحنا مارون في إيضاح الإيمان ينتج منه انّ في المسيح فعلين ومشيئتين، من ذلك شهادة القديس يوستينس الشهيد التي قال فيها «كما أنَّ الإنسان واحد وله طبعان مختلفان يفتكر بأحدهما ويعمل بالآخر ما افتكر به ... هكذا المسيح هو ابن واحد له طبيعتان بإحداهما يفعل المعجزات وبالأخرى يقاسي الآلام، فبما أنَّه من الآب هو إله صانع الآيات، وبما أنَّه من العذراء هو إنسان قاسٍ لأنَّه أراد الصلب والآلام وما أشبه بطبعه البشري ... فمقابلة الأفعال ببعضها تبيِّن الإختلاف بينها». فهذا نص صريح في إثبات الفعلين في المسيح.

وقد جاء في فاتحة كتاب إيضاح الإيمان بالسريانية أنَّ يوحنا لم يناصب النساطرة واليعاقبة فقط بل أصحاب المشيئة الواحدة أيضاً إذ قيل هناك: « وكذلك فعل برد مزاعم تلاميذ أفتيمس (أو قورش) بطريرك اسكندرية الذين كانوا يعتقدون مشيئة واحدة تبعاً لملوك ذلك الزمان». قلنا إنَّ السمعاني قال إنَّ هذه العبارة أدخلها المترجم العربي على الأصل السرياني لأنَّ يوحنا مارون لم يفه بكلمة في بدعة المشيئة الواحدة ، لكنَّه قال أيضاً إنَّ الكفرطابي هو الذي ترجم هذا الكتاب إلى العربية وعبث به على أنَّ الكفرطابي لا يدخل هذه العبارة المخالفة لزعمه وهي واردة بالأصل السرياني لا بالترجمة العربية . ولم يؤيد السمعاني كلامه هذا بغير دعواه وهي أنَّ يوحنا مارون لم يكتب شيئاً في هذه البدعة وهو موضع البحث فلا يصلح أن يكون كلامه حجة له. وقد أثبت البطريرك يوسف أسطفان أنَّ هذه العبارة مثبتة في نسخ كثيرة غير نسخة السمعاني ولاسيما في الأصل السرياني، وأورد لإثبات رأيه أدلة أخرى كثيرة منها أنَّه جاء في ترجمة يوحنا مارون في سنكساري الموارنة ما نصّه: « فصوب الطوباوي يوحنا مارون رأي علماء الكنيسة الرومانية وألَّف مقالة أثبت فيها المشيئتين والفعلين بربنا من الكتب المقدَّسة والأدلَّة اللاهوتية ». ومنها أنَّ هذا التقليد كان مستمراً عند الموارنة، ومنها أنَّ يوحنا مارون في كتابه شرح رتبة القداس الذي أثبتناه له في العدد السالف قال في الفصل الحادي والعشرين منه ما ترجمته: « وقد تمصَّل بهؤلاء (أي تباع ديوسقورس) من بلبلوا مشيئتي ربَّنا وفعليه وعزوا ما قاله الآباء عن وحدة الإرادة والقوة والسلطان في الثالوث الأقدس إلى سر تدبيره الخلاصي وخلطوا ما بين البسيط والمركب، على إنَّنا لما كنَّا كتبنا في هذه الأمور بإسهاب وحقَّقنا بشهادات آبائنا الأطهار التي جمعناها في كتابنا نقضاً لزعم من يبلبلون طبيعتي ربَّنا ومشيئتيه ويخلطون خواصه وأرسلنا كتابنا إلى محبتكم فلنعد الآن إلى ما كنا في صدده » وقال في الفصل التاسع عشر من هذا الكتاب: « كل من لا يعترف ويقول إنَّ ربَّنا اتَّحد بالجسد اتحاداً جوهرياً حفظت فيه طبيعتاه بخواصهما الإلهية والبشرية في أقنوم الكلمة الواحد متميزتين بالإتِّحاد ومتَّحدتين بالتمييز بلا اختلاط ولا امتزاج فليكن محروماً، لأنَّه قاص عن الإيمان القويم وظلوم للحق ». وقال في الفصل الثالث والثلاثين من هذا الكتاب: « حاربها قديماً سيمون الساحر فسقط من الجوّ، حاربها آريوس فأفرت كرشه، حاربها مكدونيوس مجدفاً على الروح القدس فطرح من كرسيه، حاربها نسطور

مجدفاً على العذراء والدة الله فتهرَّأ لسانه وانتن، حاربها ديوسقورس الإسكندري وبلبل مع اوطيخا طبيعتي ربِّنا ، وحاربها قورش الإسكندري وأتباعه وبلبلوا مشيئتي ربِّنا وفعليه فبادوا وتبدَّدوا كالدخان في ما زالت ثابتة حتى انقضاء العالم لأنَّها مبنية على صخرة لا تتزعزع كما وعدها ربنا » وذكر البطريرك يوسف أسطفان بعض ما ذكرناه في إثبات كتاب شرح رتبة القداس ليوحنا مارون واسترسل هذا البطريرك العلاَّمة في كلامه إلى إيراد حجج أخرى عدلنا عن ذكرها حباً بالإيجاز إلى أن قال ماذا يا ترى جرى على كتاب يوحنا مارون في المشيئتين والفعلين في المخلِّص، وأجاب أن تقادم الدهر وما شنَّ من الحروب وما أصاب الموارنة من إتلاف كتبهم وتحريف بعضها وإخفاء بعضها حرمتنا وصول هذا الكتاب إلينا كما حرمنا من التوصُّل إلى كتب كثيرين من الآباء مع علمنا بها ولاسيما في الأعصر التي لم تكن فيها المطابع. ومن شاء زيادة في البيان فليطالع كتاب المحاماة عن الموارنة المطبوع حديثاً حيث يجد كتاب البطريرك يوسف أسطفان المذكور برمته وعندي نسخة من هذا الكتاب قد استنسختها في رومة سنة ١٨٩٣م عن نسخة في مدرسة الرهبان الموارنة الحلبيين وهي أصح من النسخة المطبوعة ولاسيما في الفقرات السريانية التي انسربت بها أغلاط .

وإنَّ حق لمثلي أن يبدي رأياً في هذا الجدال بين هذين الجهبذين العلامتين السيد السمعاني والبطريرك يوسف أسطفان قلت يظهر لي أنَّ حجج البطريرك ترجِّح على ما ذكره السيِّد السمعاني من الأدلَّة بل تبطلها ولا أقل من أن تضعفها كثيراً، وليس من المعقول أنَّ يوحنا مارون وقد ناصب بدعتي نسطور وأوطيخا لم يكتب شيئاً في بدعة المشيئة الواحدة وكانت السائدة في أيامه، وقد تسكَّع بها مكدونيوس ومكاريوس بطريركا أنطاكية وعقد المجمع السادس لنبذها وحرمها، وقد شهد البابا بناديكتس الرابع عشر أنَّ يوحنا مارون أقيم لوقاية الموارنة من فسادها ولاسيما إني موقن اعتماداً على ما قلته آنفاً بأنَّ كتاب شرح رتبة القداس إنَّما هو ليوحنا مارون، وقد رأيت أقواله فيه وتصريحه بأنَّه كتب ضد هذه البدعة وأدلَّة السمعاني الثلاثة سلبية وهي عدم هجو الكفرطابي ليوحنا مارون، وعدم استشهاد الباني والحاقلي بكلامه وعدم وجود ما يستدل به من كتابه بأنَّه كتب ضدَّ بدعة المشيئة الواحدة وردّ البطريرك على هذه الأدلة سديد وكأنَّه قاطع إذ قال في الرد على الأوَّل أنَّ الكفرطابي ادَّعى أنَّه ماروني فلا يوافق غرضه أن يهجو يوحنا مارون. وقال في

الثاني إنَّ الباني والحاقلي اعتمدا على نسخة حذف الكفرطابي منها كل ما يمكن أن يستشهد به. وقال في الثالث إنَّ السمعاني أيضاً اعتمد على هذه النسخة المعثو بها فلم يجد فيها ما يستدل به . فهذه خلاصة الكلامين وأظنُّ كلَّ متبصِّر منصف يرى ما رأيت وأيّ عجب من علامة كالسمعاني لا يصيب في أمر فلله الكمال

ومن ذا الذي ترضي سجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تعدَّ معائبه

وما تسامى به العلّامة السمعاني نزاهته عن التعصّب فلا يصرفه عما يراه حقاً حب أمته أو وطنه، وأعظم شاهد لذلك اراؤه هنا في كتب يوحنا مارون في الكهنوت وفي شرح رتبة القداس وفي الرسالة وفي التقديسات، ونفيه كتابه في رد بدعة المشيئة الواحدة. فكذا كذا فليكن العالم والكاتب قدرنا الله أن نكون كذلك .

عد ١٦

قداسة يوحنا مارون

قد أفرد ، المطران اسطفانس عواد السمعاني (ابن أخت السيِّد السمعاني الشهير كتاباً لإثبات قداسة يوحنا مارون دوَّنه في اللغة الإيطالية وطبعه في رومة سنة ١٧٦٩م، وترى ترجمة عربية له في الكتاب الموسوم بالمحاماة عن الموارنة وقديسيهم والمطبوع هذه السنة ١٨٩٩م. وكذلك أفرد البطريرك يوسف أسطفان كتاباً آخر لهذا الغرض نفسه كنا قد استنسخناه عن نسخة في رومة سنة ١٨٩٣م وقد طبع الآن في كتاب المحاماة المذكور. والداعي لتأليف هذين الكتابين هو ما ذكره مؤلفاهما أنَّ بعض إخواننا الملكيين الكاثوليكيين شرعوا سنة ١٨١٥م يذيعون بين العامة أنَّ القديس مارون الرئيس أبا الطائفة المارونية ليس بقديس حقيقة بل تحتمل الكنيسة الرومانية الموارنة يعتدونه قديساً، فشق هذا الأمر على الموارنة ورفع بعض رؤسائهم عريضة إلى الكرسي الرسولي يشكون من هذا التجني ويبينون ما لهم من المستندات في قداسة مارون الرئيس، فوكَّل الكرسي الرسولي إلى بولس ماريا لوشيني (الذي صار بعداً كردينالاً) الفحص عن هذا الأمر فرفع إلى الكرسي الرسولي حكمه بعد الفحص ومما قاله فيه: «إنَّ قداسة القديس ماروَن ثابتة وإن لم

تكن فيها براءة رسمية ككثيرين غيره من أصفياء الله في القرون الغابرة وإن وضعت قداسته تحت الريب اتّسع المجال لإنكار قداسة كثيرين من الآباء والنساك والأبرار» فخمد سعير الخصومة لكنه لم يطفأ فإنَّ بعض الملكيين الكاثوليكيين حملوا بطريركهم كيرلس تاناس سنة ١٧٥٠م على تمزيق صورة للقديس مارون مطبوعة في رومة مدعياً تبعاً لزعم سعيد بن البطريق أنّه مبتدع. وبلغت أخبار هذه الأحداث البابا بناديكتس الرابع عشر فكتب منشوراً إلى نيقولاوس لاركاري كاتب مجمع نشر الإيمان المقدّس مؤرخاً في ٢٨ أيلول سنة ١٧٥٣ يثبت به قداسة القديس مارون ويبرئه من تهمة البدعة ويؤنب البطريرك كيرلس على فعلته وسوف نثبت ترجمة هذا المنشور برمته. وكان يرجى أن يسد باب المناظرة بحكم الكرسي الرسولي بهذا البحث إلّا أنَّ أصحاب تلك الضغائن لما ضاق ذرعهم عن التشبث باتّهام القديس مارون الرئيس ورأوا أنّهم يعيدون له في ١٤ شباط عدلوا عنه إلى اتّهام القديس يوحنا مارون بطريرك الموارنة الأوّل بما كانوا قد اتّهموا به القديس مارون وكتب أحد كهنتهم بحلب سنة ١٧٦٥م رسالة باسم طائفته إلى السيّد أرسانيوس شكرى مطران الموارنة بحلب. ومما قاله فيها: «إنَّ الملكية لا يريدون أن يكرموا مارون آخر غير مارون الرئيس الذي كتب ترجمته توادريطس، أمّا يوحنا مارون فيعدونه من القائلين بمشيئة واحدة وفعل واحد في المسيح ما لم يعترفه الحبر الروماني قديساً ويعلن قداسته بمنشور رسولي، واتبع ذلك بكثير من الطعن على الموارنة وبالغض من كرامة المطران أرسانيوس وكتب مثل ذلك إلى مجمع نشر الإيمان المقدّس. وعقد الملكيون مجمعاً في حلب حضره رؤساؤهم ورؤساء السريان والأرمن واستدعوا إليه رؤساء المرسلين اللاتينيين واليسوعيين والفرنسيسيين والكرمليين والكبوشيين وبعض علماء الموارنة فقضى من شهدوا المجمع بالإتّفاق أنَّ يوحنا مارون قديسٌ يحق له الإكرام الذي يقدمه له الموارنة إلّا الملكيين فإنّهم كابروا وأبوا الإذعان، وما انفكوا عن مثالبهم فكان هذا الداعي الذي حمل المطران أسطفانس عواد السمعاني وهو في رومة إلى تدوين كتابه في قداسة يوحنا مارون وتبرئته وتبرئة الموارنة من وصمة بدعة المشيئة الواحدة. وكذلك حمل البطريرك يوسف أسطفان أن يكتب إلى رئيس مجمع نشر الإيمان رسالة باسمه وباسم أساقفته ويردفها بكتابه في يوحنا مارون. فالكرسي الرسولي بعد التروّي والتحقيق على عادته أثبت رأي الموارنة، وأكبر شاهد لذلك منح البابا بيوس السابع في ٣٠ كانون الثاني

سنة ١٨٢٠م غفراناً كاملاً لجميع المؤمنين الذين يزورون كنيسة القديس يوحنا مارون في مدرسة كفرحي يوم عيده في ٢ آذار كل سنة، ثمَّ مد هذا الغفران إلى جميع كنائس الأمة المارونية في منشوره في ٢٧ أيار سنة ١٨٢١م وسوف نثبت ترجمة المنشورين. وعن الكتابين المذكورين نأخذ نحن ما سنذكره في هذا الصدد بما يمكن من الإيجاز.

فقد استشهد البطريرك يوسف اسطفان لقداسة يوحنا مارون أولاً علماء الموارنة وهم جبرائيل القلاعي أسقف نيكوسية بقبرص الذي أخذ سنة ١٤٩٥م ترجمة يوحنا مارون عن كتاب قديم عثر عليه وضمها إلى كتابه إلى القس جرجس بن بشارة المار ذكره وقد ترجم الأب كواريسمس الفرنسي هذه القصة من العربية إلى اللاتينية، ونشرها في مؤلفه في وصف الأرض المقدَّسة، ثم البطريرك أسطفانس الدويهي وقد أخذ ترجمة يوحنا مارون عن كتاب قديم أطلعه عليه القس مخائيل المطوشي قيل فيه: «قد كان رأس الأمة المارونية اسمه يوحنا وكان رجلاً فاضلاً عالماً صالحاً مزيناً بكل الفضائل والمحامد». ثم مرهج بن نيرون الباني وقد أخذ ترجمة يوحنا مارون عن كتاب رآه عند الخوري يوحنا الرزي خوري بيروت ثم السمعاني الشهير وقد رأيت ترجمة يوحنا مارون مأخوذة عنه وقد انتحل كلامه برمته الأب مخائيل لكويان في كتابه الموسوم بالشرق المسيحي (مجلَّد ٣ في بطاركة الموارنة). واستشهد هذا البطريرك لذلك أيضاً بترجمة يوحنا مارون في سنكسارى الموارنة وقال إنَّ منه نسختين قديمتين بالعربية والأحرف الكرشونية في مكتبة الواتيكان في عد ٢٧ و ٢٨ وفيها أخباره التي رويناها في ترجمته عن أصله وعلومه وترهبه وأسقفيته وبطريركيته وجهاده ومناضلته المبتدعين ولاسيما أصحاب المشيئة الواحدة، واستشهد أيضاً بالمقدِّمة المعلقة بالعربية واللاتينية على طبعة كتاب قداس الموارنة سنة ١٧١٦م بعد أن فحصت ورخص بطبعها حيث ثناء وافر على هذا البطريرك وقداسته وحيث طبع نافور القداس الذي ألَّفه معنوناً نافور القديس يوحنا مارون البطريرك الأنطاكي.

ثم أخذ هذا البطريرك في القسم الثاني يخص بيوحنا مارون ما أثبت البابا بناديكتس الرابع عشر في المجلَّد الثاني من تأليفه في تطويب القديسين أنَّه لازم في التطويب وهو العيد المشهور الإحتفالي وحفظ صورة المطوّب في الكنيسة بين صور القديسين والذكر له في الرتب البيعية والقداس في يوم انتقاله وتعارف الناس إياه طوباوياً وقديساً، وأفرد لكل منهما فصلاً فقال في الأوَّل إنَّ الكنيسة المارونية قد

عيّنت من أقدم الأيام اليوم التاسع من شهر شباط عيداً للقديس يوحنا مارون كل سنة كما يظهر من فهرست الأعياد السنوية المعلّق على كتب القداس وكتب الفروض وخصَّ بالذكر الفهرست المعلّق على كتاب الشحيم الذي طبع في رومية سنة ١٦٢٤ وسنة ١٦٤٧م بعد أن دقّق النظر فيه بأمر الأحبار الرومانيين بولس الخامس وغريغوريوس الخامس عشر وأدريانس الثامن وجماعة من العلماء منهم الكردينال بلرميلس الشهير. ففي هذا الفهرست «اليوم التاسع من شباط عيد القديس مارون البطريرك» ومثل ذلك فهرست في كتاب قديم في كرسي قنوبين وهو الآن في بطريركية الموارنة وفي كتاب آخر قديم في مكتبة الواتيكان في عد ٧ خطَّ في نيموسية بقبرص سنة ١٨١٩ يونانية توافق سنة ١٥٠٨م. وفي كتب أخرى كان الموارنة يعيدون للقديس مارون في الخامس من كانون الثاني كما يظهر من كتاب للشدياق الياس بن داود الطرابلسي خطَّ سنة ١٤٩٤م ومن كتاب لجرجس البرديوط خطَّ سنة ١٥٢٣م اعتماداً على التقليد بأنَّ يوحنا مارون كرَّس في ذلك اليوم كنيسة كفرحي على اسم القديس مارون ووضع فيها هامته ورجّح أن يكون البطريرك يوسف العاقوري قرَّر أن يكون هذا العيد مفروضاً في مجمع عقده في دير حراش في ٥ تشرين الأوَّل سنة ١٦٤٤م، ونسخة من أعمال هذا المجمع في المكتبة الواتيكانية في عدد ٣٣ كتب فيها: «مار يوحنا مارون البطريرك في ٩ شباط» وكذلك في الفهرست المعلَّق على الشحيمة الصغيرة أي كتاب الفرض الأسبوعي المطبوع بأمر البابا أينوشنسيوس بمطبعة مجمع نشر الإيمان سنة ١٦٤٧م وفي طبعاته التالية إلى سنة ١٧١٣م، إلى أن حسن لدى بطاركة الموارنة أن يفرضوا للقديس مارون ويوحنا مارون عيداً واحداً في ٩ شباط مجانبة لكثرة الأعياد كما يرى في كتاب القداس المطبوع برومية سنة ١٧١٦م. وفي مطبعة روتلي سنة ١٧٦٢م حيث قيل: «٩ شباط عيد القديس مارون رئيس الدير والقديس يوحنا المسمى مارون أيضاً بطرك أنطاكية»، إلى أن أمر البطريرك يوسف أسطفان أن يعيد للقديس يوحنا مارون وحده في الثاني من آذار سنداً إلى التقليد القديم أنَّ وفاته كانت في ذلك اليوم. والحاصل من كل ذلك أنَّ الموارنة كانوا وما برحوا يعيّدون عيداً احتفالياً للقديس يوحنا مارون بعلم الكرسي الرسولي ورضاه وإثباته بل قال برتلماوس بياتسا في كتابه السنكساري الروماني الذي طبع في رومة سنة ١٦٧٦م وسنة ١٦٩٠م ما ترجمته: «في ٩ شباط يقام في رومة العظمى في كنيسة القديس يوحنا الإنجيلي كنيسة مدرسة الموارنة عيد احتفالي للقديس يوحنا مارون الذي أقامه الكرسي الرسولي بطريركاً على الأمّة

المارونية يوم كانت تفشو البدع في الشرق فأعانه الله حتى صان بحسن تدبيره وحميد مسلكه تلك الأمّة نقية لم يمسها ضر البدعة وقد كابد في سبيل صونها شيئاً كثيراً من العناء والمشاق» .

وقال في الدليل الثاني اللازم للتطويب وهو تعليق صورة المطوّب بين صور القديسين في الكنائس إنَّ البطريرك اسطفانس الدويهي حقَّق في الفصل ٨ من كتابه الثاني في الاحتجاج أنه رأى بعينيه صورتين للقديس يوحنا مارون إحداهما في قرية معاد في كنيسة القديس شربل والأخرى في كنيسة بحديدات ببلاد جبيل المبنية على اسم القديس توادورس، وقال إنَّ شكل بناء الكنيستين والنقوش التي فيهما تدلُّ على أنَّ بناءهما كان قبل عصر البطريرك أرميا العمشيتي الذي زار رومة في بدء القرن الثالث عشر. وقال الدويهي لولا تواتر الحروب والنكبات وخراب الكنائس في سورية لكان لنا أدلَّة أخرى كثيرة. وقد طبعت في رومة في أوائل القرن الماضي صورة القديسين بطرس ومرشلينس وإلى جانبيهما صورتا القديسين البطريركين يوحنا مارون وأرميا وفي أسفلهما كتابة هذا نصها: «القديس يوحنا مارون البطريرك الأنطاكي» ووزعت هذه الصورة في الآفاق برضى الكرسي الرسولي .

وقال في الدليل الثالث وهو ذكر المطوّب في الرتب البيعية إنَّ ذكر القديس يوحنا مارون ورد متواتراً في كتب فروض الموارنة ورتبهم من ذلك ذكره في آخر صلوات المساء أيام الآحاد والأعياد حيث يقال ܘܕܡܪܝ ܡܪܝܐ ܢܬܕܟܪ ܥܡ ܡܪܝܐ ܡܪܘܢ ܘܕܥܡܗ ܚܒܪܘܗܝ : أي ليذكرالقديس يعقوب مع القديس مارون ويذكر رفقاؤه وفي صلوة الصباح يوم السبت يقال «يُنذر في الكنيسة المقدَّسة بالإيمان الذي علمنا إياه الآباء القديسون أعمدة البيعة والرعاة الصادقون والمعلمون المحقون ومفندو البدع باسيليوس وغريغوريوس الكبير وأتناسيوس وكيرلس برج الحق واوسطانيوس ويوحنا فم الذهب ܘܡܪܝ ܐܦܪܝܡ ܓܒܝܐ ܘܡܪܝ ܡܫܬܘܕܥ ܥܡ ܡܪܝܐ ܡܪܘܢ أي والقديس أفرام المختار والقديس يعقوب والقديس مارون . قلت وقد أثبت السمعاني (في المجلَّد ١ من المكتبة الشرقية صفحة ٢٨٤) إنَّ المراد بمارون هنا القديس يوحنا مارون البطريرك لا القديس مارون الناسك الذي لا تحصيه الكنيسة في جملة علمائها المناضلين عن الإيمان بل في جملة قديسيها النساك الأفاضل . وهذه الصلوات في كنيستنا من أقدم الأيام بل لا نعرف لها بدءًا لتوغلها في القدم. وذكر مثل ذلك البطريرك يوسف أسطفان وقال

إنَّ مثل هذا التذكار وارد أيضاً في كتاب فروض الأعياد السنوي في صلوة عيد الختانة مع تذكار القديسين باسيليوس وغريغوريوس وفي كتاب خدمة القداس المطبوع في رومة أربع مرات، وإنَّ الموارنة يذكرون في رتبة قداسهم بعد التقديس ستة تذكارات أي لرعاة الكنيسة الأحياء وجميع المؤمنين الكاثوليكيين والملوك المسيحيين والعذراء مع القديسين والمعلمين الأبرار والموتى المؤمنين واستشهد الدويهي (فصل ٣ من كتاب الإحتجاج) حيث قال إنَّه عثر على كتاب خدمة قديم ذكر فيه في تذكار القديسين بولا وأنطونيوس وبخوميوس ومكاريوس وسمعان العمودي ... والقديس مارون الطوباوي». وفي تذكار المعلمين القديسين «نذكر أيضاً المعلمين القديسين: الذين علموا الإيمان الحقيقي وبثوه في أقاصي العالم وهم الكواكب النيرة في البيعة المقدَّسة أي اقليمس وديونيسيوس وأغناطيوس وايريناوس ... وغريغوريوس ... ويوحنا فم الذهب ... وإسحق ومارون ويعقوب السروجي». فمن لا يرى أنَّ مارون الوارد ذكره في جملة النساك المتوحدين هو القديس مارون الناسك ومارون الوارد ذكره في جملة ملافنة البيعة هو القديس يوحنا مارون البطريرك. واستشهد أيضاً بعنوان نافور القداس الذي ألَّفه يوحنا مارون آخذاً إيَّاه عن الكتاب السرياني الذي في المكتبة الواتيكانية في عد ٢٩ وهو «نافور القديس يوحنا بطريرك أنطاكية ومعلِّم البيعة المدعو مارون».

وقال في الدليل الرابع وهو إقامة القداس في يوم انتقال المطوَّب ليس عند الشرقيين قداس خاص بكل من القديسين بل في رتبهم طلبات أو أبيات يتلوها الخادم في القداس مدحاً للقديس ففي عيد القديسين مارون ويوحنا مارون في ٩ شباط يترنَّم خادم القداس بما يلي: «هلمَّ نمدح مرشدنا مارون العظيم الذي صاننا من الضلال والبدع ووساوس المحتال ... ويوحنا مارون الفريد بالقداسة والرأي السديد الذي نرجو بطلباته الرضاء والقبول من الفادي المسؤول» وحقق البطريرك أنَّ هذا مدوَّن في كتاب الخدمة الذي فحصه الكرسي الرسولي وأثبته وأمر بطبعه في رومة ونهى أن لا يستعمل سواه وأنَّ فيه ذكراً مبجلاً ليوحنا مارون يقال في كل قداس وإنَّ الكاهن يقول في التذكارات بصوت عال: «ساعدنا وثبتنا في محبتك بصلوات هؤلاء الملافنة الذين حملوا بشارتك مجتهدين في المسكونة وثبتوا بيعتك المقدَّسة بإيمان مستقيم لكي نصعد لك المجد معهم وبينهم». فيجيبه الخادم بما هو مثبت في الخدمة المطبوعة برومة (صفحة ٧٣) «وهو أننا لنذكر أيضاً أولئك الذين

تقدَّموا ورقدوا بين القديسين واستراحوا بالقداسة وحفظوا الإيمان الرسولي بغير عيب وإياه سلمونا . .. ونذكر آباءنا ومعلمينا المتوشحين بالله المستقيمي المجد ذلك الرسول يعقوب أخا الرب وذاك الشهيد ورئيس الأساقفة أغناطيوس وديونيسيوس وأثناسيوس وباسيليوس . .. والبار المنتخب القديس مارون الأب الطوباوي المقبول في كنيسة رومة المقدَّسة الكاثوليكية والبارّ يعقوب والبار أفرام الأفواه الناطقة وأعمدة بيعتنا المقدَّسة » . ولا مراء في أنَّ مارون المذكور هنا في جملة ملافنة البيعة هو القديس يوحنا مارون .

وقال في الدليل الخامس على القداسة وهو أن يتعارف الناس المطوَّب بقديس وطوباوي، أن تعارف الخاصة والعامة يوحنا مارون بطوباوي أو قديس مستفيض في المشرق والمغرب، فإنَّه ينعت بقديس في عنوان كتبه القديمة ولاسيما نافوره المذكور وكتابه إيضاح الإيمان كما ذكرناه في محلَّه (في العدد السابق) وفي كثير من كتب الموارنة، وقد أثبتت الكنيسة المارونية اسمه في طلبة القديسين بين الأساقفة والمعلمين القديسين بعد اسمي أثناسيوس وكيرلس كما هو ظاهر في كتاب خط سنة ١٥٨٢م وهو اليوم في مكتبة مدرسة الموارنة وينعت بقديس في المجامع اللبنانية وفي السنكساري وفي كل ما كتبه الأسقف جبرائيل القلاعي ومرهج بن نيرون الباني والبطريرك أسطفانس الدويهي والسيّد يوسف السمعاني والأب بطرس مبارك اليسوعي وغيرهم ممَّن كتبوا بالسريانية أو العبرية أو اللاتينية. وأمَّا من اللاتينيين فنكتفي بأن نذكر منهم الأب كوارسمس الذي طبع ترجمته باللاتينية في الكتاب الأوَّل من تأليفه في وصف الأرض المقدَّسة (صفحة ٣٧) ويوحنا شيواريوس في كتاب رحلته إلى أورشليم وقد ذكرنا قوله آنفاً وممَّا قاله: « إنَّ يوحنا مارون سلك كل حياته مسلك الفضل والقداسة ». ومنهم عبد الأحد ماكري في رحلته إلى لبنان وكرلس برتلماوس في كتابه في السنكساري الروماني، والبولانديون فإنَّهم لم يذكروا يوحنا مارون إلَّا مع وصفه بالقديس كما ترى في المجلَّد الرابع لشهر تموز صفحة ٣ ومنهم باجيوس في الحواشي التي علَّقها على تاريخ بارونيوس لسنة ٦٣٣م والأب لكويان في المجلَّد ٣ من تأليفه الموسوم بالشرق المسيحي (صفحة ١١) حيث قال: « ما أعجب ما فعل يوحنا مارون في سبيل إفادة أمته في أيام بطريركيته فقد رقى أساقفة وكهنة وأرسلهم إلى أطراف البلاد ووضع كتباً كثيرة يتألَّق فيها سناء علمه الفريد ويتلألأ إيمانه الصحيح الوطيد ». إلى أن يقول: « إنَّه

مات شهيداً بالقداسة ودفن في كفرحي وله في الكنيسة المارونية تذكار سنوي يقام في ٩ شباط ».

ومن هؤلاء أيضاً الأب إيرونيمس دنديني اليسوعي فقد قال في كتاب بعثته إلى لبنان: « إنَّ يوحنا مارون أرسل إلى الحبر الأعظم رقاه المقام البطريركي ووكل إليه رعاية أولئك المؤمنين الذين ما برحوا امناء ومتمسكين أبداً بعروة الدين الكاثوليكي، ولم ينفكّوا منذ حينئذٍ يؤدون الإحترام والطاعة للكرسي الرسولي الروماني ويوحنا المشار إليه سار سيرة الفضلاء والقديسين والموارنة يعدُّونه من أصفياء الله وقديسيه وينعتونه بالقديس في مقدمة القداس ويدعون باسمه ». ومنهم ديلاروك في رحلته إلى سوريا في المجلَّد الثالث المطبوع في أمستردام سنة ١٧٢٣م، ومنهم الكردينال أورسي في تاريخه لسنة ٦٣٦م في المجلَّد ٢١ صفحة ٣٢٢ من طبعة رومة سنة ١٧٦٧م، وقال لولا خشية ملل القارئ لذكرنا كثيرين غير هؤلاء. انتهى كلام البطريرك يوسف أسطفان ملخصاً وجاء مثله في كتاب المطران اسطفان عواد ولا نرى حاجة إلى الزيادة على ذلك.

الفصل الثالث

براءة المارونين والموارنة من بدعة المشيئة الواحدة

عد ١٧

براءة القديس مارون الناسك من هذه البدعة

إنَّ براءة القديس مارون الرئيس من بدعة المشيئة الواحدة أصبحت في هذا العصر حقيقة مقررة يخجل كل من كان له أقلّ إلمام بالتاريخ أن يتّهمه بهذه البدعة لئلا يثبت جهله بهذا الاتّهام ولا ينقض من كرامة هذا القديس شيئاً. فمن الحقائق المقررة باجماع المؤرخين أنّ القديس يوحنا فم الذهب توفّاه الله في أوائل القرن

الخامس، وفي جملة رسائله الرسالة السادسة والثلاثون منفذة إلى القديس مارون، وقد ترجمناها بحروفها (في عد ٦٤٢) نقلاً عن أصلها في كتب فم الذهب التي طبعها الأب مين. وفم الذهب كان في أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس. ثم من هذه الحقائق المجمع عليها أنَّ توادوريطس أسقف قورش كتب ترجمة القديس مارون في كتابه في النساك، وقد ترجمنا كلامه بحروفه في العدد المذكور من كتابنا هذا نقلاً عن كتاب توادوريطس في طبعة الأب مين، ومما لا خلاف فيه أنَّ توادوريطس توفاه الله سنة ٤٥٨م، ومن البديهي أنَّ مارون كان قبله وممَّا لا خلاف فيه أيضاً أنَّ بدعة المشيئة الواحدة نشأت في نحو سنة ٦٢٨م أي بعد وفاة القديس مارون بقرنين ونيف. فأي منصف أو أي عالم يتَّهمه ببدعة لم يكن لها عين ولا أثر في الكنيسة إلَّا بعده بقرنين؟ نعم وجد من قال بذلك في أعصر الجهل وهو سعيد بن البطريق البطريرك الإسكندري الملكي. لكنَّ روايته نفسها كفتنا مؤونة ردها فكانت مما قال فيه أحد خطباء الفرنسيس إنَّ بعض الأقوال يكفي لردِّها ذكرها وحده فإنَّ هذا البطريرك قال: «كان في عصر موريق ملك الروم راهب اسمه مارون قال إنَّ لسيدنا يسوع المسيح طبيعة ومشيئة واحدة وأفسد مقالة الناس ... فسمَّى التابعون لدينه موارنة نسبة إلى مارون ولمَّا مات مارون بنى أهل حماه ديراً سموه دير مارون». وقد أبنّا بطلان هذا القول من نفسه في عدد ٦٦٨ ولاسيما أنَّ موريق استوى على أريكة الملك سنة ٥٨٢م وتوفي سنة ٦٠٢م وهذا مجمع عليه والقديس مارون قضى نحبه سنة ٤١٠م فيكون بين ارتقاء موريق إلى منصَّة الملك ووفاة القديس مارون مئة واثنتان وسبعون سنة، وبين وفاة موريق سنة ٦٠٢م وظهور بدعة المشيئة الواحدة سنة ٦٢٨م ست وعشرون سنة. فبطلان قول سعيد بن بطريق بيّن من الوجهين؛ فلا مارون كان في أيام موريق ولا بدعة المشيئة الواحدة ظهرت في أيامه.

إنَّ مثل هذه الأغلاط في تاريخ سعيد بن بطريق كثير متواتر وقد أشار إلى ذلك كثيرون من العلماء منهم لوقا هلستين في رسالته إلى الكردينال أنطونيوس، وارينس حيث قال في تاريخ ابن البطريق: «إنَّ هذا الكتاب طبعه السلداني ويخالف في أشياء كثيرة ما كتبه مؤرخو ذلك القرن، وعندما طالعته تبيَّن لي نصّه أعجمياً مفعماً بالخرافات ... ولا فائدة منه البتة بل يبلبل عقول من اعتادوا تصديق الخزعبلات وإيثارها على شهادة المؤرخين المحققين». وقال الأب فلوري (في مجلَّد

١٣ من تاريخه مقالة ٣ عد ٧) : «إنَّ تاريخ سعيد بطريرك اسكندرية ... قد كتب فيه أموراً مضحكة ، وقد خلا كلامه من التدقيق حتى في ذكره أحداث عصره». وقال الأب لكويان (في الفهرست المعلّق بالمجلّد ٣ من تأليفه المشرق المسيحي) : « من البيّن أنَّ تاريخ سعيد هذا لا يستحق أقلّ تصديق ، فإنَّ تأليفه طام في كل محل منه بخزعبلات وترّهات شنيعة ويشوّش بذلك كل تواريخ القرون التي تقدمته». وقال دومينيكس منسى في حواشيه على تاريخ غرافيزون (مجلّد ٤ مقالة ٥ صفحة ٧٠ إنَّ ترّهات سعيد في التاريخ الإسكندري لم يفضح بطلانها إلا تيوس فقط في ما كتبه على ما أشهره سلدانوس منها بل السمعاني الشهير أيضاً في مكتبته الشرقية مجلّد ١ صفحة ٤٩٨، وقال غرافيزون نفسه في المجلّد المذكور إنَّ تاريخ سعيد مشحون بغوايات وحكايات كثيرة . وقال بروكوكيوس الذي ترجم هذا التاريخ إلى اللاتينية وطبعه السلداني في فاتحة ترجمته : «إنّه يشتمل على خرافات كثيرة في الأخبار القديمة » .

على أنّنا لم نرَ في كلام هؤلاء العلماء وعلمائنا الموارنة إلّا هذه الأحكام العامة ، ولم نطّلع على أمثلة لهذه الترّهات أو الخرافات - كما سموها . وليس لدينا كتاب سعيد بن البطريق لننقده بنفسنا ونورد مثالاً لأغلاطه . فاجتزأنا أن نأخذ مثالاً لذلك من كلام لكويان في بطاركة أنطاكية وأورشليم حيث ذكر ابن البطريق . قال: «إنَّ جيورجيوس خلف مكدونيوس (في بطريركية أنطاكية) في السنة الثالثة لخلافة عثمان ورقي في قسطنطينية وأقام فيها خمس سنين ولم يأتِ إلى أنطاكية بل مات في قسطنطينية ودفن فيها» . ولم يذكر أحد من المحققين جيورجيوس هذا بل لم يذكروا بطريركاً بين مكدونيوس ومكاريوس اللذين ذكرهما ابن البطريق والسنة الثالثة لخلافة عثمان توافق سنة ٦٤٨ أو سنة ٦٤٩م لأنّه بويع بالخلافة سنة ٢٤ للهجرة وهي سنة ٦٤٥ أو سنة ٦٤٦ للميلاد . وكان مكدونيوس حياً سنة ٦٤٩م، والمؤكّد أنّه توفي سنة ٦٥٥م وخلفه مكاريوس الذي قال في رسالة : إنّ مكدونيوس سالفه كان في أيام بطرس البطريرك القسطنطيني وشهد مجمعه الذي نبذ فيه التعليم الكاثوليكي وهذا قوله فيها بطرس الكلي القداسة البطريرك المسكوني وسالف حقارتي مكدونيوس ذو الذكر السعيد» . والمؤكّد أنَّ بطرس هذا رقي إلى بطريركية قسطنطينية سنة ٦٥٥م واستمرَّ إلى سنة ٦٦٦م . فإذاً مكدونيوس كان حياً في كل المدّة التي قال ابن البطريق إنَّ جيورجيوس كان

فيها بطريركاً فضلاً عن انفراده بذكره بين بطاركة أنطاكية. ولذلك عقب لكويان كلامه في هذا المحل بقوله: «إنَّ تاريخ ابن البطريق لا يوثق به».

وقال ابن البطريق في مكاريوس المذكور: «في السنة العاشرة لعثمان (وهي سنة ٦٥٥م) صير مكاريوس بطريركاً أنطاكياً وأقام في قسطنطينية ثماني سنين ولم يأتِ إلى أنطاكية ومات في قسطنطينية ودفن فيها». فيظهر من قوله إنَّ مكاريوس توفي سنة ٦٦٣م. وقد أجمع المؤرخون على أنَّ مكاريوس حضر المجمع السادس سنة ٦٨١م وأصرَّ على ضلاله ببدعة المشيئة الواحدة ولذلك حرم وأرسل إلى رومة ومات فيها بعد ذلك مصرّاً على غيّه هذا. ويظهر من رسالة الملك قسطنطين اللحياني إلى البابا دمنس المعلقة في صدر المجمع السادس أنَّ مكاريوس كان في قسطنطينية سنة ٩٧٨ وابن البطريق يحصيه بين الموتى مذ سنة ٦٦٣م. فتأمّل. قال بعد ذلك وخلف توما توافان: «ومات بعد أن استمرَّ في البطريركية عشرين سنة وقام بعده جيورجيوس في السنة الأولى لخلافة عبد الملك بن مروان» وهي سنة ٦٨٤ أو سنة ٦٨٥م والمجمع عليه أنَّ المجمع السادس بعد أن عزل مكاريوس سنة ٦٨١م أقام توافان مكانه. وهذا بيّن من أعمال هذا المجمع فمن أين أتى ابن البطريق بتوما هذا. ومن أين العشرون سنة التي استمرَّ فيها توما بطريركاً بعد توافان حتى خلفه جيورجيوس سنة ٦٨٥م. فهذه العشرون سنة كان فيها على كرسي أنطاكية مكاريوس وتوافان كما رأيت. ولذلك قال لكويان بعد إيراده قول ابن البطريق هذا عن الصحة بمراحل بالنسبة إلى التاريخ الصحيح. وجيورجيوس الذي ذكره لم يؤكّد المحققون أنّه كان بطريركاً وهبه كان حقيقة فابن البطريق قال إنَّه استمرَّ بطريركاً أربعة وعشرين سنة، فتكون نهاية بطريركيته على زعمه سنة ٧٠٩م لأنَّه صير بطريركاً سنة ٦٨٥م. وقال بأثر ذلك إنَّ كرسي أنطاكية خلا من بطريرك خمسين سنة ٧٥٩م. وعاد يقول: إنَّ أسطفانس صير بطريركاً على أنطاكية في السنة الأولى للاون الايسوري وهي سنة ٧١٧م فمن سنة ٧٠٩م إلى سنة ٧١٧م ثماني سنين فأين الخمسون سنة فتأمّل بهذا الخلط. والصحيح أنَّ كرسي أنطاكية خلا حينئذٍ من بطريرك أربعين أو خمسين سنة وأقيم اسطفانس بطريركاً نحو سنة ٧٤٤م في السنة الثانية لقسطنطين الزبلي وهي سنة ٧٤١م كما حقّق توافان في تاريخه.

وقال بعد ذلك إنَّ توادورس الأوّل صير بطريركاً على أنطاكية في سنة ٢٠

لخلافة ابي جعفر وهي سنة ٧٧١م، وانَّه استمرَّ بطريركاً ثلاثاً وعشرين سنة والصحيح ما رواه توافان أنَّه صير بطريركاً سنة ٧٥١م . وقال ابن البطريق بعد ذلك : إنَّ توادوريطس خلف توادورس المذكور في السنة الثامنة لخلافة هرون الرشيد . والمحقّق أنَّ هرون الرشيد رقي منصَّة الخلافة سنة ١٧٠ للهجرة الموافقة لسنة ٧٨٧ للميلاد . وكان توادوريطس حينئذٍ بطريركاً لأنَّه في هذه السنة كان المجمع النيقاوي الثاني وكان القس توما الراهب نائباً عنه في هذا المجمع . فكيف يصدق قوله إنَّ توادوريطوس صير بطريركاً في السنة الثامنة للرشيد وقوله : إنَّ توادورس سالفه دبَّر البطريركية ٢٣ سنة وقد زعم أنَّه صير بطريركاً سنة ٧٧١م .

وفي تاريخه لبطاركة أورشليم قال في إيليا بطريركها إنَّه صير بطريركاً في السنة السابعة عشرة لهشام وهي توافق سنة ٧٤٠ للميلاد . والصحيح أنَّ توادورس سالفه رقي إلى البطريركية سنة ٧٥٢م واستمرَّ حياً بعد سنة ٧٦٧م لأنَّه كتب في هذه السنة رسالة إلى البابا بولس الأوَّل . ولا يعلم كم سنة عاش بعد ذلك ورسالته هذه بلغت بعد وفاة البابا بولس الأوَّل إلى البابا قسطنطين الدخيل على الكرسي الروماني سنة ٧٦٧م فأرسلها إلى بيبين ملك فرنسة، وذكر خلاصتها البابا أدريانس الأوَّل في رسالته إلى الملك كرلس الكبير وبرَّأ هذا البابا توادورس مما طعنه به مخالفو المجمع النيقوي الثاني . فإبن البطريق إذاً ذكر هنا الخلف قبل السلف مشوّشاً سنيّ التاريخ ، وإيليا الذي زعم أنَّه صير بطريركاً سنة ٧٤٠م لا شكَّ في أنَّه كان حياً سنة ٧٨٧م إذ روى البولانديون في ٢٥ شباط أنَّ يوحنا الكاهن أتى إلى نيقية ليشهد المجمع السابع المسكوني نائباً عن إيليا البطريرك الأورشليمي وكذا يرى توقيعه على آخر المجلس السابع من هذا المجمع . ورجَّح لكوريان أنَّ وفاته كانت سنة ٧٩٦ أو سنة ٧٩٧م فإن صحَّ زعم ابن البطريق أنَّه صير بطريركاً سنة ٧٤٠م كانت مدَّة بطريركيته سبعاً وخمسين سنة وابتلعت بطريركية توادورس سالفه .

وقال بعد ذلك إنَّ جيورجيوس صير بطريركاً سنة ٢٠ لخلافة أبي جعفر المنصور وهي على زعمه سنة ٧٧٢ (وعن باجيوس أنَّها سنة ٧٥٤م) ، وأنَّه استمرَّ على البطريركية ثلاثين سنة . وقد مرَّ بك أنَّ إيليا سالفه توفي سنة ٧٩٧م . فمن هذه السنة إلى سنة ٨٠٧م التي قام فيها توما خليفته عشر سنين فمن أين العشرون سنة ؟ وارتقاء توما سنة ٨٠٧م إلى بطريركية أورشليم ثابت برسائل منه إلى البابا لاون الثالث .

قال ابن البطريق: «إنَّ سلمون صير بطريركاً على أورشليم في السنة العاشرة لخلافة المتوكّل على الله واستمرَّ بطريركاً خمس سنين». فالمتوكّل على الله ارتقى إلى عرش الخلافة في آب سنة ٨٤٦م؛ فتكون ترقية سلمون إلى البطريركية سنة ٨٥٦م وكان قد قال في سالفه سرجيوس إنَّه أقيم سنة ٨٤٣م واستمرَّ ست عشرة سنة؛ فيكون سرجيوس بقي على زعمه في البطريركية إلى سنة ٨٥٩م. فضلاً عن أنَّ الظاهر من المجمع الثامن المسكوني الذي عقد في قسطنطينية سنة ٨٦٩م أنَّ البطريرك سرجيوس الأورشليمي كان في جملة من حرموا فوتيوس في هذا المجمع؛ فيكون خطأ ابن البطريق مضاعفاً أي في تعيينه مدة سرجيوس، وفي قوله إنَّ سلمون رقي إلى البطريركية سنة ٨٥٦م وتوفي بعد خمس سنين أي سنة ٨٦١م.

قال بعد ذلك: «إنَّ إيليا صير بطريركاً على أورشليم في السنة العاشرة لخلافة المهتدي، وإنَّه كان ابن منصور الذي ساعد على فتح دمشق وجلس على الكرسي ٢٩ سنة». قال لكويان: «وأمَّا قول ابن البطريق أنَّه كان ابن منصور الذي ساعد على فتح دمشق فهو من جملة هذياناته. ففتح دمشق كان سنة ٦٣٥م قبل ارتقاء هذا البطريرك بمئتين وثلاث وأربعين سنة.

وقال بعد ذلك: «إنَّ لاون (يسميه اللاتينيون لاونتيوس) صير بطريركاً للسنة الثالثة من خلافة المقتدر بالله ابن المقتفي بالله واستمرَّ سبع عشرة سنة».

وقال ابن العميد (في ك ٢ فصل ١٩): «إنَّ جعفر أبا الفضل المقتدر بالله بن المعتضد بالله بويع بالخلافة يوم وفاة أخيه المقتفي بالله». فالمقتدر إذاً أخو المقتفي لا ابنه كما وهم ابن البطريق.

فهذا قليل من كثير من أغلاط ابن البطريق على سبيل المثال ودونك هذا المؤرّخ الثقة المحقّق المدقّق الذي ما برح خصوم الموارنة يحجونهم بحديث خرافة استنبطه وهذى به أنَّ القديس مارون الرئيس أنشأ بدعة المشيئة الواحدة وهو كان قبل إنشائها بقرنين وأكثر كما أثبتنا بيّنات وحجج دامغة، ولا يريد بعض من هؤلاء الخصوم أن يقفوا عند التواريخ الصادقة وأن يذعنوا للحجج القاطعة أو يصدقوا الأحبار الرومانيين، والقول ما قالوا في أمور الدين، أو أن يلتفتوا إلى أنَّ هذه الخرافة لم يأت بذكرها أحد من كل من كتبوا من أيام مارون إلى أيام ابن البطريق

في القرن العاشر بل يكابرون ويتعنّتون بانتحال بعض المؤرخين هذه الخرافة في أعصر الجهل عن سعيد بن البطريق قبل عصر الإنتقاد الذي أصلح كثيراً من التواريخ. وقد فنَّد علماء الموارنة وأنا أحقرهم وفي آخرهم هذه التهمة مرات وما برح بعض العذل أو الحسد يعيدون ذكرها دون أن يكلفوا نفوسهم لرد حجج التفنيد لها وعليه يفضي الجدال إلى ما لا نهاية له. والعقل وقواعد الجدال تقضي عليهم أن ينقضوا ما أتى به علماؤنا، وما أتينا به في هذا الكتاب، وما أوردناه في كتابنا روح الردود بهذا الصدد، قبل أن يحجونا بهذه الأقوال الساقطة.

عد ١٨

إثبات البابا بناديكتس الرابع عشر قداسة القديس مارون

إننا رغبة في إبكام المتعنتين نثبت هنا منشور البابا بناديكتس الرابع عشر العلاّمة الذي أثبت قداسة القديس مارون الرئيس بداعي أنَّ البطريرك كيرلس تاناس مزَّق صورة هذا القديس، وعرض أمر هذا التجنّي على قداسته فأنفذ إلى الأب نيقولاوس لركاري كاتب مجمع نشر الإيمان رسالة بنمط منشور هذه ترجمتها عن كتاب براءته (مجلَّد ٤ صفحة ٨٦ عن طبعته في رومة سنة ١٧٥٨م) البابا بناديكتس الرابع عشر.

أيها الإبن الحبيب السلام والبركة الرسولية

١- قد وجدنا بين القراطيس التي قدمتها لنا أخيراً عند مثولك لدينا ما يختص بتكريم القديس مارون الرئيس فان ولدنا العزيز الأخ داسيداريوس الراهب الفرنسيسي من كازاباشيانا الذي كنا قد أرسلناه قاصداً إلى الأخ المحترم بطريرك الموارنة كتب إلى مجمع نشر الإيمان أنَّ الأخ المحترم كيرلس بطريرك الروم الملكيين مزَّق صور القديس مارون المطبوعة في رومة، وأعلن أنَّه لا يجوز إحصاؤه بين القديسين لأنَّه عاش هراتيكياً، وأنَّ هذا أنشأ مخاصمات ومشاجرات بين الموارنة والروم الملكيين، وأنَّه يخشى من زيادة هذه الخصومات يوماً فيوماً لأنَّه لم يستطع إخماد نار المشاجرة بل بعد أن برح المحل الذي كان فيه مجدّاً في إطفائها قال له بعض الكهنة جهاراً إنَّ لا سلطان له في فصل هذه المسألة. والحكم بأنَّ مارون

كان قديساً أو مبتدعاً ولاسيما أنَّ بطريركهم كان ينذر أنَّه عاش ومات ملطّخاً بالبدعة، ولذلك توجّه إلى دير المخلّص حيث يقيم بطريرك الروم الملكيين ليحدثه في هذه المسألة. فلم يفز بمشاهدته وتعذّر عليه أن يلحقه.

٢- فنحن لم نتعجّب فقط بل اغتظنا أشدَّ الاغتياظ مما فعله الأخ المحترم كيرلس البطريرك بجسارة وعلى غير روية، وكأنَّه أراد أن يتباهى بعلمه وبخبرته، فلم يصلح ذات البين بل حاول أن يحكم بسلطانه في هذا الجدال كأن أمره مجهول عندنا وعند المجمع. وأقبح من ذلك أنَّه افرغ جهده في أن يحرم من وصف بالقداسة مذ أجيال كثيرة برضى الكرسي الرسولي وإثباته من أن يوصف بقديس أو أن يُقدَّم له التكريم الذي يقدَّم للقديسين.

٣- وأنت تعلم أنَّ القديس مارون كان في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس وتوادوريطس الذي يمكن أن يسمّى معاصراً له (لأنَّه اشتهر في منتصف القرن الخامس) كتب ترجمته، فأثنى على فضائله السامية، وأطرأ أفعاله الحميدة. فتوادوريطس هذا أسقف قورش ألَّف كتاباً في تراجم الآباء عنونه بمحبّ الله أو التاريخ الديني؛ ولهذا الكتاب ترجمتان لاتينيتان: إحداهما في كتاب تراجم الآباء الذي وضعه رسفيدس، والأخرى في المجلّد الثالث من مؤلفات توادوريطس التي جمعها جنتيانس هروات وطبعها سيرمندس. فتوادوريطس يثني على قداسة القديس مارون في ستة مواضع من تآليفه كما يظهر من طبعة رسفيدس لكتاب تراجم الآباء؛ أعني فصل ١٦ صفحة ٨٢٧ و ٨٢٨ وفصل ٢١ صفحة ٨٣٢ وفصل ٢٢ صفحة ٨٣٨ وفصل ٢٤ صفحة ٨٤٠ وفصل ٣٠ صفحة ٨٥٠، وفي جملة رسائل القديس يوحنا فم الذهب رسالته السادسة والثلاثون إلى القديس مارون الرئيس وقد أطرأ فيها فضائله، واستغاث بصلواته على أنَّ بعضاً من أصحاب التعاليم غير الصحيحة أفرغوا جهدهم في أن يضعفوا شهادة توادوريطس في كتابه تراجم الآباء. ومن هؤلاء: أندراوس ريفيتس في كتابه الرابع الموسوم الإنتقاد المقدَّس فصل ٢١، وروبرتس كوكس في كتابه الموسوم بانتقاد بعض المؤلفين القدماء صفحة ٣٩٠، وفريدريكس سبانهاميوس في كتابه في التاريخ المسيحي للقرن الخامس فصل ١٠ صفحة ١٠٣٠. فناصب هؤلاء كثيرون من أصحاب العلم السامي والانتقاد الدقيق، وسدّوا أفواههم بمدافعتهم عن صحة تاريخ توادوريطس وترفعه عن كل شائبة، وفي جملة هؤلاء لاباي في مقالته في

تواادوريطس المعلّقة على تأليف بلرمينس في الكتبة البيعيين الذي طبع في البندقية سنة ١٧٢٨م صفحة ١٥٥، ثم كرنيليوس في مقالته الثانية المعلقة على المجلَّد الخامس من كتب تواادوريطس المطبوعة في باريس سنة ١٦٨٤م صفحة ١٩٩، وتلمون في ترجمة تواادوريطس فصل ٤٨ مجلّد ١٥ صفحة ٣٢٩، ونطاليس اسكندر في تاريخه البيعي للقرن الخامس فصل ٤ جزء ٢٨، ثم الفقيه كلير في تاريخه العام للمؤلفين الملهمين والبيعيين مجلّد ١٤ فصل ١٤ جزء ٢ صفحة ٩٤

٤- وأهم من كل ذلك أنَّ أدق مؤرخي عصرنا وأوفرهم خبرة وأبعدهم عن الإسراع إلى تصديق كل ما يقال قد اعترفوا بصحَّة ترجمة القديس مارون التي كتبها تواادوريطس، وأثنوا على فضائله، وأطرأوا أعماله المجيدة كما فعل تواادوريطس، وهذا أكبر دليل على اعتقادهم صحة ما كتبه تواادوريطس في ترجمة القديس مارون فطالع كتب البولانديين في اليوم الرابع عشر من شباط في المجلَّد الثاني لهذا الشهر، وبيلاتيوس في تراجم القديسين في اليوم الرابع عشر المذكور، وتلمون في المجلَّد ١٢ من تاريخه البيعي في ترجمة القديس مارون صفحة ٤١٢ وما يليها. ولا ينبغي أن نسهو عن أنَّه لمَّا طبع كتاب قداس الموارنة في أيام حبرية البابا اكليمنضس الثامن وكان الكردينال جبرائيل بليوتس محامياً عن هذه الطائفة طلب الرخصة من الحبر الأعظم في طبع الكتاب المذكور فرخَّص له على شريطة أن تُعلَّق على صدر الكتاب ترجمة القديس مارون مأخوذة عن تاريخ تواادوريطس. فأتمَّ ذلك إذعاناً للأمر كما شهد بذلك الكردينال يعقوب برونيوس الشهير حيث قال: «خاطبت سيدنا الكلي القداسة في شأن طبع كتاب القداس للموارنة الذي كان قد طبع قبلاً فأجاب سؤالي، وأمر أن يعلَّق في صدر هذا الكتاب ترجمة القديس مارون مأخوذة عن تواادوريطس.

٥- ثم إنَّه قد كان دير شهير للقديس مارون - كما يظهر في رسالة رؤساء أديار سورية الثانية إلى هرمزدا الحبر الأعظم سنة ٥١٧م موقعاً عليها من اسكندر رئيس دير القديس مارون؛ وهذا ظاهر في المجلَّد الخامس من مجموعة المجامع للاباي، المطبوعة في البندقية صفحة ٥٩٨، وفي تاريخ بارونيوس لسنة ٥١٧م عد ٥٣. وقد جاء في أعمال المجمع القسطنطيني الذي عقد ٥٣٦ ذكر لهذا الدير، وقد وصف دائماً مارون باسم قديس أو طوباوي - كما يظهر للمطالع في المجلَّد

الخامس من مجموعة لاباي المذكورة صفحة ٩٦٧ وصفحة ٩٧٨ و ٩٩٤ و ٩٩٩ و ١٠٧٥ و ١٠٨٣ و ١٠٩٩ و ١١١١ و ١٢٢٣ ثم إنَّ باجيوس في تنقيحه تاريخ الكردينال بارونيوس لسنة ٤٠٠م عد ١٧ وما يليه قد أثنى على فضائل القديس مارون، ثم فاض في الكلام على ديره، وأطرأ كثيراً تشبُّث رهبانه بعرى الإيمان الكاثوليكي، وشبّهه بقلعة حصينة للدين الكاثوليكي في المشرق كلّه لمقاومة أصحاب البدع. وذكر استشهاد ثلاثماية وخمسين راهباً من رهبانه تكلّلوا بإكليل الشهادة في أيام الملك أنسطاس، لمدافعتهم عن المجمع الخلكيدوني. وذكر هؤلاء الأبطال في اليوم ٣١ من تموز في السنكساري الروماني حيث نرى شروحاً علّقها عليه الكردينال بارونيوس. ولا نغفل عن أنَّ صورة القديس مارون مقامة على المذبح الكبير في كنيسة مدرسة الموارنة في هذه المدينة العظمى، ويقدم لها الإكرام العلني، ويعيّد للقديس مارون عيداً احتفالياً.

٦- إنَّ هذه الحجج كلّها تثبت إثباتاً قاطعاً قداسة القديس مارون، وتبيِّن إنَّنا تصرّفنا تصرّفاً محكماً وعادلاً في استجابتنا سؤال الأخ المحترم سمعان عواد بطريرك الموارنة الأنطاكي واقتفائنا آثار سلفائنا - ولاسيما سالفنا البابا اكليمنضس الثاني عشر؛ إذ منحنا في براءتنا المبرزة في ١٢ آب سنة ١٧٤٤م غفراناً كاملاً لجميع المؤمنين ذكوراً وإناثاً الذين يعترفون ويتناولون القربان الأقدس في اليوم التاسع من شباط الذي يحتفل به الموارنة بعيد القديس مارون شفيعهم الخصوصي، ويزورون كنيسة من كنائس الرهبان أو الراهبات من جمعية القديس أنطونيوس الكبير أو جمعية القديس أشعيا في جبل لبنان ويصلُّون من أجل الاتّفاق بين الملوك المسيحيين واستئصال البدع وارتفاع شأن الأم الكنيسة المقدَّسة. فكل واحدة من هذه الحجج تبيِّن صريحاً سوء تصرُّف الأخ المحترم البطريرك كيرلس في مقاومته غير القانونية لتكريم القديس مارون.

٧- ولا يعسر علينا أن نبحث في الأسباب التي حملت الأخ المحترم البطريرك كيرلس على صنيع هذا الأمر؛ فقد أثبت الموارنة أنَّ منشأ تسميتهم عن القديس مارون الرئيس، وإنَّهم لم ينحرفوا قط عن محبّة الدين الكاثوليكي، ولم ينفصلوا عن الكنيسة، وزادوا على ذلك أنَّهم إذا كانوا جدَّدوا اتحادهم مع الكنيسة الرومانية وقتاً ما فلا ينبغي أن يتأوّل ذلك بمعنى أنَّهم غادروا الدين الكاثوليكي ثم عادوا إليه. على أنَّ غيرهم يرون الخلاف ويزعمون أنَّ الموارنة برزوا من مدرسة أصحاب

المشيئة الواحدة ، وأنَّ مارون رئيسهم نفسه اتَّبع هذه البدعة ، وأنَّهم لم يرتجعوا عنها إلَّا في سنة ١١٨٢م على يد ايميريكس الثالث بطريرك أنطاكية اللاتيني . فكل هذه الأقوال يمكن الإطِّلاع عليها في المعجم العام الافرنسي اللاتيني في المجلَّد الخامس في كلمة موارنة ، وفي معجم موراريوس طبعة باريس صفحة ١٧٤٧ مجلَّد ٦ في كلمة موارنة .

٨- ثم إنَّ أصحاب الرأي المضاد يوردون شهادة غوليلمس رئيس أساقفة صور الذي روى في كتاب ٢٢ في الحرب المقدَّسة فصل ٨ ما أشرنا إليه آنفاً على أنَّ شهادة غوليلمس ليست بكافية لتأييد الرأي المضاد للموارنة ، ولربَّما عرف غوليلمس نفسه ضعف قوله . ولذلك عزاه إلى المجلَّد الثاني من تاريخ سعيد الإسكندري الذي كتب في صفحة ١٩١ هكذا : « وكان في عصر موريق ملك الروم راهب اسمه مارون كان يقول إنَّ في المسيح طبيعتين ومشيئة واحدة وفعلاً واحداً وأقنوماً واحداً . ولما مات مارون بنى له سكان مدينة حماه ديراً سموه دير مارون واتَّبعوا اعتقاد مارون » .

٩- على أنَّ علماء الموارنة لم يألوا جهداً في تبيان الأغلاط التي تسكَّع بها سعيد المذكور وغوليلمس الصوري وسائر من اتبعهما ، وفي تفنيد هذه الأغلاط وهذا بيّن من مقالة مرهج بن نيرون في أصل الموارنة واسمهم ودينهم . وممَّا أجاد في إبانته بفقاهة سامية ولدنا العزيز يوسف سمعان السمعاني المقدَّم في بلاطنا في المجلَّد الأوَّل من مكتبته الشرقية صفحة ٤٩٨، وتابعهما على ذلك باجيوس الافرنسي في تنقيحه تاريخ الكردينال بارونيوس سنة ١١٨٢م. والحق نقول إنَّ بدعة المشيئة الواحدة والفعل الواحد في المسيح إنَّما كان أوَّل ظهورها في أيام هرقل الملك ؛ وهذا قد أجمع عليه العلماء فكيف أمكن أن يشتهر هذا الضلال في أيام موريق الملك ، وكيف يصحّ ما قاله سعيد من أنَّ الدير أنشئ بعد موت مارون الذي تكلَّم فيه مع أنَّ هذا الدير قد بني قبل مئتي سنة على اسم القديس مارون الرئيس، وبروكوبيوس القيصري أثبت في كتابه الخامس في أبنية يوستنيانس الملك أنَّ هذا الملك دمَّر دير القديس مارون . ومن البيِّن أنَّ الملك يوستنيانس توفي سنة ٥٦٥م وموريق توفي سنة ٦٠٢م .

١٠- إنَّنا لا نطيق أن يقضّ شيء من محبة الكرسي الرسولي للموارنة وقد

جمعنا نحن تقاريظ سلفائنا لهذه الأمة ، وأضفنا إليها ثناءنا عليها في خطبتنا في مجفل كرادلة الكنيسة المطبوعة في حاشية كتاب «بولاتنا» مجلّد ٢ صفحة ٤٢ . وإذا تركنا جانباً كل استمالة إلى الأمة المارونية ، وأطلقنا لعلماء الموارنة المقيمين في رومة أن يردُّوا سهام خصومهم ويثبتوا تشبثهم الدائم بعرى الإيمان الكاثوليكي إذا دعت الحاجة (ولا نرى حاجة)، ويؤيدوا نسبتهم إلى القديس مارون الرئيس، وافترضنا ما رواه سعيد صحيحاً للحق فلا يمكن أن ينتج من ذلك إلَّا أنَّه كان مارونان: أحدهما قديس، والثاني هراتيكي. فإنَّ الاسم وحده لا يجعل القديس أراتيكياً أو الأراتيكي قديساً، ولا الإكرام المقدَّم للقديس يحسب مقدماً للمبتدع ومن هذا ينتج نتيجاً واضحاً أنَّ الأخ المحترم البطريرك كيرلس بنهيه عن تقديم التكريم للقديس مارون لم يتخطَّ حدود سلطانه فقط بل تصرَّف تصرفاً مخالفاً للتقوى في حق رجل حُسِبَ أجيالاً كثيرة بين مصافّ القديسين ولم يأبَ الأحبار الرومانيون أن يغروا الشعب بتقديم الإكرام له بمنحهم الغفرانات المقدَّم ذكرها.

١١- قد قلنا قبلاً إنَّه وإن سلمنا بصحة ما رواه سعيد لا ينتج من ذلك إلَّا أنَّه كان مارونان: أحدهما قديس، والآخر أراتيكي. فالأراتيكي إنَّما هو من تكلَّم فيه سعيد وقال إنَّه عاش في أيام موريق الملك الذي قلنا آنفاً إنَّه توفي سنة ٦٠٢م، والقديس إنَّما هو من اشتهر في أيام الملك أركاديوس الذي دبَّر الملك من سنة ٣٩٥ إلى سنة ٤٠٨م، وقد كتب توادوريطس ترجمته وكان توادوريطس معاصراً له وثقة. وقد أثبتنا أيضاً أنَّ الاسم وحده لا يكون سبباً يجعل القديس أراتيكياً أو الأراتيكي قديساً، أو لاحتساب الإكرام المقدَّم للقديس تكريماً للأراتيكي؛ وهذا أمر مقرَّر وظاهر بالنور الطبيعي ولا حاجة له إلى إثبات. لكننا نورد مثلاً لتسمية اثنين اسماً واحداً. فقد كان اثنان باسم ريمندس لوليوس، واثنان باسم يوحنا كنتس؛ وقد تكلَّمنا على هؤلاء في كتابنا في تطويب القديسين. فأحد المسمَّين ريمندس كان شهيداً مشهوراً، والآخر تعيساً حكم عليه بالموت. وأحد المسمين يوحنا كنتس هو طوباوي والكرسي الرسولي يثبت الإكرام العلني المقدَّم له، والآخر كان من أولي البدعة. ومن ذلك كلّه يظهر جلياً أنَّ الأخ المحترم البطريرك كيرلس تصرَّف تصرُّفاً مخالفاً للقوانين والتقوى بنهيه عن تقديم التكريم المقدَّم على زعمه لمارون الأراتيكي الذي ذكره سعيد مع أنَّه بالحقيقة قد حرم من هذا الإكرام مارون

الكاثوليكي الذي أثنى عليه تواودوريطس، وأنّ الكرسي الرسولي لم يقصد بمنحه الغفران إلّا تكريم ذلك الطوباوي مارون الرئيس الذي كتب تواودوريطس ترجمته وأثنى على قداسته؛ وهذا يظهر جلياً مما ذكرنا آنفاً أنَّ البابا اكليمنضس الثامن عمله. فلك إذاً أن تخبر المجمع بكل هذا وتتَّخذ الوسائل اللازمة والمناسبة وتكتب بأمرنا وأمر المجمع إلى الأخ المحترم البطريرك كيرلس أن يرعوي عما أقدم عليه ولا يجسر من الآن فصاعداً أن يحرم من الإكرام الإحتفالي القديس مارون الرئيس، ويمتنع عن إلقاء الفتنة بين الروم الملكيين والموارنة. وإن رأيت موافقاً أن تبعث إليه بهذه الرسالة المنفذة إليك ليكون على يقين من معرفة إرادتنا فالإرادة لك بهذا الخصوص ونمنحك في الختام البركة الرسولية.

أعطي برومة حذاء كنيسة القديسة مريم المعروفة الكبرى في ٢٨ أيلول سنة ١٧٥٣م وهي السنة الرابعة عشرة لحبريتنا.

فهذا المنشور المحصَّن بهذه الأدلَّة السديدة والحجج القاطعة لا يزاد تبييناً وتأكيداً بل نذيّله بما كتبه البابا بناديكتس الرابع عشر نفسه بعد إبرازه هذا المنشور إلى البطريرك سمعان عواد في رسالته إليه في ١٢ آذار سنة ١٧٥٥م وهو: «إنَّنا لا نرتاب في أنَّ الأب ايسيدورس قاصدنا المارّ ذكره حقّق لإخوتك ما لنا من الحلم الرسولي والغيرة والمحبّة لك أيُّها الأخ المحترم وللاخوان المطارين المكرمين وسائر أبناء أمتك الجليلة العزيزة أي الموارنة كلَّهم الذين يتفاخرون بإقرارهم بأنَّهم تلقوا الاعتقاد بالإيمان الكاثوليكي من القديس مارون بالنوع الأخص وبشفاعته نما وثبت فيهم. ولما كان قلبنا موعباً بهذه المحبة لأمتك قد شقَّ علينا أنَّ بعض الناس لا يحسنون الرأي في قداسة القديس مارون والإكرام المقدَّم له، فبرّأنا قداسته من التهم وأثبتناها بالسلطان الرسولي، وقد أخبرنا قاصدنا المذكور أنَّه كان لذلك وقع حسن، فسرَّ الجميع به، وقد جرى في وقت ملائم ونافع. فسررنا نحن أيضاً لسرورهم». ويرى كل منصف أنَّه لم يبق من مجال للامتراء في قداسة القديس مارون أو للجدال في براءته من بدعة المشيئة الواحدة بعد حكم الكرسي الرسولي بذلك في المنشور المار ذكره وفي مناشير منح الغفران في يوم عيده وبعد كل ما أوردناه من الحجج الدامغة هدى الله المكابرين.

عد ١٩

براءة القديس يوحنا مارون من بدعة المشيئة الواحدة

نجزئ كلامنا في إثبات هذه الحقيقة إلى الإستدلال عليها. أولاً. بشهادة الأحبار الأعظمين. ثانياً. بسيرة يوحنا مارون وتأليفه. ثالثاً. بشهادة أعدائه أنفسهم. رابعاً. بشهادة العلماء المحققين. خامساً. ببيان بطلان ما يرد على ذلك.

شهادة الأحبار الأعظمين

قال البابا بناديكتس الرابع عشر في خطبته بكرادلة الكنيسة الرومانية في ١٣ تموز سنة ١٧٤٤م: «لا يخفى عليكم أنَّه في أواخر القرن السابع عندما فشت بدعة القائلين بمشيئة واحدة بالمسيح وأفسدت سكان البطريركية الأنطاكية جزم الموارنة حينئذٍ رغبة في وقاية طائفتهم سالمةً من ذلك الفساد أن يختاروا لهم بطريركاً يثبته الحبر الروماني». وقد أجمع كل من ذكروا يوحنا مارون أو سلسلة بطاركة الموارنة أنَّ البطريرك الذي اختاره الموارنة حينئذٍ إنَّما هو القديس يوحنا مارون. أيتفق أن يكون يوحنا مارون من أصحاب بدعة المشيئة الواحدة وأن يختاره الموارنة ليقوا طائفتهم من فسادها؟ أو يعرف هذا البابا العلامة أنَّ يوحنا مارون متلوث بهذه البدعة ويقرظ الموارنة على انتخابه ليقيهم فسادها؟

إنَّ البابا بيوس السابع قد منح في ٣٠ كانون الثاني سنة ١٨٢٠م غفراناً كاملاً لجميع المؤمنين الذين يزورون كنيسة القديس يوحنا مارون في مدرسة كفرحي ببلاد البترون يوم عيده في الثاني من شهر آذار، ثم عمم نيل هذا الغفران لمن يزور أية كنيسة كانت من كنائس الموارنة في ذلك اليوم. وهذه ترجمة صورة منح الغفران: «إنَّ سيِّدنا الكلي القداسة بيوس السابع البابا بعناية الله قد منح بواسطتي أنا المدون اسمي أدناه كاتب مجمع نشر الإيمان المقدَّس غفراناً كاملاً مؤبداً يمكن تقديمه إسعافاً للنفوس المعتقلة في المطهر لجميع المؤمنين إفراداً وإجمالاً رجالاً ونساءً الذين يزورون بعبادة كنيسة القديس يوحنا مارون التي بقرية كفرحي في أبرشية البترون في يوم عيد القديس يوحنا مارون المذكور بحيث يكونون

نادمين ندامة حقيقية ويعترفون ويتناولون القربان الأقدس ويبتهلون لله خاشعين مدة من ذلك اليوم من مشرق الشمس إلى مغيبها من أجل انتشار الإيمان المقدّس. أعطي في رومة من ديوان المجمع المقدّس في اليوم والسنة المذكورين أعلاه مجاناً ودون دفع شيء ولو بأية حجة كانت.

كرلس ماريا بيديشيني – كاتب المجمع

طبع في مطبعة مجمع نشر الإيمان المقدّس وهذه ترجمة صورة تعميم الغفران في مواجهة سيدنا الكلي القداسة في ١٧ أيار سنة ١٨٢١م.

إنَّ الغفران الكامل المؤبد الممنوح في ٣٠ كانون الثاني سنة ١٨٢٠م لمن يزورون بعبادة كنيسة القديس يوحنا مارون بطريرك الموارنة الأنطاكي يوم عيد هذا القديس في اليوم الثاني من آذار كل سنة من جميع المؤمنين رجالاً ونساءً بحيث يكونون نادمين ندامة حقيقية ويعترفون ويتناولون القربان الأقدس؛ فهذا الغفران قد تعطَّف قداسة سيدنا البابا بيوس السابع بواسطتي أنا المدوّن اسمى أدناه كاتب مجمع نشر الإيمان المقدَّس وجعله عاماً لجميع كنائس الطائفة المارونية ولاسيما الكنيسة التي بنيت حديثاً إكراماً للقديس البطريرك المذكور، ويروم قداسته أن يستمر هذا الغفران موبداً مع حفظ كل شيء بحسب قوة المنح السابق وصورته أعطي برومة من ديوان المجمع المقدَّس المذكور، في اليوم والسنة المار ذكرهما مجاناً دون دفع شيء بأي حجة كانت.

كرلس ماريا بيديشيني

كاتب المجمع

طبع بمطبعة مجمع نشر الإيمان المقدَّس

إنَّ خصوم الموارنة يتهمونهم بهذه البدعة سنداً إلى أنَّ مارون أو يوحنا مارون ابتدعاها أو تلوثا بها وعليه فجميع شهادات الأحبار الأعظمين التي أثبتوا فيها أنَّ الموارنة استمروا دائماً متشبثين بالإيمان الكاثوليكي ولم يزيغوا عنه البتة تثبت اتباعاً أنَّ هذين القديسين براء خلاء من هذه البدعة، وجمعنا كثيراً من شهاداتهم في

كتابنا روح الردود وسنورد بعضها في العدد التالي وعلى شهاداتهم المعول في أمر الدين ولا يوازيها شاهد أياً كان، ومن قال إنَّ أحدهم منح غفراناً تكرمةً لمبتدع أو ضال كان هو من الضالين.

ثم إنَّ تسمية الأحبار الأعظمين من أقدم الأيام هذه الأمة باسم موارنة دليل ناطق على أنَّهم لم يعتدوا مارون ويوحنا مارون هراتيكيين لأننا نراهم لم يسموا اليعاقبة الذين رجعوا إلى الإيمان الكاثوليكي يعاقبة بل سموهم سرياناً كاثوليكيين وكذلك لم يتركوا الكلدان الذين اتبعوا المذهب الكاثوليكي يسمون نساطرة بل كلداناً كاثوليكيين ولا الأرمن براصمة بل أرمناً كاثوليكيين، فلو كان أحد المارونين هراتيكياً لسموا المنتسبين إليهم سرياناً كاثوليكيين لا موارنة. وهذا دليل واضح وقاطع وقد ذكره كثيرون من العلماء اللاتينيين.

الدليل بسيرة يوحنا مارون وتآليفه

إنَّ تاهمي الموارنة يزعمون سنداً إلى اوهام سعيد بن البطريق أنَّ يوحنا مارون ابتدع بدعة المشيئة الواحدة، وهذا يستحيل عليهم إثباته إذ أجمع العلماء على أنَّ هذه البدعة كان أوَّل ظهورها سنة ٦٢٨م وأجمل كل من ذكروا يوحنا مارون أنَّه صير بطريركاً سنة ٦٨٥م وتوفاه الله سنة ٧٠٧م وقد مر انّا لو فرضنا أنَّه عاش ثمانين سنة لكان مولده سنة ٦٢٧م قبل ظهور هذه البدعة بسنة واحدة افطفل يبدع بدعة؟ وإن قالوا إنَّه تلوث بهذه البدعة وتشبث بها بعد بلوغه فإليك رد قولهم. إنَّ كل ما أوردناه في عد ٧٠٩ في قداسة يوحنا مارون من شهادات العلماء والكتب القديمة لإثبات قداسته والتعييد له كسائر أصفياء الله القديسين وعرض صوره في الكنائس كصورهم وذكره في الرتب البيعية في جملة أسماء الملافنة الكاثوليكيين ككيرلس وفم الذهب وأفرام وغيرهم وإقامة القداس يوم عيده وتعارف الناس والعلماء الكاثوليكيين له قديساً وطوباوياً، فكل هذه بل كل واحدة منها تثبت أنَّ يوحنا مارون براء من كل بدعة ولاسيما بدعة المشيئة الواحدة. وقد مرَّ أنَّ كثيرين من المؤرخين أثبتوا أنَّ الملك يوستنيانس الأخرم المغوي ببدعة المشيئة الواحدة والمحامي عنها قد اضطهد يوحنا مارون وأرسل جنوداً للقبض عليه فأحرقوا دير القديس مارون ودكوه وزحفوا إلى جهات طرابلس للقبض على البطريرك والتنكيل بقومه، فناصبهم الموارنة حرباً بارشاد

هذا البطريرك وبقيادة ابن اخته الأمير ابراهيم. وقد ذكر كثيرون من أولئك المؤرخين أنَّ هذه الحرب كانت بسبب الدين ويؤيد ذلك حرق الدير ودكه فكيف يوفق هذا مع كون يوحنا مارون ورعيته من أصحاب بدعة المشيئة الواحدة التي كان يوستنيانس يعنى بنشرها وتأييدها . ثم إنَّ كلَّ ما أوردناه في عد ٧٠٧ و ٧٠٨ في تأليفات يوحنا مارون من تحقيقنا قوله في كتابه إيضاح الإيمان: «إنَّ للمسيح طبيعتين إلهية وبشرية ولهما مشيئتان كاملتان وفعلان كاملان» وقوله «إنَّ الذي كان يتألَّم مثلنا كان له كما لنا أفعال خصوصية طبيعية وبشرية». ومن تصحيحنا ما جاء في فاتحة كتابه المذكور من أنَّه: «كان يرد مزاعم تلاميذ قورش بطريرك اسكندرية الذين كانوا يعتقدون مشيئة واحدة تبعاً لملوك ذلك الزمان. ومن إثباتنا له كتابه في شرح رتبة القداس وقد قال فيه قد تمثل تباع ديوسقورس من بلبلوا مشيئتي ربَّنا وفعليه . . . وحققنا بشهادات آبائنا الأطهار التي جمعناها في كتابنا نقضاً لزعم من يبلبلون طبيعتي ربنا ومشيئتيه ويخلطون خواصه وأرسلنا كتابنا إليكم». وقال فيه أيضاً: «كل من لم يعترف ويقول إنَّ ربَّنا اتَّحد بالجسد اتحاداً جوهرياً حفظت فيه طبيعتاه بخواصهما الإلهية والبشرية . .. فليكن محروماً». وقال أيضاً: «حاربها (أي الكنيسة) قورش الإسكندري واتباعه وبلبلوا مشيئتي ربنا وفعليه فبادوا وتبددوا كالدخان». فكل هذه الأقوال التي حققنا أنَّ يوحنا مارون كتبها لم تثبت فقط إثباتاً جلياً براءته من بدعة المشيئة الواحدة بل تفنيده لها ومناضلة أصحابها أيضاً .

شهادة أعداء يوحنا مارون لبراءته من البدعة

إنَّ شهادة الخصم لخصمه لا مرد لها وقد أنبأتنا الآثار وكتب اليعاقبة أنفسهم أنَّهم كانوا دائماً أعداء ليوحنا مارون والموارنة فشهادتهم لهذا القديس بينة دامغة فقد جاء في كتاب تعليمهم الذي كان محفوظاً في مكتبة مدرسة الموارنة برومة ما نصَّه بحروفه: «قام مارون (لا شكَّ في أنَّ المراد يوحنا مارون كما هو بيِّن من الكلام الآتي) ووافق ملك الفرنج وكان أوجان البرنس وقال له يا ملك الزمان نحن خائفون على جبل لبنان أن تديره طائفة الملكية إلى أمانتهم (يظهر منه أنَّهم كانوا يعتقدون حينئذٍ المشيئة الواحدة) فقل للكردينال الذي عندك أن يكرِّسني مطراناً حتى أمسك هؤلاء الناس على الأمانة الفرنجية والأمانة اليعقوبية لا أذكرها فكرَّسه

مطراناً على البترون». وكان هؤلاء اليعاقبة يقذفون يوحنا مارون لأنَّه كان يعتقد طبيعتي المسيح ومشيئتيه ويهزأون به كأنَّه يدَّعي أنَّه أعلم من السيد المسيح فمن أقوالهم عليه في كتابهم المذكور: «إنَّ مارون كان أعلم من السيِّد المسيح بذاته وبسر اتحاده متى سمعنا السيد المسيح قال إنَّ لي طبيعتين ومشيئتين» ويذكرون اسمه مصغراً تحقيراً له فمن أقوالهم في هذا الكتاب: «عندما وصل تملُّك الملكية إلى قرية اسمها أميون ارتفع ميورين وابن اخته بريهيم عن الملكية إلى سمر جبيل وحماهم من الجزية التي فرضها الملكية». وقالوا في الكتاب المذكور أيضاً «ما رضيت الطوائف أن يؤمنوا حتى قلتم أنتم يا موارنة طبيعتين ومشيئتين» طالع كتابي روح الردود ومن صفحة ١٤٧ إلى ١٥٧) في أقوال اليعاقبة هذه في كتاب تعليمهم وفي مؤلِّف هذا الكتاب الذي أثبتنا أنَّه ليس ليعقوب البردعي تبعاً لما حققه السمعاني في مجلَّد ٢ صفحة ٦٨ من مكتبته الشرقية، ثمَّ عزاه في مجلَّد ٢ من مكتبته الشرقية صفحة ٤٦٨ إلى نوح البقوفاوي اللبناني بطريرك اليعاقبة.

شهادة العلماء المحققين

استشهدنا في عد ٧٠٩ لقداسة يوحنا مارون بأقوال الأب كوارسميوس في الكتاب الأوَّل من مؤلفه في وصف الأرض المقدَّسة وشيواريوس في كتاب رحلته إلى أورشليم وكرلس برتلماوس في كتابه السنكساري الروماني والبولنديين في المجلَّد الرابع لشهر تموز والأب لكويان في المجلَّد الثالث من كتابه المشرق المسيحي والأب ايرونيمس دنديني في كتاب بعثته إلى لبنان ودي لاروك في كتاب رحلته إلى سورية والكردينال أورسي في تاريخه لسنة ٦٣٦م وباجيوس في حواشيه على تاريخ بارونيوس لسنة ٦٣٣م. فكل هؤلاء شهدوا لقداسة يوحنا مارون وباولى حجة براؤه من بدعة المشيئة الواحدة ونزيد عليهم أيضاً الأب روهر بخر في تاريخه لسنة ٦٣٨ حيث قال: «إنَّ يوحنا الفلادلفي الذي أقامه القديس مرتينس البابا نائباً للكرسي البطريركي الرسولي في المشرق سرَّه ما بلغه من أنَّ الموارنة استحوذوا على جبل لبنان وما كان من أنطاكية إلى أورشليم فلكي لا يحرموا من المساعدات الروحية أقام له يوحنا مارون راهب دير القديس مارون على العاصي أسقفاً عليهم». وقد برأ

علماء الموارنة يوحنا مارون من هذه التهمة بل أثبتوا قداسته وقد ذكرنا بعضهم آنفاً وأبنّا ما اعتمدوا عليه في أقوالهم منهم جبرائيل اللحفدي أسقف نيكوسية بقبرص في محال كثيرة من تآليفه وابراهيم الحاقلي وجبرائيل الصهيوني الإهدني والبطريرك أسطفانس الدويهي في كتاب احتجاجه عن الموارنة ومرهج بن نمرون الباني في كتابه في أصل الموارنة واسمهم ودينهم ويوسف سمعان السمعاني في محال كثيرة من مكتبته الشرقية وفي مجلّد ٢ فصل ٢٠ من مكتبته في الناموس ويوسف ولويس السمعاني في كتابهما في الرتب البيعية وأسطفانس عواد السمعاني في كتابه في أعمال الشهداء الشرقيين والغربيين وفي كتابه في قداسة يوحنا مارون والأب بطرس مبارك اليسوعي الماروني والبطريرك يوسف أسطفان في كتابه في قداسة يوحنا مارون في فصول شتى والخوري أنطوان قيالة في رده كراسة القس يوحنا عجيمي وأخيراً العلامة البطريرك بولس مسعد في ردّه المنظوم. وما أحسن ما قاله البطريرك يوسف أسطفان (في قسم ٣ فصل ٤ من كتابه في قداسة يوحنا مارون) في درّه زعم من يقول إنَّ الموارنة لا تقبل شهادتهم لبطريرك طائفتهم فقد قال ما ملخّصه «لِمَ يصدق مؤرخو فرنسة وإسبانيا وإيطالية واوستريا وبلاد الروم في أخبار بلادهم وقبائلهم ولا يصدق الموارنة في رواية أخبار بلادهم ورؤسائهم، ولو صحَّ مبدأ الخصوم لم يبق تاريخ يعتمد عليه. ونرى المحققين يؤثرون الاعتماد في تواريخ كل قبيلة على ما كتبه علماؤها فضلاً على ما كتبه الأجانب عنها لزيادة المخبرة في الوطني على الأجنبي ولا يتصوَّر البتة أنَّ علماء كثيرين كمن ذكرناهم من الموارنة ومنهم أساقفة وبطاركة يتواطئون على نشر الكذب وعلى استنباط أخبار لم يتلقوها عن قدمائهم وعليه فشهادة علماء الموارنة في تاريخ بطريركهم هي أهل للتصديق كشهادة غيرهم . ولاسيما أننا ذكرنا شهادة كثيرين من اللاتينيين تطابق شهادتهم .

إنَّ لنا شهوداً آخرين كثيرين يتبيَّن لأوَّل نظرة أنَّ شهادتهم سلبية وهي بالحقيقة وضعية موجبة، فإذا حدثت مثلاً جريمة وشهد شاهدان عدل أنَّ زيداً اقترفها وشهد مئة شاهد على أنَّهم لم يروه اقترفها حكم بشهادة الشاهدين وردت شهادات المئة شاهد لأنَّها قامت على السلب أو النفي، لكن الحكم على زيد بأنَّه الفاعل تبرئة من الجريمة لكل من سواه وتكون هذه التبرئة وضعية موجبة لا سلبية. وكذلك في مبحثنا فقد عقدت مجامع للفحص عن بدعة المشيئة الواحدة ومبتدعيها وكتب تاريخها وغيرها من البدع علماء كثيرون وقضت تلك المجامع وأولئك العلماء أنَّ

مبتدعيها إنّما هم سرجيوس وبيرس وبولس وبطرس بطاركة قسطنطينية وقورش بطريرك اسكندرية ومكدونيوس ومكاريوس بطريركا أنطاكية وتوادورس أسقف فاران ببلاد العرب وأثناسيوس بطريرك اليعاقبة وبعض الكهنة المحازبين لهؤلاء ولا ذكر لمارون أو الموارنة في واحد من كتب تلك المجامع أو أولئك العلماء وهذا تبرئة قاطعة للمارونين والموارنة.

وإليك هذا البرهان مبسوطاً قد عقد لنبذ بدعة المشيئة الواحدة مجمع في أورشليم سنة ٦٣٤م عقده البطريرك صفرونيوس ومجمع آخر فيها سنة ٦٤١م ومجمع في قبرص سنة ٦٤٣م وأربعة مجامع في هذه الحقبة في إفريقية اهتمّ بها القديس مكسيمس لمناصبة بيروس بطريرك قسطنطينية ومجمع في رومة سنة ٦٤٦م دعا إليه البابا توادورس ومجمع آخر فيها سنة ٦٤٩م عقده القديس مرتينس البابا ومجمع في مديولان سنة ٦٧٩م ومجمع آخر في رومة سنة ٦٨٠م ثم عقد المجمع السادس المسكوني سنة ٦٨٠ إلى سنة ٦٨١م والمجمع المعروف بمجمع قصر الملك سنة ٦٩٢م ومجمع آخر في قسطنطينية سنة ٧١٢م تاييداً لهذه البدعة ومجمع آخر فيها سنة ٧١٥م دفعاً لها ولا أثر في كتب هذه المجامع كلها كاثوليكية أو غير كاثوليكية لمارون أو الموارنة. وكان من الأحبار الأعظمين مذ نشأت هذه البدعة إلى حين وفاة يوحنا مارون أنوريوس الأوّل واسفارنيس الثاني ويوحنا الرابع وتوادورس ومرتينس الأول وأوجانيوس وفيتاليوس ودوداتس ودونس وأغاتون الذي عقد المجمع السادس ولاون الثاني الذي أثبته وبناديكتس الثاني ويوحنا الخامس وقونون وسرجيوس الذي أثبت يوحنا مارون بطريركاً ويوحنا السادس ويوحنا السابع الذي توفي في أيامه البطريرك المذكور ولا نرى أثراً في رسائلهم أو براءاتهم أو كتبهم لمارون أو الموارنة وترى فيها متواتراً ذكر مبدعي هذه البدعة وانصارها كما ذكرناهم.

وكان في زمان ظهور هذه البدعة وانتشارها علماء كثيرون منهم القديس مكسيمس المعترف البطل الكمي في مقاومتها والقديس صفرونيوس بطريرك أورشليم وقد ذكر في تآليفه أصحاب هذه البدعة ثم أندراوس المعروف بواضع القوانين ويوحنا الفيلادلفي نائب الكرسي الرسولي في بطريركيتي أنطاكية وأورشليم وقبله أسطفانس أسقف دورا (الطنطورة). وبعد انتشار هذه البدعة يوحنا الدمشقي وقد عدد في كتبه البدع والمبدعين، وبولس الشماس وتوافان في القرن الثامن وقد

ذكر غزوات المردة وسطوتهم، وأنسطاس المكتبي في القرن التاسع وقد ذكر غزوات الموارنة ولانسيوس في القرن العاشر وشدرانس في القرن الحادي عشر وزوناراس في الثاني عشر وقد ذكرا صولة الموارنة ونيكوفور كاليستس في الرابع عشر وقد عدد بدع المشرق وغير هؤلاء كثيرون ولا ترى خطة في كتبهم أجمع تشير إلى أنَّ مارون أو الموارنة أبدعوا في بدعة أو تشبثوا بها فيا لأمر عجيب غريب لا يعرف له في التواريخ مثيل أن يبدع مارون أو الموارنة بدعة ولا يظهر لهم أثر يشير إلى ذلك في المجامع أو رسائل الأحبار الأعظمين أو كتب العلماء في قرون كثيرة كما رأيت.

بطلان ما يرد على ذلك

أجل ورد أثر لذلك في كتاب سعيد بن بطريق البطريرك الملكي الإسكندري في منتصف القرن العاشر وهو قوله الذي ذكرناه أكثر من مرة وابنا بطلانه ولاسيما أنَّه زعم أنَّ مارون كان في أيام موريق الملك وهو كان في أيام أركاديوس وبينهما نحو من قرنين، وأنَّ مارون ابتدع بدعة المشيئة وهي لم تظهر إلَّا في سنة ٦٢٨م، فكان مارون قبلها بأكثر من قرنين بل قد فنَّد بناديكتس الرابع عشر نفسه قوله كما رأيت في منشوره بالعدد السابق وقد نفعنا ابن البطريق بقوله بعد موت مارون بنى أهل حماه ديراً له على العاصي فكان كلامه تبرئة ليوحنا مارون لأنَّ هذا الدير بني على اسم مارون قبل يوحنا مارون بأكثر من قرنين كما رأيت ذلك في منشور البابا بناديكتس الرابع عشر. وكذا يصدر الله من الشر خيراً فكلام ابن البطريق في مارون فرية وتهمة وقوله الآخر في بناء الدير تبرئة ليوحنا مارون من تلك التهمة.

وورد قول آخر لغوليلمس أسقف صور (في تاريخ الحرب ك ٢٢ فصل ٨) قال فيه إنَّ الموارنة: «تشبثوا بضلال مارون نحو خمس مئة سنة، ثمَّ أقلعوا عنه بالإلهام الإلهي ... وكان ضلالهم أنَّ في المخلِّص مشيئة واحدة وفعلاً واحداً كما يظهر من المجمع السادس الذي عقد ضدهم وحرموا فيه» وقد انتحل غوليلمس هذا الكلام عن سعيد بن البطريق بدليل أنَّه قال في فاتحة كتابه «ألَّفنا تاريخاً ينبسط إلى خمس مئة وسبعين سنة ... واقتفينا بشهادة الرجل المحترم سعيد بن بطريق البطريرك الإسكندري» فكلامه إذاً مبني على شهادة سعيد الباطلة وما بني على الباطل باطل

ويظهر أنَّ غوليلمس التقف كلام سعيد دون تروٍ أو تحرٍّ يدلُّنا على ذلك قوله إنَّ المجمع السادس عقد ضد الموارنة وقد حرمهم، ولو طالع أعمال المجمع السادس ولاسيما ترجمتها اللاتينية لأدرك أنَّ المجمع السادس حرم سرجيوس وبيرس إلى آخر من ذكرناهم آنفاً لا مارون أو الموارنة الذين ليس في المجمع المذكور خطة تشير إليهم ويكفينا مؤونة الرد لزعمه قول البابا بناديكتس الرابع عشر في منشوره الذي أثبتناه آنفاً: «إنَّ أصحاب الرأي المضاد (للموارنة) يوردون شهادة غوليلمس أسقف صور (وعين المحل الذي ذكرناه) على أنَّ شهادة غوليلمس لا تكفي لتأييد الرأي المضاد للموارنة ولربما عرف غوليلمس نفسه ضعف قوله، ولذلك عزاه إلى المجلَّد الثاني من تاريخ سعيد البطريرك الإسكندري، وسوف نسهب الكلام إن شاء الله في رد زعم غوليلمس هذا في تاريخ القرن الثاني عشر. وإلى حينه طالع كتاب الدر المنظوم للعلامة البطريرك بولس مسعد صفحة ١٥١ وما يليه. وكتابنا روح الردود من صفحة ١٢٣ إلى صفحة ١٣٢.

قيل إنَّه جاء في ترجمة عربية لأعمال المجمع السادس اسم مارون في جملة من تلوثوا بهذه البدعة؛ فإن صحَّ هذا القيل كان زيادة من زيادات أعداء الموارنة على بعض الكتب ولا عبرة له البتة لأنَّ الأصل اليوناني والترجمة اللاتينية لا أثر فيها لاسم مارون كما حقَّق البطريرك يوسف أسطفان في كتابه في قداسة يوحنا مارون قسم ٣ فصل ١ وكذا لا عبرة لأقوال كثيرين من الحدثاء الذين انخدعوا بقول سعيد بن البطريق وغوليلمس الصوري لعدم ترويهم، وقد خالفهم في ذلك كثيرون من الأحبار الأعظمين والعلماء المحققين. راجع ما ذكرناه في تاريخ الموارنة في القرن السادس.

عد ٢٠

براءة الموارنة من بدعة المشيئة الواحدة

إنَّ كل ما ذكرناه في براءة القديسين مارون ويوحنا مارون من بدعة المشيئة الواحدة هو حجج قاطعة لبراءة الموارنة من هذه البدعة لأنَّ جميع من اتَّهموا الموارنة بها زعموا أنَّهم تابعوا عليها مارون أو يوحنا مارون، فإذا قوض الأساس أصبح بناء هذه التهمة في الجو ولا أساس له فيسقط لا محالة وكان لنا أن نكتفي بهذه

الحجج لكننا لا نكتفي بها بل نزيد عرضنا إثباتاً بشهادة الأحبار الأعظمين والعلماء المحققين وبايراد بعض اعتبارات تاريخية تؤيّد هذه البراءة .

شهادات الأحبار الأعظمين

قد جمعنا في كتابنا روح الردود الذي طبع سنة ١٨٧١م بالعربية واللاتينية كل ما تسّنى لنا الوصول إليه من شهادات الأحبار الأعظمين المثبتة استمساك الموارنة في كل وقت مذ نشأتهم إلى الآن بعرى الإيمان الكاثوليكي وعدم زيغان امتهم عنه، وأوردنا أقوالهم اللاتينية وترجمتها العربية. فنورد الآن بعض هذه الشهادات فمنها رسالة البابا أينوشنسيوس الثالث سنة ١٢٠٧ إلى بطريرك الموارنة التي يثبت له فيها حقوق البطريركية الأنطاكية، ورسالة البابا اسكندر الرابع في منتصف القرن الثالث عشر التي يوصي بها بطريرك الموارنة ان يعتد الإفرنج الذين لبثوا في سورية كشعبه. وقال البابا لاون العاشر في رسالته إلى البطريرك سمعان الحدثي في ١ آب سنة ١٥١٥م: «إنّك وشعبك ترون رأياً قويماً في الإيمان بل تجهدون نفوسكم كثيراً بالأصوام والخصال الحميدة والتقشف ومبرة السيرة؛ وهذا قد أطلعنا عليه في رسائلكم التي تولانا بتلاوتها السرور والبهجة وطابت باستماعها نفسنا وملئ فؤادنا فرحاً لا يوصف، فتحتم علينا أن نحمد الله ونشكره ما قدرنا على ما أسبغه عليكم من نعمة إذ اصطفاكم من بين الكنائس الشرقية لتعبدوه مؤمنين مصونين من الغرق في لجة الكفر والنوائب كما صين الورد من الشوك ليتمجّد بذلك اسمه القدوس ولتكونوا عبرةً صالحة لرجوع غير المؤمنين بمحافظتكم على عادات الكنيسة الجامعة الرومانية ورتبها بنقاوة دون خوف ولم تزيغوا عن محبة الإيمان القويم مع تواتر تيار الضنك والإضطهاد المزمجر به غير المؤمنين والهراطقة والمشاقون باغضو اسم مخلّصنا كما علمنا من رسالتكم ورسالة الأب فرنسيس سوريان (قاصده عند الموارنة) المار ذكره، بل تزدادون قوةً وثباتاً في تحمُّل المصائب والتعيير حباً بالله) ومما قاله له في هذه الرسالة «إنّنا فهمنا من براءات اينوشنسيوس (الثالث) واسكندر (الرابع) المذكورين الصالحي الذكر ان أرميا الذي يسمى بطريركاً أنطاكياً أدّى فروض الطاعة كما اعتاد البطاركة تأديتها للكرسي المقدّس في مدينة طرابلس بحضرة المطارنة

والأساقفة على يد بطرس الكردينال كاهن كنيسة القديس مرشلّس ذي الذكر الصالح » .

وقال البابا بيوس الرابع في براءته إلى البطريرك موسى العكاري في ١ أيلول سنة ١٥٦٢م: « قد علمنا من رسالتكم ما لكم من التوقير السامي والتجلة والتعلّق الشديد بكرسي بطرس زعيم الرسل وثباتكم وثبات أمتكم في التشبث بعرى الإيمان الذي تعلمه الكنيسة المقدّسة الرومانية فنهنيك وأمتك ونسدي الشكر لرأفة الله من صميم فؤادنا لأنّه استبقى له في هذه الأمصار القاصية ألوفاً كثيرة لم تحنُ ركبها لباعال ولم يروّعها ثقل نير غير المؤمنين لتبعد عن الإيمان القويم ولم يعثُ بها قربها من الهراطقة والمشاقين ولم يستطع أن يفصلها عن الكنيسة الكاثوليكية». وقال البابا غريغوريوس الثالث عشر في براءة إنشائه مدرسة للموارنة في رومة سنة ١٥٨٣م: « إنَّ الملة المارونية القاطنة في جبل لبنان ما فتئت مذ قرون شتى متمسكة بالإيمان الكاثوليكي مزدانة بصنوف الطاعة والانقياد للكنيسة الرومانية المقدَّسة ولو أحدقت بها الملل الأراتيكية وغير المؤمنين ». وقال البابا اكليمنضس الثامن في رسالته إلى البطريرك سركيس الرزي في ١ نيسان سنة ١٥٩٥م: « أمّا أنت أيُّها الأخ المحترم فنعانقك وأمتك معانقة مودة خاصة وحب فريد لاتحادكم بنا بوثاق المحبة وقيامكم أمامنا بالروح كل وقت مع بعدكم عنا بالجسد بعداً شاسعاً، وقد استحققتم أن تنزلوا عندنا منزلة الأبناء الأعزاء جداً لثبوتكم في الإيمان الكاثوليكي وخضوعكم الفريد للكرسي الرسولي المقدّس ولم تبرحوا على عادة أسلافكم الحميدة تجاهرون بالطاعة المتوجبة لامكم وأم جميع المؤمنين ومعلمتهم الكنيسة الرومانية المقدَّسة وتحفظون بنعمة الله السابغة عليكم الإيمان الذي أخذتموه عن الكنيسة الرومانية كاملاً سالماً وان احاطت بكم أمم غير مؤمنة وبدع المشاقين ». وكذلك قال البابا بولس الخامس في رسالته إلى البطريرك يوسف الرزي في ١٣ كانون الآخر سنة ١٦٠٦م: « نسأل أبا المراحم الأزلي أن يفيض الخيرات السموية عليكم وعلى سائر الإخوة الأساقفة والأبناء الأعزاء الإكليرس والشعب، لأنّنا نراكم مزهرين بنعمة الله كالورد بين الأشواك ». وقال مثل ذلك في رسالته إلى الموارنة في ٢٨ كانون الأوّل سنة ١٦٠٨م .

وأجاد بمثل هذا التقريظ البابا اوربانس الثامن في رسالته إلى البطريرك يوحنا

مخلوف في ٣٠ آب سنة ١٦٢٥م قائلاً في الموارنة: «لم يذبل جمال الكرمل ولم يذو مجد لبنان ولو مدَّ العدو الباغي إليه يداً». ومشبهاً إياهم: «بجبل صهيون يزدرون الزعازع إذ وعده الرب أنَّه لن يتزعزع إلى الأبد». ومثل ذلك قال البابا اكليمنضس الحادي عشر في رسالته إلى البطريرك اسطفانس الدويهي في ٧ شباط سنة ١٧٠٢م وفي رسالته إلى البطريرك جبرائيل البلوزوي في ١٠ حزيران سنة ١٧٠٥م وفي رسالته إلى البطريرك يعقوب عواد في ٢٩ كانون الثاني سنة ١٧٢١م ومثله كتب البابا اينوشنسيوس الثالث عشر إلى البطريرك المذكور في ١٢ شباط سنة ١٧٢٣م والبابا اكليمنضس الثاني في رسالته إلى البطريرك يوسف ضرغام الخازن في ٢١ تشرين الثاني سنة ١٧٣٥م مشبهاً الموارنة بوردة بين الأشواك وبصخرة صلدة تزدري بتيار بحر هذا العالم. وقد أثنى البابا بناديكتس الرابع عشر العلامة على الموارنة في رسائل وبراءات كثيرة نخصُّ منها بالذكر خطبته بكرادلة الكنيسة الرومانية في ١٣ تموز سنة ١٧٤٤م حيث قال: «إنَّ الموارنة كانوا دائماً كما هم الآن كاثوليكيون للغاية مرتبطون بالاتحاد بهذا الكرسي المقدَّس ومودون الإحترام والطاعة الكاملة لبطريركهم والحبر الروماني». واستطرد إلى ذكر ما قرظهم به أسلافه مما مرَّ بنا ذكر بعضه واجاد بمثل ما مر البابا اكليمنضس الثالث عشر في منشوره إلى الأعيان والإكليرس والشعب الماروني في ١٩ حزيران سنة ١٧٦٧م والبابا اكليمنضس الرابع عشر في رسالته إلى البطريرك يوسف أسطفان في ١٠ تشرين الأوَّل سنة ١٧٧٠م والبابا بيوس السادس في رسالته إلى المطارين والأساقفة والإكليرس والأعيان والشعب في ١٧ تموز سنة ١٧٧٩م والبابا بيوس السابع في رسالته إلى البطريرك يوحنا الحلو وأساقفته في ١ تشرين الثاني سنة ١٨١٦م وفي رسالته إليهم في ٢٠ أيار سنة ١٨١٩م والبابا بيوس الثامن في رسالته إلى البطريرك يوسف حبيش في ١١ ك ٢ سنة ١٨٣٠م والبابا غريغوريوس السادس عشر في رسالته إلى البطريرك المذكور في ١٤ تموز سنة ١٨٣٢م. ومثل ذلك كتب البابا بيوس التاسع في رسائل عديدة إلى البطريرك بولس مسعد وقد كتب إلى حقارتي في ٢٩ آب سنة ١٨٧٢م: «إنَّ إيمان طائفتك الذي لم يشبه دنس وطاعتهم المستمرة لهذا الكرسي المقدَّس التي دافعت عنها بصواب في محل آخر (أي في روح الردود) وبرأتها من الشبهات ... كل ذلك كان له عندنا أحسن قبول». وفريد عصره وزينة دهره البابا لاون الثالث عشر المالك سعيداً في كثير من رسائله

وخطبه، من ذلك ما قاله في خطبته في تثبيت البطريرك يوحنا الحاج وهو: «إنَّ الموارنة منتشرون في أنحاء لبنان ... وهم أمة اشتهرت بالوقائع الجليلة لكنها امتازت خاصة بالثبات الذي حفظت به الإيمان الكاثوليكي صحيحاً سالماً في بهرة امتحانات ومصاعب كثيرة». وقال في رسالته إليه في ١٧ آذار سنة ١٨٩٥م: «إنَّ ما كتبته حديثاً عن إيمانك وإيمان أمتك غير المتزعزع وعن طاعتكم السامية لهذا الكرسي الرسولي قد كان ساراً لنا للغاية فإنَّ هذه الأمور وإن كانت واضحة لدينا من ذي قبل فإعادة ذكرها تطربنا كثيراً». إلى أن يقول: «إنَّ الإيمان الذي حفظته ملتكم الشريفة سالماً كاملاً غير منثلم لا يدعنا نرتاب في أنّكم وإن لم تحضروا في اجتماعاتنا مع الإخوة المحترمين البطاركة الشرقيين تذعنون لكل ما رسم في الرسائل الرسولية» وقد كتب إلى حقارتي في ٢٢ آب سنة ١٨٧٨م: «قد سررنا بما ابنته أيها الأخ المحترم عن طاعتك وإجلال الموارنة لهذا الكرسي الرسولي فتعلق الموارنة بهذا الكرسي الرسولي في كل وقت كان شديداً وما قاسوه من المحن الثقيلة من أجل هذا السبب بمكر أعدائهم كان عظيماً ولكن أعظم من ذلك عذوبة لدينا ما يبدونه لنا من مظاهر التكريم».

فشهادة كل هؤلاء الأحبار الأعظمين في بحث ديني بحت لا تقوم أمامها شهادة العلماء والمؤرخين أياً كانوا، وهي أكثر من كافية، ومع ذلك لا نقتصر عليها بل نورد شهادة العلماء المحققين.

نؤثر أن نورد أولاً شهادات كرادلة الكنيسة الرومانية لتيقّن صدقهم ومخبرتهم لقربهم من مركز وحدة الإيمان، فلشهادتهم المحل الثاني بعد شهادة الأحبار الأعظمين. قال الكردينال بنديني في رسالته إلى البطريرك يوحنا مخلوف في ٣٠ تموز سنة ١٦٢٥م مخبراً عن طبع بعض كتبنا البيعية في رومة: «بعد البحث الجهيد في هذه الكتب ومطالعة لاهوتيين آخرين لها عرضنا نتيجة فحصها على الآب الأقدس فتولاه سرور لا يوصف لأنَّ الله تنازل بحنوه الوافر أن يحفظ عندكم إيمان الكنيسة الرومانية كاملاً سالماً من الفساد وإن كنتم بعيدين عنها وبينكم وبينها أصقاع وبحور وإن احدق بكم من كل جانب أعداء كثيرون لهذه الكنيسة». وقال الكردينال يوليوس ماريّا دلا صوماليا رئيس مجمع نشر الإيمان المقدَّس في رسالته إلى البطريرك يوسف حبيش في ١٤ آب سنة ١٨٢٤م: «إنَّ سرور الآب الأقدس البابا لاون الثاني عشر لدى مطالعته إيضاحات طاعتكم الإبنية وتعلقكم الشديد بكرسيه

ومظاهر البهجة التي أبديتموها تهنئة له بارتقائه إلى كرسي القديس بطرس كان سامياً وعظيماً كعظمة ثبوت الأمة المارونية على ممر الأيام في حفظ وديعة الإيمان من غير دنس وقيامها على الإتّحاد بالكرسي الرسولي الروماني المقدّس من دون انفصال في وقت من الأوقات» ورغبة في الإيجاز نقتصر على شهادة أخرى حديثة لكنّها صريحة وقاطعة وهي شهادة الكردينال لودوكسكي رئيس مجمع نشر الإيمان المقدّس الآن في رسالته إلى البطريرك يوحنا الحاج في ١٨ شباط سنة ١٨٩٥م حيث قال إنَّ رسالتكم إلى الآب الأقدس هي: «على غاية من اللياقة بحبر شريف ورئيس الكنيسة والأمّة المارونية المجيدة التي كانت متحدة في كل وقت وبكل إخلاص بكرسي القديس بطرس المعصوم من الغلط وقد عرفت أن تحافظ على الإيمان الكاثوليكي المقدّس في المشرق وتدافع عنه في كل عصر من أعصر الكنيسة بل ان تساعد مساعدة فعّالة على ارتجاع غيرها من الطوائف الشرقية إليه من ذلك على سبيل المثل مساعدتها على رجوع السريان والروم الملكية في القرن الماضي».

وبعد شهادة الكرادلة نثبت شهادات بعض من أرسلهم الكرسي الرسولي إلى المشرق لمهام دينية أو أدبية وأقاموا سنين متطاولة بين الموارنة فمن هؤلاء الأب فرنسيس سوريانس وقد أقام مدات بين الموارنة قال في عريضة رفعها إلى البابا لاون العاشر سنة ١٥١٤م: «إنَّ الموارنة أجمع محافظون بلا ريب على وديعة الإيمان القويم ومتشبثون بعراه ويؤدون كنيسة رومة المقدّسة عظيم التكريم كالأبناء الصالحين المتعبدين ولم يزيغوا في وقت من الأوقات عن شيء مما يخص خلاص النفوس». ونسخة من هذه العريضة محفوظة في خزانة بطريركية الموارنة أتى بها من رومة القس بطرس الماروني رسول البطريرك سمعان الحدثي إلى البابا لاون العاشر.

ومن هؤلاء أيضاً الإب إيرونيمس دنديني اليسوعي وقد أرسله البابا اكليمنضس الثامن إلى الموارنة وعقد رؤساؤهم بحضرته مجمعهم سنة ١٥٩٥م فهذا قال في فصل ١٩ من كتاب سفارته هذه متكلماً في يوحنا مارون وكان يرى أنّه مضى إلى رومة وهذه ترجمة قوله: «وعاد منها بطريركاً على أولئك المؤمنين الذين ما انفكوا أمناء ثابتين في الدين الكاثوليكي وما فتئوا من تلك الأيام إلى الآن يؤدون الكرسي الرسولي الروماني فروض طاعتهم». وقال في فصل ٢٧ من هذا الكتاب متكلماً عما يتهم الموارنة به: «قد بذلت أعظم الإهتمام باحثاً عن ذلك بنفسي ومتخذاً وسائل أخرى مدققة فلم أجد ما يدلُّ على ذلك البتة . . .

وأدركت جيداً أنَّ ما ذلك إلَّا تهمة رشقوا بها وما نسبة ذلك إليهم إلَّا من أفظع الكذب» ومن هؤلاء الاب عبد الأحد أنطونيوس دي لوكا من رهبان القديس فرنسيس فإنّه قال في خطبته في ٦ نيسان سنة ١٧٦٧م بحضرة البابا اكليمنضس الثالث عشر والكرادلة ولفيف من الطوائف الشرقية بمعرض تثبيت البطريرك يوسف اسطفان وهاك قوله: «أيُّها الأب الأقدس إنَّ ما أثبته البابا بناديكتس ١٤ سالف قداستكم متكلماً في أصل السريان الموارنة وإيمانهم وهو «إنَّ الموارنة كانوا كلَّ حين كما هم الآن كاثوليكيين للغاية ومتحدين أكمل اتحاد بهذا الكرسي المقدَّس». فهذا يشهد به إخوتنا أيضاً وهم ما زالوا يشتغلون بحسب طاقتهم في كرم الرب بسورية وفلسطين منذ زمان أبينا الأقدس فرنسيس حتى اليوم وأشهد به أنا أيضاً وقد باشرت الرسالة الرسولية في تلك الأصقاع سنين متطاولة على أنَّه ما حاجتنا إلى شهود وقد سمعنا في هذا النهار بطرس الرسول الذي أسَّس الكنيسة الأنطاكية مجتازاً بها وخلف لهذا الكرسي الروماني الرفيع السلطان الرسولي الذي قبله من المخلِّص متكلماً بفم قداستكم بتقريظ سام ومشرف ليوسف بطرس المنتدب بطريركاً أنطاكياً ولأمته الموما إليها».

ومن شهادات باقي العلماء والمؤرخين نقتصر على إيراد شهادات من يأتي ذكرهم قال الأب يوسف بيسون اليسوعي في كتابه في سورية المقدسة: «إنَّ الأمَّة المارونية كلّها مسيحية، كلّها كاثوليكية منذ اثني عشر قرناً». يريد بذلك من أيام القديس مارون الذي انتقل إلى ربّه في أوائل الخامس إلى القرن السابع عشر الذي كان فيه المؤلف. وقال الأب بريسيوس الكبوشي في حواشيه على مختصر تاريخ بارونيوس لسنة ٤٠٧م وهذا الكتاب طبع في رومة سنة ١٦٥٣م وهاك قوله ملخصاً: «لا ذكر في التواريخ القديمة للبيعة ولا في المجامع العامة أو الخاصة أنّه كان رجل أراتيكي في أحد الأعصار اسمه مارون وليس من عادة المجامع الصمت عن ذكر المبدعين والبدع وحرمها فقد ذكر فيها الأراطقة فرداً فرداً ولم نجد ذكراً لمارون أراتيكي في مجمع أو تاريخ، وليس من دأب المؤرخين أن يغفلوا عن أمر كهذا فقد عدد نيكوفورس المؤرّخ في تاريخه اليوناني المبتدعين الشرقيين كافةً واحداً فواحداً ولم يأت بذكر مارون أو الموارنة وإن قيل أنَّ ذلك ورد في الترجمة العربية للمجمع السادس وفي تاريخ سعيد بن بطريق وغيره من الملكية ومن نقل عنهم قلنا تلك زيادة من زياداتهم على المجامع وكذبها بيّن فأعمال المجامع اليونانية

لم ينحرفوا قط عن محجة الدين الكاثوليكي ولم ينفصلوا عن الكنيسة، وزادوا على ذلك انهم كانوا جددوا اتحادهم بالكنيسة الرومانية وقتاً ما، فلا ينبغي ان يتأوّل ذلك بمعنى انهم غادروا الدين الكاثوليكي ثم عادوا اليه.

وجاء في كتاب اسطفانوس عواد السمعاني في محاماته عن يوحنا السرومي وهو يوحنا مارون، ان الياس مطران قبرص كان يروم التملص من سلطة بطريرك الموارنة والاستقلال بسلطته محتجاً بما خوله المجمع الافسسي (في عمل ٧ قسم ٢) لمطارنة قبرص من الاستقلال عن بطريرك انطاكية في ترقية اساقفتهم الى الاسقفية، فحسب منشقاً عن بطريركه ومتحداً مع تيموتاوس مطران النساطرة، فالجئ الى ان يتلو دستور ايمانه بحضرة اندراوس رئيس اساقفة رودس. ومهما يكن من امره فهو فرد ورعيته في قبرص فريق يسير من الموارنة، فمن لا يقنعه كلما اوردناه من الادلة لا يسوغ له ان يعيب الملة كلها بعمل بعض افرادها، كما لا تعاب الكنيسة اللاتينية بالكثيرين الذين خرجوا عن طاعتها وعصوها.

لا نشاء ان نختم هذا الفصل دون ان نذيله بما كتبه العلامة السمعاني (في المكتبة الشرقية مجلد ١ صفحة ٥٢٣) متكلّماً في براءة البابا اوجانيوس الرابع في شأن اقرار تيموتاوس مطران الكلدان واسحق قاصد الياس مطران قبرص على الموارنة بالايمان حيث ذكر السمعاني فقرة من البراءة المذكورة قال فيها البابا: «لا يجسرنَّ احد من الشعب والاكليروس من الآن وصاعداً ان يدعو مطران الكلدان واسقف الموارنة المذكورين وشعبيهما واكليرُسهما هراطقة او ان يسمى الكلدان نساطرة، ومن خالف امرنا هذا نأمر اسقفه ان يحرمه الى ان يصنع الترضية الكافية أو يغرّم بجزاء آخر زمني يراه الاسقف». واردف السمعاني ذلك بقوله: انظر الى الفرق الذي وضعه البابا بين اسمي الموارنة والنساطرة. فلما كان الموارنة لم يأخذوا اسمهم عن مبتدع نهى عن ان يسموا هراطقة فقط. واما النساطرة فلما كانوا اخذوا اسمهم عن نسطور المبتدع نهى عن ان يسموا هراطقة ونساطرة، وهذا ما راعاه باجيوس إذ كتب عن الموارنة في تاريخ سنة ٦٣٥م عد ١٣ «بل ان تسمية هذا الشعب نفسها موارنة ينتج منها انهم لم يسموا بهذا الاسم نسبة الى مارون مبتدع، فإن العادة المستمرة في الشرق والغرب ان الهراطقة الذين يرجعون الى الايمان الكاثوليكي ان كانوا غربيين كاللوتاريين والكلونيين دعوا كاثوليكيين، وان كانوا شرقيين فإن كانوا يعاقبة دعوا سرياناً وان نساطرة تسموا كلداناً ويفهم بذلك انهم سريان كاثوليكيون

قال فيها إنَّ المؤلِّف صدق جاهلاً حالة المؤلفين أعداء السريان الموارنة من كلامه الذي ذكره على أنَّ المؤلِّف الفقيه صاحب المحاماة عن القديس يوحنا السرومي المسمى مارون أوَّل بطاركة السريان الموارنة الأنطاكي المطبوعة في رومة سنة ١٦٦٩م (وهذه المحاماة هي للمطران اسطفان عواد السمعاني) قد أبان بأدلة لا يشوبها ريب وحجج كثيرة قاطعة أنَّ كنيستهم كاثوليكية مذ وجدت ولم تكن مشاقة أو أراتيكية قط في أحد الأوقات بل استمرت متمسكة دائماً بعرى إيمان الكنيسة الرومانية فالإيجاز المندبون إليه في هذا المعجم لا يؤذن لنا أن نبيِّن كل ما يلزم هنا من الأحداث وأن نكشف عن المكر الذي يستخدمه أعداء كنيسة السريان الموارنة هذه ولا أن نبيِّن مستشهدين بأعمال سامية وفريدة كم للكنيسة الرومانية عند هؤلاء الموارنة من الحرمة والاجلال وكم قلوبهم وعقولهم مفعمة بالبساطة المسيحية الحميدة. فنجتزئ بإقامة بعض بينات وثيقة جداً على إيمانهم وهي ثمة الفحص المدقق الذي أجراه الأحبار الرومانيون عن إيمان الموارنة المضطهد والموسع بأقبح التهمات المكرية. فمن هؤلاء البابوات بيوس الرابع في براءته إلى بطريركهم موسى: «ويعدد كثيرين من الأحبار الأعظمين الذين قرظوا إيمان الموارنة إلى أن يقول: «والحاصل إنَّ الأمر المؤكَّد جداً والذي لا يشوبه ريب أنَّ كنيسة السريان الموارنة لم تنفصل قط عن الكنيسة الرومانية». وقال مثل ذلك الأب دومينيكس منسى المدقق الشهير في تنقيحه تاريخ نطاليس اسكندر عند ذكره قول تيموتاوس القس القسطنطيني وسنذكر كلامه في الرد على هذا القول، والعلامة يوحنا بلما مدرس التاريخ في مدرسة نشر الإيمان، ومدرسة الاكليروس الروماني في المجلَّد الثاني من دروس التاريخ البيعي صفحة ١٦٧. ونعدل اختصاراً عن ذكر كثيرين غير هؤلاء منهم كانيسيوس اليسوعي في مؤلفه في التعليم المسيحي وأنطونيوس بيصوين اليسوعي في كتابه الاستعداد للإيمان وباجيوس في كتابه الموسوم بسورية المقدسة وروهر بوخر في تاريخه البيعي للقرن السابع ومن ذكرنا شهاداتهم آنفاً إثباتاً لقداسة يوحنا مارون، وأضف إلى شهادات كل هؤلاء شهادات العلماء الموارنة الذين ذكرنا أسماءهم وأسماء كثير من مؤلفاتهم في العدد السالف وأبنّا أنَّ شهاداتهم لأمتهم ليست أقل قدراً من شهادة غيرهم، وأي بحث تاريخي ورد في إثباته أكثر مما أوردناه من شهادات الأحبار الأعظمين والكرادلة والقصاد وهذا العدد الوافر من العلماء المحققين ونزيد على كل ذلك بعض براهين تاريخية.

أولاً إنَّ كل من اتَّهموا الموارنة ببدعة المشيئة الواحدة زعموا أنَّهم تابعوا على هذه البدعة أحد المارونين أو كليهما والحال أننا قد أثبتنا براءة المارونين منها بكل ما مرَّ من الكلام فيهما ولاسيما شهادة الأحبار الأعظمين التي لا ترد فالموارنة إذاً براء خلا من هذه البدعة فكبرى هذا القياس ثابتة بما أوردناه من قولي سعيد بن بطريق وغوليلمس الصوري وهما وكل من شانوا الموارنة بهذه التهمة لم يسندوها إلَّا إلى أنَّ مارون كان مبتدعاً ولم يبين أحد المتهمين أصلاً لهذه التهمة إلَّا هذا، وهذا غير صحيح . فتهمتهم غير صحيحة .

ثانياً: قد مرَّ في عد ٦٩٧ ان ما بدعة المشيئة الواحدة إلَّا فرع من بدعة الطبيعة الواحدة أو نتيجة لازمة عنها، فالمشيئة والفعل خاصتان لازمتان للطبيعة فحيث وجدت طبيعة واحدة وجدت مشيئة واحدة وفعل واحد كما في الثالوث الأقدس . وحيث وجدت طبيعتان وجدت مشيئتان وفعلان كما في المخلِّص، وقد أثبتنا في العدد المذكور أنَّ بدعة المشيئة الواحدة ابتدعها أصحاب الطبيعة الواحدة ولم يكن تسليمهم الموقوت بالطبيعتين إلَّا خدعة حتى إذا اعتقد غيرهم المشيئة الواحدة خلعوا ثوب الرياء وعادوا يثبتون ضلالهم القديم بأنَّ في المسيح طبيعة واحدة بضلالهم الحديث بأنَّ فيه مشيئة واحدة، وقد حققت بينات لا ترد أنَّ الموارنة أنفوا دائماً من بدعة الطبيعة الواحدة وانفصلوا عن أصحابها لاسيما السريان منهم أي اليعاقبة وقاسوا الاضطهاد لمدافعتهم عن الطبيعتين والمجمع الخلكيدوني حتى نال إكليل الشهادة ثلثماية وخمسون راهباً من رهبان القديس مارون كما مرَّ. ويوحنا مارون كتب كتابه إيضاح الإيمان رداً على أصحاب الطبيعة الواحدة وهذا الكتاب لا ينكره عليه أحد. وقد رأيت إقوال اليعاقبة عليه وعلى الموارنة وقد ذكر كثيرون من علمائهم أنَّ أمَّة الموارنة تخالف أمتهم منهم ابن صليبا في كتابه في البدع وابن العبري في كتابه تاريخ الدول لسنة ١٦٩ للهجرة وهي سنة ٧٨٥ للميلاد حيث قال إنَّ توافيلس الرهاوي كان يدين بدين الموارنة سكان لبنان (صفحة ٢٢٠ من طبعة الآباء اليسوعيين لهذا الكتاب) فلو اعتقد الموارنة المشيئة الواحدة بالمسيح لما أنفوا من اعتقاد الطبيعة الواحدة ولا عاداهم كل من يقولون بها كل هذه العداوة ويؤيد هذا ما يأتي .

ثالثاً قد عثر الأب نو الافرنسي الذي ذكرناه مرات في لوندرة على كتاب قديم في عد ١٧٢١٦ في التاريخ يعزى إلى قيس الماروني الذي كان في القرن التاسع فأذاعه بالسريانية ثم نشر ترجمته الافرنسية هذه السنة ١٨٩٩م. ومما جاء فيه هذا التاريخ ما ذكرناه قبلاً وهو: « في سنة ٩٧٠ (يونانية توافق سنة ٦٥٩ م) وهي السابعة عشرة لقسطنت الملك ... في شهر حزيران أتى أساقفة اليعاقبة توادورس وسبكوت إلى دمشق وأقاموا جدالاً بحضرة معاوية في الإيمان مع رؤساء بني مارون وأفحم اليعاقبة، فأمر معاوية أن يدفعوا عشرين ألف دينار وأمرهم أن يلزموا الصمت فجرت هذه العادة على أساقفة اليعاقبة كل سنة فكانوا يدفعون هذا الذهب إلى معاوية كي لا يرخي بهم يده فيضايقهم بنو البيعة. ومن كان يسميه اليعاقبة بطريركاً كان يوزع هذا المبلغ على جميع مساكن الرهبان والراهبات وغيرهم من أبناء مذهبه فيقدمونه كل سنة، وجعل نفسه ܡܩܘܪܛܢܐ (وفسّر الكلمة بالعربية مكتوبة بالأحرف الكرشونية والعربية مرتخص) لمعاوية لكي يطيعه كل اليعاقبة خوفاً منه » انتهى مترجماً عن النص السرياني. فهذا الأمر يتبين منه جلياً أنَّ الموارنة كانوا يخالفون اليعاقبة في معتقدهم وانهم أفحموهم بالجدال على مذهبهم وإنَّهم كانوا على الأيمان القويم إذ سماهم المؤلف بني البيعة أي كاثوليكيين، فاذاً كان الموارنة كاثوليكيين يجادلون الهراطقة في القرن السابع. وقد نشر العالم بروكس في المجلة الأسيوية الألمانية (سنة ١٨٩٦م صفحة ٢٦٩) كتاب تاريخ لعالم يعقوبي من حران أو الرها مجهول الاسم يتَّصل تاريخه إلى سنة ٨٤٦م ومما قال فيه: « وبعد أن ملك أبسيمار ثلاث سنين عاد يوستنيانوس من المنفى في جيش عظيم وقتل جميع رؤساء الروم فقاموا عليه وقتلوه وابنه طيبارنوس وملكوا فيهم فيليبيك سنة ونصفاً، ولما أراد أن يعقد مجمعاً ليؤيد بدعة الموارنة قام عليه الروم وسملوا عينيه وملكوا عليهم أنسطاس (الثاني ... وقبل هذا في أيام يوستنيانوس (الأخرم) وقسطنطين (الليحاني) التي كانت فيها بدعة الموارنة سنة ٩٩٠ (يونانية توافق سنة ٦٨٩ م) في ٣ نيسان حصل زلزال » الخ. فكلام هذا المؤلف اليعقوبي الذي كان في أواسط القرن التاسع بينة حديثة قاطعة على مخالفة الموارنة لليعاقبة في معتقدهم ولو اعتقد الموارنة حينئذٍ المشيئة الواحدة كما كان اليعاقبة يعتقدون لما سمى مذهبهم الديني بدعة كما رأيت (طالع مجلة الشرق عدد ١٠ من سنة ١٨٩٩م صفحة ٤٥٧)

وقد حقق السمعاني (في مقالة في المونوفيزيين) أنَّ بدعة المشيئة الواحدة لم تثبت بعد تحريمها في المجمع السادس إلّا عند أصحاب بدعة الطبيعة الواحدة.

رابعاً إذا نقبنا عن تاريخ القرون التابعة إلى آخر القرن الثاني عشر الذي يزعم الخصوم أنَّ الموارنة رجعوا فيه عن بدعة المشيئة الواحدة إلى حظيرة الكنيسة الكاثوليكية وجدنا آثاراً تنبئ بأنَّهم كانوا في كل هذه القرون كاثوليكيين غير ملوثين ببدعة المشيئة الواحدة فسنذكر بطاركتهم الذين كانوا في القرون التابعة وإن لم يمكنا الغموض المستحوذ على تواريخ هذه القرون من الإطّلاع على أعمالهم وأحوالهم وما كان بينهم وبين أحبار رومة من المراسلات ويكفينا أنَّه لا يوجد خطة في رسائل الأحبار الرومانيين الذين كانوا في مدة القرون الخمسة وفي أعمال المجمعين العامين السابع والثامن اللذين عقدا فيها تشير إلى أنَّ الموارنة ابتعدوا أو اتبعوا بدعة ولو كان ذلك لما غفلوا عن ذكره، ونعلم من جهة أخرى إنَّه كان من الموارنة في القرن الثامن توافيلس الرهاوي الماروني وذكر ترجمته السمعاني (في المكتبة الشرقية مجلَّد ١ صفحة ٥٢١) نقلاً عن أبي الفرج ابن العبري في تاريخ الدول لسنة ١٦٥ للهجرة، وقال إنَّه كان من مذهب الموارنة سكان لبنان المخالفين لمذهبهم. وكان أيضاً صاحب التاريخ المشار إليه آنفاً الذي ذكره المسعودي وسماه قيساً الماروني وحقق الأب نو وقبله العالم نلدك الانكليزي (الذي نشر قسماً من هذا التاريخ) إنَّ هذا الكتاب لماروني ويتبين منه أنَّه كاثوليكي. وقد كان في منتصف القرن الحادي عشر المطران داود الماروني وقد ترجم سنة ١٠٥٩م كتاب القوانين ويسمى كتابه كتاب الهدى أيضاً وقد ذكره كثيرون من علمائنا وسوف نذكر ترجمته في محلها ومما قاله في هذا الكتاب ما رواه مرهج الباني صفحة ٨٩ من مقالته في أصل الموارنة نقلاً عن نسخة لهذا الكتاب كانت في مكتبة مدرسة الموارنة في رومية وهو: «الملكية يتفقون مع المارونية في نطق المشيئتين وقالت المارونية مشيئتين للجوهرين الإلهي والانساني» ولا عبرة لبعض التحريف الذي أدخله توما الكفرطابي على هذا الكتاب وقد أبنَّا زيفه في كتابنا روح الردود من صفحة ١٠٠ إلى ١٢٢.

هذا وقد أشرنا إلى أنَّ توما أسقف كفرطاب أتى إلى لبنان سنة ١١٠٤م وأقام فيه ست سنين يفرغ مجهوده في استغواء الموارنة ببدعة المشيئة الواحدة فقاومه

البطريرك يوسف الجرجسي الماروني وأرسل ينهاه عن بث هذا الضلال وناصبه ارسانيوس مطران العاقورة الذي كان ساكناً في دير ماري أدنه قريباً من يانوح فأجابه الكفرطابي برسالة يثبت بها ضلاله وكل هذا بيّن في كتاب الكفرطابي الموسوم بالمقالات العشر حيث يندب سوء حظّه إذ لم يذعن لبدعته إلّا خوري قرية فرشع في بلاد جبيل ونفر قليل، وأنّه عاد من بلاد الموارنة بخفيّ حنين وهذه بينة قاطعة فلو كان الموارنة يعتقدون حينئذٍ المشيئة الواحدة لما أتى توما يستغويهم بها ولا قاومه بطريركهم ومطرانهم ولم يتابعه إلّا كاهن واحد ونفر قليل.

وقد حقّق الأسقف جبرائيل اللحفدي القلاعي في رسالته سنة ١٤٩٤م إلى البطريرك سمعان الحدثي والبطريرك أسطفانس الدويهي في كتاب احتجاجه عن الموارنة أنّ بطريركهم يوسف الجرجسي أرسل وفداً إلى الحبر الروماني طالباً درع التثبيت فأرسله إليه معهم البابا بسكال الثاني الذي رقي إلى الكرسي الرسولي سنة ١٠٩٩م وأنّ البابا إينوشنسيوس الثاني أرسل إلى المشرق الكردينال غوليلمس سنة ١١٣٠م فجدّد بطريرك الموارنة وأساقفة وأعيان ملته إعلان طاعتهم للحبر الروماني بحضرة الكردينال المذكور في مدينة طرابلس فكل ما مرَّ كان قبل سنة ١١٨٢م التي زعم أكثر متهمي الموارنة أنّهم رجعوا فيها عن بدعة المشيئة الواحدة.

والحاصل من كل ما أوردناه إلى الآن أنّ الموارنة كانوا قبل ظهور بدعة المشيئة الواحدة يناضلون عن الإيمان الكاثوليكي والمجمعين الأفسسي والخلكيدوني حتى باراقة دمهم، وعند ظهور بدعة المشيئة الواحدة وانتشارها كانوا يناصبون أصحابها وكان بطريركهم يوحنا مارون يفند مزاعمهم بكتبه وخطبه تحقيقاً لامال شعبه بأن يقيهم فسادها كما صرّح العلامة البابا بناديكتس الرابع عشر وفي الحقبة التي كانت من وفاته إلى سنة ١١٨٢م التي زعم خصومهم أنّهم رجعوا فيها عن البدعة كانوا متشبثين دائماً بعرى الإيمان الكاثوليكي كما أثبتناه بكل ما مرَّ ولاسيما بهذه البراهين الأخيرة، وإن صحّ شيء مما رواه غوليلمس عن ارتجاعهم سنة ١١٨٢م يلزم قصره على أفراد منهم كما أثبت العلامة لكويان في المشرق المسيحي وسوف نبيّن ذلك في محله إن شاء الله. وأمّا الأمة بجملتها فكانت في كل وقت كاثوليكية براء خلاء من كل ضلال يخالف الإيمان القويم وسوف نرد دعوى كل معترض عليهم أو متهم لهم في كلامنا عليهم في تاريخ كل من القرون الذي كان لهم فيه

متهم أو معترض ولما كان بعضهم يورد عليهم قولاً لتيموتاوس القسطنطيني زاعماً أنَّه كان في هذا القرن السابع رأينا أن نرده هنا .

عد ٢١

تفنيد ما يعزى إلى تيموتاوس القسطنطيني من اتهام الموارنة

إنَّ لتيموتاوس هذا القسطنطيني مقالة في من يقتربون إلى الكنيسة ألَّفها وهو قس ونشرها كمبيفيسيوس في المجلَّد الثاني صفحة ٤٥٩ من تأليفه فاذا فيها فقرة هذه ترجمتها: « إنَّ الموارنة الذين ينبذون المجامع الرابع والخامس والسادس ويزيدون الصلب على التقديسات الثلاثة ويقولون بمشيئة واحدة وفعل واحد بالمسيح سموا موارنة من دير مارون في سورية ». فحجّ الموارنة خصومهم بهذه الفقرة وانخدع بها من لم يترووا فيها. وفي العصر الذي كان فيه تيموتاوس ومنهم نطاليس اسكندر في تاريخ القرن السابع وعنه أخذ القديس ليكوري في كتابه تاريخ البدع ودحضها على أنَّ المحققين كشفوا عن بطلان هذا الزعم وفندوه بأدلة كثيرة قاطعة أولها أنَّ تيموتاوس هذا كان قبل ظهور بدعة المشيئة الواحدة بنحو قرن كامل وقبل المجمعين الخامس والسادس. قال السمعاني (في المجلَّد الأوَّل من المكتبة الشرقية صفحة ٢٩١ في الحاشية): « إنَّ تيموتاوس هذا كان قساً في كنيسة قسطنطينية الكبرى، ثم خلف مكدونيوس بطريركها سنة ٥١١ كما شهد غوليلمس كافيوس مجلَّد ٢ من تاريخه للعلماء صفحة ١٠١ وتوادورس القاري ك ٢ صفحة ٥٦٣ وكتابه المعنون في من يقتربون إلى ديننا الطاهر مثبت في كتب الروم الطقسية وقد ألَّفه وهو كاهن ». وجاء في التاريخ الرهاوي في كلامه في الملك أنسطاس: « إنَّه مكدونيوس البطريك القسطنطيني لأنَّه أبى أن ينبذ المجمع (الخلكيدوني) وأقام تيموتاوس خلفاً له ». (ذكره السمعاني في المحل المذكور صفحة ٤٠٨) ومن البيِّن أنَّ الملك أنسطاس كان في بدء القرن السادس وقال كافيوس في المحل المذكور إنَّ تيموتاوس كان في أوائل القرن السادس كما يظهر من رسالة كتبها إليه البابا هرمزدا. ومما لا مرية فيه أنَّ هذا البابا كان في أوائل القرن السادس وقد طبع العلامة كوتيلاريوس كتاب تيموتاوس هذا وقال فيه صفحة ٣٧٧: « أظنه كان قبل أن تظهر بدعة المشيئة الواحدة لأنَّه لم يأت

بذكرها. فظهر من ذلك جلياً أنَّ تيموتاوس كان في القرن السادس قبل ظهور بدعة المشيئة الواحدة بقرن كامل فأنّى استطاع أن يثبت أنَّ الموارنة توحدوا فيها فهذه الفقرة إذاً زيدت على كتابه بيد أخرى متأخرة عن أيامه.

الثاني إنَّ كوتيلاريوس طبع كتاب تيموتاوس في الكتاب الثالث من تأليفه في آثار الكنيسة اليونانية صفحة ٣٧٧ عن نسخة كرميزارس الذي أثنى عليه كمبيفيسيوس كثيراً ولا ذكر فيه للموارنة، ولذلك قال السمعاني في المحل المذكور صفحة ٥٠٩ انَّ الكلمات المعزوة لتيموتاوس هي مدخلة في كتابه من يد رويمي متأخِّر كما يظهر من نصّه الصحيح الذي طبعه كوتيلاريوس.

الثالث لا مرية في أنَّ العبارة الأولى من الفقرة المذكورة وهي: «إنَّ الموارنة ينبذون المجامع الرابع والخامس» هي كاذبة ولا يدعنا كل ما أوردناه حتى الآن أن نرتاب بكذبها، وهي أس بني عليه ما تلاها فإن سقطت لم يثبت ما بني عليه. ومما لا شكَّ فيه أنَّ خصوم الموارنة أنفسهم لا يشكونهم ببدعة الطبيعة الواحدة أو بالمخالفة لرسوم المجمع الخلكيدوني لتشبثهم برسومه بل عيّروهم بذلك ودعوهم خلكيدونيين، وكان هذا المجمع محور الجدال بين الموارنة واليعاقبة. وقال فيهم ابن العبري في كلامه في توافيلس الرهاوي إنَّه من الموارنة الذين هم إحدى فرق النصرانية أي من غير أمته ولذلك قال السمعاني (في المحل المذكور صفحة ٥٢١) بأثر إيراده قول ابن العبري هذا: «هوذا ما يقوله في الموارنة هذا المؤلف اليعقوبي. وهو دال على كذب تيموتاوس القس او اياً كان القائل لما رواه كمبيفيسيوس من أنَّ الموارنة ينبذون المجامع الرابع والخامس والسادس فلو كان هذا صحيحاً لما ميزهم ابن العبري عن ملته ولما جعلهم ملة قائمة بنفسها».

وقد ذيل الأب منسي المدقق الشهير قول نطاليس اسكندر بحاشية هذه ترجمتها: «إنَّ قول تيموتاوس هذا في الموارنة وإن كان ثابتاً في طبعة كمبيفيسيوس فلا وجود له في النسخة التي طبعها كوتيلاريوس في آثار الكنيسة اليونانية في المجلَّد الثالث صفحة ٣٧٧، ولذا يظن أنَّه زيد عليها بيد متأخِّرة إن صحَّ ظن كوتيلاريوس أنَّ تيموتاوس كان قبل المجمع السادس والنسخ التي يعد فيها الموارنة من أصحاب المشيئة الواحدة يقال فيها: «إنَّ الموارنة الذين ينبذون المجامع الرابع والخامس والسادس ويزيدون الصلب على التقديسات الثلاثة ويقولون بمشيئة واحدة وفعل

واحد في المسيح ». فهذه الكلمات مشكوك فيها كما أشرت لأنَّ بدعة المشيئة الواحدة لم تحرَّم إلَّا في المجمع السادس ولا عجب إذا وجدنا هذه العبارة في بعض النسخ لأنَّ كتاب تيموتاوس هذا من جملة الكتب الطقسية التي تلحق بها كل كنيسة زيادات كإيثارها على أنَّ السمعاني أثبت في مكتبته الشرقية (مجلَّد ١ صفحة ٥٢١) أنَّ الموارنة براء من هذه البدعة خاصة ». ولما كان القديس الفونس ليكوري اغتر في كتابه تاريخ البدع بقول نطاليس اسكندر المذكور فذيلنا ترجمتنا لكتابه المذكور بحاشية ضمناها بعض ما أوردناه هنا .

مقالة ثالثة

تاريخ الموارنة في القرن الثامن

عد ٢٢

حالة الموارنة الدنيوية في هذا القرن

إنّ ابعاد الملك يوستنيانوس الاخرم اثني عشر الفاً من شبان الموارنة عن لبنان كما مرّ في تاريخهم في القرن السابع قد اضعف قوتهم وأوهن عزيمتهم وعاد بضرر كبير على مملكة الروم إذ كانوا بمثابة سد من نحاس لها كما قال كثيرون من المؤرخين الروم أنفسهم على أنّ هذا لا يخلو من نفع ، فقد احكمت التجارب الموارنة وعلمتهم أن لا يصغوا لوساوس الأجانب وأن يؤثروا الطاعة والانقياد للحكومة السائدة بهم على المعاندة والمخالفة لها وعلى مرضاة أصحاب السياسة الذين لا يهمهم إلّا أغراضهم ، فإذا قضوا منهم أوطارهم أحرقوا الآلة نفسها التي استخدموها لنيل تلك الاغراض إذا اقتضت ذلك مصلحتهم فتمثّل الموارنة بهذه الامثولة وكفوا عن تلك الغزوات ، وشن تلك الغارات ، ولزموا السكينة ، واخلصوا في الطاعة لسلطة الخلفاء الأمويين والعباسيين ، وتفرغوا لحراثة اراضيهم ، وتربية ماشيتهم آمنين ، متحصنين بلبنان. ويظهر أنّ حلم الخلفاء وصعوبة مسالك لبنان ،

وتعذر احراز الثروة فيه جعلت الموارنة سكانه في مأمن من السطو عليهم ، والمزاحمة لهم في امتلاك اراضيه وغاباته فعاشوا فيه بهذا القرن وما يليه آمنين محافظين على دينهم وشأنهم ، ويظهر أنّ الخلفاء كانوا يولون عليهم رجالاً منهم أو ولاةً مسيحيين ، بل حقق العلامة السمعاني في الكتاب الرابع من مكتبة الناموس صفحة ٣٩٤ أنّ الخلفاء أبقوا حينئذٍ والياً على المردة من ابناء ملتهم كما كانوا قد ابقوا بطرس الشريف المسيحي والياً في بلاد العرب الحجرية وبنتليون في الارض المقدّسة والياً على بعض المدن، وعزز السمعاني قوله بشهادة ابي الفرج بن العبري في القسم الأول من تاريخه السرياني. وذكر بعضهم امراء للموارنة بعد ابراهيم ابن اخت القديس يوحنا مارون الذي توفي سنة ٧٢٨م مذ القرن الثامن إلى نهاية القرن الرابع عشر، ولكن لما كنا لا نقدر أن نثبت ذلك بأدلة قاطعة عدلنا عن ذكر هؤلاء الأمراء مقتصرين على القول اننا لا نجد في لبنان أثراً من تلك الاعصر يدل على اقامة حكام أو رعايا من المسلمين في انحاء لبنان قبل القرن الثالث عشر فلا أثر فيها لجوامع أو مآذن قبل القرن المذكور ومما لا يمتري فيه المؤرخون أنَّ المسلمين المقيمين على الشطوط البحرية من صيدا إلى طرابلس أو في سفح لبنان الغربي إنَّما كانت إقامتهم بعد أن طرد الملوك المسلمين الصليبيين من هذه الأمصار فاسكنوا عشائر من التركمان وغيرهم من المسلمين في شواطئ البحر ليكونوا حاجزاً بين الافرنج إن عادوا إلى سورية وبين نصارى لبنان فمن هؤلاء من بقي إلى الآن من المسلمين في كورة طرابلس السفلى والبترون وجبيل وآثار الجوامع في المحلات المذكورة وفي ساحل علما وغيرها إلى صيدا .

على أنَّه لا يمكننا أن نصحح ما ورد في تاريخ الموارنة الذي طبع حديثاً في بيروت من أنَّه في سنة ٧٥٢م سار المقدم الياس إلى البقاع فنهب تلك القرى وقتل أهلها فأرسل صاحب الشام إليه رسولاً ليعقد معه صلحاً ثمَّ أرسل فكبسه في حين غفلة وقتله، وبعد رجوع عسكر الشام رجعت القرية تسمى قب الياس أي قبر الياس وأنّه أقيم مقدماً على الجيش سمعان ابن أخت المقتول، فثارت عليه عساكر الشام وكانت وقعة بينه وبينهم في قرية المروج ودامت الحرب مدة طويلة فإن صحَّ خبر هذه الأحداث فنظنُّها كانت في أواخر القرن السابع لا في منتصف القرن الثامن هذا وقد روى كثيرون أنَّ اسم قب الياس مكسر عن قبر الياس وإنَّ القرية سميت بذلك لقتل أحد أمراء المردة ودفنه فيها. إلّا أنَّ ذلك لم يكن في منتصف

القرن الثامن، وأكبر شاهد له ورد بعيد ذلك في الكتاب المذكور نقلاً عن تاريخ ابن القلاعي أنَّ قتل الأمير الياس وولاية ابن أخته الأمير سمعان كانا في أيام عبد الملك بن مروان الذي توفي في أوائل القرن الثامن وفي أيام يوستنيانس الأخرم الذي كانت وفاته سنة ٧١١م. ومما يلزم الانتباه إليه الغلط الواقع في خبر الأمير سمعان المذكور إذ بعد أن قيل إنَّه كان في أيام عبد الملك بن مروان قال إنَّه مضى يزور يوسف أمير جبيل فلاقاه البطريرك غيغوريوس الحالاتي الذي كان في عهد البابا أينوشنسيوس الثاني الجالس يومئذٍ سنة ١١٣٠م. فرياسة البطريرك غريغوريوس الحالاتي على الموارنة في القرن الثاني عشر لا شكَّ فيها ولكن أين هو من الأمير سمعان الذي كان في أواخر القرن السابع؟ فلا مراء في أنَّ النسخة التي نقل عنها من طبع تاريخ الموارنة لم تكن صحيحة، فروى الطابع ما رواه عنها على علاته ولم يتعرَّض تأدباً لرد قول رآه معزواً إلى ابن القلاعي، لكننا على يقين أنَّ ابن القلاعي لم يقل ذلك بل الناسخ جمع بين خبر الأمير سمعان وخبر آخر ذكره ابن القلاعي عن أمير جبيل المذكور وبطريرك الموارنة في أيامه في القرن الثاني عشر إلى أن نقول إنَّ المراد بالبطريرك غريغوريوس لا الحالاتي بل غريغوريوس آخر. فإنَّ الخامس في سلسلة بطاركتنا بعد يوحنا مارون يسمى غريغوريوس أيضاً كما سترى. وحينئذٍ يلزم أن يكون الأمير سمعان لا سمعان الذي كان في أواخر القرن السابع وأوائل الثامن بل سمعان آخر والله أعلم.

عد ٢٣
بطاركة الموارنة في القرن الثامن

قد نظم سلسلة بطاركة الموارنة العلامة البطريرك أسطفانس الدويهي في مقالة أفردها لذلك وترجمها من العربية إلى اللاتينية يوسف عسكر الكاهن الماروني الحلبي وطبعها في باريس سنة ١٧٣٣م، وقد روى البطريرك سمعان عواد الذي دوَّن ترجمة الدويهي أنَّ هذا البطريرك طاف بنفسه أكثر القرى الكبرى التي يسكنها الموارنة وقلب ما كان في كنائسها أو منازل الوجهاء منها من الكتب القديمة وكانت عادة النساخ القدماء أن يذيلوا ما ينسخونه من الكتب باسم بطريرك الطائفة ومطران الأبرشية في أيامهم فاستعان الدويهي بهذه التعليقات على ما دوَّنه في مقالته المذكورة.

وقد نظّم العلامة السمعاني أيضاً سلسلة بطاركة أنطاكية الموارنة في مقالة كتبها بالعربية وطبعها القس يوحنا نطين الراهب الحلبي اللبناني سنة ١٨٨١م في رومة بمطبعة مجمع نشر الإيمان المقدّس، ثمّ ذكر السمعاني سلسلة هؤلاء البطاركة في كتاب المجمع اللبناني (الذي هو مؤلفه) من القديس يوحنا مارون إلى البطريرك يوسف ضرغام الخازن الذي عقد المجمع اللبناني في أيامه سنة ١٧٣٦م. وقلَّ ما كان من الخلاف بين روايتي الدويهي والسمعاني ونشر المعلّم رشيد الشرتوني الماروني هذه السلسلة فصولاً متتابعة في مجلة «المشرق» في بيروت للآباء اليسوعيين الأفاضل ثمّ ضمّها إلى درج واحد. وقد ذكر العلامة لكويان (في مجلّد ٣ صفحة ٤٩ وما يليها من مؤلفه الموسوم بالشرق المسيحي) سلسلة بطاركة الموارنة معتمداً فيها على مقالة البطريرك أسطفانس الدويهي التي ترجمها يوسف عسكر المذكور إلى اللاتينية ونحن نعتمد هنا رواية لكويان لاعتقادنا إياها أصح وأسلم من النسخ المخطوطة وأقرب إلى الأصل الصحيح وتزيدها شهادة لكويان وعسكر تأييداً وتحقيقاً.

بعد أن توفى الله القديس يوحنا مارون سنة ٧٠٧م اجتمع أساقفة الموارنة فاختاروا قورش ابن أخته بطريركاً مكانه فكتب إلى الحبر الروماني يلتمس درع الرياسة والتثبيت فأرسله إليه، وقد جاء في ترجمة القديس يوحنا مارون (في المكتبة الشرقية مجلّد ١ صفحة ٤٩٨) إنّه عند مضيه إلى دير القديس مارون أخذ معه ابن اخته قورش فاتّشح بالثوب الرهباني. فبعد وفاة خاله جعلوه خليفة له فدبر رعيته تدبير الأبرار المجاهدين إلى حين وفاته التي لا نعلم متى كانت، فاختار الأساقفة خليفة له جبرائيل الأوّل. قال لكويان روى الدويهي أنّه بعد وفاة قورش انتخب جبرائيل من جبل لبنان وهذا وجدناه في بعض الكتب القديمة وانَّ الملكية عادوا بعد موت يوستنيانس الثاني إلى الاعتقاد بطبيعتين ومشيئتين بالمسيح وانّهم اختاروا في أيام قسطنطين الزبلي بطريركاً جعل إقامته في دمشق.

وبعد وفاة جبرائيل اختير يوحنا الثاني وسُمّي مارون أيضاً لأنّه كان من رهبان القديس مارون وقد كتب عنه ابن القلاعي في قصيدته في المجامع:

وبعدُ، قام مارون ثانٍ من الدير الرباني. معلم شاطر ملفاني. يدعى يوحنا البار. وجاءْ ليانوح وبطرك كان. ومسكنه في جبل لبنان. وإيمان مارون ما تغيَّر.

وعندما رأى نفسه قريباً من الموت استدعى الأساقفة والكهنة واختار لهم بطريركاً يدعى يوحنا، وهو الثالث بهذا الاسم وكان من قرية دملصا ببلاد جبيل. قال الدويهي وعنه لكويان إنَّ هذا وجد مدوناً في كتاب قديم كتب فيه خبر وفاة يوحنا الثاني المذكور.

قال لكويان (في المحل المذكور) قال الدويهي إنَّ هؤلاء البطاركة لا شكَّ في أنَّهم توطنوا في جبل لبنان وخلف أحدهم الآخر، ويؤيّد ذلك رسالة كتبها الأسقف جبرائيل القلاعي إلى القس جرجس بن بشاره فصل ١١ سنة ١٤٩٥م، وقد وجدنا أسماءهم مدونة في صفحة كتبت باللغة السريانية وكانت هذه الصفحة عند سالفنا البطريرك جرجس من قرية بسبعل مأخوذة عن كتاب كتبه رجل اسمه داود بن ابراهيم سنة ١٦٢٦ يونانية توافق سنة ١٣١٥ للميلاد، فهو قبل أيام ابن القلاعي بنحو مئة وثمانين سنة واطلعنا أخونا المحترم جرجس حبقوق مطران العاقورة على نسخ كثيرة تذكر هؤلاء البطاركة ولم يتعيَّن بها مدة بطريركيتهم فكتبنا كما وجدنا. اما القس جرجس بن بشاره المذكور فكان مارونياً وانحاز إلى اليعاقبة فكتب له الأسقف جبرائيل القلاعي كتاباً مستقلاً يفنّد به مذهب اليعاقبة، ويبين له أصل الموارنة وثبوتهم في الإيمان الكاثوليكي.

ولما كنا لا نعلم عدد السنين التي دبر بها كل من هؤلاء البطاركة الأمة المارونية افترضنا أنَّهم كانوا في هذا القرن الثامن تقريباً فوقفنا عند ذكرهم في تاريخ هذا القرن.

عد ٢٤

توافيلس الرهاوي الماروني

قد أخذ السمعاني (في المكتبة الشرقية مجلّد ١ صفحة ٥٢١) ترجمة توافيلس هذا عن أبي الفرج بن العبري في تاريخ الدول لسنة ١٦٥ للهجرة، فقال إنَّه اشتهر سنة ٧٧٠م: «وحكي أنَّه لمَّا همَّ المهدي بالخروج إلى ماسبذان تقدَّم إلى حسنة حظيته أن تخرج معه فأرسلت إلى توفيل بن توما النصراني المنجّم الرهاوي وهو رئيس منجمي المهدي (يراد بالمنجّم الخبير بعلم النجوم ولا يخفى ما كان لهم في ذلك العصر من الرغبة في رعي النجوم) قائلة له إنَّك أشرت على أمير المؤمنين بهذا

السفر فجشمتنا سفراً لم يكن في الحساب فعجل الله موتك وأراحنا منك. فلما بلغته رسالتها قال للجارية التي أتته بها ارجعي إليها وقولي لها إنَّ هذه الإشارة ليست مني، واما دعاؤك عليَّ بتعجيل الموت فهذا شيء قد قضى الله به وموتي سريع فلا تتوهمي أنَّ دعوتك استجيبت، ولكن اعدي لنفسك تراباً كثيراً فإذا مت فاجعليه على رأسك. فما زالت متوقعة تأويل قوله منذ توفي حتى توفي المهدي بعد عشرين يوماً وكان توفيل هذا على مذهب الموارنة الذين في جبل لبنان من مذاهب النصارى، وله كتاب تاريخ حسن ونقل كتابي أوميرس الشاعر على فتح مدينة ايليون في قديم الدهر من اليونانية إلى السريانية بغاية ما يكون من الفصاحة». انتهى كلام ابن العبري.

وذيل السمعاني قوله بأنَّ توفيل كان على مذهب الموارنة بحاشية قال فيها: «هذا ما قاله المؤلف اليعقوبي وهو ناطق بالدلالة على كذب تيموتاوس القس القسطنطيني أو الأولى أن نقول ما كتب باسمه في نسخة كمبيفيسيوس (مجلَّد ٢ في المؤلفين صفحة ٤٥٩) » إنَّ الموارنة ينبذون المجامع الرابع والخامس والسادس «فلو صحَّ هذا الزعم ما ميزهم قط أبو الفرج عن اليعاقبة ولا جعلهم فرقة مستقلة عمَّن سواها من فرق النصارى».

على أنَّ لابن العبري قولاً آخر في توافيلس هذا أكثر بياناً فإنَّه قال في كتاب تاريخه السرياني الذي طبع في باريس (صفحة ١٢٧) ما ترجمته: «وقد اشتهر في هذا الزمان (أي زمان المهدي) توافيلس بن توما الرهاوي المنجِّم الماهر الذي كان تابعاً لبدعة الموارنة وله في التاريخ كتاب نفيس بالسريانية وإن طعن فيه على مستقيمي الإيمان وقرعهم» يريد بمستقيمي الإيمان اليعاقبة أهل شيعة ابن العبري، ولذلك سمى مذهب الموارنة بدعة وهذه بينة أخرى قاطعة على براءة الموارنة من بدعة الطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة.

وأتمَّ السمعاني ترجمة توافيلس بقوله قد توفاه الله على ما روى ابن العبري سنة ١٦٩هـ أي نحو سنة ٧٨٥م وهي السنة التي توفي المهدي بها. وذكر أبو الفرج تاريخ توافيلس في كتابه المذكور أيضاً صفحة ٦٣. ويتبيَّن مما رواه ان رأى توافيلس أنَّه كان من خلق العالم إلى بدء ملك اسكندر المكدوني ٥١٩٧ سنة (فاذا أضفت إليها ٣١١ من اسكندر إلى الميلاد كانت جملة السنين من آدم إلى الميلاد على رأيه ٥٥٠٨). وقد حقق الحاقلي (في حواشيه على قصيدة عبد يشوع الصوباوي في

المؤلفين صفحة ١٨٠) إنَّ رأي جمهور العلماء السريان أنَّ توافيلس الرهاوي إنَّما هو الذي جعل صورة الحركات السريانية الخمس على شبه صورة الحركات اليونانية في ترجمته كتب أوميرس كيلا تختلف الألفاظ السريانية لاسيما الأعلام التي تكتب في اللغتين بأحرف واحدة عن الألفاظ اليونانية. وقد ذكر السمعاني ذلك في محل آخر أيضاً (المكتبة الشرقية مجلَّد ١ صفحة ٦٤) متكلماً في الكتاب السرياني القديم وهو الثالث من الكتب التي أتى بها من الشرق إلى المكتبة الواتيكانية مشتملاً على تفسير القديس أفرام السرياني لأسفار العهد القديم، وقد خطَّ سنة ١١٧٢ يونانية وهي سنة ٨٦١م. حيث قال « ومما يلزم الإنتباه إليه في هذا الكتاب القديم إنَّما هو أنَّ صورة الحركات الخمس السريانية فيه هي أشبه بصور الحركات اليونانية ويحققون أنَّ مخترع هذه الصور إنَّما هو توافيلس الرهاوي الماروني ... فانَّه عند ترجمته أشعار أوميرس من اليونانية إلى السريانية ضبط الألفاظ الملتبسة بالحركات اليونانية فتابعه على كتابة صور هذه الحركات على هذا النحو السريان إلَّا النساطرة. وكتابة الكتاب المذكور القديم جداً تؤيِّد هذا الأمر في مواضع كثيرة منه ولاسيما تفسير القديس أفرام لنبوة هوشع في صفحة ١٣٣ و ١٣٤ منه وارد أمثلة لذلك ». إلى أن قال « وقد أبنَّا أنَّ هذا الكتاب خطَّ في الرها سنة ٨٦١م أي بعد وفاة توافيلس بنحو من سبعين سنة ومن نظر في الكتاب المذكور علم أنَّ ناسخ هذا الكتاب إنَّما هو الذي ضبطه بالشكل ».

عد ٢٥

رد ما يعزى إلى الدمشقي من الطعن على الموارنة

إنَّ في بعض نسخ كتب القديس يوحنا الدمشقي فقرتين استشهد بهما خصوم الموارنة للطعن فيهم الأولى في رسالته إلى بردانوس الأرشيمندريت في التقديسات الثلاثية جاء في بعض نسخها ما يأتي: « إنَّ زيادة يامن صلبت لأجلنا على التقديسات الثلاثة » هي من هذيان بطرس القصار فانه لم يخجل أن يلحق هذه الزيادة على التقديسات بل أقدم بقحة وجسارة ودون خجل كأنَّه أعلم من الساروفيم وكأنه ظنَّ ذلك ثوباً متسخاً أراد تنظيفه كقصار، فان ترنمنا بالتقديسات الثلاثة موجهة إلى الابن فلا يبقى التباس ونكون زدنا الصلب على التقديسات كما يصنع الموارنة ». وفي اليونانية مارونيزمن أي نتمورن.

فنجيب على ذلك أولاً أنَّ في المكتبة الملكية في باريس نسختين من هذه الرسالة إحداهما في عد ١٨٢٩ والثانية في عد ٣٤٤٢ وفي كلتا النسختين لا ترى كلمة «ماترونيز من» أي نصنع كالموارنة بل ترى في مكانها «بارونيزمن» أي نصنع كما يصنعه السكارى. وقد طبعت هذه الرسالة في بال والكلمة فيها «بارونيز من» لا «مارونيزمن». وقد ذكر ذلك الأب ميخائيل لكويان الذي ترجم كتب الدمشقي إلى اللاتينية وذيلها بحواشٍ فصرَّح في الحاشية التي علقها على الفقرة المذكورة أنَّ الكلمة في نسختي المكتبة الملكية المذكورتين وفي طبعة بال «بارونيز من» لا «مارونيز من». ومع ذلك تراه في حاشيته المذكورة متردداً في هذا البحث بين أن يصحح ما ورد في بعض النسخ على الموارنة وبين أن يبرئهم من الضلال سنداً إلى أنَّ هذه الزيادة تستعمل بمعنى كاثوليكي وقد استعملها الموارنة كذلك، على أنَّه لم يبقَ بعداً على هذا التردد بل أثبت في كتابه الموسوم بالشرق المسيحي بحجج قاطعة وبينات دامغة ثبوت الموارنة في كل حين في الإيمان الكاثوليكي كما رأيت في ما أوردناه من كلامه في الباب السابق. وقد طبع لكويان ترجمته لكتاب الدمشقي سنة ١٧١٢م في باريس وكتابه الشرق المسيحي طبع سنة ١٧٤٠م.

ثانياً إنَّ كلمة مارونيزمن أي نصنع كالموارنة لا تلتحم بكلام الدمشقي السابق والتابع فهو قد عدد في أحد كتبه جميع المبدعين والبدع من سيمون الساحر إلى بدعة محاربي الصور التي نشأت في أيامه ولم يذكر الموارنة في جملتهم، وتكلم في المجامع الستة العامة وبين من نبذتهم وحرمتهم ولم يأت ببنت شفة تدل على الموارنة. ورد مزاعم اليعاقبة في مقالة أفردها لذلك ولم يشر بخطة إلى متابعة الموارنة لهم على بدعتهم أو على زيادة ذكر الصلب على التقديسات، وقد تكلَّم في الفقرة المعترض بها على قحة بطرس القصار واقدامه على الزيادة المذكورة فلا يلتحم هذا مع قوله مارونيزمن بل كان الأولى أن يقول نيافيزومن أي نصنع كبطرس القصار المسمى نيافايوس أو ياكوبيزمن أي نصنع كاليعاقبة.

ثالثاً إنَّ السريان والروم والعرب لم يكونوا يسمّون في أيام الدمشقي الموارنة موارنة بل مردة كما سماهم توافان وشدرانس وزاناراس وغيرهم وكما حقق السمعاني في مكتبة الناموس (مجلَّد ٥ صفحة ٤٩٥) ولا عجب من أن يكون أحد خصوم الموارنة بدل حرف الباء من كلمة بارونيزمن بحرف الميم حتى صارت

مارونيز من، وقد رأينا أصحاب البدع والأغراض السيئة حرّفوا كثيراً من أقوال الآباء وأدخلوا على بعضها فقرات بل فصولاً برمتها. ونسخة المكتبة الملكية في باريس التي وردت بها كلمة مارونيزمن هي أحدث من النسخ التي وردت فيها كلمة بارنيزمن كما حقق البطريرك يوسف أسطفان في كتابه في قداسة يوحنا مارون (فصل ١١).

رابعاً لو سلمنا مجاراةً أنَّ الدمشقي كتب مارونيزمن لم ينتج من ذلك أنَّ الموارنة لم يكونوا كاثوليكيين إذ لنا بيّنات قاطعة على أنَّ زيادة ذكر الصلب على التقديسات لم تعتدها الكنيسة دائماً أراتيكية فان القديس أفرام الآمدي البطريرك الأنطاكي أثبت في محاماته عن القديس لاون الحبر الروماني والمجمع الخلكيدوني أنَّ هذه الزيادة يستعملها الكاثوليكيون في بطريركية أنطاكية بمعنى كاثوليكي، فيسبحون المخلّص بقولهم يا من صلبت لأجلنا ارحمنا وأمَّا أهل بطريركية قسطنطينية والغربيون فيوجهون هذه التقديسات إلى الثالوث الأقدس المتساوي جوهراً فيأنفون من هذه الزيادة، وعليه فالفريقان أرثوذكسيّان: «روى كلامه هذا فوتيس في مكتبته كتاب ٢٢٨ ومثل ذلك قال اولوجيوس البطريرك الاسكندري على ما روى السمعاني (في المكتبة الشرقية مجلّد ١ صفحة ٥٢٠) والقديس اسحق الكبير في خطبته في الام الكلمة المتجسد والقديس يعقوب السروجي في خطبته في الآلام أيضاً (طالع المكتبة الشرقية مجلّد ١ صفحة ٢٢٣)، وقال القديس يوحنا مارون في كتابه في شرح رتبة القداس الذي اثبتنا نسبته إليه: «نرى أنّه يلزمنا أن نبيّن لكم هنا إجابة إلى سؤالكم أيها الأبناء الأعزاء إذا كان يجوز استعمال هذه الزيادة ومتى يجوز ذلك فاعلموا أنَّ هذا الترنيم يوجه تارة إلى الثالوث الأقدس المسجود له فلا يجوز قطعاً أن يلحق بذلك يا من صلبت لأجلنا لأنَّ هذا ضلال بطرس القصار البطريرك الأنطاكي الذي كان يزعم أنَّ الثالوث بجملته صلب، وقد عزا الآلام إلى طبع تنزه عن كل ألم وهو اثم يرجح على كل أثم ولذلك حرم وحطَّ عن كرسيه بكل عدل . .. وأمَّا إذا خصَّ هذا الترنيم الابن وحده فلا مانع من أن يزاد على ذلك ذكر الآلام والصلب والموت والدفن وسائر أسرار فداء المخلّص لنا لأنَّ ابن الله تألّم ومات وصلب حقاً».

إنَّ الأب نو أستاذ كلية باريس الكاثوليكية عثر على كراريس قديمة وأذاعها

في السنة السالفة في اللغة السريانية ثمّ ألحقها بترجمتها إلى الفرنسية في كتابه الذي عنوانه «كراسات مارونية» وفي جملتها كراسة عثر عليها بين الكتب السريانية المخطوطة في باريس في عد ٢٠٣ تشتمل على محاورة بين سرياني ويوناني في هذا الموضوع، فاليوناني يسأل السرياني قل لي أيُّها السرياني لماذا تزيدون يا من صلبت لأجلنا عندما تصلون قدوس الله قدوس القوي قدوس الذي لا يموت؟ فيجيبه السرياني مبيناً نفع هذه الزيادة إلى أن يقول له اليوناني ألا تعلم أيُّها السرياني أنَّك إذ تقول قدوس الله قدوس القوي قدوس الذي لا يموت تسبح الثالوث الأقدس، وإذ تزيد على ذلك يا من صلبت تصلب الثالوث الأقدس، فأبن لي أين وجدتم مكتوباً أنَّ الثالوث صلب، ومن علمكم من آبائكم هذه الزيادة؟ فيجيبه السرياني أتقول إنَّ أحد أقانيم الثالوث تجسَّد أم الثالوث كلُّه؟ فقال اليوناني نقول أحد الأقانيم تجسَّد لا الثالوث كلَّه، فأجابه السرياني إن كان واحد من الأقانيم الثلاثة تجسَّد لا الثلاثة تجسَّد الثالوث كلَّه، فنحن نقول إنَّ واحداً من الأقانيم الثلاثة صلب لا الثالوث كلَّه لأنَّ من لم يتجسَّد لم يصلب، ونحن أيُّها اليوناني لا نقول إنَّ الثالوث صلب كما تزعم، بل نعترف أنَّ أحد أقانيم الثالوث صلب لأجلنا فإذا قلنا: قدوس الله الذي صلب لأجلنا لا نقصد ولا نعني الثالوث كلَّه بل أحد أقانيم الثالوث وهو ربنا يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور». فهذا أيضاً برهان صريح على أنَّ السريان الكاثوليكيين كانوا يفهمون هذه الزيادة بمعنى كاثوليكي وإذا ثبت أنَّ الموارنة استعملوها بهذا المعنى فلا يؤخذ من ذلك أنَّهم كانوا غير كاثوليكيين ولو ثبت أنَّ الدمشقي قال مارونيزمن مع أنَّ ذلك غير ثابت كما رأيت، على أننا لا ننكر أنَّ هذه الزيادة استعملت وقتاً ما في كتب فروضنا ولكن بالمعنى الكاثوليكي الذي أشار إليه القديس يوحنا مارون والذي أثبته القديس أفرام البطريرك الأنطاكي وغيرهما كما مرَّ. ولذلك لما أمر البابا غريغوريوس الثالث عشر (في رسالته ١٤ شباط سنة ١٥٧٧م) برفع هذه الزيادة من كتبنا البيعية لم يوجب على الموارنة شبهة بدعة بل أثنى عليهم اقتفاءً بآثار سلفائه وأطرأ ثبوتهم كل وقت في الإيمان الكاثوليكي وقال إنَّ هذه الزيادة دخلت في كتبهم دون تعمد وقصد وأمر برفعها ليكونوا متفقين مع الكنيسة الرومانية في كل تقليداتها».

وأمّا الفقرة الثانية التي يعترض بها على الموارنة من كتب الدمشقي فقد وردت في بعض نسخ كتابه الموسوم بالرأي القويم وقد عنونت بعض نسخه هكذا «كتيب ألّفه الدمشقي ليرفعه إيليا الأسقف إلى بطرس متريبوليت دمشق». ففي آخر هذا الكتيب يقال في بعض النسخ «أقسم بالثالوث الأقدس المسجود له والمتساوي جوهراً دون مكر ولا مخاتلة، إنَّ هذا ما أراه ولا أعتقد شيئاً يخالفه ولا أشترك مع أحد ممن لا يعتقدون هذا المعتقد ولاسيما الموارنة». فهذه الفقرة يمكن ردها بما ردت به الفقرة الأولى من البراهين التي ذكرناها آنفاً لأنَّ قوله: «ولاسيما الموارنة» لا وجود له في نسخ كثيرة من هذا الكتاب ولا ينتسق مع كلام الدمشقي الذي لم يذكر الموارنة في جملة أصحاب البدع وقد عدَّ منهم نحواً من مئة بدعة وذكر في هذا الكتاب نفسه المجامع الستة العامة ومن حرموا فيها ولم يأت بذكر الموارنة فضلاً عن أنَّهم كانوا في أيام الدمشقي يسمون مردة لا موارنة. وكل ذلك يبين أنَّ قوله ولاسيما الموارنة رقعة أدخلتها يد حديثة على كلامه أو هو تحريف والأصل «ولاسيما المانويين» الذين كان بعضهم قد جدد بدعتهم في ذلك العصر. وكتب الدمشقي محاورة بين مسيحي ومانوي كما رأيت في جدول كتبه وقد رد هذه التهمة المعزوة إلى الدمشقي العلامة السمعاني في مؤلفه مكتبة الناموس (ك ٥ فصل ٢٠) ومرهج بن نيرون الباني في مقالته في أصل الموارنة وأسمهم ودينهم (صفحة ١٣١) والبطريرك يوسف أسطفان في كتابه في قداسة يوحنا مارون (قسم ٣ فصل ١١) والبطريرك بولس مسعد في كتابه الموسوم بالدر المنظوم (صفحة ١٤٩)، بل إنَّ الأب ميخائيل لكويان الذي كان قد جنح في ترجمته كتاب الدمشقي إلى رأي خصوم الموارنة قد ارعوى عن رأيه هذا في كتابه الموسوم بالشرق المسيحي وأثبت في مواضع شتى في المجلَّد الثالث منه براءة الموارنة من كل ضلال، وقد أوردنا كثيراً من أقواله في تاريخ الموارنة في القرن السابع بل نظم سلسلة بطاركة الموارنة من القديس يوحنا مارون إلى البطريرك يوسف ضرغام الخازن الذي قال في آخر كلامه إنَّه البطريرك الآن على الموارنة إذا لم يكن قد توفي ولم يقل في أحد منهم إنَّه ضلَّ عن الإيمان بل ذكر جميعهم بمنزلة بطاركة كاثوليكيين. طالع أيضاً كتابي روح الردود في الرد على هذه التهمة.

عد ٢٦

الرد على ما يعترض به على الموارنة بشهادة تيموتاوس بطريرك النساطرة

إنّ بعض من اتهموا الموارنة ببدعة المشيئة الواحدة يقولون إنّ هذا البطريرك كتب رسالة إلى رهبان دير مارون يشترط فيها لقبوله لهم في شركته شروطاً لم يكن منها أن يعترفوا أنّ في المسيح مشيئة واحدة وفعلاً واحداً ونتجوا من ذلك أنّ أولئك الرهبان كانوا يعتقدون المشيئة الواحدة. فنحن رددنا هذه التهمة بإسهاب في كتابنا روح الردود مبينين أنه ولو ثبت أنّ هذه الرسالة موجهة إلى رهبان دير مارون لا ينتج منها أنّ أولئك الرهبان كانوا يعتقدون المشيئة الواحدة لأنه عند النساطرة يباح اعتقاد المشيئة أو المشيئتين. وأوضحنا رأينا في توجيه هذه الرسالة إلى رهبان القديس مارون بسورية.

وقد أطلعنا في هذه الأيام الأخيرة على فصل دبجه الأب العالم الفاضل نو الافرنسي في المجلة الموسومة بالمشرق المسيحي في نشرتها الثانية من سنة ١٩٠٤ بحث فيه عن كلمة مارونيا التي ذكرها السمعاني في المجلد الثالث من المكتبة الشرقية مراداً بها عشيرة من النساطرة سكان مرو في خراسان وكلمة مارونيا في السريانية تساوي حروفها كلمة موورنيا المسمى بها الموارنة سكان لبنان. وبعد أن أتم الأب نو كلامه عن المورنيا النساطرة قال إنّ مشابهة هذا الاسم لاسم الموارنة بلبنان جعلت البعض يظنون أنّ رسالة تيموتاوس بطريرك النساطرة الموجهة إلى هؤلاء هي منفذة إلى رهبان دير القديس مارون بسورية وليس الأمر كذلك. وأوضح الأب نو أنه كانت مدينة تسمى مارون بالقرب من الخليج العجمي وأنّ استرابون ذكرها وقال إنّ أهلها بعضهم حضر يحرثون الأرض وبعضهم رحل يأوون إلى الخيم وأنّ السمعاني جعل مساكن هؤلاء في مرو وأنّ رسالة هذا البطريرك الموجهة إلى هؤلاء الرهبان هي متوسطة بالوضع بين رسالة منه إلى رابان سرجيوس من عيلام ورسالة منه إلى رهبان مار جبرائيل في الموصل وأنّ هذا البطريرك كتب تسعة وخمسين رسالة ولا تجد واحدة منها إلى أحد في سورية. فيظهر من ذلك أنّ الرهبان الذين كتب إليهم لم يكونوا من سورية حيث لم يكن لهذا البطريرك من مكاتب وهو عنوان رسالته هكذا إلى الرهبان الساكنين في مظال مار مارون وكلمة مظال لم ترد قطعاً بمعنى دير ولم نرَ البتة مثل هذا التعبير مراداً به الموارنة أو رهبان

القديس مارون في كل ما رأيناه من الآثار واسم مارون مستفاض عند العرب وكذلك اسم مروان.

فإذاً يمكن أن يقال إنّ المراد بمن كتب إليهم رهبان كانوا ساكنين في مساكن أو خيم رجل اسمه مارون أو كانت هذه المساكن في مدينة مارون عند خليج العجم أو في مروان في ما بين النهرين لأنّ المكتوبة إليهِم باقي الرسائل هم في جهة عيلام والموصل.

مقالة رابعة

تاريخ الموارنة في القرن التاسع والعاشر والحادي عشر

عد ٢٧

بطاركة الموارنة إلى آخر القرن الحادي عشر

إنَّ البطريرك أسطفانس الدويهي بعد ذكره البطاركة الذين دبروا كنيسة الموارنة إلى يوحنا مارون الثاني كما مرَّ في تاريخ القرن الثامن قال (في كتابه في سلسلة بطاركة الموارنة): «أما باقي بطاركة الموارنة الذين رقوا إلى الكرسي الأنطاكي وأقاموا في لبنان إلى حين قدوم الافرنج إلى سورية فما أمكننا أن نعرف أخبارهم لقلة من كتبوا في تلك الأيام ولاتلاف غِيَرِ الدهر ما وجد من الكتب واضطرار الناس إلى التنقل متواتراً، وقد حرقت بعض كتبنا وتشتت كثير منها على أنَّنا عثرنا من مدَّة على كتاب قديم يشتمل على رتبة القداس وقد علقت على آخره الصلوات التي يتلوها الخادم في القداس كل يوم، وفي احدى هذه الصلوات ذكر البطاركة الذين دبروا رعية المسيح في الكرسي الأنطاكي وإليك ترجمة ما جاء في هذه الصلوات عن اللغة السريانية: «نذكر أيضاً جميع الرعاة المحققين والآباء القديسين من بطرس زعيم الرسل وأول جميع الرعاة. واغناطيوس تلميذه إلى

توافيلس ويشوع وداود وغريغوريوس ودوميط واسحق ويوحنا الذين خدموا مقام رئاسة الكهنوت في البيعة المقدَّسة الكاثوليكية والرسولية في الكرسي المقدَّس المجيد كرسي مدينة الله أنطاكية فارحمنا اللهمَّ بصلواتهم المقدَّسة». ويلي ذلك تذكار آخر أطول من الأوَّل كتب فيه ما ترجمته: «نذكر توافيلس وغريغوريوس وأسطفانس ومرقس وأوسابيوس ويوحنا ويشوع وداود وغريغوريوس وتوافيلكتس ويشوع ودوميط واسحق ويوحنا وسمعان وأرميا ويوحنا وسمعان. وسمعان هذا حبيب الله الذي يدبرنا الآن فارحمنا اللهمَّ بصلوات هؤلاء جميعاً». قال العلامة الدويهي حصل عندنا ريبة في البطاركة الأربعة عشر الذين مرَّ ذكرهم من وجهين الأوَّل إنَّ طقسنا قريب من طقس اليعاقبة فخشينا أن يكون هؤلاء البطاركة يعقوبيين. والثاني إنَّه ندر أن يسمي الموارنة يشوع بطريركاً حرمة لمن فدانا بدمه. لكننا بالوقوف على سلسلة بطاركة اليعاقبة حصلنا على نسختين من كنيستهم في دمشق وحلب فلم نجد فيهما ذكراً لهؤلاء البطاركة الأربعة عشر، فتحققنا أنَّهم لم يكونوا يعاقبة بل من بطاركة أمَّتنا المارونية، وأمَّا اسم يشوع فليس إلَّا عيسى وكثيرون منا يسمون بهذا الاسم». انتهى كلام الدويهي وقد تابعه عليه لكويان في المشرق المسيحي ناقلاً عنه كلامه برمته قلنا إنَّ بطاركة اليعاقبة معروفون الآن جيداً وقد نظم ابن العبري سلسلتهم إلى أيامه في تاريخه البيعي الذي ترجمه السيدان أبولس ولامي أستاذا كلية لوفان إلى اللاتينية وعلقا على ترجمتها فوائد كثيرة وقد ذكر السمعاني أيضاً سلسلتهم عن ابن العبري في المجلَّد الثاني من المكتبة الشرقية وليس منهم البطاركة الأربعة عشر المذكورون.

وجاء في مجمعنا اللبناني قسم ٣ فصل ٦ في كلامه على البطريرك والكرسي البطريركي ما يأتي: «وكان الكرسي البطريركي أولاً في دير القديس مارون بكفرحي من أبرشية البترون وجلس عليه من البطاركة من سنة ٦٨٥م فصاعداً يوحنا مارون وقورش وجبرائيل ثمَّ نقل الكرسي إلى دير القديسة مريم بيانوح من أبرشية البترون المذكورة، وجلس عليه بعد جبرائيل المذكور يوحنا الثاني ويسمى مارون أيضاً ثمَّ يوحنا من دملصا وغريغوريوس واسطفانس ومرقس وأمسابيوس ويوحنا ويشوع وداود وغريغوريوس الثاني وتوافيلكتس ويشوع الثاني ودوميط واسحق ويوحنا وسمعان ويوسف الجرجسي إلى سنة ١١٢٠م ونقل الكرسي ثالثاً إلى دير القديسة مريم حذاء ميفوق بوادي ايليج في أبرشية جبيل».

تتداول أيدي الموارنة كتاباً يشتمل على عدّة تواريخ منها تاريخ بعض الأسرات وتاريخ بعض أحداث في جبة بشري وتاريخ الرهبنة اللبنانية وفي جملتها سلسلة لبطاركة الموارنة من القديس يوحنا مارون إلى البطريرك يوسف حبيش وبعد أن ذكر أكثر البطاركة الذين ذكرناهم هنا أورد أسماء نحو من أربعين بطريركاً إلى البطريرك يوسف الجرجسي ولم يسند كلامه إلى شاهد ولا نعلم من أين جمع كلَّ هذه الأسماء التي غفل عنها العلّامتان البطريرك أسطفانس الدويهي ويوسف السمعاني، ولذلك لا نرى ما رواهُ صحيحاً. ويعزى هذا الكتاب إلى الشيخ أنطونيوس أبي خطار من عينطورين الذي كان مشهوراً بحبه المطالعة.

ولا نعجب من عدم التوصُّل إلى الأخبار المفصلة عن البطاركة الذين ذكرناهم في القرون الأربعة من بدء القرن الثامن إلى آخر القرن الحادي عشر فكل يعلم أنَّ هذه القرون تسمى قرون الجهل وأنَّ التاريخ الشرقي البيعي في هذه القرون ولاسيما تاريخ سورية هو سقيم غامض ومن دونه حنادس جهل لا يهتدي فيه إلى أمور أخرى أكثر أهمية. وقد رأيت ما قاله لكويان في الشرق المسيحي عن بطاركة أنطاكية وأورشليم في هذه القرون أنَّه لم يكن لهم تاريخ غير ما نقب عنه الافرنج بعد استحواذهم على سورية في بدء القرن الثاني عشر وما ظنك ببطاركة الموارنة الذين لم يقيموا في المدن الشهيرة كأنطاكية وأورشليم بل في كفرحي ويانوح بين قمم لبنان الوعرة الصعبة المسالك مؤثرين العزلة في أصعب المحال مسلكاً على الاقامة في المدن والتعرُّض للأخطار، وتعوزهم جميع وسائل العلم ويحسبون من السعادة أن يعيشوا مع رعاياهم آمنين ومحافظين على إيمانهم القويم.

عد ٢٨
قيس الماروني

جاء في كتاب التنبيه والاشراف للمسعودي الذي طبع في ليدن سنة ١٨٩٤م صفحة ١٥٢ عند كلامه في مارون: «ولبعض متبعيه من المارونيين ويعرف بقيس الماروني كتاب حسن في التاريخ وابتداء الخليقة والأنبياء والكتب والمدن والأمم وملوك الروم وغيرهم وأخبارهم وانتهى بتصنيفه إلى خلافة المكتفي، ولم أرَ للمارونية

في هذا المعنى كتاباً مؤلفاً غيره ». انتهى كلام المسعودي. والمعلوم أنَّ المكتفي بويع له بالخلافة سنة ٢٨٩هـ الموافقة سنة ٩٠٢م وتوفي سنة ٢٩٥هـ أي سنة ٩٠٨م وعليه فيكون قيس الماروني عاش في أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر على ما ذكر المسعودي ولكن من هو قيس هذا وما هو كتاب تاريخه الحسن؟ فزعم بعضهم أنَّه ليس هو إلَّا توافيلس الرهاوي الماروني الذي ذكرنا ترجمته في القرن الثامن، وهذا الزعم باطل من أوجه أخصّها أنَّ توافيلس كان في أيام المهدي وتوفي في أيامه كما أبنَّا في ترجمته، والمهدي توفي سنة ١٦٩هـ الموافقة لسنة ٧٨٦م والمسعودي قال إنَّ قيس انتهى بتصنيفه إلى خلافة المكتفي وهذا بويع بالخلافة سنة ٩٠٢م كما رأيت فكان قيس بعد توافيلس بأكثر من مئة سنة فلم يكن إياه.

وقد عثر الأب نو المستشرق الافرنسي في لندره على كتيب سرياني في عدد ١٧٢١٦ من الكتب المخطوطة ونشره في كتابه الذي عنوانه Opusculus Maronites (أي كراسات أو كتيبات مارونية) وطبعه في باريس سنة ١٨٩٩م. ففي صفحة ٣٢ فصاعداً من هذا الكتاب أثبت ما استطاع أن يقرأه من نصه السرياني واسماً إياه بفقر من تاريخ سرياني ماروني، وقد اهدى إليَّ الأب نو كتابه المذكور فطالعت فقراته وقد استشهدت ببعضها كما رأيت، وكل أصل هذا الكتيب يشتمل على خمسة عشر صفحة كما أشار الأب نو في نسخة الأصل، وجل ما تضمنه كلام موجز في آدم وبعض الآباء وبعض رؤساء كهنة اليهود وبعض ملوك اليونان وبعض ملوك الرومانيين وكلام في ماني المبتدع وأبو لينار اللاذقي المبتدع، وذكر بعض الزلازل وبعض الأحداث في أيام معاوية. وقد ظنَّ نو وغيره أنَّ تلك الفقرات مقاطع من كتاب قيس الماروني. وقد ذهب العلامة ريت الذي تكلَّم في الكتب السريانية القديمة المحفوظة في المتحف البريطاني أنَّ ذاك الكتيب قديم العهد واستبدل بصورة كتابته على أنَّه خُطَّ في القرن الثامن أو التاسع. وقد أطال العلامة نلدك (في المجلَّة الآسياوية-الألمانية) الكلام في هذه الفقر وبين عظم أهميتها وعزاها إلى كاتب ماروني، وذهب إلى أنَّ الكاتب كان راهباً أو ناسكاً لكثرة ما ورد في تلك المقاطع من أسماء الأديار والمناسك ولم يقطع بأنَّه قيس الماروني.

فالحاصل من ذلك على ما نرى أولاً أن لا ريب في أنَّه كان مؤلِّف بين القرنين التاسع والعاشر يسمى قيس الماروني، وأنَّه ألَّف كتاباً حسناً جامعاً تواريخ كثيرة كما أشار المسعودي الذي هو ثقة في نقله وقريب من عصر المؤلف المذكور ولا غرض

له في أن يختلق هذا الخبر. ثانياً إنَّه من المؤكَّد أيضاً أنَّ قيس الماروني غير توافيلس الرهاوي الماروني لا من قبيل التباين بين عصريهما كما مرَّ بل من قبل أوجه أخرى أيضاً، منها أنَّ توافيلس كان رئيس منجّمي المهدي والمقاطع المذكورة التي يرجّح أنَّها من كتاب قيس يظهر منها على ما ذهب إليه نلدك أنَّ كاتبها كان راهباً أو ناسكاً. ثالثاً إنَّ الأرجح عندنا أنَّ القطع التي أشهرها نلدك أو الكتيب الذي أذاع الأب نو أصله وترجمته الافرنسية ليس هو كتاب قيس برمته حتى ولو أمكن قراءة كل ما قال نو إنَّه وجده ممحواً أو لم يتيسَّر له أن يقرأه، لأنَّ هذا الأثر لا يشتمل أصله إلَّا على خمس عشرة صفحة، والمسعودي قال إنَّ كتاب قيس يتضمَّن ابتداء الخليقة والأنبياء والكتب والمدن والأمم وملوك الروم وغيرهم فتاريخ كل ما ذكره لا تسعه خمس عشرة صفحة وإن وسَّعته فلا يكون كتاباً حسناً في التاريخ كما وصفه المسعودي. رابعاً يظهر لنا أنَّ المقاطع المذكورة والكتيب السرياني الذي نشره نو عن الأصل الكائن في المتحف البريطاني إنَّما هي جزء من كتاب قيس المذكور أو فقرات منه نسخها غير المؤلِّف، إذ شهد من نقبوا عنها أنَّ فيها أغلاطاً لغوية مع صحة أخبارها ومطابقتها لما كتبه علماء ذلك العصر الذي لا نعرف فيه من علماء الموارنة إلَّا توافيلس وقيس المذكور. والله أعلم.

عد ٢٩

رد مزاعم من اتَّهموا الموارنة بالضلال في القرن العاشر

اعترض على الموارنة بشهادة ساويرس أسقف الأشمونيين من القبط في القرن العاشر سنداً إلى أنَّ هذا الأسقف وهو من أصحاب بدعة الطبيعة الواحدة قال في كتاب ألَّفه منتقداً فيه عادات استطرقتها فرق النصارى في أيامه: «إنَّ الموارنة فرقة متميزة عن اليعاقبة والأرمن والملكية وعن اللاتينية أيضاً». وكل يرى أن ليس في هذا الكلام الذي رويناه بالحروف نفسها التي رواه بها المعترض ما يدل على ضلال يستمسك به الموارنة فامتيازهم عن اليعاقبة بينة لهم على أنَّهم ليسوا على ضلالهم باعتقاد الطبيعة الواحدة في المخلِّص وكذلك امتيازهم عن الأرمن الذين كانوا في عصر المؤلِّف كاليعاقبة باعتقادهم طبيعة واحدة في المسيح، وأمَّا امتيازهم عن الملكية

فإن أراد بهم الكاثوليكيين فالموارنة متميّزون عنهم من حيث الطقس والطائفية والرعاة كما هم الآن، وإن أراد بهم غير الكاثوليكيين فيكون كلامه بينة للموارنة على أنّهم كاثوليكيون صحيحو العقيدة خلافاً للملكية غير الكاثوليكيين. وامتيازهم عن اللاتينية كامتيازهم عن الملكية الكاثوليكيين لا يشعر بخلاف ديني بلا خلاف طقسي وطائفي. ويمكننا الآن أن نقول ولا حرج أنّنا متميّزون عن اللاتينيين لأنّ لنا رعاةً وتهذيباً وطقساً غير ما لهم من ذلك، والأمر بيّن وقد استوفينا الكلام فيه في كتابنا روح الردود صفحة ٩٢ من طبعة بيروت.

إنّ أوّل طاعن بالموارنة بل مصدر كل طعن عليهم بأنّهم تشبثوا ببدعة المشيئة الواحدة إنّما هو سعيد بن بطريق البطريرك الملكي الاسكندري الذي كان في القرن العاشر وقد فنّدنا زعمه ودحضناه كلّ الدحض في مواضع كثيرة من كتابنا هذا وفي عد ٦٦٨ في المجلّد الرابع نقضنا قوله بقوله نفسه إنّ مارون مبدع بدعة المشيئة الواحدة كان في زمان موريق ملك الروم فابنا أنّ القديس مارون كان قبل موريق الملك بنحو من قرنين وقبل ظهور هذه البدعة بأكثر من قرنين. وفي عد ٧١٠ من هذا المجلّد الخامس رددنا زعمه رداً مسهباً باقامة الحجج القاطعة الدامغة على كذبه وبإيراد شهادات كثيرين من الأحبار الأعظمين والعلماء المحققين والاستدلال بقرائن وأدلة لا يشوبها ريب ثمّ عددنا كثيراً من أغلاطه الفاضحة في غير هذا البحث وفي عد ٧١١ من المجلّد المذكور أثبتنا ترجمة رسالة البابا بناديكتس الرابع عشر إلى نيقولاوس لركاري بهيئة براءة في إثبات قداسة القديس مارون حيث فنّد هذا الحبر العلامة زعم سعيد المذكور تفنيداً من المحال أن يعترض عليه أو يوجد ما يضعف قوته، وقد محقنا زعم سعيد المذكور في مواضع كثيرة من كتابنا روح الردود وقد فندناه أخيراً كل تفنيد في كتيّبنا الذي رفعناه هذه السنة ١٩٠٠م بالافرنسية إلى مجمع الآثار القديمة في رومة ثمّ نشرناه بالعربية ووسمناه بالحجة القاطعة الجلية على من ينكرون ثبوت الموارنة الدائم في العقيدة الكاثوليكية وقد ذكرنا في كتبنا المذكورة من فنّد مزاعم سعيد بن بطريق من العلماء الاعلام ولاسيما علماء أمتنا المارونية حتى أصبحت هذه الحقيقة في جملة ما يقال فيه:

وليس يصح في الأذهان شيء إذ احتاج النهار إلى دليلِ

وإذا كان ديجور الجهل المنسدل على تواريخ هذه القرون الوسطى لا يمكننا من

الاطلاع على أمور كبيرة وعامة فلا عجب من أن نجهل تاريخ أمة صغيرة كانت مستأمنة في قمم لبنان وكهوفه في القرن العاشر حتى لا يتيسر لنا أن ندوّن شيئاً من تاريخها في هذا القرن.

عد ٣٠

المطران داود الماروني

كل ما نعلمه عن ترجمة هذا الأسقف أنه كان مارونياً ورئيس أساقفة، وأنه كان في هذا القرن الحادي عشر، وأنه ترجم من السريانية إلى العربية كتاباً كان أحد آباء الطائفة المارونية قد ألّفه وقد عني بهذه الترجمة سنة ١٣٧٠ لاسكندر المكدوني توافق سنة ١٠٥٩م. وقد ذكر هذا الكتاب البطريرك أسطفانس الدويهي الاهدني في الفصل السادس من كتاب احتجاجه عن الموارنة ورفع التهم عنهم وسماه تارة كتاب «القوانين» وتارة كتاب «الهدى» أو كتاب «الهداية». وذكر مرهج بن نيرون الباني الماروني في مقالته في أصل الموارنة واسمهم ودينهم صفحة ٨٩، وفي كتابه المعنون أفوبليا (أي سلاح الإيمان) صفحة ١٧٠، وابراهيم الحاقلي في كتابه في أصل اسم بابا صفحة ٤٩٢، وأتى بذكره صفحة ٤٩٢ دي لوراك في كتاب سياحته في سورية وجبل لبنان مجلّد ٢ صفحة ٩١ وقد ذكره العلامة السمعاني في كتابه فهرست الكتب المخطوطة القديمة الشرقية في المكتبة الواتيكانية الذي ألّفه بمعاونة المطران أسطفان عواد السمعاني ابن اخته كما سيأتي، وقد ذكره مرات في مكتبته الشرقية وحقق أنّه هو الذي أخذ هذا الكتاب من الشرق وضمّه إلى المكتبة الواتيكانية، إذ روى في فهرست الكتب العربية التي نقلها من الشرق إلى المكتبة المذكورة، فقال في صفحة ٦٢٩ من المجلّد الأوّل ما ترجمته: «الكتاب السادس والسبعون (من المكتبة المذكورة) يشتمل على رسالة الانبا يوسف إلى داود مطران الموارنة المؤرّخة في سنة ١٣٧٠ (لاسكندر الموافقة لسنة ١٠٥٩ للميلاد)، والتي سأله بها أن يرسل إليه كتاب القوانين البيعية، ثمّ جواب المطران داود إلى الانبا يوسف. وقد أرسل إليه المقالة المشتملة على القوانين التابعة مجموعة القوانين تنطوي على ثلاثة وخمسين عنواناً: العنوان الأوّل في الإيمان، ٢ في الإيمان بسري التثليث والتجسّد، ٣ في الصلاة، ٤ في الأشياء النجسة، ٥ في الأشياء الطاهرة، ٦ في القربان الأقدس، ٧

في التقادم، ٨ في الشركة، ٩ في المعمودية، ١٠ في الصوم، ١١ في العشور، ١٢ في تقدمة الخراف، ١٣ في تقدمة الثمار، ١٤ في شرح دستور الإيمان، ١٥ في القوانين المختصّة بالمؤمنين أجمع، ١٦ في قوانين الرهبان والراهبات، ١٧ في قوانين الكهنة، ١٨ في قوانين المؤمنين والصلوات القانونية، ١٩ في الصوم والطلاق والزواج والامانة والقضاء، ٢٠ في البطاركة والأساقفة والكهنة والشمامسة والرهبان والعامة، ٢١ قوانين المجمع القسطنطيني الثاني، ٢٢ قوانين كيرلس الأورشليمي في المعمودية والزيجة، ٢٣ في المسيح الاله، ٢٤ قانون يوحنا الانجيلي، ٢٥ قانون في الأسباب المسوغة هجر الرجل امرأته وبالعكس، ٢٦ في المسيح والثالوث نقلاً عن كتاب عدي ابن ابراهيم المعروف بابن عديان الذي دوَّن سنة ٣٨٦هـ (وهي سنة ٩٩٧م)، ٢٧ في الصلوة الربية، ٢٨ قوانين اكليمنضس، ٢٩ في حفظ أيام الأعياد، ٣٠ في تكريس الهياكل، ٣١ في الميرون المقدّس، ٣٢ في المذابح، ٣٣ في الملابس الكهنوتية، ٣٤ في قوانين الرسل وهي واحد وثمانون قانوناً، ٣٥ قانون بطرس الرسول للكنيسة، ٣٦ في العشور والبكور، ٣٧ مراسيم بطرس الرسول، ٣٨ مرسوم بولس، ٣٩ مرسوم بولس وعلى قول آخرين مرسوم يعقوب في ذكر الموتى، ٤٠ في جنازة الموتى، ٤١ في من يقاسون الاضطهاد من أجل الإيمان، ٤٢ في درجات الكهنوت، ٤٣ قانون بولس في تناول القربان، ٤٤ في قوانين المجمع النيقوي وهي اثنان وعشرون قانوناً، ٤٥ في قوانين مجمع أنقورة وهي ثلاثة وعشرون قانوناً، ٤٦ في قوانين مجمع قيصرية الحديثة وهي خمسة عشر قانوناً، ٤٧ في قوانين مجمع كنكرا وهي عشرون قانوناً، ٤٨ في قوانين مجمع أنطاكية وهي أربعة وعشرون قانوناً، ٤٩ في قوانين مجمع اللاذقية وهي تسعة وخمسون قانوناً، ٥٠ في قوانين مجمع قسطنطينية وهي أربعة قوانين، ٥١ في قوانين المجمع الخلكيدوني وهي سبعة وعشرون قانوناً، ٥٢ في قانون المجمع الأفسسي، ٥٣ في مراسيم الملوك قسطنطين وتوادوسيوس ولاون وهي مئة وأربعون مرسوماً». وأردف السمعاني هذا الفهرست بقوله: «وهو كتاب عربي خطَّ بالأحرف السريانية على رق بقطع الربع، صفحاته ٢٩٥ وكان خطّه سنة ١٧١٣ لاسكندر توافق سنة ١٤٠٢ للميلاد. وقد ذكر السمعاني أيضاً المطران داود وكتابه في المجلّد الثاني من المكتبة الشرقية صفحة ٦٧ حيث تكلّم في يعقوب البردعي فقال: «ذهب المطران داود الماروني في كتابه في القوانين وهو السادس والسبعون من الكتب العربية في المكتبة الواتيكانية إلى أنّه سمى البردعي نسبة إلى

مدينة اسمها البردعة، وهاك قوله في الفصل الأوَّل: «ثمَّ اليعقوبية وهي المنسوبة إلى يعقوب الذي كان من مدينة تدعى البردعة ولذلك يقال له يعقوب البردعي». وهذه المدينة ذكرها مؤلِّف جغرافية بلاد النوبة وأورد نيرون الباني قوله في كتابه أفوبليا (سلاح الإيمان) صفحة ٤٢ على أنَّ بردعة بنيت بعد يعقوب البردعي بزمان طويل أعني نحو سنة ٧٠٥م في أيام عبدالملك بن مروان على ما روى جلال الدين الأسيوطي في تاريخ الخلفاء على ما في الكتاب السادس والأربعين من الكتب العربية في المكتبة الواتيكانية صفحة ٨٠ حيث قال: «في سنة ٨٥هـ بنيت مدينة اردبيل ومدينة بردعة بناهما عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي». انتهى كلام السمعاني في المحل المذكور وإذ تكلَّم في صفحة ١٨١ من المجلَّد المار ذكره في عدد البرشانات على عادة اليعاقبة أن تكون وتراً لا شفعاً إلَّا في البرشانتين قال: «قد اعترض توما من بيانسيا (في مؤلفه في الاهتمام برجوع جميع الأمم ك ٧ فصل ٦ صفحة ٤٩٩) على الموارنة بأنَّ لديهم شيئاً من هذه العادة، وقال الأب اليانس اليسوعي إنَّه وجد أثراً لذلك في كتاب «الهدا» (هو كتاب المطران داود)، على أنَّ العلامة البطريرك أسطفانس الدويهي الشهير قد أوضح (في احتجاجه عن الموارنة احتجاج ٦ فصل ٢) إنَّ هذا الظن أو التخمين باطل ولا صحة له».

إنَّ توما أسقف كفرطاب الذي أشرنا إلى شيء من أخباره في كلامنا على تاريخ الموارنة في القرن السابع وذكرنا أنَّه أتى إلى لبنان سنة ١١٠٤م ليستغوي الموارنة ببدعة المشيئة الواحدة، وأنَّه ترجم كتاب القديس يوحنا مارون في الإيمان وعبث به محرِّفاً إياه وزائداً عليه ما يوافق غرضه، فتوما هذا قد عبث بكتاب المطران داود المذكور أيضاً وعبث بادخال زيادات عليه وتحريفه له توسلاً لغرضه المذكور. وقد أثبت العلامة البطريرك أسطفانس الدويهي (في الفصل السادس من كتابه في الاحتجاج عن الموارنة صفحة ٣٤٠ من كتاب تاريخ الموارنة المطبوع في بيروت) إنَّ توما الكفرطابي المذكور زاد على كتاب المطران داود القول التابع: «إنَّ أوَّل فرقة ظهرت من الفرق المشهورة هي الفرقة المنسوبة إلى آريوس وهي التي تدعى آريوسية، ثمَّ النسطورية وهي المنسوبة إلى نسطور، ثم اليعقوبة وهي المنسوبة إلى يعقوب البرادعي، ثمَّ الملكية وهي المنسوبة إلى مكسيمس المخالف الذي كان من ذرية السمرة، وأبوه كان اسمه زادوق، وكان يهودياً وأمَّه جارية عجمية كما تقدَّم عنه الوصف في الكتاب الكبير، وخبره مؤرَّخ في كتاب سعيد بن بطريق، ثمَّ

المارونية وهي المنسوبة إلى دير مارون وإلى الأب القديس الطاهر مار يوحنا بطريرك أنطاكية». إلى أن قال: «قد ذكرت خبرها بين الفرقتين الملكية والمارونية وشرحت بيان حالها شرحاً شافياً في الرسالة التي كتبتها إلى الأب القديس أرسانيوس أسقف عين قوره وسميتها رسالة العدل ... وثبتت هذه الفرق أربعاً على أنَّ الفرقتين الملكية والمارونية اللتين ذكرناهما إنَّما هما فرقة واحدة، ورأيهما في الاتحاد والجوهر الأقنومي رأي واحد وإنَّما اختلفتا بالمشيئة. فقالت الملكية بالمشيئتين وقالت المارونية بالمشيئة الواحدة واحتجت كل واحدة منهما بحجج، وقد ذكرنا حالهما وحججهما التي أوجبت الخلاف بينهما في الرسالة الموسومة ببداية العدد». فهذه هي الزيادة التي أدخلها توما أسقف كفرطاب على كتاب المطران داود في العنوان في الإيمان، وقد حج الموارنة خصومهم بهذه الزيادة التي كان مطرانهم داود قد كتبها.

على أنَّ العلاّمة الدويهي وغيره قد أثبتوا بحجج قاطعة وبينات دامغة أنَّ هذا الكلام كلام توما الكفرطابي وليس كلام المطران داود. وإليك بعض تلك الحجج أوّلها أنَّ أرسانيوس أسقف العاقورة الذي يقول الكاتب إنَّه أرسل إليه رسالته المسماة رسالة العدل لم يكن في أيام المطران داود بل بعده بستين في أوائل القرن الثاني عشر، إذ كان توما الكفرطابي في لبنان. وقد صرَّح توما في كتابه الموسوم بالمقالات العشر أنَّه كتب رسالة مطولة إلى أرسانيوس أسقف العاقورة يبين فيها معتمداً على تواريخ ابن بطريق أنَّ اعتقاد المشيئة الواحدة كان رأي معلّمهم مارون ورأي الآباء وأنَّ الموارنة لا يفترقون عن الملكية إلَّا بهذا. ومثل ذلك الرسالة التي قال الكاتب إنَّه بيّن فيها حال الموارنة والملكية وحججهما، فإنَّما هي لتوما الكفرطابي وآثارها باقية في كتابه المقالات العشر وليست للمطران داود. الحجة الثانية أنَّ توما الكفرطابي قد صرَّح في كتابه المذكور بأنَّه لا يقدم إلى لبنان إلَّا ليصحِّح معتقد الموارنة ليؤمنوا بأنَّ في المسيح مشيئة واحدة، وجل كلامه في الكتاب المذكور موجه لهذا الغرض. وقد بذل جهده في رسالته إلى أرسانيوس أسقف العاقورة ليثبت زعمه هذا مستدلاً بأقوال سعيد بن البطريق بأنَّ هذا كان معتقد مارون والموارنة، فإن كان الموارنة قد اعتقدوا قبله ببدعة المشيئة الواحدة، وبهذا افترقوا عن الملكية، وكان هذا معتقد أسقفهم داود في كتاب قوانينهم، فلِمَ هذا التعب والنصب والعناء لتصحيح عقيدتهم؟ ولِمَ ندب توما سوء منقلبه وخسارة أتعابه وأوقاته إذ قاومه بطريرك الموارنة وعانده أرسانيوس أسقفهم ولم يذعن لكلامه إلَّا خوري قرية فرشع ونفر ببلاد

جبيل؟ وكيف يوفق بين هذا وبين ما يرويه عن المطران داود أنَّ طائفته لا تفترق عن الملكية إلّا باعتقادها المشيئة الواحدة خلافاً لهم؟ الحجة الثالثة أنَّ ما ورد في الزيادة المذكورة على كتاب المطران داود عن القديس مكسيمس إنَّما هو كلام سعيد ابن بطريق بحروفه، انتحله عنه توما الكفرطابي الذي جعل سعيد عمدة له في كتابه المقالات العشر ولم يذكر هذه الخرافة عن أبي القديس مكسيمس وأمه إلّا سعيد المذكور.

وقد أثبت السمعاني العلامة أنَّ ما علق على النسخة الواتيكانية من كتاب المطران داود إنَّما هو رقعة أدخلها عليه توما الكفرطابي، فانَّه في كتابه فهرست الكتب القديمة الشرقية في المكتبة الواتيكانية الذي ألَّفه بمعاونة المطران أسطفان عواد السمعاني لكتاب المطران داود في المكتبة الواتيكانية بعد أن كان في عد ٧٦ من الكتب التي أحضرها من الشرق: «إنَّ البطريرك الأنطاكي أسطفانس (الدويهي) علق حاشية على هامش هذا الكتاب صفحة ٢٥ أبان فيها أنَّ توما الكفرطابي أدخل على هذا الكتاب أشياء كثيرة ليبث بدعة المشيئة الواحدة والفعل الواحد في المسيح». ثمَّ روى تلك الزيادة كما رويناها قال: «ليس هذا كلام المطران داود بل كلام توما الكفرطابي، فانَّ كاتب الرسالة إلى أرسانيوس (أسقف العاقورة) إنَّما هو توما، لا داود فالواضح إذاً أنَّ هذه الزيادة على كتاب القوانين للمطران داود أدخلتها يد توما الكفرطابي المذكور».

ولنا حجة أخرى قاطعة تبين تلك الزيادة مدخلة على نسخة كتاب المطران داود التي في المكتبة الواتيكانية وليست من كلام المطران المذكور، فانَّ النسخ الأخرى لهذا الكتاب خالية عن هذه الزيادة بل تشتمل على ما يناقض ذلك، منها النسخة التي كانت في مكتبة مدرسة الموارنة برومة وقد تداولتها يد القس مرهج بن نيرون الباني وأخذ عنها (في مقالته في أصل الموارنة واسمهم ودينهم صفحة ٨٩) شهادة المطران داود حيث يقول: «إنَّ الملكية يتفقون مع الموارنة باعتقادهم المشيئتين فانَّ الموارنة يثبتون في المسيح مشيئتين تبعاً لطبيعتيه الإلهيَّة والبشرية». وقد أثبت ذلك دي لاروك في كتاب رحلته إلى سورية ولبنان فقال (في المجلَّد الثاني صفحة ٩١ راداً زعم غوليلمس أسقف صور) ويثبت بطلان شهادة غوليلمس شهادة مطران سوري عالم اسمه يوسف (هذا سهو من المؤلِّف أو خطأ من منظِّم حروف المطبعة ويصلحه قوله الثاني) كان عائشاً سنة ١٠٥٩م كما يظهر من رسالة كتبها الأنبا

يوسف تلك السنة إلى المطران المذكور يسأله بها أن يترجم من السريانية إلى العربية كتاب «القوانين البيعية» الذي عند السريان. وهذه الرسالة معلقة على فاتحة كتاب القوانين المذكورة. ومنه نسخة محفوظة في مكتبة مدرسة الموارنة برومة وترى في الفصل الأوّل من هذه القوانين الشهادة الآتية التي ترجمناها عن الأصل العربي: «إنَّ الملكية يتَّفقون مع الموارنة باعتقادهم المشيئتين فانَّ الموارنة يثبتون أنَّ في المسيح مشيئتين» الخ. قال مرهج بن نيرون (الباني الماروني): «كيف يصح إذاً ما قاله غوليلمس الصوري عن الموارنة في سنة ١١٨٤م من أنَّ هذه الطائفة تسكَّعت نحواً من خمسمائة سنة في ضلال مبدع اسمه مارون مع أنَّ المطران المذكور يشهد شهادة تنقض كل ذلك أعني الموارنة كانوا في سنة ١٠٥٩م التي ترجم فيها الكتاب المذكور يجاهرون باعتقادهم أنَّ في المسيح مشيئتين». انتهى كلام دي لاروك.

طالع ما كتبته في هذا الشأن في كتابي «روح الردود» من صفحة ١٠٠ إلى صفحة ١٢٢ من المطبعة العربية ببيروت، ومن صفحة ٩٥ إلى صفحة ١١١ من ترجمته الافرنسية المطبوعة في اراس سنة ١٨٩٦م.

مقالة خامسة

تاريخ الموارنة في القرن الثاني عشر

عد ٣١

حالتهم الدنيوية في هذا القرن

ذكرنا في تاريخ الموارنة في القرن الثامن عد ٧٤٢ أنّ حلم الخلفاء وصعوبة مسالك لبنان وتعذر إحراز الثروة فيه جعلت الموارنة سكانه في مأمن من السطو عليهم والمزاحمة لهم على أراضيه، وان يظهر أنّ الخلفاء كانوا يولون عليهم ولاة

مسيحيين، وأيدنا ذلك بشهادة العلامة السمعاني في مؤلفه «مكتبة الناموس» (مجلّد ٤ صفحة ٣٩٤). والآن نقول يظهر أنّ الموارنة سكان لبنان استمرّوا على ذلك إلى هذا القرن وما بعده أيضاً متنعمين بنوع من الاستقلال الإداري بفضل الخلفاء، ولما أتى الفرنج وملكوا السواد الأعظم من سورية لم ينزعوا عنهم هذه النعمة بل تركوهم واستقلالهم المذكور. وهذا تؤكّده لنا أدلّة كثيرة قاطعة فلم نعثر في كل ما قلّبناه من كتب التاريخ لأخذ تاريخ الخلفاء ما يؤذن بأنّ الخلفاء نصبوا عاملاً على لبنان أو على مدنه غير الساحلية، فقد ذكروا متواتراً عمال النواحي كطرابلس وجبيل وبيروت وصيدا وحماه وحمص وبعلبك، ولكن لم نرَ ذكراً لعامل في لبنان أو إحدى مدنه أو قراه الجبلية، بل لم نجد أثراً لإقامة المسلمين في أنحائه إلّا بعد أواخر القرن الثالث عشر ولا في سواحله أو ما يقرب منها كإقامة أمراء الغرب من آل تنوخ في عمل الغرب القريب من بيروت، فانّ الملوك والأمراء المسلمين أقاموا في مدة حربهم مع الفرنج هؤلاء الأمراء في العمل المذكور، وبعد طردهم الفرنج من هذه البلاد أسكنوا عشائر من المسلمين في سواحل لبنان ليكونوا حاجزاً بين نصارى لبنان وبين الفرنجة إذا عادوا إلى سورية كما سيأتي.

ولما فتح الفرنج سورية وملكوا مدنها الساحلية لم يعترضوا النصارى سكان لبنان في تدبير أمورهم الداخلية، ولم يمسّوا ما كانوا عليه من الاستقلال، فلا نراهم نصبوا عاملاً على غير المدن الساحلية، ولا ألفينا ما يدل على أنّهم حاربوا سكانه أو أنّ سكانه استسلموا إليهم أو تركوا لهم تدبير شؤون بلادهم، كما لا نرى أنّ الحكام المسلمين استعانوا بهم على حرب الفرنج أو جنّدوا قوماً منهم لمحاربة الفرنج. ولو كانوا يلونهم كغيرهم من سكان السهول والمدن البحرية لما أهملوا تكليفهم إلى إنجادهم في حروبهم كما كانوا يصنعون مع باقي مسوديهم بل لو كان للولاة المسلمين الولاية المطلقة على سكان الجبل لما استطاع الفرنج أن يتمكّنوا في طرابلس وجبيل وبيروت وصيدا لاكتناف الجبل هذه المدن ومن عرف موقعها قضى بما نحن مثبتون.

وقد جاء في كتاب تاريخ الموارنة المطبوع في بيروت سنة ١٨٩٠م (صفحة ٢٧٩) ذكر أمراء لبنان مع تعيين أسمائهم وسني ولايتهم نقلاً عن رسالة للخوري يوسف مارون الدويهي الاهدني، فلا يمكن القطع بصحّة هذه الرواية ولاسيما في تعيين الأسماء والسنين، لأنّ صاحب الرسالة لم يسند ما كتبه إلى أحد المؤرخين أو

أحد الكتب القديمة، وغموض التواريخ في تلك الحقبة معلوم مشهور فيتعذّر على الكاتب أن يحقق هذه الأسماء وهذه السنين. وإذا كان العلماء لم يستطيعوا أن يعرفوا أسماء بعض البطاركة وسني رياستهم في تلك القرون فلا يظن أنّه كانت وسيلة للعلم بأسماء أمراء منزوين في جبل وبسني ولايتهم. ولكن بقاء حكام أو أمراء في لبنان في تلك السنين لا ريبة فيه وكل ما مرّ آنفاً يؤيد أنّ هؤلاء الأمراء كانوا وطنيين ولنا شهادة قاطعة على أنّه كان في لبنان في القرن الثاني عشر ملك أو أمير ماروني في جبيل. وهذه الشهادة كتبها البطريرك أرميا العمشيتي بخط يده على كتاب الأناجيل الأربعة الذي خطّ سنة ٨٩٧ يونانية الموافقة لسنة ٥٨٦ للميلاد. وكان هذا الكتاب في بطريركية الموارنة في أيام البطريرك أرميا المذكور ثمّ اتّصل إلى المكتبة الماديشية في فيرنسا بإيطاليا، وذكره العلّامة المطران أسطفان عواد السمعاني في الفهرست الذي وضعه للكتب الشرقية في هذه المكتبة وقد صنع مثالاً للكلمات نفسها التي خطّتها يد أرميا بالسريانية وسنذكرها عند الكلام فيه. ونجتزئ الآن بذكر ما خصّ غرضنا منها، فانه بعد أن ذكر دعوة البطريرك له وتصبييره أسقفاً في دير كفتون قال: «وبعد مضي أربع سنين طلبني ملك (أي أمير) جبيل والأساقفة ورؤساء الكنيسة والكهنة وألقوا قرعة فأصابتني وأقاموني بطريركاً في دير حالات». فأمير جبيل الذي دعا أسقفاً مارونياً وشهد انتخابه بطريركاً لا يمترى في أنّه ماروني.

ونرى لويس التاسع ملك فرنسة لما كان في عكا في أواسط القرن التالي كتب في رسالته إلى الموارنة: «إلى أمير الموارنة بجبل لبنان وإلى بطريرك وأساقفة الطائفة المذكورة». وصرّح في رسالته بأنّ الأمير سمعان أتى إليهم وقدّم له هدايا فاخرة بل قد صرّح البابا بناديكتس الرابع عشر في خطبته في كرادلة الكنيسة الرومانية في ١٣ تموز سنة ١٧٤٤م بأنّه لما ملك المسلمون أنطاكية وطردوا الفرنج منها ولّى هؤلاء فارين إلى جبل لبنان، فقبلهم بطريرك الموارنة بالايناس والترحاب فكتب إليه البابا اسكندر الرابع يشكر له صنيعه ولم تزل براءة البابا اسكندر الرابع التي أشار إليها بناديكتس الرابع عشر محفوظة في خزانة أوراق بطريركية الموارنة حيث يوصيه بهؤلاء الفرنج، ويخوّله الحق أن يسوسهم كشعبه. فلو لم يكن للموارنة حينئذٍ نوع من الاستقلال لما هرب الفرنج إليهم ولما استطاع بطريرك الموارنة أن يقبلهم ويضمّهم إلى شعبه وسوف ترى شيئاً كثيراً يثبت ذلك.

عد ٣٢

بطاركة الموارنة في القرن الثاني عشر

لما قدم الفرنج إلى سورية في آخر القرن الحادي عشر كان يوسف الجرجسي بطريركاً على الموارنة ولا نعلم في أيّة سنة قبل ذلك رقي إلى هذا المقام، بل علمنا أنّه لما فتح الفرنج أورشليم أقاموا غودفروا ملكاً عليهم واختاروا بطريركاً لاتينياً على أورشليم أرسلوا رسائل ووفداً إلى الحبر الروماني البابا أوربانس الثاني يبشرونه بما وفّقهم الله إليه، وأرسل يوسف الجرجسي مع وفدهم نائباً عنه ورسالة إلى الحبر الروماني يحقق بها طاعته له وتشبّثه بالإيمان الكاثوليكي فبلغت هذه الرسالة إلى البابا بسكاليس الثاني لأنّ سالفه البابا أوربانس الثاني كان قد توفي قبل فتح أورشليم بأربعة عشر يوماً فسرّ البابا بسكاليس بهذه الرسائل والوفد سروراً عظيماً وأرسل إلى بطريرك الموارنة تاجاً وعكازاً. وروى ذلك الأسقف جبرائيل اللحفدي المعروف بابن القلاعي في رسالة كتبها إلى البطرك سمعان الحدثي سنة ١٤٩٤م ومرهج بن نيرون الباني في كتابه (أفوبليا) سلاح الإيمان صفحة ٦٧، وأورد لكويان قوليهما في المشرق المسيحي (مجلّد ٣) في كلامه على بطاركة الموارنة وكان هذا البطريرك ساكناً في يانوح من عمل جبيل.

وروى لكويان في المحل المذكور ما رويناه في كلامنا على توما أسقف كفرطاب أنّه كان يعقوبياً وصار من أصحاب بدعة المشيئة الواحدة، وأتى إلى لبنان قاصداً أن يستغوي الموارنة وانّه قام لمناصبته يوسف بطريرك الموارنة وأرسانيوس مطران العاقورة وفندا تعليمه برسائلهما، فرذله الجميع ولم يضلل إلّا خوري كفرشع وبعض المغفّلين إلى أن قال لكويان إنّ هذا البطريرك بقي حياً إلى سنة ١١١٩م هذا إذا كان هو الذي كتب رسالة إلى البابا جيلاسيوس الثاني يهنئه بها بارتقائه إلى الحبرية العظمى ولما كان البابا جيلاسيوس لم يعش إلّا زماناً وجيزاً (سنة وخمسة أشهر) جاوبه البابا كاليستوس الثاني على رسالته سنة ١١١٩م كما روى ابن نيرون الباني في كتابه سلاح الإيمان صفحة ٦٨، وربّما كان البطريرك بطرس خليفة يوسف المذكور هو الذي كتب هذه الرسالة.

وصيّر بعد البطريرك يوسف الجرجسي البطريرك بطرس الأوّل ولا شكّ في أنّه كان بطريركاً على الموارنة سنة ١١٢١م، لأنّ الكتاب السابع من الكتب السريانية

المخطوطة التي نقلها السمعاني إلى المكتبة الواتيكانية علق كاتبه على صفحة ٢٦٢ منه هذه الحاشية بالسريانية وترجمتها: «أنا الحقير الراهب سمعان كتبت هذه الأسطر في هذا الكتاب الذي نسخته لأبينا الطوباوي بطريركنا مار بطرس بطريرك الموارنة الساكن بدير ميفوق المقدّس في وادي ايليج من عمل البترون، إلى أن أمرني أن أكون رئيساً وناظراً على دير القديس يوحنا في أرض كوزبند بجزيرة قبرص في أيام الرهبان الساكنين في دير القديس يوحنا المذكور وهذه أسماؤهم: الراهب داود القس موسى الراهب، يوسف النحتومي، والراهب جيورجيوس، والراهب دانيال. وهؤلاء كهنة يخدمون الله وكان ذلك سنة ١٤٣٢ يونانية (سنة ١١٢١م) في اليوم الثاني عشر». يريد من تشرين الأوّل الذي كان السريان يبدأون السنة منذ ذكر ذلك السمعاني في المجلّد الأوّل من المكتبة المشرقية صفحة ٣٧٠ ثمّ ذكره صفحة ٦١١ و ٦١٢ من المجلّد المذكور.

وقد ذكر الدويهي في تاريخه البطريرك بطرس هذا فقال: «وفيها (أي في سنة ١١٢١م) كان البطريرك بطرس قاطناً في دير سيدة ميفوق من أعمال البترون وبعث الرهبان القاطنون بدير مار يوحنا كزبند يخبرونه بوفاة رئيسهم ويسألونه أن يرأس عليهم القس سمعان الذي كان كاتباً عند قدسه، وله اليد الطولى في الخط، وفي تزويق التصاوير كما هو واضح من كتاب ميامر مار يعقوب السروجي الذي كتبه بخط استرنكالي على رق وهو مصان عندنا بدير سيدة قنوبين». انتهى كلام الدويهي ويظهر منه أنّ هذا الكتاب الذي كان في قنوبين نقله السمعاني إلى المكتبة الواتيكانية.

وخلف غريغوريوس الثالث من حالات بطرس الأوّل وقد ذكره الأسقف جبرائيل القلاعي في رسالته إلى البطريرك سمعان الحدثي ومرهج بن نيرون الباني في كتابه سلاح الإيمان، وقال إنّه أرسل سنة ١١٣٠م وفداً إلى البابا أينوشنسيوس الثاني يهنّئه بارتقائه إلى الحبرية العظمى، ولما أرسل هذا البابا الكردينال غوليلمس إلى الشرق بسبب الخلاف الشهير الذي كان حينئذٍ إذ غصب البابابوية بطرس لاون وسمي أناكليتس الثاني، التقى البطريرك غريغوريوس الكردينال غوليلمس إلى طرابلس وقدّم صك طاعته للبابا أينوشنيوس الثاني البابا الشرعي. وقد ذكر ذلك البطريرك أسطفانس الدويهي في تاريخه، فبعد أن أورد خبر هذا الخلاف ورجوع الأكثرين إلى طاعة البابا الشرعي واقتداء الفرنج الذين بسورية بهم قال: «وعلى شبه

من تقدّم ذكرهم نزل رؤساء الملة المارونية وعلماؤها إلى مدينة طرابلس وعلى يد الكردينال غوليلمس قاصد البابا زخيا (أينوشنسيوس) حلفوا له الطاعة وأعطوه خطوط أيديهم أنّهم لا يتمسكون بغيره ولا يكرزون إلّا باسمه».

وصيّرَ بعد غريغوريوس الثالث الحالاتي يعقوب الأوّل من رامات ببلاد البترون وقد روى العلامة السمعاني (في المجلّد ١ من المكتبة المشرقية صفحة ٣٠٧) انّه علق على أحد كتب القديس يعقوب السروجي (وهو السابع من الكتب السريانية التي نقلها السمعاني إلى المكتبة الواتيكانية) هذه الحاشية بالعربية: «لما كان تاريخ سنة ١٤٥٢ يونانية (توافق سنة ١١٤١م) في شهر تموز المبارك بعشرة أيام مضت منه حضر إلى عندي أنا بطرس بطريرك الموارنة الجالس على الكرسي الانطاكي باسم يعقوب من قرية رامات من عمل البترون الولد الراهب دانيال من رهبان دير كفتون وقد أعطيته سلطانا من الله، ومن حقارتي بأنّه يكون رئيساً ومديراً على دير مار يوحنا الكوزبند في جزيرة قبرص المحروسة من الله تعالى بحسب ما ورد من الأولاد الرهبان وأوّلهم الراهب عيسى وإيليا والراهب موسى، والراهب يوحنا وأخوه يعقوب برضاهم وخاطرهم وخطّ أيديهم ولربّنا آمين». وقال البطريرك أسطفانس الدويهي في تاريخ سنة ١١٤٠م: «وفيها كانت وفاة الرجل الفاضل القس سمعان رئيس دير ما يوحنا الكوزبند بقبرص، وأرسل لهم بدله البطريرك يعقوب من رامات من عمل جبيل القس دانيال من رهبان سيدة كفتون الذي في كورة طرابلس، ومن بعد يعقوب الراماتي رقي إلى الكرسي البطريركي يوحنا السابع سنة ١١٥١م، وقد ولد في لحفد من عمل جبيل وسكن أولاً في دير مار الياس في قريته، ثمّ انتقل إلى دير السيدة بهابيل، وأقام هناك ديراً، ووصفه الدويهي في تاريخ بطاركة الموارنة بأنّه كان ذا مكارم وفصاحة كما يظهر من النافور الذي كتبه، وانّه في مدّة إقامته بلحفد رقى أربعة أساقفة لمعاونته على تدبير الشعب، فسكن أحدهم في دير القديس حوشب، والثاني في دير القديس سمعان، والثالث في دير القديس اليشاع والرابع في دير السيدة بلحفد. وانه لما كان عيد العنصرة حضر إليه شعب كثير ومعهم شمامسة وكهنة ورهبان ورؤساء كهنة فانتقل من ديره إلى دير السيدة الذي فوق هابيل حيث لم يكن ماء، فحفر بئراً وأنشأ ديراً كبيراً. وقد جاء في الآثار القديمة وفي الرسالة التي كتبها جبرائيل بن القلاعي إلى القس جرجس في الفصل الحادي عشر أنّ دير هابيل المذكور استمرّ كرسياً لبطاركة الموارنة إلى أيام البطريرك أرميا، إلّا أننا لم نعثر

على أسماء هؤلاء البطاركة الذين أقاموا به لنثبت ذكرهم. انتهى كلام الدويهي وقد وجد مكتوباً على كتاب الأناجيل القديم الذي كان في بطريركية الموارنة ثمّ نقل إلى المكتبة المايشية بفرنسا. وذكر المطران أسطفان عواد الخطوط المعلّقة عليه في كتابه فهرست هذه المكتبة فقال إنّه كتب على صفحة ١٨ سطر ٢٣ وما يليه ما يأتي بالعربية: «لما كان تاريخ سنة ١٤٦٥ يونانية توافق سنة ١١٥٤م) ثامن يوم مضت من شهر أيلول حضر إلى عندي أنا بطرس بطريرك الموارنة الجالس على الكرسي الأنطاكي القاطن بدير سيدة ميفوق في وادي ايليج الولد الراهب أشعيا من دير قزحيا وعملته رئيس على الرهبان القاطنين في دير ما يوحنا دير الكوزبندو في جزيرة قبرص حسبما ورد من الأولاد الرهبان بخط أيديهم وهم: الولد الراهب جبرائيل ورفيقه الراهب شمعون، والراهب حبقوق، والراهب ميخائيل، وللرب المجد آمين». فبطرس هذا هو يوحنا اللحفدي المذكور. ويظهر أنّ بطاركتنا كانوا منذ تلك الأيام يزيدون على إسمهم بطرس، ويظهر أيضاً أنّه كان يقيم بسيدة ميفوق أيضاً. وقد ذكره السمعاني (في المجلّد الأوّل من المكتبة المشرقية صفحة ٥٢٢)، وقال إنّه ولد في لحفد، وأنّه خلف البطريرك يعقوب الراماتي، وانّه دبر الكنيسة المارونية من سنة ١١٥١م إلى سنة ١١٧٣م وانّه كتب نافوراً ذكره البطريرك أسطفانس الدويهي في كتابه المنائر العشر في الفصل الثاني في مؤلفي النوافير الكاثوليكيين فقال: «يوحنا اللحفدي جلس على الكرسي الأنطاكي بعد الالف والماية من سني السيد المسيح له نافور بدؤه ܐܠܗܐ ܟܠܗ ܩܕܝܫܐ ، إيّها الإله الكلّي القداسة وهو مثبت في كتب القداس الموجودة في دير قنوبين.

إنّ البطريرك أسطفانس الدويهي ذكر بعد البطريرك يوحنا اللحفدي البطريرك أرميا العمشيتي، لكن قال ما رويناه آنفاً أنّ دير هابيل استمرّ كرسياً لبطاركة الموارنة إلى أيام البطريرك أرميا، إلّا أننا لم نعثر على أسماء البطاركة الذين أقاموا هناك لنذكرهم، فظهر أنّه كان بين يوحنا اللحفدي وأرميا العمشيتي بطاركة آخرون. ولكويان في كلامه على بطاركة الموارنة جعل يوحنا اللحفدي الثامن والعشرين منهم، ثمّ وضع الأعداد ٢٩ و ٣٠ و ٣١ وبعدها بياضاً لأنّه لم يهتدِ إلى أسماء ثلاثة بطاركة ثمّ ذكر لوقا أيضاً قبل أرميا. وقال المطران أسطفانس دواد السمعاني في فهرست المكتبة المايشية صفحة ١٦ متكلّماً في كراسي بطاركة الموارنة. «رابعاً في دير القديس الياس بلحفد من أبرشية جبيل حيث جلس يوحنا اللحفدي خليفة

يعقوب وهو الذي نقل الكرسي إلى دير القديسة مريم بهابيل من أبرشية جبيل المذكورة وهناك جلس بطرس وبطرس الآخر ولوقا المسمى بطرس. خامساً نقل الكرسي البطريركي ثانية إلى دير القديسة مريم بيانوح من أبرشية البترون حيث جلس أرميا». ولا أشكّ البتة في أنّه كان بين يوحنا اللحفدي وأرميا العمشيتي بطاركة آخرون. وعلى ذلك دليل قاطع غير ما مرّ من شهادة المؤرخين. فقد ذكر السمعاني وغيره أنّ يوحنا اللحفدي توفي سنة ١١٧٣م كما رأيت وأنّ أرميا توفي سنة ١٢٣٠م، فلو كان أرميا خلف يوحنا للزم أن يكون أرميا استمرّ بطريركاً سبعاً وخمسين سنة وهذا لا يصدق. ومما لا ريب فيه أنّ أرميا العمشيتي شهد المجمع اللاتراني الرابع سنة ١٢١٥م، وانّ البابا أينوشنسيوس الثالث كتب إليه براءته المثبتة في سجلات البراءات تلك السنة، فلو كان قد صير بطريركاً سنة ١١٧٣م لكان له في البطريركية حينئذٍ اثنتان وأربعون سنة. فان فرضنا أنّه صيّر بطريركاً وعمره أربعون سنة فقط فيكون عمره سنة ١٢١٥م اثنتين وثمانين. سنة ومن يصدق أنّ هرماً بهذا العمر يتحمّل مشاق السفر في تلك الأيام إلى رومة فإذاً لا بدّ من أن يكون بطاركة آخرون بين يوحنا اللحفدي وأرميا العمشيتي أفلم ننظر ما يقوله المؤرخون في ذلك؟

قال لكويان في المشرق المسيحي (متكلّماً في بطاركة الموارنة) روى مرهج بن نيرون الباني في مقالته في اسم الموارنة وأصلهم ودينهم نقلاً عن جبرائيل بن القلاعي في قصيدته في أصحاب البدع أنّ من اتبعوا ضلال توما أسقف كفرطاب (الذي كان قد توفي) أطغوا غيرهم من الموارنة ببدعة المشيئة وتوافر عدد المطغين حتى أنّ البطريرك نفسه لم يذكر اسمه جنح إلى ذلك فان ابن القلاعي يقول ما معناه أنّه بعد توما قام ابن شعبان وأخذ يكتب ويعلم الأحداث ويبذر الضلال بين الموارنة وملأ كتبهم من الزوان، وقام بعده ابن حسان من حدشيت وأطغى أهل كفر ياشيت وكتب وغيّر الصلوات وانبثّ سم الضلال في قرى أخرى حتى اتّصل إلى الرأس أيضاً إذ قال: «إنّ البطريرك ابتلع السم بقدر ما يسع الفم». ولذلك اجتمع رؤساء الموارنة وأعيانهم وكثيرون من الشعب وجزموا جميعاً برأي واحد على أن ينفصلوا من شركة البطريرك فلم يعودوا يؤدونه الطاعة ولا يقبلونه في البلاد بل حملتهم الحمية والغيرة الدينية على أنّهم حطوه عن مقامه وانتخبوا بطريركاً آخر، فحنق لذلك أصحاب البطريرك المعزول وقتلوا البطريرك الجديد. وبعد قتل هذا

البطريرك تعاظم الخلاف والشغب بينهم فتدارك أمرهم أيميريكس البطريرك الأنطاكي على اللاتين، وسكن روعهم وخمد جزوة غضبهم ورد المغوين عن غيهم، فاتّفقوا جميعاً على انتخاب بطريرك صحيح المعتقد. قال لكويان هذا ما جاء في التاريخ المذكور: «إنّ ايميريكس ذا الذكر الصالح انتزع السم منهم وأرشدهم فطاوعوه واهتمّ بنيل البركة لهم من الكرسي الرسولي، واختاروا بطريركاً سكن في هابيل وحفظ كل ما في الإنجيل، وكان ضليعاً في تفسير الأسفار المقدّسة وألّف أشعاراً كثيرة في الإيمان». واختتم لكويان كلامه بقوله لا ريب عندي في أنّ هذا ما حمل غوليلمس أسقف صور على ما كتبه من أنّ الموارنة كلّهم رجعوا عن الضلال سنة ١١٨٢م على يد ايميريكس البطريرك الأنطاكي مع أنّ هذا لا يصدّق على الملة كلّها، بل على بعضها فقط ويؤيد ذلك ما جاء في التاريخ المذكور: «إنّهم ثبتوا في إيمان مارون وذلّ المعاندون وعاد الوفاق والسلم ثابتين بين من كانوا مختلفين». وكان لكويان قد قال في مقدّمات كلامه على الموارنة كما لم يعجب فرنسة إتباع كثيرين من اكليرسها وأعيانها مذهب لوتارس وكلوينس هكذا لا يعيب الملة المارونية اتباع بعض أفرادها الضلال مدة ما.

وبعد إيراد لكويان خبر هذه الأحداث ذكر لوقا الأوّل قائلاً ما خمدت جذوة الاضطراب بين الموارنة إلّا وقام رجل يسمى ابن شعبان رومي أصلاً وعاونه مطران اسمه عيسى فبثا الضلال في بعض قرى لبنان، وكان البطريرك اسمه لوقا وكان في آخر القرن الثاني عشر أو بدء الثالث عشر، فانحاز إليهما واستشهد لكويان لذلك نيرون الباني (في مقالته في اسم الموارنة صفحة ٩٨) الذي قال إنّ المطران عيسى وابن شعبان علّما الناس أن يصنعوا إشارة الصليب باصبع واحدة، ونبذا المجمع الرابع. وأوجس الشيطان إلى راهبين أحدهما من يانوح والآخر من دير نبوح فزعما أنّ المسيح لم تكن له نفس ولا تألّم ولا كان يستطيع أن يشعر بالآلام، وان البابا أرسل قاصداً لم يقبله لوقا فحرم البابا أصحاب هذا الضلال ونشأ بين الموارنة شقاق بسبب ذينك الراهبين. إلى أن يقول لكويان أنّ هذا الشقاق استمرّ إلى أن قام البطريرك أرميا خليفة لوقا المذكور. انتهى.

إنّ العلّامة لكويان اعتمد في إيراد هذا الخبر وذكر البطريرك لوقا على قول نيرون الباني، ونيرون اعتمد على قول جبرائيل ابن القلاعي في بعض زجلياته على أنّ البطريرك أسطفانس أفرد الفصل التاسع من كتابه في رد التهم عن الموارنة لتفنيد

قول ابن القلاعي المذكور مبيناً أنّ البطريرك لوقا من بنهوان لم يكن في القرن الثاني عشر أو أوّل الثالث عشر بل في آخر القرن الثالث عشر أو أوّل الرابع عشر، وانّه لم يعب بضلال، وانّ الحكّام الذين ذكر ابن القلاعي أنّ هذه الأحداث كانت في أيامهم لم يكونوا في ذلك العصر بل بعده بسنين كثيرة، وان جلّ مقصد ابن القلاعي كان يبين للمقدم عبد المنعم حاكم بشري الذي زاغ عن الإيمان القويم وشايع اليعاقبة أنّ كل من شذّوا عنه انتقم الله منهم، فلم يرع نظام تاريخ السنين إلى غير ذلك من الأدلّة القاطعة. فضلاً عن أنّ ابن شعبان الذي ذكره لكويان هنا كان ذكره قبلاً، وعن اننا سنبين أنّ أرميا العمشيتي كان بطريركاً في المدّة التي عيّنها لكويان للبطريرك لوقا.

قد أفضل علينا العلّامة المطران أسطفانس عواد السمعاني بنشره مثالاً لخط بيد البطريرك أرميا عثر عليه في كتاب الأناجيل القديم الموجود الآن في المكتبة الماديشية بفرنسا، وكان قبلاً في بطريركية الموارنة، وطبع هذا المثال في كتابه فهرست الكتب المشرقية في المكتبة المذكورة، ومنه يتبين زمان ارتقاء أرميا إلى الأسقفية وسنة انتخابه بطريركاً والخط بالسريانية والأحرف المسماة استرنكلية وهذه ترجمته بحروفه:

«في سنة ١٥٩٠ يونانية في اليوم التاسع من شباط أتيت أنا الحقير أرميا من قرية دملصا المباركة إلى دير سيدتنا القديسة مريم بميفوق في وادي ايليج من عمل البترون إلى سيّدنا بطرس بطريرك الموارنة، ورسمني بيديه المقدّستين وجعلني مطراناً على دير كفتون المقدّس الذي على ضفة النهر، وبقيت هناك أربع سنين. وكان سكان الدير المذكور الراهب حزقيال ورفيقه الراهب أشعيا والراهب دانيال والراهب يشوع ورفيقه إيليا والراهب داود واثنين وثلاثين راهباً آخرين. وبعد انقضاء السنين الأربع طلبني أمير جبيل والأساقفة ورؤساء الكنائس والكهنة وألقوا قرعة فأصابتني وصيّروني بطريركاً في دير حالات المقدّس، ثمّ أرسلوني إلى رومة المدينة العظمى وتركت أخانا المطران توادورس يدبر الرعية ويهتم بشؤونها».

إنّ في هذا الخطّ زلة قلم اما من الذي أخذ المثال أو من أرميا الذي كتب الخط فسنة ١٥٩٠ يونانية توافق سنة ١٢٧٩ مسيحية، وأرميا كان قبل هذه السنة بنحو قرن ويكفينا مؤونة بيان هذا الغلط براءة البابا اينوشنسيوس الثالث المنفذة إليه باسمه في سنة ١٢١٥م وقد أجمعوا على أنّه شهد المجمع اللاتراني الرابع، ولا يختلف اثنان

في أنّ هذا المجمع عقد سنة ١٢١٥م وليس بين أسماء بطاركتنا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر اسم أرميا هذا، ولذلك روى المطران أسطفان عواد في ترجمته هذه العبارة إلى اللاتينية سنة ١٤٩٠م لا سنة ١٥٩٠م، وذكر موافقتها لسنة ١١٧٩م لا لسنة ١٢٧٩م. وعليه فلما كان أرميا رقي إلى درجة الأسقفية سنة ١١٧٩م كما في صحيح الخط، وقال إنّه انتخب بطريركاً بعد أربع سنين كان انتخابه بطريركاً سنة ١١٨٣م أي بعد حصول الوفاق بين الحزبين المختلفين من الموارنة بسنة واحدة أو ببعض أشهر فقط، لأنّ لا يحتمل أن يكون الوفاق حصل في آخر سنة ١١٨٢م وانتخاب البطريرك كان في أوّل سنة ١١٨٣م. ولما كان رأينا هذا مستنداً إلى ما خطّته يد أرميا قد اعتمدناه مفضلاً على غيره لهذا الاستناد.

قال لكويان في المشرق المسيحي قال البطريرك أسطفانس الدويهي في الجدول الذي وضعه لبطاركة الموارنة أنّ أرميا ارتقى إلى البطريركية سنة ١٢٠٩م وكان من عمشيت من عمل جبيل، وكان رجلاً فاضلاً باراً ذا غيرة على الدين القويم، أقام بيانوح ودخل رومة العظمى بنفسه، وحضر المجمع الذي انعقد بلاتران في أيام البابا أينوشنسيوس الثالث. وقال نيرون الباني في مقالته المذكورة صفحة ١٠١ انه عندما صيّر بطريركاً مضى إلى رومة أغراه بذلك أمير جبيل، وترك المطران توادورس من كفرفو (بجبة بشري) نائباً له في البطريركية ليلتمس علاجاً للشؤون التي كانت في أيام سالفه. وهذا يظهر أيضاً من براءة البابا أينوشنسيوس الثالث حيث يقول إنّه شهد المجمع اللّاتراني. ولما بلغ إلى رومة خرّ على قدمي البابا وكلّمه متذللاً وسأله بركته له ولشعبه، فعزاه البابا وأجابه إلى كل ما سأله، وبقي هناك مسروراً خمس سنين وستة أشهر. وروى ابن القلاعي والبطريرك أسطفان الدويهي أنّ البطريرك أرميا كان يوماً يقدس بحضرة البابا، ولما انتهى إلى رفع القربان رفعه وبقي معلقاً فوق رأسه. فعظم البابا قداسته وأمر بنقش صورة هذه الآية على جدار الكنيسة. قال الدويهي بقيت هذه الصورة إلى أيامنا في كنيسة القديس بطرس القديمة، وبعد أن فرغ أرميا من مهامه برومة سأل البابا أن يرخّص له بالعود إلى بلاده فخرج من رومة مبتهجاً طيّب القلب، لأنّ البابا نوّله سلطان طلبه وأرسل معه الكردينال غوليلمس مفوضاً إليه أن يأخذ من شعب لبنان دستور اعترافهم بالإيمان، وكان خروج أرميا من رومة في ٣ كانون الثاني سنة ١٢١٥م. (قال لكويان في حسابنا سنة ١٢١٦م لأنّ المجمع اللاتراني عقد سنة ١٢١٥م وهو سافر في ٣ كانون

الآخر) وبلغ إلى طرابلس في شهر آذار، ولما علم المطران توادورس نائبه بخبر قدومه جمع جمعاً غفيراً من الموارنة ولم يبدوا شعائر سرورهم إلّا بعدما بلّغهم البطريرك بركة الحبر الروماني وأنشأوا صكاً أثبتوا به بإيمانهم وأختامهم أنّهم متشبثون بإيمان بطرس لا يزوغون عنه وسلّموا ذلك الصك إلى الكردينال غوليلمس وكان عدد من وقّعوا عليه مائتين وسبعين رجلاً. وفي جدول بطاركة الموارنة الذي وضعه البطريرك الدويهي أنّ أرميا توفي سنة ١٢٣٠م في دير السيدة بميفوق. انتهت رواية لكَويان.

وعندي في وفاة البطريرك أرميا سنة ١٢٣٠م نظر من قبيل أنّه كان صير بطريركاً سنة ١١٨٣م وهذا ثابت بخط أرميا نفسه، فيكون استمرّ بطريركاً سبعاً وأربعين سنة وهذا يصعب القطع به ولهذا أرى صيرورته بطريركاً سنة ١١٨٣م أثبت من أنّ وفاته كانت سنة ١٢٣٠م. لأنّ الأوّل مسنود إلى خط يده وأمّا الثاني فلا سند له كهذا ويضاده طول مدّة بطريركيته والله أعلم. وقد اتحف البابا اينوشنسيوس البطريرك أرميا بتاج وعكاز وغيرهما من الملابس البيعية، وأخذ قدماؤها منذ ذلك الحين يقتربون من عادات اللاتينية في الملابس الكهنوتية وغيرها كما حقق السمعاني في المجلّد الرابع من مكتبة الناموس.

عد ٣٣

ما نعرفه من أديار الموارنة وكنائسهم إلى آخر القرن الثاني عشر

لا نقصد أن نتكلّم عن أديار الموارنة وكنائسهم القديمة مستندي إلى قدمها بهيئة بنائها، فهذا يستلزم معاينتها ولا حظ لنا في ذلك. ويقتضي علم الآثار القديمة ولا خبرة لنا فيه فكلامنا مقصور على ما ورد له منها ذكر في التواريخ.

فأوّل أديار الموارنة الدير الذي بناه أهل حماة على ضريح القديس مارون بين حماه وحمص على العاصي وسمي دير البلور لحسن بنائه وكثرة الرهبان فيه حتى كان به ثمانماية راهب، وكان أوّل الأديرة في سورية الثانية كما يظهر من توقيع رئيسه على العريضة التي رفعت إلى البابا هرمزدا وعلى غيرها من العرائض المعلّقة في ذيل أعمال المجمع الخامس، وقد دكّ هذا الدير الملك أنسطاس وقتل من رهبانه ثلاثماية وخمسين راهباً لسبب مدافعتهم عن رسوم المجمع الخلكيدوني المقدّس، ثمّ

جدّد بناءه الملك يوستنيانس الأوّل كما شهد بروكوب القيصري (في ك ٥ في ابنية يوستنيانس فصل ٩)، وعاد مزهراً برهبانه إلى أن نقضته عساكر يوستنيانس الثاني الأخرم سنة ٦٩٤م، وقتلوا من رهبانه خمسماية راهب (طالع ما ذكرناه في تاريخ الموارنة في القرون الخامس والسادس والسابع).

والدير الثاني القديم للموارنة هو الدير الذي أنشأه القديس يوحنا مارون بطريركنا الأوّل على اسم القديس مارون في شرقي كفرحي من عمل البترون ونقل إليه هامة القديس مارون، وكرّس كنيسته في الخامس من كانون الثاني، وأم أن يعيد للقديس مارون في ذلك اليوم، واستمرّ الموارنة يعيدون له فيه قروناً. وق عاد البطريرك دانيال الشاماتي إلى السكنى بهذا الدير في القرن الثالث عشر.

والثالث دير السيدة العذراء في يانوح أنشأه جبرائيل الثالث من بطاركة طائفة أو خليفته يوحنا الثاني المعروف بمارون وأقام هناك بطاركتنا إلى سنة ١١٢٠م، ث سكنوا في دير ميفوق، ودير لحفد، ودير هابيل الآتي ذكرها ثمّ عادوا إلى دير يانو حيث أقام أرميا العمشيتي والبابا أينوشنسيوس الثالث يسمي كنيسة السيدة ف يانوح كنيسة البطريركية في براءته إلى البطريرك أرميا المذكور ثمّ تركوا هذا الد عدّة وعادوا إليه فسكنه البطريرك شمعون الموجهة إليه رسالة البابا اسكندر الرا مؤرخة في أوّل شباط سنة ١٢٥٦م وفيها ذكر الكنيسة البطريركية في يانوح

والرابع دير السيدة بميفوق وقد جاء في مجمعنا اللبناني (صفحة ٤٣١ ط الطبعة الحديثة) انّه استقرّ في هذا الدير البطريرك بطرس خليفة، البطريرك يوسف الجرجسي، وغريغوريوس الحالاتي، ويعقوب الراماتي. وقد ذكرنا في العدد السا خطّين مؤذنين بإقامة البطريرك بطرس المذكور في هذا الدير سنة ١١٢١م وفي الد المذكور إلى الآن آثار دالة على ذلك منها خط منبئ بتجديد الدير المذكور ومش إلى بنائه القديم وهو [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] - أي بسم الله الحي الدائم في سنة ١٧٤٦م جدد ب هذا الهيكل أخوان كاهنان آمون ومينع وكان قد أنشأه أربعة بطاركة بطرس وأر ويعقوب ويوحنا سنة ١١٢١م. وهناك خط آخر ذكر البطريرك أسطفانس الدويهي

تاريخه (صفحة ١١٣) ولم يزل موجوداً وهو ܒܫܡ ܐܠܗܐ ܚܝܐ ܠܥܠܡ ܒܫܢܬ ܐܠܦ ܘܚܡܫܡܐܐ ܘܬܡܢܝܢ ܘܬܡܢܐ ܒܫܢ̈ܝ ܝܘ̈ܢܝܐ ܫܠܡ ܠܗܝܟܠܐ ܗܢܐ ܥܠ ܫܡܗ̇ ܕܝܠܕܬ ܐܠܗܐ ܨܠܘܬܗ̇ ܥܡܢ ܥܠ ܐܝ̈ܕܝܐ ܐܢ̈ܫܐ ܚܛܝ̈ܐ ܕܘܝܕ ܩܫܝܫܐ ܘܡܪܩܘܣ ܘܝܘܚܢܢ . أي بسم الله الحيّ الأبدي في سنة ١٥٨٨ من سني اليونان (وهي سنة ١٢٧٧م) كملِ بناء هذا الهيكل على اسم والدة الله صلاتها معنا على يد أناس خطأة: داود القس ومرقس ويوحنا». وفي وسط هذا الخط صليب كتب حوله بك نقهر أعداءنا وباسمك نذلّ ببغضيينا. والذي رواه الدويهي من هذا الخط نرى فيه كلمة ܡܫܡܠܝܐ بدلاً من كلمته ܠܗܝܟܠܐ أي كمل هذا الهيكل المنسوب إلى يعقوب أحد البطاركة وهو الثالث من البطاركة الأربعة المذكورين بالخط الأوّل، وقد ترك بطاركتنا السكنى بهذا الدير ثمّ عادوا إليه فاستقرّ به البطاركة يعقوب ودانيال الحدشيتي ولوقا البنهراني وشمعون ويوحنا وجبرائيل من حجولا الذي توفي شهيداً سنة ١٢٦٧م.

والخامس دير القديس الياس في لحفد من عمل جبيل استقرّ فيه البطريرك يوحنا اللحفدي خليفة البطريرك يعقوب الراماتي وقد مرّ في كلامنا على البطريرك يوحنا المذكور أنّه كان في لحفد أربعة أديار أخرى: دير القديس حوشب، ودير القديس سمعان، ودير القديس اليشاع، ودير السيدة العذراء. أقام بها أربعة أساقفة على ما في الرواية المذكورة.

والسادس دير السيدة العذراء في هابيل أنشأه البطريرك يوحنا اللحفدي بعد أن انتقل من لحفد إلى هابيل في أواسط القرن الثاني عشر.

والسابع دير القديس أنطونيوس المعروف بدير قزحيا ويظهر أنّ هذا الدير قديم جداً لأنّه جاء في براءة البابا أينوشنسيوس الثالث إلى البطريرك أرميا في سنة ١٢١٥م ذكر دير قزحيا بمنزلة أوّل كرسي لأساقفة الموارنة، لأنّه عند تعداده كراسي الأساقفة الخاضعين لبطريركيته ذكر دير قزحيا أولاً. وكان بعض علمائنا لترجمتهم كلام هذا البابا عن اللغات الأجنبية تصحف عليهم قزحيا بمار اسيا وتبعناهم على ذلك عند ذكر كلام هذا البابا في بعض كتبنا إلّا أنّ العلّامة السمعاني يسميه في كتاب المجمع اللبناني باللاتينية HASSAYA فانتبهنا إلى أنّ المراد قزحيا.

وقد علق البطريرك بطرس وهو يوحنا اللحفدي على كتاب الأناجيل القديم الخط الذي ذكرناه في كلامنا في العدد السالف على هذا البطريرك منبئاً بأنّه حضر إليه سنة ١١٥٤م الراهب أشعيا من دير قزحيا ورأسه على دير الكوزبند في قبرص.

الثامن دير القديس يوحنا في كوزبند بقبرص فهذا الدير قد جاء ذكره في عدة خطوط منها خط الراهب سمعان المعلّق على الكتاب السابع من الكتب التي نقلها السمعاني من المشرق إلى المكتبة الواتيكانية مبيّناً فيه أنّ البطريرك بطرس الذي كان سنة ١١٢١م جعله رئيساً وناظراً على دير القديس يوحنا في كوزبند، وقد ذكرنا هذا الخط بحروفه عند كلامنا على البطريرك المذكور. ومنها الخط الذي علّقه البطريرك يعقوب الراماتي على أحد كتب السروجي وفحواه أنّه قد رأس دانيال راهب دير كفتون على دير القديس يوحنا بكوزبند سنة ١١٤١م وقد ذكرنا هذا الخطّ أيضاً بحروفه في كلامنا على البطريرك المذكور. ومنها الخط الذي ذكرناه آنفاً المؤذن بتسمية البطريرك يوحنا اللحفدي أشعيا راهب دير قزحيا رئيساً على دير كوزبند.

ومنها خط في القرن الثالث عشر علّقه البطريرك يوحنا الجاجي على كتاب الأناجيل المذكور بالسريانية وهذه ترجمته: «لما كانت سنة ١٥٥٠ يونانية (توافق سنة ١٢٣٩م) أنا بطرس بطريرك الموارنة الجالس على الكرسي الأنطاكي والمسمّى يوحنا من قرية جاج والساكن بالدير المبارك دير السيدة مريم بميفوق أتى إليّ من دير الكوزبند القس المسمّى متى وهو كاهن تقي بتول وأخذ مني ثلاث مئة دينار وحقاً للميرون للدير المذكور وأخذ معه كتاب التوراة لموسى بالعربية وكتاب الناموس وكتاب الإيمان ولله المجد آمين».

التاسع دير كفتون وقد جاء ذكره في ما خطته يد البطريرك أرميا العمشيتي على كتاب الأناجيل المذكور مراراً، قال إنّ البطريرك بطرس رقاه إلى الأسقفية على هذا الدير وأنّ رهبانه حينئذٍ كانوا اثنين وثلاثين راهباً وفي الخط الذي علّقه البطريرك يعقوب الراماتي المؤذن بأنّه رأس دانيال راهب دير كفتون على دير كوزبند وهذا الدير للموارنة انتقل في ما بعد إلى يد الروم الملكيين غير الكاثوليكيين كما سوف ترى.

وجاء في الكتاب المذكور أيضاً صفحة ٩٨ بسم الله الحي قد وقفت اشمونة

ابنة الياس على دير القديس سركيس الكرم الذي لها عند العين ليخولها الله خلاص نفسها وصحة جسدها وكان هذا الوقف سنة ١٤٠٩ يونانية (توافق سنة ١١٩٨م) يوم عيد القديس سركيس ونشهد بذلك نحن الكهنة تادي وجيورجيوس وبولس.

الحادي عشر كنيسة القديسين نهرا وباسيليوس في سمار جبيل قال المطران أسطفان عواد السمعاني في كتابه المذكور أنّ كنيسة القديسين باسيليوس ونهرا التي تسميها العامة ماري نوهرا والتي يكرّمها من أقدم الأيّام الموارنة بل الهراطقة والمشاقون وغير المؤمنين أيضاً وهي في أبرشية جبيل (تحسب الآن من عمل البترون) حذاء القلعة الحصينة التي بناها حكام طرابلس من اللاتينيين في القرن الثاني عشر للذب عن هذه الناحية من غارات المسلمين، واطلالها الباقية إلى الآن دالة على عظمتها وقد اعتاد المؤمنون بل غير المؤمنين أيضاً أن يقدّموا البخور والشموع وغيرها من التقادم لكنيسة القديسين باسيليوس ونهرا بجانب هذه القلعة توسلاً بشفاعة هذين القديسين. وذكر من الخطوط المعلّقة على كتاب الأناجيل الثاني المذكور خطاً علق على الصفحة الأولى منه بالسريانية هذه ترجمته «بسم علة كل مخلوق في سنة ١٥٨٠ يونانية (توافق سنة ١٢٦٩م) أقتسم بنو الخوري اقليمس خدمة كنيسة القديسين باسيليوس ونهرا بينهم مشاهرة، فأصاب برصوما كانون وكانون وحزيران وتموز وأصحاب أخويه سليمان وفيلبس الثمانية الأشهر الباقية». وخطاً آخر علّق على صفحة ٤ بالسريانية وهذه ترجمته: «بسم الله الحي في سنة ١٥٨٠ يونانية (توافق سنة ١٢٦٩م) قد وقف الشماس يوسف لكنيسة القديسين باسيليوس ونهرا جميع متروكات امرأته المتوفاة». وخطاً علق على صفحة ٩ بالعربية الا البسملة وهذا هو [illegible] (بسم الله الحي) في سنة ألف وسبعماية كذا كتبت ولكن ترجمها المطران أسطفان المذكور سنة ١٥٦٥ لأنّه وفّقها إلى سنة ١٢٤٥م) وخمسة وستين يونانية سليمان ابن توما من حردو (لعلّها حردين) أوهب لكنيسة مار باسيليوس ومار نهرا حقلتي زيتون بقرب قرية بشري عن نفسه ونفس أخيه من يستخلصها يكون حظه مع يوضاس الاسخريوطي». فهذه الخطوط مؤرخة في القرن الثالث عشر لكنّها مشعرة بأنّ هذه الكنيسة أقدم من ذلك العصر. الثاني عشر كنيسة القديس ادنه في العاقورة فقد ورد مرات ذكر المطران أرسانيوس أسقف العاقورة الجالس في دير القديس ادنه في العاقورة، واطلال هذه الكنيسة ما زالت في العاقورة وتعرف بهذا الاسم الآن. وجاء في تاريخ سنة ١٢١١م من تاريخ البطريرك أسطفانس الدويهي: «في هذا الزمان أخذ أبناء ملّتنا

بلبنان يقرعون نواقيس من نحاس بدل الخشب للصلاة والقداس، وفاضت نعم الله بين أيديهم فأنشأوا كنائس وأدياراً ومدارس يقصدها الناس لخدمة الله وخلاص نفوسهم. وكان للخوري باسيل من بشري ثلاث بنات أسماهن تقلا وصالومي ومريم نذرنَ لله عذريتهن وأنفقن جميع ما يملكنَ في بناء الكنائس وتجهيزها، فبنت تقلا في هذه السنة كنيسة القديس جيورجيوس والقديس دومط في بقرقاشا، وكنيستين للقديس لابي الرسول والقديس سرجيوس الشهيد في بشنين بالزاوية. وفي سنة ١١١٣م رقدت بالرب. وبَنَتْ أختها مريم كنيسة القديس سابا في بشري وأختها صالومي كنيسة القديس دانيال في الحدث».

وأما دير قنوبين فهو أقدم من هذه الكنائس، إذ يقال أنّ الملك توادوسيوس أمر ببنائه. وفي رواية أنّ توادوسيوس الذي بناه ليس هو الملك بل سائح يسمى توادوسيوس نسك في المغارة التي هناك وبنى شيئاً حولها، وسوف نتكلّم عليه في ما بعد عندما نذكر نقل الكرسي البطريركي إليه في أواسط القرن الخامس عشر ان قدّرنا الله على إيصال تاريخنا إلى ذلك القرن.

عد ٣٤

تفنيد زعم غوليلمس الصوري أنّ الموارنة ارعووا عن الضلال سنة ١١٨٢م

روى غوليلمس أسقف صور اللاتيني في كتابه ٢٢ في الحرب فصل ٨ ما ترجمته: «لما استراحت المملكة (مملكة أورشليم) من حرب صلاح الدين سرّت سروراً موقوتاً في أنّ ملّة من السريان تسكن في عمل من فينيقيا في سفح لبنان قريب من جبيل طرأ عليها تغير مهم لأنّهم بعد أن كانوا اتبعوا مدة خمسماية سنة ضلال مارون المبتدع وتسموا موارنة نسبة إليه، وكانوا يتممون أسرارهم منفصلين عن جماعة المؤمنين استفاقوا بالهام الله وهبوا من تقاعدهم وهلعوا إلى ايميريكس بطريرك أنطاكية اللاتيني وهو الثالث من البطاركة اللاتين الذين تراسلوا هذه الكنيسة وارعووا عن الضلال الذي كانوا متسكّعين به ورجعوا إلى وحدة الكنيسة الكاثوليكية واعتنقوا الإيمان القويم، وحافظوا على تقليدات الكنيسة الرومانية بكل

احترام واجلال، ولم يكن عدد هذا الشعب يسيراً بل كان يقال أنّهم يجاوزون الأربعين ألفاً منتشرين في أسقفيات جبيل والبترون وطرابلس وسفح لبنان، وهذا الجبل كما مرّ. وكانوا رجالاً أشدّاء مدرّبين بالحروب وكانوا نافعين لنا جداً في مهامنا الخطيرة، وفي اغاراتهم المتواترة على الأعداء. ولهذا سرّ قومنا كلّ السرور برجوعهم إلى الإيمان القويم وأمّا ضلال مارون واتباعه فهو أنّه كان في ربنا يسوع المسيح مشيئة واحدة وفعل واحد كما يظهر من المجمع السادس أنّه عقد لنبذ ضلالهم والذي حكم عليهم بالحرم، وزادوا على هذا المعتقد المرذول من الكنيسة الأرثوذكسية أشياء أخرى مضرة بعد أن انفصلوا من جماعة المؤمنين، ولما ندموا على هذه الأشياء جميعها كما قدمنا ارعووا إلى الكنيسة الكاثوليكية مع بطريركهم وبعض أساقفتهم الذين كما تقدّموهم بالضلال تقدّموهم بالعود التقوي إلى الاقرار بالحقيقة. انتهى مترجماً بكل دقّة عما رواه بارونيوس في تاريخ سنة ١١٨٢م بحروفه اللاتينية من كلام غوليلمس الصوري.

إنّ كلام غوليلمس هذا يتضمّن أمرين: الأوّل اخباره عن تسكّع الموارنة خمس مئة سنة في الضلال تبعاً لمارون المبتدع وانعقاد المجمع السادس لنبذ ضلالهم وحرمه لهم. والثاني خبره عن ارجاعهم على يد ايميريكس بطريرك أنطاكية. فالأوّل كاذب بجملته والثاني صادق في بعض الموارنة لا كلّهم وهاك البيان للأوّل ان غوليلمس يقول أنّ المجمع السادس عقد ضد الموارنة (كما هي حرفية العبارة) وانه حرمهم. فنراهن كل من شاء على أن يبين لنا كلمة أو إشارة في النص اليوناني لهذا المجمع أو في ترجمته اللاتينية القديمة تشعر بأنّ هذا المجمع عقد ضد الموارنة أو بأنّه حرمهم. فان ابانها سلمنا طائعين بكُلّما يتهمنا به خصومنا من هذا القبيل وان استحال عليه أن يجد مثل هذه الكلمة أو الإشارة فلينكف عن ثلبنا، ويوقن غوليلمس اغتر باعتماده على تاريخ سعيد بن البطريق الذي جعل البابا أنوريوس والملك هرقل وسرجيوس وبيروس وبولس وبطرس بطاركة قسطنطينية وقورش بطريرك اسكندرية جميعاً موارنة وهو أمر مضحك يسخر منه كل عالم، وانكره على ابن البطريق كل محقق حتى بوكوك أوّل من ترجم تاريخه وسلدانس الذي طبعه.

إنّ زعم غوليلمس أنّ الموارنة اتّبعوا ضلال مارون المبتدع وتسكّعوا به خمس مئة سنة لا اس له إلّا خرافة سعيد بن البطريق، وقد ذكرناها مراراً ولا بدّ الآن من مراجعة خلاصتها: «كان في عصر موريق ملك الروم راهب اسمه مارون كان يقول

إنّ في المسيح مشيئة واحدة وفعلاً واحداً ولما مات بنى له سكان حماه ديراً واتبعوا اعتقاده سموا موارنة». وقد أقرّ غوليلمس نفسه أنّه اعتمد على شهادة سعيد بن البطريق إذ صرّح في مقدّمة كتاب تاريخه أنّ أموري ملك أورشليم دفع إليه بعض كتب عربية في جملتها تاريخ سعيد المذكور واقترح عليه كتب تاريخ فاعتمد خاصة على تاريخ الرجل المحترم سعيد بن البطريق البطريرك الاسكندري. وقد أشار إلى ذلك البابا بناديكتس الرابع عشر في منشوره الآتي ذكره بقوله: «إنّ شهادة غوليلمس ليست بكافية لتأييد الرأي المضاد للموارنة. ولربّما عرف غوليلمس نفسه ضعف قوله ولذلك عزاه إلى المجلّد الثاني من تاريخ سعيد الاسكندري». وأمّا كون حكاية سعيد هذه هي التي اعتمد عليها غوليلمس من الترهات البسابس فقد أجاد ببيانه العلامة البابا بناديكتس الرابع عشر في منشوره إثبات قداسة القديس مارون الذي أثبتنا ترجمته في عدد ٧١١، أورد هذا البابا الجهبذ أدلة على ذلك يستحيل نقضها منها أنّ القديس مارون كان في آخر القرن الرابع وأوّل القرن الخامس، وبدعة المشيئة الواحدة لم تظهر إلّا في القرن السابع فبينه وبين ظهورها قرنان فمن المحال أن يكون مارون ابتدعها ومنها أنّ دير القديس مارون الذي روى ابن البطريق أنّ سكان حماه بنوه على اسمه كان قبل ظهور هذه البدعة بقرنين أيضاً إذ كان ديراً مشهوراً برهبانه الأفاضل من القرنين الخامس والسادس، كما يظهر من رسائلهم إلى البابا هرمزدا وغيره المعلقة في ذيل المجمع الخامس. ولما دك هذا الدير أنسطاس الملك جدّد بناه الملك يوستنيانس الأوّل الذي توفي سنة ٥٦٥م كما حقق بروكوبيوس القيصري في الكتاب الخامس في ابنية يوستنيانس. وهذا المؤرّخ كان من رجال دولة يوستنيانس المذكور وعليه فمن شاء أن يكابر مدعياً صحّة شهادة غوليلمس المؤسسة على شهادة ابن البطريق فليرد ولو هذين الدليلين أوردهما البابا بناديكتس أو يثبت أنّ غوليلمس اعتمد على غير سعيد في زعمه هذا عن الموارنة فنسلم طائعين.

بقي أن يقال أنّ مارون الذي ذكره ابن البطريق وانتحل غوليلمس قوله ليس مارون الرئيس بل يوحنا مارون البطريرك الذي كان في القرن السابع. فنجيب أنّ هذا الزّعم أيضاً باطل بل محال لأنّ يوحنا مارون لم يكن في أيام موريق ولا بنى أهل حماه على اسمه ديراً كما قال ابن البطريق، بل صيّر أسقفاً على البترون سنة ٦٧٥م أو سنة ٦٧٦م وبطريركاً سنة ٦٨٥م وتوفي سنة ٧٠٧م. فاشتهر في عصر الملك قسطنطين اللحياني ويوستنيانس الثاني الأخرم لا في عصر موريق الذي كان

في آخر القرن السادس. وقد صرّح البابا بناديكتس الرابع عشر في خطبته بكرادلة الكنيسة الرومانية في ١٣ تموز سنة ١٧٤٤م انّ الموارنة إنّما انتخبوا بطريركاً خاصاً عليهم وهو يوحنا مارون ليقوا نفوسهم من بدعة المشيئة الواحدة، فما الذي يبقى من القوّة لزعم غوليلمس أو غيره من خصومنا أنّ يوحنا مارون ابتدع هذه البدعة فضلاً عن الاجتماع على أنّ يوحنا مارون توفي سنة ٧٠٧م، وانّ ظهور بدعة المشيئة الواحدة كان سنة ٦٢٨م. فلو فرضنا أنّه عاش ثمانين سنة لكان مولده سنة ٦٢٧م فكيف يبتدع بدعة وعمره سنة أو سنتان. وان قيل تبع هذه البدعة بدعاً فلِمَ لا نجد اسمه بين من حرمهم المجمع السادس وغوليلمس يزعم أنّ المجمع السادس عقد ضدّ الموارنة وحرمهم، ولا يستطيع هو أو غيره أياً كان أن يحجنا بكلمة أو إشارة من النص اليوناني لهذا المجمع أو من ترجمته اللاتينية يتبيّن بها اسم مارون أو الموارنة مع أنّ هذا المجمع عدّد أسماء كل منشئي هذه البدعة ومن شايعهم عليها فلِمَ صمت عن مارون أو يوحنا مارون أو الموارنة؟

إنّ كلّ ما أوردناه في المجلّد الخامس لاثبات براءة المارونيين والموارنة من هذه البدعة من شهادات الأحبار الأعظمين وكرادلة الكنيسة الرومانية وقصادها والعلماء المحققين والأدلّة القاطعة على ثبوت الموارنة في الإيمان الكاثوليكي منذ ظهور هذه البدعة إلى سنة ١١٨٢م كل ذلك يصلح أن يكون برهاناً قاطعاً على بطلان زعم غوليلمس أنّ الموارنة تشبثوا ببدعة المشيئة الواحدة خمس مئة سنة وارعووا عنها سنة ١١٨٢م.

وقد فنّد هذه التهمة كثيرون من العلماء المغربيين والمشرقيين وزيفها من علمائنا كثيرون نخصّ بالذكر منهم البطريرك أسطفانس الدويهي في تاريخه، وفي كتابه ردّ التهم، والعلّامة السمعاني في مواضع كثيرة من المكتبة المشرقية ومن مكتبة الناموس وغيرهما من كتبه، والمطران أسطفانس عواد السمعاني في محاماته عن القديس يوحنا مارون وفي كتابه فهرست الكتب المشرقية في المكتبة الماديشية، والبطريرك يوسف أسطفان في محاماته عن قداسة القديس يوحنا مارون والخوري أنطون القيالة في ردهِ رسالة القس يوحنا عجيمه والبطريرك بولس مسعد في كتابه «الدر المنظوم» وأنا أحقر هؤلاء العلماء الذي لا أستحق أن أذكر في عديدهم في كتابي «روح الردود» وفي كتيب رفعته في السنة السالفة إلى علماء مجتمع الآثار القديمة الذي التأم برومة سنة ١٩٠٠م وسأذكر شهادة بعض مشاهير المؤرخين اللاتينيين.

وأمّا القسم الثاني من شهادة غوليلمس الصوري وهو ما رواه عن ارتداد الموارنة على يد ايميريكوس بطريرك أنطاكية اللاتيني فلا نجحد صدقه على فريق من الموارنة فقد رأيت ما ذكرناه في الكلام على بطاركة طائفتنا في هذا القرن عدد ٨٥٨ عن انخداع فريق من الموارنة لمقالة توما أسقف كفرطاب وبثّ بعد وفاته ابن شعبان وابن حسّان ضلاله بين الموارنة حتى أطغوا سكان بعض القرى منهم أهل كفرياشيت وجنح البطريرك نفسه إلى ضلالهم فنهض لمقاومته باقي رؤساء الملة وأعيانها والسواد الأعظم من شعبها، وحملتهم الحمية والغيرة الدينية على حطه عن مقامه وإقامة بطريرك آخر صحيح المعتقد فلم يكن من الأغرار المغوين بالضلال إلّا انّهم جسروا على قتل البطريرك الحديث، فعظم الأمر على الأكثرين المتشبثين بالإيمان القويم وعزموا أن يهلكوا أولئك الشاذين عن آخرهم، فتدارك أمرهم ايميريكس بطريرك أنطاكية اللاتيني وأرشد أولئك الضالين فارتدّوا إلى محجة الدين القويم، وصالحهم مع اخوانهم وأدخلهم في طاعة رؤسائهم، فانتخبوا متّفقين بطريركاً عوضاً عن البطريرك المقتول. وكل منصف يرى أنّ التّهمة بالضلال والارتداد عنه لا تصدق في هذا الحادث إلّا على ذلك الفريق القليل ولا تمسّ شأن الطائفة بجملتها، ولا يصدق عليها أتباع الضلال والرجوع عنه. فجنوح بطريرك إلى ضلال وقتل بعض الأغرار المتحمّسين للضلال بطريركاً من الكبائر الفظيعة، لكنّها من الأعمال الفردية المقصورة على فاعليها ولا تتعدى إلى الملة كلها ونهوض باقي رؤسائها وأعيانها وشعبها على البطريرك المغتر وحطّه عن مقامه بينة دامغة على براءة ساحة الملة بجملتها من شائبة الضلال، بل دليل قاطع على تشبثهم المتين بعروة الإيمان القويم. ونجتزيء بأن نورد إثباتاً لكل ما جئنا به في هذا الفصل شهادات باجيوس ولكويان وهما من كبار المؤرخينَ المدققين فالعلامة باجيوس انتقد تاريخ الكردينال بارونيوس امام المؤرخين ونقحه سنة فسنة. ولما كان بارونيوس ذكر رواية غوليلمس عن ارتداد الموارنة في تاريخ سنة ١١٨٢م الحق باجيوس بكلامه انتقاداً وتنقيحاً هذا ملخّصه: «عدد ١٠ غلط غوليلمس الصوري في كل ما رواغه عن ارتداد الموارنة ابنا في عد ٤ كم انخدع غوليلمس الصوري وما أشد بغضه للفرسان الأورشليميين إذ كتب أنّهم كانوا قبلاً ينتمون إلى حماية القديس يوحنا الرحوم ولما ازداد مالهم استبدلوه بالقديس يوحنا المعمدان. ونبين هنا كم أخطأ بنسبته بدعة المشيئة الواحدة إلى ملة الموارنة بجملتها. وقد ذكر بارونيوس كلامه بجملته فاكتفي أنا بإيراد

ملخّصه». ولخّصه إلى أن قال: «عد ١١ إنّ غوليلمس الصوري اعتمد على حكايات كاذبة لا شكّ في أنّ الصوري انتحل في كتابة تاريخه أشياء كثيرة من تواريخ سعيد البطريرك الاسكندري، وهذا لم يكن مدققاً في تواريخه بل أدخل بها حكايات كثيرَة وروى أموراً تخالف رأي المؤلفين، وهي عن الصدق بمراحل. وقد صرّح غوليلمس نفسه في مقدّمة كتابه بان أموري ملكِ أورشليم دفع إليّ كتباً عربية فكتبت تاريخاً آخر يبتدئ من ظهور الاسلام إلى هذه السنة التي هي سنة ١١٨٤ للميلاد فينطوي على تاريخ خمس مئة وسبعين سنة وقد تبعت خاصةً الرجل المحترم سعيد بن البطريق البطريرك الاسكندري»... فتاريخ الصوري هذا لم يصل إلينا وما بقي منه في تاريخ الحرب المقدّسة قال هو فيه: «لم يكن لديّ في هذا القسم ما يرشدني إليه من الكتب اليونانية أو العربية فاعتمدت فيه على التقليدات وحدها إلّا شيئاً يسيراً كونت فيه شاهداً عيانياً ونظمت سلسلة أخباره». على أنّ التقليدات التي اتبعها كانت غالباً غير صحيحة، ومما لا ريب أنّه اعتمد في أكثرها على حكايات سعيد المذكور عن أصله العربي. فقال: «كان في أيام موريق راهب اسمه مارون» إلى آخر كلامه المعروف الذي رواه باجيوس هنا إلى أن قال: «عدد ١٢ أنّ تاريخ سعيد مشحون بالأقاصيص لأنّ بدعة المشيئة الواحدة لم تظهر في أيّام موريق هذا ولا في عصر فوقا خليفته بل في أيام هرقل، وهذا يعلمه جميعهم والدير الذي ذكره سعيد لم يكن بعد وفاة مارون هذا (أي يوحنا مارون) بل كان قبله بنحو مائتي سنة وكان مكرساً على اسم القديس مارون الرئيس. وقد استدلّ نيرون على هذا بشهادة بروكوبيوس القيصري في الكتاب الخامس من ابنية يوستنيانس حيث قال: «جدد واصلح فندق الفقراء على اسم القديس رومانس ودير القديس مارون فوق حماه». ومما لا يُمترى فيه أنّ يوستنيانس توفي سنة ٥٦٥م وموريق تسنّم منصّة الملك سنة ٥٨٣ وتوفي سنة ٦٠٢م فتجديد بناء الدير في أيام يوستنيانس يستلزم أن يكون حينئذٍ قديماً جداً. وتؤيد ذلك أعمال المجمع الخامس المسكوني الذي عقد سنة ٥٥٢م في عصر يوستنيانس المذكور إذ شهد هذا المجمع قصاد دير القديس مارون الذي كان طائر الشهرة، وكان أوّل جميع أديار سورية الثانية ورئيسها، وهذا بيّن أيضاً من توقيع سفراء هذا الدير على أعمال المجمع المذكور. وقد أبنّا أنّ مارون هذا (أي يوحنا مارون) كان راهباً في الدير المذكور نفسه وكان اسمه يوحنا فزاد عليه مارون آخذاً إياه من اسم دير القديس مارون

الرئيس. وقد استوفينا رد هذه الحكاية باسهاب في تاريخ سنة ٦٣٥م» (نكتفي برده هنا عن رده في تاريخ السنة المذكور لئلّا يملّ القارئ) : «عدد ١٣ إنّ بعض الموارنة زاغوا عن الإيمان». بقي لنا هنا أن نفند ما رواه بارونيوس عن الصوري من أنّ ملّة الموارنة بجملتها ارتدّت إلى الإيمان الكاثوليكي فلا ريب في أنّ المشيئة الواحدة انسربت في جبل لبنان واتّصل السم إلى البطريرك نفسه كما روينا في تاريخ سنة ١١٠٩م، وكان انسرابها في نحو أوائل هذا القرن بواسطة توما الحاراني أسقف كفرطاب كما قلنا في المحل المذكور.

«عدد ١٤ وفي هذه السنة ١١٨٢م أوقع أيميريكس البطريرك الأنطاكي الصلح في كنيسة الموارنة، أنّ الموارنة بعد ذلك وبعد ما ذكرناه في تاريخ سنة ١١٠٩م انتخبوا بطريركاً كاثوليكياً فقتله الشاذون عن الإيمان وتوافرت الانقسامات والقلق بين الموارنة على انتخاب بطريرك كما روى نيرون، فتسارع أيميريكس بطريرك أنطاكية اللاتيني وخمد جذوة حنقهم ورد من أوجدوا الشقاق أو أتبعوه إلى الطاعة وحلّهم السلطان الحبر الروماني من الحرم الذي حلّ بهم لاقترافهم الجريمة الكبرى بقتل البطريرك واجتمعت كلمة الموارنة على انتخاب بطريرك حديث مشهور باستمساكه بالإيمان القويم». وأيّد باجيوس كلامه بما جاء في مقالة نيرون من انقياد الموارنة بواسطة أيميريكس وطلبه الحل لهم من الكرسي الرسولي وانتخابهم بطريركاً سكن في دير العذراء القديسة في هابيل وحفظ كل ما في الانجيل، وكان ضليعاً في تفسير الأسفارالمقدّسة وألّف ميامر كثيرة في الإيمان، ولم ينبذ إيمان مارون بل ثبت وتأيّد إلى أن قال: «ومن ذلك ينتج نتجاً واضحاً أنّ الصوري لما علم أنّ الموارنة الذين اتبعوا شقاق توما الكفرطابي جحدوا ضلاله على يد أيميريكس وأقرّوا بالإيمان الروماني هم والبطريرك بعد وقوع الصلح ظنّ أنّ الموارنة جميعاً كانوا متلوثين ببدعة المشيئة الواحدة فنسب إلى كل الملة ما لا يصدق إلّا على فريق يسير منها ولا أهمية له فيها، وقد زاغ مدة فقط إلّا أن نقول أنّ الصوري انخدع بأخبار أحد من الذين ارتبكوا بشقاق توما الكفرطابي، ولكن لا معذرة البتة للصوري بزعمه أنّ المجمع السادس عقد ضدّ الموارنة وانّه حرمهم، إذ لا كلمة واحدة في أعمال هذا المجمع تشير إلى ذلك.

عدد ١٥ قد أخطأ الصوري بنسبته إلى الملة جمعاء الضلال فكيف حقّ له أن يقول إنّ الموارنة تسكّعوا ببدعة المشيئة الواحدة خمس مئة سنة وأسقفهم داود الذي

كان سنة ١٣٧٠ لاسكندر وهي سنة ١٠٥٩م ألّف كتاباً جمع فيه قوانين الكنائس الشرقية كما يظهر من رسالة الانبا يوسف إليه في طلب هذا الكتاب. وقد أثبت الأسقف داود في الفصل الأوّل منه أنّ الموارنة يعترفون بمشيئتين في المسيح إذ قال: «إنّ الروم يتفقون مع الموارنة بالاقرار بالمشيئتين والموارنة يعترفون بالمشيئتين تبعاً للطبيعتين الإلهية البشرية». فكيف يزعم الصوري أنّهم كانوا ملوّثين ببدعة المشيئة الواحدة خمس مئة سنة ولم يرعووا عنها إلّا سنة ١١٨٢م. أجل إنّ بعض الموارنة سافر إلى قبرص حين انقسامهم وأطغى كثيرين ولكن لا ينتج من هذا إلّا أنّ كثيرين من الموارنة كانوا ضالين عن الإيمان الصحيح، على أنّ هذا لا يوجب الضلال على الأمّة جمعاء كما أنّ كثيرين من الفرنسيين والجرمانيين تلوّثوا بضلال كلوينوس ولا ينتج من ذلك أنّ الأمّتين ليستا كاثوليكيتين. وقد ندّد بعضهم بالموارنة لأنّه وجد في كتبهم ما يدل على بدعة ولاسيما بدعة الطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة لكن هذا أدخله مكر اليعاقبة على كتب الموارنة، لأنّه لما كانت الملّتان تستعملان اللغة السريانية في صلواتهما فعني اليعاقبة بأن يدخلوا ضلالهم في كتب الموارنة محرفين لها أو زائدين عليها، وهذا ظاهرٌ مما كتبه بطرس بطريرك الموارنة إلى الكردينال أنطونيوس كارافا في ٢٥ آب سنة ١٥٨٣م، ورواه نيرون صفحة ٧٧ في مقالته المذكورة وهو: «قد كتب إليكم بعض الناس أنّ في كتبنا بعض كلماتٍ تخالف رأس الكنيسة المقدّسة فنحن لا نقبل إلّا ما تقبله الكنيسة المقدّسة وما يوجد في بعض النسخ يمكن أن يكون أدخل على كتب الموارنة من كتب الملل المحدقة بنا من زمان مديد، فدع يا أخي جانباً كل شبهة باستقامة إيماننا فأساسنا ثابت منذ القديم على إيمان الكنيسة المقدّسة الرسولية الرومانية، ولم نزغ عن هذا الإيمان البتة ولا نكلمكم بفينا فقط بل بفمنا وقلبنا معاً والله الشاهد على ذلك». فصح إذا أنّ غوليلمس الصوري وكثيرين غيره من الحديثين الذين تساهلوا بتصديق أخباره عن ارتداد الموارنة قد انخدعوا انخداعاً كبيراً.

«انتهى كلام باجيوس وقد أوردناه مطولاً لما اشتمل عليه من الفوائد في هذا البحث.

وأمّا لكويان فقد ذكرنا شهادته في عدد ٨٥٨ فانه بعد أن ذكر ما كان بين الموارنة حينئذٍ وعناية أيميريكس بارتداد الزائغين عن الإيمان إلى محجته القويمة واذعانهم لارشاده والصلح بينهم قال: «لا ريب عندي في أنّ هذا ما حمل

غوليلمس الصوري على ما كتبه من أنّ الموارنة كلّهم رجعوا عن الضلال سنة ١١٨٢م على يد أيميريكس البطريرك الأنطاكي، مع أنّ هذا لا يصدّق على الملة كلها بل على بعض أفرادها فقط». وكان قد قال في مقدّمة كلامه على الموارنة: «كما لم يعب فرنسة اتباع كثيرين من اكليرسها وشعبها مذهب لوتاروس وكلونيوس هكذا لا يعيب الملّة المارونية اتباع بعض أفرادها الضلال مدّةً ما».

إنّي أرى هذه الأدلّة التي أوردتها حتى الآن تجاوز حد الكفاية في دحض دعوى سعيد بن البطريق وغوليلمس أسقف صور على الموارنة الضلال الهم الله من يحسدوننا على نعمته وفضله أن ينصفونا ولا أقل من أن يجارونا في طريق الجدال المفروضة ولا يحجونا في ما بعد بأقوال سعيد وغوليلمس قبل أن يردوا الأدلّة الواضحة والبينات القاطعة التي جئنا بها هنا وفي مواضع أخرى.

مقالة سادسة

تاريخ الموارنة في القرن الثالث عشر

عد ٣٥

فتح المسلمين جبة بشري

قال البطريرك أسطفان الدويهي في تاريخ سنة ١٢٨٣م: «قد وقفنا على كتابين للصلاة كُتب أحدهما سنة ١٥٩٤ لاسكندر (الموافقة لسنة ١٢٨٣ للميلاد) في قطين الرواديف في أرض الحدث بقرب دير القديس يوحنا بدير مار ابون الذي كان الأسقف ابراهيم الحدثي مقيماً به. والثاني كتب بعد الأوّل بمئتين واحدى وعشرين سنة أي سنة ١٨١٥ لاسكندر وهي سنة ١٥٠٤م، وقد كتب في كلا الكتابين أنّه في شهر أيّار سارت العساكر الإسلامية إلى فتح جبة بشري وصعدت إلى وادي حيرونا شرقي طرابلس وحاصروا قرية إهدن حصاراً شديداً وملكوها بعد أربعين يوماً

في شهر حزيران وسلبوا ما وجدوا فيها وخرّبوا القلعة التي كانت في وسطها والحصن الذي على رأس الجبل (إنّ هناك الآن كنيسة تسمى سيدة الحصن) ثمّ انتقلوا إلى بقوفا ففتحوها في شهر تموز وقبضوا على أكابرها وأحرقوهم بالبيوت ودكوها إلى الأرض، وأكثروا من النهب والسلب وبعد أن أعملوا السيوف بأهل حصرون وكفرسارون وذبحوهم في الكنيسة زحفوا في ٢٢ آب إلى الحدث، فهرب أهلها إلى العاصي وهي مغارة فيها صهريج ماء فقتلوا من أدركوه وخرّبوا الحدث وبنوا برجاً قبالة المغارة وأبقوا حامية من العسكر. ثمّ هدموا جميع الأماكن الحصينة ولم يستطيعوا سبيلاً إلى فتح قلعة حوقا التي قبالة الحدث، فأشار عليهم ابن الصبحا من كفرسغاب أن يجروا إليها الماء الذي فوق بشري ففعلوا وملكوها بقوة الماء لأنّها كانت داخل الصخر، وأذنوا لابن الصبحا أن يلبس عمامة بيضاء، وأن تقوم العبيد بخدمته. ولما تراجع العسكر ندم ابن الصبحا على ما كان منه وبنى دير سيدة حوقا لسكن الرهبان وهو بالقرب من البرج الذي كان في الصخر». لا نشكّ في صحّة هذه الرواية لأنّ الدويهي خير ثقة، وقد صرّح بأنّه نقلها عن كتاب خط تلك السنة أي سنة ١٢٨٣م التي كانت فيها هذه النكبة فيظنّ أنّ الأسقف ابراهيم الحدثي الذي كان يسكن دير مار ابون هو الذي كتب خبر هذه الحادثة باثر وقوعها على كتاب الصلوة طبق عادة أسلافنا التي نعلم لها أمثالاً كثيرة ويؤيد ذلك تفصيل الخبر وتعيين الأماكن على ما نعلمها الآن مع الأيّام التي فتحت بها كل قرية. وقد جاء في كتاب الغرر الحسان خبر هذه الوقعة كما ذكرناه إلّا بناء ابن الصبحا دير حوقا، ولم يأتِ ذكر بشري في هذا الفتح مع أنّها واقعة بين بقوفا وحصرون، فلا يخلو إهمال ذكرها من أحد أمرين: إمّا أنّها لم تكن ذات أهمية حينئذٍ، إمّا أنّ المسلمين نكبوا عنها لأنّها كانت منيعة كثيرة السكان. والأظهر عندنا الثاني لأننا نعلم أنّها كانت قبل هذه النكبة وبعدها مأهولة بخلق كثير وينسب العمل كلّه إليها وكان فيها مقدّمون أصحاب بطش وصولة كما سترى، فالأولى أن نقول أنّ المسلمين نكبوا حينئذٍ عنها على أنّ فتح هذه البلاد حينئذٍ لم يكن إلّا غزوة عابرة على عادة تلك الأيّام ولم يتوطّن المسلمون فيها بل قصدوا التنكيل بأهلها ربّما لأنّهم نجدوا الفرنج في حروب المسلمين الأخيرة لهم كما يظهر من أخبار حربهم الآتي ذكرها مع أهل كسروان ونرى بقوفا واهدن والحدث بعد مدّة وجيزة عامرة مأهولة بالنصارى الموارنة.

عد ٣٦

حروب كسروان

الحرب الأولى كانت في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر نروي أخبار هذه الحروب عن المؤرخين المسلمين أوّلاً ثمّ نردفها بأخبار المؤرخين النصارى جاء في كتاب تاريخ بيروت لصالح بن يحيي الذي نشره الأب لويس شيخو اليسوعي في المجلّة العربية الموسومة بـ«المشرق» قال صالح: «في شهر شعبان سنة ٦٩١هـ سنة ١٢٩٢م توجّه الأمير بيدرا (من مماليك الملك المنصور قلاوون) قائد السلطنة بمصر وقصد جبال كسروان وتوجّه بصحبته من الأمراء الأكابر شمس الدين سنقر الأشقر والأمير قراسنقر المنصوري، والأمير بدر الدين بكتوت الأتابكي، والأمير بدر الدين العلائي. وأتاهم من جهة الساحل ركن الدين بيبرس طقصوا، والأمير عز الدين ايبك الحموي وغيرهما، والتقوا بالجبل وحضر إلى الأمير بيدرا من ثنى عزمه وكسر حزمه فحصل الفتور في أمرهم حتى تمكّن الكسروانيون في بعض العسكر في تلك الأوعار ومضايق الجبال، فنالوا منهم وعاد العسكر شبه المكسور المنهزم وطمع فيهم أهل تلك الجبال حتى اضطرّ الأمير بيدرا أن يطيب قلوبهم ويحسن إليهم. وخلع على جماعة من أكابرهم فاشتطوا في الطلب فأجابهم إلى ما التمسوه من الإفراج عن جماعة منهم كانوا قد اعتقلوا بدمشق لذنوب وجرائم صدرت منهم، وحصل للكسروانيين من القتل والنهب والظفر ما لم يكن في حسبانهم، وحصل للأمراء والعسكر من الآلام ما أوجب تسريح بعضهم لسوء تدبير الأمير بيدرا، ونسبوه إلى إهمال أمرهم واتّهموه بالفتور عن قتالهم حتى تمكّنوا مما تمكّنوا منه لطمعه وأشاعوا أنّه تبرطل منهم وأخذ رشوة كبيرة واحتجّ الناس بذلك». هذا ما قاله صالح بن يحيي وذيله الأب شيخو بحاشية قال فيها: «ورد خبر غزوة الأمير بيدرا لكسروان في تاريخ المماليك للمقريزي وتفاصيله لا تختلف عما ذكره المؤلف هنا».

وقال صالح المذكور بعد ما مرّ: «ثمّ توجّه الأمير بيدرا بالعساكر إلى دمشق فتلقاه السلطان وأقبل عليه وترجّل عند ترجّله للسلام عليه، ولمّا أنكر عليه سوء اعتماده وتفريطه في العسكر عمل كلام السلطان فيه حتى مرض لذلك، وشيع الناس أنّه سقي السم ثمّ عوفيَ... وكان الذي أخبر أنّ بيدرا ارتشى من الكسروانيين بيبرس طقصوا فاسرّ بيدرا الأمر في نفسه وتربّص له، ولما قبض

السلطان على لاجين خاطب بيدرا السلطان في القبض على بيبرس طقصوا فقبض عليه مع لاجين لأنّه كان قد تزوج ابنته».

والذي رواه البطريرك أسطفانس الدويهي في تاريخه أنّ الكسروانيين الجرديين كانوا قد نزلوا من الجبال لنجدة الفرنج عند حصار طرابلس وقتلوا من عسكر السلطان خلقاً كثيراً، فبرز أمر حسام الدين لاجين نائب دمشق إلى قراسنقر أن يجمع العساكر الشامية ويزحف بها لاستئصالهم واستشهد الدويهي ابن سباط فقال: «قال ابن سباط وكتب أيضاً إلى إثنين من أمراء غرب بيروت جمال الدين حجي بن محمّد التنوخي وزين الدين بن علي أنّه إذا بلغهما توجّه المقر الشمسي سنقر المنصوري بالعساكر المنصورة إلى جهة الجرد وكسروان يتوجهان إليه بعساكرهما وأنّ من نهب امرأة كانت له جارية أو صبياً كان له مملوكاً ومن أحضر منهم رأساً فله دينار، وأنّ سنقر المذكور متوجّه لاستئصال شأفتهم وسبي ذراريهم. هذا ما رواه الاهدني في تاريخ سنة ١٢٨٧م. ولا شكّ في أنّه مقدمة لما ذكره صالح ولم يعد يذكر حرباً في كسروان انتصر بها الكسروانيون إلّا في سنة ١٣٠٢م كما سيأتي فنظنّ أنّه فاته العلم بما كان من الأمر الذي أبرزه حسام الدين لاجين فلم يذكر الدويهي حرب سنة ٦٩١هـ سنة ١٢٩٢م التي ذكرها صالح بن يحيى، وكان قائدها بيدرا نائب السلطان بالشام بل ذكر الحرب التي كانت سنة ١٣٠٢م ويؤيّد حصول هذه الحرب قول صالح بن يحيي أنّ العساكر الشامية توجّهت سنة ٧٠٥هـ إلى جبال كسروان: «وهي النوبة الثانية في أيّام السلطان الملك الناصر محمّد ابن المنصور». فالحرب الأولى التي ذكرها سنة ٦٩١هـ كانت في أيّام الملك الأشرف خليل بن قلاوون لا في أيّام الملك الناصر وحرب سنة ٧٠٥هـ هي النوبة الثانية في أيّام الملك الناصر الذي ولي الملك سنة ٦٩٣، ثمّ خلعه كتبغا سنة ٦٩٤هـ، ثمّ ردّ إليه سنة ٦٩٨هـ وعهد حينئذٍ بنيابة السلطنة بالشمال إلى جمال الدين الأفرم الآتي ذكره كما مرّ في تاريخنا هذا. وهذا ما قاله الإهدني في هذه الحرب الثانية:

«سنة ١٣٠٢م (سنة ٧٠٢هـ) نزل الفرنج على نهر الدامور ليلة الأربعاء ثامن جمادي الأوّل فقتل هناك فخر الدين عبد الحميد بن جمال الدين التنوخي وأُسر أخوه شمس الدين عبدالله، فافتداه ناصر الدين الحسين بن خضر بثلاثة آلاف دينار. فرفعت الشكاوي إلى نائب دمشق الأفرم من الجرديين وأهل كسروان. قال

ابن الحريري أنّ في هذه السنة اجتمع النواب جمال الدين أقوش الأفرم نائب دمشق وسيف الدين استدمر نائب طرابلس، وشمس الدين سنقر المنصوري وحشدوا جيوش الشام إلى مقاتلة الجرديين وأهل كسروان، فاجتمع مقدّمو الجبال واستعدّوا للقاء الجيش فهزموه وقتلوا كثيرين وغنموا غنيمة كبيرة». قال الأسقف جبرائيلَ ابن القلاعي: «أنّ الوقعة كانت عند مدينة جبيل وأنّ المقدّمين الذين نزلوا من الجبال كانوا ثلاثين مقدماً والمشهورون منهم خالد مقدّم مشمش وسنان وأخوه سليمان مقدّما ايليج وسعادة وسركيس مقدّما لحفد وعنتر مقدّم العاقورة وبنيامين مقدّم حردين، ورتّبوا ألفي مقاتل كمنوا على نهر الفيدار والفين على نهر المدفون ثمّ انحدروا بثلاثين ألف مقاتل لقتال الجيش، فوقعوا بحمدان القائد على الطريق منفرداً فقتلوه وحملوا على الجيش فهزموه وأهلكوا أكثره وغنموا أمتعتهم وسلاحهم وأخذوا أربعة آلاف رأس خيل من خيلهم، وقدم الأكراد لنجدتهم فصدّهم المكمنون في الفيدار والمدفون فلم يخلص منهم إلّا القليل، وقتل من الأمراء التنوخية (أصحاب غرب بيروت) نجم الدين محمّد، واخوة شهاب الدين أحمد ولدا جمال الدين حجي، ثمّ غزا الجرديون بلادهم وأحرقوا منها عين صوفر وشلمك وعين زوينة وبحطوش وغيرها من بلاد المغرب، وقتل (في وقعة جبيل) من المقدّمين بنيامين مقدّم حردين ودفنوه عند باب الأركان في جبيل ثمّ صعدوا إلى معاد واقتسموا الغنائم».

أمّا الحرب الثالثة فإليك ما قاله فيها صالح بن يحيى: «ومما نقلناه عن النويري والصلاح الكتبي في فتوح كسروان ما رويا من جملة حوادث سنة ٧٠٥هـ (سنة ١٣٠٥م) وذكرا توجه العساكر الشامية إلى جبال كسروان وإبادة أهلها وتمهيدها وهي النوبة الثانية في أيّام الملك الناصر محمّد بن المنصور». فقالا: «كان أهل كسروان قد كثروا وطغوا واشتدّت شوكتهم وتطاولوا إلى أذى العسكر عند انهزامه من التتر في سنة ٦٩٩هـ (سنة ١٣٠٠م) وأغضى السلطان عنهم وتمادى في عقابهم فزاد طغيانهم وأظهروا الخروج من الطاعة (ربّما أشارا بهذا إلى ما ذكرناه من الحرب الثانية) واعتزلوا بجبالهم المنيعة ووثقوا بجموعهم الكثيرة وعلّلوا النفس بأنّه لا يمكن الوصول إليهم». انتهى ما نقله صالح عن النويري والصلاح الكتبي.

ثمّ أخذ صالح في تفصيل الخبر فقال: «ففي ذي الحجة سنة ٧٠٤هـ (سنة ١٣٠٤م) جهز جمال الدين آقوش الأفرم نائب الشام زين الدين عدنان ثمّ توجّه

بعده تقي الدين قراقوش وتحدّثا معهم في الرجوع إلى الطاعة فأبوا، فأمر عند ذلك بتجريد العساكر إليهم من كل جهة ومن مملكة من ممالك الشام وتوجّه آقوش الأفرم من دمشق بسائر الجيوش في يوم الإثنين الثاني من محرم سنة ٧٠٥هـ (سنة ١٣٠٥م) وجمع جمعاً كثيراً من الرجالة نحو خمسين ألفاً وتوجّهوا إلى جبال الكسروانيين والجرديين، وتوجّه سيف الدين استدمر نائب طرابلس وشمس الدين سنقر جاه المنصوري نائب صفد، وطلع استدمر المذكور من جهة طرابلس وكان قد نسب إليه مباطنتهم، فجرد العزم وأراد أن يفعل في هذا الأمر ما ينفي عنه هذه التهمة، فطلع إلى جبل كسروان من أصعب مسالكه، واجتمعت على أهله العساكر واحتوت على جبالهم ووطئت أرضاً لم يكن سكّانها يظنون أحداً يطأها، وقطعت كرومهم وأخربت بيوتهم وقتل منهم خلق كثير وتفرّقوا في البلاد واستخدم استدمر جماعة منهم في طرابلس بجامكية وجازاهم من الأموال الديوانية فأقاموا على ذلك سنين وأقطع بعضهم أملاكاً». انتهى كلام صالح بن يحيي.

وهذا ما جاء في تاريخ البطريرك أسطفانوس الدويهي: «في سنة ١٣٠٤م (سنة ٧٠٤هـ) أرسل أقوش الأفرم نائب دمشق إلى الجبليين والكسروانيين الشريف زين الدين بن عدنان يأمرهم أن يصلحوا شؤونهم مع التنوخية ويدخلوا في طاعتهم، ثمّ أرسل إليهم تقي الدين بن تيمية في صحبة بهاء الدين قراقوش (تأمّل المطابقة بين الدويهي وصالح بأسماء هؤلاء المنذرين) فلم يحصل إتّفاق، فافتى العلماء حينئذٍ بنهب بلادهم لاستمرارهم على العصيان، ولذلك جردت العساكر من جميع بلاد الشام ولم تزل الجموع تزداد من كل ناحية إلى سلخ (آخر) هذه السنة.

وسنة ١٣٠٧م (سنة ٧٠٧هـ) نرى هنا زلة قلم من الناسخ بتعيين هذه السنة والصواب سنة ٧٠٥هـ، لأنّه إذا كان أقوش أمر بجمع العساكر واجتمعت سنة ٧٠٤هـ إلى آخرها فلا يظنّ أنّه آخر مسيره إلى سنة ٧٠٧هـ بل سار في أوّل سنة ٧٠٥هـ، وقد اتّفق كلاما صالح والدويهي على تعيين يوم الإثنين ثاني محرم) ذكر ابن الحريري وابن سباط أنّه في يوم الإثنين ثاني محرم سار أقوش الأفرم نائب دمشق بخمسين ألفاً بين فارس وراجل إلى جبال الجرد وكسروان التي حيال بيروت فجمع الدروز رجال الجرد وكانوا عشرة أمراء بعشرة آلاف مقاتل، والتقت الجموع عند عين صوفر وجرى بينهم قتال شديد، وكانت الدائرة على الأمراء فهربوا

بحريمهم وأموالهم وأولادهم ونحو ٣٠٠ نفس، واحتموا في غار غربي كسروان يعرف بمغارة نيبية فوق أنطلياس بالقرب من مغارة البلانة، فدافعوا عن أنفسهم ولم يقدر الجيش أن ينال منهم ثمّ بذلوا لهم الآمان فلم يخرجوا، فأمر نائب دمشق أن يبنوا على الغار سداً من الحجر والكلس وهالوا عليه تلاً من التراب وجعلوا الأمير قطلوا بك حارساً عليهم مدّة أربعين يوماً حتى هلكوا داخل الغار.

ثمّ أحاط العسكر بتلك الجبال (أي جبال كسروان) ووطئوا أرضاً لم يكن أهلها يظنون أنّ أحداً من خلق الله يصل إليها فخرّبوا القرى وقطعوا الكروم وهدموا البيع وقتلوا وأسروا جميع من صادفوا من الدروز والكسروانيين وغيرهم فذلّت تلك الجبال المنيعة بعد عزّتها وفي ١٨ جمادي الأخرى ركب بالشرابيش علي الدين البعلبكي وسيف الدين بكتمر وبكر الدين بكتاش وحسام الدين لاجين وعز الدين خطاب العراقي وتوجّهوا لأجل عمارة الجبل (أي تأمين السكان الذين لم يستطيعوا الفرار واسكان عشائر من المسلمين في السواحل كما سيأتي) وحفظ ميناء البحر مع الجماعة الذين ساروا من دمشق إلى بيروت... وأمر الملك الناصر محمّد بن قلاوون تركمان الكورة أن ينزلوا في ساحل كسروان ليحافظوا عليه من الفرنج وهم أهل عساف» وسوف نأتي على ذكر هؤلاء.

وأمّا من هم الذين سماهم صالح بن يحيى الجرديين وسماهم الدويهي في أوّل كلامه الجبليين فلا شكّ في أنّهم غير الكسروينيين لذكر المؤرخين المذكورين فريقين لا فريقاً واحداً، وترى أنّهم سكّان العمل المسمى إلى الآن الجرد ومن قراه رشميا وشارون وبتاتر وبحمدون وانّهم كانوا دروزاً ويظهر أنّ هؤلاء لم يكونوا في طاعة الأمراء التنوخيين حكّام المغرب وكانوا يسطون على بلادهم وقد صرّح الدويهي بأنّ نذير أقوش أمرهم أن يصلحوا شؤونهم مع التنوخية وكان قتل الأميرين التنوخيين عند الدامور يعزى إلى هؤلاء الجرديين والكسروانيين معاً، إذ روى الدويهي أنّه بعد وقعة الدامور رفعت الشكوى إلى نائب دمشق من الجرديين والكسروانيين ويظهر أنّ الدروز الجرديين والموارنة الكسروانيين كانوا حينئذٍ متفقين ويؤيده هرب الجرديين بعد أن دارت عليهم الدائرة في عين صوفر إلى غربي كسروان إلى نيبيه وانطلياس التي كانت حينئذٍ من كسروان وكان تخمه من الغرب والجنوب نهر الجعماني.

عد ٣٧

بطاركة الموارنة في القرن الثالث عشر

فرغنا من الكلام على هؤلاء البطاركة في القرن الثاني عشر بذكر وفاة البطريرك أرميا وخلفه بعد وفاته دانيال من عمل جبيل وقطن أوّلاً في دير القديس فبريانوس بكفيفان. ثمّ انتقل إلى دير القديس مارون بكفرحي وانّه انتخب سنة ١٥٤١ يونانية أي سنة ١٢٣٠م على ما كتب يعقوب بن يوحنا البتروني (وفي نسخة أخرى البشراوي) على كتاب فرض القديسين الصيفي الذي طالعناه في كنيسة القديس سابا ببشري وكتب هناك أيضاً أنّ هذا البطريرك كان ساكناً سنة ١٢٣٦م في دير القديس جيورجيوس في الكفر وهي من عمل جبيل.

قال الدويهي يظهر من سلسلة البطاركة التي ذكرناها أوّلاً أنّ بطريركاً اسمه يوحنا كان بين أرميا وسمعان الآتي ذكره. وروى لكويان أنّ الدويهي قال بعد ذلك إنّه لم يتوصّل إلى معرفة البطريرك الذي صيّر بعد يوحنا فأمسى الأمر غامضاً لا يهتدى إلى وجه بيانه، والذي أراه بفكرتي القاصرة أنّه ربّما كان يوحنا هذا بعد أرميا وقبل دانيال الشاماتي المار ذكره. وقد أبنّا في كلامنا على أرميا العمشيتي تردّدنا في القطع بأنّ أرميا بقي في البطريركية من سنة ١١٨٣ إلى سنة ١٢٣٠م أي سبعاً وأربعين سنة، فلا أرى مانعاً من أن نفترض أنّ يوحنا هذا الذي لم يهتد الدويهي ولكويان إلى زمانه كان في المدّة التي انقضت من بعد عود أرميا رومة سنة ١٢١٦م إلى سنة ١٢٣٠م التي قالوا إنّ دانيال الشاماتي صيّر فيها بطريركاً، ويكون وجه التوفيق وإزالة الغموض الحاصل في هذا البحث والله أعلم. وصيّر بعد ذلك سمعان وقد ذكره الياس من معاد في حاشية علّقها على كتاب فرض الآلام الذي نسخه سنة ١٢٤٥م قال فيها «كان النجاز منه في أيّام ساداتنا البطريرك سمعان صاحب الكرسي الممدوح مدينة الله أنطاكية والمطران سمعان بجبل لبنان في سنة ١٥٥٦ لليونان» وهي سنة ١٢٤٥ للميلاد. وقال لكويان إن كان سمعان هو الذي خلف يوحنا فيكون هو الذي روى بياجيوس ترسيْ في كتابه الموسوم بسورية المقدّسة المطبوع برومة سنة ١٦٩٥ صفحة ٥٢ إنّه لما أخذت أنطاكية من يد الفرنج التجأ إليه كثيرون من الكاثوليكيين سكانها فقبلهم وأكرم مثواهم في لبنان. وكتب إلى البابا اسكندر الرابع يخبره بحالتهم وشديد تعلّقهم بالكرسي

الرسولي، فأجابه البابا مثنياً على اهتمامه ومسمياً إياه بطريركاً أنطاكياً. قال الدويهي إنّ نسخة هذه الرسالة ما برحت مصانة عندنا إلى الآن في دير قنوبين (وهي إلى اليوم أيضاً في خزانة بطريركيتنا). وفي كتاب الفنقيط الصيفي الذي وقع بيدنا في كنيسة القديس سابا في بشري وجدنا مكتوباً أنّه كان بعد حياً في سنة ١٢٧٧م، ولم نجد له خبراً ولا أثراً بعد ذلك، ولا علمنا من خلفه، ولكن وجدنا مكتوباً على صخر في الحائط الغربي من دير ميفوق عند تجديد بناء هذا الدير ܒܫܢܬ ܐܠܦ ܘܚܡܫܡܐܐ ܘܬܡܢܝܢ ܘܬܡܢܐ ܕܝܘܢܝܐ ܫܠܡ ܝܥܩܘܒ ܗܢܐ ܗܝܟܠܐ-ܕܝܠܕܬ ܐܠܗܐ ܡܪܝܡ. وترجمته أنّه في سنة ١٥٨٨ لليونان (سنة ١٢٧٧م) تمّ يعقوب هذا هيكل والدة الله مريم. وقال فمن يكون يعقوب هذا الذي جدد هذا الدير ونسب إليه؟ لا نستطيع أن نقول إلّا أنّه كان بطريركاً لأنّه قبل هذا التجديد وبعده كان هذا الدير مأوى للبطاركة. وقيل إنّه اندفن فيه سبعة بطاركة. قلنا وقد ذكرنا هذا الخط في الكلام على دير ميفوق ولكن النسخة المحضرة لنا كتب فيها مكان ܫܘܡܠܝܐ ܠܝܥܩܘܒܐ أي كمل بناء هذا الهيكل. فربّما شوشت الأيّام حروف الكلمة وكانت في أيّام الدويهي أظهر للقراءة أو أنّ الناسخ لنا توهّم من كلمة ܫܘܡܠܝܐ لئلّا تكون دالة على أثر لليعاقبة فكتب موضعها ܠܝܥܩܘܒܐ .

وصير بعد ذلك دانيال الثاني وجاء في الكتاب الموسوم بسورية المقدَّسة أنّ دانيال هذا خلف سمعان سنة ١٢٨١م. وقال الدويهي: «إنّه كان من حدشيت من عمل بشري». وقد كتب القس يوحنا الراهب الذي من حجولا في آخر كتاب تكريس الميرون ما يأتي: «كمل هذا الكتاب في سنة ١٥٩٢ لاسكندر (توافق سنة ١٢٨١م) في أيّام أبينا المختار البطريرك دانيال من حدشيت». ونرى صورته إلى الآن في كنيسة القديس رومانوس بالقرية المذكورة وقد وردت إليه براءة تثبيت من البابا نيقولاوس الثالث (الذي كان على السدة البطرسية من سنة ١٢٧٧ إلى سنة ١٢٨١م). وممّا تضمّنته الأمر له بأن يكون الميرون من زيت الزيتون والبلسم لا غير، وانتخب بعد دانيال الحدشيتي لوقا وكان من بنهران بسفح لبنان من عمل بشري. وروى الدويهي أنّ انتخابه كان في سنة ١٢٨٣م التي فيها فتحت العساكر الإسلامية جبة بشري كما مرّ. وقد وهم جبرائيل أسقف الافقسية بقبرص المعروف بابن القلاعي أنّ هذا البطريرك مال إلى قول راهبين تشبثاً بضلال أبو لينار أنّ المسيح لم تكن فيه نفس

بشرية بل ناب عنها اللاهوت، وزاغا عن الإيمان الصحيح، فأرسل الحبر الروماني ينذرهم فلم يشأ البطريرك قبول قصاد البابا. ومما قاله ابن القلاعي:

والبطريرك ما راد يقبلهم   يسمى لوقا من بنهران

كثر الشر وصاروا غرضين   وثار الانشقاق من أجل اثنين

في ذا السبب ابنوا برجين   وقسموا الملك في ذاك الآن

سمع بذلك السلطان برقوق   وانفتح له باب كان مغلوق

أرسل عساكر تحت وفوق   تحاصر في جبل لبنان

على أنّ الدويهي أفرد الفصل التاسع من كتابه في رد التهم لتفنيد قول ابن القلاعي هذا مثبتاً أنّ هذا الضلال لم يكن بلبنان فقط وأنّ أيّام هذا البطريرك كانت موعبة بالحروب على الموارنة في جبّة بشري وكسروان فلم يكن وقت لاشتغال الشعب أو رؤسائه بالمباحث الدينية. وقد اتّهمه بياجيوس صاحب الكتاب الموسوم بسورية المقدّسة أنّه اتبع بدعة المشيئة الواحدة فقام عليه الرؤساء والشعب وعقدوا مجمعاً حطوه فيه عن مقامه البطريركي وأقاموا مكانه البطريرك جبرائيل من حجولا سنة ١٢٩٠م، وتهمة البطريرك لوقا بهذا الضلال باطلة ولا مسند لها ولو افترضت صحيحة لتبين منها غيرة الموارنة على الإيمان القويم بحطّهم بطريركهم.

وقد روى الدويهي على ما ذكر لكويان في كلامه على بطاركة الموارنة أنّه بعد لوقا أقيم البطريرك جبرائيل من حجولا سنة ١٢٩٠م، وهذا هو الظاهر من كلام بياجيوس في كتابه سورية المقدَّسة كما رويناه قبيل هذا، وانّه نال التثبيت من الحبر الروماني (البابا نيقولاوس الرابع) وأنّه نال إكليل الشهادة في خارج مدينة طرابلس سنة ١٢٩٦م، وأنّ مدفنه يعرف اليوم بالشيخ مسعود في جانب المحل المسمى تل الرمل في هذه المدينة، وأحصاه الموارنة في عدد شهدائهم. هذا ما رواه لكويان وعقبه بقوله: «على أنّه يظهر من الكتاب القديم الذي هو الثامن عشر من كتب الحاقلي بالمكتبة الواتيكانية أنّ جبرائيل هذا كان بعد هذا العصر، فقد ذكر السمعاني الكتاب المذكور في فهرست الكتب المعلّق على المجلّد الأوّل من مكتبته الشرقية صفحة ٥٧٧ وهو كتاب لابن القلاعي وقال إنّ في جملة ما حواه قصيدة لابن

القلاعي. وقال إنّ في جملة ما حواه قصيدة لابن القلاعي: «في البطريرك جبرائيل من حجولا الذي قضى شهيداً للإيمان الكاثوليكي في طرابلس سنة ١٣٦٧م، إلّا إن يكون وقع غلط في تعيين تلك السنة، وادعى الحكم في ذلك لعلماء الموارنة». انتهى كلام لكويان.

وجاء في سلسلة بطاركة الموارنة التي أخذها المعلّم رشيد الشرتوني عن الدويهي ونشرها في المجلة الموسومة بالمشرق أنّ هذا البطريرك نال إكليل الشهادة في طرابلس سنة ١٣٦٧م، وهذا يوافق ما رواه السمعاني كما ذكرنا قبلاً لكنّه يخالف ما رواه لكويان عن الدويهي كما قدمناه في هذا المحل. وكثيراً ما وجدنا ما رواه لكويان عن سلسلة الدويهي يخالف نسختها العربية ولا شكّ في أنّ ترجمتها اللاتينية التي اعتمد عليها لكويان هي أصح وأسلم من التحريف والغلط ومن جهة أخرى لا نعلم إذا كان السمعاني عيّن سنة ١٣٦٧م برأي نفسه أن نقلها على سبيل الحكاية عن ابن القلاعي الذي كشف له المتأخّرون كثيراً من الخطأ في تعيين السنين. والذي يظهر لنا مرجحاً أنّ البطريرك جبرائيل هذا رقي إلى البطريركية سنة ١٢٩٠م ونال إكليل الشهادة سنة ١٢٩٦م اعتماداً على ترجمة سلسلة الدويهي اللاتينية التي هي أصلح وأسلم من النسخة العربية التي كانت بيد المعلّم رشيد المذكور. ويؤيّد ذلك ما نعلمه حقّ العلم من أنّ المسلمين لم تسبق لهم العادة بأن يسطوا على النصارى ولاسيّما رؤساء الدين جهاراً وتصميماً إلّا في وقت الحرب. وقد رأيت أنّ المدّة من سنة ١٢٨٣م إلى سنة ١٣٠٥م كانت موعبة بالحروب في جبّة بشري وكسروان فضلاً عن الحروب مع الفرنج، ولا نعلم حصول شيء من هذه الحروب في لبنان سنة ١٣٦٧م ولذلك نرجّح أنّ استشهاد هذا البطريرك كان في أواخر القرن الثالث عشر لا بعد نصف القرن الرابع عشر.

وقام بعد البطريرك جبرائيل البطريرك سمعان ونرجيء الكلام عليه إلى تاريخ القرن الرابع عشر.

عد ٣٨

رد ما يحتج به على الموارنة من كلام البابا أينوشنسيوس الثالث

إنّ خصوم الموارنة يحجونهم بفقرة وردت في رسالة أنفذها أينوشنسيوس الثالث

سنة ١٢٥١م إلى البطريرك أرميا والمطارنة والأساقفة ورؤساء الأديار والإكليروس والشعب الموارنة. وقد أثبت العلّامة البطريرك أسطفانس الدويهي ترجمة هذه الرسالة برمتها في الفصل الثامن من كتابه في رد التهم. فالعبارات التي يحج الموارنة بها من هذه الرسالة هي قوله في من أفاض الله عليهم سوابغ نعمه فارعووا عن الضلال: «كما بلغنا وسرّنا أنّه جرى لكنيسة الروم ولكم في هذه المدّة فانكم سابقاً كنتم كالخراف الضالّة غير عالمين أنّ خطيبة المسيح واحدة... وأنّ الراعي الصالح واحد وهو السيّد المسيح... ولمّا أرسلنا قبلاً إلى نواحيكم المرحوم الكردينال بطرس كاهن كنيسة القديس مرشلوس رجعتم بالهام الرب إلى راعيكم وأسقف نفوسكم وفهمتم أنّنا نحن رأس الأحبار ونائب المسيح على الكنيسة الجامعة... ولمّا كان الكردينال المذكور علم أنّكم تحتاجون إلى بعض أمور اجتهد في إيضاحها لكم حسب مآل الأمر الرسولي وأوصاكم بأن تقرّوا بمعزل عن كل ريب بما تمسّكت به الكنيسة الرومانية، وهو أنّ الروح القدس ينبثق من الابن كما ينبثق من الآب... وان تحفظوا في المعمودية هذه الصورة، أي أنّ الثالوث الأقدس يذكر مرّة واحدة في التغطيسات الثلاث لا أكثر، وأن سرّ التثبيت يتصرف به رؤساء الكهنة دون غيرهم... وأن تؤمنوا أنّ في المسيح طبيعتين ومشيئتين إلهية وإنسانية. وهذه الوصايا ولو كنتم قبلتموها في ما سلف قبول الطائعين الخاضعين إلّا أنّ إعادتها عليكم الآن لأجل تأكيدها وإثباتها». فهذه هي العبارات المحتج بها.

وقد ردّ العلّامة الدويهي في الفصل المذكور زعم من حجوا الموارنة بهذه العبارات وأثبت أنّ الموارنة براء من التهمة بالضلال، وأنّ هذه العبارات لا تصلح أن تكون حجة عليهم به. وصنع كذلك المرحوم البطريرك بولس مسعد في عدّة مواضع من كتابه الموسوم بالدر المنظوم أي صفحة ١٢١ و ١٦٧ و ١٦٨ و ١٧٦ فوَإن لم أقس بهذين العلامتين فقد حذوت حذوهما في كتابي الموسوم بروح الردود وأسهبت برد زعم خصومنا باحتجاجهم علينا بكلام البابا المذكور.

والآن أقول إنّ في رسالة البابا أينوشنسيوس الثالث هذه نفسها فقرتين أخريين يتبين منهما جلياً أنّ الموارنة لم يكونوا على ضلال وارعووا عنه حينئذٍ. الفقرة الأولى هي قوله: «وأنت أيّها الأخ البطريرك لما كنت قبلاً في مدينة طرابلس مع قوم من مطارنتك أعني يوسف مطران قزحيا، وتاوادورس أسقف كفرفو، وجمع كبير من الكهنة، وجمهور وافر من الخاضعين لك حلفت أنت وهم عن نفوسكم

وعمّن يتعلّق بكم بحضرة بعض أساقفة ورهبان وشمامسة في المدينة المذكورة اليمين على مثال الصورة التي يتعهد بها المطارنة بالطاعة للكرسي الرسولي». فحلف يمين الطاعة على مثال الصورة التي يتعهّد بها الأساقفة بالطاعة للكرسي الرسولي ليس هو ارعواء عن ضلال، ولا يكتفى لمن كان ضالاً بحلف مثل هذا اليمين، بل الاكتفاء بها دليل بين وبينة قاطعة على أنّ من أبرزها لم يكن من ذوي البدعة والضلال.

والفقرة الثانية هي قوله: «ثمّ إنّنا نثبت لك بسلطاننا الرسولي كراسي المطارنة والأساقفة الآتي ذكرها، ونأمر أصحابها بالخضوع لكرسي كنيستك كنيسة السيدة في يانوح أيّها الأخ البطريرك الذي ولاك الله رئاستها، وان يكونوا طائعين لك ولخلفائك نعني مطارنة قزحيا وجبة بشري وأساقفة المنيطرة ورشعين وكفرفو وعرقا... ونثبت لك النعم المعتادة الحاصل عليها أنت وأسلافك في الكنيسة الأنطاكية إلى هذا الآن بالسلطان الرسولي نمنحها لك وللذين يتخلّفون بعدك». وممّا لا ريب فيه أنّ من خرج عن الكنيسة أو زاغ عن إيمانها خسر بزيغان نفسه الحقوق والنعم وما اعتاد أن يكون له فيها. فإن كان بطريرك الموارنة وأسلافه قد تسكّعوا بالبدعة كيف يثبت أينوشنسيوس الثالث النعم أو الحقوق أو الاستعمالات الحاصل عليها لا البطريرك أرميا وحدّه بل أسلافه أيضاً في الكنيسة الأنطاكية إلى الآن. ولو كان هؤلاء الأسلاف أصحاب بدعة لما بقي لهم حقوق ولا أثبتها البابا لهم وقد أبنّا أنّ البطريرك أرميا الموجهة إليه هذه الرسالة قد انتخب بطريركاً سنة ١١٨٣م أي بعد سنة واحدة من الارعواء المدعى به على الموارنة، واعتمدنا في هذا على ما خطّه أرميا نفسه بيده. وأسلاف أرميا الذين أثبت لهم أينوشنسيوس حقوقهم أو عوايدهم في الكنيسة الأنطاكية هم يوسف الجرجسي الذي أرسل قصاده مع قصاد الملك غودفروا إلى رومة سنة ١٠٩٩م بطلب التثبيت فأنعم عليه به البابا بسكالس الثاني سنة ١١٠٠م. ثمّ غريغوريوس الحالاتي الذي أرسل إليه البابا أينوشنسيوس الثاني الكردينال غوليلمس سنة ١١٣١م يخبره أنّه هو البابا الشرعي لا بطرس دي لاون الذي تدخّل على الكرسي الروماني، فحلف البطريرك وأساقفته يمين الطاعة لأينوشنسيوس كما حلف رؤساء الفرنج الذين كانوا حينئذٍ بسورية، إلى غير هؤلاء من بطاركة الموارنة. والحادثان المذكوران هنا رواهما لكويان في كلامه على بطاركة الموارنة في المجلّد الثالث من الشرق المسيحي.

فالبابا أينوشنسيوس الثالث أثبت إذاً بالفقرتين اللتين ذكرناهما أنّ الموارنة لم

يكونوا هراطقة. فكيف يخرج قوله في الفقرة الأولى: «إنّكم كنتم ضالين وأنّ الكردينال أمركم أن تعتقدوا أنّ في المسيح طبيعتين ومشيئتين». إنّ لذلك مخرجين الأوّل إنّ البابا تكلّم في هذه الفقرة على بعض الموارنة الذين كان أتباع توما الكفرطابي قد أغووهم ببدعة المشيئة الواحدة حتى استمالوا البطريرك نفسه إليهم، فاجتمع الأساقفة وأعيان الأمّة فحطوا البطريرك عن مقامه وانتخبوا غيره فقتله أصحاب البطريرك المنحط، وأصلح أموري بينهم فانتخبوا حينئذٍ أرميا الموجهة الرسالة إليه، فأشار البابا إلى هذه الأحداث التي ذكرنا تفصيلها في عدد ٨٥٨ وعدد ٨٦٠ وأراد بمن كانوا ضالين تلك الفئة من الموارنة التي كانت قد ضلّت مدّة ثمّ ارعوت عن ضلالها إلى جادة الصواب على يد أموري بطريرك أنطاكية وهذا لا يبعد عن الصواب وهو لازم للتوفيق بين قولين متضادين في رسالة واحدة.

والمخرج الثاني إنّ الحبر الروماني تكلّم في الفقرة الأولى على الموارنة والروم معاً وهذا ظاهر من كلامه الذي قدّمناه وهو «كما بلغنا وسرّنا أنّه جرى لكنيسة الروم ولكم في هذه المدّة فانّكم كنتم سابقاً كالخراف الضالّة» الخ ثمّ من قوله الآخر إنّ الكردينال الذي أرسله أمرهم بأن يعترفوا «بأنّ الروح القدس ينبثق من الابن كما ينبثق من الآب وان يحفظوا من المعمودية الصورة التي يدعى بها الثالوث الأقدس مرّة واحدة لا أكثر وأنّ سرّ التثبيت يتصرّف به رؤساء الكهنة لا غيرهم: «ومن المؤكّد أنّ الروم إنّما هم الذين ينكرون انبثاق الروح القدس من الابن وكانوا يوجبون ذكر الثالوث ثلاثاً عند تلاوة صورة المعمودية، وهم إلى الآن يمنح كهنتهم سر التثبيت وليس بمحفوظ للأساقفة، وما من أحد من العلماء المحققين عزا إلى الموارنة هذه الأغلاط. وينتج من ذلك نتجاً جلياً أنّ البابا تكلّم بهذه الرسالة على الموارنة والروم معاً.

وقد قال بهذا المخرج كثيرون من العلماء اللاتينيين منهم الأب ايرونيموس دنديني في فصل ٢٨ من كتاب بعثته إلى الموارنة في أواخر القرن السادس عشر وهذا قوله: «إنّ هذه البراء (أي براءة أينوشيسيوس الثالث) لا يتكلّم بها البابا عن الموارنة وحدهم بل عن الروم أيضاً إذ رجعوا في طرابلس حينئذٍ إلى طاعة الكنيسة الرومانية ارتجاعاً حافلاً بحضرة كردينال كنيسة القديس مرشلوس القاصد الرسولي في هذه الجهات من الشرق، وبهذا يتيسر فهم السبب الذي أوجب نسبة أغلاط طائفة إلى أخرى». ومنهم أيضاً الأب توما بياتي الكرملي الذي قال في الكتاب

السابع الفصل ٢٢ من مؤلّفه الموسوم بلزوم الاهتمام بخلاص جميع الأمم ما ترجمته «إنّ بطريرك الموارنة قد احتفظ غاية الإحتفاظ على براءات الأحبار الرومانيين من أينوشنسيوس الثالث إلى غيره من البابوات الذين أنفذوا إليهم قصاداً كردينال كنيسة القديس مرشلوس وغيره ولمّا كان الأحبار الرومانيون يأمرون برسائلهم الموارنة أن يتحاشوا عن أغلاط الروم وينبذوها، حصل من ذلك أنّ بعض المرسلين من رومة توهموا أنّ الموارنة تابعوا أكثر الروم على أغلاطهم كانبثاق الروح القدس من الآب وحده وانكار المطهر وما أشبه على أنّ الموارنة أثبتوا أنّهم بمعزل عن هذه الأغلاط وبيّنوا في كتبهم ونوافير قدّاسهم بينات كثيرة ناطقة بمدافعتهم كل حين عن العقائد الكاثوليكية». ونقتصر على إيراد شهادة هذين الشاهدين من العلماء اللاتينيين ونضرب حباً بالإيجاز عن إيراد أقوال علمائنا.

على أنّنا لا نعدل عن قول العلّامة البابا بناديكتوس الرابع عشر في رسالته الموجّهة في ٢٨ أيلول سنة ١٧٥٣م إلى نيقولاوس لركاري وهذا قوله «قد أثبت الموارنة أنّهم ينتسبون في أصلهم إلى القدّيس مارون الانبا، وأنّهم لم يزيغوا البتة عن الإيمان الكاثوليكي، ولا انفصلوا قطعاً عن وحدة الكنيسة. وزادوا على ذلك أنّهم إذا كانوا قد جدّدوا أحياناً إتّحادهم بالكنيسة الرومانية فلا ينبغي البتة أن يفهم ذلك بمعنى أنّهم شذّوا عن الدين الكاثوليكي ثمّ رجعوا إليه». ومن ذلك بلا بد تجديد اتّحادهم بالكنيسة الرومانية بحضرة قاصد البابا أينوشنسيوس الثالث المذكور هنا والذي على تقريره المرفوع للحبر الروماني بنيت رسالته وربّما لم يميز كما ينبغي بين من حجدوا الضلال كروم طرابلس ومن جدّدوا اتّحادهم بالكنيسة الرومانية وحلفوا يمين الطاعة للحبر الروماني كالموارنة وقد صرّح البابا أينوشنسيوس الثالث بأنّ بطريرك الموارنة وأساقفته ومن حضر في طرابلس من كهنته وشعبه حلفوا هذه اليمين على هذه الصورة كما رأيت في كلامه الذي أوردناه آنفاً.

مقالة سابعة

تاريخ الموارنة في القرن الرابع عشر

عد ٣٩

ما نعلمه من حالة الموارنة الدنيوية في هذا القرن

كانت في السنين الاولى من هذا القرن الحروب التي فتح بها عمل كسروان وقد ألحقنا اخبارها بتاريخهم في القرن الثالث عشر متابعة، لئلا نقسم الكلام على هذه الحروب في تاريخ قرنين فليطالعها هناك من شاء.

وقل ما علمنا من تاريخ حالهم الدنيوية في هذا القرن، فجل ما علمناه انهم شرعوا يسمون حكام اعمالهم او قراهم الكبيرة مقدمين بدلاً من تسمية حكام الاعمال امراء. وجاء في اخبار الاعيان (ص١٠٩) للمرحوم طنوس الشدياق انه في سنة ١٣٧٥ م توفي غزال القيسي الماروني مقدم العاقورة، ولم يخلف ولداً ذكراً فورثته ابنته زوجة جرجس الملقب بالشدياق. ولم يذكر المؤلف مسنداً لهذا الخبر ولم يروهِ البطريرك اسطفانوس الدويهي في تاريخه فيتعذر علينا القطع بصحته.

وروى البطريرك الدويهي عن ابن سباط انه في سنة ١٤٨٨م جهز الملك الظاهر برقوق العساكر المصرية لمقاتلة الناصري ومنطاش فجمع هذان عساكر الشام والعرب والتركمان وأهل كسروان والجرديين وجرت بينهم حروب، فانتصر منطاش والناصري على عساكر مصر وهزموها. وفي اثناء ذلك انتشب القتال بين امراء الغرب وبين عشران (فسر بعضهم هذه اللفظة بمعنى المتطوعين ونظن انها جمع العاشر وهو من يؤمن المارة من اللصوص) البر اهل كسروان والامراء اولاد الاعمى من تركمان كسروان. وكان امراء الغرب من حزب الملك الظاهر برقوق والكسروانيون من جهة ارغون نائب منطاش ببيروت فاستظهر اهل كسروان على

امراء الغرب وقتلوا منهم نحواً من تسعين شخصاً وأمسكوا جماعة منهم وقتلوا بعضهم ونهبوا ما وجدوا لأمراء الغرب في بيروت وأحرقوا عدة قرى من الغرب منها عين عنوب وعيناب وشملان وعيتات وغيرها. وبعد ان عاد الملك الظاهر الى السلطنة (كما مرَّ) وجه عساكره الى تركمان كسروان (ويروى قصدت العساكر طومان شيخ التركمان حاكم كسروان) وجرت بين الفريقين وقعة في الساحل في جورة منطاش بزوق ميكائيل فقتل من التركمان الامير علي واخوه الامير عمر ابنا الاعمى وجماعة كثيرة ونهبوا زوق ميكائيل.

فذكر أهل كسروان والجرديين بعد ذكر التركمان يدل دلالة صريحة على ان الكسروانيين المذكورين هنا ليسوا من التركمان سكان سواحل كسروان بل من الموارنة الذين كانوا قد استمروا بكسروان بعد الفتح او كانوا قد رجعوا اليه بعد خرابه إذ كان قد مضى بعد الفتح اكثر من ثمانين سنة.

وروى الدويهي في تاريخ هذه السنة ان الملك الظاهر لما كان معتزلاً عن السلطنة أقام الشدياق يعقوب بن ايوب مقدماً على بشري وكتب له ذلك بصفيحة من نحاس. وقد ذكر هذا الخبر صاحب الغرر وروى العبارة الاخيرة. وكتب له صفيحة بختمه ان يكون شيخاً. ثم حلَّ الملك الظاهر بدير قنوبين وكان رئيسه كاهناً اسمه القس بطرس، فاحسن استقباله فعفا الدير من الاموال الاميرية وجعل له التقدم على جميع اديار تلك النواحي وكتب ذلك على صفيحة نحاسية. وفي كتاب الغرر اعطاه بذلك خطاً. ولما عاد الملك الظاهر إلى الكرك وكان البطريرك داود الذي دعي يوحنا مقيماً بدير مار سركيس القرن بأرض حردين فجعل القس بطرس المذكور اسقفاً واسكنه دير قنوبين.

عد ٤٠

بطاركة الموارنة في القرن الرابع عشر

إن آخر من ذكرناهم من بطاركة الموارنة في القرن الثالث عشر هو سمعان الخامس الذي صير بطريركاً في آواخر القرن المذكور واستمر على السدة البطريركية زماناً طويلاً حتى سنة ١٣٣٩م. فقد علمنا انه كان بطريركاً سنة ١٣٢٢م من

حاشية علقها الشماس سابا بن سليمان ابن الخوري جرجس شامات (وفي تاريخ الموارنة المطبوع، وفي سلسلة بطاركتهم المذاعة في الشرق قنات بدلاً من شامات) على كتاب الانجيل الذي نسخه بالاحرف السطرنكلية على رق سنة ١٣٢٢م قال فيها: «كان الفراغ من نسخ هذا الكتاب في ايام ابينا البطريرك سمعان الجالس على كرسي انطاكية. وفي ايام بطرس رئيس اساقفة بشري سنة ١٦٣٣ يونانية» (توافق سنة ١٣٢٢م) قال الدويهي هذا الكتاب محفوظ في دير مار ميخائيل شاريا بقرية عينتورين وعلمنا من حاشية اخرى علقها القس يعقوب رئيس دير مرت مورا باهدن على كتاب الانجيل الذي بكنيسة بجة من بلاد جبيل انه كان الفراغ منه سنة ١٣٣٩م في أيام البطرك شمعون (سمعان) وبطرس مطران اهدن.

وبعد وفاة البطريرك سمعان انتخب مكانه يوحنا وهو التاسع بهذا الاسم. روى ذلك لكويان نقلاً عن الدويهي سنداً إلى ما كتب على كتاب قديم بكنيسة القديس سركيس بحدشيت بالسريانية وهذه ترجمته:

كان الفراغ من نسخ هذا الكتاب سنة ١٣٥٧ للتاريخ المسيحي في ايام سيدنا المختار يوحنا بطريرك انطاكية وجبل لبنان وسواحل البحر وفي ايام يوحنا مطران قبرص».

وروى البطريرك الدويهي في تاريخ سنة ١٣٦٧م ان يعقوب اسقف اهدن كتب في ذيل كتاب الانجيل الذي خطه سنة ١٦٧٧ لاسكندر (توافق سنة ١٣٦٧م المذكورة) انه في هذه السنة قصد ملك الاسكندرية بجيشه فقتل رجالها وأسر صغارها ونهب اموالها. فغضب سلطان المسلمين على النصارى وأمسك رؤساء الكنيسة وحبسهم بدمشق. وكان الاسقف المذكور في جملتهم فتمكن من الهرب. وكتب هذا الكتاب وهو مستتر. وقال الدويهي ان هذا الكتاب محفوظ بدير قنوبين وهو سبعة وعشرون كراساً بالخط السرياني والكرشوني وقد ذكر الدويهي هذا توطئة لقوله التالي: «وفي هذه السنة كان على الكرسي الانطاكي البطريرك جبرائيل واستتر حين الاضطهاد بقريته حجولا من عمل جبيل، فكتب نائب دمشق بسببه إلى نائب طرابلس، وعند ما علم انه في حجولا قبض على اربعين رجلاً من هذه القرية وأمرهم باحضاره فاحضروه وأمر بحرقه في اول نيسان خارج طرابلس عند جامع طيلان». انتهى كلام الدويهي في تاريخه على ما في النسخة التي عندنا.

وفي النسخة التي أخذ عنها المعلم رشيد الخوري الشرتوني تاريخ الموارنة مقتطفاً عن تاريخ الدويهي ثم في سلسلة بطاركة الموارنة التي نشرها في مجلة المشرق.

على أنّنا قد روينا في تاريخ بطاركة الموارنة في القرن الثالث عشر نقلاً عن لكويان في مؤلفه الشرق المسيحي، وعن صاحب الكتاب الموسوم بـ«سورية المقدسة» ان البطريرك جبرائيل من حجولا صير بطريركاً سنة ١٢٩٦م. واستشهد بطرابلس سنة ١٢٩٦م ولكويان اعتمد في سلسلة بطاركة الموارنة على الدويهي، لكنه قد استدرك كلامه في هذا البطريرك وذكر ما يظهر انه يخالف ذلك. وهو ما رواه السمعاني عند ذكره (في المكتبة الشرقية مج ١ صفحة ٥٧٧) كتاباً لجبرائيل القلاعي الذي روى فيه استشهاد هذا البطريرك. وقيل هناك انه كان سنة ١٣٦٧م. وترك لكويان حل هذا المشكل لعلماء الموارنة فنحن عند كلامنا في هؤلاء البطاركة في القرن الثالث عشر رجحنا صحة رواية لكويان وصاحب سورية المقدسة ان جبرائيل هذا كان في آخر القرن الثالث عشر خاصة لعلمنا باعتماد لكويان على سلسلة بطاركة الموارنة للدويهي مترجمة الى اللاتينية، وهي أصح من نسخها العربية وأسلم من التحريف. ونرى الآن لكويان في كلامه على بطاركة الموارنة في هذا القرن لم يذكر جبرائيل بل ذكر داود المسمى يوحنا خليفة ليوحنا التاسع الذي قدمنا ذكره، وعزا ذلك الى الدويهي ايضاً. فلم يكن لنا حتى الآن يدان في حل هذا المشكل. في آخر القرن الثالث عشر كان جبرائيل ام بعد نصف القرن الرابع عشر! ويزيد المسألة ارتباكاً قول الدويهي في الفصل التاسع من رد التهم: «ان البطاركة مثل البطريرك لوقا من بنهران والبطريرك جبرائيل من حجولا ونظائرهما بتلك السنين ما استطعنا ان نقف لهم على خبر في كتاب ولا نعرف بأية سنة كانوا لعدم وجود تاريخ وانشغال الناس في تلك الايام بالحروب، فاكتفينا بإيراد ما علمناه من الاقوال في هذه المسألة دون القطع بصحة احدهما. ولا مرية في ان جبرائيل من حجولا كان بطريركاً على الموارنة وقتل في طرابلس والاختلاف على الزمان فقط.

روى لكويان انه بعد وفاة يوحنا التاسع خلفه داود الثاني ويسمى يوحنا أيضاً. وكان ساكناً بدير القديس سركيس في حردين، وهذا يظهر مما علقه الخوري دانيال من قرية بان على الكتاب الذي نسخه سنة ١٢٩٧م وهو: «كان النجاز منه سنة ١٧٨٠ يونانية (توافق سنة ١٣٩٧م) على يد الخوري دانيال ابن الحاج سمعان من قرية بان على زمان البطريرك داود المكنى يوحنا القاطن بدير مار سركيس القرن

بأرض حردين، وكان بطرس مطراناً على دير قنوبين». ويستفاد من خط آخر كتبه كيرلس مطران جاج والخوري اليشاع الناسك والشماس موسى الماريني ان هذا البطريرك استمر الى سنة ١٤٠٤م التي كان فيها بطرس مطراناً هلى اهدن.

وقد زعم جبرائيل بن القلاعي ان هذا البطريرك طغاه حبيس اسمه اليشاع جال في بلاد اليعاقبة، وعند عودته ادخل في جبل لبنان رتبة جديدة وخلط الزيت بالقربان المقدس، فاغتر البطريرك بهذا الضلال حتى ابدى قسوة زائدة على رؤساء الكهنة الذين خالفوه، فوقع الخلف في الرعية وانقسموا حزبين. ذكر ذلك البطريرك الدويهي في الفصل العاشر من كتابه رد التهم عن الموارنة، وقال ان البطريرك الذي كان في عصر اليشاع الحبيس المذكور هو البطريرك داود المسمى يوحنا ايضاً الذي سكن في دير القديس سركيس بحردين، وكنا قبلاً نظن فيه انه بسبب تعليم اليشاع الحبيس وبسبب مجاورته لبعض اليعاقبة المقيمين بحردين تبع راي يعقوب وغير اسمه ودعا نفسه يوحنا، وأنشأ الاضطهاد على الملّة المارونية وعلى رؤساء كهنتها، فقاومه اهل جبة بشري وبلاد جبيل ورؤساء الاساقفة ولم يزيغوا عن الايمان القديم. ولكن لما بحثنا بحثاً شافياً عن هذه الامور تحققنا ان ظننا كان بعيداً عن دائرة الصواب، وتأكدنا ان الحبيس اليشاع كان رجلاً ناسكاً واتضح لنا من الكتب التي عثرنا عليها بخطه انه كان من قرية الحدث، وانه درس على فرح خوري قرية موسي ثم صار حبيساً وكاهناً في محبسة القديس سركيس بقرية الحدث. ولم نجد في الكتب التي شرع في كتابتها منذ سنة ١٧٠٢ لاسكندر (سنة ١٣٩١م) تعليماً جديداً ولا قولاً محدثاً. وإن صحّ ما رواه عنه ابن القلاعي من خلطه الزيت بالقربان فيكون ذلك خطأً محرماً، لكنه ليس بضلال يخالف الايمان لأنه لم يعلم ان ذلك لازم بل كان مقصوراً على عمله. والذي يتبادر الى الفهم انه كان يدهن القالب بالزيت لئلا يلتصق به خبز القربان كما ندهنه الآن بالشمع وهذا لا لوم عليه بعمله وكانت القوالب في ذلك الحين مجوفة.

لقد وقفنا على كتب كثيرة كتبت في ايام البطريرك داود المذكور فتحققنا منها انه سمي يوحنا منذ صير بطريركاً. وقال الخوري دانيال الباني في الكتاب الذي خطه سنة ١٣٩٧م في ايام البطريرك داود المسمى يوحنا وقدمنا هذا الخط. وكذلك ذكر المطران كيرلس الجاجي هذا البطريرك في الكتاب الذي نسخه سنة ١٧١٢

لاسكندر (سنة ١٤٠٤م). ودعاه الاب البطريرك يوحنا ولم يطعن به. وذكره ايضاً المطران يعقوب اللحفدي في ذيل كتاب «الناموس» الذي نسخه للمطران داود الحدشيتي فقال: «وكان الفراغ من كتاب الناموس هذا سنة ١٧١٣ من ملك اسكندر بن فليبس اليوناني (وهي سنة ١٤٢٠م) وهو برسم الاخ المغبوط المنتخب لله تعالى المطران داود بن جوسلين من قرية حدشيت وفي ايام ابينا ومعلمنا وسيدنا مار يوحنا المنتخب لله تعالى المؤيد بالمسيح والقاطن في دير مار سركيس القرن بقرب حردين رحمنا الرب ببركة صلواته المقدسة بشفاعة السيدة ام النور وجميع القديسين آمين».

وقال الدويهي وهذا الكتاب هو محفوظ الى الآن عندنا بدير قنوبين وهو برسم اخينا المطران يوسف الحصروني.

واختتم الدويهي كلامه بقوله يتبين من هذه الشهادات وغيرها أضربنا عن ذكرها ان هذا البطريرك كان يسمى وقتاً يوحنا وآخر داود يوحنا وانه كان ذا ايمان قويم ولو كان قد زاغ عن محجة الايمان الصحيح ما كان ذكره المطران كيرلس والمطران يعقوب وسمياه ابانا. وما كان وصفه المطران يعقوب بانه بار ومنتخب لله ومؤيد بالمسيح ولا طلب من الله ان يرحمه ببركة صلاته المقدسة ولو كان البطريرك المذكور، وقد عامل على قتل كهنته كما تجنوا عليه ما كان قرظه هؤلاء الاساقفة الذين كانوا في ايامه وفي جملة اساقفته بهذه المدائح والنعوت السامية على ان الاضطهاد الذي جرى على بعض رؤساء الكهنة لم ينزله بهم بطريرك بل هو ما قدمنا ذكره في هذا الفصل بسبب حملة ملك قبرص على الاسكندرية وقتل اهلها ونهب اموالهم.

عد ٤١

من عرفناهم من اساقفة الموارنة بهذا القرن

الاول بطرس اسقف بشري ذكره البطريرك الدويهي في تاريخ سنة ١٣١٥م. قال انه كان قاطناً ومترئساً على دير مار اليشاع بوادي نهر قاديشا، ومن ذلك يظهر ايضاً ان هذا الدير قديم وكان يسكنه رهبان واساقفة قبل ان يأخذ السكنى به الرهبان الحلبيون مؤسسو الرهبنة اللبنانية. ثم ذكر الدويهي المطران بطرس المذكور

في تاريخ سنة ١٣٢٢ سنداً الى ما كتبه الشماس سابا بن سليمان ابن الخوري جرجس من قنات على كتاب الانجيل الذي كان محفوظاً في دير مار ميخائيل شاريا بعنتورين.

الثاني بطرس اسقف اهدن ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٣٣٩م. فقال ان الاحداث التي ذكرها في تاريخ تلك السنة كانت في ايام رئاسة بطرس اسقف اهدن والقس سركيس رئيس دير مورت مورا باهدن ويظهر من هذا ايضاً ان دير مورت مورا باهدن هو اقدم كثيراً من سكنى الرهبان الحلبيين مؤسسي الرهبنة اللبنانية به. وجاء ذكر المطران بطرس الاهدني المذكور في الخط المار ذكره الذي علقه القس يعقوب رئيس دير مورت مورا المذكورة على كتاب الانجيل الذي كان بكنيسة بجة سنة ١٣٣٩م.

الثالث جيورجيوس مطران قبرص ذكره العلامة السمعاني (في المجلد ٤ من المكتبة الشرقية صفحة ٤٣٣) نقلاً عن اعمال مجمع نيقوسية بقبرص الذي عقده اليا رئيس اساقفة الكلدان بهذه الجزيرة سنة ١٣٤٠م حيث يعد في جملة من شهدوا هذا المجمع جيورجيوس مطران الموارنة، ويصرح بأن كل من شهدوا هذا المجمع اقروا بأن الكنيسة الرومانية هي ام جميع الكنائس ومعلمتهنّ، وإن الاب الاقدس البابا بناديكتوس الثاني عشرهو خليفة بطرس الطوباوي نائب المسيح في الارض.

الرابع يوحنا اسقف قبرص ايضاً وقد مر ذكره في الخط الذي نقله الدويهي عن الكتاب القديم الذي كان في كنيسة القديس سركيس بحدشيت، وقد علق عليه انه نسخ سنة ١٣٥٧م في ايام البطريرك يوحنا، ويوحنا اسقف قبرص. وقد ذكره لكويان ايضاً في جملة من ذكرهم من اساقفة الموارنة.

الخامس يعقوب اسقف اهدن ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٣٦٦م وقال انه كان في جملة الاساقفة الذين قبض عليهم نائب السلطنة بدمشق وانه فر واستتر وكتب في استتاره سنة ١٦٦٧م كتاب الانجيل الذي كان باقياً الى ايام الدويهي في دير قنوبين وهو سبعة وعشرون كراساً بالسرياني والكرشوني. وذكره ايضاً المطران اسطفان عواد السمعاني في كتاب فهرست الكتب الشرقية في المكتبة الماديشية في جملة التعليقات التي نقلها عن كتاب الانجيل الذي كان في بطريركية الموارنة ونقل الى المكتبة المذكورة. وقد كتب عليه في صفحة ٢٢: «نهار السبت

١٥ من ايار سنة ١٦٧٢ يونانية (توافق سنة ١٣٦١م) يوحنا ابن سركيس من قرية بلوزا اوقف لدير قنوبين عن نفسه الكرم الفوقاني عند العين شهد بذلك يعقوب مطران اهدن والخوري سمعان» وجاء بعد ذلك خط آخر هذا هو بحروفه: «القس سمعان ابن الخوري عبد المسيح من داريا ذو الذكر الصالح اوقف لدير قنوبين اربعة عشر عرق زيتون بقرب قرية كفرشخنا في حقل الزهرة سنة ١٦٧٣ يونانية (توافق سنة ١٣٦٢م) شهد بذلك بخط يده المطران يعقوب.

السادس الاسقف حنين ذكره الدويهي في الفصل العاشر من كتاب رد التهم فقال انه بسبب حملة قبرص على الاسكندرية وبسبب حريق وقع في دمشق صدر الامر بالقبض على رؤساء النصارى فوقع من رؤساء كهنة الموارنة بيد نائب السلطنة بدمشق منهم يعقوب مطران اهدن المار ذكره والبعض الآخر فروا هاربين كما ذكر عن الاسقف حنين فإنّه سار في البحر الى قبرص، والبعض اختفوا ولم ينبئنا الدويهي من اين كان حنين واين كان اسقفاً.

السابع المطران يعقوب اللحفدي ذكره الدويهي في الفصل العاشر من كتاب رد التهم وقال انه نسخ كتاب الناموس للمطران داود الحدشيتي وذيله بالحاشية التي ذكرناها في الكلام على البطريرك داود في الفصل السابق.

الثامن المطران بطرس في دير قنوبين ذكره الدويهي مرات منها في تاريخ سنة ١٣٨٨م حيث روى ان الملك برقوق لما كان معتزلاً عن الملك زار قنوبين وأحسن القس بطرس رئيس الدير استقباله فرقاه البطريرك داود الى الاسقفية واسكنه دير قنوبين. ومنها في الخط الذي نقله عن الكتاب الذي نسخه الخوري دانيال الباني سنة ١٣٩٧م وكتب انه فرغ من نسخه في ايام البطريرك داود. وإذ كان بطرس مطراناً في دير قنوبين ثم ذكره الدويهي في مقدمة المطارين الذين كانوا سنة ١٤٠٠م.

التاسع كيرلس اسقف جاج ذكره الدويهي في تاريخه في جملة الاساقفة الموارنة الذين كانوا سنة ١٤٠٠م وفي سلسلة بطاركة الموارنة إذا استشهد خطاً موقعاً عليه من هذا المطران وغيره يتبين منه ان البطريرك داود بقي حياً إلى سنة ١٤٠٤م كما مر.

العاشر يعقوب من قنية اسقف لحفد ذكره الدويهي في جملة مطارين الموارنة

الذين كانوا في سنة ١٤٠٠م وقال فيه في تاريخ هذه السنة انه كان من قنيا وكان قاطناً بلحفد بدير السيدة المعروف بدير المرج، وانه اخذ عنه أخبار الجماعة التي كانت بسورية تلك السنة.

الحادي عشر بطرس ابن القس سمعان (وقال في تاريخ سنة ١٤٠٣م ابن الخوري سمعان) اسقف اهدن ذكره الدويهي في جملة الاساقفة الذين كانوا سنة ١٤٠٠م ويظهر انه بقي حياً سنة ١٤٠٤م إذ روى الدويهي ايضاً في سلسلة بطاركة الموارنة الخط الذي دونه كيرلس اسقف جاج والخوري اليشاع الناسك ومما قيل فيه انه في هذه السنة كان بطرس مطراناً على اهدن.

الثاني عشر داود بن جوسلين الحدشيتي وقد جاء ذكره في جملة اساقفة الموارنة سنة ١٤٠٠م. وفي الذيل الذي كتبه المطران يعقوب اللحفدي على كتاب الناموس الذي نسخه للمطران داود بن جوسلين الحدشيتي. وقد روى الدويهي في تاريخ سنة ١٤١٩م ان هذا الاسقف توفي في السنة المذكورة في ١٦ شباط.

هذا ما أمكن التوصل إلى معرفته من اسماء هؤلاء الاساقفة الموارنة في القرن الرابع عشر.

مقالة ثامنة

تاريخ الموارنة في القرن الخامس عشر

عد ٤٢

بعض مقدمي الموارنة في القرن الخامس عشر وما كان في ايامهم

كان حكام الموارنة في هذا العصر يسمون مقدمين وممن عرفنا شيئاً من اخبارهم في هذا القرن يعقوب ابن ايوب مقدم بشري، فقد ذكرنا قبلاً ان الملك الظاهر برقوق نصبه مقدماً على بشري. وروى البطريرك اسطفانوس الدويهي في تاريخه انه بقي حاكماً إلى ان توفي سنة ١٤٤٤م وكانت مدة ولايته ٦٢ سنة وخلفه في

المقدمية اولاده المقدمون سيفا وقمر ومزهر وزين وبدر على ما في تاريخ الدويهي المطبوع بيروت. ولكن في النسخة الخطية التي لدينا من هذا التاريخ: «سيفا وهو زين (اي الملقب بزين) وقمر وهو بدر ومزهر واجروا العدالة في حكومتهم. فاستراح اهل البلاد في ايامهم كما كانوا في ايام والدهم.

وأما اولاد المقدم يعقوب فبعد وفاة احدهم سيفا خلفه في المقدمية ابنه عبد المنعم الاول ثم توفي سنة ١٤٦٩م فخلفه رزق الله ابن اخيه جمال الدين بن سيفا ابن يعقوب، ثم توفي رزق الله هذا سنة ١٤٧٢م وخلفه ابن اخيه عبد المنعم الثاني ايوب بن عساف ابن جمال الدين. هذا ما رأيناه في النسخة التي لدينا من تاريخ الدويهي. ونرى هذه الرواية اصح مما جاء في التاريخ المطبوع من ان وفاة رزق الله كانت سنة ١٤٦٢م دون ذكر ولايته ولا ولاية عبد المنعم الاول، ومع ذكر وفاته مرة اخرى سنة ١٤٧٢م. قال البطريرك الدويهي أنه في ايام هؤلاء المقدمين استتبت الراحة بلبنان وكثر العمران وانشئت الكنائس والمدارس حتى كان في قرية الحدث ستماية زوج بقر، وفي الحارة العليا من اهدن سبعون بغلاً. وقد احصينا اسماء من كانوا من النساخ في ذلك العصر ممن وقفنا على كتبهم فاذا هم ينيفون على مئة وعشرة نساخ. وفي ذلك الوقت اهملوا الخط الاسترانكالي المربع وتمسكوا بالسرياني المدور، ولما ظهرت اخبار ما ساد بلبنان من الامن والراحة قصده كثيرون من البلاد البعيدة للسكنى فيه مثل اولاد جمعه الذين تركوا عين حليا وتوطنوا في بشري، واولاد ايليا واخوهما الشدياق جرجس اولاد الحاج حسن انتقلوا من نابلس إلى حدشيت، والقس يعقوب ورفقاؤه هاجروا من الحبشة وترهبوا في دير مار يعقوب باهدن، ولذلك سمي دير الاحباش اضافة اليهم.

وفي سنة ١٤٧٨م وقع الشقاق في جبل لبنان بسبب المقدم عبد المنعم ايوب المار ذكره، فإن عبد المنعم هذا تعلم القراءة في ايام عمه المقدم رزق الله عند كاهن يعقوبي، ولما توفي عمه وخلفه في المقدميّة كان يتردد اليه تاجر اسمه موسى بن عطشه (كذا في نسخة تاريخ الدويهي التي لدينا، وكانت بيدي ذي الذكر الصالح البطريرك بولس مسعد مصححة بيده لا عطية كما في طبعة هذا التاريخ). وكان سوسى المذكور مغوياً ببدعة الطبيعة الواحدة وقد اشعر ان المقدم كان فاتراً في دينه فأرسل اليه هدايا مع قسوس يعاقبة بفرصة عرسه، وهم اكثروا من الهدايا له والتودد اليه، فأحبهم وبنى لهم كنيسة بقرب داره على اسم برصوما. واتفق حينئذٍ ان اقدم

من القدس القس نوح البقوفاوي (الذي ذكرنا ترجمته وسكن في الفراديس بأرض قرية بان واغوى بعض الاميين في عقائد الايمان، واستهواهم الى التعلم والرهبانية عنده، منهم عيسى وابن شعبان من حردين وموسى واخوه حنا ابنا ابراهيم ابن الحاج موسى من بقوفا، وسيما وابنه جرجس من لحفد، وموسى من قرية موسى، ودس فيهم سم بدعة اليعاقبة وسعى بارتقائهم إلى درجة القسوس على يد استاذه ديوسقوروس اسقف بيت المقدس فصاروا يرسمون اشارة الصليب باصبع واحدة دلالة على الطبيعة الواحدة، ولا يذكرون في شملاية القداس إلا ثلاثة مجامع. ولما بلغ خبرهم إلى البطريرك بطرس الحدثي ارسل اليهم كهنة ورؤساء كهنة ينهونهم عن هذا الطغيان فلم ينتهوا وحمى جانبهم المقدم عبد المنعم والغرباء الذين قدموا من صفد ونابلس والحبشة، وعظم الشقاق في البلاد وتهدد المقدم عبد المنعم من اعترض لهم بالنفي من بلاده وضبط املاكه.

إلا انه في سنة ١٤٨٨م مل يعقوب اسقف اهدن واهلها من انذار القس يعقوب والاحباش القاطنين بدير مار يعقوب باهدن ليرعووا عن ضلالهم وعن بثه بين العامة فلم يقلعوا عن غيهم، فرَقّوا إلى درجة الاسقفية ابراهيم بن حبلص وانزلوه عليهم في الدير فلم يتحملوه ليحكم فيهم، فرحلوا إلى وادي حدشيت وجعلوا نفوسهم تحت حماية الشدياق جرجس ابن الحاج حسن، وأسكنوا في دير مار جرجس وسمي دير الاحباش اضافة اليهم، فشق امرهم على الشدياق جرجس الذي كان شيخ حدشيت وعلى المقدم عبد المنعم، ولما لم تكن لهم مقدرة على مناوأة اهل اهدن استنجدوا باولاد زعزوع مقدم بشناتا فجمع هؤلاء رجال الضنية وقصدوا اهدن في صباح الاحد، وعلم اهل اهدن بقدومهم فأقاموا لهم كميناً في حمينا، ولما نزل رجال الضنية من الجبل وثب عليهم الكمين فأهلك كثيرين منهم. وتتبع اهل اهدن من بقي منهم فيهم الى مرجة تولا ولما علم اليعاقبة بذلك ضربتهم ايدي سبا وتشتت شملهم، وفر بعضهم إلى حردين وبعضهم إلى كفرحورا وبعضهم ساروا الى قبرص، وارتحل القس يعقوب ورفقاؤه إلى دير مار موسى في البرية.

وفي سنة ١٤٩٣م عاد جبرائيل ابن القلاعي اللحفدي من اوروبا اذ كان قد انضوى إلى رهبانية القديس فرنسيس سنة ١٤٧١م وارسلوه إلى احد اديارهم لاقتباس العلوم، وعند عودته اخذ ينصح ويعلم من كانوا على غير هدى او اميين،

ويخاصم من زاغوا عن الايمان ويندد بهم بخطبه ورسائله واشعاره. ومنها قصيدة لأهل بشري يقول فيها مخاطباً هذه القرية:

وانت من شار عليك حتى دخل يعقوب فيك
من تجديفه حل عليك غضب الله في ذاك الآن
فاذاً توبي يا حره واطردي الغربا إلى برا
ويعقوب جسمه يتهرى ومارون اقبليه في الاحضان

ثم كتب في سنة ١٤٤٩م كتاباً سماه مارون الطوباوي وأنفذه إلى البطريرك سمعان الحدثي واساقفته يثبت فيه اتحاد الملة المارونية في كل وقت بالكنيسة الرومانية، ويفند زعم من قال ان الموارنة فرقة من اليعاقبة.

وفي سنة ١٤٩٥م توفي المقدم عبد المنعم ايوب فظهر ان الله عاجله بالمنية كيلا يتأصل الشقاق في جبل لبنان، وتولى المقدمية على بشري بعده ولده جمال الدين يوسف، وكان راسخاً في الايمان القويم وامرأته اصلحت كنيسة مار حوشب في بقاعكفرا عندما خربت حنيتها.

وافادنا الدويهي ايضاً انه كان في العاقورة في اواسط هذا القرن خليل بن مقلد على العاقورة وبنى القبو الذي عند عين القرية وأقام فوقه برجاً.

عد ٤٣

بطاركة الموارنة في القرن الخامس عشر

فرغنا من الكلام في بطاركة الموارنة في القرن الرابع عشر بذكر البطريرك داود المسمى يوحنا، وقلنا انه توفي سنة ١٤٠٤م. قال لكويان ذكر الدويهي ان داود خلفه يوحنا العاشر وكان من جاج ولا يعلم هل خلفه بعد وفاته او فرغ الكرسي البطريركي زماناً طويلاً إلى ان انتخب يوحنا الجاجي المذكور. والمعلوم انه لما وصلت اليه رسالة البابا اوجانيوس الرابع للدعوة إلى المجمع الفلورنسي ارسل الاب جوان (يوحنا) رئيس رهبان القديس فرنسيس في بيروت الى البابا يحقق له طاعته للكرسي الروماني وخضوعه لكل ما يسنه المجمع ويلتمس درع الرئاسة وتثبيته في

بطريركية انطاكية على الموارنة. قال الدويهي (فصل ١١ من كتاب رد التهم) ان هذا البطريرك كان قد تولى رئاسة الكرسي الانطاكي قبل انعقاد المجمع المذكور لكنه لم يستطع ان يستمد التثبيت من رومة بسبب ما كان من المخاوف والمخاطر على من يسافر بحراً ولعدم وجود من يحسن معرفة اللغات الفرنجية إلى ان حضر اليه الاب يوحنا المذكور، وأعلمه بنهاية مدة رئاسته وإزماعه على السفر إلى رومة فاوفده البطريرك الى الحبر الروماني ورفع اليه معه عريضة مشفوعة بعرائض اخرى من الاساقفة واعيان الملة يجاهرون فيها تثبيتهم بعرى الايمان الكاثوليكي المقدس وباذعانهم لكل ما يسنه المجمع ويلتمسون تثبيت بطريركهم. قال المطران جبرائيل ابن القلاعي في الكتاب الذي رفعه إلى البطريرك سمعان الحدثي سنة ١٤٤٩م: «ان ايمانكم وخطوط ايديكم منذ مئتين وثمانين سنة وصاعداً محفوظة برومة وهي المرسلة على يد فراغريفون وفرا اسكندر وفرا سمعان ومن قبلهم على يد فرا يوحنا رئيس دير بيروت، ووكيل بطريرككم يوحنا الجاجي الى مجمع فلورنسة ومن قبله الخ» فثبّت البابا اوجانيوس يوحنا الجاجي في بطريركية انطاكية وأرسل اليه صحبة قاصده تاجاً ودرعاً. وقال المطران جبرائيل ابن القلاعي في ذلك:

يوحنا الجاجي كان بطريك اقتبل من البابا تاج وتبارك

بعث للمجمع ولم يتحرك وثبته لمارون في رعيان

ولما رجع قاصد البطريرك، انحدر الشعب الى لقائه في طرابلس بمسرة وابتهاج فتوهم نائب المدينة انه جاسوس من قبل الفرنج فقبض عليه وعلى رفقته وأودعهم السجن، وعرف البطريرك ذلك وكان قاطناً بدير سيدة ميفوق في وادي ايليج من اعمال البترون فأرسل قوماً من اعيان الملة ليوقفوا النائب على الحقيقة ويزيلوا ما توهمه فأخرجوا القاصد ومن كان معه من السجن بكفالة، فصعد فرا يوحنا الى دير ميفوق وبلغ البطريرك رسالة البابا والبسه درع الرئاسة ثم سار إلى بيروت فطلبه نائب طرابلس فلم يجده فحنق حنقاً شديداً وأرسل عسكراً في جلب البطريرك والكفلاء فانهزموا، فنهب العسكر الدير واحرقوا البيوت وقتلوا كثيرين، واخذوا البعض مقيدين بالسلاسل الى طرابلس ومنذ ذلك الحين هجر البطريرك دير ميفوق وأقام بدير قنوبين تحت حماية يعقوب مقدم بشري المار ذكره.

ثم دعا البطريرك احد رهبان القديس فرنسيس اسمه بطرس من فرارا وارسله

الى البابا اوجانيوس في شهر آب سنة ١٤٤٠م، وكتب اليه معه رسالة ضمنها الشكر لتكرمه عليه بالتثبيت وتحقق طاعته وطاعة امته للكرسي الرسولي في كل وقت، والخبر عما جرى لهم عند وصول قاصده إلى طرابلس وما قاسوه من الاضطهاد لذلك، فأرسل اليه الحبر الروماني الجواب مؤرخاً في ثاني كانون الاول من سنة ١٤٤١م. وسنذكر رسالة البابا اوجانيوس هذه في محل اخر ثم توفي البطريرك يوحنا الجاجي في دير قنوبين سنة ١٤٤٥م وهو اول من سكن دير قنوبين من بطاركة الموارنة. وخلفه يعقوب الثاني الحدثي. قال لكويان نقلا عن البطريرك اسطفانوس الدويهي في اليوم التاسع بعد وفاة البطريرك يوحنا الجاجي اجتمع الاساقفة ورؤساء الاديار واعيان الشعب في دير قنوبين وانتخبوا يعقوب بن عيد من الحدث بطريركاً وكان منذ صغر سنه قد تربى في السيرة الملكية بمحبسة القديس سركيس شرقي دير مار يوحنا المعروف بدير مار ابون، وكان لرئيس هذه المحبسة الرئاسة على جميع الحبساء في جبة بشري. وبعد انتخابه ارسل قاصداً الى البابا اوجانيوس الرابع يسأله ان يمن عليه بتثبيته في البطريركية وبارسال درع الرئاسة. واتفق ان مات البابا اوجانيوس الرابع سنة ١٤٤٧ فارسل اليه البابا نيقولاوس الخامس براءة التثبيت وكانت محفوظة في دير قنوبين في ايام البطريرك اسطفانوس الدويهي، وربما هي اليوم باقية في الكرسي البطريركي، وربما كانت هي البراءة التي روى الدويهي في تاريخه ان البابا نيقولاوس الخامس ارسلها سنة ارتقائه الى الحبرية الى هذا البطريرك يطلب اليه ان يدعو له وان يوصي شعبه ليقتدوا باسلافهم في المحافظة على الاتحاد بالكنيسة الرومانية، وانه إذا احتاج الى شيء فليستشر اندراوس اسقف الافقسية بقبرص فهو نائبه بهذه الجزيرة ثم توفي البطريرك الحدثي في ٨ شباط سنة ١٤٦٨م.

ومن التعليقات على كتاب الاناجيل القديم الذي كان في بطريركية الموارنة وهو الان في المكتبة الماديشية ما نقله المطران اسطفان عواد السمعاني عنه في كتابه فهرست الكتب الشرقية في المكتبة المذكورة وهو بحروفه: «لما كان تاريخ سنة ١٧٧٣ من سنين اسكندر (سنة ١٤٦٢م) اوقف البطرك يعقوب العصا البور للدير المبارك قنوبين، وعن الاب البطريرك بطرس اي من خرجها من الدير المبارك، او قالها انها له او يرهنها او يبيعها يكون محروم مفروز مغضوب ومسخوط من الله ومن كرسي مار بطرس ومن جميع الكراسي ومن حقارتنا». وورد ذكر هذا البطريرك

في خط اخر على هامش الكتاب المذكور صفحة ١٩ وهو بحروفه «لما كان تاريخ سنة ١٧٧٢ من سنين اسكندر اليوناني سنة ١٤٦١م) اوقف الخوري جرجس والخوري هلال القاطنين في دير حوقا اوقفوا من تعبهم وعرق جبينهم للدير المبارك سيدة قنوبين الدست الكبير وجعلوه تذكاراً صالحاً عن نفسهم في الدنيا والاخرة ورحمهم الله آمين... وكان الوقف في ايام ابونا ومعلمنا ورئيسنا وتاجنا ومدبرنا البطريرك مار يعقوب الحدثي رحمه الله ويرحمنا في بركة صلاته آمين.

والناتج من هذين الخطين ان البطريرك يعقوب الحدثي استمر حياً إلى ما بعد سنة ١٤٦٢م لانه توفي سنة ١٤٨٥م كما في تاريخ الدويهي المطبوع. وفي النسخة المخطوطة التي لدينا وأظن ان المرحوم البطريرك بولس مسعد اغتر لهذه النسخة حتى جعل وفاة البطريرك يعقوب الحدثي سنة ١٤٥٨م ومثله طابع تاريخ الدويهي. واظن ايضاً نقل كلامه عن الدويهي ومع ذلك عين لوفاته سنة ١٤٦٨م كما ذكرناها عنه وايد رأينا الخطان المذكوران.

وفي اليوم التاسع بعد وفاة البطريرك يعقوب اجتمع الاساقفة والرؤساء والاعيان فانتخبوا الاسقف بطرس بطريركاً وعرفه الدويهي في تاريخه بانه بطرس ابن يوسف ابن يعقوب الشهير بابن حسان. وقال في الفصل ١٣ من الاحتجاج انه كان اخا البطريرك يعقوب المتوفي وأرسل البطريرك والأساقفة، وفرا غريفون الذي قدمنا ترجمته الى البابا بولس الثاني يلتمسون اثبات البطريرك ومنحه درع الرئاسة. هذا ما رواه الدويهي ونقله عنه لكويان واردفه بقوله ان في كتاب وصف الارض المقدسة لكوارزميوس (في اخر المجلد ٢) رسالة من البابا بولس الثاني الى هذا البطريرك مفتتحة: «بولس الاسقف عبد عبيد الله الى الاخ المحترم بطرس بطريرك الموارنة المسمى انطاكياً السلام والبركة الرسولية ان اله القوات القادر على كل شيء» إلى ان يقول: «ولما كنا لا نشك في انك مستعد لقبول هذه التعاليم وغيرها من الاوامر الرسولية بِدِعَةٍ وطيبة خاطر قد اردنا اقتفاء بآثار اسلافنا الصالحي الذكر اينوشنسيوس الثالث وأوجانيوس الرابع ان نثبت انتخابك ونسميك ونرقيك الى رئاسة كنيسة الموارنة الانطاكية وان نؤيد كل ما كان قبلاً ونثبت جميع الحقوق والعادات الممدوحة الآئلة لنفعك ونفع اسلافك وفائدة الطائفة المارونية... ونسلم اليك الاهتمام بهذه الطائفة في الروحيات والزمنيات.

اعطي بروما حذاء كنيسة القديس بطرس في شهر آب سنة ١٤٦٩م وهي الخامسة لحبريتنا.

ومن الخطوط المعلقة على كتاب الاناجيل المذكور خط علق على صفحة ٢٠ منه وهذا هو بحروفه. «لما كان تاريخ سنة ١٨٠٤ يونانية (سنة ١٤٩٣م) اوقف الاب البطريرك بطرس بن داود بن حسان من قرية الحدث البدلة الحمرا وايضاً العصاة والعكاز الفضة واوقفهم بعد موته عن نفسه لدير الست السيدة قنوبين فأي من يرهنهم او يبيعهم او يشتريهم او يخرجهم من الدير بغير رجعة تكون هذه الحرومات المذكورة حالة عليه وعلى هامته، ويكون ممنوع محروم مفروز مغضوب مسخوط من الله تعالى ومن كرسي مار بطرس رئيس التلاميذ ومن جميع الكراسي ومن حقارتنا. وشهد على ذلك الاب المطران جرجس من جاج شهد بذلك الاب الخوري سمعان ابن عميد من قرية الحدث. شهد بذلك الاب الخوري يعقوب من قرية الحدث شهد بذلك العبد الحقير كاتبه دانيال.

قال لكويان توفي البطريرك بطرس في ١٢ شباط سنة ١٤٩٢م والذي في تاريخ الدويهي انه توفي في ١٢ تشرين الاول سنة ١٤٩٢م ولا تعلم اي الروايتين هي الاصح والظاهر من الخط المذكور انه لم يكن حياً سنة ١٤٩٣ لان البطريرك بن داود هو البطريرك سمعان الآتي ذكره لا بطرس بن يوسف الذي كان قد توفي قبلاً.

وفي اليوم التاسع بعد وفاة البطريرك بطرس اجتمع الاساقفة وانتخبوا خلفاً له الاسقف سمعان الحدثي ابن داود بن يوسف بن حسان الحدثي وهو ابن اخي البطريرك بطرس، وبعد انتخابه بطريركاً ارسل يطلب تثبيته وفصل الدويهي ذلك في الفصل الخامس عشر من كتاب رد التهم عن الموارنة فقال ان هذا البطريرك لم يفتر بعد انتخابه بطريركاً من ارسال الرسائل إلى رومة يطلب تثبيته على يد الاب فرنسيس سوريانوس رئيس اديار القدس، ونائب البابوات اسكندر السادس وبيوس الثالث ويوليوس الثاني ولاون العاشر، وعلى يد الاب ارسان والاب اسكندر من رهبان القديس فرنسيس اللذين كانا قد حضرا الى البطريرك، إلا انه لم يأته الجواب بسبب ما كان حينئذ من اخطار السفر بحراً، والحروب في بلاد الشام، وتعاقب البابوات في مدة يسيرة. ففي سنة ١٥١٣م ارسل البطريرك كاهناً اسمه بطرس الى

الاب مرقس رئيس رهبان القديس فرنسيس في بيروت يستلم منه عن وقت عود السفن الراسية في مرفأ بيروت الى اوروبا ليرسل معها رسالة يطلب بها التثبيت. فعند وصول القس بطرس إلى بيروت كانت تلك السفن متحفزة للسفر وقد رفعت اناجرها فاقنع الرئيس القس بطرس ان يسافر الى رومة مع تلك السفن ودفع اليه كتاباً الى البابا لاون العاشر اخبره به ان الامة المارونية هي من اقدم الايام مطيعة للحبر الروماني في كل شيء، وان بطريركها ارسل عدة دفعات يطلب التثبيت فلم يتيسر له نيله، وذكر له اضطرار سفير البطريرك ان يسافر بغتة. وسأل ولما لم يستطع ان يجيب البابا وآل مشورته عما سئل عنه ارجعوه إلى بيروت برسالتين احداهما إلى البطريرك والثانية الى رئيس رهبان القديس فرنسيس في بيروت وانتخابهم البطريرك، وهل عندهم براءة او رسائل من الاحبار الرومانيين السالفين.

وفي بداية سنة ١٤١٤م عاد القس بطرس الى لبنان وأرسل البطريرك يخبر الاب فرنسيس سوريانوس والاب مرقس رئيس دير بيروت بما كان فسار الاب فرنسيس الى قنوبين وصحب معه ترجماناً فترجم رسالة البابا الى العربية وكتب البطريرك الجواب مشيعاً إلى البابا فترجم الى اللاتينية. قال الدويهي ونسخة هذا الجواب اللاتينية لم تزل مصونة عندنا إلى الآن وهي تتضمن اولاً الاقرار بأن الله واحد مثلث الاقانيم وان كلمة الله تجسد وتألم ومات وقام في الجسد الذي اخذه من مريم. ثانياً ان انتخاب البطريرك الجديد يكون باجتماع رؤساء الكهنة واعيان الشعب. ثالثاً انهم يقدسون الميرون على الطريقة القديمة. رابعاً شرح الرتب البيعية والحلل الكهنوتية وما تشير اليه. خامساً ان جميع البطاركة الذين سلفوا قبله كانوا خاضعين لصاحب الكرسي الروماني مع شعبهم كافة. سادساً طلب التثبيت لنفسه مع بدلة كاملة وصليب وخاتم واوجه للمذبح واربعة دروع للشمامسة على شبه التي ارسلها قديماً البابا اينوشنسيوس الثالث ثم اوجانيوس الرابع. سابعاً ان يرسل حيناً بعد حين رجالاً فضلاء علماء لافتقاد الموارنة وتوثيق عرى الاتحاد بينهم وبين الكنيسة الرومانية. ثامناً ان يمنع اسقف الفرنج في قبرص عن التعدي على اوقاف الموارنة في هذه الجزيرة. تاسعاً ان يوصي حكام قبرص من البنادقة ان يعاملوا بالرقة واللين من لجأ اليهم من النصارى. عاشراً ان يكتب رسالة الى المقدم الياس المدعو عساف بن يوسف من بشري لتكون له الغيرة على جماعته اهل لبنان. حادي عشر ان يمنح بعض الغفارين الكاملة للموارنة تنشيطاً لهم وانهاضاً لهمتهم في بناء الكنائس.

ثم بعث البطريرك مع قاصده إلى الحبر الروماني ست براءات من البراءات التي ارسلها اسلافه إلى بطاركة الموارنة اعني براءة البابا اينوشنسيوس الثالث الى البطريرك ارميا في سنة ١٢١٥م، وبراءة البابا اسكندر الرابع الى البطريرك شمعون سنة ١٢٥٦م، وبراءة اوجانيوس الرابع الى البطريرك يوحنا الجاجي سنة ١٤٣٩م، وبراءة البابا نيقولاوس الخامس الى البطريرك يعقوب الحدثي سنة ١٤٤٧م، وبراءة البابا كاليستوس الثالث الى البطريرك المذكور سنة ١٤٥٥م، وبراءة البابا بولس الثاني الى البطريرك بطرس الحدثي سنة ١٤٦٤م. وكانت عريضة البطريرك مؤرخة في ٨ من اذار سنة ١٥١٥م. وكتب الاب سوريانوس ايضاً الى الحبر الاعظم مصادقاً على ما عرضه البطريرك من صحة عقيدتهم وثبوتهم في الايمان الكاثوليكي.

وسار القس بطرس راجعاً إلى رومة ورفع الى البابا لاون العاشر ما كان معه من الرسائل فسرَّ بها واجاب البطريرك في اليوم الاول من آب سنة ١٥١٥م ومما قاله في جوابه: «قد سررنا وطابت نفسنا بتلاوة رسائلك وسماعها وامتلأ فؤدانا طرباً لا يوصف، فترتب علينا ان نمجد الله تعالى ونشكره بمجموع قوانا على ما اولاكم من نعمه وسوابغ آلائه لانه اصطفاكم من بين كنائس المشرق لتعبدوه بايمان وصانكم في بهرة الكفر والبدع كما صين الورد بين الشوك ليتمجد اسمه بين غير المؤمنين، وقد تشبثتم بعادات الكنيسة الجامعة الرومانية وبرتبها بنقاوة لا ريب فيها ولم تزيغوا عن الايمان بالمسيح بسبب الضيم والضنك والاضطهاد الذي يلم بكم على ما علمنا من كتابكم، ورسالة الاب فرنسيس سوريانوس واثبته في البطريركية، وأرسل اليه مع القس بطرس المذكور درع الرئاسة وأوصاه ان يكون للموارنة مكان الراس وهم مكان الاعضاء، وامره ان لا يستعملوا في الميرون إلا الزيت والبلسم، كما تسلمت الكنيسة من الرسل الاطهار وكما تعهد قديماً البطريرك ارميا في ايام اينوشنسيوس الثالث ان يكون تقديس الميرون كل سنة يوم خميس الاسرار، وان يعتقدوا ان الروح القدس ينبثق من الاب والابن كمن مبدأ واحد، وان يتناولوا القربان الاقدس ولو مرة في الفصح. وأرسل تاجاً مرصعاً وغفارتين احداهما قرمزية والاخرى مخملية حمراء وبطراشيلين، وغطا للمذبح من مخمل احمر مزركش وستاراً للكرسي، وزناراً من حرير وقميصاً، وبعث ايضاً لشمامسته مدرعتين ممرعزتين ومدرعتين حمراوين مزركشتين.

ثم كتب لاون العاشر اليه رسالة اخرى في اول ايلول من السنة المذكورة اعلمه

فيها انه ارسل كتاباً الى ليوندروس امير البندقية اوصاه فيه بالموارنة القاطنين بقبرص وكتاباً اخر إلى المقدم الياس الماروني يوصيه فيه بالغيرة على امور الدين وبالاجتهاد على نجاح طائفته، وكتاباً آخر الى مطران الافقسية ينهاه به بأمر الطاعة على الاعتداء. وكتب اعلاماً عاماً في ان الكنيسة المذكورة وسائر اوقاف الموارنة بقبرص يكون وليهًا بطريرك الموارنة، وان من اعتدى عليها يسقط بالحرم، وان كان المعتدي اسقفاً فيكون مربوطاً. ثم منح غفراناً كاملاً مؤبداً لكل من يزور كنيسة الكرسي البطريركي في عيد انتقال العذرا وعيد ميلاد يوحنا المعمدان وعيد الرسولين بطرس وبولس وعيد ارتفاع الصليب إذا اعترف وتناول القربان الاقدس واحسن بشيء إلى الكرسي البطريركي، وفوض المعرفين ان يحلوا من الخطايا المحفوظ حلها للرؤساء وان يبدلوا النذور باعمال اخرى صالحة ما خلا نذري العفة ودخول الرهبانية. وعاد القس بطرس بهذه المنح الى البطريرك فكان ذلك موجباً للسرور والابتهاج للبطريرك والملة جمعاء.

وفي السنة المذكورة انتهت مدة رئاسة الاب يوحنا من رهبانية القديس فرنسيس على دير بيروت فتوجه إلى البطريرك سمعان الى قنوبين وأقام عنده بضعة ايام، فأرسل البطريرك معه إلى رومة الخوري يوسف وراهبين ليتعلما اللغة اللاتينية والعلوم وصحبهم برسالة الى البابا فبلغوا المدينة العظمى حين انعقاد المجمع اللاتراني الخامس فتليت رسالة البطريرك بالعربية ثم ترجمتها الى اللاتينية في المجمع، ودونت في اعمال المجلس الحادي عشر منه، وأمر البابا بأن ينزلوا عند الكردينال ستاكروس عند كنيسة مار اغوسطينوس، وعند ما طلب الخوري يوسف ان يقدس امر الكردينال بأن يفحص كتاب القداس فلم يوجد في رومة من يحسن اللغة السريانية إلا رجل اسمه تاسيوس امبروسيوس كان يعرف هذه اللغة بسبب مخالطته للعبرانيين. هذا ما رواه الدويهي في كتاب الاحتجاج وكان قد روى في تاريخه ان تاسيوس المذكور درس السريانية على قصاد البطريرك، والعبرانية على رجل يهودي حينئذ اخذ الاوروبيون يدرسون السريانية.

ولما توفي البابا لاون العاشر سنة ١٥٢١م وخلفه البابا اوربانوس السادس ارسل البطريرك شمعون اليه القس موسى العكاري رئيس دير حوقا والراهب الياس بن زرزور الحدثي ناظر املاك دير قنوبين، فحلّا برومة عند الكردينال. برنردينوس سنتاكروس اسقف استيا، ثم رفعا الى البابا عريضة البطريرك فتقبلهما البابا بالبشاشة

والاعزاز وارسل الى البطريرك الجواب مؤرخاً في ٢٢ تشرين الثاني ١٥٢٢م ومما قاله فيه انه تحقق صحة ايمانه وايمان شعبه ليس من رسالته فقط بل مما شهد به ايضاً القصاد الذين ارسلهم اليه البابا لاون العاشر، فانهم قرروا ان الموارنة لا يختلفون بشيء عن الكنيسة الرومانية ولذلك يشكر الله على ما انعم به على الموارنة ويسأله تعالى ان يباركه ويبارك مطارينه وأساقفته وكهنته وشمامسته وجميع الشعب الماروني الكاثوليكي، وارسل الى البطريرك مع قاصديه بدلتين واربعة دروع مزركشة وبطراشيلين وزندين مزركشين وكتونة بيضاء، وكفاً وبشخوناً وتاجاً مرصعاً بلؤلؤ وغفارة ومعقداً من مخمل، وأوجهاً للمذابح مزركشة بتصاوير وغطاء كأس مذهباً، وزناراً بشماريخ، وخاتماً للبرشان وكتاب ناموس افرنجي. وبعد وصول القاصدين الى قنوبين رفع البطريرك عريضة الشكر للحبر الروماني ورقى القس موسى العكاري الى الاسقفية، فكان خليفته في البطريركية كما سترى. ثم توفي البطريرك سمعان الحدثي في ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٥٢٤م وعمره نحو مئة وعشرين سنة.

ومن الخطوط المعلقة على كتاب الاناجيل المذكور ونقلها عنه المطران اسطفانوس عواد في كتابه فهرست الكتب المشرقية التي في المكتبة الماديشية خط علق على صفحة ١٩ من الكتاب المذكور وهو لما كان تاريخ سنة ١٨٢٧ يونانية (توافق سنة ١٥١٦م) ارسل البطريرك بطرس ܒܪ ܕܘܝܕ ܕܡܬܩܪܐ ܒܪ ܚܣܢ ܡܢ ܩܪܝܬܐ ܡܒܪܟܬܐ ܚܕܬ ܘܫܕܪ ܠܗ ܦܦܐ ܕܪܘܡܝܐ (اي بطرس ابن داود المسمى ابن حسن من قرية الحدث المباركة وارسل له بابا رومة) على يد رهبانه فرنسيسكو رئيس القدس وترجمانه اول الحوائج وجه المذبح وثانيهم كف وحذاء مزركش، ويعددها ما بقي مما ذكرناه من البدلات والغفارات والتاج إلى ان يقول ان من هدايا البابا جوختين [illegible] (لمقدم الموارنة المسمى الياس ابن يوسف وكذلك عشر جوخ لصبيان الدير».

وعلق على صفحة ٢٢ من الكتاب المذكور خط آخر هذا هو بحروفه: «في سنة ١٨٠٦ يونانية (توافق سنة ١٤٩٥م) البطريرك بطرس بن داود بن حسن اشترى بقرية حدث لدير قنوبين من يوحنا بن يوسف بن ابراهيم من قرية عبدين حقلة فيها خمسين عرق زيتون وحدودها من الشرق: الدرب. من الغرب: العرقوب. من القبلة: كرم يوحنا المذكور. من الشمال: حقلة الجمال ومن يجاسر ويفسد هذا المشترى غضب

والدة الله يحل عليه. شهد بذلك المطران جرجس، والخوري سمعان والخوري يعقوب». وهناك خط آخر: لما كان تاريخ سنة ١٨٢٢ يونانية (توافق سنة ١٥٢١م) انقطع حجر طاحون بقرية بان وانتقل إلى طاحون دير قنوبين وكلف مابة غرش بأيام ابينا بطرس (سمعان) البطريرك الانطاكي والمطارين يعقوب الحدثي وجرجس. والا يخفى على القراء ما في ذكر هذه الخطوط من الفائدة في اثبات بطريركية البطريرك سمعان المذكور وتعيين مدتها فضلاً عن الفكاهة بذكر هذه الامور القديمة.

عد ٤٤

من نعرفهم من مطارين الموارنة في القرن الخامس عشر

نعرف من هؤلاء الاساقفة

الاول: المطران بطرس ابن الخوري سمعان من اهدن كان مترئساً على هذه البلدة في سنة ١٤٠٤م ذكره البطريرك اسطفانوس الدويهي في تاريخ هذه السنة.

الثاني: المطران سمعان من قرية مشمش من عمل جبيل ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٤٤٠م وقال انه سار مع البطريرك عند انتقاله من دير ميفوق الى دير قنوبين عندما جعل هذا الدير كرسياً لبطريركية الموارنة.

الثالث: المطران الياس أسقف الموارنة بقبرص ذكره كثيرون منهم الدويهي. وعند اتحاد الروم بالكنيسة الرومانية في المجمع الفلورنسي اوفد الكاهن اسحق نائباً عنه الى البابا اوجانيوس الرابع، فسار تيموتاوس اسقف الكلدان الذي كان قد ارعوى عن بدعة النساطرة إلى الايمان القويم، فأثبت تيموتاوس ارتجاعه إلى الايمان الكاثوليكي باليمين، وحلف اسحق نيابة عن مطرانه الياس اليمين التي يحلفها رؤساء الكهنة في الكنيسة الرومانية على صحة ايمانهم وخضوعهم للكرسي الرسولي، فتوهم بعضهم ان المطران الياس والموارنة الساكنين بقبرص كانوا هراطقة وارعووا عن ضلالهم. وسنفرد لرد هذه التهمة الفصل التالي.

الرابع: المطران يعقوب نائب البطريرك بطرس بن حسان الحدثي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٤٥٨م وقال انه كان قائماً بمعاضدة البطريرك المذكور، وهو غير المار ذكره في احد الخطوط المثبتة آنفاً.

الخامس: المطران داود ابن المقدسي حنا ابن الاسقف داود الحدشيتي ذكره الدويهي ايضاً في تاريخ السنة المذكورة، وقال انه كان بمعاضدة البطريرك المذكور. وروى عنه في تاريخ ١٤٦٦م حصول قحط ومجاعة بسبب امحال الزروع مدة سنتين لطول القيظ، وان كان ذلك في ايام الملك الظاهر خشقدم المار ذكره.

السادس: المطران بطرس مطران اهدن ذكر الدويهي وفاته في تاريخ سنة ١٤٧٢م، ولا نظنه المطران بطرس ابن الخوري سمعان الذي روي انه كان مترئساً على اهدن سنة ١٤٠٤م، بل هو بطرس آخر توفي سنة ١٤٣٧م.

السابع: المطران يعقوب ابن رئيس اهدن (كذا في النسخة المخطوطة وفي تاريخ الدويهي المطبوع). سكن بدير مار سركيس رأس النهر وهو الذي طرد الرهبان اليعاقبة الاحباش من دير مار يعقوب اهدن.

الثامن: المطران يعقوب اسقف بشري ذكر الدويهي وفاته سنة ١٤٧٣م ايضاً.

التاسع: المطران حزقيال وكان رئيساً على دير السيدة بحوقا، وورد اليه رسالة من البابا خوسطوس الرابع في تاريخ ١١ ايار سنة ١٤٧٤م وتوفي سنة ١٤٨٩م.

العاشر: المطران سمعان بن داود بن يوسف الحدثي رقاه عمه البطريرك بطرس الحدثي الى اسقفية العاقورة واليموني سنة ١٤٨٠م، وسكن بدير قنوبين ثم خلف عمه البطريرك بطرس كما مر.

الحادي عشر: المطران سمعان بن ظريفة، ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٤٨٢م وقال انه انتقل من المنيطرة الى العاقورة من جور المستراحية الذين تقووا بالمنيطرة وعزلوا اولاد قصاص من المشيخة.

الثاني عشر: المطران ابراهيم بن حبلص من اهدن ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٤٨٨م قائلاً: ان المطران يعقوب اسقف اهدن واعيانها سعوا بترقيته إلى الاسقفية وانزلوه على الرهبان الاحباش اليعاقبة المقيمين بدير يعقوب اهدن حتى رحلهم عنه.

الثالث عشر: المطران يوسف اسقف بشري، روى الدويهي في تاريخ سنة ١٤٩٨م انه توفي حزقيال اسقف بشري الذي قدمنا ذكره، وخلفه في هذه الاسقفية المطران يوسف.

الرابع عشر: المطران جرجس صدقني من مزرعة الحدث.

الخامس عشر: المطران يوحنا المسمى بالفرنجي.

السادس عشر: المطران تادروس العينطوري.

السابع عشر: المطران يوسف القبرصي.

ذكر الدويهي هؤلاء جميعاً في تاريخ سنة ١٤٩٤م وقال انهم كانوا مع المطارين يعقوب الاهدني وابراهيم بن حبلص ويوسف اسقف بشري وداود الحدشيتي المار ذكرهم رجال ديوان البطريرك سمعان اذ قدم لهم جبرائيل بن القلاعي كتابه في ثبوت الموارنة الدائم على الايمان الكاثوليكي وروى ان المطران تادروس المذكور الذي كان مقيماً بدير السيدة بعنتورين توفي في ٢٩ من شهر اذار ١٥٠٠م وتسلم الدير تلميذة القس وهبه.

وقد عثرنا ايضاً على اسم المطران جرجس من جاج في الخطوط المعلقة على كتاب الاناجيل المحفوظ الآن في المكتبة الماديشية منها الخط الذي ذكرناه في الكلام على البطريرك سمعان الحدثي حيث ذكر من شهود وقفه لدير قنوبين المطران جرجس من قرية جاج. وكذلك جاء ذكره بمنزلة شاهد في الخط المنبيء بشراء هذا البطريرك الزيتون في الحدث سنة ١٤٥٩م، وفي الخط الاخر المؤرخ في سنة ١٥٢١م. وجاء في الخطوط المعلقة على صفحة ٢٢ من الكتاب المذكور ذكر شهادة المطران في وقف سركيس من سرعل بستاناً لدير قنوبين سنة ١٤٩٦م ولا تعلم اهو المطران سمعان بن ظريفه المار ذكره ام هو مطران آخر؟

عد ٤٥

تفنيد رأي من زعم ان الموارنة واسقفهم الياس مطران قبرص رجعوا الى الايمان في ايام البابا اوجانيوس الرابع

قد مر في عد ٩٥١ ان البابا اوجانيوس الرابع ارسل اندراوس رئيس اساقفة رودس الى الشرق بعد نقل المجمع الفلورنسي من فلورنسا إلى رومة لتثبيت من اتحدوا بالكنيسة الرومانية في المجمع ودعوة من لم يتحدوا الى الاتحاد، وان اندراوس اتى الى قبرص فرد تيموتاوس مطران الكلدان من بدعة نسطور إلى الإيمان

الكاثوليكي، فتلا دستور ايمانه بحضرة اندراوس المذكور، وان الياس مطران الموارنة في هذه الجزيرة تلا دستور ايمانه ايضاً، ثم سار تيموتاوس إلى رومة وارسل المطران الياس اليها كاهناً اسمه اسحق لينوب عنه لدى البابا اوجانيوس في تقرير ايمانه الكاثوليكي. وبعد وصولهما إلى رومة كرروا تلاوة دستور ايمانها وحلفا على صحته سنة ١٤٤٤م بمجلس عقد في لاتران، فتوهم بعض المؤرخين ان المطران الياس والموارنة سكان قبرص وقتئذ كانوا ضالين ضلال مكاريوس بأن في المسيح مشية واحدة وفعلا واحداً فارعووا عنه حينئذ وجاوز بعضهم حد كل اعتدال وصدق، وتوسعوا من البعض إلى الكل، فزعموا ان الموارنة اجمعين اقلعوا في ذلك الحين عن بدعة المشيئة الواحدة فنفنّد زعم هؤلاء مبرئين اولاً ساحة الملة المارونية من كل ضلال واقلاعهم عنه في ذلك الحين. ثانياً تبرئة ساحة الياس مطران قبرص الماروني وشعبه القبرصي من الضلال.

تبرئة الملّة المارونية من ذلك

قد رأيت في عد ٩٥٣ ان البطريرك يوحنا الجاجي الذي عقد المجمع الفلورنسي في ايامه ارسل الى البابا اوجانيوس الاب يوحنا رئيس دير رهبان القديس فرنسيس في بيروت مصحوباً بالرسائل منه ومن اساقفته واعيان شعبه يجاهرون فيها بتشبثهم بعرى الايمان الروماني وباذعانهم لكل ما يتقرر في المجمع المذكور ويلتمسون منح البطريرك درع الرئاسة والتثبيت، فتوجه بها الاب يوحنا المذكور وقدم الرسائل الى البابا اوجانيوس المذكور سنة ١٤٣٩م وهو في المجمع بفلورنسا، فأثبت البابا البطريرك وأرسل اليه مع قاصده درع الرئاسة وتاجاً، وعاد الاب يوحنا بذلك سنة ١٤٤٠م فاستقبله الموارنة باحتفال في طرابلس، فتوهم نائب المدينة ان القاصد جاسوس، فحبسه ومن كان معه، فكفله بعض ابناء الملة واخرجوه من السجن. ثم طلبه النائب فلم يحضر فارسل عسكراً إلى ميفوق حيث كان البطريرك فقتل ونهب ونكل فدعا البطريرك الاب بطرس من فرارا من الفرنسيسين وارسله إلى البابا في شهر آب سنة ١٤٤٠ مصحوباً برسالة ضمنها شكره للبابا على ما انعم عليه به من التثبيت واخباره بما كان عند وصولِ قاصده الاب يوحنا، فاجابه البابا اوجانوس

برسالة اثبتها برمتها البطريرك اسطفانوس الدويهي في الفصل الحادي عشر من كتابه رد التهم عن الموارنة ونحن نلخصها هنا عنه.

«اوجانيوس الاسقف عبد عبيد الله إلى الاخ المحترم يوحنا بطريرك الموارنة السلام والبركة الرسولية قد اطلعنا على ما كتبتموه لنا في شهر آب الفائت صحبة الولد العزيز الراهب بطرس من الاخوة الصغار ونظرنا فإذا نعمة الهنا وسيدنا يسوع المسيح معكم لقبولكم تعاليم ايمانه بكل رضى واختيار ولكم رجاء وطيد في الكرسي الرسولي وفي كل من يتولى، فالاله الضابط الكل يفيض نعمه عليكم وعلى الشعب الذي تحت طاعتكم، وكما كان الخضوع سبباً لانتظام الفضائل التي تمدحون عليها فلتكن طاعتكم ايضاً لكل ما نكتبه اليكم لتمتلئوا حكمة ونعمة، ولا يكفي ان تسلكوا بها انتم وحدكم بل ان تقودوا ايضاً الشعب والامم الاخرى في تلك البلاد والاعمال القاصية الى الحياة الدائمة بامثال افعالكم. ولما لم يمكننا ان نبين لكم كل شيء في كتابنا هذا ارسلنا اليكم الولد العزيز الراهب انطونيوس من طورية من الرهبانية المعروفة بالاخوة الصغار (من رهبان القديس فرنسيس) وجعلناه رفيقاً لولدنا الراهب بطرس من فرارا وهما يشرحان لكم كل ما تعتقد به الكنيسة الكاثوليكية. ولا يكفي ان تقبلوها وان تكونوا متحدين بالكرسي الرسولي بل ان تقووا نفوسكم ايضاً على الثبات والمحاربة لاجل الايمان لتنالوا الاكاليل، ولم نقل ذلك لريبة لنا في ثباتكم وثبات ملتكم بل لاننا علمنا انكم استقبلتم قصادنا واظهرتم بهجة ومسرة زائدة حتى اغتصبتم اعداءكم عليكم فقبضوا على البعض من رؤساكم وقتلوا البعض وصبرتم على ذلك بشهامة كبرى وصح فيكم قول الرسول انكم صبرتم على نهب اموالكم بفرح عظيم ويتحتم علينا في مخاطبتنا لكم ان نبين ما تستحقون عليه من الثناء والثواب، وإذا فعلتم ما ذكرناه وكنتم مستعدين للعمل به استشعرتم في قلبكم بفرح جزيل من اجل الهبات العظيمة المنحدرة عليكم من لدن الله».

كتب بفلورنسة سنة ١٤٤١م لتجسد المخلص في اليوم الثاني عشر من كانون الاول وفي السنة الحادية عشرة من حبريتنا.

ثم ان الموارنة سكان اورشليم وفلسطين رفعوا عريضة إلى البابا اوجانيوس الرابع سنة ١٤٣٨م عصبة الاب البرتس من الفرنسيين ايضاً يبينون بها تشبثهم بعرى

الايمان الكاثوليكي وخضوعهم لكل ما يرسمه المجمع المذكور فأجابهم البابا بالرسالة الاتية وقد اثبت البطريرك الدويهي ترجمتها برمتها في الفصل الثاني عشر من كتابه في رد التهم عن الموارنة ونقلناها عنه مصلحين قليلاً العبارة العربية.

من اوجانيوس الاسقف عبد عبيد الله إلى الابناء المحبوبين الموارنة المقيمين باورشليم وجوارها وسائر بلاد المشرق السلام والبركة الرسولية.

«المجد لله في العلا وعلى الارض السلام والمسرة لبني البشر ذوي الارادة الصالحة. يحسن بنا ايها الابناء الاعزاء ان نهتف هتاف الفرح بنفس مبتهجة يختلط ابتهاجها بابتهاج الملائكة إذ نبشركم بالسرور غير الموصوف الذي شمل جميع المسيحين، فان عقلنا ترطب بندى التعزية الالهية وفؤادنا تهلل بالرب ونرى نفسنا عاجزة عن وصف ما نشعر به من السرور وطمأنينة الخاطر، فنقتصر على ترديد اصوات التسبيح والحمد والشكر فان ما كنا نطلبه ونجدُّ في نيله ان نرقى الى ذروة هذه الرئاسة قد نلناه برحمة الله ألا وهو زوال ذلك الشقاق المديد المبيد الذي وقع مذ اربع مئة وخمسين سنة بين الكنيستين الغربية والشرقية، ونحن مع إننا بذلنا كل ما في وسعنا لاصلاح هذه الشؤون فينبغي ان نعزو ذلك كله إلى جودة الله غير المتناهية، فكل ما يكون بغير امداده ومعونته فهو باطل اننا منذ ارتقائنا إلى الحبرية لم نأل جهداً بل كنا ندأب ونكد حتى يسر الله اتحاد الكنيسة الشرقية بالغربية، فبعد ان وجهنا رسائل كثيرة إلى جهات مختلفة قدم الينا في العام المنصرم ولدنا المحبوب بالمسيح يوحنا باليالوغوس ملك الروم، واخونا ذو الذكر الصالح يوسف بطريرك قسطنطينية، ونواب بطاركة الاسكندرية وانطاكية وبيت المقدس، ورسل ملوك دربيزون واتيباريا والروس والفلاخ مع رؤساء كهنة واكليروس داراكته وخلق كثير، وهم مقيمون على نفقتنا إلى هذا اليوم ولارتياحهم إلى هذا الاتحاد المقدس عرضوا نفوسهم للمشاق الباهظة ومخاطر البحر وحضروا إلى هذا المجمع المسكوني، وسألونا ان يكون التئامه بايطاليا ليتيسر لنا ان نشهده بنفسنا، واقبلوا على البحث والجدال بغير خصومة، اهتممنا بأن نجمع من كل صقع علماء ضليعين بالشرائع الالهية والبشرية ليبينوا الحق لطالبيه. ولما حصحص الحق بمعونة الله بنصوص الكتب الالهية واقوال الآباء الاطهار الموثوق بكلامهم من اللاتين ينبثق من الآب والابن معاً، وسلموا بطيبة خاطر ان سلطان الكنيسة الرومانية والكرسي المقدس الذي احتقره بعض الناس وافتروا عليه هو الاجل الاعظم، واقروا ايضاً بباقي الحقائق كما واضح.

في المرسوم الموقع عليه المرسل اليكم مع الابن العزيز وكيلكم فرا البرتوس من الاخوة الصغار، وهو يخبركم عن كل ما كان مفصلاً، ويحق لنا ان نفتخر بالرب ونعلن انه قد جرى في عصرنا امر لم ترَ البيعة الكاثوليكية اعظم منه ولا افضل منذ تبشير الرسل، ولم تقف معجزات الله عند هذا الحد بل ان الله برحمته الغزيرة اطلع لنا سماء اخرى واسعة الارجاء ليتمكن شمس البر الذي ولد في الشرق من ان يبسط اشعته إلى ظلمة الكفر لينتشر خلاص الرب الى اقصى الارض، ويمجد الجميع بفم واحد وروح واحدة الهنا وابا ربنا يسوع المسيح. وها نحن متوقعون يوماً بعد يوم قدوم من وجهنا اليهم رسلنا، وبلغتنا البشرى ان طائفة كبرى من الارمن اشرق عليها ضياء الحق وهم مستعدون لطاعة الكنيسة الرومانية والكرسي الرسولي بكل شيء والاذعان لسننه وتعاليمه من غير تردد. فالان ايها الابناء الاعزاء قد ترتب علينا ان نقدم لله سيد الجميع قربان التسبحة والابتهاج من اجل النعم الغزيرة التي نلناها من كرمه وما برحنا نرجو غيرها. وكما اشتركتم معنا بالفرح فاشتركوا معنا في اداء الشكر لجودة الله والتنافس بذلك امام كل مسيحي. والحمد على ما اولى من الخير واسألوه تعالى ان يتمم عمله الذي جعل يده على يدنا».

كتب بمدينة فلورنسا سنة ١٤٣٩م في السابع من حزيران وهي التاسعة من حبريتنا.

فمن يا ترى يصدق ان البابا اوجانيوس الرابع يكتب الى الموارنة مثل هذا الكلام إذا كانوا غير خاضعين له قبلاً او رجعوا حديثاً إلى طاعته حيث لا إشارة الى رجوعهم ولا إلى قبولهم بل اقتصر الى تبشيرهم باتحاد الروم ورجائه باتحاد غيرهم، وكلفهم ان يشكروا الله معه وان يذيعوا ذلك عند جميع المسيحيين فضلاً عن ان رسالته مؤرخة سنة ١٤٣٩م، وخصماء الموارنة يزعمون انهم رجعوا إلى الايمان الكاثوليكي سنة ١٤٤٢. فكيف يوفقون هذا التناقض؟

وقد مرّ ان البطريرك سمعان الحدثي ارسل إلى البابا لاون العاشر صحبة قاصده ست براءات من اسلافه تبين تشبت الموارنة بعرى الايمان الكاثوليكي، ومن هذه البراءات براءة من اينشنوسيوس الثالث بتاريخ ١٢١٥م، واخرى من البابا اسكندر الرابع مؤرخة سنة ١٢٥٦م، يتبين منهما جلياً ان الموارنة كانوا خاضعين للكرسي الرسولي قبل اوجانيوس الرابع بأعصر بل كانوا دائماً كذلك. وهذه البراءات الست

المذكورة وغيرها لم تزل الى اليوم محفوظة في خزانة بطريركية الموارنة، وهي تُخجل وتُفحم كل مكابر عنيد ولا حاجة إلى زيادة البيان في رد هذه التهمة لظهور بطلانها بما قدمناه، وفي مواضع كثيرة من هذا التاريخ وغيره، بل نأتي الى بيان انها لا تصدق ايضاً على الياس مطران الموارنة بقبرص وعلى رعيته فيها.

تبرئة الياس مطران قبرص والموارنة ساكنيها من هذه التهمة

لا ننكر ان البابا اوجانيوس الرابع كتب في براءته المفتتحة: «تبارك الله ابو ربنا يسوع المسيح» المؤرخة في سنة ١٤٤٥م عن كلامه في اندرواس رئيس اساقفة رودس ان اندراوس هذا هدى الى الايمان القويم تيموتاوس ومطران طرسوس الذي كان بقبرص وكان نسطورياً يعتقد ان في المسيح اقنومين وان العذرا لا تسمى والدة الله وانه رد الى الهدى الياس مطران الموارنة الذي كان مع جماعته بقبرص ملوثاً بضلال مكاريوس ان في المسيح مشيئة واحدة، وأنه جمع هؤلاء في كنيسة القديسة صوفيا كنيسة كرسي تلك الجزيرة فاقروا بالايمان الكاثوليكي جهاراً، ثم ارسل تيموتاوس المذكور والقس اسحق تلميذ الياس مطران الموارنة الى رومة فجحد تيموتاوس ضلال نسطور، واسحق ضلال مكاريوس في كنيسة لاتران برومة. ولا ننكر ايضاً ان المطران الياس جحد تعليم مكاريوس واقر بالايمان الكاثوليكي في كنيسة القديسة صوفيا بقبرص وكذلك فعل تلميذه القس اسحق برومة لكننا نقول ان اندراوس مطران رودس عند بلوغه إلى قبرص ومخاطبته تيموتاوس والياس الاسقفين ورؤيته انهما مستعدان للاقرار بالايمان الكاثوليكي انشأ لهما دستور الايمان الذي يلزم كلاًّ منهما ان يقرأ به جهاراً وباحتفال. ولما كان يعلم ان تيموتاوس نسطوري ضمن الدستور الذي اعده له جحود بدعة نسطور، ولعلمه من كتاب غوليلموس اسقف صور ان الموارنة كانوا يعتقدون المشيئة الواحدة ضمن الدستور الذي للمطران الياس الماروني جحود بدعة مكاريوس بطريرك انطاكية الذي كان مغوياً ببدعة المشيئة الواحدة، فتلا كل منهما في الكنيسة الدستور الذي اعده له اسقف رودس، وكتب الى البابا اوجانيوس انه هداهما إلى الايمان القويم، فاغتر البابا بما كتبه في براءته المذكورة. على ان اقرار المطران الياس لم يكن احداثاً لجحوده بل تقريراً او تجديداً له.

ولنا على اثبات ما قلناه ادلة بينة وحجج راهنة منها اولاً بدعة المشيئة الواحدة لم يبقَ لها من قرون قبل التاريخ المذكور قوام مستقل او انصار يقولون بها وحدها بل استمرت عند اليعاقبة لانها نتيجة لازمة من اعتقادهم الطبيعة الواحدة. وقد صرح بذلك السمعاني في مقالته في اصحاب الطبيعة الواحدة (مجلد ٢ في المكتبة الشرقية) وكثيرون غيره، وهؤلاء اليعاقبة يسمون مذهب الموارنة بدعة. تخص منهم بالذكر ابن العبري الذي قدمنا قوله بذلك، وقد صرح باعتقاده المشيئة الواحدة في المسيح فلا يعلم كيف امكن موارنة قبرص واسقفهم الياس ان يجددوا بدعة المشيئة الواحدة ويقولون بقول مكاريوس ان في المسيح طبيعتين ومشيئة واحدة، وليس من قائل انهم كانوا يعاقبة. ثانياً اننا نعلم حق العلم ان الموارنة بقبرص كانوا متحدين مذهباً بإخوانهم في لبنان وخاضعين لبطريرك الملة وقد رأيت تواتر المكاتبات بين الاحبار الرومانيين وبطاركة الموارنة في تلك المدة ولا نجد اثراً في تقليدات ملتنا او خبراً في كتب المؤرخين ان موارنة قبرص او اسقفهم زاغوا عن الايمان وخلعوا طاعة بطريركهم وقد ذكرنا في تاريخ القرن الرابع عشر نقلاً عن اعمال مجمع نيقوسية الذي عقده اليا رئيس اساقفة الكلدان في هذه الجزيرة سنة ١٣٤٠م ان جيورجيوس مطران الموارنة يقبرص كان في جملة من شهدوا هذا المجمع وكانوا جميعاً كاثوليكيين وأقروا في مجمعهم ان الكنيسة الرومانية هي ام جميع الكنائس ومعلمتهن، وان الاب الاقدس البابا بناديكتس الثاني عشر هو خليفة بطرس الطوباوي نائب المسيح في الارض. وقد ذكرنا ايضاً هناك يوحنا اسقف الموارنة بقبرص اعتماداً على خط نقله البطريرك الدويهي عن كتاب كان في كنيسة القديس سركيس بحدشيت وقد علق عليه انه نسخ سنة ١٣٥٧م في ايام البطريرك يوحنا مطران قبرص. وعليه فاسلاف الياس كانوا كاثوليكيين وهو لا نجد اثراً ولا خبراً يبين لنا انه جدد بدعة المشيئة الواحدة التي لم تبقَ إلا عند اليعاقبة، ولا يؤخذ قطعاً من براءة اوجانيوس المذكور انه كان يعقوباً.

ثالثاً قد روى هوراس يوستينيان في كتابه في اعمال المجمع الفلورنسي ان اوجانيوس الرابع امر ان ينقش على باب كنيسة القديس بطرس في صحائف من نحاس ذكر الامور الهامة التي جرت في ايامه، فنقش على تلك الصحائف: «هذا لذكر اوجانيوس الحبر الاثيل ونفسه السامية وعلمه المنيف ان الروم والارمن والحبش واليعاقبة امنوا على يده ايمان رومة العظمى». وكتب على قبره بكنيسة القديس

بطرس المذكورة بعد وفاته. «بعنايته اتبع الروم والاحباش والارمن آثار الكنيسة الرومانية باسرار الايمان ثم السريان والعرب الى تخوم الهند، وهذه عظائم صغيرة بالنسبة الى نفسه السامية. ولا نرى في هاتين الكتابتين ذكر للموارنة بالعموم او لموارنة قبرص واسقفهم بالخصوص مع ان الملل المذكورة فيهما لم يرجع إلا قسم منها.

رابعاً الاب غريفون الشهير كتب سنة ١٤٦٩م رسالة من رومة الى الموارنة ومما قاله فيها: ان الموارنة الذين ببلاد الفرنج وردوس وقبرص وطرابلس وبيروت والقدس الشريف ما برحوا منذ الزمان القديم إلى هذا اليوم يدخلون كنائس الفرنج ويقيمون القداس على مذابحهم ويلبسون حللهم ويستعملون قربانهم ويرفعون الجسد والدم مثلهم ويرسمون الصليب على وجوههم كما يرسمه الفرنج ويعترفون عند كهنتهم ويتناولون من يدهم القربان الاقدس ويقبلون هداياهم كالتاج وغيره». وقال مثل ذلك الاب فرنسيس سوريانوس رئيس اديار القدس المذكور انفاً وكلاهما عهد اليهما عدة من الباباوات النيابة عنهم عند الموارنة وعاشراهم وعاشا بين ظهرانيهم سنين متطاولة بأثر ما كتب عن المطران الياس وموارنة قبرص، وقد صرّحا أن الموارنة فيها يعملون كل ما ذكراه منذ قديم الزمان أيسمح الفرنج في قبرص وكان حكامها حينئذ من امراء البندقية بأن يقدس كهنة الموارنة وهم هراطقة على مذابحهم، او جاز لكهنة الفرنج ان يناولوا من كانوا ملطخين ببدعة مكاريوس.

خامساً ان كثيرين من مشاهير المؤرخين الفرنج كبارونيوس ويوحنا مورينوس وغيرهما الذين كانوا انخدعوا بقول غوليلموس ان الموارنة ارعووا سنة ١١٨٢م عن الضلال اثبتوا انهم لم ينفكوا بعد ذلك البتة عن الاتحاد بالكنيسة الرومانية عامتهم وخاصتهم، ونخص بالذكر من هؤلاء القديس انطونيوس اسقف فلورنسا الذي كان معاصراً للبابا اوجانيوس الرابع لهذه الاحداث إذ توفي سنة ١٤٥٩م، فانه قال ان الموارنة جحدوا الضلال على يد ايميريكوس بطريرك انطاكية، وهم الى الآن متشبثون بالايمان الكاثوليكي ومتمسكون بتقليدات الكنيسة الرومانية بحرص بليغ. فلو كان المطران الياس وموارنة قبرص ملطخين في البدعة الى سنة ١٤٤٤م وعادوا إلى جادة الحق في أيام هذا الأسقف القديس لما أهمل ذكرهم ولما قال ان الموارنة متشبثون إلى الان بالايمان الكاثوليكي الخ...

سادساً ان الامثل والاقرب الى الصواب ان نقول ما قاله كثيرون من علمائنا

الافاضل وهو ان اندراوس اسقف رودس لما رأى المطران الياس والموارنة القبارصة مستعدين للاقرار بالايمان الكاثوليكي، وتوهم انهم من اصحاب بدعة المشيئة الواحدة انشأ لهم دستوراً للايمان ليتلوه ويحلفوا عليه ففعل ذلك المطران الياس بقبرص فكتب اندراوس كما توهم الى الحبر الروماني وما كان إدراك ما كانت تلك الايام وجهل الشرقيين لغة الغربيين، وجهل اللغات الشرقية، فكتب البابا اوجانيوس الرابع ما كتبه مغتراً باخبار قاصده، ولم تكن هذه الدفعة الوحيدة التي ترى بها مثل هذا الوهم بل جرى مثل ذلك مع بطرس كردينال كنيسة القديس مرشُلوس عند ما رجع الروم على يده في طرابلس، وقدم الموارنة دستور ايمانهم حينئذ فتوهم انهم هراطقة ولم يميزهم عن الروم في ما كتبه الى البابا اينوشنسيوس الثالث فكانت براءته إلى بطريرك الموارنة سنة ١٢١٥م غير مميزة بينهم وبين الروم، وكذلك جرى لموارنة القدس إذ جددوا اقرارهم بالايمان على يد ايميريكوس بطريرك انطاكية الى غير ذلك.

وقال الاب ايرونيموس دنديني اليسوعي في فصل ١٨ من كتاب بعثته إلى لبنان سنة ١٥٩٦م. «ان براءات الاحبار الاعظمين انما كتبت على النمط الذي نراها به من قبل الاخبار غير الصحيحة التي بلغتهم، وإذ كنت انا اعلم ذلك تحرَّيت هذا الامر وامعنت فيه ودققت في فحص كتبهم (اي كتب الموارنة) فرأيتها لا تضاد العقائد الكاثوليكية البتة. ولما لم يدقق غيري في فحص الكتب بالاجتهاد والامعان اللازمين كان لا بد من ان تعزى إلى الموارنة في براءات الاحبار الرومانيين اغلاط متنوعة. ولبيان الحقيقة بياناً جلياً يلزم أن تلاحظ أن جميع البراءات المعزو فيه أغلاط الى الموارنة نسخت حرفاً فحرفاً عن براءة اينوشنسيوس الثالث. وكلام البابا في هذه البراءة ليس على الموارنة وحدهم بل على الروم ايضاً، فانهم عادوا حينئذ في طرابلس إلى طاعة الكنيسة الرومانية وقدّم الموارنة في ذلك الوقت صك تمسكهم بطاعتها الى كردينال كنيسة القديس مرشلوس وهو بطرابلس اذ كان قاصداً رسولياً في الشرق فكان ذلك سبباً لنسبة اغلاط طائفة الى اخرى. وقال مثل هذا المقال غير دنديني من علماء اللاتين ومرهج ابن نيرون الباني في مقالته في الموارنة والسمعاني في المكتبة الشرقية. ويمكن القول بمثل ذلك براءة اوجانيوس الرابع المذكورة. ويؤيد ذلك قول العلامة البابا بناديكتوس الرابع في رسالته الى نيقولاوس لركاري المؤرخة في ٢٨ ايلول سنة ١٧٥٢م، وهو قد اثبت الموارنة انهم

لم ينحرفوا قط عن محجة الدين الكاثوليكي ولم ينفصلوا عن الكنيسة، وزادوا على ذلك انهم كانوا جددوا اتحادهم بالكنيسة الرومانية وقتاً ما، فلا ينبغي ان يتأوّل ذلك بمعنى انهم غادروا الدين الكاثوليكي ثم عادوا اليه.

وجاء في كتاب اسطفانوس عواد السمعاني في محاماته عن يوحنا السرومي وهو يوحنا مارون، ان الياس مطران قبرص كان يروم التملص من سلطة بطريرك الموارنة والاستقلال بسلطته محتجاً بما خوله المجمع الافسسي (في عمل ٧ قسم ٢) لمطارنة قبرص من الاستقلال عن بطريرك انطاكية في ترقية اساقفتهم الى الاسقفية، فحسب منشقاً عن بطريركه ومتحداً مع تيموتاوس مطران النساطرة، فالجئ الى ان يتلو دستور ايمانه بحضرة اندراوس رئيس اساقفة رودس. ومهما يكن من امره فهو فرد ورعيته في قبرص فريق يسير من الموارنة، فمن لا يقنعه كلما اوردناه من الادلة لا يسوغ له ان يعيب الملة كلها بعمل بعض افرادها، كما لا تعاب الكنيسة اللاتينية بالكثيرين الذين خرجوا عن طاعتها وعصوها.

لا نشاء ان نختم هذا الفصل دون ان نذيله بما كتبه العلامة السمعاني (في المكتبة الشرقية مجلد ١ صفحة ٥٢٣) متكلّماً في براءة البابا اوجانيوس الرابع في شأن اقرار تيموتاوس مطران الكلدان واسحق قاصد الياس مطران قبرص على الموارنة بالايمان حيث ذكر السمعاني فقرة من البراءة المذكورة قال فيها البابا: «لا يجسرنَّ احد من الشعب والاكليروس من الآن وصاعداً ان يدعو مطران الكلدان واسقف الموارنة المذكورين وشعبيهما واكليرُسهما هراطقة او ان يسمى الكلدان نساطرة، ومن خالف امرنا هذا نأمر اسقفه ان يحرمه الى ان يصنع الترضية الكافية أو يغرّم بجزاء آخر زمني يراه الاسقف». واردف السمعاني ذلك بقوله: انظر الى الفرق الذي وضعه البابا بين اسمي الموارنة والنساطرة. فلما كان الموارنة لم يأخذوا اسمهم عن مبتدع نهى عن ان يسموا هراطقة فقط. واما النساطرة فلما كانوا اخذوا اسمهم عن نسطور المبتدع نهى عن ان يسموا هراطقة ونساطرة، وهذا ما راعاه باجيوس إذ كتب عن الموارنة في تاريخ سنة ٦٣٥م عد ١٣ «بل ان تسمية هذا الشعب نفسها موارنة ينتج منها انهم لم يسموا بهذا الاسم نسبة الى مارون مبتدع، فإن العادة المستمرة في الشرق والغرب ان الهراطقة الذين يرجعون الى الايمان الكاثوليكي ان كانوا غربيين كاللوتارين والكلونيين دعوا كاثوليكيين، وان كانوا شرقيين فإن كانوا يعاقبة دعوا سرياناً وان نساطرة تسموا كلداناً ويفهم بذلك انهم سريان كاثوليكيون

وكلدان كاثوليكيون.... واما الموارنة فهذا كان اسمهم دائماً، والاحبار الرومانيون يسمونهم به من ايام البابا اينوشنسيوس الثالث او يسمى بطريركهم بطريرك الموارنة الانطاكي. والناتج من ذلك نتجاً لازماً ان هذا الاسم دل دائماً على شعب كاثوليكي». انتهى كلام باجيوس.

مقالة تاسعة

تاريخ الموارنة في القرن السادس عشر

عد ٤٦
بعض حكامهم وأعيانهم في هذا القرن

كان في هذا القرن كثيرون من مقدمي الموارنة ومشايخهم يلون قومهم من قبل ولاة دمشق أو طرابلس أو غزير وما يليها. وقد ذكرنا في تاريخ القرن الخامس عشر أنّ المقدّم عبد المنعم الثاني مقدّم بشري توفي سنة ١٤٩٤م وخلفه ابنه يوسف، ثم توفي يوسف وخلفه ابنه المقدّم الياس بن يوسف المذكور. ونرى البطريرك اسطفانوس الدويهي روى في تاريخ سنة ١٥١٤م أنّ البطريرك سمعان الحدثي التمس من البابا لاون العاشر في جملة ما التمسه منه أن يكتب رسالة إلى المقدّم الياس بن يوسف من بشري ليكون غيوراً على قومه أهل جبل لبنان. وروى في تاريخ سنة ١٥١٥م أنّ الحبر الروماني أنفذ الرسالة المطلوبة إلى المقدّم الياس المذكور وحثّه بها على أن تكون له العناية بأمر الدين الكاثوليكي واليقظة لسياسة ملّته. ثم توفي المقدّم الياس سنة ١٥١٩م ولم يكن له إلّا ولد قاصر اسمه يوحنا. فتغلّب على المقدمية كمال الدين بن عبد الوهاب المعروف بابن عجرمة من قيطو، وتزوج بست الملوك ابنة الشيخ علوان بن قمر من بشري، وكانت ذات ثروة عظيمة فبنى برجاً بقيطو وحكم الجهة الشمالية من البلاد. ويظهر أنّ بشري والجهة الجنوبية

لبثت بعهدة المقدّم يوحنا، وسُمّي عبدالمنعم أيضاً. ففي سنة ١٥٣٧م كان اجتماع بيلوزا، ولما قدم مقدّم بشري يوحنا المذكور لم يرد ابن عجرمة أن يلاقيه أو يقف عند دخوله، فطعنه المقدّم يوحنا بالرمح فقتله ودُفن بقيطو شرقي كنيسة مار سركيس. وفي سنة ١٥٤٧م كان مقتل المقدّم عبد المنعم يوحنا فإنّ ست الملوك أرملة ابن عجرمة رغبةً في أخذ ثأر زوجها استدعت إليها حماده رئيس الحمادية الذين أتوا من بلاد العجم إلى قهمز بلبنان، واتفقت مع نصارى ملكية من عين حليا فأكمنوا للمقدّم في خارج داره، ولما خرج سحراً وثبوا عليه وقتلوه، ودخل الملكية الدار وقتلوا أولاده. وما انتشر الخبر حتى أسرع أهل بشري في طلب القاتلين فأدركوهم في محل يسمى الحرائص فقتلوا حماده وبعضاً من رفاقه. وانقرضت بمقتل يوحنا هذا ذرية المقدّم سيفا، وانتقلت إلى ذرية قمر، وسمي المقدمون من ذرية قمر العناحلة نسبةً إلى عين حليا، لأنّ رجلاً من عين حليا اسمه عز الدين تزوج ببنت حسام الدين بن أيوب بن قمر مقدم من بشري سنة ١٤٣٠م، فولد منها حسام الدين، وهذا رُزق أربعة أولاد هم: موسى ورزق الله، وداغر، وعاشينا. ولما انقرضت سلالة سيفا أخذ هؤلاء الولاية على جبة بشري. ويظهر أنّ الذي أخذ الولاية منهم هو رزق الله، إذ روى الدويهي في تاريخ سنة ١٥٥٧م أنّ رزق الله هذا مقدم بشري كان حاضراً مع البطريرك وثمانية مطارين ونحو أربعماية كاهن في تقديس الميرون يوم خميس الأسرار من السنة المذكورة. وروى في تاريخ سنة ١٥٧٠م أنّ رزق الله هذا كان قد تولّى المقدمية من قبل الأمير منصور بن عساف، وكان مجدّاً في تعمير البلاد وجباية مال الحكومة، وكانت فتنة بينه وبين أخيه عاشينا لأنّ عاشينا لم يكن حسن السيرة بل كان يسطو على الناس وينهب ويقتل فحنق عليه أخوه المقدّم رزق الله وأنّبه أشد التأنيب فرحل إلى حصرون وكان متزوجاً بامرأة منها وأخذ يهدد أخاه بالقتل، فأصلح البطريرك ما بينهما وأعاد عاشينا إلى البرج الذي كان قد بناه في أسفل بشري، لكنه لم ينكفّ عن طريقته السيئة ونفرت القلوب منه. وشُكي إلى نائب طرابلس بأنه شلح قفلاً في المسيقة فأراد رزق الله أن يستريح من شرّه فدبر على قتله، ودعاه إليه إلى البرج الذي في أعلى القرية وكان قد تآمر مع رجال من الضنية على قتله، وكمنوا له في البرج، ولما دخل إليه اغتالوه. وسمع البطريرك فأتى إلى بشري وحرم رزق الله على مسمع الجمهور. وطلب صاحب القفل إلى المقدّم أن يردّ له ما سلب منه، فتبرأ من ذلك فدعاه إلى

المحكمة ونزل المقدّم إلى طرابلس مع مشايخ القرى للمحاسبة على الخراج. وحضر إلى القاضي فلم يقدّم صاحب القفل بيّنة ولا شاهداً، فتأجلت الدعوى إلى اقامة بيّنة. ثم عاد المقدّم بعد مدة إلى طرابلس ورقبه صاحب القفل حتى دخل الحمام فرشا الحارس في الحمام، وختّم طرف عمامة المقدّم بسمة بضاعته، ولما خرج من الحمام أمسكه بيده وقال لا يحق لك يا مقدّم أن تأكل مال المسلمين. وأخذه إلى أمام القاضي وأراه سمة بضاعته على عمامة المقدّم فحكم القاضي عليه فربطوه في ذنب حصان وجرّروه حتى قضى أجله وهو بريء من تلك التهمة.

وبعد مقتل المقدّم رزق الله تولّى المقدمية سنة ١٥٧٣م أخوه داغر وعساف بن موسى أخيهما من قبل الأمير منصور بن عساف، وأرسل الأمير رجالاً قتلوا موسى وداود ابني شلندى من بشري حمي المقدّم رزق الله، وقيل أنهما عملا على قتل صهرهما، وخاف أقارب بني شلندى فنزلوا إلى طرابلس وشكوا المقدّم داغر بأنه تسبب بقتل نسيبهم، فطيّب نائب طرابلس خاطرهم. ولما أرسل جابي المال إلى بشري أمره بقتل المقدّم داغر، وبعد أن جبى مال القرية ركب حصانه وطعن المقدّم داغر برمحه فقتله. ثم إنّ الأمير منصور عساف قتل المقدّم عساف ابن أخي داغر، وولّى على جبة بشري أبا سلهب القريعي. وكان ذلك مخالفاً لرضى أبي منصور حبيش مدبر الأمير منصور. وفي سنة ١٥٧٤م وقعت النفرة بين أبي سلهب القريعي المذكور وأنسبائه وبين البشرانية، وقتل القريعي رجلين من بشري عند العين التي تحت بقاعكفره، وقُدّمت الشكوى إلى الأمير منصور فعزل الأمير منصور أبا سلهب القريعي بتدبير الشيخ أبي منصور حبيش عن مقدمية الجبة، وولّى مكانه مقلد ابن الياس، وأشرك معه في الولاية الشدياق يوسف أبا رعد المعروف بخاطر ابن الشدياق شاهين الحصروني من بيت مشروق. وأما اهدن فكان ثلاثة شمامسة يدبرون أمورها.

وفي سنة ١٥٧٩م قُدّمت الشكوى إلى الباب العالي على الأمير منصور عساف بقتله ابن شعيب حاكم طرابلس، وامراء فتقا غيرهم فأمر السلطان بجعل طرابلس باشاوية لكسر شوكة الأمير منصور وجعل يوسف باشا ابن سيفا التركماني والياً عليها. فطلب المقدّم مقلد والشدياق خاطر فهرب الأمير مقلد إلى جهة الشوف فمات هناك وله صبي اسمه جمال الدين يوسف، وبنت اسمها ست البنات. على أنّ يوسف باشا رضي عن الشدياق خاطر وكاتبه وأمّنه وأعاده إلى

ولاية جبة بشري، وجعل الشدياق باخوس بن صادر الحدشيتي شريكاً له في الولاية . وتوفي الشدياق باخوس المذكور سنة ١٥٩٤م وخلفه ابنه الشدياق فرج في تدبير جبة بشري مع الشدياق خاطر .

وقد اشتهر بهذا العصر الشيخ حبيش بن موسى بن عبدالله بن مخائيل ، فإنه انتقل من قرية يانوح بعياله إلى غزير بعد أن دوّخ السلطان سليم الأول العثماني سورية ومصر وأمنهما، وولّى الأمير عساف على كسروان وبلاد جبيل ، فأقام الشيخ حبيش بغزير عند الأمير عساف ، وكان له ثلاثة بنين يوسف ومهنا وسليمان . وتوفي الأمير عساف ١٥١٨م وتوفي بعده ابنه الأمير حسن فكان يوسف وسليمان ابنا حبيش مدبري حكمه . ثم قتل الأمير قيتبيه (قايدبيه) ابن الأمير عساف الأمير حسن والأمير حسين أخويه ببيروت ، وقبض على يوسف وسليمان ابني حبيش وحبسهما ثم نفاهما إلى مصر. ثم توفي الأمير قيتبيه بن عساف وخلفه الأمير منصور ابن أخيه حسن فردّ الشيخين يوسف وسليمان ابني حبيش إلى خدمته سنة ١٥٢٣م . ولما حنق حمد آغا بن شعيب حاكم طرابلس على الأمير منصور ، أرسل الأمير إليه سنة ١٥٢٨م ابني حبيش وعبد المنعم الآتي ذكره ، فقتلوا ابن شعيب وألحقوا به ابنه في جامع طيلان بطرابلس وأصلحوا نفوسهم مع القاضي فحكم أنهم أبرياء. وقد مرّ ذلك .

ولما توزع القشلق (ضريبة للحكومة وقال بعضهم يراد به زمرة من الجند) على ولاية الشام سنة ١٥٧٢م وأصاب جبة بشري منه واحد وعشرون ألف سلطاني ، وقيمة السلطاني ثلثا القرش ، وأصاب دير قنوبين منه مائتا سلطاني ، وضبطت الحكومة الدير، فاستفكه البطريرك ميخائيل الرزي بعناية الشيخ أبي منصور حبيش وهو الشيخ يوسف المذكور على ما يظهر . ولما حصل القتال بين القريعية وبين أهل بشري عني الشيخ أبو منصور حبيش بعزل القريعية عن حكومة الجبة ، وولّى عليها مقلد بن الياس كما مرّ. وتوفي الشيخ أبو منصور يوسف حبيش سنة ١٥٨٣م وخلفه في تدبير ولاية غزير أخوه الشيخ أبو يونس سليمان . ولما قتل يوسف باشا سيفا الأمير محمد العساف وتزوج امرأته ، قبض يوسف باشا على سليمان حبيش المذكور وعلى منصور ابن أخيه مهنا وقتلهما سنة ١٥٩٣م وهرب ولداهما يونس وحبيش إلى الشويفات ملتجئين إلى الأمير محمد بن جمال الدين التنوخي . هذا ما ذكره العلامة الدويهي في تاريخه ونقله عنه الشيخ طنوس الشدياق في تاريخ

الأعيان. وفي ذلك نظر فإن كان الشيخ يوسف والشيخ سليمان حبيش انضويا إلى خدمة الأمير عساف سنة ١٥١٨م فلا بد أن كان عمرهما حينئذٍ نحواً من عشرين سنة على الأقل، فيتعسر تصديق الرواية أنّ الشيخ سليمان خاصة عاش ثلاثة وتسعين سنة. وأظن أنّ في النسب خطأ وأنّ أبا منصور يوسف وأبا يونس سليمان هما غير يوسف وسليمان ابني حبيش اللذين خدما الأمير عساف سنة ١٥١٨م والله أعلم.

وكان من أعيان الموارنة وحكامهم في هذا القرن مالك ابو الغيث ذكره البطريرك الدويهي في تاريخ سنة ١٥٢٣م، فقال كان متكلماً على العاقورة أي حاكماً بها. وكان صاحب همة واقدام وسار إلى دمشق ولبث بها مدة، فاغتنم المتاولة فرصة غيابه وانتقلوا من حراجل إلى قرية تدمر التي فوق يانوح فعمروها واستوطنوا بها. وعلم بذلك الشيخ مالك فحمل عليهم وطردهم من هناك، وأخذ كل ما كان لهم إلى العاقورة. وروي في تاريخ سنة ١٥٣٤م أنه كان فيها خصام بين مالك شيخ العاقورة وهو من غرض اليمنية، وبين هاشم العجمي. فكبس مالك جبة المنيطرة مرتين وأحرق قراها، واتفق أهل هذه القرى ومن كانوا من حزب القيسية في العاقورة وأكمنوا لمالك في طريق الجرد فقتلوه غيلة، فسار حنش وحرفوش أخوا مالك إلى دمشق يشكون إلى نائبها، فكتب إلى الأمير منصور عساف أن يقبض على الغرماء ويرسلهم إليه، فأرسل الأمير منصور عبدالمنعم ابن عم هاشم ومعه رجال وأخو مالك للقبض على هاشم وقاتلي مالك. فانهزم هاشم إلى الأمراء الحرافشة لائذاً بهم فخانوه بسعاية عبد المنعم ابن عمه، إذ تعهد لهم بقتل الأمير منصور عساف وتسليمهم اقطاعاته، فاغتالوا هاشماً ورموه في بئر عند الكرك يسمى باسمه. ووجس أهل العاقورة وفرّ القيسية منهم إلى طرابلس واليمنية إلى دمشق، وخلت العاقورة من السكان سبع سنين. وقد ذكرنا ذلك في عدد ٩٦٠.

وأما هاشم العجمي الذي ولاّه الأمير منصور عساف على بلاد جبيل وابن عمه عبد المنعم الذي جعله دهقاناً على أمواله، وبنى له داراً في غزير قُتل فيها كما مرّ في العد المذكور من كتابنا هذا. فلا نظن أنهما كانا من الموارنة وإنساب آل هاشم في العاقورة إلى هاشم المذكور لا نراه صحيحاً، بل ترى الأظهر ما نقلناه في العدد المذكور عن خط الصالح الذكر الشهير بمعرفة الانساب البطريرك بولس مسعد وهو

أنّ نسبة هؤلاء المشايخ إنما هي إلى هاشم أحد أبناء الشيخ أيوب ابن الشماس توما الآتي ذكره.

الشيخ أيوب ابن الشماس توما من العاقورة ذكره العلامة الدويهي في تاريخ سنة ١٥٣٤م فقال وأما الشيخ أيوب وأخوه فضول ابنا الشماس توما فسكنا عند دير القديس أدنا كرسي أسقفية العاقورة وساعدهما الله على تعمير قريتهما، ونالا أمراً من نائب دمشق بأن يجمعا سكانها (الذين كانوا قد تشتتوا كما مرّ) وأن يكونا مشايخ فيها. ووُلد لأيوب ثلاثة بنين وهم هاشم المار ذكره وضاهر ورعد وأشهرهم هاشم جد آل هاشم ومشايخ العاقورة.

وفي سنة ١٥٤٥م انتقل الشدياق سركيس الخازن من قرية جاج ببلاد جبيل إلى قرية البوار بالفتوح لاستحواذ الأمن والراحة في ولاية الأمير منصور عساف، ثم انتقل من البوار إلى قرية بلونه بجوار عجلتون. وتوفي الشدياق سركيس سنة ١٥٧٠م وله ابنان أبو صقر ابراهيم وأبو صافي رباح. وفي سنة ١٥٨٤م توفي الأمير قرقماز المعني في مغارة جزين منهزماً من أمام ابراهيم باشا والي مصر الذي كان السلطان قد أرسله للتنكيل بولاة لبنان لاتهامهم بسلب خزينته في جون عكار. فأرسلت أرملة الأمير قرقماز ابنيها الأميرين فخر الدين ويونس إلى بلونة مع الشيخ كيوان الماروني من دير القمر فخبأهما عند الشيخ أبي صقر ابراهيم الخازن ابن سركيس. ولما انصرف ابراهيم باشا عاد الأميران فخر الدين ويونس إلى اعبيه عند خالهما الأمير سيف الدين التنوخي، ولما بلغا أشدهما ردهما خالهما إلى ولاية أبيهما بالشوف فتذكرا معروف الشيخ ابراهيم الخازن، ودعاه الأمير فخر الدين إليه وجعله مدبراً لحكومته وجعل أخاه رباحاً دهقاناً لأملاكه في آخر هذا القرن سنة ١٦٠٠م، فكان ذلك سبيلاً إلى تقدّم الأسرة الخازنية في المناصب كما سوف ترى.

الشيخ كيوان الماردني هذا من دير القمر كان مدبراً لحكومة الأمير قرقماز ابن الأمير فخر الدين الأول. ولما توفي الأمير قرقماز سنة ١٥٨٤م عنيَ كيوان بتخبئة ولديه فخر الدين ويونس عند الشيخين ابراهيم ورباح الخازن كما مرّ. ولم نعلم شيئاً آخر من أمر هذا الرجل.

الشيخ يوسف بن شكيبان الحصاراتي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٥٣٢م،

فقال عبد الساتر الكردي حاكم البترون قصد أن يعصو الأمير منصور بن عساف فجهز له الأمير أربعين رجلاً قتلوه وألحقوا به أباه، وولّى مكانه يوسف بن شكيبان الحصاراتي وصرّفه ببلاد البترون لاشتهاره بالنزاهة والعدل والشجاعة.

ومن نكبات الموارنة في هذا القرن قتل جمّ غفير منهم في قبرص عند فتح العثمانيين لها سنة ١٥٧٠م. فقد أنبأنا الدويهي في تاريخ السنة المذكورة أنّ الذين قُتلوا من الموارنة حينئذٍ كانوا نحو ثمانية عشر ألفاً، وكان اثنا عشر ألف رجل منهم قد اعتصموا بقرية اسمها كاليسباسي على قمة الجبل، فحلفوا لهم إذا استسلموا إليهم لم يضرّوا بهم، بل يردون إليهم قراهم ويولونهم عليها، فلما نزلوا إليهم قتلوهم عن آخرهم فكان عدد قتلى الموارنة حينئذٍ ثلاثين ألفاً.

والنكبة الثانية أنه لما وزع القشلق على بلاد الشام سنة ١٥٧٢م وأصاب أهل جبة بشري منه واحد وعشرين ألف سلطاني كناية عن أربعة عشر ألف قرش، فأكثر جباة هذه الضريبة من الصرامة والقسوة على الأهلين حتى اضطر كثيرون منهم إلى الفرار، وخلت قراهم من السكان. وذكر الدويهي من هذه القرى سبعل وبنهران ومتريت والناووس وأدنيت وكفرفو وراس كيفا وسرعل ونيحا وحيرونا وبرحليون ورشديين وبقرقاشا.

عد ٤٧

بطاركة الموارنة في القرن السادس عشر
وأولاً في البطريرك موسى العكاري

فرغنا من الكلام على هؤلاء البطاركة في القرن الخامس عشر بذكر البطريرك سمعان الحدثي ووفاته في أواخر شهر تشرين الثاني سنة ١٥٢٤م. وفي الحادي عشر من كانون الأول من السنة المذكورة اجتمع الأساقفة وأعيان الاكليروس والشعب وانتخبوا موسى بن سعادة من قرية الباردة بعكار، وكان راهباً في دير السيدة بحوقا، وكان البطريرك سمعان الحدثي سالفه قد أرسله سنة ١٥٢٢م إلى البابا أدريانوس السادس. وبعد عودته رقاه إلى الأسقفية كما مرّ. وقال فيه العلامة السمعاني (في المكتبة الشرقية مجلد ١ صفحة ٥٢٢) نقلاً عن تاريخ الدويهي:

«إنه كان ذا عبادة جزيلة وغيرة متقدة دخل إلى روما وأحضر درع التثبيت للبطريرك سمعان (الحدثي) وصنّف قصيدة سريانية في سفره إلى رومية، وقصيدة أخرى في مدح يوسف بن يعقوب، وأنشأ أملاكاً كثيرة لدير قنوبين، وترك له عند وفاته ثروة وافرة، وحزن على موته شعب الموارنة كلهم ودفنوا جسده الطاهر في مغارة القديسة مارينا بالبكاء والنوح. وبعد دفنه جعلوا مخدعه الذي كان قرب باب كنيسة السيدة معبداً، ونصبوا فيه مذبحين على اسم الرسولين بطرس وبولس كي لا يسكن هناك أحد بعده».

وقال السمعاني بعد ذلك أنّ في دير الكرسي الرسولي البطريركي المذكور أربع رسائل من الأحبار الأعظمين منفذة إليه، ولديّ منها أربع نسخ منقولة عن أصولها الأولى من البابا اكليمنضوس السابع مؤرخة في ٢٥ من كانون الثاني سنة ١٥٣١م، والثانية من بولس الثالث مؤرخة في شهر كانون الأول سنة ١٥٤٢م، والثالثة من بولس الرابع مؤرخة في ١٢ تشرين الثاني سنة ١٥٥٦م، والرابعة من بيوس الرابع مؤرخة في أوائل ايلول سنة ١٥٦٢م. وقد أرسل البطريرك موسى إلى هذا البابا جيورجيوس مطران دمشق لينوب عنه وعن ملّة الموارنة في المجمع التريدنتيني. وهذا ظاهر من رسالة هذا البابا إلي حيث يقول: «قد قابلنا بارتياح أخانا المحترم جيورجيوس مطران دمشق الذي حمل رسالتك إلينا». إلى أن يقول: «وأما رغبتكم في أن نرسل المطران المذكور إلى المجمع التريدنتيني، فلم نرَ الاجابة إليها لازمة ولا سيما لأنه لا يعرف اللاتينية ولا يحسن الكلام بالايطالية، فلا يتمكن من بيان ما يراه ولا من فهم ما يبحث عنه، ولهذا رأينا الأولى أنكم متى سنحت لكم الفرصة ترسلون إلينا رسالة تقرون بها بأنكم خاضعون أنتم وأساقفتكم واكليرسكم لجميع مراسيم المجمع التريدنتيني وتثبتون كل ما أثبته وترذلون كل ما رذله كما صنع أخونا المحترم عبد يشوع بطريرك الكلدان قبل سفره من عندنا عن عهد قريب».

وفي أيام هذا البطريرك جدد وأيّد البابا اكليمنضوس السابع في ١١ ايلول سنة ١٥٢٨م منح الغفران الذي كان سالفه البابا لاون العاشر قد أنعم به على من يزورون كنيسة الكرسي البطريركي في عيد ميلاد المخلّص وختانته وظهوره للتبشير (الغطاس) وصعوده وحلول الروح القدس (العنصرة)، وأعياد: ميلاد يوحنا المعمدان، وانتقال العذراء، والقديسين بطرس وبولس، ووجود الصليب بحيث أن يعترفوا ويتناولوا القربان الأقدس في تلك الأيام ويتبرعوا بدفع صدقة ما للكرسي

البطريركي أو لترميم غيره من كنائس الطائفة. وكذلك منح البابا بيوس الثالث في ٢١ تشرين الثاني سنة ١٥٤٢م غفران سبع سنين وسبع أربعينات للموارنة كل مرة تلا أحدهم أمام صورة المصلوب خمساً الصلوة الربانية والسلام الملكي، بحيث أن يكونوا تائبين ومعترفين حقيقة أن يقصدوا الاعتراف في الأزمنة المرسومة، ثم إنّ البابا بيوس الرابع فوّض إلى البطريرك موسى المذكور في رسالته المنفذة إليه في أول ايلول سنة ١٥٦٢م أن يحل من التأديبات البيعية جميع الهراطقة والمشاقين والمارقين سواء كانوا من الموارنة أو من أية ملّة كانت، وأثبت الغفارين الممنوحة من سلفائه. وترى هذه المراسيم الحبرية في ذيل المجمع اللبناني المطبوع حديثاً.

ومن أعمال البطريرك موسى المذكور أنه أرسل سنة ١٥٢٧م انطونيوس مطران دمشق لطلب التثبيت من الحبر الروماني، فوقع بيد اللصوص بالبحر وسلبوا ما كان معه حتى رسائل البابا. ثم استفك نفسه ودخل إلى روما ونال حظوة لدى البابا اكليمنضوس السابع. وسلّم إليه منشور الغفران المار ذكره، ودفع إليه توصاة إلى المؤمنين ليتصدقوا عليه، ولم يرسل درع الرئاسة إلى البطريرك لفقدان رسالته. وفي سنة ١٥٣٠م أرسل البطريرك رسالتين إلى البابا اكليمنضوس السابع مع بعض المرسلين يحقق له دوام خضوع ملّته للكرسي الرسولي، ويخبره عن الضنك الحاصل عليهم، ويسأله أن يكرم عليه بالملابس الكهنوتية، وأن يجعل الكردينال سنتاكروس وكيلاً عاماً للملّة المارونية، فأجابه البابا في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٥٣١م أنه قد سرّ كثيراً بأنّ شعبه ما برح يزداد عبادة وتقوى واستمساكاً بعرى الايمان الكاثوليكي، وأنه عيّن الكردينال المذكور وكيلاً بروما لأمة الموارنة وهو الذي ارتقى السدّة البابوية بعداً، ودُعيَ مرشلوس أو مرسل.

وفي سنة ١٥٤٢م أرسل البطريرك رسالة إلى البابا بولس الثالث مع أحد المرسلين سأل قداسته فيها أن يوصي رئيس الرهبان فرنسيس أن يرسل إليه ستة كهنة لينشئوا مدرسة بلبنان لتعليم بعض الشبان اللغة اللاتينية مبيّناً له أنه من مدة طويلة لم يأتِ أحد من قبل الحبر الروماني لزيارتهم، ولا استطاع هو أن يرسل أحداً يعرف اللغة إلى قداسته. وأثبت الدويهي ترجمة جواب البابا على هذه الرسالة في الفصل ١٦ من كتاب رد التهم. وفي سنة ١٥٤٥م أرسل كرلوس الخامس عاهل جرمانيا إلى البطريرك موسى بدلة جميلة لخدمة الاسرار الالهية مع الطبيب ابراهيم العاقوري. قال الدويهي وهي محفوظة إلى الآن في دير قنوبين. وفي سنة ١٥٥٣م

أخذ جابي المال في قبل والي طرابلس زيادة المال على المال المطلوب من دير قنوبين، فرفع البطريرك موسى عريضة إلى السلطان سليمان خان الغازي وكان يومئذٍ بحلب، فصدرت إرادته السنية يأمر لقاضي طرابلس أن ينظر في الدعوى ويأمر الجابي أن يردّ على دير قنوبين ما أخذه منه وتاريخ هذا الأمر في ١٥ محرم سنة ٩٦١ هـ (سنة ١٥٥٤ م).

وفي سنة ١٥٥٥م ارتقى إلى السدّة الرسولية البابا بولس الرابع فرفع البطريرك إليه رسالة يهنئه بها ويلتمس بركته ودعاءه. فأجابه البابا في ١٢ تشرين الثاني سنة ١٥٥٦م وأرسل إليه عدّة كاملة للتقديس. وقد ذكر ذلك الدويهي مفصلاً في الفصل السادس عشر من كتابه ردّ التهم. وفي سنة ١٥٥٧م عقد مجمعاً نهار خميس الأسرار وقدّس الميرون بحضرة ثمانية مطارين ونحو أربعماية كاهن ورزق الله مقدّم بشري وجم غفير. وفي هذه السنة أنشأ البطريرك كنيسة القديس جيورجيوس بقرية شدرة من عمل عكار.

وفي سنة ١٥٦١م اتفق أن وقع رجل في بئر كنيسة الموارنة بأورشليم المعروفة بكنيسة القديس جرجس ومات. فهرب الرهبان الموارنة الذين كانوا في تلك الكنيسة، وأتى جماعة من القبط دفعوا الغرامة التي توجّبت على الكنيسة ووضعوا يدهم عليها. فأخذ البطريرك موسى أمراً من مصطفى باشا والي دمشق إلى قاضي القدس مؤرخاً في شهر محرّم سنة ٩٧٢ هـ الموافقة ١٥٦٤ للميلاد، أن يسمع دعوى البطريرك ويرفع يد القبط عن الكنيسة، فسار البطريرك إلى القدس ومعه الدراهم اللازمة لاسترداد الكنيسة. وكان رئيس رهبان الفرنج اسمه بونيفاس فأقنع البطريرك أن لا يداعي القبط ولا يخسر الدراهم بل أن يقضي جماعته الموارنة فروضهم الدينية عند رهبانه في القدس في كنيسة المخلّص لكونهم قلائل. وكان لهم مذبح في كنيسة العلية الصهيونية، وإذا جار الزمان وخرج الرهبان أي رهبان القديس فرنسيس من القدس فتبقى كنيسة المخلّص بيد الموارنة. فاقتنع البطريرك بذلك، وعدل عن استرداد كنيسة القديس جرجس، ومداعاة القبط. واشترى بالدراهم داراً في القدس لجماعته. وهذا ظاهرمن رسالة كتبها البطريرك موسى إلى البابا بيوس الرابع وأرسلها مع الأب بونيفاس المذكور عندما انقضت مدة رئاسته وعاد إلى رومة.

ودخلت سنة ١٥٦١ ولم ينل البطريرك درع الرئاسة والتثبيت بالنوع المعتاد وإن تواترت عرائضه إلى الأحبار الرومانيين ونعمهم عليه كما رأيت، لأنّ الرسائل المرسلة مع المطران انطونيوس المذكور أتلفها اللصوص، ولم يتيسر له كل هذه المدة أن يرسل أحداً من أبناء ملّته يطلب له التثبيت. ففي هذه السنة بلغه أنّ القس جرجس القبرصي يعرف اللغة الايطالية، فدعاه إليه وأمره أن يسير إلى روما، ودفع إليه رسالة منه ورسائل من أساقفة الملّة وأعيانها إلى البابا بيوس الرابع لطلب درع الرئاسة، وأرسل معه ست براءات من أسلافه لبطاركة الموارنة. ولما وقف البابا على هذه الرسائل أنعم على البطريرك بدرع الرئاسة وأرسل له مع قاصده عدة كاملة للتقديس وبراءة الغفران السابق ذكره ومرسوماً يحتم به أن لا يعارض أحد رؤساء الموارنة في الولاية على كنائسهم وأوقافهم، لأنّ البطريرك كان قد شكا إليه تعدي أسقف الأفقسية بقبرص اللاتيني على أوقاف الموارنة.

وكان البطريرك قد سلّم إلى القسّ جرجس المذكور أوراقاً ممهورة بختمه دون كتابة شيء عليها، حتى إذا دعت الحاجة يكتب عليها ما شاء. فكتب على إحدى هذه الأوراق عريضة إلى قداسته يلتمس منه أن يرقّي القسّ جرجس إلى أسقفية دمشق، ويرسله إلى المجمع التريدنتيني لينوب عنه فيه، فأمر البابا بترقيته اكراماً للبطريرك، واعتذر له عن ارساله إلى المجمع لأنه لا يعلم اللاتينية وليس ضليعاً بالايطالية كما رأيت آنفاً. ولما بلغ المطران جرجس إلى قبرص تلبث فيها ولم يصل إلى البطريرك. وبلغت هذه الأخبار إلى البطريرك موسى وهو في القدس كما مرّ. فأرسل إليه اعلاماً بربطه عن الإلهيات، وكتب إلى البابا يشكر له لانعامه بدرع الرئاسة ويخبره بما كان من تزوير قاصده.

وفي سنة ١٥٦٧م كانت وفاة البطريرك موسى في ٩ آذار وله من العمر خمس وثمانون سنة، وفي البطريركية اثنان وأربعون سنة وثلاثة أشهر، ودُفن في مغارة القديسة مارينا كما مرّ.

عد ٤٨

البطريرك ميخائيل الرزي

في اليوم الثاني عشر بعد وفاة البطريرك موسى[١] اجتمع رؤساء الطائفة وأعيانها لانتخاب بطريرك ، فأجمع رأيهم على انتخاب الحبيس ميخائيل بن يوحنا الرزي من قرية بقوفا ، وكان ميخائيل المذكور أولاً رئيساً على دير قزحيا وعلى المحبسة . لكنه رغبةً في العزلة عن الناس ترك رئاسة الدير وأقام بمحبسة القديس بيشاي القريبة من الدير . ولما انتُخب للبطريركية تمنّع جداً من قبولها ، فألحّ عليه الأساقفة والأعيان بأن يخضع لمشيئة الله ، فقبل البطريركية على كره منه ، ثم أرسل أسقفاً يسمى يوليوس لزيارة شعبه بقبرص، وأمره أن يرسل إليه الشماس لوقا من قبرص لعلمه بأنه رجل فصيح خبير بلغات الافرنج . ولما أتى إليه رقاه إلى درجة الكهنوت ومقام البردوط ، وأرسله إلى روما مصحوباً برسائل الطاعة وشهادات رؤساء الملّة إلى الحبر الروماني طلباً لتثبيته . ومرّ لوقا المذكور بقبرص فوجد العساكر العثمانية محاصرة الجزيرة فاضطر أن يبقى فيها سنة كاملة . وبعد رفع الحصار سافر إلى روما ووقعت شبهة برسالة البطريرك لأنها ممهورة بختم جديد وكانت الأفكار متنبهة بسبب التزوير التي كان الخوري جرجس القبرصي قد أقدم عليه قبله . فتوقف تثبيت البطريرك . ثم إنّ الأب ايرونيموس فستاوس رئيس رهبان القديس فرنسيس انقضت مدة رئاسته فمضى يزور البطريرك قبل سفره إلى روما فصحبه البطريرك بعريضة أخرى إلى البابا يبيّن بها طاعته والتماسه ، فقدمها الرئيس إلى قداسته على يد الكردينال كارافا وكيل الموارنة بروما ، فسُرّ بها الحبر الروماني وحاشيته وهمّ بتثبيت البطريرك واجابة مطالبه فإذا كتابات وردت من قبرص قيل فيها أنّ البطريرك الجديد أصله يعقوبي خلافاً لما يقوله عنه ايرونيموس المذكور ، فتشوشت الخواطر وأمر البابا الكردينال كارافا أن يستقصي في هذه الأخبار . وكتب البابا والكردينال كارافا

---

(١) نص الدويهي في تاريخه ان البطريرك موسى توفي في التاسع من اذار ثم قال إنه في اليوم الثاني عشر (يفهم منه بعد وفاته) اجتمع رؤساء الملة وانتخبوا البطريرك ميخائيل فيكون انتخابه في ٢١ اذار. ونقل عنه لكويان في المشرق المسيحي ان انتخابه كان في ٣١ اذار فلا نعلم هل الخطأ في العدد الأول وصوابه في ١٩ اذار أو في العدد الثاني وصوابه في ٢١ اذار والأظهر انه توفي في ١٩ اذار كما رواه الدويهي في كتابه رد التهم اهـ.

والأب ايرونيموس إلى رئيس القدس الأب فرنسيس أن يمضي عاجلاً إلى لبنان ويفحص جيداً عن البطريرك الجديد وسيرته ومعتقده وأصله، وأن يطوف في البلاد يستوضح يقظاً صحة الأخبار عن البطريرك وعوائد ملّته. وكانت رسالة البابا هذه مؤرخة في ٨ حزيران ١٥٦٩م.

فسار الأب فرنسيس المذكور عاجلاً إلى لبنان وأطلع البطريرك ميخائيل على الرسائل الواردة له، فأمر البطريرك في آخر تشرين الثاني من السنة المذكورة باجتماع رؤساء الكهنة وعلماء الأمّة وقصّ عليهم ما ورد عليه من التهم، فهتف جميعهم من فم واحد أن لا أصل لهذه التهمة الشّنعاء وأنّ بطريركهم صحيح المعتقد جزيل التقوى والقداسة. وكتب المجتمعون تقريراً وممن وقّعوا عليه رئيس القدس المذكور والاسقف داود الحدثي، وسركيس الدويهي أسقف اهدن، وجرجس بن صرواص أسقف بشري، وسركيس الرزي أسقف عرقا وغيرهم. وأثبتوا بهذا التقرير أنّ البطريرك قويم الايمان حسن السيرة، حميد الخصال ما زاغ قطّ عن ايمان آبائهم وإنهم أكرهوه على قبول البطريركية. ومما كتبه البطريرك عن نفسه: «إن كنت قد غيّرت عادة من عوائد الكرسي الانطاكي فأكون مواخذاً أمام الله والكرسي الرسولي».

وسبب هذه التهمة أنّ أهل بقوفا قرية هذا البطريرك كان بعضهم وهم سكان المحلة السفلى قد مالوا إلى اليعقوبية باغواء ديوسقوروس بن ضو اليعقوبي، فوثب عليهم أهل اهدن ودكوا منازلهم وطردوهم من البلاد، وأما بيت الرزي الذين كانوا يسكنون المحلة العليا من القرية فصانوا نفوسهم من الضلال، لكنهم اضطروا إلى المهاجرة من قريتهم إلى قرية كفرحورا وما برحوا إلى اليوم يحافظون على ايمان آبائهم، وقام منهم ثلاثة بطاركة دبروا الكرسي الانطاكي نحو إحدى وأربعين سنة. قال الدويهي الذي ننقل هذه الأخبار عن كتابه في رد التهم (فصل ١٦): «وما زال أعقابهم إلى اليوم حكاماً على زاوية رشعين يقومون بمعاضدة الكرسي البطريركي بكل جهدهم كما يفعل الآن الشيخ أبو شديد ضاهر خليفة الشدياق انطونيوس بن الرزي».

ثم إنّ البطريرك ميخائيل أرسل إلى البابا غريغوريوس الثالث عشر المطران جرجس البسلوقيتي والخوري اقليمس الأهدني مصحوبين برسائل منه ومن رؤساء

الأمّة يؤدون بها فروض الطاعة ويلتمسون درع الرئاسة للبطريرك. ولما اطلع البابا على الرسائل سُرّ بها وأرسل إلى البطريرك رسالة مؤرخة في ١٤ شباط سنة ١٥٧٧م سنذكر ملخصها، وأرسل مع القاصدين إلى البطريرك الأب جوان باطيستا (يوحنا المعمدان) اليان والأب توماراديوس من اليسوعيين وأمرهما أن يفحصا عن ايمان الموارنة وطاعتهم وكتبهم وعوائدهم، وأرسل معهما للبطريرك عدة كاملة للتقديس، ورسالة يوصيه بها بالأبوين المذكورين. ولما بلغا مع القاصدين البطريركيين إلى قنوبين، رحّب البطريرك بهم وأمر باجتماع الأساقفة ورؤساء الأديار وأعيان الشعب، فأقرّ أماهم بأنه ماروني ابن ماروني متشبث بالخضوع لصاحب الكرسي الروماني، وأقسم على أنه يقبل كل ما يقبله ويرذل كل ما يرذله. ثم كتب ذلك في صفيحة وطواها وقال ها هو اعتقادي، عليه أحيا وعليه أموت.

ثم استأذن جوان باطيستا البطريرك أن يطوف ببلاد الموارنة ويطلع على كتبهم وعوائدهم، وكان يعلم العربية ويُحسن قراءة الخط الكرشوني فسُرّ البطريرك بذلك، وكتب رسالة بخط يده إلى الأساقفة ورؤساء الأديار والأعيان ليحسنوا ملتقاه واكرامه ويطلعوه على كل ما يحب من الكتب، وأمر أخاه المطران سركيس والقس جرجس يونان من ايليج أن يرافقاه، واستمر نحو سنة يجول في الأديار ويتفقد الكنائس ويطّلع على الكتب. وصنع لنفسه ثلاثة دفاتر يكتب في الأوّل ما يراه من الغلط، وفي الثاني ما يلزم استشارة البابا فيه، وفي الثالث ما يلزم الكهنة والعامة التنبيه إلى حفظه. وبينما كان الناس يتوقعون انعقاد مجمع طائفي وفد أمر من رئيس اليسوعيين يطلب به عود جوان باطيستا إلى روما، فودّع البطريرك في ٢٥ من شباط سنة ١٥٧٩م وسافر، وأرسل البطريرك معه عريضة للبابا ورسالة إلى الكردينال كارافا، وبعث معه شابّين وهما جبرائيل الأدنيتي وكسبر القبرصي ليقتبسا العلوم برومة.

وقد حفظ لنا مرهج بن نيرون الباني في كتابه في اسم الموارنة وأصلهم ودينهم فقرة من رسالة من هذا البطريرك إلى الكردينال كارافا مؤرخة في ٢٥ آب سنة ١٥٧٨م في شأن بعض العبارات التي أدخلها الهراطقة على كتبنا. ومما قاله «قد يمكن أن يكتب إليكم أحد أنّ في كتبنا كلمات تخالف معتقد الكنيسة المقدّسة فثق أخي أننا لا نقبل إلّا ما تقبله الكنيسة المقدّسة، وإن كان في بعض النسخ شيء يخالف ذلك، فقد أدخله الهراطقة المحدقون بنا على تلك الكتب من زمان

طويل. فدع كل ريبة وشبهة باستقامة ايماننا فنحن مؤسسون من أقدم الأيام على صخرة ايمان الكنيسة المقدّسة الرسولية الرومانية، وقد تشبثنا به دائماً ولا نكلمكم بفمنا فقط بل بالفم والقلب معاً والله شاهد على ذلك».

وأما جوان باطيستا فلما بلغ إلى روما مثُل بحضرة البابا ودفع إليه رسالة البطريرك وأخبره عن أحواله وأحوال ملّته مثنياً على طاعتهم للكرسي الرسولي وصحة ايمانهم وتقواهم. ثم قال إنه بسبب اختلاطهم بأهل البدع اندسّ في كتبهم بعض أغلاط واستطرقوا بعض عوائد غير حميدة. وسأل قداسته أن ينشيء لهم مدرسة في روما يتهذّب بها شبانهم المرشحون للدرجات الكهنوتية. فابتهج البابا بما سمعه منه وشكر الله على أنه حفظ في الايمان الكاثوليكي شعباً بعيداً بعداً شاسعاً عن روما. وفي أول سنة ١٥٨٠م أمر جوان باطسيتا أن يعود إلى لبنان ومعه الأب جوان بردن من اليسوعيين أيضاً، وأرسل للبطريرك معهما براءة التثبيت ودرع الرئاسة وكأساً وحللاً كهنوتية وآنية للميرون وقوالب للبرشان وصوراً ومسابح ورسالة للبطريرك يخوّله بها لبس درع الرئاسة، ورسالة أخرى إلى الأسقف سركيس والأسقف داود ليتوليا تلبيسه الدرع والشهادة على ابرازه يمين الطاعة. والرسالتان بتاريخ ١٢ آذار ١٥٨٠م. وفي عيد انتقال السيدة لبس البطريرك الدرع وحلف يمين الطاعة على موجب الصورة المرسومة في المجمع التريدنتيني. وعُقد بعد ذلك المجمع الطائفي الذي سنفرد له فصلاً مخصوصاً.

أما الرسالة التي أنفذها إليه البابا غريغوريوس الثالث عشر مع قاصديه والأب جوان باطيستا فهي المثبتة ترجمتها في الفصل الحادي عشر من ذيل المجمع اللبناني المطبوع حديثاً صفحة ٣٢ وخلاصة ما قال فيها: «قد بلغنا أنّ قميص الرب غير المخيط الذي حاول أعداء الكنيسة أن يشقوه ما زال محفوظاً على سلامته عند أبناء الروح الذين على بعد رجائهم ثبتوا غير متزعزعين في وحدة الكنيسة الرومانية كما عرفنا مؤخراً من فحوى رسالتك المكتوبة بخط يدك المرفوعة إلينا على يد الأخ المحترم والأسقف جرجس والابن الحبيب الخوري اقليمس اللذين أوفدتهما إلينا، فنحن نسدي الحمد لله الذي عزانا بايمانك ونقبل بعاطفة المحبة الأبوية الطاعة التي أديتموها. ونثني كثيراً على اخلاصكم ونصرّح بأننا قد اتخذناك أنت وجميع الموارنة تحت عهدتنا وحماية السدّة الرسولية جرياً على آثار سلفائنا الأحبار الرومانيين. ونبذل لكم كل ما تفتقرون إليه من المساعدات وإذا كتنم في التماس

خلاص نفوسكم لم تزالوا بحول الله حافظين وديعة الايمان ، فرغبةً في مزيد نموكم في سبيل الخلاص والعمل بوصايا الله والكنيسة وحفظ تقليداتها رأينا من الواجب أن نحثكم بالنصائح الأبوية على الاجتهاد في أن ترعوا سالماً ما عهده إليكم سلفاؤنا ولا سيما اينوشنسيوس الثالث ، واوجان الرابع ، ولاون العاشر فإننا اقتداءً بهم ننبهكم إلى بعض أمور أدخلتموها عندكم على ما علمنا من خطأ منها ، على ما بلغنا أنكم في ذبيحة القدّاس تزيدون على التقديسات الثلاثية يا من وُلدت لأجلنا يا من صُلبت لأجلنا ارحمنا وهي تعزى إلى الثالوث كله ، لذلك نحكم بوجوب حذف تلك الزيادة ، ونأمر أنّ الميرون المقدّس يكون من زيت الزيتون والبلسم الصرف دون أن يُخلط بمادة أخرى ، وأن يكون تكريسه يوم خميس الأسرار وأن لا يُسمح بتوزيع سر التثبيت إلَّا للأساقفة . وإنه يلزم مناولة الأطفال سرّ القربان المقدّس ولا يُخفى على درايتك أنّ نصّ الشرع صريح بأنّ درجات القرابة الدموية والإلهية التي يُحرم معها عقد الزواج لا تتعدى الدرجة الرابعة » . فهذا خلاصة ما جاء في هذه البراءة .

على أن زيادة يا من صُلبت لأجلنا على التقديسات كانت من عادة الكنيسة الانطاكية ، متى وجهت هذه الزيادة إلى ابن الله المتجسد لا إذا وُجهت إلى الثالوث . وكذا نصّ على هذه الزيادة القديس يوحنا مارون في شرحه رتبة القداس ، ولذلك استمرت ملتنا تستعمل هذه الزيادة بالمعنى المذكور مقصوداً بها أنّ الله المتجسد . ومن أقدم الأيام اعتاد بعض أهل بطريركية انطاكية أن يزيدوا في آخر التقديسات عند توجهها إلى المسيح ، أيها المسيح الذي صُلبت لأجلنا أو الذي قمت من بين الأموات ارحمنا كما نفعل نحن الآن . وكذلك كان الموارنة كباقي الشرقيين يضيفون في زيت الميرون البلسم وعقاقير أخرى ، فبعد هذه البراءة عدلوا عن أن يضيفوا في الزيت إلَّا البلسم ، وكذلك كان كهنتنا يوزعون سر التثبيت كما يصنع باقي الشرقيين إلى اليوم ، إذ يمنحون هذا السر مع سر المعمودية ، وحُفظ بعد هذه البراءة توزيعه للأساقفة وحدهم ، إلَّا أن يرخّص البطريرك لأحد الكهنة بتوزيعه كما نصّ مجمعنا اللبناني . وكان كهنتنا أيضاً يناولون الأطفال كباقي الشرقيين ، فامتنع بعدئذٍ هذا الأمر عندنا . ويظهر أنّ درجات القرابة المحرمة الزواج كانت تتصل إلى الدرجة الخامسة كما هي اليوم عند الروم فاقتصر بعد هذه البراءة على الدرجة الرابعة .

ومن الأحداث التي كانت في أيام البطريرك ميخائيل أنّ المطران داود الذي كان متوكلاً على دير قزحيا انتقل مع الخوري مارون القبرصي والقس يعقوب بن حويص الحاقلي إلى دير حوقا، وهناك رقّى دون مشورة البطريرك إلى درجة الأسقفية القس يعقوب المذكور واستحضر الحبيس يونان وأخاه القس يوسف ابني جلوان من سمر جبيل راهبّي دير قزحيا فرقاهما أيضاً إلى الأسقفية، فلما علم البطريرك بذلك ربط الحبيس يونان وأخاه وأمر الحاكم بخروجهما من دير قزحيا،وأخذ الحبيس يونان إلى محبسة القديس سمعان بالفراديس، وأخوه القس يوسف سار إلى سمر جبيل قريته. وبعد ثلاثة أشهر نزل المقدّم مقلد والشدياق خاطر الحصروني وأعيان البلاد فاسترضوا البطريرك عنهم وباركهم وأذنهم بالعود إلى دير قزحيا.

وانتقل البطريرك ميخائيل من هذه الدنيا إلى راحة الأبرار في ٢١ ايلول سنة ١٥٨١م وقد استمر بالبطريركية أربع عشرة سنة وخمسة أشهر وواحداً وعشرين يوماً. ووصفه الدويهي بأنه كان فصيح القلم حسن الخط ليّن العريكة كثير المبرّات.

عد ٤٩

البطريرك سركيس الرزي

في اليوم التاسع بعد وفاة البطريرك ميخائيل، اجتمع الأساقفة ورؤساء الأديار والأعيان فانتخبوا أخاه المطران سركيس الرزي إلى البطريركية بحضرة قاصدي البابا جوان باطيستا وجوان برون. ورفع البطريرك والأساقفة العريضة إلى البابا غريغوريوس الثالث عشر، ورسالة إلى الكردينال كارافا وكيل الملّة. وكلفوا الأب جوان برون أن يتوجه بها إلى رومية لطلب التثبيت ودرع الرئاسة للبطريرك الجديد. فسار الأب جوان وأخذ معه أربعة شبان لاقتباس العلوم بروما: وهم الأول يوحنا بن يعقوب الحصروني وهذا بعد عودته في سنة ١٥٩٠م لبس اسكيم القديس عبد الأحد ثم صار أسقفاً، والثاني مرقس بن اسطفان المطوشي القبرصي، والثالث يعقوب بن سمعان الحصروني، والرابع انطونيوس الحصروني. ولما انتهى الأب جوان إلى أم المدائن قدّم عرائض البطريرك والأساقفة والأعيان إلى الحبر الأعظم فسُرّ

قداسته وأرسل إلى البطريرك براءة تثبيته ودرع الرئاسة، ورسالة إلى أسقف طرابلس ليلبسه الدرع ويقبل منه يمين الطاعة. وتاريخ هذه البراءة الخامس من آذار سنة ١٥٨٢م.

وبعد أن لبس البطريرك درع الرئاسة رفع عريضة الشكر للحبر الروماني مع القسّ يوحنا أيوب الحصروني والقسّ يعقوب الدويهي والشماس ابراهيم الادنيتي، وأرسل عشرة شبان لاقتباس العلوم منهم جرجس بن عميرة الأهدني الذي صار بعداً أسقفاً على اهدن ثم بطريركاً، وسركيس بن موسى أخو البطريرك الذي صار بعداً أسقفاً على دمشق، وموسى العنيسي من العاقورة وصار أسقفاً على الأفقسية، وبطرس بن جبرائيل المطوشي ودخل بعداً شركة اليسوعيين. ثم أرسل البطريرك في السنة التالية أربعة شبان من موارنة حلب حتى صار عدد تلاميذ الموارنة بروما نحو عشرين تلميذاً، فحينئذٍ أنشأ البابا غريغوريوس الثالث عشر مدرسة خاصة للموارنة سنة ١٥٨٤م قال عند افتتاحها: «إنّ الموارنة سكان لبنان هم مستمرون من أعصار كثيرة على الايمان الكاثوليكي والخضوع والطاعة للكنيسة الرومانية دون سائر الطوائف الشرقية غير المؤمنة وغير المتحدة». وأمر البابا بنقل الشبان الموارنة إلى مدرستهم. وكانت النفقة عليهم أولاً من مال قداسته، ولما رقد بالرب سنة ١٥٨٥م وخلفه البابا سيستوس الخامس ولم يكن أقل محبة للموارنة رتّب لهذه المدرسة دخلاً يقيم بأود خمسة عشر تلميذاً، ثم توفي الكردينال كارافا وكيل الموارنة سنة ١٥٩١م فوقف قبل وفاته تركته على مدرسة الموارنة وكانت تبلغ عشرة آلاف ريال رحمه الله وأجزل أجره، فأجدّت هذه المدرسة على الموارنة بل على الكنيسة كلها بفوائد دينية وعلمية لا تقدّر. فإنه قام من تلاميذها بطاركة وأساقفة كثيرون ونبغ منهم جهابذة طبق ذكرهم الخافقين فأناروا المغرب بتواريخ المشرق وكانت كتبهم وما برحت كمرقاة للعلوم ومشكاة يُستنار بنورها في أمور المشرق. وسنأتي على ذكر كثيرين منهم وعلى ذكر تآليفهم الغراء.

ولما ارتقى البابا اكليمنضوس الثامن إلى الحبرية العظمى رقى البطريرك سركيس ابن أخيه إلى الأسقفية. وأرسله سنة ١٥٩٥م لتهنئة البابا واداء الطاعة له، فقبله البابا أحسن قبول. ولما همّ بالعود أرسل البابا معه ايرونيموس دنديني وغابيوس برون اليسوعي وأرسل معهما للبطريرك عدة كاملة للتقديس وأمرهما أن يفحصا عن أمور الطائفة وعوائدها، وكان وصولهم جميعاً في شهر آب سنة ١٥٩٦م. وبلغ

البطريرك أنه شاع في المغرب أنّ الموارنة كانوا ضالين وأنّ الأب جوان باطيستا هداهم في مجمع عقده في أيام البطريرك ميخائيل فتولاّه غيظ شديد، فدعا في الثاني من ايلول الأساقفة والرؤساء والأعيان وعقد مجمعاً تلا فيه رسالة البابا. أمام الأب دنديني عن طائفته، ومما قاله إنه هو كان يقدّم الكتب للأب باطيستا عند تطوافه في جبل لبنان وكان يترجمها له، وأنّ تلك الكتب لم تزل موجودة عند أصحابها ومرسومة بخطه باللاتيني. وأحضرت حينئذٍ تلك الكتب فظهر أنّ الأغلاط التي أشار إليها باطيستا لم تكن بكتب الموارنة بل بكتب اليعاقبة. وبيّن البطريرك صحة ايمان الموارنة في كتبهم حتى تعجب الأب دنديني وأقرّ أنّ ما اتهم به قصاد الباباوات الموارنة هو تجنٍ عليهم كما هو مدوّن في كتاب بعثته إلى لبنان. وكان عقد المجمع المذكور في ١٨ ايلول سنة ١٥٩٦م بحضرة الأب ايرونيموس دنديني اليسوعي المرسل من لدن البابا اكليمنضوس الثامن، وسنفرد للكلام فيه فصلاً مخصوماً. ثم توفي البطريرك سركيس الرزّي في السابع والعشرين من شهر ايلول تلك السنة بعيد انحلال المجمع بعد أن دبر البطريركية ست عشرة سنة.

عد ٥٠

البطريرك يوسف الرزي

في اليوم التاسع بعد وفاة البطريرك سركيس الرزي اجتمع الأساقفة ورؤساء الأديار والأعيان، وانتخبوا خلفاً له المطران يوسف ابن أخيه موسى الرزي، فأوفد البطريرك الجديد سنة ١٥٩٨م الخوري جرجس بن يونان من قرية ايليج، والشدياق يوسف الياس الحلبي إلى روما لاداء فروض الطاعة للحبر الأعظم، والتماس التثبيت ودرع الرئاسة فتعطّف عليه البابا اكليمنضوس الثامن بذلك سنة ١٥٩٩م. وفي سنة ١٦٠٣م رقى البطريرك القس يوحنا الحصروني ابن الشدياق حاتم الحوشبي إلى الأسقفية، وكان من تلاميذ مدرسة روما، وأوفده إلى البابا بولس الخامس ليقدّم له فروض الطاعة، فعاد المطران يوحنا من سفره في سنة ١٦٠٦م، وكان البابا قد أوعز إليه أن يتبع الموارنة الحساب الغريغورياني الجديد. فأمر البطريرك باتباع هذا الحساب فعيّد الموارنة بطرابلس وجبة بشري والبترون وجبيل عيد الرسل مع الافرنج قبل الطوائف الشرقية بعشرة أيام، ثم اتبع باقي الموارنة هذا الحساب في دمشق وحلب

وسائر المدن والقرى إلّا موارنة قبرص فاستمروا مدة على الحساب القديم وحينئذٍ ترك الموارنة أيضاً حساب سني اسكندر الذي كانوا يؤرخون به فصاروا يؤرخون بحساب سني ميلاد المخلّص.

وكان للبطريرك يوسف صداقة وانتماء إلى يوسف باشا بن سيفا، فساعده كثيراً في تدبير طائفته وردّ إلى الطاعة من كان يخالفه من شعبه. وهو الذي أقام الجسر الذي على نهر اهدن بين عنطورين وكفر سغاب. وبنى دير القديس دوميط بأرض داريا وأنفق على ذلك نفقات ضخمة. وأراد حسام الدين أحد خدام يوسف باشا أن يتزوج بامرأة لا يحلّ له الزواج بها، فنهاه البطريرك فلم ينتهِ فطعنه بالحرم فمات بغتة. ولرغبته في اتحاد طائفته بالكنيسة الرومانية والسلوك على آثارها في كل شيء أباح الأساقفة أكل اللحم وأباح العامة أكل السمك وشرب الخمر في الصوم الكبير، وأبطل سبّة نينوى وهي أسبوع كانوا يكثرون فيه التقشفات والصلوات، وأوجز مدة الانقطاع عن أكل اللحم قبل عيد الرسل وقبل عيد الميلاد. على أنّ ذلك لم يرق للبابا بولس الخامس كما يظهر من الرسالة التي أنفذها إلى خليفته البطريرك يوحنا مخلوف في ٦ آذار سنة ١٦١٠م حيث ينقض ما تسامح به البطريرك يوسف المذكور، بناءً على أنّ ذلك من العوائد الحميدة التي إتصلت إليهم من آبائهم الأبرار. على أنّ ما ردّ ما صار التسامح به كان صعباً في أمور مثل هذه فقل من رجع إلى العوائد القديمة.

وكان في أيام هذا البطريرك أناس في العرقوب يسمون البياضية يعتقدون النصرانية باطناً ويظهرون الاسلام ويعتمّون بعمائم بيضاء كالمسلمين. فدفع البطريرك مبلغاً كبيراً من المال ليوسف باشا ابن سيفا والي طرابلس فنال منه منشوراً أباح هؤلاء أن يتظاهروا بالمذهب الذي يؤثرونه دون خوف ولا حرج. فتظاهروا بالنصرانية. وفي سنة ١٦٠٧م أرسل أخاه المطران سركيس إلى البابا بولس الخامس وبعث معه القسّ الياس ابن الحاج حنا والقس جرجس مارون من اهدن والشماس يوسف فرحب البابا بهم وأكرم مثواهم، إلّا أنّ البطريرك قضى أجله بعد مدة قصيرة، فحزن عليه البابا وحاشيته حزناً شديداً ،وكتب رسالة إلى الأساقفة والاكليرس والشعب الماروني يثني بها عليهم لحفظهم دائماً الايمان الكاثوليكي سالماً ويعزيهم بوفاة هذا البطريرك ويطنب في الثناء عليه ويأمر بأن يكثروا من الأعمال الصالحة لراحة نفسه. وهذه الرسالة مؤرخة في ٢٨ من تشرين الثاني سنة ١٦٠٨م

وتجدها برمتها في الفصل ١٨ من ردّ التهم للدويهي. ورجع القسّ الياس والقسّ جرجس بهذه الرسالة إلى لبنان وأمر البابا المطران سركيس أن يبقى بروما للعناية بطبع بعض الكتب اللازمة للطائفة وبقضاء بعض حاجاتها.

وكانت وفاة البطريرك يوسف الرزي في شهر آب سنة ١٦٠٨م وله في البطريركية إحدى عشرة سنة.

عد ٥١

المجمع الطائفي الذي عُقد في أيام البطريرك ميخائيل الرزي سنة ١٥٨٠م

لم يذكر العلامة الدويهي هذا المجمع بل قال في الفصل ١٦ من رد التهم أنّ الناس كانوا يتوقعون عقده سنة ١٥٧٩م، ولكن ورد أمر من رئيس اليسوعيين إلى الأب جوان باطيستا ليرجع إلى روما، فرجع إليها ثم عاد إلى لبنان سنة ١٥٨٠م. بل ورد في الفصل ١٧ من رد التهم أنّ البطريرك سركيس الرزي أخا البطريرك ميخائيل كان يحتج أمام الأب ايرونيموس دنديني سنة ١٥٩٦م أنّ أخاه البطريرك ميخائيل لم يعقد مجمعاً. فلا نعلم أفات الدويهي العلم بهذا المجمع أم أُدخلت يد غير يده على كتابة العبارة السابق ذكرها أنّ البطريرك ميخائيل لم يعقد مجمعاً لأننا وجدنا المطران اسطفانوس عواد السمعاني ذكر في كتابه فهرست الكتب الشرقية في المكتبة الماديشية (صفحة ١١٧) نسخة من أعمال هذا المجمع. وكنا قد ترجمنا كلام المطران اسطفان عواد المذكور المشتمل على تلخيص هذه الأعمال وعزمنا أن نرسل نستنسخ أعمال هذا المجمع في المكتبة الماديشية المذكورة وإلّا عثرنا في المجلد الخامس من مكتبة الناموس للعلامة السمعاني (صفحة ٥٢١) على أعمال هذا المجمع برمتها عن نسخة أصلية فاكتفينا بتلخيصها عنه.

قال العلامة المذكور: «لدي نسخة أصلية باللاتينية والعربية من المجمع الذي عقده ميخائيل الرزي بطريرك الموارنة بدير قنوبين في ١٦ آب سة ١٥٨٠م بحضرة يوحنا باطيستا اليان ويوحنا برون اليسوعيين سفيرَي الكرسي الرسولي من قبل البابا غريغوريوس الثالث عشر إلى الموارنة ومذيّل بتوقيع البطريرك والأساقفة الآتي

ذكرهم، وبشهادة يوحنا باطيستا المذكور بأنه ترجم الأعمال العربية إلى اللاتينية في ٢٠ ايلول سنة ١٥٨٠م، والنسخة العربية كتبها الخوري يوحنا الحصروني، وقال إنه نسخها بأمر آباء المجمع والقاصدين الرسوليين.

وفاتحة هذا المجمع أنه لما كان هذا المجمع المقدّس اجتمع للمحافظة على الايمان الكاثوليكي وكان هذا الايمان متضمناً في الأسفار المقدّسة والتقليدات الإلهية والمجامع المقبولة من الكنيسة، فلهذا يثبت هذا المجمع ويقبل ويكرم أسفار العهدين العتيق والجديد كما ذكرتها المجامع المقدّسة ولا سيما المجمع التريدنتيني. ويحترم التقليدات الملاحظة الايمان والآداب ويجلّ المجامع وجميع الآباء الذين تقبل الكنيسة الكاثوليكية الرومانية شهادتهم. ويشتمل هذا المجمع على عشرة عنوانات أو فصول.

العنوان الأول في الايمان الارثوذكسي ويشتمل على سبعة قوانين أولها ما تقدّم ذكره في الفاتحة، ويليه الاعتراف بوحدانية الله: تثليث أقانيمه وانبثاق الروح القدس من الآب والابن. وإنّ في المسيح طبيعتين وأقنوماً واحداً ومشيئتين وفعلين. ثم تحريم زيادة يا من صُلبت لأجلنا ارحمنا موجهة إلى الأقانيم الثلاثة ولزوم الاعتقاد بالمطهر. وإنّ الله يدين بعد الممات كل انسان كأعماله فيحصل الأبرار على السعادة والأشرار على العذاب في الجحيم بعد الموت حالاً.

العنوان الثاني في الأسرار بالعموم وفيه ثلاثة قوانين. إنّ أسرار الشريعة الجديدة سبعة وإنها تكتمل بالأشياء كأنها مادة وبالألفاظ كأنها صورة وبشخص الخادم الفاعل بنية ما تفعله الكنيسة، وإنّ المعمودية والتثبيت والدرجة تجعل في النفس وسماً لا يمحى فلا تعاد.

العنوان الثالث في المعمودية وفيه ثمانية قوانين تبيّن فيها ضرورتها للخلاص مادتها وصورتها وخادمها ومفعولها، وإنّ كل كنيسة تحفظ عادتها في التعميد بالتغطيس أو السكب، وإنّ القرابة الروحية تكون بين القابلين والمعمد وأبيه وأمه وبين المعمِّد والمعمَّد وأبيه وأمه. وإنّ الولد إذا حملته أمه قبل طهرها لا يكتسب نجاسة سواء كان قبل العماد أو بعده.

العنوان الرابع في سر التثبيت وفيه أربعة قوانين تبيّن فيها أنّ مادة هذا السر هي البلسم مع الزيت المبارك وصورته وكونه غير المعمودية وكون خادمه هو الأسقف

ومفعولاته تقوية الروح القدس للمثبت في الحرب الروحية، وإنّ الأولى في تثبيت الأولاد الانتظار إلى السنة السابعة من عمرهم.

العنوان الخامس في سر الأوخاريستيا وفي ثلاثة قوانين تبيّن فيها أنّ مادة هذا السر الخبز القمحي وخمر الكرمة الممزوج بقليل من الماء، وإنّ صورته كلمات المسيح هذا هو جسدي الخ. وإنّ الخبز والخمر يستحيلان إلى جسد المسيح ودمه ويكون تحت كل من الشكلين كاملاً. وإنّ مناولة الأطفال ليست ضرورية للخلاص وإنه يلزم إزالة العادة بمناولة الأطفال تبعاً للكنيسة الرومانية.

العنوان السادس في سر التوبة وفيه ثلاثة قوانين تبيّن بها أنّ مادة هذا السر أعمال التائب وصورته قول الكاهن أنا أحلّك وخادمه الكاهن الحائز على سلطة الحلّ.

العنوان السابع في سر المسحة الأخيرة وفيه قانونان تبيّن بهما أنّ مادته هي زيت الزيتون المبارك من الأسقف وإنه لا يُعطى إلّا للمريض الذي يُخشى موته، وإنه يلزم دهن عينيه وأذنيه ومنخريه وشفتيه ويديه ورجليه وصلب ظهره، وإنّ صورته هي الألفاظ التي يتلوها الكاهن عند دهنه كل عضو من أعضائه المذكورة.

العنوان الثامن في سر الدرجة وفيه ثلاثة قوانين تبيّن فيها أنّ مادته تسليم الشيء الذي تكمل فيه الدرجة مثلاً في الكاهن تسليمه الكأس مع الماء والخمر والصينية، وفي الشمامسة تسليم الأناجيل، وفي الشدايقة تسليم الكأس فارغاً وآنيته الخمر والماء وكتاب الرسائل، وفي الشمعدانية تسليم الشمعدان واطفاء الشمعة، وفي المقسمين كتاب التقسيم، وفي القارئين كتاب القراءات، وفي البواب تسليم مفاتيح الكنيسة. وإنّ صورة هذا السر هي الألفاظ المعيّنة في كتاب الرسامات مع وضع يد الأسقف. وإنّ خادم هذا السر هو الأسقف.

العنوان التاسع في سر الزيجة وفيه خمسة قوانين تبيّن فيها أنّ العلّة الفاعلة في الزواج هي الرضى المتبادل المصرّح به بالألفاظ عن الزمان الحاضر، وإنّ الزيجة غير منحلّة وإن أمكن الافتراق نظراً إلى الفراش، وإنّ الزواج المعقود شرعياً هو صحيح ولو كان دون رضى الوالدين. وإنّ الزواج مرات جائز إذا لم يضاد ذلك مانع آخر، وإنه يسوغ الزواج بين أخين وأختين وزواج الأب بالأم وزواج الابن مع بنتها لأنّ مانع الأهلية لا يكون بين أقرباء المتعاقدين بل بين كل منهما وأقرباء الآخر.

العنوان العاشر في التهذيب يشتمل على اثني عشر قانوناً تبيّن بها أنّ من نال درجة مقدّسة بالرشوة يُمنع من الشركة هو ومن رقاه إليها. وإنّ من نال درجة أو مقاماً بحيلة أو تزوير لزم عزله واقصاؤه عن الشركة، وإنّ من حاز درجة من غير أسقفه يُمنع من رقاه عن ترقية غيره مدة سنة ويربط من ترقى عن مباشرة درجته إلى أن يحسن لأسقفه أن يحله وأن يمنع من الدرجات من لم يقبل سر التثبيت أو لا يعلم مبادئ الايمان والقراءة والكتابة، وأن يجري الفحص على المتدرجين وينالوا الشهادة، وأن لا يرقى أحد من الشدايقة قبل الثانية والعشرين من عمره. ولا إلى الشمامسة قبل الثالثة والعشرين. ولا إلى الكهنوت قبل الخامسة والعشرين وقبل أن يبرز أمام الأسقف اعترافه بالايمان الكاثوليكي. وإنه يلزم من قبل الدرجات المقدّسة أن يتلو الفرض المعتاد أو صلوات غيره تؤلف بصورة عامة من البطريرك أو بأمره. وإنه يلزم أن يكون رعاة في كل قرية أو خورنية، وإنه يلزم البطريرك والأساقفة أن يزوروا رعاياهم بأنفسهم أو وكيلهم العام أقلّه كل سنتين مرة. وإنه يلزم عقد مجامع اقليمية أقلّه كل ثلاث سنين مرة. وإنه يلزم الكهنة أن يعلّموا الأحداث التعليم المسيحي أقلّه في أيام الآحاد والأعياد. وأن لا يقتنى أحد كتباً موضوعها الأشياء المقدّسة ما لم تكن تلك الكتب مفحوصة ومثبتة من السيد البطريرك أو من أشخاص يعيّنهم لذلك، وذلك تحت طائلة الحرم، وكذلك يحظّر على كل أحد أن يكتب كتباً تتعلّق بالأشياء المقدّسة أو يبيعها ما لم تكن مثبتة من الأساقفة. والقانون الأخير من هذه القوانين قيل فيه: «لما كان الحبر الروماني خليفة بطرس السليح رئيس الرسل ونائب المسيح ورئيس الكنيسة كلها وقد حاز بشخص بطرس الأمر أن يرعى ويدبر الكنيسة كلها وسلمت إليه السلطة المطلقة كما تبيّن في المجامع المقدّسة والعامة، فنحن في هذا المجمع المقدّس نأمر بأنه كلما أنتُخب حبر روماني جديد يعيّن الاكليروس الماروني واحداً أو أكثر منهم ليذهب باسم جميعهم ليقدّم الطاعة والاحترام للحبر الروماني واعداً بأنّ كنيستنا هذه تبقى دائماً على هذه العادة كلما انتخب بطريرك للموارنة يتوجه بنفسه أو يرسل غيره ليستمد له تثبيت انتخابه كما جرى من أقدم الأيام إلى الآن.

ويلي ذلك توقيع الآباء الذين شهدوا هذا المجمع هكذا: «أنا ميخائيل بطريرك الموارنة الانطاكي. أنا يوحنا المعمدان اليان اليسوعي قاصد الكرسي الرسولي. أنا يوحنا برون اليسوعي قاصد الكرسي الرسولي. أنا سركيس من كفرحورا أسقف

ورئيس دير قزحيا. أنا يوحنا رئيس أساقفة اهدن. أنا جرجس رئيس أساقفة دمشق. أنا اقليموس من اهدن معاون البطريرك الانطاكي. أنا داود أسقف العاقورة. أنا يوسف رئيس أساقفة قبرص».

عد ٥٢

المجمع الطائفي الذي عقده البطريرك سركيس الرزي سنة ١٥٩٦م

إنّ الأب جوان باطيستا المذكور كان عند تطوافه بلبنان ومطالعته بعض كتب بيعية قد جمع بعض أغلاط عزاها إلى الموارنة، وكان غيره أيضاً قد عزا إليهم أغلاطاً أخرى، فعقد بسبب ذلك مجمع البطريرك ميخائيل المذكور، فكثُرت الأقوال في أوروبا أنّ الموارنة كانوا ضالين فهداهم جوان باطيستا، فلم يتحمل البطريرك سركيس هذه التقوّلات على ما يظهر، وسأل البابا أن يوفد إليه قاصداً ليوضح له بطلان هذه التهم، فأوفد إليه البابا اكليمنضوس الثامن الأب ايرونيموس دنديني البيسوعي ليفحص عن هذه الأمور في مجمع يعقده البطريرك وأساقفته بحضرته. ومذ الثاني من أيلول سنة ١٥٩٦م أمر البطريرك الأساقفة ورؤساء الأديار وعليّة الكهنة والأعيان أن يجتمعوا لديه، فحضر لديه كل من لم يحل مانع شرعي دون حضوره، وكان في جملة الحاضرين من الأساقفة والأعيان يوسف رئيس دير قزحيا ويوسف رئيس دير القديس انطونيوس بالفراديس وموسى من بشري والشدياق يوسف خاطر من حصرون والشدياق فرج من حدشيت وكثير من الكهنة. وبعد اجتماعهم وبعد المفاوضات الابتدائية عُقد المجمع في ١٨ ايلول من السنة المذكورة بحضرة الأب ايرونيموس دنديني اليسوعي قاصد الحبر الروماني.

وترى أعمال هذا المجمع مثبتة في ذيل كتاب المجمع اللبناني المطبوع حديثاً (صفحة ٩) وخلاصتها: «إنّ الأغلاط التي كانت تعزى إلى الطائفة هي أنّ في المسيح طبعاً واحداً ومشيئة واحدة وفعلاً واحداً، وإنّ الروح القدس ينبثق من الآب وحده، وإنّ التقديسات الثلاث تدل على صلب الثالوث بجملته وإنّ لا وجود للمطهر ولا للخطيئة الأصلية، وإنّ النفوس لا تنال ثواباً أو عقاباً قبل الدينونة الأخيرة، وإنه يجوز انكار الايمان ظاهراً. وإنّ سر التثبيت لا يمتاز عن المعمودية

وإنه يلزم خلط الميرون بغير البلسم أيضاً وإنه يلزم التقديس على الخمير، وإنّ المسحة تكون بالزيت الذي يباركه الكاهن لا الذي يباركه الأسقف، وإنّ طلاق الزوجة لعلّة الزنى أو المرض جائز، وإنّ صوَر الأسرار ناقصة وإنها ابتهالية» فهذه هي الأغلاط التي كانت معزوة إلى الطائفة وجرى البحث عنها، وأورد كل من المجتمعين رأيه فيها.

فكانت أراؤهم مجمعة على ما يخالفها أي أنّ في المسيح أقنوماً واحداً إلٰهياً، وطبعين إلٰهياً وبشرياً ومشيئتين وفعلين، وإنّ الروح القدس ينبثق من الآب والابن وإنّ التقديسات ترد في كتبهم إما مسندة إلى الثالوث الأقدس فلا يزاد عليها شيء وإما مسندة إلى الأقنوم الثاني وحده. وحينئذٍ يزاد عليها ذكر الميلاد والصلب باعتبار الجسد، وإنّ المطهر موجود. ولذلك تصنع الحسنات والصلوات والقداسات عن نفوس الموتى وإنّ الخطيئة الأصلية لاحقة بجميع الناس وإنّ النفوس متى خرجت من أجسادها تثاب أو تعاقب حالاً، إلّا إذا كانت لم تستتم التكفير عن ذنوبها في هذه الحياة فتسجن بالمطهر إلى تمام تبريرها. وإنّ جحد الايمان محرم وإن ظاهراً وإنّ سر التثبيت قائم بنفسه وهو غير سر المعمودية، وإنّ سر الميرون لا ينبغي أن يداف به إلّا البلسم، وإنّ عادتهم المستمرة إنما هي التقديس على الخبز فطيراً، وإنّ مسحة المدنفين يلزم أن تكون بالزيت المكرّس من الأسقف يوم خميس الأسرار، وإنّ الطلاق محظور حتماً وإن جاز لدواعِ الهجر والامتناع عن المساكنة الزواجية، وإنّ صوَر الأسرار عندهم لا تختلف عن صوَرها عند اللاتينيين. وأطلعوا الأب دنديني على كثير من كتبهم المثبتة ما أجمعوا عليه بحضرته وشهد هو أنه لم يعثر فيها على ما يخالف ذلك.

ثم تذاكروا في بعض العادات الذميمة التي طرأت في بعض الجهات إما لجهل الكهنة وإما للاختلاط بعض المشاقين أو ذوي البدعة، وسنوا القوانين التابعة القانون (١) لا يؤجل التعميد أكثر من عشرة أو اثني عشر يوماً، وعلى الكاهن أن يدوّن أسماء المعمدين وعرابيهم. (٢) يلزم الأساقفة أن يوزعوا سر التثبيت كل سنة في أبرشياتهم. (٣) يلزم اتخاذ عراب للمثبتين. (٤) يلزم أن يرعى ما فُرض في المجمع التريدنتيني في صدد القرابة الروحية الناشئة عن سري المعمودية والتثبيت. (٥) يتحتم على من يرعون الشعب أن يكونوا ممتازين بالعلم، ويلزم تلاوة الفتاوي الذمية أيام الآحاد في الكنائس الكبيرة، ويكلف الكهنة المجاورون الحضور إليها.

(٦) أن تعيّن محفوظات للأساقفة والبطريرك ولا يحل منها غيرهم. (٧) يلزم حظر مناولة الأطفال قبل ادراكهم الرشد. (٨) يتحتم على الكهنة أن يستعملوا كتاب القداس المطبوع بروما ولا يستعملوا غيره إلّا بعد عرضه على البطريرك. (٩) يلزم منع الكهنة من أن يقدّسوا حفاة. (١٠) يلزم الكاهن أن تبقى أصابعه متضامة بعد التقديس لا تلمس شيئاً آخر. (١١) ينبغي على الكاهن أن يناول المؤمنين الجسد والدم. (١٢) يلزم أن تكون الآنية التي يُحفظ بها القربان من فضة أو ذهب ولا أقلّ من أن تكون نحاساً أو قصديراً لا خشباً. (١٣) يحظّر على الفتى الزواج قبل السنة الرابعة عشرة من عمره وعلى الفتاة قبل الثانية عشرة وإن سُمح لهما بعقد الخطبة قبل ذلك. (١٤) يلزم عقد الزيجة بحضرة كاهن الرعية وشهود ويلزم الخوري أن يدوّن أسماء المتعاقدين والشهود وأن ينادي بالزواج ثلاثاً قبل انعقاده. (١٥) يحظّر زواج البنات الهراطقة والمشاقين. (١٦) يلزم ادخال العادة القديمة باستعمال الماء المبارك بالكنائس. (١٧) يلزم أن ترعى أيام الأعياد بالقداسة وتشهر الأعياد المتحتم حفظها ويضاف إليها عيد الثالوث الأقدس وعيد القربان المقدّس وعيد جميع القديسين. (١٨) ينبغي أن يُستأصل من أذهان النساء لزوم امتناعهن عن الاتيان إلى الكنيسة أيام حيضهنّ وأربعين يوماً بعد ولادتهنّ. (١٩) يلزم أن يكون عند البطريرك والأساقفة وسائر ذوي المقامات الشهيرة الكتب المقدّسة. (٢٠) يلزم البحث عن كتب الهراطقة والمشاقين وحفظها عند البطريرك في مكان مغلق ولا يأذن بمطالعتها إلّا للعلماء. (٢١) يلزم الأساقفة والكهنة أن يعتنوا باتخاذ كل الوسائل لحفظ هذه القوانين. ثم أعيدت تلاوة كل ما جرى بهذا المجمع فأقرّه المجتمعون والتمسوا تثبيته في لدن الحبر الروماني فوعدهم قاصده بذلك وانفض المجمع في ٢٠ أيلول سنة ١٥٩٦م.

ولما كان البطريرك الرزي قد توفي بعيد ذلك في ٥ تشرين الأول وانتُخب للبطريركية المطران يوسف الرزي وكان رئيس دير قزحيا، لم يكتفِ باثبات هذا المجمع بل زاد عليه القوانين التالية: القانون الأول يلزم جميع الكهنة أن يقدموا ذبيحة القداس وهم متوشحون بملابس التقديس إذ كان بعضهم يقدمها قبل اتشاحه بها وبعضهم بعده. (٢) مضمونه تحريض الكهنة على التبتل عملاً بمشورة الرسول وترك الخيار لهم. (٣) فحواه الحث للأساقفة أن يلبسوا لبس الأساقفة لا لبس الرهبان والأمر لهم أن لا يقيم منهم أكثر من واحد في مكان واحد إلّا عند

البطريرك . (٤) أن يعيّن واعظون أهل للخطابة ليرشدوا الشعب ولا يُسمح لأحد بذلك إلّا بأمر البطريرك أو الرئيس المحلي . (٥) حظر الاكليريكيين عن اقتضاء الخراج للولاة غير المؤمنين . (٦) منع النساء من الدخول إلى أديار الرهبان إلّا بإذن البطريرك .

وبعد أن عاد الأب دنديني من لبنان ألّف كتاباً في بعثته وأوضح في الفصل الثاني والعشرين منه أنّ الموارنة براء من الأغلاط التي عزيت إليهم . وإنّ ما تدوّن في رسائل الأحبار الرومانيين اينوشنسيوس الثالث ولاون العاشر وغريغوريوس الثالث عشر من نسبة هذه الأغلاط إليهم ، إنما هي مبنية على أخبار تلقاها القصاد من مصادر لا يركن إليها ومطالعات لم يميزوا بها بين كتب ملّة وأخرى ، ولا بين الصحيح والمحرّف . ولما لم يصنع غيري التحري والتحقيق الذي صنعته أنا انخدعوا ولم يهتدوا إلى الحقيقة ورفعوا التقرير إلى السدّة الرسولية كما خيّل لهم ، أما أنا فتحققت أنّ الأمر ليس كما زعموا لأني طالعت بنفسي الكتب التي هي كتبهم حقيقة فلم أجد فيها شيئاً يخالف التعليم الكاثوليكي ولكن القصاد الذين كانوا قبلي لم يمعنوا النظر في كتبهم الخاصة ولم يفرقوا بينها وبين كتب اليعاقبة فعزوا إلى الموارنة من البدع ما هم براء منه ، ولذلك لا أتعجب مما كتب في رسائل الأحبار الرومانيين من هذا القبيل . انتهى .

عد ٥٣
أساقفة الموارنة في القرن السادس عشر
وأولاً في المطران جبرائيل اللحفدي

روى العلامة الدويهي في تاريخ سنة ١٤٧١م أنه في هذه السنة دخل جبرائيل ابن بطرس المعروف بابن القلاعي من لحفد إلى القدس ، ولبس اسكيم القديس فرنسيس فأرسله رؤساؤه إلى رومـا لاقتباس العلوم ، ثم ذكر في تاريخ سنة ١٤٩٣م أنّ جبرائيل عاد من بلاد الافرنج مع رفيق له وهو القس حنا الماروني ، فانضوى أيضاً إلى رهبانية القديس فرنسيس ، وكانا كلاهما متضلعين بالعلوم مجملين بالغيرة على الدين الكاثوليكي ، فالقس حنا غرق في البحر بينما كان مسافراً إلى القدس وأقام

جبرائيل بلبنان مناضلاً بخطبه ورسائله المقدّم عبد المنعم مقدّم بشري ومرشداً الأميين إلى الايمان القويم. وفي سنة ١٤٩٤ ألّف كتاباً يحقق فيه اتحاد الملّة المارونية من أقدم الأيام بالكنيسة الرومانية، وسمى كتابه «مارون الطوباوي» ورفعه إلى البطريرك سمعان الحدثي وأساقفته وحاشيته وعلماء الملّة ليفحصوه ويحجوا به المخالفين، ورقي جبرائيل إلى درجة الكهنوت في رهبانيته سنة ١٤٩٦م، وأقام بدير الصليب في الأفقسية بقبرص.

ولما توفي الأسقف يوسف بقبرص سنة ١٥٠٧م رقاه البطريرك سمعان الحدثي إلى كرسي الأفقسية وأخذ السكنى أولاً في المدينة المذكورة بدير القديسين نهرا وانطونيوس ثم انتقل إلى دير القديس جرجس بطالا فتفانى بالغيرة على رعيته والاجتهاد بنفعها.

وفي سنة ١٥١٦م انتقل هذا المجاهد المتاجر بالوزنات الخمس إلى رحمة ربه لينال الاكليل الذي أهّلته له أتعابه ومبرّاته. قال الدويهي في تاريخ السنة المذكورة يعجز اللسان عن وصف قداسته وعلومه وتفانيه بالغيرة التي سند بها ملّته المحدق بها اولو البدع، ولم ينفعها بحياته فقط بل أفادها بعد وفاته أيضاً بمصنفاته التي نذكر بعضها.

فقد صنّف كتاباً في الناموس البيعي وكتاباً اشتمل على مواعظ كثيرة، وكتاباً في الاعتراف، وكتاباً في رئاسة الأحبار وأخبارهم، وكتاباً في ملوك روما، وكتاباً في معتقد الموارنة واتحادهم دائماً بالكنيسة الرومانية وكتاباً في علم الإلهيات وآخر في الإيمان القويم وأسرار حياة المسيح. وجمع خمس عشرة رسالة منفذة إلى بطاركة الموارنة من الأحبار الرومانيين من اينوشنسيوس الثالث إلى لاون العاشر. وكتب نحواً من خمس مئة رسالة لأبناء ملّته لتثبيتهم في ايمان القديس مارون والكنيسة الرومانية. ونظم قصائد كثيرة وإن كانت منحطة لغةً فهي كثيرة الفائدة. منها قصائد في سر الثالوث الأقدس وفي التجسد الرباني، وفي حياة المخلّص وفي أحزان أمه عند الصليب وفي طبيعتي المسيح ومشيئتيه وأقنومه الواحد، وفي انبثاق الروح القدس من الآب والابن، وفي مديح السيدة العذراء، وفي أخبار الرسل، وفي قسطنطين الكبير ومبادئ النصرانية، وفي المجامع الأربعة الأولى العامة، وفي مدح القديس مارون الانطاكي، وفي ابراهيم الخليل، وفي القديس نهرا السمراني،

وفي القديس جيورجيوس الذي استشهد في اللّدّ، وفي القديس سمعان الجبيلي، والقديس ريشا الروماني، والقديس شينا اللص، والقديسة بربارة البعلبكية، وأفروسينا الاسكندرية وقصيدة في حرب كسروان، وأخرى في من قصدوا زرع الزوان بين الموارنة، ومرثية لرفيقه القس يوحنا المار ذكره، وفي راهبة شردت من ديرها، وقصيدة في معرفة الأفلاك والأبراج والكواكب الثابتة والمتحيرة إلى غير ذلك من القصائد في العلوم وفي النفس والتوبة والموت وأوجه القرابة في الزواج وغير ذلك اقتصرنا عن ذكره. وما ذكرناه كافٍ ليفهم القارئ ما أشدّ ما كانت غيرة الأسقف جبرائيل بن القلاعي. وقال المطران اسطفانوس عواد في فهرست الكتب الشرقية في المكتبة الماديشية بعد أن نقل (صفحة ٣٨٦) عن الدويهي ما رويناه هنا «إنّ مؤلفات ابن القلاعي هذه محفوظة بين الكتب العربية في مكتبة مدرسة الموارنة بروما، وفي المكتبة الواتيكانية عد ١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٨١ وتحوي أيضاً غير ما ذكرناه من تآليفه.

عد ٥٤
باقي أساقفة الموارنة في هذا القرن

الثاني من أساقفة الموارنة في هذا القرن السادس عشر اللحفدي هو قرياقوس من بيت حبلص من اهدن، رقاه البطريرك سمعان الحدثي إلى الأسقفية سنة ١٥١٣م بعد وفاة يعقوب مطران اهدن الذي ذكرناه في جملة أساقفة القرن الخامس عشر. ووصفه الدويهي بأنه كان رجلاً شجاعاً أصيل الرأي حسن التدبير، وكان يشغل الحبيس جبرائيل الأهدني بنسخ الكتب البيعية وبعنايته أتلف أهل جبة بشري الجراد من بلادهم سنة ١٥٢٦م، ووقوا زروعهم وأشجارهم من مضرّته، وتوفي سنة ١٥٥٠م.

٣ – الأسقف مارون مطران قبرص رقاه البطريرك سمعان الحدثي إلى أسقفية قبرص سنة ١٥١٦م خلفاً لجبرائيل بن القلاعي، وذكره الدويهي في تاريخ السنة المذكورة.

٤ – الأسقف جبرائيل الأهدني وهو ابن أخي المطران قرياقوس بن حبلص

المار ذكره، روى الدويهي أنه رقي إلى الأسقفية سنة ١٥٢٠م وإنه كان يسكن في قرية زغرتا ولم ينبئنا بسنة وفاته.

٥ - انطونيوس مطران دمشق ذكر الدويهي ترقيته إلى أسقفية دمشق سنة ١٥٢٣م. وقال إنّ البطريرك سمعان الحدثي أرسله لزيارة الموارنة بقبرص، فجدد بناء كنيسة القديس جرجس بطالا، وفي سنة ١٥٢٧م أرسله البطريرك موسى العكاري إلى روما فوقع بيد اللصوص، ثم استفك نفسه كما مرّ في ترجمة البطريرك المذكور، ثم توفي سنة ١٥٢٩م.

٦ - المطران يعقوب بن عزيز الحدثي أنبأنا الدويهي بوفاته في تاريخ سنة ١٥٢٤م ولم نعلم متى كانت ترقيته إلى الأسقفية. وذكر الدويهي في تاريخ هذه السنة أيضاً وفاة المطران جرجس بن صدقني من مزرعة الحدث الذي ذكرناه في جملة أساقفة القرن الخامس عشر. وقال إنه كان باراً فاضلاً قضى أجله في قرية اليموني، وهو زائر للرعية. وبعد أن أقام القداس يوم وفاته علم أنّ أجله قد دنا فاستدعى الكهنة وأمر أن يجنزوه حياً وأن يدفنوه في مغارة القديسة مارينا بقنوبين. واستراح بالرب بعد جنازه فحملوه ليلاً إلى قنوبين ودفنوه حيث أوصى أن يُدفن.

٧ - المطران يوسف من كفر حورا بناحية الزاوية، لم يتحفنا الدويهي إلّا بذكر وفاته سنة ١٥٢٧م.

٨ - الأسقف جرجس الحدثي مطران نيقوسية بقبرص لم يذكره الدويهي ولكن ذكره المطران اسطفانوس عواد في فهرست الكتب الشرقية في المكتبة الماديشية صفحة ٧١ حيث قال: «٣٠٣ زبور داود ترجم من السريانية إلى العربية بعناية جرجس مطران نيقوسية السرياني الماروني. وفي آخر المزمور ١٥٠ المزمور المفتتح لما كنت صبياً قاله داود بعد انتصاره على جليات، وتسميه عامتهم الخارج عن عدد الزبور، وألحق بذلك التسابيح التي وردت في العهدين القديم والحديث وعدتها عشر تسابيح والصلوة الربية وقانون الايمان الذي وضعه آباء المجمع النيقوي، وفهرست الأعياد في مدار السنة، وجداول لمعرفة الأعياد المنتقلة وبعض ضوابط لمعرفة يوم عيد الفصح وأول الصوم الأربعيني بحسب طقس الكنيسة الانطاكية السريانية المارونية. وأضيف إلى ذلك أمثال أو حكم أدبية مجموعة من كتب عدة مؤلفين، ثم حساب العشور البطريركية التي جمعها بأمر البطريرك موسى العكاري

جرجس الحدثي مطران نيقوسية مترجم وناسخ هذا الكتاب سنة ١٨٣٩ لاسكندر (سنة ١٥٢٨ للميلاد) في جزيرة قبرص وهي السنة التي فرغ فيها من اشتغاله بهذا الكتاب كما هو بيّن من الحاشية التي علقها بيده على حساب العشور المذكور. ثم إنّ ترجمة الزبور هذه مع الأصل السرياني طُبعا بدير قزحيا سنة ١٥٨٥م بعناية سركيس الرزي بطريرك الموارنة وهو الرابع والأربعون من عداد بطاركتهم، وباهتمام يوسف خاطر من عائلة السماعنة حاكم جبل لبنان. والكتاب يشتمل على ٢٢١ صفحة بقطع الثمن مكتوبة بالأحرف السريانية واللغة العربية بيد جرجس مطران نيقوسية سنة ١٨٣٩ لاسكندر (سنة ١٥٢٨ للميلاد) كما هو مدوّن على آخر هذا الكتاب».

٩ - المطران جرجس الأهدني روى الدويهي إنه بعد وفاة المطران انطونيوس أسقف دمشق سنة ١٥٢٩م صير هذا مكانه، وإنه في سنة ١٥٥٢م أرسله البطريرك موسى العكاري مع الأسقف داود ابن الخوري سمعان الحدثي إلى زيارة الموارنة الذين بقبرص فكرسا عدة كنائس مع فرنسيس أسقف الأفقسية الماروني، ورقوا القس مرقس بن انطون من قبرص إلى الأسقفية وأخذ السكنى في قرية مطوش، وإنّ المطران جرجس توفي سنة ١٥٦٢م.

١٠ - الأسقف سركيس بن نجيم روى الدويهي أنه سار إلى قبرص سنة ١٥٢٩م، وقيل أنه بعثه على هذا السفر تهمة اتهمه بها أهل قرية بكركي التي فوق جونية، فحرمهم وارتحل إلى قبرص، وكانت بكركي قرية كبيرة اعتاد أهلها أن يكونوا مكارين وسعاة وخربت بعد ذلك.

١١ و ١٢ - الأسقف ايليا الحدثي أنبأنا الدويهي بوفاته سنة ١٥٣٠م وأنه خلفه الأسقف تادروس من الحدث أيضاً، وكان معاوناً للبطريرك موسى العكاري في أشغال الكرسي البطريركي وتدبير أملاك دير قنوبين.

١٣ - الأسقف سمعان مطران طرابلس جاء في تاريخ الدويهي أنّ سمعان مطران طرابلس توفي سنة ١٥٣٤م وخلفه الراهب يوسف بن بطرس. ولكن جاء في كتاب فهرست الكتب الشرقية في المكتبة الماديشية للمطران اسطفانوس عواد السمعاني (كتاب ٥٤ صفحة ٩١) «كتاب الفرض الأسبوعي السرياني بحسب طقس الكنيسة الانطاكية المارونية»، يشتمل على ٢٢٢ صفحة بالأحرف واللغة

السريانية كُتب بروما بعناية البابا بولس الثالث الحبر الروماني في اليوم الثاني عشر من نيسان سنة ١٥٤٣م وبيد سمعان أسقف طرابلس الشام الماروني من جبل لبنان كما في الحاشية المعلقة على آخر هذا الكتاب. وقد روى البطريرك اسطفانوس الدويهي أنّ سمعان المذكور رقي إلى أسقفية طرابلس نحو سنة ١٥٣٥م ولما لم يتمكن من الاقامة في هذه المدينة بسبب الاضطهاد الجاري يومئذٍ على الكاثوليكيين سار إلى روما يطلب الترخيص من البابا بولس الثالث بأن يقيم خارجاً عنها، فرخص له بذلك وعاد إلى وطنه وتوفي سنة ١٥٤٧م. انتهى كلام المطران اسطفانوس عواد ومنه يظهر أنّ نسخة تاريخ الدويهي التي بيدنا اعتراها غلط النساخ في ما رويناه آنفاً عنها، وإنّ الصحيح أنّ المطران سمعان رقي سنة ١٥٣٤م أو سنة ١٥٣٥م إلى أسقفية طرابلس لا إنه توفي تلك السنة. وقد رأينا مرات أنّ نسخ كتب الدويهي التي كانت بروما أصح كثيراً من النسخ التي تتداولها أيدينا في المشرق. وقد أنبأنا المطران اسطفانوس عواد المذكور أنّ كتاب الفرض (الشحيمة) الذي عثر عليه في المكتبة الماديشية يطابق النسخ المجاز طبعها بروما في ١٢ تموز سنة ١٦٢١م بعد أن فحصها عدد من العلماء الاعلام، وطُبعت في أيام البابا بولس الخامس ثم غريغوريوس الخامس عشر ثم اوربانوس الثامن ثم اينوشنسيوس العاشر، ثم بعناية البابا اكليمنضوس الحادي عشر. وطُبعت أخيراً بمطبعة نشر الايمان سنة ١٧٣٢م بعد أن نظر فيها وصححها البطريرك يعقوب عواد.

١٤ - الأسقف يوسف الجاجي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٥٤٠م فقال كان خصام بين أهل عينطورين وأهل بان على دير قزحيا، وكل من الفريقين يدّعي أنه في خراج قريته، فحكم القاضي أنه في خراج عينطورين وقبل أهلها دفع الخراج المرتّب عليه كل عام وقدره ثلاثمائة درهم. فاعتزل القس حنا بن نمرون الباني عن رئاسة الدير وترأس عليه الخوري يوحنا اللحفدي، ثم خلع نفسه من الرئاسة فترأس عليه الأسقف يوسف الجاجي وكان رجلاً روحانياً كثير الجلد على نسخ الكتب البيعية ثم توفي سنة ١٥٤٤م.

١٥ - الأسقف جبرائيل بن أستيته الأهدني روى الدويهي في تاريخ سنة ١٥٤٤م أنه بعد وفاة الأسقف يوسف الجاجي، خلفه جبرائيل المذكور في رئاسة دير قزحيا، فأنشأ له كثيراً من العقارات وأتمّ بناء القبو والدهليز والمجلس والمطحنة التي على النهر. ووسّع الكنيسة التي في الصخر وأقام بها ثلاثة مذابح للسيدة

العذراء وللقديسَين انطونيوس ومكاريوس وكان كثير الورع والتقشّف، وكان يصنع في كل يوم من الصوم ألف مطانية، وما كان يشرب الماء في مدة الصوم إلى خميس الأسرار. ومع هذا الجهاد لم يكن ينقطع عن نسخ الكتب، فكثرت جداً كتبه في كنائس لبنان. ولم يدع كنيسة أجداده مار جرجس باهدن تحتاج إلى شيء من الكتب فكافأه البطريرك موسى العكاري بترقيته إلى الأسقفية وتوفي سنة ١٥٥٦م.

١٦ - الأسقف انطونيوس الحصروني ابن الحاج فرحات صير أسقفاً على اهدن بعد وفاة المطران قرياقوس المار ذكره سنة ١٥٥٠م وكانت أمه بنت عم المطران قرياقوس من الدويهية، فتربى عند أخواله بدير القديس يعقوب المعروف بدير الأحباش. وتضلّع في اللغات السريانية والعربية والتركية، وكان مقداماً شجاعاً، ولما قدم السلطان سليم الثاني إلى مدينة حلب مثل أمامه في جملة المشتكين الطرابلسيين، فأنعم عليه بخمسة مراسيم سلطانية سُجلت في سجلات طرابلس في أيام واليها حسين بك، منها أنّ غلال الزيتون تقسم تحت أشجارها مناصفة فالنصف للمالك والربع حق وربع ظلم (كذا وجدنا مكتوباً ويتبادر إلى الفهم أنّ المراد بربع حق أنّ الربع للعامل وبربع ظلم أنّ الربع الآخر بدل الخراج). ومنها أن لا يعترض أحد النصارى في دينهم أو زواجهم، ومنها أنه يرخص لهم بترميم كنائسهم ومنها أمر همايوني موجه إلى قاضي طرابلس بأن لا يعترض أحد بطريرك الملّة المارونية في أعمال بطريركيته بل أن يردع ويعاقب كل من تمرد عليه أو عانده. وكانت هذه الأوامر مؤرخة في أول ربيع الأول سنة ٩٥٦ (الموافقة سنة ١٥٤٩ م) فكافأه البطريرك موسى العكاري عن أتعابه وغيرته بترقيته إلى الأسقفية. وكان أنّ أسقف الملكية بعكار استحوذ على دخل الموارنة بناحية عرقا وعكار سبع سنين، فشكاه المطران انطونيوس إلى محكمة طرابلس فأمر القاضي أن يضع يده على مداخيل مطران الملكية سبع سنين ليستوفي حقه، وأكرم البطريرك موسى المطران انطونيوس أن يتصرّف بعشور بلاد عكار ما دام حياً.

١٧ - الأسقف داود ابن الخوري سمعان الحدثي رقاه البطريرك موسى إلى الأسقفية ليكون معاوناً له مع المطران تادروس في تدبير الكرسي البطريركي سنة ١٥٥٢م، ثم أرسله مع المطران جرجس الأهدني المار ذكره لزيارة الموارنة بقبرص فكرسوا عدة كنائس.

١٨ - الأسقف مرقس بن انطونيوس من قبرص رقاه سنة ١٥٥٢م الأسقفان داود وجرجس المذكوران مع أسقف الأفقسية إلى الأسقفية في مدة زيارتهما في قبرص، وكان ورعاً مجاهداً في خير الكنيسة، ونسخ الكتب، وأخذ السكنى بقرية مطوش بقبرص.

١٩ - الأسقف يوسف بن حرواص رقاه البطرريرك موسى العكاري سنة ١٥٥٦م إلى الأسقفية، وأقامه بدير القديس اليشاع بأرض بشري مجازاة لتعبه في بناء الدير المذكور.

٢٠ - الأسقف موسى بن أيوب بن قمر ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٥٥٦م، وقال إنه كان قاطناً بدير القديس ماما في بشري ومتكلماً على القرية.

٢١ - الأسقف ماكا البقوفاوي ذكره الدويهي وقال في حقه إنه لزم الحياة النسكية نحو ستين سنة، فأقام أولاً بدير قزحيا ثم بجانب كنيسة القديس دوميط بداريا، ثم في كنيسة السيدة المنقورة بالصخر تجاه عرجس، ثم في محبسة مار ميخائيل فوق قزحيا. وكان عبرة صالحة لكل ناظر إليه أو سامع به، وكان يطوي الصوم سبة سبة، ويقمع جسده بالصوم والعطش والمشي حافياً. ولم ينظر إلى وجه امرأة. ولم يكن بمحبسة مار ميخائيل ماء ولم يعد له قوة ليستقي من محبسة قزحيا فصلّى إلى الله فأخرج له من الصخر ماءً قليلاً، فنقر له جرناً فصار يجتمع به ما يكفيه ويكفي زايريه. وشرفه البطريرك موسى بدرجة الأسقفية وتوفي سنة ١٥٦٠م.

٢٢ - الأسقف جرجس القبرصي ذكرنا قبلاً أنّ البطريرك موسى أرسله كاهناً إلى رومة ليأتيه بدرع الرئاسة، ودفع إليه أوتاراً ممهورة بختمه، ولم يكتب عليها شيئاً حتى إذا اضطر إلى أمر كتب عليها ما يحتاجه. وبينما كان بروما كتب على إحدى تلك الأوراق رسالة من البطريرك إلى الحبر الروماني يخبره بها بوفاة الأسقف جرجس الأهدني مطران دمشق ويسأله أن يرقي القس جرجس رسوله إلى هذه الأسقفية. فأمر البابا بترقيته إجابةً إلى سؤال البطريرك، فرقي إلى الأسقفية سنة ١٥٦١م. وعاد إلى قبرص فوجد أنّ الأسقف فرنسيس المار ذكره قضى أجله فضبط ما كان له، واستمر عند أهله بقبرص. وكان البابا قد أرسل إلى البطريرك معه غفارة وكانت طويلة فقصّها لتكون ملائمة لقامته، ولما علم

بذلك البطريرك أطلق عليه تأديب الرباط. طالع ما سنقوله في الأسقف جرجس البسلوقيتي.

٢٣ - الأسقف سركيس الأهدني خلف المطران انطونيوس الحصروني أسقف اهدن المار ذكره بعد وفاته سنة ١٥٦٥م وكان الأسقف سركيس ابن القس موسى الدويهي وتوفي سنة ١٥٧٧م بعد أن استمر بأسقفية اهدن اثنتي عشرة سنة. ووصفه الدويهي بأنه كان أصيل الرأي شديد الغيرة على بناء الكنائس والأديار.

٢٤ - الأسقف يوحنا بن عبيد خلف الأسقف سركيس المار ذكره في أسقفية اهدن سنة ١٥٧٧م ووصفه الدويهي بأنه كان ورعاً كثير العبادة مشهوراً بنسخ الكتب.

٢٥ - الأسقف يوسف رقاه البطريرك ميخائيل الرزي إلى مطرانية بيروت سنة ١٥٧٧م مع الأسقف يوحنا المار ذكره.

٢٦ - الأسقف جرجس البسلوقيتي رقاه البطريرك المذكور إلى مطرانية دمشق سنة ١٥٧٧م أيضاً مع الأسقفين يوحنا ويوسف المار ذكرهما. ثم أرسله في اليوم العاشر بعد ترقيته إلى روما مع الخوري اقليمس الأهدني لطلب درع الرئاسة كما مرّ في الكلام على البطريرك ميخائيل الرزي، وعادا من سفرهما سنة ١٥٧٨م مع الأب جوان باطيستا. وقال المطران اسطفانوس عواد في كتاب فهرست الكتب الشرقية في المكتبة الماديشية عند ذكره الكتاب الثاني والخمسين منها: «عدة صلوات» ترجمها من اللاتينية إلى العربية جرجس مطران دمشق الماروني وهذه الصلوات تتلى قبل القداس وبعده. وقد منح الأحبار الأعظمون غفران سنين كثيرة لمن يتلوها. فجرجس الماروني هذا هو ابن سليمان من قرية كليبين بقبرص غير بعيدة عن نيقوسية، رقاه البطريرك ميخائيل الرزي إلى أسقفية دمشق وأرسله بعيد ذلك لتقديم فروض الطاعة باسم البطريرك وملّته. وقبله البابا بيوس الخامس ثم غريغوريوس الثالث عشر بالتكريم وأقام مدة بروما وطبع هناك هذا الكتاب كما يظهر من الحاشية المعلّقة على آخر هذا الكتاب بخط يده، وعاد إلى لبنان سنة ١٥٧٨م مع الأب يوحنا المعمدان اليان (جوان باطيستا)» ثم ذكر ما حواه الكتاب المذكور أيضاً فقال «دستور ايمان الرسل والدستور النيقوي ثم صلاة يوم

الأحد ثم زبور داود التي تتلى في صلوات الفرض عند الموارنة والصلوة المؤلفة من فيلوكسينوس المنبجي ترجمها جرجس المذكور من السريانية إلى العربية ». وقال أخيراً: « كتاب عدة صفحاته ١٥٩ صفحة بقطع صغير مكتوب بالأحرف الكرشونية كتبه بروما بأنظار بيوس الخامس الحبر الأعظم جرجس بن سليمان من قرية كليبين بقبرص مطران دمشق سنة ١٥٧١م» كما في الحاشية المعلّقة في آخر الكتاب.

وعليه فكان قول المطران اسطفانوس عواد أنّ المطران جرجس هذا كان من قبرص، ورقاه البطريرك ميخائيل الرزي إلى الأسقفية في أوائل بطريركيته سنة ١٥٦٧م مخالفاً لقول الدويهي أنه كان من بسلوقيت ورقاه البطريرك المذكور سنة ١٥٧٧م، واتفق العلامتان في الباقي. فعلى قول أيهما نعتمد؟ فإن حق لي أن أقول شيئاً وأن لا أصلح أن أكون تلميذاً لأحدهما. قلت يظهر لي أنّ صاحب الكتاب المذكور الذي ذكره المطران اسطفان عواد هو المطران جرجس القبرصي المار ذكره الذي كان قاصداً للبطريرك موسى العكاري، واحتال على البابا بيوس الرابع حتى أمر بترقيته إلى الأسقفية، وربطه البطريرك ويظهر أنه عاد إلى روما وأقام فيها إلى سنة ١٥٧١م التي كتب بها كتابه. وإنّ المطران جرجس البسلوقيتي الذي ذكره الدويهي هو غير ذاك، وهو قاصد البطريرك ميخائيل الرزي إلى البابا غريغوريوس الثالث عشر، مضى إلى روما سنة ١٥٧٧م وعاد منها سنة ١٥٧٨م. وجلّ ما يرجّح لي قولي هذا أنه إذا كان المطران جرجس القبرصي أرسله ميخائيل الرزي في أوائل بطريركيته أي سنة ١٥٦٧م فلا يبقى بروما إلى سنة ١٥٧١م التي كتب فيها كتابه ولا إلى سنة ١٥٧٨م التي عاد بها مع جوان باطيستا كما ذكر المطران اسطفان عواد. فقول الدويهي إذاً أوجه وأمثل والله أعلم.

٢٧ – الأسقف داود رئيس دير قزحيا ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٥٧٧م وقال إنه كانت فتنة بينه وبين البطريرك ميخائيل الرزي فانتقل من دير قزحيا مع الخوري مارون القبرصي والقس يعقوب بن حبلص الحاقلي إلى دير حوقا ورقى دون مشورة البطريرك القس يعقوب المذكور إلى الأسقفية، ثم دعا من دير قزحيا الحبيس يونان وأخاه القس يوسف ابنَي جلوان من سمار جبيل وراهبَي قزحيا فرِقاهما إلى الأسقفية أيضاً. ولما علم البطريرك بذلك رفع عرض الواقع إلى البابا غريغوريوس الثالث عشر في رسالة مؤرخة في ١٧ ايلول سنة ١٥٧٧م ومنع الحبيس يونان وأخاه عن استعمال حقوق الأسقفية، وأمر الحاكم بخروجهما من دير قزحيا،

فحملوا الحبيس يونان بالنعش إلى دير القديس سمعان بالفراديس وأما أخوه يوسف فسار إلى قريته سمار جبيل، وبعد ثلاثة أشهر مضى المقدّم مقلد البشراني والشدياق خاطر الحصروني وبعض الأعيان، فشفعوا بهم فباركهم البطريرك وكان دير قزحيا قد خلا من الرهبان، فرخّص لهم بالعود إليه وأعطاهم عشرة رهبان وبقراً وماعزاً إلى غير ذلك مما يلزم لهم، وفصل الدير عن المحبسة ليقوم كل منهما بنفسه. ويظهر أنه لم يصحح رسامة من رسمهم الأسقف داود.

٢٨ - الأسقف سركيس الرزي أخو البطريرك ميخائيل الرزي لم يذكر الدويهي سنة ارتقائه إلى الأسقفية بل ذكر في تاريخ سنة ١٥٧٨م أنّ البطريرك ميخائيل أرسل أخاه الأسقف سركيس والقس جرجس بن يونان مع الأب جوان باطيستا ليرافقاه في تطوافه بلبنان ويقدما له ما يطلبه، والأسقف سركيس هو الذي خلف بالبطريركية أخاه البطريرك ميخائيل بعد وفاته سنة ١٥٨١م.

٢٩ - الأسقف سركيس من كفرحورا لم يذكره الدويهي، ولكن وجدنا توقيعه على المجمع الطائفي المنعقد سنة ١٥٨٠م هكذا. أنا سركيس من كفرحورا أسقف ورئيس قزحيا.

٣٠ - الأسقف يوسف البسلوقيتي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٥٨٠م فقال أنه نحو هذه السنة رقد بالرب يوسف البسلوقيتي الذي كان مستحبساً في دير القديس انطونيوس بالفراديس، ولأجل سيرته الملكية وشيخوخته النقية رقاه البطريرك ميخائيل إلى الأسقفية، ولما دنت ساعة وفاته مضى لزيارته، ثم أمر بدفن جثته بمغارة البارة مارينا بجانب دير قنوبين.

٣١ - الأسقف اقليمس الأهدني هو الذي كان البطريرك ميخائيل الرزي قد أرسله كاهناً مع المطران جرجس البسلوقيتي إلى روما، فرقاه أخوه البطريرك سركيس إلى الأسقفية سنة ١٥٨٤م ليكون معاوناً له في دير قنوبين. وذكر الدويهي وفاته سنة ١٥٩٨م وقال إنه توجّه إلى روما مرات وإنه كان حازماً أصيل الرأي.

٣٢ - الأسقف انطونيوس الجميل ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٥٨٧م وقال إنه لما كان كاهناً عنيَ ببناء كنيسة القديس عبدا في قريته بكفيا وأنفق عليها ألف قبرصي عدا ما أنفقه أهل القرية وغيرهم، فأراد البطريرك سركيس الرزي أن يكافئه

فرقاه إلى الأسقفية وأكرمه ببدلة جميلة للقداس، ولما كان البطريرك متوجهاً سنة ١٥٩٥م لزيارة كسروان لقيه المطران انطونيوس إلى البوار عازماً أن يمنعه عن الدخول إلى هذه البلاد فربطه البطريرك، وفي اليوم الثالث بعد ذلك قضى أجله.

٣٣ و ٣٤ - الأسقف يوسف والأسقف يوحنا مطرانا قبرص ذكرهما الدويهي في تاريخ سنة ١٥٨٨م بقوله في هذه السنة كانت وفاة الأسقف يوسف بجزيرة قبرص، ورقى البطريرك خلفاً له الأسقف يوحنا بن اسكيلا المعلم من الخيزفانية ثم ذكر وفاة يوحنا هذا في سنة ١٥٩٨م.

٣٥ - الأسقف يوسف الرزي هو ابن موسى الرزي أخي البطريرك سركيس، رقاه عمه البطريرك المذكور سنة ١٥٩٥م إلى الأسقفية في عيد ميلاد الرب، وأرسله سفيراً إلى البابا اكليمنضوس الثامن لقضاء بعض حاجات الطائفة وتهنئة البابا بارتقائه إلى الحبرية العظمى، فعاد من روما سنة ١٥٩٦م ومعه الأب ايرونيموس دنديني والأب فابيوس برون اليسوعيان لعقد المجمع المار ذكره، وبعد وفاة عمه البطريرك سركيس سنة ١٥٩٦م خلفه في البطريركية كما مرّ.

٣٦ - الأسقف موسى العنيسي صير مطراناً على قبرص سنة ١٥٩٨م بعد وفاة الأسقف يوحنا بن اسكيلا المار ذكره، وكان موسى المذكور من العاقورة وتهذّب بالعلوم بروما.

ورقى البطريرك يوسف الرزي إلى الأسقفية في آخر هذا القرن أي سنة ١٦٠٠م ابن أخيه الأسقف سركيس الرزي والأسقف جرجس بن عميرة الأهدني الذي انتخب بعداً بطريركاً، والأسقف ميخائيل من بيت عبيد باهدن، والأسقف موسى من عرجس. وأقام بدير مار اليشاع ببشرّي. ونُرجئ تتمة الكلام في هؤلاء إلى تاريخ القرن السابع عشر.

عد ٥٥

المشاهير الدينيون الموارنة في القرن السادس عشر

نريد بالمشاهير الدينيين من اشتهروا في هذا القرن من الموارنة بالنسك والزهد والعلوم الدينية أو نسخ الكتب، وهم ليسوا بطاركة أو أساقفة، واعتمدنا في تراجمهم على تاريخ العلامة الدويهي.

١ - كان من سلك النساك القس موسى العكاري، وكان رئيساً على دير السيدة بحوقا، وكان تلميذاً للخوري اسطفان والقس ميخائيل رئيسي هذا الدير ثم رقى إلى الأسقفية ثم البطريركية كما مرّ.

٢ - الخوري يوحنا المعروف بالزطيمية، فهذا كان من ترتج وارتحل بعائلته سنة ١٥١٠ إلى قبرص في جملة من هاجروا من لبنان تلك السنة من جري الجور والضرائب. وكان الخوري يوحنا عالماً فاضلاً نسخ كثيراً من الكتب البيعية، وكان من جملة عمد الطائفة في تلك الأيام، وكانت له مباحث دينية مع الروم بقبرص، وكانوا يسمونه كروكليا لأنه كان يعتمّ بعمامة زرقاء، وعانى مشاق كثيرة من أبناء طائفته حسداً له. وبعد وفاته خلفه ابناه القس يوسف والشماس الياس واشتهرا بنسخ الكتب البيعية والأفعال الحسنة.

٣ - الخوري لوقا بن بطرس من ترتج أيضاً وأنشأ كنيسة جميلة في قرية كليبين بقبرص على اسم القديس لوقا الانجيلي.

٤ - الخوري زكريا وكان من جملة النازحين من لبنان إلى قبرص، وبنى كنيسة القديس ماما في قرية مطوش.

٥ - الحاج ميخائيل أخو الأسقف جبرائيل القلاعي انتقل من لحفد إلى قرية طالا بقبرص وزاد على كنيسة السيدة سوقاً آخر ومذبحاً على اسم القديس عبدا.

٦ - القس بطرس وهو الذي أرسله البطريرك سمعان الحدثي إلى البابا لاون العاشر سنة ١٥١٣م فردّه البابا إلى لبنان إذ لم يكن مصحوباً برسائل البطريرك، ثم سفره البطريرك ثانيةً إلى أم المدائن سنة ١٥١٥م فنال التثبيت على يده كما قدمنا في الكلام على هذا البطريرك، وهو الذي أحضر نسخة من رسالة فراغريفون إلى الحبر الروماني شهادة بصحة ايمان الموارنة كما مرّ.

٧ - الخوري يوسف الذي أرسله البطريرك سمعان الحدثي سنة ١٥١٥م إلى رومة مع راهبين لاقتباس اللغة اللاتينية والعلوم الدينية فعلّموا اللغة السريانية وكانوا أول من علّمها بأوروبا.

٨ - الخوري يونان المتريتي رئيس دير قزحيا، زاد في كنيسة هذا الدير سنة ١٥٢٦م على مذبح القديس بشاي مذبحين آخرين أحدهما على اسم السيدة

والثاني على اسم جبرائيل رئيس الملائكة. وفي سنة ١٥٣٩م اتفق مع رهبانه على نهي النساء عن الدخول إلى دير قزحيا، وحلف جميعهم على ذلك وأقاموا لذلك احتفالاً وتطوافاً بالدير كله. وفي سنة ١٥٤٢م انتقل إلى رحمة ربه. وكتب عنه تلميذه الحبيس جبرائيل الأهدني أنه خدم الله بالطهارة والورع مدة خمسين سنة. وكان قبل وفاته بأربع سنين يصوم يومين يومين ولا يفطر في الصوم الكبير إلّا يوم السبت والأحد، ولم يكن عدد لمطانيته في سبة الآلام، ولم يكن له مثيل في أعمال الرحمة. ويعجز القلم عن رقم فضائله. وشهد تلميذه الخوري يوحنا اللحفدي بأنّ الله صنع على يده آية كان هو شاهداً لها وهي أنه عازهم الزيت فوضع بخوراً وصلّى على خابية الزيت فطفحت به. وشهد جنازه البطريرك موسى والمطران قرياقوس وجمّ غفير تباركوا بجسده الطاهر. وقد ذكره المطران اسطفانوس عواد في فهرست المكتبة الماديشية صفحة ٢٦ إذ روى أنّ كتاب الزبور الذي كان قد كتبه حوشب في دير قزحيا سنة ١٣١٨م قد نسخه ملك جبرائيل من اهدن سنة ١٥٢٢م باهتمام الأب يونان الحبيس المتريتي. وروى ترجمة هذا الحبيس عن الدويهي كما رويناها، وذكر أيضاً تلميذه الحبيس جبرائيل الأهدني وهو ناسخ كتاب الزبور المذكور.

٩ - القس جرجس بن حرواص من قرية عرجس أنشأ دير القديس اليشاع ووسعه وأنفق عليه ١٣٧٥٠ درهماً عدا ما تبرّع به غيره من المحسنين. وكان عبد المنعم الأول مقدم بشري معاوناً له ومثله الحاجة سارة رفيقته في النسك وشريكته في بذل النفقة المذكورة، وكان ذلك سنة ١٥٣٣م. ويظهر لنا أنّ القس جرجس هذا هو الذي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٥٥٦م وقال إنّ المطران رقاه إلى الأسقفية مكافأة له لبنائه دير مار اليشاع ببشري وإن سمي في هذا المحل الأخير يوسف لا جرجس.

١٠ - القس يوحنا بن نمرون الباني كان رئيساً على دير قزحيا سنة ١٥٢٩م وكان شهيراً بالورع والنسك، ولما اختصم أهل بان وأهل عينطورين على دير قزحيا وحكم القاضي به لأهل عينطورين اعتزل القس يوحنا من الرئاسة وتولاها الخوري يوحنا اللحفدي كما مرّ عند ذكر الأسقف يوسف الجاجي. ثم عاد القس يوحنا إلى رئاسة دير قزحيا سنة ١٥٥٦م ولم يمكث بها طويلاً بل استقال منها وسكن دير القديس سمعان بقيطو، إلّا أنه في سنة ١٥٦٧م لما صير الحبيس ميخائيل

الرزي المترئس على دير قزحيا بطريركاً أعادوا القس يوحنا إلى رئاسة هذا الدير فأنشأ له مطحنة عند الدير وجرّ الماء إليها من النهر. وعظمت شهرته بالبر والورع، ولما توفاه الله خلفه بالرئاسة الخوري ابراهيم الحدثي.

١١ - الخوري يوحنا اللحفدي كان تلميذ الحبيس يونان المتريتي وترأس على دير قزحيا بعد اعتزال القس يوحنا الباني المذكور، ثم توفي سنة ١٥٤٢م بعد وفاة معلمه وقد اقتدى بفضائله ونسكه وتقشفاته وخدمته أربع عشرة سنة في مرضه، وكان يقضي سبة الآلام متهجداً مكثراً من الاماتات والمطانيات.

١٢ - الحبيس يونان بن جلوان من سمار جبيل ترهّب في دير قزحيا مع أخيه القس يوسف، وقد ذكرنا دعوة المطران داود رئيس دير قزحيا لهما إلى دير حوقا وترقيتهما سنة ١٥٧٦م إلى الأسقفية خلافاً لقوانين الكنيسة ومنع البطريرك لهما عن مباشرة حقوق الأسقفية وطاعتهما ورضى البطريرك عنهما وردهما إلى دير قزحيا فأكملا حياتهما بالنسك والزهد والورع.

١٣ - القس يعقوب عصاص من بيت الزيات من أسمر جبيل، لبس الأسكيم الملائكي بدير قزحيا، وقضى حياته بالنسك والقداسة في محبسة القديس سمعان بالفراديس وتوفي سنة ١٥٨٥م قال الدويهي، وجسده ما زال سالماً في مغارة مار ادنه هناك لم يعترهِ فساد.

١٤ - الشهيد ابراهيم بن جرجس البشراني الحلبي ولد في حلب سنة ١٥٦٣ وكان والداه من بشري فهاجرا إلى حلب وكان من صغره على جانب عظيم من التقوى والعبادة ويظن أنّ الأب يوحنا ايليان المعروف بجوان باتيستا اختاره من حلب عند وصوله إليها سنة ١٥٨٢ ليكون مرشحاً للكهنوت في مدارس رومية فدرس هناك أولاً مع التلامذة الذين كانوا في منزل الموارنة قبل أن تقام المدرسة وكان يتردد إلى الشبان المبتدئين في الرهبنة اليسوعية فآثر فيه مثل سيرتهم وآدابهم ثم ذهب إلى رئيسهم يطلب منه الدخول بينهم فقبله بنوع غير اعتيادي وقضى زمان الامتحان مشهوراً بالعبادة والتقى. وفي أواخر سنة ١٥٨٤ أرسله الرؤساء إلى المدرسة اليسوعية في فلورنسا ليتمّم زمان امتحانه وينصبّ على الدرس فأقام هناك سنتين وأمره الرؤساء بالعود إلى رومية فدرس في المدرسة الرومانية العلوم الرياضية ثم الفلسفة واللاهوت على علماء يسوعيين شهيرين. وفي ٢٥ شباط سنة ١٥٨٨ قض

الإكليل لابراهيم المذكور مع غيره حسب طقس الكنيسة اللاتينية ومن بعد أن أنجز دروسه رقي إلى درجة الكهنوت ثم أرسله رؤساؤه إلى الهند سنة ١٥٩٢ وبعد أن أقام مدة في الهند سافر بأمر الطاعة إلى بلاد الحبشة في سنة ١٥٩٥ وكان وصوله إلى مصوع في آخر نيسان وبوصوله إلى هناك قبض عليه وأخذ إلى الحاكم فقضى الاب ابراهيم ليلته في الصلاة فرحاً وفي الصباح أوتي به من السجن أمام الحاكم فسأله عن اسمه ودينه وغاية سفره فأجاب إني ولدت بمدينة حلب واسمي ابراهيم ابن جرجس وديني دين المسيح أتيت هذه البلدة لأذهب منها إلى بلاد الحبشة لأبشّر بالدين الكاثوليكي وأثبته فتهدده الحاكم بالقتل فلم ينثن فأخذ يتملقه فلبث مصرّاً فزجّه في سجن المجرمين مقيّداً بالسلاسل وأمر بعض الجنود أن يعذبوه بالضرب والجوع والعطش فاحتمل كل ذلك بصبر وبعد أيام اجتمع أهل المجلس للحكم عليه بالموت فأمره الحاكم أن يشفق على شبابه ويكفر بالمسيح فأجابه: إني أؤمن بالله واحد وبأنّ المسيح تجسّد ومات لخلاصنا فحنق الحاكم وأمر بقطع رأسه فتلقى الحكم بفرح وتهليل ثم لبس رداءه الرهباني وجثا وقبّل الأرض وسلّم نفسه للجنود كالحمل فذهبوا به إلى محل العذاب وتبعه بعض النصارى فجثا وصلّى ثم حلّ ثوبه حول عنقه فضربه السيّاف ضربة هائلة فانكسر السيف فضجّ الشعب وغضب السيّاف وأخذ سيفاً آخر فضربه به فانثلم حدّه وأعاد الضربة فانكسر السيف ولم يجرح الشهيد إلا جرحاً خفيفاً فزاد ضجيج القوم وظهر تعجبهم فاستلّ السيّاف سيفاً ثالثاً وضربه فانفصل رأسه عن جثته في أواخر نيسان سنة ١٦٩٥ ولم يكن تجاوز السنة الثالثة والثلاثين من عمره وشهد الله لقداسته بآيات عديدة ظهرت من جثته حتى أخذ الوثنيون قسماً منها طرحوه في البحر وقسماً خلطوه بعظام موتاهم كي لا يكرمه المسيحيون ومات كل من عاونوا على قتله بأمراض شنيعة في مدة الأربعين يوم بعد استشهاده وقتل الحاكم عليه بأمر حاكم خلفه. انتهى عن ترجمته في كتاب تطويبه إذ أحصاه الكرسي الرسولي عما قليل في مصاف الطوباويين.

مقالة عاشرة

تاريخ الموارنة في القرن السابع عشر

الفصل الأول

أعيان الموارنة الدنيويون في القرن السابع عشر

عد ٥٦

بعض أعيانهم في هذا القرن

ذكرنا في آخر تاريخهم في القرن السادس عشر الشدياق الحصروني والي جبة بشري فهذا توفي سنة ١٦١٢م وخلفه بولايته ابنه الشدياق رعد، وتزوج بست البنات بنت المقدّم مقلد من المقدمين العناحلة (الذين أصلهم من عين حليا وقد مرّ ذكرهم) ويقال إنه كان يسيء المعاملة لها ويتهددها بالقتل وإنها دسّت له سماً في دجاجة أكل منها هو وأخوها جمال الدين بن مقلد المذكور، فماتا وانقرضت بجمال الدين سلسلة العناحلة. وأما امرأة رعد فتزوجها موسى البشراني وسار بها إلى حلب فرُزق منها ولداً سمي عسافاً ودخل إحدى رهبانيات الفرنج ومات كاهناً. ومن بعد وفاة المقدّم رعد بن خاطر ولّى يوسف باشا سيفا والي طرابلس على جبة بشري أبا عاشينا شلهوب لأنه كان ابن بنت المقدّم عاشينا الأول بن حسام الدين العنحلاني وولد له ثلاثة بنين وهم: عاشينا ويوحنا وميخائيل. ونازعه الولاية نعمة وداود وجرجس أولاد الشدياق خاطر فائتمر عليهم مع الحاج سليمان

الملكي كاتب ديوان طرابلس فقبض يوسف باشا على نعمة وداود ابنَي خاطر وألقاهما في السجن، وكان يعدهما بأن يوليهما جبة بشري حتى استنزف الثروة التي تركها والدهما ثم أمر بخنقهما، وألقوهما في البير المعروف بالأزهري. وقبض المقدّم ابو عاشينا شلهوب على أخيهما جرجس وغرقه في النهر قريباً من المدينة، واستمر في الولاية على جبة بشري تسع سنوات. ففي سنة ١٦٢١م كبس ابنه عاشينا دير مار توما بحصرون وقتل القس دانيال العكاري طمعاً بدراهمه، وعرض الأمر للشيخ أبي صافي الخازن الذي كان الأمير فخر الدينَ المعني قد ولاه على جبة بشري، فقبض على عاشينا وأخذه إلى سمار جبيل وعرض أمره على الأمير فخر الدين فأمر باهلاكه، فقتله ودفنه عند جسر المدفون. وأتى والده المقدّم شلهوب ليحتج عن ابنه فقبض عليه الشيخ أبو نادر الخازن ورفع أمره إلى الأمير فخر الدين وبيّن أنه من غرض ابن سيفا فأمر بقتله أيضاً فقُتل وزُجّ في المدفون.

وكانت الوجاهة الكبرى بلبنان في أيام الأمراء المعنيين للمشايخ بني الخازن، وقد مرّ في تاريخ القرن السادس عشر أنّ أرملة الأمير قرقماز معن أرسلت ولدَيها الأميرَين فخر الدين ويونس فخبأتهما عند الشيخ ابراهيم ابن الشدياق سركيس الخازن، ولما راق كأس السياسة وعاد الأميران المذكوران إلى ولايتهما بالشوف، دعا الأمير فخر الدين ابراهيم الخازن وجعله معاوناً ومدبراً له في حكومته، وجعل أخاه رباحاً دهقاناً لأملاكه. ولما توفي الشيخ ابراهيم المذكور سنة ١٦٠٠م اتخذ الأمير فخر الدين ابنه خازناً المكنّى أبا نادر مدبراً له مكان أبيه، ولما اضطر الأمير فخر الدين أن يسير إلى أوروبا سنة ١٦١٢م ترك الشيخ أبا نادر مع أخيه الأمير يونس مدبراً له كما كان معه.

وفي سنة ١٦١٣م لما عاد الأمير يونس إلى ولاية الشوف أرسل الشيخ أبا نادر والشيخ أبا ضاهر حبيش إلى كسروان ليحصيا الأشجار ويستوفيا ما عليها من المال مع ابن المسلماني الذي كان من رجال المعنيين. وأرسل الأمير يونس الشيخ أبا رحال خطاراً أخا أبي نادر إلى توسكانا إلى الأمير فخر الدين ليطلعه على أحوال البلاد. وفي سنة ١٦١٥م أرسل الأمير يونس الشيخ أبا نادر ومعه مملوك له اسمه ذو الفقار ليحكما في كسروان ويقيما بغزير. ولما عاد الأمير فخر الدين من رحلته سنة ١٦١٧ والتقاه الأمير يونس أخوه والشيخ أبو نادر إلى عكا، أنعم على أبي نادر وعلى ذريته بولاية عمل كسروان جزاءً لصدق خدمته بحضوره وغيابه.

ثم سار أبو نادر مع الأمير فخر الدين لمقاتلة يوسف باشا سيفا انجاداً لعمر باشا والي طرابلس، وعند عودهما حاصر الأمير فخر الدين قلعة جبيل التي كانت بيد جماعة ابن سيفا وأخرجهم منهم بالأمان وولّى الشيخ أبا نادر على بلاد جبيل منضمة إلى كسروان. وفي سنة ١٦٢١م ورد أمر من الآستانة إلى الأمير فخر الدين أن يعاون والي طرابلس على يوسف باشا سيفا إذا لم يذعن للوالي المذكور، وفرّ يوسف باشا إلى عكا فأرسل الأمير فخر الدين رجالاً طردوا من جبة بشري العمال الذين كان يوسف باشا قد أقامهم بها وولّى عليها الشيخ أبا صافي الخازن رباحاً عم الشيخ أبي نادر كما مرّ. وفي سنة ١٦٣١ أصلح الشيخ أبو نوفل نادر الخازن ما كان قد خرب من قلعة سمار جبيل بزلزال قتل فيه ابنه نوفل ووالدته بنت الشيخ معتوق حبيش. ولما قبض على الأمير فخر الدين في مغارة جزين سنة ١٦٣٣م كان بمعيته الشيخ أبو نادر وعمه الشيخ أبو صافي وأخذهما معه إلى دمشق، فكفلهما الأمير اليمني وعادا إلى كسروان. وأما أبو نوفل فكان قد فرّ مع الأمير حسين بن فخر الدين إلى قلعة المرقب، فأمسكهما خليل باشا وأخذهما إلى حلب. فانهزم أبو نوفل وعاد متنكراً إلى وطنه. ولما رأى الخازنيون شدة المضايقة لهم انهزم الشيخ أبو نادر وابنه نوفل نادر وأخوه أبو خطار عبدالله وسافروا إلى توسكانا بايطاليا سنة ١٦٣٥م وكان الشيخ أبو نادر مشهوراً عند الافرنج أيضاً فقابله دوك توسكانا بالمعزة والاكرام. ولما تولّى الأمير ملحم المعني بلاد الشوف عاد المشايخ بنو الخازن من ايطاليا فردهم إلى اقطاعاتهم سنة ١٦٣٨م وجعل أبا نادر مدبراً له كما كان قبلاً. وفي سنة ١٦٤٥م توفي الشيخ أبو صافي رباح الخازن في ساحل علما. وفي أول تموز سنة ١٦٤٧م توفي الشيخ أبو نادر خازن بن ابراهيم بن سركيس الخازن بعد أن كان مدبراً لحكومة بني معن عدة سنوات وحاكماً بكسروان وجبيل والبترون والجبة والمرقب، وخلفه بوجاهته ومساعيه الحميدة ابنه نادر المكنّى أبا نوفل.

وفي سنة ١٦٥٠م أرسل الأمير ملحم معن الشيخ أبا نوفل يجبي المال الأميري من بلاد البترون، وكان الأمير التزمه من عمر باشا والي طرابلس . وفي سنة ١٦٥٦م أنعم البابا اسكندر السابع على الشيخ أبي نوفل بلقب كافلير أي فارس. وفي سنة ١٦٥٨م أرسل الأمير ملحم معن الشيخ أبا نوفل ليجبي الأموال الأميرية من عكار وجبة بشري وبلاد البترون وأداها إلى الدولة بحسب تعهده، وكان

الحكام يثقون به كل الثقة . ولما توفي الأمير ملحم معن سنة ١٦٥٨م وخلفه في ولايته ابناه الأمير أحمد والأمير قرقماز جعلا الشيخ أبا نوفل مدبراً لهما كما كان عند والدهما . وسنة ١٦٥٩م أنعم لويس الرابع عشر ملك فرنسة على الشيخ أبي نوفل أن يكون قنصلاً لدولة فرنسة ببيروت، ونال ذلك بعناية المطران اسحق الشدراوي مطران طرابلس ، وحاز أيضاً وكالة قنصلية البندقية . وقد رضي السلطان الأعظم عن اقامته في هذا المنصب وأتحفه بفرمان مؤذن بذلك ومبيّن حقوق منصبه . (تراه مترجماً في كتاب النبذة التاريخية في المقاطعة الكسروانية صفحة ٨٦) وهو الذي أسكن الرهبان اليسوعيين في عينطورا وأعطاهم محل ديرهم هناك من أملاكه . وفي الكتاب الموسوم بالرسائل المعمدة لليسوعيين رسالة مسهبة من هؤلاء الرهبان الذين أتوا حينئذٍ بالثناء على الشيخ أبي نوفل ومبراته وغيرته واتساع شهرته . يمكنك الاطلاع عليها في تاريخ الموارنة المطبوع ببيروت صفحة ٢٢٢ .

وقد سمعت مرات من الطيب الذكر البطريرك بولس مسعد الشهير بمعرفته تاريخ ملّتنا رواية ملخصها أنه لما فرّ الأمير أحمد والأمير قرقماز معن سنة ١٦٦٠م من وجه أحمد باشا كما مرّ، واجتمع أعيان البلاد لاختيار حاكم غيرهما فانتخبوا الأمير محمد علم الدين اليمني، ولم يدعوا الشيخ أبا نوفل وازدروه، وعزل في تلك الأثناء علي باشا عن ايالة صيدا، وقدم والٍ آخر فأخذ أبو نوفل يقدّم له الذخائر من حلب حتى بلغ صحراء جونية فالتقاه الشيخ أبو نوفل فشكر الوزير له وسأله ما يريد ، فأجابه لا أطلب نعمة إلّا أن لا تعطى خلعة الولاية على قصبة دير القمر إلّا بواسطة خادمكم العاجز ، فوعده الوزير بذلك . وعند حلوله بصيدا أسرع إليه أعيان الشوف يلتمسون تقرير ولاية الأمير محمد اليمني على دير القمر فأجابهم أنه لا يخلع على الأمير المذكور إلّا أن يسأله ذلك الشيخ نوفل الخازن ، وأصرّ الوزير على قوله، فاضطروا أن يحضر كثيرون منهم إليه في كسروان ، فبالغ في اكرامهم وسألوه أن يسير معهم إلى الوزير ، فتمنّع واكتفى بعريضة أصحبهم بها إليه ، فأجابهم إلى ما سألوه وعرفوا غلطهم وتهيّبوا الشيخ أبا نوفل . وكان البطريرك المذكور رحمه الله يقول لي إنّ البعض عزوا هذه الرواية إلى الشيخ أبي نادر، ولكني وجدت كتاباً قديماً دوّن الرواية بالتفصيل معزوة إلى أبي نوفل. ولا أتذكر ما عنوان الكتاب ولا أين يوجد.

وفي سنة ١٦٦٤م عاد الأمير أحمد معن إلى ولايته بعد أن انتصر على اليمنيين

فرجع المشايخ آل خازن إلى اقطاعاتهم، وعاد الشيخ نوفل مدبراً لحكومة الأمير أحمد، وفي هذه الأثناء قسم أبو نوفل حكومة كسروان على بنيه وكانوا ثمانية فأعطى أبا قانصوه فياضاً قسماً، وأبا ناصيف نوفلاً قسماً، وخازناً قسماً، وطربيه قسماً، وبقي بيده قسم كبير سلّمه إلى أبنائه الصغار وهم خاطر وسليمان وقيس وأبو النصر. وفي سنة ١٦٧١م أُحيلت اقطاعات كسروان وبكفيا وغزير إلى عهدة الشيخ أبي نوفل وأولاده بموجب فرمان سلطاني حفظ أصله عند الشيخ بطرس كنعان الخازن، وترى ترجمته مثبتة في تايخ الموارنة المطبوع ببيروت صفحة ٢٤٢. وفي سنة ١٦٧٩م في ١٣ آب توفي الشيخ أبو نوفل نادر الخازن.

وخلف أبا نوفل ابنه أبو قانصوه فياض وتمشى على آثار والده أبي نوفل وشرع سنة ١٦٨٠م في بناء دار له في قرية غوسطا وبجانبها كنيسة على اسم النبي الياس، وتولّى في كسروان على القسم الذي خصّه به أبوه، وخلفه في قنصلية فرنسة ببيروت. وفي سنة ١٦٧٨م لما ضايق والي طرابلس أولاد أبي رزق البشعلاني الآتي ذكره فرّ أحدهم يونس بأولاده وأولاد أخيه إلى كسروان واحتمى عند الشيخ أبي قانصوه فياض المذكور، ودافع عنهم ابنه الشيخ حصن الآتي ذكره، فأقاموا في حماه، ونظن أنهم أقاموا بصليما ومنهم بيت البشعلاني الساكنين الآن في القرية المذكورة. وتوفي الشيخ أبو قانصوه فياض في ١٧ تشرين الأول سنة ١٦٩١م. وذكر الدويهي في تاريخ هذه السنة وفاة الشيخ المذكور وقال بعد موته عظمت شوكة بني حماده فقتلوا حنا الأسود في الكورة ونهبوا العاقورة. وكان الشيخ أبو قانصوه جزيل الكرم محباً للعلماء شجاعاً شديد البأس.

وخلف أبا قانصوه ابنه حصن في ولايته وأنعم عليه ملك فرنسة لويس الرابع عشر بأن يكون قنصلاً لفرنسة ببيروت كأبيه وجدّه. وقد حفظ لنا العالِم دي لاروك في كتاب رحلته إلى سورية ولبنان (مجلد ٢ صفحة ٢٨٦) براءة تنصيب الشيخ حصن المذكور قنصلاً لفرنسة ببيروت، وإليك ترجمتها عن الفرنسية:

«مرسوم الملك بتنصيب الأمير حصن الخازن الماروني»

لويس ملك فرنسة وناقارا وكنت بروفنس الخ. السلام لكل من يطلع على مرسومنا هذا، لما كنا نرغب في اجابة سؤال الأمير حصن الخازن في عريضته التي

رفعها إلينا وأن نعززه باحالة قنصلية بيروت إلى عهدته كما كان أبوه وجدّه بمقتضى مرسومنا الصادر في غرة كانون الثاني سنة ١٦٦٢م، ولعلمنا بما له من الغيرة والصدق بخدمتنا وعنايته بخير رعايانا قد نصبناه بمرسومنا هذا الموقّع عليه بيدنا قنصلاً على مدينة بيروت إذ فصلنا هذه المدينة عن قنصلية صيدا المتعلقة بها الآن، ونريد أن تبقى منفصلة عنها إلى أن نصدر أمراً آخر يخالف مرسومنا هذا. وقد أقمنا وأمرنا ونصبنا ونقيم ونأمر وننصب السيد حصن الخازن المذكور قنصلاً للأمة الفرنسية في فرضة بيروت المذكورة وملحقاتها ومتعلقاتها فله بتخويله هذا المنصب أن يلي ويباشر مدة حياته جميع الحقوق والسلطة والامتيازات والانعامات التي لباقي القناصل في المشرق، ورخصنا له أن يقيم عنده نائب قنصل بحيث يكون من أمة الفرنسيين ويكون هو مسؤولاً عنه في الأمور المدنية. وقد أعلمنا مستشارنا وسفيرنا في المشرق السيد شاتوناف دي كاستنيار إنه إذا ظهر له أنّ السيد حصن الخازن متصف بالسيرة الحميدة وحسن الآداب ومتمسك بالدين الكاثوليكي الرسولي الروماني يصرفه بالقنصلية المذكورة، وبما لها من الحقوق ولا يمنعه من ذلك أي مرسوم كان يخالف ما ذكرنا، وعلى السفير المذكور أن يبذل له كل مساعدة وعناية، ونأمر ربان كل مركب وسفينة تحت العلم الفرنسي وكل تاجر من أمتنا أن يعترفوا بأنه قنصلنا ويمتثلوا أمره، ولا يمنع من ذلك الأمر الذي أصدرناه في ١١ آذار سنة ١٦٨٥م بأن لا ينصب من الأجانب قناصل لفرنسة لأننا استثنينا ونستثني من هذا الأمر السيد حصن الخازن فلا مفعول لذلك الأمر من قبله، فهذه هي ارادتنا ومسرتنا ونرغب إلى الباشاوات والولاة الاجلاّء ونسأل من كان منهم الآن ومن يكونون من بعدهم ببيروت وملحقاتها أن يمكنوا السيد حصن الخازن من تكميل فروض منصبه ولا يسمحوا بأن يكون له أقلّ مانع من اتمام فروض منصبه بل يبذلون له بعكس ذلك كل مساعدة ورعاية، واشعاراً بذلك قد وقّعنا بختمنا على هذه البراءة الصادرة في ١٢ حزيران سنة ١٦٩٧م من سني النعمة وهي الخامسة والخمسون لملكنا. التوقيع لويس. وعلى طي البراءة بأمر الملك كونت بروفنس فيليب وختم بالمهر الكبير على الشمع الأصفر».

وإليك أيضاً ترجمة جواب لويس الرابع عشر إلى الشيخ حصن قنصل فرنسة ببيروت نقلاً عن الكتاب المذكور:

«إلى السيد الأجلّ الأمير حصن قنصل الأمة الفرنسية ببيروت»

أيها السيد الأجلّ، إنّ السيد يوحنا مارماكون الكافلير الماروني رسولكم، رفع إلينا الرسالة التي كتبتموها إلينا في شهر كانون الأول سنة ١٦٩٥م تطلبون بها أن ننصبكم قنصلاً ببيروت، ولا أشك في أنكم تقدرون حمايتي لكم حق قدرها وتصرفون عنايتكم إلى مساعدة رعاياي الذين يتاجرون في سورية، ولذلك أردت رغبةً في مصلحتكم أن أفصل مدينة بيروت عن قنصلية صيدا وأجعلها قنصلية مخصوصة، وأمرت أن ترسل إليكم براءة تنصيبكم بها وبقوتها يكون لكم الحق لا أن ترفعوا العلم الفرنسي فقط على باب داركم كما كان يصنع جدكم وأبوكم، بل تكون لكم أيضاً الحقوق والانعامات التي يحرزها قناصل الأمّة الفرنسية. وقد سلمتُ إلى رسولكم عدة رسائل إلى سفيري بالقسطنطينية، وإلى قناصل فرنسة بجواركم وأمرتهم بأن يبذلوا لكم كل الرعاية والعناية بكل ما يتعلق بكم عند طلبكم ذلك، لنفعكم ومساعدة أبناء ملّتكم. وأسأله تعالى أن يرعاكم أيها السيّد الأجلّ بعين حراسته المقدّسة. كُتب في فرسايل في ١٣ من تموز سنة ١٦٩٧م. التوقيع لويس. وفي أسفل الرسالة، كولبر» (وهو وزير لويس الرابع عشر).

ويلي ذلك في الكتاب المذكور رسالتان إلى الشيخ حصن إحداهما موقّع عليها بونتشرتران فحواها أنه تلا على مسامع جلالة الملك رسالته التي سلمه اياها يوحنا مارماكون رسوله. وإنّ جلالته تعطّف بفصل قنصلية بيروت عن صيدا وتحويلها إلى عهدته، وإنه مرسل له البراءة في طي كتابه وهي في تاريخ ٢ حزيران سنة ١٦٩٧م. والثانية بتوقيع دي تورسي وفحواها أنّ عظمة العاهل تعطّف عليه بايلائه المنصب الذي كان فيه المرحوم أبوه، وإنه تلا الرسالة التي كان هو أنفذها باسم أبيه بعد عرضه الرسالة على مسامع جلالة الملك انعطف إلى ايلائه قنصلية بيروت. وكتب في ذلك إليه وإلى سفيره في القسطنطينية وإلى قناصل فرنسة بجواره يأمرهم بمعاونته ورعايته في كل ما يتعلّق به وبملّته. وتاريخ هذه الرسالة في ٢ تموز سنة ١٦٩٧م.

ويظهر أنّ الشيخ ناصيف بن نوفل ابن عم الشيخ حصن القنصل قد رفع أيضاً إلى الملك لويس الرابع عشر عريضة يشكو بها سوء حالهم عند نكبة دولة المعنيين المار ذكرها واختفاء الأمير معن فأجابه الملك لويس برسالة هذه ترجمتها:

« إلى السيد الأجلّ ناصيف أمير الموارنة »

أيها السيد الأجلّ ، إنّ كتابكم الذي رفعه إلينا السيد يوحنا مارماكون الكافلير الماروني موفدكم إلينا علمنا منه سوء المعاملة التي يعاملكم بها الحاكم الجديد الذي نصب عن عهد قريب مكان الأمير أحمد بن معن ، واتّضح لنا منه أيضاً أنّ من اللازم تفادياً من الضرّ للدين الكاثوليكي ورغبةً في تأييده في بلادكم أن نصرف عنايتنا لدخولكم بصفة حاكم على البلاد التي كنتم تتولون ادارتها من عهد قريب إذ تدفعون للباشا والي طرابلس المال المفروض على هذه البلاد . ولما كنت أرغب رغبةً شديدة في أن أساعدكم على ما يعود بالنفع عليكم ولا سيما متى كان ذلك ملائماً للحماية التي بذلتها في كل وقت للكاثوليكيين بالشرق قد سلمت إلى موفدكم أوامر وجهتها إلى سفيري بالقسطنطينية ليصرف عنايته الفعالة لينال لكم ما تبتغون . وأخيراً أسأله تعالى أن يحفظكم أيها السيد الأجلّ بحراسته المقدّسة . دُوِّن بفرساي في الثالث من تموز سنة ١٦٩٧م . التوقيع لويس . وفي أسفل الصحيفة ، كولبر .

وكتب الوزير دي تورسي كتاباً آخر إلى الشيخ ناصيف هاك ترجمته .

« أيها السيد الشريف الأجلّ ، إنكم تعلمون من الرسالة التي كتبها إليكم سيدي العاهل جواباً على رسالتكم التي أنفذتموها إليه على يد السيد مارماكون رسولكم ، كم تهتم جلالته بما يعود بالنفع عليكم وعلى الدين الكاثوليكي ، ولا أشك في أنكم تشعرون بأقرب وقت بمفاعيل الحماية التي يبذلها لكم بواسطة أوامره الموجّهة إلى سفيره بالقسطنطينية ليصرف عنايته الشديدة ليستمد لكم ما ينقذكم من الضيق الحاصل عليكم ، وينفع المسيحيين أبناء ملّتكم . ولم يبقَ لي إلّا أن أحقق لكم إني لا أنفك عن أن أرجو جلالته ليواصل كل وقت حمايته لكم وأن تتيقنوا أني صديقكم المخلص » . التوقيع ديتورسي عن فرسايل في ٢ تموز سنة ١٦٩٧م .

ويظهر أنّ رئيس أساقفة نيقوسية ومتربوليت قبرص نائب البطريرك اسطفانوس الدويهي في مدة غيابه رفع عريضة إلى لويس الرابع عشر بالمعنى الذي كتب به الشيخ ناصيف الخازن ، وبالتماس القنصلية للشيخ حصن فأجابه الملك عليها وهاك ترجمة الجواب .

« إلى السيد الأجلّ رئيس أساقفة نيقوسية متربوليت قبرص ورئيس الدين الكاثوليكي الرسولي الروماني في جبل لبنان في غياب البطريرك اسطفانوس[1] »

أيها السيد الأجلّ تناولت الكتاب الذي رفعه إليّ من قبلكم السيد يوحنا مارماكون رسول طائفتكم، وبه تبيّنون لي الضيق الحاصل ببلادكم الآن وتسألونني فيه أيضاً أن أنصب الأمير حصناً قنصلاً لفرنسة ببيروت، فعنايتي بجميع الذين يقرون بالدين القويم في أية جهة كانوا من العالم لا تدع لكم محلاً للريب في عنايتي بكم خاصةً، ولذلك شئت بطيبة خاطر أولي الأمير حصناً قنصلية بيروت مفصولة لهذه الغاية عن قنصلية صيدا، وقد كتبت في الوقت نفسه إلى سفيري بالقسطنطينية وإلى قناصل حلب وصيدا وطرابلس أن يبذلوا العناية الفعالة بما يعود بالنفع على ملّتكم وكاثوليكيي المشرق الآن وفي كل فرصة تسنح لذلك. وأخيراً أسأله تعالى أن يحفظكم أيها السيد الأجلّ بحراسته المقدّسة. دوّن بفرساي في الثالث من تموز سنة ١٦٩٧م. والتوقيع لويس. وفي أسفل الصحيفة. كولبر.

وهذه ترجمة الرسالة التي بعث بها لويس الرابع عشر إلى سفيره بالآستانة.

« إلى السيد دي كاستنيار مستشار دواويني وسفيري غير العادي بالقسطنطينية »

إنّ السيد يوحنا مارماكون الكافلير الماروني الموفد من قبل الأميرين ناصيف وحصن ومن قبل مطران نيقوسية رئيس الدين الكاثوليكي الروماني بغياب البطريرك اسطفانوس قد رفع إليّ رسائل منهم يسألون بها حمايتي من الضيق الملمّ بهم بعد أنّ السيد الأعظم (السلطان) ولّى على بلادهم الأمير أبا موسى علم الدين عوضاً

(١) أين كان الدويهي حينئذ لا نعلم حقيقة. على اننا نعلم ان نكباته كانت كثيرة وغيباته عن كرسيه متواترة.

عن الأمير أحمد بن معن، ويلتمسون أن يعطى أحدهم الأمير حصن قنصلية بيروت ليتمكن من نشر العلم الفرنسي ونيل حقوق القنصلية والانعامات المختصة بقناصل الأمّة الفرنسية، ويخمد بذلك جذوة ماحاق بهم من الضيق. ولما كان عزمي أن أساعد بكل وسعي على راحة جميع المستنيرين بالانجيل المقدّس في أي قطر كانوا من العالم، فأنا مرسل إليكم كتابي لأبلغكم ارادتي ومرغوبي أن تستوعبوا ما يشرحه لكم معتمدهم المذكور لخير الدين الكاثوليكي ونفعه ،وأن تبذلوا بعد ذلك العناية باسمي لتنولوه كل ما يبتغيه من الأمور المعقولة، وأخيراً أسأله تعالى أن يحفظكم بحراسته المقدّسة أيها السيد دي كستنيار. كُتب في فرسايل في الثالث من تموز سنة ١٦٩٧م. والتوقيع لويس. وفي أسفل الصفحة كولبر».

وقد أصحب المركيز دي تورسي الوزير وكاتب سر المملكة الكافلير يوحنا مارماكون برسالة إلى السفير المذكور مرسلاً له أمر الملك وموصياً بالكافلير المذكور. وتاريخ رسالته ١٣ تموز سنة ١٦٩٧م. وقد كتب الوزير دي تورسي المذكور أيضاً رسالة بأمر الملك إلى قناصل فرنسة بحلب وصيدا وطرابلس فحواها أنّ جلالة الملك أمره أن يكتب إليهم مبيّناً رغبة جلالته بمساعدة الأميرين نصيف وحصن الخازن ومطران نقوسية نائب البطريرك بغيابه، وأن يبذلوا بكل فرصة عنايتهم الفعالة بالمذكورين ليشعروا بمفاعيل حماية جلالته. وإنه جعل الأمير حصناً قنصلاً ببيروت منفصلة عن صيدا، وإنّ مقصد جلالته بذلك أن يخفف من جهة ثقل الضيق الملم بالمذكورين وأن يزيد من جهة أخرى عنايته برعاياه الذين يتجرون بالمدينة المذكورة وملحقاتها. وإنه كتب إليهم بطيبة خاطر توصاة بالكافلير يوحنا مارماكون معتمدهم لدى جلالته. وتاريخ هذه الرسالة ٣ من تموز سنة ١٦٩٧م.

وبعد وفاة الشيخ حصن قنصل فرنسة سمي ابنه الشيخ نوفل قنصلاً مكانه كما سترى في تاريخ القرن الثامن عشر.

وكان من أعيان طائفتنا في هذا القرن المشايخ آل حبيش فكان منهم الشيخ أبو ضاهر حبيش الذي أرسله الأمير يونس المعني إلى كسروان مع الشيخ أبي نادر الخازن سنة ١٦١٣م ليعدا الأشجار في هذا العمل ويجبيا المال المفروض عليها. وكان منهم أيضاً الشيخ أبو فارس حبيش الذي قُتل في الوقعة التي كانت بين القيسية واليمنية في مرحاتا سنة ١٦٣٦م كما في تاريخ هذه السنة.

وفي سنة ١٦٨٠م كتب الأمير أحمد المعني صكاً للشيخ طربيه بن موسى حبيش وللشيخ أبي شديد سيف بن طالب حبيش يوليهما له على غزير، فكانت اقطاعاً لآل حبيش.

عد ٥٧

أبو رزق البشعلاني وابنه يونس

كان من أعيان الموارنة في هذا القرن الشيخ أبو رزق البشعلاني، وقد ذكره العلامة الدويهي لأول مرة في تاريخ سنة ١٦٤٣م، ولم ينبئنا بأصله ولا نسبه بل قال في هذه السنة عُزل محمد باشا الأرناؤوط عن ايالة طرابلس وتولاها حسن باشا، وكان كأخيته الشيخ أبو رزق البشعلاني (نسبةً إلى بشعلي في عمل البترون). ثم قال في تاريخ سنة ١٦٤٩م عُزل (ثانيةً) الأرناؤوط عن ايالة طرابلس وتولاها صهره عمر بك، واسترد ابن الصهيوني وأبا رزق البشعلاني ونصب أخاه أبا صعب البشعلاني شيخاً على جبة بشري. ثم قال في تاريخ سنة ١٦٥١م عُزل عمر باشا المذكور عن ايالة طرابلس وتولاها حسن باشا فأسلم أمورها إلى الشيخ أبي رزق البشعلاني، إلى أن قال ثم تقوّى عليهم (أي على أبي رزق وحلفائه) ابن الصهيوني وتسلّم تدبير أمور طرابلس، وصادر أبا رزق وأتباعه. وقال في تاريخ سنة ١٦٥٣م قبض محمد باشا الأرناؤوط على الشيخ أبي رزق بحجة أن بعض آل حبيش قدموا إلى داره ومعهم جمعة بداعي زواج أحد أولادهم، فنمّ بعض أهل الفساد إلى الباشا قدومهم إنما كان لمضرّة له، فأمر الباشا بالقبض على أبي رزق وأولاده وضيوفه وسجنهم بالقلعة مكبلين بالقيود، وكان عددهم تسعين نفساً. ونهبوا داره واستباحوا ماله، وبعد ذلك ورد الخبر بعزل الأناؤوط وتولية قرا حسن. فتوجّه الأرناؤوط إلى حماه لجباية المال وأخذ أبا رزق والسجناء معه. ودعا أبا رزق للحساب عما دخل ليده من المال، وادعى أنّ الباقي عليه اثنا عشر ألفاً، وبلغ الوالي الجديد إلى حماه وأعاد الحساب بينهما فثبت أنّ الباقي على أبي رزق أربعة آلاف وخمس مئة قرش دفعها عنه ابن الصهيوني، وخلى قرا حسن الوالي الجديد سبيله وسبيل السجناء. وأراد أن يعهد بتدبير أموره إلى الشيخ أبي رزق، ولكن وصل قبوجي من الباب العالي يطلب رأسه، فأشار عليه الوالي وابن

الصبهيوني لم يسلم فدية لنفسه ، فأذعن مكرهاً لرأيهما . وأعطوا القبوجي ألف قرش فعاد إلى الآستانة . وذخل أبو رزق طرابلس مع قرا حسن والتزم منه جبلة واللاذقية وأوصى قبل سفره إليهما أخاه أبا صعب أن يأخذ أولاده ويسير بهم إلى بلاد ابن معن ، فشق ذلك على الوالي ووجس أبو رزق من مضرته له فتزوج بامرأة موسى باشا ليبعد الوالي عن الظن بردته . وفي سنة ١٦٥٤م صير بشير باشا نائب حلب وزيراً وسار قاصداً الآستانة ، وعند وصوله إلى أدنه قُدمت له الشكوى على أبي رزق أنه كان ميالاً إلى ابن معن ، وأرسل أولاده إليه مع أخيه أبي صعب وإنّ أخاه هذا كان مع ابن معن في وقعة وادي القرن المار ذكرها . فأمر بقتله فقُتل في أوائل شهر آذار من السنة المذكورة . ذكرنا بعض هذه الأخبار في التاريخ العام وأعدنا ذكرها هنا لعزمنا أن نفصل من هذا التأليف تاريخ الموارنة في كتاب على حدة ، فكان لا بد من هذه الاعادة .

وأما الشيخ يونس ابن أبي رزق المذكور فقال في حقه الدويهي في تاريخ سنة ١٦٨٧م إنّ حسين باشا والي طرابلس قبض على الشيخ يونس واخوته عبدالله ورزق وأولاهم بسبب دعوى والدهم أبي رزق البشعلاني ، فاضطر يونس أن يطلب الاسلام لينجي عيالهم من القتل والاسلام . فهربوا جميعاً في ٢٩ ايلول ومعهم نحو عشرين نفساً إلى قاطع كسروان مستجيرين بالأمير أحمد معن والشيخ أبي قانصوه فياض الخازن ، فنجدهم ابنه حصن وأمنهم برجاله حتى حلوا بحكومة ابن معن سالمين ، وهناك جاهر يونس بصحة عقيدته . ثم قال الدويهي في تاريخ سنة ١٦٩٧م قبض قبلان باشا والي طرابلس على الشيخ يونس بن أبي رزق البشعلاني وعرض عليه الاسلام فتمنّع فرفعه على الخازوق في ٢١ أيار من السنة المذكورة .

هذا ما رواه الدويهي ، ولكن أتحفنا دي لاروك في كتاب رحلته إلى سورية ولبنان (مجلد ٢ صفحة ٢٦٣) بترجمة الشيخ يونس المذكور مسمياً اياه أميراً فنلخّص عنه ما يأتي قال:

« كان الأمير يونس من أسرة شريفة بلبنان ومن ذوي قربى حاكم الملّة المارونية ، وله أملاك في سفح لبنان في ناحيتي طرابلس وجبيل لا يقلّ دخلها عن ألف ليرة ، وكان حسن الشكل زكي العقل محنكاً بالسياسة ، يحبه الجمهور ويثق

به وزراء الباب العالي. وقد استعمله كثيرون من ولاة سورية في أهم أعمال حكومتهم حتى كاد قدره يساوي قدر الولاة. على أنّ ثروته ومنزلته هيّجتا عليه حسد أقرانه. ومباشرة أعمال منصبه أورثته خصوماً له ائتمرا على اهلاكه، وأسخطوا عليه قبلان باشا ابن المطرجي والي طرابلس وشكوه بجرائم كثيرة، وتمحلوا لها دليلاً بزيادة ثروته، فارتاح الباشا إلى سماع شكواهم وقبض على الأمير يونس وأخيه الأمير يوسف وزوجتيهما وأولادهما وكثيرين من أنسبائهما وأتباعهما، وكانوا نحو خمسين شخصاً ألقوهم في السجن، وهددوا الأمير يونس بالقتل والحاق جماعته به إلّا أن يجحد الدين المسيحي ويسلم. فأظهر بادئ ذي بدء الشجاعة والثبات وازدرى التهديد والوعيد على أنه لدى تبصره بحالة أسرته والخطر الذي يلم بها من جهة الدين إذا قُتل قبلهم عوّل على أن يتظاهر بالاسلام فيقي نفسه وذويه من التهلكة واشترط شرطاً صريحاً أن يسلم وحده وتبقى أسرته وذووه نصارى، وأن يخلى سبيلهم أجمع. فقبل الباشا شرطه وأكتفى أن ينطق هو وحده بالشهادتين. وأباح ذويه حرية دينهم وأخرجهم من السجن. وقد قال يونس قبل مقتله إنه قام بضميره حينئذٍ أنّ عمله هذا جائز بل مندوب إليه لينجي ذويه وينقذ بناته وبنات أخيه من الزواج برجال مسلمين.

وجامل الأمير يونس الباشا بعد ذلك أربعين يوماً ليخفي مقصده وأرسل سراً امرأته وأولاده وذوي قرباه إلى أعلى جبل كسروان. ولما تحقق أنهم أصبحوا آمنين فرّ هو من طرابلس وسار أولاً تواً إلى بطريرك الموارنة معترفاً بالضعف الذي استحوذ عليه وباكياً من جراء اثمه وصرّح بأنه ما انفك مسيحياً. وتُلي دستور ايمانه وتقبّل القانون الذي فُرض عليه وحلّه البطريرك من اثمه. ورغبةً في أن يبرئ ساحته أمام الناس أيضاً جمع رؤوس التشكيات الواردة عليه وبيّنات الاكراه الذي أُنزل به وأرسل ذلك إلى الآستانة مصحوباً بالحجج اللازمة للدفاع عن نفسه على يد أحد أصدقائه، وعرض أمره في الديوان السلطاني. ولما كان من متعلقات الدين أمر جلالة السلطان أن يحال النظر بالدعوى إلى المفتي الأكبر بالآستانة، وهذا بعد التحري بالدعوى حكم أنّ تظاهر الأمير يونس بالاسلام لا يعول عليه لصدوره عن اكراه. وأن لا يؤاخذ فيما بعد باسلامه. فأثنى الكثيرون على عدالة العثمانيين وانصافهم.

ولم تكن راحة لضمير الأمير يونس من جراء العثار الذي تسبب به بطرابلس فنزل إليها وجاهر أمام الباشا وديوانه بدينه المسيحي، وطاف بالمدينة مصرحاً

بذلك، فأغضى المسلمون على هذا الصنيع وعُزل والي المدينة ونُصب غيره فدعا الأمير يونس وأقامه على برية طرابلس واستحصل له أمراً سامياً مثبتاً حكم المفتي السالف ذكره. ومبيحاً اياه وعائلته البقاء على دينهم المسيحي دون أن يزعجهم أحد. فاستمر الأمير يونس وذووه راتعين في بحبوحة الأمن والرغد خمس سنين مباشراً أعمال مأموريته بكل أمانة ونزاهة، إلّا أنه سنة ١٦٩٥م بُدّل والي طرابلس ومات من كان له من الأصدقاء في الآستانة إذ انقلب الدهر عليهم، فاغتنم أعداؤه هذه الفرصة ليهلكوه. فاتهموه بعدة جرائم وشكوه إلى الوالي الجديد وادّعوا عليه أنه سبّ دينهم وقذف بالاسلام. فقبض عليه الوالي وغلله في السجن وما انفك مدة سنتين يقرفه ويهدده ويتملقه ليكفر بدينه، ووعده بأن يوليه أسمى المراتب ويرشحه إلى الخلافة بعده بحكومة طرابلس فلم تستمله كل هذه الوسائل إلى الاذعان للوالي، بل كان يشكر الله على انزال هذا الاضطهاد به تكفيراً عن زلّته السالفة. وحاول الوالي مرات أن يستميله فلم يكترث بكلامه، وأسمعه أخيراً ما أوغر صدره عليه ومزّق ثوبه وحكم عليه أن يموت على الخازوق. وكان الولاة في تلك الأيام مسلطين على حياة الرعايا وموتهم، وقبل تنفيذ الحكم عليه أرسل الوالي عدداً من أصحابه يغرونه بالرضوخ لمرغوبه فأبى، ثم حمّلوه الخازوق وخرجوا به إلى تلّ قريب من المدينة والناس من أمامه وورائه بعضهم يقرّعه، بعضهم يحثه على ارضاء الوالي وهو أبكم أصمّ عن سماع كلامهم. وقبل رفعه على العود أرسل الوالي يعده بالعفو عنه وعن ذويه ورد أملاكه إليه فلم يكن يجيب إلّا أسلم نفسي بيد الله وهو يهتم بي وبذوي وأملاكي، ولم ينفك دقيقة موته يسبّح الرب ويشكره ويدعو باسمه ويلجأ إلى رحمته وإلى العذراء والقديسين، ويكرر تلاوة قانون ايمانه إلى أن أسلم نفسه بيد الله في شهر أيار سنة ١٦٩٧م.

وبقيت جثته خمسة أيام على آلة عذابه وشرذمة من الجند تحرسها، وشهد شهود عدل وبتوا شهادتهم باليمين أنهم رأوا اكليلاً من نور على رأسه ليلاً مدة بقائه على تلك الحال، وشاهده الحراس فدهشوا وفرّوا. وأخيراً سأل بعض المسلمين الوالي أن يأمر بدفن جثته تفادياً من حصول ثورة من جرا ذلك، فسمح الوالي لأحد اقربائه أن يُنزل جثته فأنزلها ووضعها أولاً في بئر قريبة من مقبرة الموارنة ثم نقلها سراً بعد يومين إلى مدفن خلف المنبر في كنيسة القديس يوحنا بطرابلس.

وبعد موت الأمير يونس اهتم بعض أصحابه أن يخرج الأمير يوسف أخاه من السجن الذي كان به ، فاسترضوا الباشا عنه وخرج وسار إلى أوروبا يسأل المحسنين ما يقوم به بأوده وأود عائلته وعائلة أخيه . قال دو لاروك قد رأيته بباريس مدة أشهر صابراً على مصابه مسلماً إلى مشيئة الله راضياً بأحكامه ، وقد أكرمه الملك وكتب إلى سفيره بالآستانة يوصيه به . ومثل ذلك كتب إلى قناصله ودوّن رسالة إلى بطريرك الموارنة يعزيه بهذه الفاجعة . ودفع إليّ الأمير يوسف المذكور شرحاً وافياً في حياة أخيه وموته فأخذت عنه هذا المختصر وهو مطابق لما كتبه بطريرك الموارنة إلى الحبر الروماني وملك فرنسة بهذا الشأن مصادقاً عليه من أساقفة جبل لبنان . وللتقرير الذي كتبه قنصل فرنسة بطرابلس مصادقاً عليه من الرهبان الفرنسيين والاسبانيين في المدينة المذكورة . وروى هنري موندرل الانكليزي في كتاب رحلته من حلب إلى أورشليم أنّ قنصل انكلترا صحبه للفرجة على قلعة طرابلس في ٨ أيار سنة ١٦٩٧م وكان يونس مسجوناً فيها لأنه أسلم ثم ارتد . وإنه مات على الخازوق بعد يومين من سفر هذا الكاتب أي في ١٢ أو ١٣ أيار سنة ١٦٩٧م .

وهذه ترجمة المنشور الذي كتبه البطريرك اسطفانوس الدويهي موصياً بالشيخ يوسف المذكور .

« الحقير اسطفانوس بطرس البطريرك الانطاكي »

السلام والبركة الرسولية لكل مطالع أو سامع وثيقتنا هذه

ليكن معلوماً أنّ ولدنا العزيز أبا يوسف رزق هو رجل ماروني كاثوليكي من رعيّتنا ومن أعيان الملّة المارونية ، وهو أخو الشيخ يونس الذي أكره على أن يبدي جحود الايمان بفمه لا بقلبه ليخلّص نفسه وأولاده ، لكنه حالما ساعده الله على الفرار بعد نحو أربعين يوماً انسلّ ليلاً بأولاده إلى ناحية كسروان وهناك اعترف بإثمه ، وقبل طائعاً خاشعاً القانون المفروض عليه ، واهتم بعد ذلك فنال من جلالة السلطان الأعظم أمراً سامياً مسنداً إلى حكم القضاة بأنّ جحوده ايمانه مكرهاً لا يعتمد عليه ، وتظاهره بالاسلام باطل ولا صحة له . وبعد ذلك سار إلى طرابلس وجاهر علانية بدينه المسيحي مدة خمس سنوات ، وأضمر له الضغينة والحقد بعض

أصحاب الأمر بالمدينة المذكورة إلى أن تمكنوا من القائه بالسجن واماتته على الخازوق، وكان يجاهر في مدة هذا العذاب بجسارة وبسالة بالايمان بيسوع المسيح، وقد قبض معه على أخيه يوسف رزق وأُلقي بالسجن أيضاً، وألجأه الحال إلى خسارة مبالغ وافرة من المال. وباعت الحكومة أملاكه وأثاثه حتى بيته نفسه، ولما لم يعد يستطيع أن يعيش ببلاده بحسب مقامه ولا أن يقوم بأود عائلته أي أولاده وأولاد أخيه يونس هم خمسة عشر شخصاً، وقد اضطر إلى استدانة مبالغ من المال لتقديم النفقة اللازمة لحياتهم وليس له ما يفي، وقد لجأوا إلينا مراراً سائلين أن نصحب بهذه الوثيقة يوسف المذكور أبا هؤلاء الصغار وعمهم فمأمولنا بغيرة أصحاب عمل الخير ومحبتهم لجراح المخلِّص ووالدته الكلية الطهر أن تأخذهم الشفقة على المذكورين وأن يمدوا يد سخاهم إلى الشيخ يوسف المذكور وأولاده وأولاد أخيه ويكون لهم من لدنه تعالى الأجر العظيم والمجد والتسبيح لمن قال في انجيله المقدّس: «ما صنعتموه إلى أحد أخوتي هؤلاء الصغار فألّي صنعتموه» ونسأله جلّ شأنه نحن وهم أن يجزيهم على احسانهم مائة ضعف في هذه الحياة والحياة الأخرى الأبدية.

أعطي بكرسينا قنوبين في اليوم الخامس من شهر تشرين سنة ١٦٩٩م. «وعدا توقيع البطريرك في أعلى هذه الوثيقة ذُيّلت بتوقيع يوسف الحصاراتي أسقف جبيل بحوقا ويوسف حبقوق أسقف البترون بقزحيا وجبرائيل الدويهي».

عد ٥٨
أعيان موارنة آخرون

من أعيان الموارنة أيضاً في هذا القرن الشيخ أبو كرم الحدثي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٣٥م. فقال إنّ مصطفى باشا والي طرابلس أقام على حكومة جبة بشري الشيخ أبا كرم يعقوب ابن الريس الياس الحدثي، وقال في تاريخ سنة ١٦٣٩م تولّى طرابلس محمد باشا الأرناؤوط فأتى للسلام عليه أصحاب الاقطاعات ما عدا أصحاب آل سيفا وأبا كرم الحدثي. وفي سنة ١٦٤٠م في ١٦ نيسان أرسل والي طرابلس المار ذكره عسكراً للقبض على الشيخ أبي كرم الحدثي

حاكم جبة بشري لأنه لم يحضر للسلام عليه، فقبض العسكر على ابن عمه سعد، وضيّق على الأديار والقرى بحجّة التفتيش عليه وعلى أولاده وأتباعه وضبط أملاكه، وعظم الضيق وكثر الخراب والسلب والنهب فلم يتحمل أبو كرم هذا التنكيل بأهل بلاده فانحدر إلى طرابلس طائعاً مستسلماً على يد القاضي، فأمر الوالي بأن يُلقى في السجن بالقلعة، ثم طوّفه على جمل بشوارع المدينة وفي قفاه مشاعل نار، وعرضوا عليه الاسلام فأبى إلّا التشبث بدينه فمات مشنوقاً.

ومنهم أبو جبرائيل يوسف الاهدني وكان شريكاً للشيخ أبي كرم الحدثي وتوفي سنة ١٦٤١م بعد أن حكم جبة بشري عشر سنين، وخلفه بعد وفاته أخوه الشدياق أبو ذيب ابن الشماس جرجس الأهدني فقتله محمد العراك بقرية زغرتا بدسيسة من بيت حماده المتاولة ومصطفى بك ابن الصهيوني مدبر ايالة طرابلس. وتولّى حكم جبة بشري بعده المقدّم زين الصواف، وكان معه أبو عون بن الغمة من بكفيا.

ومن هؤلاء أيضاً أبو كرم بن بشاره، وقد ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٧٦م وقال إنّ حسن باشا لما استقر على ولاية ايالة طرابلس ولّى أبا كرم بن بشاره على جبة بشري، وأرى أنّ أبا كرم هذا هو جد آل كرم. وقد خلف أبا جبرائيل يوسف الأهدني وأخاه الشدياق أبا ديب جرجس المار ذكره في الولاية على جبة بشري، ولكن أمِن عائلتهما كانا أم من عائلة أخرى لا أستطيع أن أحققه حتى الآن، ولكن مما لا ريب فيه أنّ العامة في اهدن تسمي آل كرم بيت أبي كرم إلى الآن.

ومن هؤلاء الكافلير يوحنا مارماكون الذي تقدّم ذكره، وكان موفد الشيخ حصن والشيخ ناصيف الخازن ومطران نيقوسية بقبرص إلى لويس الرابع عشر ملك فرنسة كما مرّ. ولكن من هو هذا يوحنا مارماكون؟ فالذي يتبادر إلى فهمي أنه الكافلير ناضر صفير الذي بنى هو وأخوه الخوري جرجس صفير دير القديس مارون بالرومية المعروف الآن بمدرسة الرومية نحو سنة ١٦٩٦م، إلّا أن يكون مارماكون من موارنة قبرص لأنه موفد مطران نيقوسية أيضاً. وقد أثبت دي لاروك في كتابه المذكور صفحة ٣٠٨ براءة تسميته كافلير أي فارساً من جمعية الفرسان المنسوبين إلى سيدة الكرمل، والقديس العازر حيث يقول فيليب دي كورسبليون ماركي دي

دانجو رئيس هذه الجمعية لرغبتنا في اجابة سؤال الكافلير يوحنا مارماكون الماروني الموفد من جلالة الملك من قبل الأمراء ناصيف وحصن ومطران نيقوسية بقبرص ورئيس الدين الكاثوليكي الرسولي الروماني بلبنان في مدة غياب البطريرك اسطفانوس أن نقبله ونحصيه في عداد فرسان سيدة الكرمل والقديس العازر بأورشليمَ. وبعد أن اتضح لنا أنه ثابت بالدين الكاثوليكي الرسولي الروماني وأنه حسن السيرة ، وإنّ الداعي لقدومه إلى فرنسة إنما هو ليبتهل إلى جلالة الملك في أن يبذل عنايته لدى السلطان العثماني لينوّل نصارى بلاده الراحة والأمن . ولما كان الملك سماه كافليراً في مرسومه إلى ناصيف أمير الموارنة ، وفي مرسومه إلى سفيره بالآستانة ، وكان يهمنا أمر جبل لبنان والأرض المقدّسة حيث أنشأت جمعية فرسان القديس العازر ، قد أحببنا سؤاله وقبلناه في جوقة هؤلاء الفرسان وأحصيناه في عديدهم ليكون له ما لهم من الشرف والحقوق والانعامات . وعليه أن يبرز يمين الأمانة المعتاد ، ويلزم أفراد هذه الجوقة في أي مقام كانوا أن يعرفوه كذلك . وبياناً لذلك قد وقّعنا على هذه الوثيقة بخط يدنا ومهرناه بمهر الجمعية . أعطي بباريس في ١٦ تموز سنة ١٦٩٧م .

الفصل الثاني

بطاركة الموارنة في القرن السابع عشر

عد ٥٩

البطريرك يوحنا مخلوف

فرغنا من كلامنا على هؤلاء البطاركة في القرن السادس عشر بذكر وفاة البطريرك يوسف الرزي في شهر آب سنة ١٦٠٨م . وبسبب القلق بالبلاد لم يتمكن الأساقفة من الاجتماع في اليوم التاسع بعد وفاته كالعادة لانتخاب خلف له ، فتأجل الانتخاب إلى أوائل شهر حزيران سنة ١٦٠٩م فاجتمع حينئذٍ الأساقفة

والأعيان واختاروا الأسقف يوحنا بن مخلوف من اهدن. وكان البطريرك يوسف الرزي قد رقاه إلى الأسقفية سنة ١٦٠٣م ليكون معاوناً له في تدبير أمور دير قنوبين. وبعد انتخابه بطريركاً سيّر إلى روما القس جرجس بن مارون والقس الياس ابن الحاج يوحنا من اهدن والشماس يوسف من كرم سدة ليأتوه بالتثبيت من البابا بولس الخامس. وعند مرورهم بقبرص أخذوا معهم القس كسبر الماروني تلميذ مدرسة روما، وكان مشهوراً بالعلم والبرارة فنالوا من لدن الحبر الأعظم الاعزاز والتكريم ودرع الرئاسة للبطريرك وعاد المذكورون إلى لبنان في ١٠ آذار سنة ١٦١٠م. وقال بياجيوس ترسي (في كتابه سورية المقدسة صفحة ٥٣) في حق هذا البطريرك: «قد تلألأت به أنوار الفضائل فتسامى بها حتى لُقّب بالقديس. وأنار الكنيسة الشرقية بعلمه وعزاها بغيرته. وكان له لدى الأحبار الأعظمين أعلى مرتبة فأتحفوه بهدايا نفيسة ونولوه نعماً مشرفة موازية لفضله واستيهاله». ففي سنة ١٦١٢م أرسل إليه البابا بولس الخامس في تاريخ ٢٢ تشرين الثاني رسالة يفوّض إليه بها أن يمنح البركة البابوية لجميع الموارنة رجالاً ونساءً، ومن حضر منح هذه البركة وكان معترفاً ومتناولاً يربح غفراناً كاملاً. وترى ترجمة هذه الرسالة مثبتة في ذيل المجمع اللبناني صفحة ٢٧.

ولما ارتقى البابا غريغوريوس الخامس عشر إلى كرسي الحبرية العظمى أرسل البطريرك يوحنا يهنئه بارتقائه ويطلب منه البركة له ولشعبه، وأن يتكرّم على الطائفة بطبع كتاب الشحيم كما كان سالفه قد أمر بذلك. فورد له الجواب في تاريخ ١ تموز سنة ١٦٢٢م صحبة قاصده الأب ليونردوس من رهبان القديس فرنسيس إنه صار الشروع في طبع الشحيم، وثبت له الغفارين الذين كان البابا بولس الخامس قد أنعم بها على من يزورون كنيسة قنوبين الكرسي البطريركي في عيد بشارة العذراء وعيد انتقالها، وعيد الرسولين بطرس وبولس ليربحوا غفراناً كاملاً إذا كانوا معترفين ومغتذين بالقربان الأقدس. ومنح زوار كنيسة قنوبين الغفارين التي يربحونها لو زاروا كنيسة زعيم الرسل بروما أو غيرها من الكنائس القائمة داخل أسوار رومة. وترجمة هذه الرسالة تراها مثبتة في ذيل المجمع اللباني صفحة ٢٣. وفي السّنة المذكورة كان قحط في البلاد فأمر البطريرك بنصب كرم درغاتا مفلح نحو عشرة فدادين وأشغل به عملة كثيرين، فكانوا يأكلون نهاراً على نفقة الكرسي ويأخذون مساءً الزاد لعيالهم.

وفي سنة ١٦٢٤ جعل دير حوقا مدرسة ابتدائية يتعلّم بها الشبان العلوم الاكليريكية ، ومن نبغ منهم أرسله إلى مدرسة الطائفة بروما . وأرسل الخوري يوحنا ابن قرياقوس الحصروني من بيت صندوق (هو الذي صار بعداً أسقفاً وكان مع الصهيوني بباريس) إلى البابا أوربانوس الثامن يهنئه بتسنمه الكرسي الرسولي ويخبره بجعله دير حوقا مدرسة لملّته في المشرق ، وأرسل حينئذٍ اثني عشر طالباً لمدرسة روما ، فسُرّ البابا بكتابة البطريرك وعيّن مبلغاً سنوياً لمدرسة حوقا ودوّن لها دستوراً للعمل به فيها . وفي السنة التابعة أي سنة ١٦٢٥م بعث إلى البطريرك تاجاً ثميناً وغفارات نفيسة وكتباً وحللاً ورسالة مشرفة افتتحها بقوله: «لم يذبل البتّة جمال الكرمل ولم يذوِ مجد لبنان» وقد استشهدنا بفقرات منها مرات في كتبنا بياناً لثبوت الموارنة كل حين على الايمان الكاثوليكي . وتراها مترجمة برمتها في الفصل ١٨ من رد التهم الملحق بتاريخ الدويهي صفحة ٤٥٤ .

وكان هذا البطريرك في أوائل بطريركته قد اضطر من قبل المظالم الجارية في جبة بشري ومضادة الشدياق خاطر الحصروني له أن يتوجه إلى ناحية الشوف ليكون تحت حماية الأمير فخر الدين المعني ، والتقليد المحفوظ في جبة بشري والذي رواه الدويهي أيضاً في تاريخ سنة ١٦٠٩م أنّ البطريرك بينما كان سائراً في أرض بريسات إحدى قرى الجبة طعن بالحرم الشدياق خاطر لأنه تسبب بخروجه من وطنه . ويقولون إنّ الحاضرين ارتجفوا من الحرم وسألوا البطريرك أن يرفعه عن المقدّم خاطر ، ولمعرفة البطريرك بسذاجتهم قال رفعته عنه وحولته إلى هذه الصخرة . فانشقّت الصخرة . وإلى الآن ترى صخرة فوق الحدث مشققة تسميها العامة الصخرة المحرومة ، ويروون عنها هذه الرواية . وعندما دخل البطريرك على الأمير فخر الدين أحسن استقباله وبالغ في اكرامه ، وكان ابنه الأمير علي قد اشترى قرية مجدل المعوش بالعرقوب الشمالي من سكانها المسلمين وأسكن فيها جماعة من النصارى ، فحل البطريرك في هذه القرية وبنى فيها داراً وكنيسة وهي المعروفة الآن بكنيسة السيدة بالقرية المذكورة . وقد زرتها مرات لأنها باقية إلى اليوم ، وبناؤها أشبه ببناء كنيسة القديسة مورا التي بناها هذا البطريرك أيضاً بكفر زينا في آخر حياته سنة ١٦٣٢م ، إلى أن سار الشدياق خاطر الحصروني وغيره من أعيان البلاد إليه إلى مجدل معوش وأرجعوه إلى كرسيه بقنوبين . وهذا البطريرك هو الذي رقى اسحق الشدراوي الآتي ذكره إلى أسقفية طرابلس سنة ١٦٢٩م . ولهذا الأسقف

قصيدتان بالسريانية. الأولى في مدح البابا أوربانوس الثامن. والثانية في مدح هذا البطريرك. وكلتاهما مثبتتان في كتاب سرياني بمكتبة مجمع نشر الايمان المقدّس. وفي أيام هذا البطريرك واجابة لالتماسه طُبع بروما كتاب فرضنا الكبير المعروف بالشحيم، بعد الفحص الدقيق والتروي به من علماء شهيرين منهم الكردينال بلرمنيوس كما سترى.

وفي ١٥ من كانون الأول سنة ١٦٣٣م كان انتقال هذا البطريرك من دار الشقاء إلى دار البقاء المؤبد لينال جزاء جهاده ومبراته، وكان ذلك في قرية كفرزينا موطني بزاوية طرابلس، وحُمل ليلاً إلى دير قنوبين فدُفن فيه. وقال الدويهي في حقه، كان ليّن العريكة منخفض الجانب، كريم الأخلاق محب السلامة، كثير الصدقات. اتخذ سيرة النسك بدير قزحيا، ولما تسامى بفضائله وشديد غيرته على خلاص النفوس رقاه البطريرك يوسف الرزي أسقفاً معاوناً له بدير قنوبين. وأنشأ لهذا الدير عقارات كثيرة في جبة بشري وزاوية طرابلس. ولما توفي البطريرك يوسف الرزي خلفه في بطريركية انطاكية على الموارنة. انتهى ملخصاً عن تاريخ الدويهي والمشرق المسيحي للكويان في سلسلة بطاركة الموارنة وغيرهما.

عد ٦٠

البطريرك جرجس عميره

ذكر الدويهي بعض ترجمته في الفصل الثامن عشر من رد التهم فقال: كان البطريرك المذكور من: «أنسبائنا، وذهب به خاله القس يعقوب الدويهي إلى روما سنة ١٥٨٤م لاقتباس العلوم في مدرسة الموارنة الحديثة النشأة حينئذٍ. وبعد أن أتقن العلوم العقلية والنقلية والإلهية، نشر باللاتينية كتاباً في نحو اللغة السريانية طُبع بروما سنة ١٦٩٦م وعلّق عليه فاتحة تشهد له بطول الباع وغزارة الاطلاع أبان فيها قدم اللغة السريانية وسموّها على غيرها وفائدتها، حتى قال إنها اللغة الأولى للناس وأم للغة العبرانية. ولكن انتقد فالتون في مقدمات البوليكلوتا (الكتاب المقدّس بعدة لغات) الانكليزية بعض أدلّة عميرة، ثم اختصر بطرس المطوشي القبرصي الماروني

كتاب عميرة هذا وكذلك صنع جبرائيل عواد الحصروني، فأشهرا كتابين في نحو اللغة السريانية موجزين عن كتب عميرة وكان كتاباهما محفوظين بمكتبة مدرسة الموارنة بروما ومكتبة نشر الايمان المقدّس.

وعاد عميرة إلى لبنان سنة ١٥٩٥م واشتهر في السنة التابعة بعلمه وفقاهته في المجمع الطائفي الذي عقده تلك السنة البطريرك سركيس الرزي بأمر البابا اكليمنضوس الثامن لتبرئة الموارنة من بعض الأغلاط المعزوة إليهم بسبب بعض عبارات في كتبهم كما مرّ. ولما توفي البطريرك سركيس الرزي بعيد هذا المجمع وخلفه ابن أخيه يوسف الرزي رقي عميره إلى الأسقفية على اهدن فتفانى بجهاده وتعليمه وظهر ما كان عليه من ذكاء العقل ورسوخ الورع واتقاد الغيرة على نشر الفضيلة والدين القويم.

ولما توفي البطريرك يوحنا مخلوف في سنة ١٦٣٣م أجمع الأساقفة على انتخاب المطران جرجس عميره أسقف اهدن بطريكاً في ٢٧ كانون الأول سنة ١٦٣٣م، فأرسل إلى روما الخوري ميخائيل بن سعادة بن أنطون بن شمعون بن فهد الحصروني ليستمد له التثبيت ودرع الرئاسة من البابا أوربانوس الثامن فثبته سنة ١٦٣٥م. وفي أيام هذا البطريرك أُنشئت مدرسة للموارنة بمدينة رافنّا بايطاليا من تركة الخوري نصر الله شلق العاقوري. وسيأتي ذكرها في ترجمة الخوري نصر الله المذكور. وفي أيامه أيضاً تشكى أهل بقسميا الذين كانوا من الملكية غير المتحدين على القس يوحنا بن بهينا الأجبعي رئيس دير القديس مارون بكفرحي إلى ابن سيفا، فقبض عليه وأهانه وسامه ما هو فوق طاقته فترك الدير فخرب إلى أن جدد بناءه البطريرك يوسف اسطفان كما سيجئ. وفي سنة ١٦٣٨م لما قدم السلطان مراد إلى حلب أنعم على الموارنة وبطريركهم ببراءة أثنى فيها على ولائهم للدولة العلية وشدّة تعلّقهم بالأريكة السلطانية.

وفي التاسع والعشرين من تموز سنة ١٦٤٤م أنشبت المنية أظفارها بالبطريرك جرجس عميرة بعد أن استمر على الكرسي البطريركي عشر سنين وسبعة أشهر. ودُفن بقنوبين في جانب كنيسة القديسة مارينا، وله كتاب هندسة الأبنية اقترحه عليه الأمير فخر الدين المعني.

قال دي لاروك في كتاب رحلته إلى سورية ولبنان في ترجمة فرنسيس كالوب

دي شاستول الفرنسي الذي نسك بلبنان وسيأتي ذكره. إنّ بعض الموارنة سألوا فرنسيس الناسك المذكور أن يصير بطريركاً عليهم بعد وفاة البطريرك جرجس عميرة فأبى كل الاباء وأشار عليهم أن ينتخبوا بطريركاً الياس مطران اهدن الذي كان مرشده الروحي، وأشار عليه أن يقبل البطريركية، فانتخبوه، وبعد ستة أشهر مات الناسك المذكور في ١٥ أيار سنة ١٦٤٤م كما يظهر من الكتابة المنقوشة على ضريحه. على أنّ هذه الرواية غير صحيحة ويخالفها كل ما ورد في تواريخ ملّتنا المجمعة على أنّ البطريرك يوسف العاقوري خلف البطريرك جرجس عميره دون متوسط بينهما. ولذلك قال لكويان بعد ايراده الرواية المذكورة فليتبصّر اللبيب كيف تتفق هذه الرواية مع ما رواه الدويهي أنّ جرجس عميره خلفه البطريرك يوسف العاقوري ابن المطران بطرس العاقوري المعروف بابن حليب في ١٥ آب من سنة ١٦٤٤م، ومع ما رواه السمعاني في المجلد الأول من المكتبة الشرقية صفحة ٥٥٢ حيث قال مات جرجس عميره في ٢٩ تموز سنة ١٦٤٤م وفي هذا اليوم نفسه توفي البابا أوربانوس الثامن. وقال في الصفحة التالية إنّ يوسف العاقوري خلف جرجس عميره في ١٥ آب سنة ١٦٤٤م فليرَ القارئ أي القولين أولى بالاتباع. انتهى كلام لكويان. فنحن نرى أنّ رواية دي لاروك هذه غير صحيحة ولا سيما أنه لا ريب في أنّ الناسك المذكور توفي في ١٥ أيار سنة ١٦٤٤م والبطريرك جرجس عميره توفي بعده في ٢٩ تموز سنة ١٦٤٤م. انتهى ملخصاً عن تاريخ الدويهي وعن المشرق المسيحي للكويان وعن المكتبة الشرقية للسمعاني.

عد ٦١

البطريرك يوسف العاقوري

هو ابن المطران بطرس بن حليب ابن الخوري سابا العاقوري. وكان المطران بطرس متزوجاً قبل ارتقائه إلى الدرجات المقدّسة ثم توفيت امرأته فرقاه البطريرك يوسف الرزي سنة ١٦٠١م في عشرين من تشرين الثاني إلى الأسقفية خلفاً لموسى أسقف العاقورة. وتوفي المطران بطرس سنة ١٦٠٦م في العبادية بالمتن ودُفن ببيروت كما مرّ. وكان له من الأولاد يوسف هذا الذي تزوج أيضاً قبل ارتقائه إلى الدرجات المقدّسة. ونعلم أنه كانت له بنت تزوجت بدمشق كما سيأتي. ثم

ارتقى يوسف إلى درجة الكهنوت، ثم رقاه البطريرك يوحنا مخلوف إلى أسقفية صيدا سنة ١٦٣٦م، فأقام في الأسقفية ثماني عشرة سنة دائباً على فلاحة كرم الرب متفانياً في الأعمال الخيرية والمبرات. وفي سنة ١٦٤٣م اشترى من آل حبيش أرضاً في حراش بنى فيها كنيسة وديراً للراهبات كما سيأتي.

ولما توفي البطريرك جرجس عميره في ٢٩ تموز سنة ١٦٤٤م اجتمع الأساقفة والأعيان في ١٥ آب من السنة المذكورة فانتخبوه بطريركاً. ويظهر أنه أرسل في هذه السنة المطران اسحق الشدراوي مطران طرابلس يستمد له درع الرئاسة من الحبر الروماني فأعاقه مرض أو غيره عن الوصول إلى روما، وهذا بيّن من الفاتحة التي علّقها القس عبد المسيح الحدثي الآتي ذكره على كتاب الشحيمة (الفرض) المطبوع بروما حيث يذكر وفاة البطريرك جرجس عميره سنة ١٦٤٤م وانتخاب المطران يوسف العاقوري بطريركاً في ١٥ آب عيد انتقال العذراء من السنة المذكورة. ويقول ما خلاصته: «إنّ البطريرك الجديد استشار أساقفته وأعيان طائفته في ارسال المطران اسحق الشدراوي عملاً بعادة طائفتنا إلى روما ليؤدي الطاعة نيابةً عنه للبابا اينوشنسيوس العاشر وما صار في ذلك نصيب (أما لأنّ المطران المذكور تعذر عن السفر حينئذٍ أو مرض في الطريق لأنه توجه بعداً إلى روما سنة ١٦٤٧م كما يظهر من هذه الفاتحة أيضاً). فلما جئت أنا الحقير (القس عبد المسيح بن الياس بن الطويل من قرية الحدث تلميذ مدرسة الموارنة بروما وخوري أقاربي بعين ابل) أقبل اقدام سيّدنا البطريرك أمرني أن أتوجه إلى روما نيابةً عنه وأطلب التثبيت له وأقضي بعض حاجات الطائفة، وطلبت منه رفيقاً فرفقني بالشدياق مرقس راهب من رهبان مار شليطا. فوصلنا إلى روما في ٢ من تموز سنة ١٦٤٥م فتقبلنا الحبر الروماني بالاعزاز وأنعم على البطريرك بدرع الرئاسة والتثبيت وأمر بطبع الشحيم مختصراً (وهو كتاب الفرض الاسبوعي المعروف بالشحيمة) وطبع غرامطيق سيّدنا البطريرك يوسف الذي أرسله معنا وأخذنا بطبع ذلك بعنايته، ولكن وجدنا في الشحيمة بعض أغلاط فأصلحناها نحن وحضرة سيّدنا المطران اسحق لأنه لحقنا عند آخر طبع صلوة الصبح يوم السبت. وأضفنا إلى ذلك ما يحتاجه الكاهن في ممارسة خدمته إلّا رتبة الصلاة على العرسان فلم نجد لها نسخة بروما. وتمّ ذلك في ٣٠ من شهر آذار سنة ١٦٤٧م». ونظن أنّ هذه الشحيمة هي المعروفة باليوسفية نسبةً إلى البطريرك يوسف هذا.

وأما الغرامطيق الذي ألّفه هذا البطريرك فقد كمل طبعه بروما بمطبعة مجمع نشر الايمان سنة ١٦٤٥م . ولهذا البطريرك أشعار كثيرة بلغة العامة أكثرها في الموارنة والملكية . وقد ذكررنا فقرة منها في تاريخ القرن السابع عند ذكر وقعة أميون بين الموارنة ومريق ومرقيان قائدي عسكر يوستنيانوس الأخرم . وبعد فراغه من أخبار هذه الوقعة ، أخذ يفنّد بعض أغلاط الملكية ويندد بهم لعدم اتباعهم الحساب الذي أصلحه البابا غريغوريوس الثالث عشر . وأول من اتبعه في المشرق البطريرك يوسف الرزي وطائفته المارونية سنة ١٦٠٦م كما مر .

وقد رقي هذا البطريرك في بداية رئاسته إلى الأسقفية المطران يوسف بن عميمة الكرمسدي والمطران ميخائيل بن سعادة الحصروني سفير سالفه إلى الحبر الروماني وجعلهما معاونين له في شؤون الكرسي البطريركي . وعزا إليه بياجيوس ترسي في كتابه الموسوم بسورية المقدّسة صفحة ٥٣ مقالة شعرية في رئاسة الحبر الروماني . وتوفي في ٢٣ من شهر تشرين الثاني (كذا في نسخة لكويان وفي النسخة التي بيدنا في ٣ منه) سنة ١٦٤٨م فلم يبقَ في البطريركية إلّا ثلاث سنين وثلاثة أشهر ، ودُفن بقرية العاقورة في كنيسة القديس بطرس المنقورة في الصخر . وقال الدويهي في حقه: كان شجاعاً ورعاً محباً للعلماء غيوراً في أمور الدين راغباً في انشاء الكنائس . وقاسى مشقات كبرى من جراء أعمال صهره زوج بنته المدعو قرقماز لأنه جحد الايمان في دمشق فناصبه الموارنة بدمشق فتحملوا بسببه خسائر جمّة ، واضطروا إلى المهاجرة والتشتت . انتهى ملخصاً عن تاريخ الدويهي والمشرق المسيحي للكويان ، والمجلد الأول من المكتبة الشرقية للسمعاني صفحة ٥٥٣ وعقد هذا البطريرك مجمعاً طائفياً بدير حراش سنلخص ما كان فيه في آخر هذا الملحق .

عد ٦٢

البطريركيان يوحنا الصفراوي وجرجس السبعلي

أما يوحنا الصفراوي فروى الدويهي أنه كان من بيت البواب من قرية الصفرا في فتوح كسروان . ولم نعلم حتى الآن أين تعلّم ولا متى صير كاهناً . ويظهر أنّ البطريرك جرجس عميره رقاه إلى الأسقفية سنة ١٦٣٦م. وفي اليوم التاسع بعد

ذفن البطريرك يوسف العاقوري اجتمع الأساقفة والأعيان بدير قنوبين سنة ١٦٤٨م في أواخر تشرين الثاني وأوائل كانون الأول واختاروه بطريركاً وأقاموه موضعه ، وأرسل إلى روما الخوري ميخائيل بن صابونه الحصروني فثبته البابا اينوشنسيوس العاشر سنة ١٦٤٩م . وفي أيام هذا البطريرك أصدر لويس الرابع عشر ملك فرنسة براءة جدّد فيها الحماية لبطريرك الموارنة وأساقفته واكليروسه وشعبه . وهذه ترجمة البراءة المذكورة عن الفرنسية .

« لويس بنعمة الله ملك فرنسة ونافرّا »

سلامٌ لكل مطلع على خطنا هذا ، فليكن معلوماً عند كل واقف على براءتنا هذه أننا بعد استشارة الملكة النائبة عنا في الملك السيدة والدتنا المحترمة قد أخذنا ووضعنا ونأخذ ونضع تحت حمايتنا الخاصة السيد الكلي الاحترام بطريرك الموارنة وجميع أساقفته واكليروسه وعامة شعبه الساكنين خاصةً بلبنان . ونوّد أن يشعروا بمفاعيل حمايتنا ومساعدتنا ولذلك نرغب إلى السيد دي لاهيونتلي أحد أعضاء مجلس الشورى في مملكتنا ، وسفيرنا إلى المشرق وإلى جميع من يخلفونه في مقامه أن يمدوهم بعنايتهم بهم اجمالاً وأفراداً ويبذلوا لهم الحماية لدى أعتاب صديقنا الأكمل السلطان الأعظم ، وفي أي محل آخر كان لدي الحاجة إلى الحماية كيلا تجري عليهم معاملة سيئة وغير مشروعة ، بل يتيسر لهم قضاء أعمالهم والتصرف بمقتضيات مراتبهم الروحية بتمام الحرية ، ونأمر قناصل الأمة الفرنسية ونواب قناصلها المنصوبين في فرض المشرق وغيرها من الأماكن المشرّع بها العلم الفرنسي الآن ، وفي ما يأتي من الزمان أن يساعدوا بكل وسعهم البطريرك المشار إليه وجميع الموارنة سكان جبل لبنان ، وأن يسيروا في المراكب الفرنسية أو غيرها كل ماروني أراد السفر إلى بلاد النصارى ، اما لدرس العلوم واما لغير ذلك ، ولا يكلفوهم إلَّا ما يمكنهم دفعه ، ويعاملوهم بالمحبة والرقة . ونسأل السادة العظام عمال الحضرة العلية السلطانية ومستخدميها أن يبذلوا رعايتهم ومساعدتهم لحضرة رئيس أساقفة طرابلس وجميع الاكليروس والشعب الماروني ، ونعدهم من قبلنا أننا نصنع هذا الصنيع إلى كل رجل من أمتهم يوصون عمالنا به .

أُعطي في سن جهان بمدينة لاي في ٢٨ نيسان سنة ١٦٤٩م وهي السادسة لملكنا » .

والبطريرك يوحنا هذا هو الذي رقى إلى درجة الكهنوت ثم الأسقفية على السريان اندراوس أخيجان بعد أن كان جحد اليعقوبية على يد البطريرك يوسف العاقوري . ودرس العلوم بمدرسة طائفتنا في روما كما مرّ في ترجمته وفي الثالث والعشرين من كانون الأول سنة ١٦٥٦م انتقل البطرَيرك يوحنا إلى راحة الأبرار الأبدية لينال ثواب جهاده ومبراته ، وكان انتقاله بدير قنوبين ، ودُفن هناك . وقد وصفه الدويهي بأنه كان طاهراً قنوعاً رضي الأخلاق بعيداً عن الكدر والمكر تربّى منذ حداثته بالتقوى والنسك وحاز على أعلى مراتب الورع والاتضاع ، وكان مدمناً على الصلوات وتلاوة المسبحة وغيرها من النوافل زيادةً على صلوات الفرض ، كثير الصوم والتقشف في مدة كهنوته ولا سيما في مدة أسقفيته التي كانت اثنتي عشرة سنة ، وفي مدة بطريركيته التي كانت ثماني سنين ونيف .

أما البطريرك جرجس السبعلي فقال فيه الدويهي في تاريخ سنة ١٦٥٧م إنه كان ابن الحاج رزق الله من سبعل بزاوية طرابلس (وهي الآن قرية حقيرة) وكان البطريرك الصفراوي قد رقاه إلى الأسقفية في ٢٥ من تموز سنة ١٦٥٦م ليكون معاوناً له في تدبير شؤون البطريركية . ولما توفي هذا البطريرك في ٢٣ من كانون الأول من السنة المذكورة اجتمع الأساقفة والأعيان في اليوم التاسع بعد وفاته أي في أول كانون الثاني سنة ١٦٥٧م فانتخبوه بطريركاً ، وأرسل الأب يوحنا الكرملي الذي كان قاطناً بدير القديس اليشاع في جانب بشري إلى روما وأصحبه بعرائض اداء الطاعة واستمداد التثبيت من الحبر االروماني البابا اسكندر السابع فاتفق أن مات الأب المذكور لدن بلوغه إلى روما فاضطر البطريرك أن يجدد الالتماس ، وتأخر تثبيته إلى سنة ١٦٥٩م . وقال في حقه دي لاروك في كتاب رحلته المذكور (صفحة ١٣١) إنه كان ضليعاً باللغات الشرقية ومبرزاً في معرفة الشرائع والقوانين البيعية ، وفي أيام هذا البطريرك قدم من فرنسة أربعة رجال قاصدين العزلة عن العالم للتجرد لخدمة الله في محابس جبل لبنان فاختار بعضهم السكنى بدير مار اسيا بكفر صارون ، وبعضهم بدير مار ابون بأرض الحدث ، وبعضهم بدير القديس انطونيوس في جوار قنوبين . فأمر البطريرك بمرمة الأديار المذكورة واصلاحها للسكن ، وأن يعطوا الزاد من دير الكرسي البطريركي . وفي ١٢ من شهر نيسان

سنة ١٦٧٠م كانت وفاة البطريرك جرجس بدير مار شليطا مقبس بكسروان ودُفن هناك وضريحه ظاهر إلى الآن. وقال الدويهي في حقه إنه كان شجاعاً كريم الأخلاق، صبوراً تحمّل كثيراً من جور الحكام في تلك الأيام ومن داء السلّ الذي بُلي به واستمر على الكرسي البطريركي ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر. انتهى ملخصاً عن تاريخ الدويهي والمشرق المسيحي للكويان.

عد ٦٣

العلّامة البطريرك اسطفانوس الدويهي

نعتمد في ترجمة هذا العلّامة على ما كتبه عن نفسه في رسالة أنفذها إلى القس بطرس مبارك أحد تلاميذ مدرسة الموارنة بروما، فهذا أرسل كتاباً للبطريرك يسأله به أن يلخص له ترجمته ليثبتها في مقدمة كتاب كان يريد طبعه، فأجابه البطريرك برسالته المذكورة التي وُجدت في خزانة أوراق الكرسي البطريركي. وإليك نص هذه الرسالة بحروفها:

« البركة والنعمة وحلول الروح القدس تكون حالة على ولدنا القس بطرس المكرم الخ. أشرت لنا حتى نكتب لك عن سيرتنا لتقتطف منه الذي يحسن برأيك وتجعله في مدخل الكتاب على جاري العادة بين الافرنج في طبع الكتب. يا ولدنا نحن نقرّ أنّا أخطأ الناس وأرذلهم بالنسبة إلى النعمة التي تفضل بها الله علينا، لكن لأجل خاطرك نذكر لك إننا من طائفة الدويهية المشهورة بين جماعتنا (الموارنة) في التقوى والعلم وسياسة الشعب، قد خرج منها في الجيلين الماضيين ثمانية مطارين وبطركين وكان مولدنا سنة ܐܚܠ (سنة ١٦٣٠م) في ٢ شهر آب نهار تذكار ما اسطفانوس، وسمينا على اسمه ومنذ الصبا سلمونا والدينا إلى القراءة السريانية. وفي سنة ܐܚܡܐ (١٦٤١م) أرسلنا المرحوم البطريرك جرجس بن عميره التي أمه كانت من الطائفة (الدويهية) إلى روما بصحبة القس سمعان (التولاوي) ويوسف فتيان (الحصروني). وفي مقامنا في المدرسة سعينا في اقامة المجمع (جمعية أو أخوية) باسم السيدة الطاهرة وكانت قبلنا انقطعت المجادلات (أي المباحث العامة الحافلة) فعملنا جهداً كليًّا عند معلمي المدارس وعند الجنرال

حتى جددنا العادة التي انقطعت ، وعملنا مجادلة الفلسفة على اسم الكردينال كابون ، وتمام علم اللاهوت على اسم المرحوم البطرك حنا الصفراوي . وسنة ١٦٥٥م كانت عودتنا إلى البلاد وكرم علينا مجمع انتشار الايمان أن نكون من جملة المرسلين وفي ترددنا في البلاد اعتنينا على علم الأولاد وعلى الوعظ وتهذيب الشعب بدرجة الكهنوت . وعندما طلبوا جماعتنا (الموارنة) الحلبية من المرحوم بطريرك جرجس (السبعلي) أن نكرز عليهم ثبتنا عندهم نكرز عليهم ونعلّم أولادهم ونتعاطى في أمورهم مدة ست سنين وعندما في سنة ١٦٦٨م توجهنا من عندهم إلى زيارة المواضع المقدّسة في العودة مسكنا البطريرك المرحوم وقدمنا إلى درجة المطرانية على أسقفية قبرص فزرناهم وتعبنا فيهم جهدنا . وفي السنة الثانية عندما انتقل البطريرك جرجس ابن الحاج رزق الله إلى رحمة خالقه ألزمونا رؤساء الكهنة ورؤساء الشعب في درجة البطركية . وفي كل هذه المدة احتملنا مشقات واضطهاد لا يوصف من جور العصاة . حتى أننا طفرنا إلى بلاد كسروان وإلى بلاد الشوف ، ولأجل هذه الديورة والكنائس والنصارى التزمنا نرجع لأجل حفظهم ، وإلّا كانوا شرّدوا ولله الحمد قائمين بحملتنا وفي عمار الكرسي والطائفة . وفي كل هذه المدة تعبنا تعباً بليغاً حتى جمعنا غالب رتبها كما هو (هنا كلمة غير مقروءة) .

١ ܟܬܒܐ ܕܫܪܛܘܢܝܐ (كتاب الشرطونية وأظن أنّ المراد جمعه هذا الكتاب وترتيبه) ٢ ܕܕܝܪܝܐ (قبل هذه الكلمة كلمة مخزوقة فكأنها نظام أو قانون الرهبان) ٣ ܪܘܫܡ ܥܕܬܐ ܘܡܐܢܝܗ (رسم البيعة وأثاثها) ܟܬܒܐ ܕܨܠܘܬܐ (أي كتاب الصلوات) وبعثناه إلى روما . ٥ كتاب النوافير (وهو غير كتاب منارة الأقداس الذي عدّد به النوافير بل كتاب برأسه عدد فيه النوافير وعني بترجمة مؤلفيها وذكر صورة كلام التقديس في كل منها ، وضمّ إليه نافور رسم الكأس . وهذا الكتاب كان في دير مار شليطا مقبس فنُقل حديثاً إلى مكتبة البطريركية) ٦ ܐܪ̈ܙܐ ܕܥܕܬܐ (أسرار البيعة) ٧ ܡܥܕܥܕܢܐ (أعياد) كل السنة (وهو كتاب جمع فيه رتب الموارنة على مدار السنة بالسريانية عدد صفحاته ٣٧٩ كرتبة تبريك الماء يوم عيد الغطاس ، ورتبة أحد الشعانين وغيرها . وهذا الكتاب الآن في مكتبة البطريركية منقولاً إليها من مكتبة مار شليطا) ٨ سجلات البابوية ومكاتيب البطاركة وأرباب الدولة وحجج وقوفات الدير ومن غير (وما عدا) الكتب البيعية

التي جمعناه . وذكرنا إننا عاملون متعبين على كتاب الجنازة وغيره ، ثم إننا شرحنا عن كتاب الشرطونية . وفي كتاب آخر عن تكريس البيعة وأوانيها . وفي كتاب آخر عن تفسير القداس والمنائر ، وأيضاً في قصص الآباء أصحاب النوافير المقبولة وأيضاً عن سلسلة بطاركة الملّة المارونية ، وأيضاً على أصل الملّة المارونية ودوام اتحادها مع الكنيسة الرومانية وهي التي عندك . وأيضاً في التواريخ من بدء الهجرة إلى وقتنا هذا بل الذي تعبنا عليه بزيادة من قدوم الفرنج إلى هذه البلاد . وأيضاً جمعنا رؤوس الأبيات السريانية وفككناها على موجب وزن الشعر ونعمل متعبين بسبب مدرسة الموارنة بروما ونفعها ونشر تلاميذها . ومن غير تعبنا مع طائفتنا ما تأخرنا أيضاً عن نفع الطوائف التي بجيرتنا لأنّ المرحوم القنصل بيكت ، كان بعث عشر مكاتيب للمرحوم البطريرك حنا من صفرا حتى يرسم القس اندراوس أخيخان فما تنازل معه حتى دخلت أنا بينهم وأزحت عن بال البطرك الصعوبات التي كانت تمانعه . وبعد أن ارتسم مطراناً صار أنه طفر (فرّ) إلى جبل لبنان لأجل خاطر القنصل وسيطه إلى الرجوع ، ورحت أنا بنفسي معه وكنت أساعده في المقدرة وفي كتابة الكرز الذي كنت أعطيه . وكذلك طفر لعندنا القس اسحق (السرياني) وأنا بطريرك مسكته عندنا سنتين ورتبته ورسمته أيضاً ، وعندما طفر بعده إلى عندنا بطرس بطريرك السريان (نظنه اغناطيوس بطرس الذي خلف أخيخان في البطريركية على السريان الذي توفي في السجن بأدنه بمكيدة بطريرك اليعاقبة) ثبت عندنا مدة من الزمان بكل اعزاز واكرام ، ثم بعد المذكورين التجا إلينا الخوري نعمة والقس سيمان السريان من جور بطريركهم الضال ، وكذلك مطران الأرمن على مرعش عندما التجا إلينا قبلناه بكل كرامة وأمرنا جماعتنا بحلب ليقبلوا جميع المرتدين من اليعاقبة والأرمن والنساطرة وغيرهم ويتلمذونهم ويقضون مصالحهم . حُرر في أول شهر أيار سنة ١٧٠١ ربانية » . وقد طبع المعلم رشيد الشرتوني من تآليف الدويهي شرح الشرطونية والتكريسات ، وشرح المنائر العشر وسلسلة بطاركة الموارنة مع اضافات. وأخذ من كتابه في أصل الموارنة ودوام اتحادهم بالكنيسة الرومانية . ومن التاريخ كتابه المعروف بتاريخ الطائفة المارونية وطبعه سنة ١٨٩٠م .

إنّ البطريرك سمعان عواد الطيب الذكر قد وضع ترجمة العلامة الدويهي آخذاً عنه وعن ثقاة من معاصريه . وهذه الترجمة أثبتها المعلم رشيد الشرتوني في فاتحة

تاريخ الموارنة للدويهي الذي طبعه ببيروت سنة ١٨٩٠م فنقتطف منها ما يلزم لتتمة الترجمة . وبيانها أنّ والد الدويهي يسمى مخايل واسم أمه مريم وهي من آل الدويهي أيضاً ، وأرسله إلى روما عمه المطران الياس الدويهي على يد البطريرك جرجس عميره . وقد قال عن نفسه أنه كان يقضي وقت التنزه وهو في المدرسة في القراءة والدرس ، وكثيراً ما كان يقوم عن فراشه ليلاً فيصلّي ويدرس على نور المصباح الساعتين والثلاث حتى أصيب ببصره ، فكان يطلب إلى رفقائه أن يقرأوا على مسمعه الدروس اليومية ، ثم شفي بشفاعة العذراء . وكان استاذه في اللاهوت الأب سبرسا اليسوعي . يقول مرات علّمت في بلاد كثيرة ولم أرَ مثل اسطفان علماً وعملاً . وشهد عارفوه أنهم لم يكونوا يجدون عليه خطيئة توجب الحلّ . وألّف بعد انجاز دروسه كتاباً ضخماً باللاتينية في الفردوس الأرضي . وبعد رجوعه إلى وطنه رُقّي إلى درجة الكهنوت وأنشأ مدرسة في اهدن وأخذ يعلّم الأولاد ويعظ الشعب إلى أن أرسله البطريرك جرجس السبعلي إلى حلب واعظاً ومرسلاً . واهتدى على يده كثير من الملكية والنساطرة واليعاقبة . وصنّف في تلك الأثناء مؤلفاً في الوعظ والارشاد في مجلدين . وقد جرى انتخابه بطريركاً سنة ١٦٧٠م بغير مشورة الشيخ أبي نوفل الخازن ، فاستاء فأتى البطريرك إلى داره بكسروان فأجلّ الشيخ قدره واستغفره عما فرط منه . وأرسل إلى روما القس يوسف شمعون الحصروني (الذي صار بعداً أسقفاً) في ١٠ تشرين الثاني سنة ١٦٧٠م فثبته البابا اكليمنضوس العاشر (في ٨ آب سنة ١٦٧٢م) .

وبعد بطريركيته أخذ يطوف جميع الأبرشيات ويختار كهنة من ذوي العلم والتقوى ويفحص الكتب البيعية ويصلح ما أوقعه النساخ أو أصحاب الأغراض من الخطأ فيها . وكان معتنياً برد العوائد القديمة ، ورتب الطقوس . وذكر له البطريرك سمعان عواد بعض الكتب التي ذكرها هو في ترجمة نفسه وما قرظه به العلماء من طائفته كمرهج بن نيرون الباني والمطران يوسف شمعون الحصروني والبطريرك يعقوب عواد . ومن غير طائفته نخص بالذكر منهم الكردينال نرلى في كتابه في مشاهير المدرسة المارونية بروما . ولما علم البطريرك كيرليس الحلبي بطريرك الروم الانطاكي أنّ الخبز والخمر لا يستحيلان إلى جسد المسيح ودمه بقوّة كلام التقديس وحده بل بدعوة الروح القدس أيضاً . فاعترضه ورد زعمه بنصوص الكتاب والمجامع والآباء . ولما اطلع بطريرك الروم على حججه أحب أن يجادله

وحضر لجداله ومعه أربعة مطارين، وكان الجدال بحضرة أمير الشوف في دير القمر. فأفحم الدويهي بطريرك الروم وأساقفته حتى أوجب عليهم الأمير والحاضرون أن يذعنوا لتعليم الدويهي. وكان هذا سبباً لاعتناقهم الدين الكاثوليكي، وقد قاومه بعض أساقفته لأنه تشدد عليهم بعمل واجباتهم فأرسل لهم رسالة يؤنبهم بها ويهددهم فخجلوا وتسارعوا إليه يستغفرونه عما فرط منهم. وهمّ أن يتنازل عن البطريركية فمنعه أبناء الطائفة. وكان شديد الغيرة على مدرسة الطائفة في روما وعلى نشاط تلامذتها وتقدمهم بالتقوى والعلم. وله رسالتان إليهم (مثبتتان في ترجمته المعلّقة على تاريخ الموارنة) يتبيّن منهما كم كان له من العناية بهم والهيام في نجاح هذه المدرسة. وقد أنبأنا صاحب ترجمته بآيات كثيرة صنعها الله على يده في حياته وبعد وفاته.

وقد أهانه قبل وفاته الشيخ عيسى حماده إذ جاء مع بعض أقاربه إلى قنوبين طالبين منه مبلغاً من المال، فكتب إلى الشيخ حصن الخازن عما جرى له فجهز رجالاً من كسروان مع أخيه الشيخ ضرغام (هو الذي صير بعداً بطريركاً) إلى قنوبين، ولما علم بذلك الشيخ عيسى أتى متواقعاً متذللاً أمام البطريرك ليغفر له ويعدل عن السفر إلى كسروان، وأراد المشايخ الخوازنة أن يبطشوا به فنهاهم البطريرك عن ذلك وسار معهم إلى كسروان فالتقاه الأهلون بالتجلّة والاحتفاء وأقام بدير مار شليطا مقبس نحواً من أربعة أشهر، ثم وردت له رسائل من والي طرابلس على يد الخواجه طربيه ترجمان قنصلية فرنسة أن يعود إلى كرسيه آمناً فعاد في ١٩ من نيسان سنة ١٧٠٤م يوم السبت وفي صباح الأحد أقام قداساً حافلاً ومنح غفراناً كاملاً لجميع الحاضرين. وفي غد الاثنين ودعه من كانوا قد رافقوه من كسروان فشيّعهم إلى باب الدير وأراد أن يرجع إلى غرفته فتعذر عليه أن يخطو فحمله شماسه إلى فراشه، وعلم أن قد دنا أجله وأنّ الله استجاب طلبته أن لا يميته خارجاً عن كرسيه، وأخذته حمى شديدة لم تمنعه عن التسبيح لله ومباركة شعبه وتناول الأسرار المقدّسة إلى أن توفاه الله ونقله إلى راحة الأبرار صحبة القديسين الملافنة باسيليوس واثناسيوس وفم الذهب نهار السبت في الساعة الثالثة من النهار في ٣ من أيار سنة ١٧٠٤م وعمره أربع وسبعون سنة.

وقد حفظ لنا دي لاروك في كتاب رحلته إلى سورية ولبنان رسالة أنفذها لويس الرابع عشر ملك فرنسة إلى هذا البطريرك هذه ترجمتها:

«أيها البطريرك اسطفانوس بطرس الانطاكي»

أيها السيد الأجلّ، قد رفع إليّ الخوري الياس كاتب سركم الرسالة التي كتبتموها إليّ في ٢٠ من آذار سنة ١٧٠٠م وعلمت منها متأسفاً المحن التي يقاسيها الكاثوليكيون أبناء ملّتكم المارونية في جبل لبنان وشدة الضنك الذي تقاسونه لوقاية شخصكم من الاهانات التي ينزلها البعض بكم. ولما كنت مستعداً أن أبذل دائماً كل ما بوسعي من العناية بتأييد الدين الكاثوليكي الرسولي الروماني في كل مكان ولا سيما في أرجاء بطريركيتكم حيث تعاظمت المحن، قد سلمت إلى كاتب سركم رسالة جددت بها الأمر الذي أصدرته قبلاً إلى سفيري بالقسطنطينية أن يصرف عنايته واهتمامه لينال من الباب العثماني كل ما يمكن من الأمور العائدة بالنفع للدين الكاثوليكي في بلاد الموارنة ليجعلكم تشعرون بمفاعيل حمايتنا واجلالنا لكم خاصةً. وأسأله تعالى أيها السيد الأجلّ أن يحفظكم بحراسته المقدّسة. كُتب في مارلي في ١٠ آب سنة ١٧٠١م التوقيع لويس. وفي أسفل الصحيفة كولبر».

الفصل الثالث

أساقفة الموارنة في القرن السابع عشر

عد ٦٤

الأساقفة الذين رقاهم البطريركان يوسف الرزي ويوحنا مخلوف

قال الدويهي إنّ البطريرك يوسف الرزي رقى ابن أخيه سركيس الرزي إلى أسقفية دمشق سنة ١٦٠٠م وكان حبيساً بدير قزحيا. وكان قد درس العلوم في

روما وأقام بعد تسقفه بالمحبسة المذكورة أيضاً. هذا ما جاء في نسخة تاريخ الدويهي التي بيدنا، وفي النسخة التي أخذ عنها رشيد الشرتوني في طبعه تاريخ الموارنة. لكن الدويهي نفسه قال في الفصل ١٨ من رد التهم أنّ البطريرك يوسف الرزي أرسل أخاه الأسقف سركيس سنة ١٦٠٧م سفيراً إلى البابا بولس الخامس ومعه القس الياس ابن الحاج يوحنا والقس جرجس بن مارون من اهدن، فلا يظن الأسقف سركيس هذا أخا البطريرك هو غير سركيس ابن أخيه بل هما واحد. وفي رواية الدويهي في تاريخه خطأ من النساخ لأنّ البابا بولس الخامس ذكره في رسالته إلى أساقفة الموارنة وشعبهم في ٢٨ من تشرين الثاني سنة ١٦٠٨م داعياً اياه أخا البطريرك الذي كان قد توفي، ويعزيهم لفقده. وأمر البابا حينئذٍ أن يبقى الأسقف سركيس في روما للعناية بطبع الكتب وحاجات الطائفة. واستمر بروما إلى سنة ١٦٣٨م التي توفي بها. والذي علمناه مما باشره بروما في هذه المدة هو طبع كتاب الشحيم بعد أن عهد البابا بولس الخامس بفحصه إلى الكردينال بطرس الدبردنديوس محامي الموارنة وقتئذ. والكردينال روبرتوس بلرمينوس الشهير والكردينال أوكتافيوس بنديوس والأب بطرس المطوشي الماروني اليسوعي. ولما توفي الكردينالان الأولان في أثناء هذا الفحص تعيّن بدلهما الكردينال روبرتوس أو بلدينوس والكردينال اسكندر أوسينوس. وبعد أن أجاز هؤلاء طبعه سنة ١٦٢١م شرع الأسقف سركيس بطبعه تحت مناظرته فنجز طبعه في أيام البابا أوربانوس سنة ١٦٢٥م كما هو بيّن من رسالة الكردينال أوكتافيوس بنديوس محامي الموارنة إلى البطريرك يوحنا مخلوف المعلقة على طبعة الشحيم المذكورة. ثم إنه صحح بمدة اقامته بروما نسخة الأسفار المقدّسة العربية معارضاً لها بنسخ كثيرة أخذت من المشرق، وترجمها إلى اللاتينية برفقة غيره من العلماء كما يتبيّن من المقدّمة التي علقها عليها. وطُبعت نسخته هذه سنة ١٦٧١م بعد وفاته مع النسخة اللاتينية العامية ومنها نسخ كثيرة في المشرق، بل كانت هي النسخة التي تتداولها أيدي العامة قبل طبع النسخة اليسوعية ببيروت. وذكر بعضهم أنّ المطران سركيس كان له يد أيضاً مع جبرائيل الصهيوني والخوري يوحنا الحصروني في تهذيب الترجمتين السريانية والعربية اللتين طُبعتا في البوليكوتا الباريسية، ولا يبعد ذلك عن الصحة لأنّ البوليكوتا شرع في طبعها سنة ١٦٢٨م وهو توفي سنة ١٦٣٨م.

وذكر لكويان في جملة الأساقفة الموارنة وقال: أثبت توريانوس أنّ رودريكوس

اليسوعي الذي بعثه البابا بيوس الرابع إلى الموارنة عارض القوانين العربية اتي ترجمها إلى اللاتينية مع سركيس هذا أسقف دمشق الماروني. وأسهب الكلام على علمه وفقاهته. وقال الدويهي في تاريخ سنة ١٦٣٨ «وفيها في شهر حزيران توفي بروما الحبيس سركيس بن الرزي مطران دمشق وله من العمر ست وستون سنة، وكان قد اقتبس العلوم بروما وعاش ناسكاً بمحبسة قزحيا مدة وعني في روما بطبع الشحيم ووقف متروكاته على مساعدة الطائفة وكان محبوباً من رؤساء الكنيسة الرومانية.

٢ - المطران بطرس العاقوري ذكره الدويهي وعرفه بأنه ابن الخوري سابا العاقوري من بيت حليب، وإنّ البطريرك يوسف الرزي رقاه إلى أسقفية العاقورة في ٢٠ من تشرين الثاني بعد وفاة موسى أسقفها. وكان المطران بطرس هذا متزوجاً قبل ارتقائه إلى الدرجات المقدّسة، ومن أولاده البطريرك يوسف العاقوري وتوفي بالعبادية (من المتن) ونُقلت جثته إلى بيروت ودُفن في كنيسة مار جرجس فيها. وكان شديد الغيرة كثير العبادة وصنّف مدائح كثيرة.

٣ - المطران يوحنا الحصروني ابن الشدياق حاتم الحوشبي رقاه البطريرك يوسف الرزي إلى الأسقفية سنة ١٦٠٣م وجعله معاوناً له في تدبير شؤون دير قنوبين. وكان قد درس العلوم بروما ودخل رهبانية القديس عبد الأحد وترجم جزءاً من كتب القديس توما الأكويني إلى العربية. ثم أرسله البطريرك المذكور سفيراً إلى الحبر الروماني، وعاد من روما إلى لبنان سنة ١٦٠٦م وأصحبه البابا بولس الخامس بجواب أثنى فيه على الموارنة، وأرسل للبطريرك حللاً كهنوتية وغيرها من الهدايا، وحينئذٍ أمر البطريرك باتباع الحساب الذي أدخله البابا غريغوريوس الثالث وعيد الموارنة في طرابلس وجبة بشري وجبيل والبترون عيد الرسل مع الافرنج قبل طوائف المشرق بعشرة أيام. ثم تطرّق استعمال هذا الحساب إلى دمشق وحلب وسائر المدن والقرى إلّا جزيرة قبرص، وتركوا التاريخ بسني اسكندر وأخذوا يؤرخون بسني الميلاد. ولما حضّ هذا الأسقف على اتباع هذا الحساب في حلب ناصبه رؤساء الطوائف الشرقية ودفعوا للحكومة مبلغاً من المال لاهلاكه، فاحتج بالمحكمة مثبتاً صحة هذا الحساب وأفحم معانديه وتوفي بروما سنة ١٦٣٢م ودُفن في دير القديس بطرس حيث صلب. وهو غير الأسقف يوحنا ابن قورياقوس الحصروني المعروف من بيت حندوق الآتي ذكره.

٤ – وممن رقّاهم البطريرك يوسف الرزي إلى الأسقفية الأسقف يوحنا مخلوف الذي صير بعداً بطريركاً، والأسقف جرجس بن عميره الذي صير بطريركاً أيضاً، ورقى أيضاً أساقفة آخرين في تاريخ القرن السادس عشر.

وأما الأساقفة الذين رقاهم البطريرك يوحنا مخلوف فنعرف منهم يوحنا الشدراوي وقد ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٠٩م قائلاً إنّ هذا البطريرك رقّى فيها إلى الأسقفية الخوري يوحنا الشدراوي. وقد ذكره المطران اسحق الشدراوي في مقدمة غرامطيقه، وقال إنه عم أبيه وإنه كتب إليه رسائل عديدة في هذا التأليف فأفادته، وكانت له بمنزلة مشكاة فأنارته. وفي سنة ١٦١٠م رقي الأسقف يوسف بن بشارة من بيت السوق وهو ابن أخي الأسقف اقليموس الأهدني المار ذكره. وفي سنة ١٦١٤م رقي جرجس بن مارون الأهدني إلى أسقفية الأفقسية بقبرص وهو الذي كان قد أرسله إلى روما يطلب التثبيت وأحضره له. وروى الدويهي أيضاً أنه في ٢٢ من تشرين الأول سنة ١٦١٩م توفي الأسقف يوسف بن يوحنا ابن القس تادروس السمراني وله في الرهبانية بدير قزحيا خمس وخمسون سنة. وذكر في تاريخ سنة ١٦٢٢م توفي الأسقف يونان بن جلوان السمراني (نسبةً إلى سمار جبيل) الذي استحبس بدير قزحيا، ونظن أنّ هذين هما الحبيس يونان وأخوه القس يوسف اللذان روى الدويهي في تاريخ سنة ١٥٧٦م أنّ المطران داود رئيس دير قزحيا رقاهما إلى الأسقفية خلافاً لقوانين الكنيسة.

فمنعهما البطريرك عن مباشرة حقوق الأسقفية فخضعا، فرضيَ عنهما وردهما إلى دير قزحيا فأكملا حياتهما مستنسكين.

الأسقف يوحنا بن قورياقوس الحصروني من بيت صندوق فهذا درس العلوم في مدرسة الموارنة بروما ورقي إلى درجة الكهنوت. وفي ١٦٢٥م أرسله البطريرك يوحنا مخلوف لتهنئة البابا أوربانوس الثامن بارتقائه إلى الحبرية العظمى فرحب البابا به وأرسل إلى البطريرك رسالة نفيسة يثني بها على الموارنة لثباتهم في الايمان الكاثوليكي، وأهدى إليه تاجاً ثميناً وكتباً وحللاً بيعية. ويوحنا هذا عاون القس جبرائيل الصهيوني الأهدني على ضبط الترجمتين السريانية والعربية المثبتتين في البوليكلوتا (الأسفار المقدّسة بعدة لغات) الباريسية التي عني بطبعها ميخائيل لي جاي. ويظهر أنه بقي في أوروبا لأنّ البوليكلوتا المذكورة شرع في طبعها سنة

١٦٢٨م. وقد ذكر كثيرون معاونته عليها ومنهم والتن في المقدمات على البوليكلوتا اللوندية، وبعد عودته إلى لبنان رقاه البطريرك يوحنا مخلوف إلى الأسقفية مكافأة لأتعابه. وأقام بدير مار جرجس بقرقاشا لكنه لم يستمر في الأسقفية إلّا أربعة أشهر وتوفي في أحد الشعانين.

الأسقف يوحنا من بيت قزوح رقاه البطريرك يوحنا في ٢٠ تشرين سنة ١٦٢٥م على دير القديس اليشاع ببشري وعلى دير الأحمر. ذكره الدويهي في تاريخ هذه السنة ونظنّه من بشري.

الأسقف سركيس السمراني ذكر الدويهي وفاته في تموز سنة ١٦٢٦م وقال إنه كان قد استحبس بدير قزحيا وكان ورعاً راغباً في العلوم ونسخ الكتب فرقى البطريرك يوحنا مخلوف مكانه ابن أخيه الأسقف بولس والأسقف يوسف العاقوري من بيت حليب على صيدا وهو الذي صير بعداً بطريركاً، والأسقف يوسف البلوزاوي على بيروت. وروى في تاريخ سنة ١٦٣٧م أنّ الأسقف بولس المذكور إذ كان ساكناً في دير قزحيا شكاه القس حنا ابن البري من غوسطا لاختلافهما على الماء إلى الأمير عساف بن يوسف باشا سيفا فدعا الأمير الأسقف إلى جبيل وأجرى عليه أنواعاً من العذاب حتى فقئت عينه ولم يتركه إلى أن دفع أربعة آلاف قرش.

الأسقف اسحق الشدراوي، ذكر السمعاني ترجمته في المجلد الأول من المكتبة الشرقية صفحة ٥٥٢ فقال ما ملخصه؛ دخل مدرسة الموارنة بروما سنة ١٦٠٣ فأقام فيها إلى سنة ١٦١٨م وبرع من خلال هذه المدة في اقتباس اللغات اللاتينية والسريانية والعربية والعلوم السامية، فرقاه جرجس عميرة مطران اهدن وقتئذٍ إلى الدرجات الصغار سنة ١٦١٩م. وفي السنة التالية رقاه إلى درجة الكهنوت وجعله رئيس كهنة ببيروت. وكان قد تزوج قبل ارتقائه إلى هذه الدرجة على عادة الشرقيين ثم ماتت امرأته. وفي ٢٥ آذار سنة ١٦٢٩م رقاه البطريرك يوحنا مخلوف إلى الأسقفية على طرابلس كما اخبر عن نفسه في فاتحة المقالة اللاهوتية المثبتة في كتاب بمكتبة نشر الايمان. وله كتاب سرياني في نحو اللغة السريانية (غرامطيق) طبعه بروما في مدرسة الموارنة سنة ١٦٣٦م، وقصيدتان على أحرف الهجاء الواحدة في مدح البابا اوربانوس الثامن، والثانية في مدح يوحنا مخلوف بطريرك الموارنة مثبتتان في كتاب بمكتبة مدرسة نشر الايمان. وله بالعربية مباحث لاهوتية بطريقة

السؤال والجواب على عمل الرب في ستة أيام الخلق وفي الفردوس الأرضي والخطيئة الأصلية والموت ويمبوس الآباء والفردوس وجهنم والمطهر وقيامة الموتى والدينونة الأخيرة، وهي في الكتاب المذكور في مكتبة مدرسة نشر الايمان. وله أيضاً ترجمة رسائل اليا بطريرك الكلدان إلى الحبر الروماني، وترجمة أعمال المجمع الذي عقده بآمد سنة ١٦١٧م من السريانية إلى اللاتينية كما مرّ. وقد أرسله وهو أسقف البطريرك يوسف العاقوري إلى البابا اينوشنسيوس العاشر ليستمد له منه التثبيت فتعذّر سفره، فأرسل البطريرك الخوري عبد المسيح ابن الطويل الحدثي عوضه ومرقس راهب دير مار شليطا مقبس، ثم لحقهما المطران اسحق وكانا يطبعان الشحيمة فأصلح معهما ما كان باقياً من طبعهما كما شرح الخوري عبد المسيح المذكور في المقدمة على الشحيمة المذكورة. وروى دي لاروك أنّ الكردينال فريدريك بوروماوس استدعاه إلى مديولان لينظّم مكتبته الشهيرة في هذه المدينة. وتوفي المطران اسحق سنة ١٦٦٣م في مدينة جبيل ودُفن في كنيسة مار يعقوب التي في سهل جبيل. ومن التقليد أنّ المطران المذكور هو جد آل طربيه من طرابلس وجبة بشري. وكان أحدهم ترجماناً لقنصل فرنسة منذ أيام البطريرك الدويهي. وكان منهم بعده تراجمة كثيرون حتى أيامنا هذه. وذكر الدويهي في تاريخ سنة ١٦٣٨م وفاة المطران عبدالله الهدناني بدير قنوبين بعد أن كان له في الرئاسة ست وثلاثون سنة، وكان حازماً واشترى عقاراً كثيراً لدير قنوبين ولم يكن ذكر ترقيته إلى الأسقفية.

عد ٦٥

أساقفة الموارنة إلى أيام الدويهي

في سنة ١٦٣٨م رقى البطريرك جرجس عميرة المطران الياس بن يوحنا من عائلة الصراصرة من اهدن ذكره الدويهي في تاريخ السنة المذكورة، وقال في تاريخ سنة ١٦٥١م إنّه فتح سوق القلعة الشرقي بقرية زغرتا، وأضافه إلى الكنيسة وبيّضه وكرّسه لكثرة المترددين إلى الكنيسة. وروى في تاريخ سنة ١٦٥٩م أنه توفي في هذه السنة وأنه كان ورعاً غيوراً وتربى بدير قزحيا، وسكن في القدس نحو عشرين سنة، واشترى فيها دار الازي بأمر البطريرك، ودخل إلى روما صحبة الأسقف جرجس بن مارون وخدم رئاسة الكهنوت عشرين سنة بمزيد التقوى.

الأسقف يوسف بن عميمة الكرمسدي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٤٤م فقال إنّ البطريرك يوسف العاقوري بعد ارتقائه إلى سدة البطريركية في هذه السنة رقى يوسف الكرمسدي إلى أسقفية دمشق، وكان معاوناً للبطريرك. وذكر في تاريخ سنة ١٦٥٣م أنّ هذا الأسقف توفي فيها لرحمة الله.

الأسقف ميخائيل بن سعادة الحصروني ذكر الدويهي في تاريخ سنة ١٦٤٤م أنّ البطريرك يوسف العاقوري رقاه إلى أسقفية طرابلس مع الأسقف يوسف الكرمسدي، وكانت ترقيتهما في دير حراش ليكونا معاونين له. وذكر الدويهي وفاته في تاريخ سنة ١٦٦٩م حيث قال في ١٣ من شباط كانت وفاة الأسقف ميخائيل بن سعادة الحصروني في مدينة طرابلس، وبموجب وصيّته دُفن في مغارة القديسة مارينا بقنوبين. وكان قد اقتبس العلوم في مدرسة الموارنة بروما وخدم الأسقفية ست وعشرين سنة بكل طهارة.

الأسقف جرجس البشعلاني ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٤٨م فقال في ٢٤ من شباط من السنة المذكورة رقى البطريرك يوسف العاقوري القس جرجس بن حبقوق البشعلاني إلى الأسقفية على العاقورة وأخذ السكنى بدير قنوبين.

الأسقف يوسف البلوزاوي ذكر الدويهي وفاته في تاريخ سنة ١٦٥٠م قائلاً فيها توفي الأسقف يوسف بن ناتان البلوزاوي ولم يكن قد ذكر سنة ترقيته ولا من رقاه.

الأسقف يعقوب الرامي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٥٣م فقال فيها توفي الأسقف يوسف الكرمسدي (المار ذكره)، وفي يوم عيد انتقال العذراء رقّى البطريرك يوحنا الصفراوي عوضه الأسقف يعقوب الرامي على دمشق.

الأسقف يوسف الحصاراتي ذكر الدويهي ترقية البطريرك يوحنا الصفراوي له إلى الأسقفية في يوم عيد انتقال العذراء سنة ١٦٥٣م مع الأسقف يعقوب الرامي الآنف الذكر على جبيل. وكان رئيساً لدير حوقا، واستمر نائباً على البطريرك المذكور في رئاسة هذا الدير. قال لكويان في أساقفة الموارنة، وقال دي لاروك في كتاب رحلته صفحة ٢٨٤ إنّ البطريرك اسطفانوس الدويهي كتب منشوراً في ٥ تشرين الأول سنة ١٦٩٩م (وهو المنشور الذي ذكرناه توصية بيوسف أخي الأمير بولس) ووقّع عليه يوسف الحصاراتي مطران جبيل بدير حوقا، وربما كان يوسف

هذا غير يوسف الذي نكتب ترجمته لأنّ للدويهي رسالة أخرى في ١٢ حزيران سنة ١٦٧٣م، وفيها توقيع يوسف الحصاراتي. فالفرق الذي هو ست وعشرون سنة يجعلنا نظنّ أنّ يوسف الذي وقّع على الرسالة سنة ١٦٩٩م هو غير يوسف الذي وقّع على الرسالة سنة ١٦٧٣م.

الأسقف جرجس من بيت شوك من قرية عرجس، ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٥٥م وقال البطريرك يوحنا الصفراوي رقاه إلى الأسقفية وجعله معاوناً له في تدبير مهام الكرسي البطريركي.

الأسقف ابراهيم السمراني ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٥٥م أيضاً وقال إنّ البطريرك أقامه بدير قزحيا، ثم ذكر وفاته وهو في هذا الدير في تاريخ سنة ١٦٧٧م وترقية ابنه القس يوحنا أسقفاً على البترون، وسلّم إليه تدبير دير قزحيا، وسوف نذكره في محلّه.

الأسقف جرجس ابن الحاج من سبعل وهو الذي انتخب من بعد بطريركاً. ذكر الدويهي ارتقاءه على الأسقفية في تاريخ سنة ١٦٥٦م وجعله معاوناً للبطريرك في قنوبين.

الأسقف سركيس الجمري من اهدن، ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٥٨م فقال فيها رجع القس سركيس الجمري من فرنسة إلى بلاده وكان له في الكهنوت ثلاث وعشرون سنة، فطلب الشيخ أبو نوفل الخازن ترقيته إلى أسقفية دمشق، ثم ذكر وفاته في تاريخ سنة ١٦٦٨م وقال فيها كانت وفاة الأسقف سركيس بن الجمري بمدينة مرسيليا في أواخر أيار.

الأسقف جبرائيل البلوزاوي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٦٣م قائلاً فيها كانت ترقية المطران جبرائيل بن يوحنا من بلوزا على مدينة حلب خلفاً للأسقف يوسف البلوزاوي. وقد ذكرنا ارتقاءه إلى الأسقفية سنة ١٦٥٠م. وذكر الدويهي في تاريخ سنة ١٦٧٣م أنّ المطران جبرائيل هذا أنشأ ديراً جديداً بأرض طاميش في قاطع بيت شباب على اسم العذراء وهو دير طاميش المشهور.

المطران اسطفانوس الدويهي هو العلامة الدويهي ذكر ترقيه إلى الأسقفية في تاريخ سنة ١٦٦٨م فقال توجهنا لزيارة القدس الشريف، وبعد أن تباركنا بتلك المواضع المقدسة ومعنا والدتنا وأخونا الحاج موسى رجعنا بالسلامة لتقبيل أيدي

السيد البطريرك جرجس (السبعلي) بدير قنوبين، فرفعنا إلى درجة المطرانية على الأفقسية بقبرص في ٨ تموز وأمرنا أن نخرج لزيارة الرعية في ايالة طرابلس وجزيرة قبرص، ولئلا نكون بطالين أشغلنا أنفسنا في سياسة الشعب وفي جمع هذه الأخبار لافادة نفوسنا ولنطلع على معرفة أحوال بلاد نحن فيها ساكنون.

الأسقف يوحنا التولاوي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٦٩م فقال في ٢٣ شباط كانت وفاة الأسقف ميخائيل بن سعاده الحصروني (الذي مرّ ذكره) ورقي الأسقف يوحنا التولاوي على صيدا، وذكر وفاته في تاريخ سنة ١٦٨٠م قائلاً فيها في ٢١ من نيسان توفي الأسقف يوحنا التولاوي ودُفن في قرية بعبدات.

عد ٦٦

أساقفة الموارنة الذين رقاهم البطريرك الدويهي

الأسقف لوقا القبرصي القرباصي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٧١م قائلاً إنه رقاه إلى الأسقفية على الافقسية بقبرص، وأخذ السكنى في الجزيرة. وذكر في سجله المحفوظ بخزينة أوراق الكرسي البطريركية أنه رقاه في ١ كانون الأول سنة ١٦٧٢م.

الأسقف بطرس بن مخلوف من غوسطا ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٧٤م فقال إنه رقاه في ٥ من تموز من السنة المذكورة على كرسي الأفقسية بقبرص (يظهر أنّ الأسقف لوقا المار ذكره توفي حينئذٍ) بحضرة سفير فرنسة الذي توجه تلك السنة إلى القدس ثم سار إلى لبنان وزار البطريرك فرقى الأسقف المذكور بحضرته وذكره في سجله المذكور أيضاً.

الأسقف يوسف الحصروني ذكره في تاريخ سنة ١٦٧٥م قائلاً وفيها قدمنا كاتبنا القس يوسف الحصروني إلى رئاسة الكهنوت على طرابلس، وكان ذلك في دير مار شليطا مقبس، وكتب في سجله أنه رقاه في ١٤ تموز من السنة المذكورة وعرفه بأنه الخوري يوسف شمعون الايبودياكن الحصروني وتوفي في ١١ كانون سنة ١٦٩٥م، وقد حضر إلى المتين سنة ١٦٨٥م، ورقّى في ٢٦ تشرين اول إلى درجتي المرتل والقاري الياس بن أبي عون وجرجس بن أبي سليمان ويوسف بن

أبي رزق وهاشم بن أبي هاشم وموسى بن أبي ناكوزة كما دوّن بخطه على كتاب الشحيم في كنيسة مار جرجس بقرية المتين المذكورة.

الأسقف يوحنا بن جلوان ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٧٧م قائلاً فيها في ١٨ أيار انتقل إلى رحمة ربه الأسقف ابراهيم بدير قزحيا وقد مرّ ذكره. وفي نهار تاسعه رقينا ولده القس يوحنا أسقفاً على البترون وتسلّم تدبير الدير المذكور وتوفي سنة ١٦٩١م.

الأسقف بطرس الاهدني ذكره الدويهي أيضاً في تاريخ سنة ١٦٨٠ قائلاً في ٢١ نيسان توفي الأسقف يوحنا التولاوي ودُفن ببعبدات كما مرّ. ورقينا مكانه على صيدا القس بطرس ابن القس ابراهيم الاهدني كاتبنا وقلدناه مصالح الكرسي. وذكر في تاريخ سنة ١٦٨٣م أنّه توفي في ٢٦ من أيار منها، وهو زائر في الشمال فنُقلت جثته من البهلولية إلى ضهر صفرا وله من العمر اثنتان وخمسون سنة.

الأسقف يوسف بن مبارك ذكره الدويهي أيضاً في تاريخ سنة ١٦٨٣م وقال إنّه كان من رهبان دير مار سركيس ريفون، ولما توفي الأسقف بطرس الاهدني رقاه بدله على صيدا في ٦ حزيران من السنة المذكورة. وهذا الأسقف توفي في ٨ ايلول سنة ١٧١٣ في ريفون بعد أن دبر البطريركية ثلاث سنين عند توقيف البطريرك يعقوب عواد كما سوف يجئ.

الأسقف جرجس الاهدني لم يذكره الدويهي في نسخة تاريخه التي بيدنا، وجاء ذكره في سجله ويظهر منه أنه رقاه في ٢٧ آب سنة ١٦٩٠م على اهدن وإنه ابن سركيس عبيد الاهدني ويسمى بنيامين والكاروز وإنه دخل الرهبنة اليسوعية وتوفي بروما. وسيأتي ذكره.

الأسقف يوسف الشامي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٩١م وقال إنه رقاه في ٢٧ كانون الثاني إلى أسقفية بيروت وتوفي سنة ١٧١٣م.

الأسقف يوحنا حبقوق من بشعلي ذكره الدويهي أيضاً في تاريخ سنة ١٦٩١م قائلاً: وفيها كانت وفاة المطران يوحنا بن جلوان السمراني رئيس دير قزحيا ورقينا عوضه الخوري حنا بن حبقوق من قرية بشعله في ٨ من أيلول على دير قزحيا، وهذا الأسقف سلم الدير المذكور إلى الرهبان اللبنانيين سنة ١٧٠٨م وتوفي سنة ١٧١٨م.

الأسقف ميخائيل الغزيري ذكر الدويهي وفاته في ٦ من تشرين الثاني سنة ١٦٩٧م، وقال أنه كان مطران دمشق، ودُفن بدير طاميش. ولم يذكر ترقيته إلى الأسقفية في تاريخه ولا في سجله فكأنه رقاه أحد أسلافه.

الأسقف جبرائيل الدويهي رقاه الدويهي على صرفند في ٢٨ كانون الثاني سنة ١٦٩٣م وترى اسمه في جملة أسماء الاساقفة الذين كانوا في المجمع اللبناني، ولم يشهده بنفسه ولكن ناب عنه القس بطرس عطايا وتوفي سنة ١٧٣٩م.

الأسقف يوحنا محاسب الغوسطاوي رقاه الدويهي على عرقا ودير مار شليطا في ٧ ايلول سنة ١٦٩٨ وتوفي بالدير المذكور سنة ١٧١٢م.

الأسقف يعقوب عواد الحصروني رقاه الدويهي على طرابلس في ٦ تموز سنة ١٦٩٨م وهو الذي صير بطريركاً بعده وسيأتي ذكره.

الأسقف خير الله اسطفان الغسطاوي رقاه الدويهي في ١٢ تشرين الثاني سنة ١٧٠٣م أسقفاً على العاقورة ودُعي جرجس، وتوفي في عين ورقة سنة ١٧٣٣م وهؤلاء الأساقفة الأربعة لا ذكر لهم في نسخة تاريخ الدويهي التي بيدنا فأسماؤهم مأخوذة عن سجله. انتهى.

الفصل الرابع

المشاهير من علماء الموارنة وفضلائهم في القرن السابع عشر

عد ٦٧

بطرس المطوشي القبرصي ونصرالله شلق العاقوري

أما بطرس المطوشي نسبةً إلى قرية مطوش في قبرص فهو أحد تلاميذ مدرسة الموارنة بروما، أرسله إليها البطريرك سركيس الرزي سنة ١٥٨٤م مع تسعة تلاميذ

آخرين منهم جرجس عميرة الذي صار بعداً بطريركاً، وسركيس الرزي أخي البطريرك الذي صار أسقفاً على دمشق، وموسى العنيسي من العاقورة الذي صار مطراناً على قبرص. وبعد أن أنجز بطرس المذكور بمدرسة روما علومه انضوى إلى جمعية الآباء اليسوعيين فكان من فضلائهم وعلمائهم، وقد أرسله البابا بولس الخامس إلى ايليا بطريرك الكلدان مع سفيره آدم رئيس شمامسة كرسيه، وصحبته الأب مارينوس اليسوعي أيضاً ليقبل الكلدان بحضورهم رجوعهم إلى الايمان الكاثوليكي، وقد انفذ البابا المذكور معهما رسالة إلى بطريركنا يوحنا مخلوف مؤرخة في ٢٥ آب سنة ١٦١٤م بها يرغب إليه أن يرشد بطرس المطوشي ويوحنا مارينوس إلى ما يتصرفان به مع بطريرك الكلدان في أمر رجوعهم فذهبا إلى آمد، وجمع البطريرك أساقفته بحضرتهما وجحدوا ضلال نسطور كما تقدّم في الكلام على هذا البطريرك. وفي جواب البطريرك إلى الحبر الروماني بولس الخامس أطيب الثناء على الموارنة الذين تعبوا معه في هذه المهمة وترجموا رسائله وأعمال مجمعهم من السريانية إلى اللاتينية.

وقد ذكر دي لاروك بطرس المطوشي وقال في حقه إنه من جمعية اليسوعيين ولاهوتي مبرز وله غرامطيق سرياني لاتيني ومقالة في اللاهوت الأدبي هي في مكتبة مدرسة الموارنة بروما. وكان الأب المطوشي في جملة من عيّنهم الكرسي الرسولي لفحص كتاب الفرض الكبير (الشحيم) مع الكردينال بلرمينوس وغيره من العلماء لطبع هذا الكتاب كما مرّ.

وأما نصر الله بن شلق فأصله من العاقورة وقد درس العلوم بمدرسة الموارنة بروما فنبغ فيها ورقي إلى درجة الكهنوت، وأقام بأوروبا إلى حين، وله مؤلف في الكنيسة وترجمة سفر أيوب من السريانية إلى اللاتينية ومقالات أخرى. وقد أحرز ثروة وافرة فأوصى عند وفاته أن تُنشأ بها مدرسة لأبناء طائفتنا في مدينة رافانا من أعمال ايطاليا. وأقام القس جبرائيل بن عواد الحصروني منفذاً لوصيته فأنشأ المدرسة كما عهد إليه على أنها لم تلبث طويلاً. فكان تأسيسها سنة ١٦٣٩م ثم أقفلت سنة ١٦٦٤م ونُقل تلاميذها إلى مدرسة الموارنة بروما. وكانت وفاة الخوري نصر الله سنة ١٦٣٥م.

عد ٦٨

القس جبرائيل الصهيوني الاهدني

وُلد باهدن نحو سنة ١٥٧٧م من بيت الصهيوني أحد فروع أسرة كرم الشهيرة ، وتلقّى العلوم بمدرسة الموارنة بروما ، ونبغ وحاز قصبات السبق ونال مرتبة الملفان في اللاهوت ، ورقي إلى درجة القسوس في روما ، وأُقيم أستاذاً للغتين. العربية والسريانية في مدرسة السابانيسا (الحكمة) الشهيرة بروما ، وحاز من الشهرة ما جعل لويس الثالث عشر ملك فرنسة يدعوه سنة ١٦١٤م ليكون معلماً في المدرسة الملكية بباريس ، ثم شرفه بلقب ترجمان ملكي . ولمّا همّ الأب ميخائيل لي جاي أن ينشر البوليكلوتا (الأسفار المقدّسة بعدة لغات) الباريسية وكل إليه تعريب النسخة العربية وضبطها وتنقيح النسخة السريانية ومعارضتها بنسخ عديدة ، ثم ترجمة العربية والسريانية إلى اللاتينية ، وعهد معه هذه المهمة إلى ابراهيم الحاقلي الماروني الشهير والخوري يوحنا الحصروني الذي صير فيما بعد أسقفاً ، وقد قدمنا ذكره وأنبأنا فالريانوس دي فلا فيني معلم العبرانية في مدرسة باريس في رسائل نشرها لانتقاد طبعة لي جاي أنّ العلامة الصهيوني كان قد أعدّ مقالة مسهبة في الترجمة العربية ، ولا نعلم ما الذي منعه عن اشهارها ، وقد فرغ لي جاي من طبعته هذه سنة ١٦٤٥م .

على أنّ والتن العلامة الانكليزي الذي عني بطبع البوليكلوتا في لوندرة سنة ١٦٥٧م قد انتفع كثيراً بأتعاب الصهيوني ورفاقه الموارنة المذكورين . وهذا ما قاله والتن في مقدماته على طبعته المذكورة في حق الصهيوني « إنّ هذا الرجل العظيم بذل تعباً شاقاً وكثير الفائدة لكل من يرغبون في أن يتضلعوا باللغات الشرقية والأسفار المقدّسة . ومن لم يقرّ له بالفضل كان غامطاً الاحسان ، فنحن نعترف بفضله ونرى أنه يلزم الجميع أن يؤدوه شكراً لا ينقضي » . وله أيضاً ترجمة كتاب الزبور من العربية إلى اللاتينية طبعه بروما سنة ١٦١٤م . وكتاب في نحو اللغة العربية طُبع بباريس سنة ١٦١٦م . وترجمة جغرافية أبي عبد الله محمد الادريسي من العربية إلى اللاتينية طُبعت بباريس سنة ١٦١٩م ومقالة في بعض مدن الشرق ودين أهلها وعاداتهم وخصالهم عاونه على بعض هذه التآليف الخوري يوحنا الحصروني المار ذكره ، وطبعه بباريس سنة ١٦٢٥م بالعربية واللاتينة . وفي المكتبة

الماديشية نسخة من هذا الكتاب مخطوطة بيد الصهيوني نفسه سنة ١٦١٢م كما يظهر من الحاشية المعلّقة على آخرها، قد ذكرها المطران اسطفانوس عواد السمعاني في فهرست الكتب الشرقية في هذه المكتبة. وروى أكثر ما رويناه من ترجمة الصهيوني هنا وقال إنه توفي بباريس سنة ١٦٤٨م وكذا ذكر وفاته دي لاروك في كتاب رحلته إلى سورية ولبنان. انتهى.

عد ٦٩

العلّامة ابراهيم الحاقلي

وُلد هذا العلامة ونشأ بقرية حاقل من عمل جبيل بلبنان وتلقّى العلوم بمدرسة الموارنة بروما فنبغ وفاق أقرانه وعلّم العربية والسريانية أولاً بروما، وقد عهد إليه الأب لي جاي في طبع البوليكلوتا الباريسية بما عهد به إلى الصهيوني والحصروني المار ذكرهما. ومن مؤلفاته ترجمة كتاب ابن الراهب المصري القبطي في التاريخ الشرقي والحاقه بترجمته مقالات مسهبة في تاريخ العرب وأنسابهم، وقد طبعه بباريس سنة ١٦٥١ ومنها ترجمته قصيدة عبد يشوع الصوباوي المشهورة في المؤلفين البيعيين إلى اللاتينية وشرحه لها وحواشيه عليها، طبعت بروما سنة ١٦٥٣م وقد شرحها العلامة السمعاني بعده في المجلد الثالث من المكتبة الشرقية، واستدرك على الحاقلي قوله في محال كثيرة. وقد شرح السمعاني أيضاً كتاب ابن الراهب المذكور وانتقد على الحاقلي في عدة مواضع. وللحاقلي أيضاً كتاب في نحو اللغة السريانية طُبع بروما سنة ١٦٢٨م وترجمة الكتاب الخامس والسادس والسابع من تأليف ابولونيوس في الهندسة من العربية إلى اللاتينية اقترح عليه هذه الترجمة فردينوس الثاني دوق توسكانا. وله أيضاً مختصر في الفلسفة الشرقية طُبع بباريس سنة ١٦٤١م وترجمة قوانين القديس انطونيوس الكبير ومواعظه وأجوبته من العربية إلى اللاتينية وطبع هذه الترجمة بباريس سنة ١٦٤٦م. وله ترجمة ديوان الحيوان للسيوطي إلى اللاتينية.

وللحاقلي أيضاً كتاب الانتصار لافتيشيوس أي سعيد بن بطريق، ذلك أنّ السلداني ترجم كتاب سعيد هذا إلى اللاتينية، وادّعى في مقدمات ترجمته أنه

أثبت في كلامه على المراتب البيعية أنّ درجة القسوس والأساقفة واحدة ، وهذا من مزاعم لوتار وكلوين والسلداني من مشايعيهما ، فردّ الحاقلي زعم السلداني منتصراً لسعيد البطريرك الاسكندري بكتاب انطوى على مئتين واثنتين وأربعين صفحة مفنداً أدلّة السلداني ومبيّناً بشهادة الكتاب والتقليد الثابت في الكنيسة منذ نشأتها أنّ درجة الأساقفة غير درجة القسوس ، وهي تفوقها مقاماً وسلطة بموجب الوضع الالٰهي ، وإنّ كلام سعيد لا يؤخذ منه ما توهّمه السلداني . وألحق بهذا الكتاب جزءاً آخر اشتمل على نحو من خمس مئة صفحة تكلّم فيه على أصل كلمة بابا ورياسته مضاداً فيه السلداني المذكور . وممّا قاله في اسم البابا نقلاً عن مؤلفين نصارى ومسلمين أنّ هذا الاسم اصطلح عليه أولاً بطاركة الاسكندرية واستشهد في جملة شهوده أبا بكر العباسي : « في القسم الثاني من مقالته ضد النصارى » حيث قال: « فأنّ القسوس والعامة لما سمعوا أساقفتهم يسمون البطريرك أباً قالوا في نفوسهم: إذا كنّا نحن نسمي الأسقف أباً والأسقف يسمي البطريرك أباً فيجب علينا أن نسمي البطريرك بابا أي الأب أي الجد إذ كان أباً لأبينا . ثم لما سمعوا الأساقفة والبطاركة يسمون صاحب رومية أباً قالوا في أنفسهم إذا كنا نحن نسمي البطريرك أباً والبطريرك يسمي صاحب رومية أباً فيجب علينا نحن أن نسمي صاحب رومية بابا ، فعرف صاحب رومية بهذا الاسم دون غيره إلى الآن عند أهل النصرانية جميعاً ». والأظهر أنّ هذا الاسم أُخذ عن السريانية ܐܒܐ ܐܒܐ أي أبو الأب وهو الجد على أنّ اختصاص الأحبار الرومانيين به لم يكن بأمر بل كان من باب التغلّب والاستحسان . وللحاقلي في آخر هذا المؤلّف ردّ على هوتنجارس في كلامه في تاريخ العرب .

وللحاقلي أيضاً ترجمة قوانين المجمع النيقوي المعروفة بالقوانين العربية لأنها أخذت عن كتب عربية ، فالحاقلي عارض هذه القوانين على ست نسخ عربية منها ، وترجمها إلى اللاتينية وأشهرها مطبوعة . فمن هذه القوانين باليونانية واللاتينية عشرون قانوناً ، لكن الشرقيين يعزون إلى المجمع المذكور أربعة وثمانين قانوناً وتتداولها أيدي الشرقيين أي الملكية والموارنة والقبط واليعاقبة والأحباش والنساطرة ، ومنها ثلاثة وسبعون قانوناً ترجمها ماروتا أسقف تكرنيت في أواخر القرن الرابع من اليونانية إلى السريانية كما روى عبد يشوع الصوباوي في مختصر القوانين ، وأضاف إليها بعض المؤلفين العرب (لا نعلم من هم) أحد عشر قانوناً فصارت

أربعة وثمانين قانوناً. وقد دافع الحاقلي عن هذه القوانين في كتيّب أشهره وهو مثبت في مجموعة المجامع للاباي (مجلد ١١). وذكر مرهج بن نيرون الباني الماروني في كتابه افوبليا (سلاح) الايمان وأثبتها الأب كونزالس اليسوعي في كتابه عصمة الأحبار الرومانيين، ولكن نبذها غيرهم من العلماء ولم يعتدوا نسبتها إلى المجمع النيقوي صحيحة.

وقد توفي الحاقلي بروما في ١٥ تموز سنة ١٦٦٤م، ونقلت كتبه إلى المكتبة الواتيكانية بعد وفاته وذكرها السمعاني في فهرست الكتب الذي علّقه على المجلد الأول من المكتبة الشرقية وعددها أربعة وستون كتاباً.

عد ٧٠

مرهج بن نيرون الباني

أما مرهج فوُلد ببان احدى قرى جبة بشري ويسميه الغربيون فاوسطوس ترجمة كلمة مرهج. وروى دي لاروك أنّ خاله ابراهيم الحاقلي المار ذكره أخذه إلى روما وتلقى العلوم في مدرسة الموارنة بها، وحاز قصبات السبق وأقامه الكرسي الرسولي استاذاً للّغة السريانية في مدرسة السابيانسا (الحكمة) الكلية في روما خلفاً لخاله ابراهيم الحاقلي. ثم صار قانونياً في كنيسة القديس اوسطاكيوس هناك ولم يشغله ذلك عن الانصباب على التأليف والتصنيف وتنقيح كتب طائفته البيعية والعناية بطبعها. ومن تآليفه كتابه في أصل الموارنة ودينهم واسمهم وهو مشهور واستشهدنا به مرات في خلال تاريخنا هذا. وقد طبع بروما سنة ١٦٧٩م وله كتاب آخر واسمه بافوبليا (أي سلاح) الايمان الكاثوليكي، وقد استشهدنا به أيضاً مرات وقد طُبع بروما سنة ١٦٩٤م جمع به من كتب السريان والكلدان القديمة البينات الراهنة على صحة الايمان الكاثوليكي خلافاً للبروتستانت، وقد عني بتنقيح الأناجيل وسائر أسفار العهد الجديد، وطُبعت بمناظرته بالسريانية والعربية بأحرف كرشونية بروما سنة ١٧٠٣م، وأضاف إليها مقدمة كثيرة الفائدة دالة على فقاهته وطول باعه، وعاونه على تصحيح هذه الطبعة القس يوسف الباني الماروني مدرّس اللغتين السريانية والعربية في مدرسة نشر الايمان المقدسّ. وقد أُخذت الطبعة السريانية عن نسخة كانت في مدرسة الموارنة بروما مرسلة من بطريركهم إلى البابا غريغوريوس

الثالث عشر (لم يذكر مرهج في مقدماته اسم البطريرك مرسل هذه النسخة، ويلزم أن يكون ميخائيل الرزي أو أخوه سركيس الرزي فهما كانا في أيام البابا المذكور) وهي الترجمة السريانية المعروفة بالبسيطة التي استعملتها طائفتنا من أقدم الأيام. وأما العربية فكان الأب ميخائيل المطوشي قد أتى بها من جزيرة قبرص، وكانت أكثر تهذيباً وضبطاً من سائر النسخ التي عورضت بها، وهي لا تطابق السريانية المطبوعة معها كل المطابقة كما لاحظت ذلك، ولكنها لا تختلف عنها حتى يصح القول أنّ هذه العربية ترجمت عن اليونانية ولا مرية في أنها عن السريانية، وتقرب من النسخة التي هذبها المطران سركيس الرزي وطُبعت مع اللاتينية العامية سنة ١٦٧١م بروما، وتختلف كثيراً عن العربية المطبوعة في البوليكلوتا كما تأكدت بمعارضتي هذه النسخ لدن وجودي في روما. وعن طبعة الأب مرهج هذه أخذ المطران جرمانوس فرحات النسخة التي عرّبها والمستعملة الآن في طائفتنا، ولدى كتابتي تفسير الانجيل زدتها مطابقة للسريانية وأوعزت إلى الأب يوسف العلم لما كان رئيس دير الكريم للمرسلين، فصنع كذلك في كتابه تفسير رسائل القديس بولس الرسول وباقي الرسل.

وروى دي لاروك (في المجلد الثاني من رحلته إلى سورية ولبنان صفحة ١٢٩) إنه كان بينه وبين مرهج مكاتبة وأثنى على رسائله وأنه كتب إليه في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٧٠١م أنه كان مشتغلاً بطبع العهد الجديد بالسريانية والعربية وقد أنجز طبعه فيما بعد. وإنه توفي سنة ١٧١١م وعمره نحو ثمانين سنة مشهوراً بتقواه ومهارته بالعلوم الشرقية وأنه يرغب في أن يكون كاهناً اتضاعاً بل كان شماساً وقانونياً في كنيسة ... (ترك اسم الكنيسة بياضاً ونعلم أنها كنيسة القديس اوسطاكيوس روما كما مرّ)، ونرى مرهج في عنوانات كتبه لم يصف نفسه بكاهن أو قس. ولكن رأينا الدويهي يقول في تاريخ سنة ١٦٥٦م: «دخل إليه (أي إلى البطريرك يوحنا الصفراوي) القس مرهج بن نيرون فوجده ملقى على الأرض والنور ينبعث من وجهه» ولا نعلم أصاحب الترجمة أراد أم غيره يسمى باسمه فبين سنة ١٦٥٦م التي كان فيها ذلك وسنة ١٧١١م التي توفي صاحب الترجمة فيها خمس وخمسون سنة أبقي مرهج كل هذه المدة كاهناً ولا عجب إذا كان عاش ثمانين سنة وكان ارتقاؤه إلى الكهنوت وعمره خمس وعشرون سنة. انتهى.

عد ٧١

مشاهير آخرون بالغيرة والنسك

إنّ من اشتهروا بالغيرة والنسك لجديرون بالذكر كالعلماء فهم أصحاب الفلسفة الروحية الحقة ، ومن هؤلاء من الموارنة في القرن السابع عشر انطونيوس الصهيوني الاهدني، والذي نعلمه من أمره أنه تلقى العلوم في مدرسة الموارنة بروما كما روى المطران اسطفانوس عواد السمعاني (في كتاب فهرست الكتب الشرقية في المكتبة الماديشية صفحة ٥١) ثم اتخذ الطريقة الرهبانية ورقي إلى درجة الكهنوت بل صار رئيس كهنة اوبرديوط لأنّ المطران اسطفانوس وصفه بكلمة رئيس كهنة في ترجمة كلامه الذي وضعه على الكتاب الآتي ذكره وهو كتاب الأناجيل ورسائل بولس الرسول وباقي أسفار العهد الجديد حتى رؤيا يوحنا . وقد نسخه بالعربية والأحرف الكرشونية نسبةً إلى رجل اسمه كرشون من الجزيرة ، كان أول من كتب العربية بهذه الأحرف السريانية فأخذ النصارى يكتبون الأسفار المقدّسة بهذه الطريقة ليخفوا أسرار دينهم عن المسلمين العرب ، هذا ما ذهب إليه الصهيوني ومرهج الباني والمطران اسطفانوس عواد في كتابه المذكور . وكان هذا الكتاب في جملة الكتب التي أخذت عنها طبعة أسفار العهد الجديد التي عني بها مرهج الباني المذكور سنة ١٧٠٣م. وكان انطونيوس الصهيوني نسخه قبل تسعين سنة بأمر البابا بولس الخامس ويوحنا مخلوف بطريرك الموارنة عن كتب كانت بمدرسة الموارنة كما هو بيّن من الذيل الذي علّقه انطونيوس المذكور على آخر هذا الكتاب وهو: «في سنة ١٦١١م في السادس والعشرين من حزيران كان النجاز من نسخ هذا الكتاب في أيام آبائنا بولس الخامس الحبر الروماني الكلي الطوبى والبار يوحنا (مخلوف) الاهدني البطريرك الانطاكي الذي كرسيه بلبنان وتمتد سلطته الروحية إلى سورية كلها والامصار القاصية ، وهو مشتمل أسفار العهد الجديد أي الأناجيل . .. بيد الحقير انطونيوس بن اوفيمياني (كذا) الصهيوني رئيس الكهنة ، والراهب من اهدن بجبل لبنان السرياني الماروني الذي كتب بأمر الرؤساء فصول الأناجيل الأربعة وسائر أسفار العهد الجديد بحسب تقسيمها وعدادها في النسخة العامية الرومانية آخذاً اياها عن ثلاث نسخ كانت في مدرسة الموارنة بروما. وقد دوّن هذا المجلد السيد الشريف يوحنا راتموندوس» المشهور بمعرفة اللغات الشرقية .

وقد نسخ انطونيوس الصهيوني القسم الأول من فلسفة السريان المشتمل على أربعة كتب وهي كتاب الايساغوجي لبرفيريوس وثلاثة كتب من تآليف أرسطو الفلسفية . وهذه الكتب ترجمها حنين بن اسحق السرياني الطبيب من اليونانية إلى السريانية ، والكتاب الذي نسخه الصهيوني هو في المكتبة المادیشية في عدد ١٧٦ وصفحاته ٣٥٠ صفحة . ونسخ أيضاً القسم الثاني من فلسفة السريان وهو يشتمل على تسع مقالات فلسفية لأرسطو وهو لحنين بن اسحق أيضاً ، ونسخه الصهيوني في عدد ١٧٧ من المكتبة المذكورة وعدد صفحاته ٢٠٨. وله أيضاً نسخ القسم الثالث من فلسفة السريان لحنين المذكور أيضاً وهو في عدد ١٧٨ من المكتبة المذكورة منطوياً عى ٢٠٠ صفحة . وله أيضاً نسخ القسم الرابع من هذه الفلسفة لحنين في الفصاحة والشعر عدده في المكتبة المذكورة ١٧٩ وصفحاته ٣٩٥. وهذه الكتب الأربعة بالسريانية. وفي هذه المكتبة أيضاً الكتاب ٢٧٤ مقالة في الحساب والجبر بالعربية لأبي عبد الله أحمد شهاب الدين بن أبي جعفر (الذي كان في أواخر القرن الرابع عشر)، ومقالة في الخطوط الهندسية لأحمد بن علي. والمقالتان بخط انطونيوس الصهيوني . وهذا الكتاب يشتمل على ٢٤١ صفحة . فهذا ما علمناه من ترجمة هذا العالِم العامل .

وقد ذكر الدويهي في تاريخه عدة من أصحاب الفضل والنسك ، فمنهم القس يعقوب الدويهي رئيس دير مار يعقوب باهدن، وقال إنه كان ورعاً فاضلاً عني ببناء الدير المذكور وبتعليم الأولاد ، وتوفي سنة ١٦١٦م. ومنهم الخوري ميخائيل الاهدني الذي أخذ طريقة الحبسا بمحبسة مار ميخائيل في وادي قزحيا التي بناها أولاً القس بركة ، ثم خلفه فيها القس موسى من اليمونة، وبعده القس يعقوب من بلاد البترون ثم القس ميخائيل ثم القس يوحنا، ثم القس ميخائيل، ثم القس جبرائيل ثم الخوري ميخائيل المذكور، وجميع هؤلاء من اهدن . وتوفي الخوري ميخائيل سنة ١٦١٧م وخلت المحبسة بعده من الحبسا .

ومنهم القس يوحنا ابن القس يوسف محاسب من غوسطا الذي اهتم سنة ١٦٢٨م بتجديد بناء دير مار شليطا مقبس بكسروان وهو أول الأديار المجددة في كسروان ، وكان أخوه القس سركيس مترهباً بدير قزحيا فانتقل إلى مار شليطا المذكور. وتوفي القس يوحنا سنة ١٦٤٠م وقام بالرئاسة بعده أو في حياته ابن أخيه الخوري سركيس. وسيأتي ذكره عند الكلام على هذا الدير.

ومنهم القس يوسف اين القس اصاف عن عرامون الذي بنى كنيسة مار عبدا هرهريا في فتح كسروان، ثم كنيسة السيدة هناك. ولبس الاسكيم الرهباني هو واخوته اندراوس وانطونيوس ويوحنا وأختهم رفقا وسيأتي ذكرهم.

من هؤلاء خاصة مؤسسو الرهبنة الحلبية اللبنانية وهم جبرائيل حوا وعبد الله بن عبد الأحد قرألي ويوسف بن البتن، فهؤلاء ألهمهم الله أن ينشئوا رهبانية قانونية عامة فخرجوا من حلب سوية سنة ١٦٩٣م وساروا تواً إلى أورشليم لزيارة الأماكن المقدّسة والتبرّك بها. ثم امتثلوا أمام السيد البطريرك اسطفانوس الدويهي في أول شباط سنة ١٦٩٤م وكاشفوه بعزمهم على اقامة رهبانية تستسير بقانون واحد ويرأسها رئيس عام واحد، ويكون لكل دير من أديارها رئيس خاضع لسلطان الرئيس العام ويرتبط رهبانهم بنذور الطاعة والعفة والفقر الاختياري والاتضاع على اسم القديس انطونيوس أبي النساك، فسُرّ البطريرك بعزمهم وشكر لمسعاهم ولبّى دعوتهم وأبقاهم عنده. وفي اليوم العاشر من تشرين الثاني سنة ١٦٩٥م ألبسهم الزي الرهباني في دير قنوبين على سبيل التجربة قبل ابرازهم النذور، وسلّم إليهم دير القديسة مورا حذاء اهدن ليصلحوا بناءه ويقيموا به. ولحق بهم في آخر سنة ١٦٩٥م جبرائيل فرحات، وكان من عصبتهم بل زعيمهم. وجعلوا أحدهم جرائيل حوا رئيساً عليهم وشرعوا في انشاء هذه الرهبانية ودعوا إليها باشتهار قداستهم وفضائلهم، فأمّهم كثيرون للترهّب معهم. ورقى البطريرك رئيسهم إلى درجة القسوس وأخذوا يجمعون لهم قانوناً من وصايا القديس انطونيوس وتلامذته، وأخذوا سنة ١٦٩٦م دير اليشاع النبي حذاء بشري وسكنه بعضهم ورأسوا عليه عبد الله قرألي بعد أن رقي إلى درجة القسوس. وعندما عقدوا مجمعهم العام سنة ١٦٩٩م انتخبوا القس عبدالله هذا رئيساً عاماً بدلاً من القس جبرائيل حوا، وثبّت البطريرك اسطفانوس الدويهي قانون رهبانيتهم سنة ١٧٠٠م وسنعود في تاريخ القرن الثامن عشر على ذكر هؤلاء الأفاضل.

وقد نسك في لبنان في هذا القرن الحبيس فرنسيس كالوب دي شاستويل الفرنسي، وذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٣٢م حين قدم إلى لبنان، وفي سنة ١٦٤٣م حيث توفاه الله لرحمته. وروى دي لاروك ترجمته مطوّلة في المجلد الثاني من رحلته إلى سورية ولبنان من صفحة ١٥٢ إلى صفحة ٢٦٠ فنلخّص ترجمته عنه بايجاز. فقد وُلد باكس من فرنسة في ١٩ آب سنة ١٥٨٨م وظهرت عليه

امارات التقوى منذ حداثته، ودرس من جملة علومه اللغة العبرانية وأتقنها وعلّق ملاحظات على النسخة السامرية من التوراة، وأرسلت هذه النسخة وملاحظاته إلى جبرائيل الصهيوني الماروني لتعلّق في البوليكلوتا الباريسية المتقدّم ذكرها. وكان هائماً بمطالعة الأسفار المقدّسة، علّامة بتفسيرها، فقصد أن يعتزل بفلسطين بعيداً عن الناس ناسكاً متكاملاً بعلم الأسفار المقدّسة. واتفق أنّ سفير فرنسة بالآستانة كان مسافراً إليها فسافرا معاً من مرسيليا في ٢٠ تموز سنة ١٦٣١م فأقام فرنسيس مدة في الآستانة مجانباً الناس. ومع ذلك ظهر فضله وعلمه وعرف اليهود بمهارته بلغتهم العبرانية وتضلعه بمعرفة الأسفار المقدّسة فأكثروا من التردد إليه والاعجاب به، وأهدى أحدهم وكان أعلمهم إلى الايمان القويم وأرسله إلى فرنسة موصياً أخاه به. ونما عرف فضله وعظم اجلال الناس له من كل طبقة وملة فتعمد الخروج من الآستانة فسافر منها في ٢٠ تموز سنة ١٦٣٢م وبلغ إلى صيدا وعزم أن يتنسك بلبنان فسار إلى بيروت ومنها إلى لبنان فبلغ إلى حصرون في ١٥ ايلول تلك السنة، ولبس زي الموارنة وسار من حصرون إلى اهدن ليستشير بأمره أسقف هذا البلد الذي كان حينئذٍ جرجس عميرة، فقبله بالترحاب وأمسكه عنده أربعين يوماً، وكان يودّ لو بقي دائماً عنده، لكنّه أيقن أنّ الله يدعوه للانفراد عن العالم. وكان البطريرك والأساقفة حتى الأمير فخر الدين قد أرسلوا يترحبون به، فمضى يزورهم مبتدئاً بالأمير فخر الدين ثم البطريرك والأساقفة وقابله الجميع بالاجلال والاحتفاء ولا سيما البطريرك يوحنا مخلوف الذي أمسكه عنده أياماً، وكاشفه فرنسيس بعزمه على الانفراد عن العالم للتوبة والنسك وسأله أن يقبله في عداد أبنائه، فعجب البطريرك به ووطّد عزمه وباركه فانصرف من عنده يزور الأرز، وعاد إلى اهدن التي فضّل الاقامة بها ليتعلّم اللغة السريانية ليطالع الأسفار المقدّسة بها، وكان باهدن حينئذٍ كاهن فاضل من رهبان قزحيا اسمه القس الياس اعتزل عن الناس في محل قريب من اهدن، فآثر فرنسيس السكنى بالقرب إليه في دير مار يعقوب المنقور بالصخر وعزم أن لا يخرج إلّا لضرورة قصوى. وعاش هناك عيشاً قشفاً صارماً صارفاً أوقاته بالتأمل والصلوة والمطالعات الروحية مانعاً نفسه من أكل اللحم وشرب الخمر مكثراً الصوم إلى الساعة الرابعة بعد الظهر مقتنعاً يوم الأربعاء والجمعة والسبت من كل الصوم بالخبز والماء لا غير، ينام قليلاً (إذا اضطر إلى الراحة) على فراش خشن. ولما كانت الحملة على فخر الدين كما مرّ وفرّ سكان القرى اضطرّ فرنسيس أن يفرّ أيضاً مع القس الياس المذكور وأن يختبيا في المغاور

والكهوف ويعانيا مشاق الجوع والعطش. ولما استكن عاصف القلق في البلاد عاد إلى نسكه وتقشفاته، وقصده بعض التجار الافرنج وأرادوا أن يدفعوا له مالاً يستعين به على معاشه فلم يقبل شيئاً. وكانت مطالعاته لأسفار العهد القديم بالعبرانية ولأسفار العهد الجديد باليونانية والسريانية التي تعلمها. ولما صير القس الياس مطراناً على اهدن (هو الذي ذكرناه في جملة الأساقفة وقلنا أنه من عائلة الصراصرة) وسكن في دير مار سركيس اهدن أسكنه معه واستمر عاكفاً على اماتاته وصلواته ثم انتقل المطران من اهدن فلم يشأ الحبيس أن يبرح مخدعه في الدير إلى أن أتى الأب شالستينوس رئيس الكرمليين في لبنان فأقنعه أن يترك هذا الدير ويأتي فيسكن معه في دير مار اليشاع، فأتى ولكن لم يشأ أن يغيّر شيئاً من عيشته النسكية وصلواته وتأملاته حتى كان الرهبان يتعجبون كيف يمكن شخصاً ربي بالتنعم أن يعيش مثل هذه العيشة الخشنة. ومرض أخيراً فتحمل أوجاعه بالصبر الجميل والهشاشة والتسليم لمشيئة الله والاشتياق إلى ملاقاة ربه الذي نقله إلى الحيوة الخالدة مع النساك المجاهدين في ١٥ أيار سنة ١٦٤٤م ليلة عيد العنصرة، ودُفن بدير مار اليشاع المذكور. وذكر دي لاروك أنّ الله صنع بواسطته آيات كثيرة في حياته وبعد وفاته.

والذي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٤٤م أنّه استحبس أولاً بدير السيدة بحوقا ثم بدير مار يعقوب الأحباش، ثم بدير مار سركيس على رأس النهر في رئاسة الأسقف الياس. ولما سكن هذا الأسقف في اهدن انتقل الحبيس إلى دير مار اليشاع في بشري وانتقل إلى الراحة التي لا زوال لها. وكان عبرة صالحة لأهل البلاد وبلغ أسمى المراتب بالورع والصوم والسهر وتلاوة الكتب وفي قمع جسده وتجرّده عن العالم وتعلّقه بالإلهيات حتى صدر منه معجزات وسبق فأنبأ بمزمعات. انتهى.

الفصل الخامس

الأديار والكنائس التي أُنشئت للموارنة في هذا القرن

عد ٧٢

الأديـــار

من الأديار التي جدّدها أو أنشأها الموارنة في هذا القرن دير مار شليطا مقبس بكسروان، والظاهر من عبارة الدويهي أنّ هذا الدير لم يكن حينئذٍ أول انشائه لأنه قال بتاريخ سنة ١٦٢٨م: «اهتم القس يوحنا ابن القس يوسف المدعو المحاسب من قرية غوسطا بتجديد بناء دير مار شليطا في أرض مقبس ببلاد كسروان وصار أول الأديار التي أنشئت في تلك البلاد».

وكان أخوه القس سركيس مترهباً بدير قزحيا فانتقل إليه. وقال في تاريخ سنة ١٦٧٢م عندما سقطت كنيسة دير ما شليطا بمقبس جدّدها الخوري سركيس على يد البنّا القس جرجس الأميوني الماروني، وفي جانبها من جهة الشمال بنينا (يتكلم الدويهي عن نفسه) داراً لسكنى البطاركة إذا توجهوا إلى تلك الناحية. وفي المشرق نقلاً عن رسالة كتبها الخوري يعقوب عواد الذي صير بعداً بطريركاً أنّ جد بيت المحاسب المسمى باسيل من ميناء طرابلس رحل مع أولاده إلى ساحل علما ثم إلى غوسطا، وإنّ أحد أولاد باسيل هذا المسمى سركيس ارتقى إلى درجة الكهنوت وكان خبيراً بالحساب فلقّب محاسب، ومن نسله الخوري يوسف وولده الخوري يوحنا الذي جدّد بناء هذا الدير. وقد أنبأنا صاحب الرسالة المذكورة أنّه كان في المحل الذي بنى الدير فيه كنيسة قديمة اشتراها الخوري يوسف المذكور مع الأرض الكائنة فيها من أبي يوسف المقير من غوسطا سنة ١٦١٥م، ولا يعلم في

أي وقت بُنيت الكنيسة القديمة على اسم القديس شليطا، وأما بناء الدير فقد نُقش تاريخه على عتبة باب الكنيسة الغربي هكذا: «بسم الآب والابن وروح القدس إله واحد كمل عمار هذا الدير المبارك مار شليطا في أيام سيدنا البطريرك حنا (مخلوف) الانطاكي في تاريخ سنة ألف وستماية وثمانية وعشرين مسيحية بيد المعلّم نقولا الشامي. وكان المعتني الخوري المحاسب والخوري عطيا والخوري فرح والقرايا القريبة غوسطا ودرعون وبطحا وعجلتون وعشقوت». وتوفي القس يوحنا في ٢١ تموز سنة ١٦٤٠م وترك رئاسة الدير لابن أخيه الخوري سركيس، وكان القس حنا مزوجاً قبل أن يصير كاهناً وله ولد اسمه الشدياق الياس بنى كنيسة القديس سمعان العمودي في قرية غوسطا كما في احدى نسخ تاريخ الدويهي لسنة ١٦٤٥م، حيث يقول اعتنى الشدياق ايلياس ابن القس حنا الحاسب مع أهل غوسطا وجددوا كنيسة مار سمعان. وكان دير مار شليطا لسكنى الرهبان والراهبات كما كان في بعض الأديار قبل رسم المجمع اللبناني بالفصل بين الرهبان والراهبات. وكان بجانبه مسكن للبطاركة (قبل أن يزيده الديهي). وممن سكنه منهم البطريرك جرجس السبعلي، وتوفي فيه بالطاعون فلم يُدفن في الكنيسة بل خارجها ومدفنه قائم حتّى الآن نُقش عليه تاريخ وفاته. وقد زاد البرديوط سركيس الرقوم هذا الدير أملاكاً وشهرة.

وأقام الدويهي فيه مدة فأنشأ فيه مكتبة فجعل الرهبان ينسخون كتباً، وجمع غيرها وبقي إلى الآن قسم منها وقسم اغتالته أيدي الضياع. وتوفي سركيس البرديوط رئيس هذا الدير سنة ١٦٨١م وترك الرئاسة لابن أخيه القس يوحنا، وكان في هذا الدير الأسقف يوحنا محاسب رقاه الدويهي إلى أسقفية عرقا سنة ١٦٩٨م وأقام في هذا الدير وتوفي به سنة ١٧١٢م كما مرّ في الكلام على الأساقفة.

ومن هذه الأديار دير حراش ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٤٣م فقال اشترى الأسقف يوسف العاقوري (هو الذي صار فيما بعد بطريركاً) من الشيخ يوسف أبي حبيش أرض مار يوحنا حراش بخراج درعون بناحية كسروان، وأنشأ كنيسة جميلة على اسم السيدة العذراء وديراً جعله لسكنى الراهبات المتنسكات وبلغ عددهنّ إلى نحو ثلاثين راهبة، ورأس عليهنّ رفقة ابنة القس يوحنا المحاسب». وبعد وفاة هذه الرئيسة خلفتها في الرئاسة على هذا الدير ابنة أختها مريم، وكتب

البطريرك الدويهي إلى القس يوحنا رئيس دير مار شليطا وإليها رسالة لفصل خلاف كان بينهما تراها في «المشرق» (صفحة ٣٠٢ من السنة الخامسة). وفي سنة ١٦٤٤م عقد البطريرك يوسف العاقوري مع أساقفته مجمعاً في هذا الدير لاصلاح بعض العوائد البيعية. وسنأتي على ذكر هذا المجمع.

ومنها دير مار سركيس وباخوس في ريفون، وأول من أنشأه القس سليمان مبارك من غوسطا. وكان هذا الكاهن مزوجاً وله سبعة بنين، فبعد وفاة امرأته رغب هو وبنوه الاعتزال عن العالم في أحد الأديار فأتوا أولاً دير مار شليطا حيث أقاموا بعض سنين منضوين إلى رهبان هذا الدير، ثم انفصلوا عنهم وأتوا إلى ريفون سنة ١٦٥٥م فأنشأوا الدير القديم على خربة معبد كانت هناك، وقضوا حياتهم فيه مثابرين على النسك والعمل بما يعود عليه بالنفع إلى أن توفي القس سليمان سنة ١٧١٣م كما يظهر من الخط المنقوش على ضريحه في الدير المذكور. ومن أبنائه المطران يوسف مبارك الذي انتخب بطريركاً بعد تنزيل البطريرك يعقوب عواد سنة ١٧١٠م، ثم حكم الكرسي الرسولي بارجاع البطريرك يعقوب وأبطل انتخاب المطران يوسف إلى البطريركية.

ومنها دير مار عبدا هرهريا وقد ذكر الدويهي انشاءه فقال في تاريخ سنة ١٦٥٥م: «فيها اهتم القس يوسف ابن القس اصاف من قرية عرامون وبنى كنيسة مار عبدا هرهريا في طرف فتوح جبيل ثم كنيسة السيدة قبواً، ولبس الاسكيم الرهباني هو واخوته اندراوس وانطونيوس ويوحنا ثم أختهم رفقا ثم أبوهم وأمهم بعد أن تاركا حقوق الزواج بينهما برضاهما، وإذن مطران الأبرشية، وانقطعا عن العالم ووقفا كل ما يملكانه للدير راغبين في الفقر، وفي أن يكونوا جميعاً طائعين للقس يوسف إلى نهاية حياة كل منهم، وصاروا عبرة صالحة للناس باتخاذ الطريقة الرهبانية وبالسيرة الصالحة والعبادة والورع إلى نهاية عمرهم.

ومنها دير مار الياس النبي في غزير، بنى هناك الشيخ طربيه بن حبيش كنيسة على اسم ايليا النبي في أسفل غزير، ووقف لها بعض العقار، ثم بنى حذاء الكنيسة بعض مساكن فصارت ديراً، وكان ذلك نحو سنة ١٦٦٥م. وقال الدويهي في تاريخ سنة ١٦٨٣م رام المشائخ الحبيشية أن يبيعوا للرهبان الكبوشيين كنيسة مار الياس التي بنوها في أسفل غزير فمنعناهم عن ذلك، ولكن سمحنا لهم

بأن يقيموا بها خمساً وعشرين سنة. وفي سنة ١٦٧٠م جدّد القس يوسف اصاف المذكور آنفاً بناء دير سيدة الحقلة، وقيل إنّ هذا الدير ودير مار عبدا هرهريا كانا مشتركين فحصل نزاع بين الخدام على حراثة الأملاك أفضى إلى فصل أحدهما عن الآخر برأي بطريرك الطائفة وأساقفتها. وفي سنة ١٦٧٣م أنشأ المطران جبرائيل البلوزاوي دير السيدة في طاميش في جنوبي نهر الكلب ذكره الدويهي في تاريخ هذه السنة، ويظهر من خط كان منقوشاً على عتبة باب الدير القديمة أنّ الشيخ أبا نوفل الخازن وأولاده اعتنوا ببنائه وتعب به القس عطاالله وتلميذه من غزير.

وفي سنة ١٦٨٢م أنشأ الشيخ سلهب الحاقلاني دير السيدة بلويزه في خراج زوق مصبح وجعله لسكنى الرهبان العباد ثم ترهّب فيه ولده القس اغناطيوس. وتسلّم الدير ثم تسلّمه الرهبان الحلبيون اللبنانيون سنة ١٧٠٧م وخصّ عند القسمة الرهبان الحلبيين.

وفي سنة ١٦٩٠م بنى القس خيرالله اسطفان دير عين ورقة في المحل المسمى المشرع، ثم هطلت أمطار غزيرة فخربت ما بنى، فجدد البناء في المحل الذي فيه الآن مدرسة عين ورقة الشهيرة، وهذا الكاهن ارتقى فيما بعد إلى الأسقفية ودُعي جرجس. وفي سنة ١٦٩٦م جدّد الخوري جرجس صفير وأخوه ناضر بناء دير القديس مارون في الرومية بجانب القليعات بكسروان الذي صار فيما بعد مدرسة كما سيجئ.

وفي سنة ١٦٩٠م جدّد البطريرك اسطفانوس الدويهي بناء دير مار سركيس اهدن فإنه قال في خط عُثر عليه في بعض نسخ تاريخه ما ملخصه: «أنّ بناء دير مار سركيس كان على قناطر، ولما تزعزعت رممها ابن عمنا المطران بولس يمين، ولما سكن في الدير ابن أخينا الخوري ميخائيل ردم قناطره ثم تداعى عماره فلم يسكنه أحد مدة، فدُثر فوضعنا يدنا عليه وأزلنا القناطر كلها وأقمنا حائطاً متيناً في الوسط وعمرنا قبوين في الداخل أمام كل كنيسة قبو، وبنينا فوقهما قلالي وأقمنا الحائط الغربي من الأرض فصاعداً. وكان البناؤون أربعة من رشميا والمتكلم عليهم القس جرجس الأميوني الماروني من قرية أميون بالكورة» فهذا القس كان من الملكية فصار كاثوليكياً مارونياً. وكذلك ذكر الدويهي في الخط المذكور أنه في سنة ١٦٩١م جدّد بناء دير القديسة مورا في اهدن بعد أن خرب، فإنّ أبا ميخائيل

انطونيوس من أصنون ترهّب فعمرنا له هذا الدير ثم أعطى الدويهي هذا الدير للرهبان الحلبيين عند تأسيسهم الرهبانية فزادوا في بنائه.

عد ٧٣

ما نعرفه من كنائس الموارنة التي بُنيت في هذا القرن

كنيسة السيدة في قرية بشعلة قال فيها الدويهي في تاريخ سنة ١٦٢٦م فيها القس يوسف ابن القس حبيب من قرية بشعلة نقض بناء كنيسة السيدة وعقدها قبواً.

وقال في تاريخ سنة ١٦٣٢م فيها القس يوحنا بن الشمالي أنشأ بقرية درعون بيلاد كسروان كنيسة القديس انطونيوس قبواً، وأخوه القس فرح بنى كنيسة السيدة. وكان الأخوان ورعين ولهما اليد الطولى في نسخ الكتب البيعية. وفيها نقض الشيخ أبو عماد بن الجميل كنيسة القديس عبدا في بكفيا وعقدها قبواً بثلاثة أسواق بمساعدة أهل بكفيا على يد البنّاء يوحنا الشامي. وكذلك القس بشارة من بيت الخراط اهتم بتوسيع كنيسة الملائكة بقرية بكفيا أيضاً.

وقال في تاريخ سنة ١٦٣٢م: «اهتم البطريرك يوحنا مخلوف فجدد كنيسة القديسة مورا بقرية كفر زينا» بقيت هذه الكنيسة على ما كانت عليه إلى أيامنا. ومن بعض سنين نقض أهل القرية البناء القديم وبدلوه بالبناء الحالي، وقد مدّيتُهم ببعض الاسعاف لأنها كنيسة القرية التي ربيت فيها. وقال الدويهي في تايخ هذه السنة أيضاً إنّ أهل كفرحاتا بالزاوية جدّدوا كنيستهم على اسم القدس ماما، وكان هذا البطريرك منذ سنة ١٦٠٩م توجّه إلى مجدل معوش بالعرقوب الشمالي وأقام بها مدة، وبنى هناك كنيسة السيدة الباقية حتى الآن على هيئتها القديمة.

وقال في تاريخ سنة ١٦٣٦م: «وفيها انتهى بنيان كنيسة السيدة بالعربانية من قرى المتن وكرسها المطران يوسف بن حليب العاقوري مطران صيدا في السادس من تموز، وكان المهتم ببنيانها الشيخ عون المكارى وأبو عطاالله ابن القبرصي والحاج ميخائيل أبو نعمه. وقال في تاريخ سنة ١٦٣٨م إنّ كنيسة الموارنة بأياس كانت قد خربت وكنيستهم بحلب احترق سقفها مع الدرابزين، وقدم السلطان إلى حلب

فاستأذنوه في بنائهما فأذن به ، فجدد الموارنة جزوع كنيسة ايليا النبي بحلب ، وعمّر الأرمن كنيسة باياس لتكون مشتركة بين الملّتين المارونية والأرمنية .

وقال في تاريخ سنة ١٦٤١م إنّ كنيسة الموارنة بالكفريات بقبرص كانت قد رتعت بيد الروم لأنّ الروم أغروا الخوري جرجس خادمها وبعض أقربائه فاتبعوا مذهب الروم وأخذوا الكنيسة وصار حينئذٍ الخوري بطرس خادماً لكفريات . وكان ذا نفوذ وغيرة فاستفتى العلماء فأفتوا له أنّ الكنيسة لم تكن للخوري جرجس بل للموارنة ، فاستحصل خطاً شريفاً باعادتها إلى طائفته ، وفي هذه الأثناء بنى الشيخ أبو نوفل نادر الخازن كنيسة السيدة في عجلتون وعين جعلاً لكاهن يقدّس بها كل يوم .

وقال في تاريخ سنة ١٦٥٤م إنّ القس جرجس ابن القس رزق الله البجاني أنشأ بمساعدة أهل بيت شباب كنيسة القديس جرجس في بحردق بقاطع بيت شباب ، وقال في تاريخ سنة ١٦٧٣م إنّ الشيخ أبا فارس وأخاه الشيخ أبا ناضر ابنَي الحاج أبي منصور الاهدني كاتب الأمير أحمد بن معن نقضوا كنيسة السيدة في دير القمر وعقدوها قبواً . وقال في تاريخ سنة ١٦٨٥م عن نفسه جدّدنا كنيسة مار عبدا على نهر الكلب (الدير المعروف الآن بدير مار عبدا المشمر) بعد أن كانت قد خربت من زمان طويل ، وأنشأنا في جانبها داراً تابعة لدار ما شليطا بمقبس .

وفي سنة ١٦٨٩م تمّ بناركنيسة مار الياس بغوسطا أنشأها الشيخ أبو قانصوه فياض الخازن بجانب الدار التي بناها لنفسه بالقرية المذكورة .

ذيل

المجمع الذي عقده البطريرك يوسف العاقوري

في دير حراش

عقد هذا المجمع البطريرك يوسف العاقوري في ٥ من كانون الأول سنة ١٦٤٤م في دير حراش ووُجدت نسخة منه في هذا الدير، ولكن سقط منها ورقة مشتملة على بعض الكلام في سرّي التوبة والأوخاريستيا، ومنه نسخة أخرى في دير الرهبان الموارنة بروما، وقد أخذنا ملخص قوانين هذ المجمع عن نسخة حراش إذ لم نعثر على غيرها، ونرى فيها بعض ما يخالف التهذيب المعمول به الآن منبئاً لنا بما كان في تلك الأيام. وإليك ملخّص قوانين هذا المجمع معربة عن النسخة المذكورة.

أولاً في المعمودية هي سرّ من أسرار الكنيسة السبعة ويلزم أن يكون التعميد في اليوم الثامن بعد المولد وإذا دعت ضرورة فبعد أربعين يوماً، ويكون غسل الطفل بعد تعميده حالاً. ٢ لا يؤخر التعميد لغيبة العرّاب أو لصنع حفلة أو تقدمة هدايا. ٣ لا يُسمح أن يكون العرّاب من الهراطقة. ٤ لا يرشم الطفل (أي لا يُعمد دون تلاوة الصلوات التي في رتبة التعميد) إلّا عند خطر الموت، وإذا لم يوجد حينئذٍ كاهن أو شماس فيحق لأي رجل أو امرأة كان أن يعمّد بحيث يتلو الكاهن الكلمات الجوهرية وهو يسكب الماء على الطفل وهي: «أن أعمدك يا فلان أو يا فلانة بسم الآب والابن والروح القدس آمين» ومن عُمد كذلك لا يجوز اعادة صورة التعميد عليه بل تتلى عليه صلوات رتبة المعمودية ويُدهن بالميرون والزيت المقدّس ويُغسل للحال، وإن حصلت ريبة في صحة تعميده السابق فيُعمّد ثانيةً. بقول المعمّد: «إن كنتَ لست معمّداً فأنا أعمّدك يا فلان الخ». ٥ لا يُستعمل

في التعميد إلّا الماء الطبيعي صرفاً بارداً أم سخناً خلياً من العكر. ٦ يلزم الكهنة المعمدين أن يدونوا بسجل مخصوص اسم من عُمد واسم أبيه وأمه وعرابيه وزمان تعميده.

في التثبيت هو سر من أسرار الكنيسة السبعة وخادمه هو الأسقف ويعطي هذا السر من كان عمره خمس سنين فصاعداً ويلزم تدوين أسماء المثبتين كأسماء المعمّدين.

في الاعتراف هو سرّ من أسرارالكنيسة السبعة وهنا الورقة الساقطة وهي تشتمل على القوانين المتعلقة بسر التوبة وسر الأوخاريستيا وبعض القوانين المتعلقة بسر الزيجة إلى القانون السادس منها.

القانون السادس زواج أخوين بأختين وقطريب لقطريبته (ربيب لربيبته) غير جائز إلّا باذن السيد البطريرك (هذا مباح الآن). ٧ كل من تعدّى على خطيبة غيره أو استعان بحكام عالميين على ذلك أو رشاهم ومن يؤذن بهذا التعدي أو يأمر أو يرتضي به من أقربائها أو غيره فليكن ساقطاً بالحرم والكاهن الذي يكللهما فليكن محروماً (لطفت الأيام هذا القانون). ٨ كل من طلب أو أخذ رشوة من أهل العروس وأقربائه ليكن محروماً. ٩ لا يذهب العريس عند العروس بل يلزم الاكليل في بيت العريس. ١٠ كل من تزوّج بابنة عمه أو بنت عمته أو بنت خاله أو بنت خالته أو بخالته أمرأة أبيه أو بامرأة عمه ومن أشبه كانت زيجته باطلة والبطريرك يوضح بطلانها. ١١ من تزوّج بامرأة وماتت فلا يحلّ له أن يتزوج ببنت عمها أو بنت خالتها. ١٢ إذا شذّ احد الزوجين عن دينه أو ثبت على المرأة الفسق أو جنّ أحدهما أو طرأ عليه مرض مهما كان فالزواج ثابت ولا طلاق إلّا بالممات. ١٣ يمنع عقد الزواج من اليوم الأول من كانون الأول إلى الغطاس ومن الأحد الأول في الصوم إلى الأحد الجديد ولا يحلّ الزواج إلّا من نهار الاثنين بعده وصاعداً. ١٤ المهر يكون برضى أهل العريس والعروس. ١٥ القرابة من جهة الميرون لا تمنع الزواج إلّا في الوجه الأول أعني بين القابل والمقبول وبين أبي المعمد وأمه وبين الذي يعمد. ١٦ يلزم أن يكون في المعمودية عرّاب وعرّابة. ١٧ لا تكن زيجة بين ابن العرابة والبنت التي قبلتها أمه (أي فليونتي لابني كما هي حرفية كلام المجمع وقد حصر المجمع اللبناني القرابة الروحية بين العرابين وبين

المعمود وأبويه ثم بين المعمّد والمعمّد وأبويه لا سوى) . ١٨ المعمد أو الراشم لا يحل له أن يتزوج أم المعمّد أو المعمّدة . ١٩ المعمّد لا يحل له أن يتزوج بامرأة المعمّد أو الراشم . ٢٠ أبو المعمّد لا يحل له أن يتزوج بامرأة المعمّد . ٢١ المعمّد لا يحل له أن يتزوج بالبنت التي عمّدها . ومن تزوج خلافاً للقوانين المذكورة فُسخ عقد زواجه .

درجة الكهنوت القانون الأول الكهنوت سر من أسرار البيعة السبعة ، وكل من ضرب كاهناً أو شدياقاً أو راهباً أو أهانهم محروماً ولا يحلّه إلّا البطريرك . ٢ إذا قدّس كهنة جملة عن نفس ميت فالأولى أن يتشح كلّ منهم بأثواب التقديس ليفي الزامه بالقداس الذي أخذ حسنته (هذا القانون غير معمول به الآن ويكفي لباقي الكهنة أن يتشحوا بالمدرعة والبطراشيل أو البطرشيل وحدهُ . ٣ لا يجوز للكاهن أن يكون جابياً لمال الحكومة أو شيخاً لقرية أو يتقلّد فريضة من أحد ولا يجوز لأحد العامة أن يُكرهه على ذلك ومن خالف يؤدبه أسقفه . ٤ الرؤساء والكهنة يصير جنازهم وعليهم عدة التقديس كاملة ولا يكون دفنهم غير بالكتونة فقط . ٥ من تزوج بنتين واحدة بعدالأخرى أو تزوج بأرملة لا يصير كاهناً وكذلك من كان أعور أو مفلوجاً أو يقع في الهلّة أو ارتكب القتل عمداً . ٦ وكيل كرسي قنوبين يناط به تدبير أرزاقها دائماً وليس للبطريرك أن يعزله إلّا برأي المطارين . ٧ كل من صار مطراناً أو بطريركاً حرمت عليه المآكل المزفرة .

مسحة المرضى القانون الأول هي سر من أسرار البيعة ولا يُمسح المريض إلّا عند خطر الموت . ٢ لا يتقاعدن أحد من الكهنة عن مسحة المريض المشرف على الموت لأنها سر ضروري لحماية نفس الميت من محاربة الشيطان . ٣ كل من مات محروماً بغير اعتراف لا يحل لأحد من الكهنة أن يجنزه ويدفنه في مقبرة مكرّسة .

في الميراث القانون الأول الارث لا يكون إلّا بعد وفاء الدين وحسنة القداسات وباقي ما يلزم لدفن الميت . ٢ إذا مات رجل عن امرأة ووارث تعطى الامرأة أولاً نقدها والثمن من متروكاته أي ثلاثة قراريط من أربعة وعشرين قيراطاً .

قوانين أخرى غير ما تقدّم

القانون الأول كل كاهن افرنجي عرّف وناول جماعتنا الموارنة بغير أمر البطريرك يكون محروماً، وكل ماروني اعترف وتناول عند الافرنج أو غيرهم يكون محروماً. ليس لأحد من الرهبان أن ينتقل من موضع إلى آخر دون اذن السيد البطريرك، لا يتعدى أحد من الكهنة على رعية غيره في الأمور الروحية فليس له أن يعرف أحداً بغير اذن خوري الرعية إلّا في ساعات الموت لتعميد طفل أو حل مريض مشرف على الموت.

وصايا الكنيسة

القانون الأول لا يجوز لأحد تناول الأطعمة المزفرة يومي الأربعاء والجمعة إلّا ما وقع منها في عيد الميلاد إلى عيد الغطاس ومن القيامة إلى عيد الصعود. ٢ً عيد التجلي وعيد الرسولين بطرس وبولس وعيد انتقال العذراء إذا وقعت يوم اربعاء أو يوم جمعة توكل فيها المآكل المزفرة. ٣ً الصوم الكبير يصام إلى الساعة التاسعة كالعادة ويلزم سماع القداس إذا وُجد وإلّا فتلزم الصلاة. ٤ً يبدأ في صوم الميلاد من اليوم الخامس من كانون الأول ويصام إلى الظهر وإذا وقع بدؤه يوم الأحد فيبتدى في الصوم يوم الاثنين. ٥ً يبتدى بقطاعة الرسل في اليوم الخامس عشر من حزيران وفي قطاعة السيدة من أول يوم من شهر آب وإذا وقع بدؤها يوم الأحد لا يصام. ٦ً على كل مسيحي أن يحضر القداس أيام الآحاد والأعياد المأمورة بطالتها، ومن أهمل ذلك أخطأ خطأً مميتاً رجلاً كان أو امرأة.

وهذه هي الأعياد الواجبة بطالتها تشرين الأول في ٢٨ منه عيد القديس سمعان القانوني ويهوذا الرسول. تشرين الثاني في أول يوم منه عيد جميع القديسين وفي ٣٠ منه عيد القديس اندراوس الرسول. كانون الأول في الواحد وعشرين منه عيد القديس توما الرسول وفي ٢٥ منه عيد ميلاد سيدنا يسوع المسيح وفي ٢٦ منه عيد السيدة والقديس اسطفانوس وفي ٢٧ منه عيد مار يوحنا الانجيلي. كانون الثاني في اليوم الأول منه عيد ختانة المسيح وفي السادس منه عيد

الغطاس. شباط في الثاني منه عيد دخول المسيح للهيكل وفي التاسع منه عيد مار مارون البطريرك. آذار في ١٩ منه عيد مار يوسف خطيب مريم وفي الخامس والعشرين منه عيد بشارة العذراء. أيار في أوله عيد فيلبس ويعقوب الرسولين. حزيران في الرابع والعشرين منه عيد ميلاد يوحنا المعمدان وفي ٢٩ منه عيد القديسين بطرس وبولس. تموز في الخامس والعشرين منه عيد يعقوب بن زبدي الرسول. آب في السادس منه عيد التجلي وفي الخامس عشر عيد انتقال العذراء وفي الرابع والعشرين عيد برتلماوس الرسول. أيلول في الثامن منه عيد ميلاد العذراء وفي الرابع عشر عيد ارتفاع الصليب وفي الحادي والعشرين عيد متى الرسول وفي التاسع والعشرين عيد ميخائيل رئيس الملائكة.

وأما الأعياد المنتقلة فهي عيد القيامة وثانيه، وعيد الصعود، وعيد العنصرة وثانيه، وعيد الثالوث الأقدس في الأحد الذي بعد العنصرة، وعيد جسد المسيح وهو في الخميس الثاني بعد العنصرة، وعيد كنيسة المحل. هذه هي الأعياد اللازمة البطالة بها وحضور القداس وعلى الكهنة أن يشهروا في رعاياهم وجوب البطالة في هذه الأعياد ويجتهدوا في حفظ ذلك. انتهت أعمال هذا المجمع ولم نجد في نسخة حراش المذكورة اسم الأساقفة الذين وقّعوا عليه أو شهدوه بل قيل هناك أنه انتهى في اليوم الخامس من كانون الأول سنة ١٦٤٤م وعاد كل من المطارين إلى كرسيه والكهنة والرهبان إلى محلاتهم.

المقالة الحادية عشرة

تاريخ الموارنة في القرن الثامن عشر

الفصل الأوّل

أعيانهم الدنيويون في هذا القرن

عد ٧٤

المشايخ آل خازن وآل حبيش في هذا القرن

ذكرنا في تاريخ الموارنة في القرن السابع عشر من كانوا من آل خازن قناصل لدولة فرنسة في بيروت، وأنّ الشيخ حصن بن فياض الخازن كان في هذا المقام، وبعد وفاته صير ابنه الشيخ نوفل الخازن قنصلاً لفرنسة في بيروت وبقي في هذه القنصلية إلى أن عقد المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦م فكان الشيخ نوفل قنصل فرنسة في بيروت كاتباً فيه.

وبعد أن انتقلت الولاية على جبل لبنان من آل معن إلى آل شهاب في أواخر القرن السابع عشر كان مدبرو الأمراء الحاكمين من آل شهاب غالباً من الموارنة وأبقوا آل خازن على ولايتهم بكسروان وآل حبيش على ولايتهم بغزير وما يليها، ولما تولى الأمير يوسف علم الدين اليمني على لبنان بمساعي محمود باشا أبي هرموش كما مرّ واضطرّ الأمير حيدر موسى الشهابي الحاكم حينئذٍ أن يفرّ من وجهه سار أولاً إلى كسروان معتصماً بالمشايخ آل خازن وآل حبيش ولما تقوى عليه

عسكر الأمير يوسف علم الدين ودخلوا غزير وأحرقوها ترك الأمير حيدر عياله في كسروان فخبأهم المشايخ آل خازن في بعض قراهم، وكانوا يقدمون خفية كل ما يلزم لنفقتهم ونفقة الأمير حيدر الذي اختبأ مع بعض خواصه في الهرمل، ثمّ لمّا سئمت نفوس أعيان البلاد ولاية الأمير يوسف علم الدين لجأ أعيان القيسية إلى الخازنيين ليكاتبوا الأمير حيدر شهاب المذكور أن يعود إلى البلاد فيناصروه جميعاً على اليمنية فحضر الأمير حيدر إلى المتن وكان معه الشيخ خازن الخازن وبعض أبناء عمّه وحضروا معه وقعة عندارا المشهورة حيث انتصر القيسية على اليمنية وظفروا بهم ظفراً تاماً فأقرّ الأمير حيدر المشايخ على ولايتهم في كسروان وكتب لهم الأخ العزيز، وكان في المصطلحات في تلك الأيّام أن يفرقوا بين طبقات الناس أن يكتبوا إليهم عزيزنا أو محبّنا أو أعز المحبين أو الأخ العزيز.

وفي ١٧٢٥م تولى الشيخ عبدالله بن فاضل الخازن ناحية عكار ولما كان راجعاً من دير قزحيا إلى كسروان التقاه نحو ثلاثين رجلاً من المشائخ الحمادية وأتباعهم وأرادوا إهانته لأنّه تولّى الناحية المذكورة وهم يدّعون أنّ لهم حق الولاية عليها فعاونه عليهم الرهبان فتملّص منهم. وشكا آل خازن الحمادية إلى والي طرابلس سليمان باشا العظم فأرسل عسكراً فنكل بالحمادية، ولكن نهب عسكره بلاد جبيل والبترون (عن سجل الرهبنة اللبنانية)، ولما اضطرّ البطريرك يعقوب عواد أن يبارح كرسيه قنوبين بسبب مناصرته للبطريرك كيرلس تاناس كما مرّ وأن يرقي الخوري يوسف صالح الدويهي الأسقفية ويسلمه تدبير دير قنوبين، كتب له صكاً بذلك ووقع عليه مع بعض أساقفته. وكتب له بعض آل خازن أيضاً وثيقة مشعرة برضاهم بهذه الوكالة ليتهيبه المتاولة وغيرهم، ولما عقد المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦م شهده كثيرون من آل خازن وآل حبيش وترى تواقيعهم على آخره في النسخة المطبوعة حديثاً.

وفي سنة ١٧٥٠م لما اعتدى بنو منكر الشيعة على إقليم جزين وقتلوا رجلين من أصحاب الشيخ علي جنبلاط حشد الأمير ملحم الشهابي الرجال لكبت الشيعة المذكورين فتوجّه مع الأمير الشيخ ميلان الخازن ببعض رجال كسروان وعند اشتداد القتال في جباع الحلاوة أغار الشيخ ميلان برجاله على برج هناك كان الشيعة قد اعتصموا به فأثخن فيهم وبدد شملهم فأكرمه الأمير وعظمت منزلته عنده. وفي سنة ١٧٧٠م لما افضت ولاية البلاد إلى الأمير يوسف الشهابي

وتزلف إليه المشايخ آل خازن ولى الشيخ رامح بن الشيخ حيدر بن قيس الخازن على لحفد وترنج ببلاد جبيل وجعلها اقطاعاً خاصاً به وبذريته وبقيت كذلك إلى أن الغى نظام لبنان الاقطاعات فيه.

عد ٧٥
بطرس الشدياق وابن أخيه منصور وأولاده

إنّنا ننسّق ذكر الأعيان بهذا الفصل بحسب زمان اشتهارهم وخدمتهم لولاة البلاد. فبطرس الشدياق هو من سلالة رعد الحصروني جد المقدّم خاطر الحصروني الذي تقدّم ذكره في هذا التاريخ وفهد والد بطرس الذي سمّي الشدياق ارتحل من حصرون إلى كسروان بأولاده وعائلته وأقاموا بعشقوت. وفي سنة ١٧١٥م دعا الشيخ أبو شيبان الخازن بطرس الشدياق بن فهد وعهد إليه بمحاسبة الأموال الأميرية في ولايته بكسروان ثمّ جعله دهقاناً على عقاراته لما رأى فيه من الدراية والأمانة، إلى أن توجّه الشيخ المذكور سنة ١٧٢٣م إلى دير القمر ومعه الشدياق بطرس المذكور، فرأى الأمير حيدر الشهابي الوالي حينئذٍ ما رآه أبو شيبان في بطرس المذكور فطلبه منه وأقامه رئيساً لكتبته وأحبّه لصدق خدمته واخلاصه وجعله مدبراً له. ولمّا تولّى الأمير ملحم شهاب بعد والده الأمير حيدر أبقى الشدياق مدبراً له كما كان عند والده إلّا أنّه في سنة ١٧٢٧م تغيّر عليه لوشايات رفعها حساد الشدياق إليه فوضعه في محرس منفرداً دون أن يكشف له سبب تغيّره عليه فعظم الأمر على الشدياق حتى أخرجه عن دائرة رشده، واذ كان يوماً بالكنيف ضرب بطنه بسكين فخرقه وأغمي عليه، ولما أبطأ كشفه الحارس فرآه مطروحاً على الأرض وأعلم الأمير بذلك وأمر بإحضار طبيب عالجه فلم يشفَ، وكان مدبراً للأمير حيدر سبع سنين ولابنه الأمير ملحم ثماني سنين، وكان له ابنان ظاهر وخطّار قبض الأمير ملحم عليهما وعلى ابن أخيه منصور وضبط مالهم وخيلهم، ثمّ أمر بإطلاقهم وارجاع بعض عقارهم، لكنّه وهب داري بطرس وابن أخيه منصور بعشقوت للشيخ أبي صليبي مرعب الخازن، فارتحل منصور إلى حارة الحدث ببعض أقربائه فتوطنوها وسكن ظاهر وخطار ابنا بطرس في بيروت.

وفي سنة ١٧٤١م سار منصور بأهله إلى بعلبك فخدم الأمير حيدر الحرفوش واستأجر منه أرضاً للزراعة، وقد قتل مصادفة أحد أقربائه رجلاً متواليّاً فطيب الأمير حيدر قلب منصور وأقربائه وأمر المتاولة أن لا يسوموهم ضراً ومن خالف أمره قتله، لمحبته لمنصور لاستقامته في تدبير أموره ولسعيه بالصلح بينه وبين الأمراء الشهابيين. وسنة ١٧٤٣م رجع منصور بأقربائه إلى حارة حدث بيروت، وسنة ١٧٥٧م أقامه الأمير ملحم الشهابي مدبراً لابن أخيه الأمير قاسم عمر وأرسلهما إلى دار السلطنة يلتمسان للأمير ملحم ولاية جبل الشوف وكسروان، وللأمير قاسم ولاية بلاد جبيل. ولمّا عرف بذلك الأمير منصور الشهابي أمر بقطع الأشجار التي لمنصور الشدياق في الحازمية ونال الأمير قاسم ومنصور أمراً سامياً إلى والي دمشق ليجيبوا الأمير إلى مطلوبه، لكن توفي والي دمشق قبل الإجابة فيئس الأمير قاسم من الفوز وصالح عمّه الأمير منصوراً وعوّض منصور الشدياق عما تلف له أو تكلف بيوتاً وعقاراً في قب الياس وأبقاه في خدمته، فسعى بعض المشايخ بتغيره على منصور وقتله. وكان منصور مأذوناً له أن يفتح الكتب الواردة للأمير ففتح ذاك الكتاب ثمّ ختمه وأعاده إلى الرسول فدفعه إلى الأمير فلم يخف الأمير ما فيه على منصور وطيّب قلبه، فقال له منصور لا تلقى خيراً عند عمّك الأمير منصور ما دمت أنا في خدمتك، واستأذنه بأن يفارقه ويتوجّه إلى بلاد بشاره، فأبى الأمير وألحّ منصور فرضي الأمير وأكرمه ودفع إليه كتاب توصاة إلى والي تلك البلاد، فارتحل منصور بأقربائه إلى قرية عين إبل فسكنها مدّة ثم انتقل إلى رميش، وسنة ١٧٦٣م دعاه الأمير قاسم إليه فأتى إلى حارة الحدث وعاد إلى خدمة الأمير قاسم مدبراً كما كان.

ومرض الأمير قاسم سنة ١٧٦٨م فجعل منصوراً وصياً على أولاده ودهقاناً لأملاكه، ثمّ استقال من الأمير منصور من هذه الوصاية سنة ١٧٧٠م فاستدعاه الأمير أفندي وأخوه الأمير سيّد أحمد الشهابيان واتّخذاه مدبراً لحكومتهما وبقي كذلك إلى أن فرّ الأمير سيّد أحمد شهاب سنة ١٧٨٥م من وجه أخيه الأمير يوسف إلى حوران فسار منصور معه فأمر الأمير يوسف بقطع الأشجار التي له في الحازمية. وسنة ١٧٩٣م توفي منصور الشدياق بن جعفر وعمره سبع وستون سنة ودفن بحارة الحدث وله ثلاثة أولاد فارس ويوسف وسليمان.

أمّا فارس فاستدعاه الأمير يوسف الشهابي الوالي إلى خدمته سنة ١٧٨٦م وكان الشيخ سعد الخوري مدبّر الأمير المذكور يحب فارساً كثيراً فأحبّه الأمير

يوسف ولـمّا مرّ الأمير يوسف ببلاد بعلبك سنة ١٧٨٨م مطروداً من الأمير بشير قاسم الشهابي الذي كان قد أخذ الولاية أرسل الأمير جهجاه الحرفوش يقول للأمير يوسف تحوّل عن بلادي أو صليت عليك القتال، فارتبك الأمير يوسف بالجواب فقال فارس للأمير يوسف الجواب عندي. وشتم الرسول وضربه بدبوس من حديد وقال له اذهب فقل لأميرك من أنت حتى تمنع الأمير يوسف عن المرور فهو يأمرك أن تقوم حالاً من بلاد بعلبك أو فاجأك برجاله. ولما بلغ الأمير جهجاه هذا الجواب فرّ هارباً إلى بلاد الشرق وظلّ الأمير يوسف سائراً إلى الزبداني ثمّ إلى حوران، وأمر فارس الشدياق أن يقيم بدمشق وكيلاً له، ولـمّا وعد الجزار الأمير يوسف بردّه إلى الولاية وحضر لديه إلى عكا كتب الأمير يوسف إلى فارس أن يلحقه إلى عكا فتوجّه ومعه خمسة عشر فارساً فأغار عليهم في الطريق عرب عنزه والسردية فقاتلهم قتالاً شديداً وقتل بعضهم لكنّهم استظهروا عليه أخيراً وراموه عن جواده إلى الأرض، فنثر لهم نقوداً ألهاهم بها وفرّ من بينهم إلى قعدان البعيش شيخهم مستجيراً به فأجاره على عادة العرب، وردّ له ولفرسانه كلّ ما سلب منهم، ولم يمكن ورثة القتلى من العرب من مضرة نزيله. وسأله فارس أن يصحبه بمن يوصله إلى إقليم البلان فأصحبه بخمسين فارس، وعند وداعه قدّم له فارس سيفه وكان ثميناً، وسار متنكراً إلى عكا خوفاً من الأمير بشير. وسنة ١٧٩٠م لـمّا حضر الشيخ غندور الخوري إلى عكا يسأل الجزار الولاية للأمير يوسف أنعم عليه بها وأمره أن يبقي الشيخ غندوراً رهناً عنده وأن يأخذ فارس الشدياق مدبراً له فكان كذلك. وفي سنة ١٧٩٨ دعا الأمراء أولاد الأمير يوسف فارساً بن منصور الشدياق لخدمتهم فأقام عندهم واستمرّ فارس في خدمتهم ثمّ خدمة الأمير بشير إلى أن توفي سنة ١٨١٧م.

عد ٧٦

الشيخ سعد الخوري وابنه الشيخ غندور

إنّ أسرة الخوري تنسب إلى الخوري صالح من عائلة مبارك. ارتحل الخوري صالح المذكور من كسروان إلى قرية رشميا سنة ١٧٠٠م، ويقال إنّ الخوري عبدالله من هذه الأسرة كان مع الأمير حيدر الشهابي الوالي في وقعة عندارا سنة ١٧١١م،

وقبض على أميرين من اليمنية فأقطعه الأمير حيدر قرية رشميا ورفع عنها المال الأميري، وتعاقب الكهنة من هذه الأسرة واحدهم الخوري عبدالله ولد غندور، وغندور ولد الشيخ سعد، وسعد ولد الشيخ غندور اللذين نكتب ترجمتهما. فلمّا تولّى الأمير يوسف الشهابي سنة ١٧٧١م اتّخذ الشيخ سعداً ابن غندور مدبراً له فأحرز ثقته وعظم اعتباره لدى الأمير المذكور ولدى ملّته المارونية بل لدى الكرسي الرسولي كما سيأتي.

في تلك السنة اجتمع المشايخ آل حمادة ودهموا الأمير بشير حيدر الشهابي في العاقورة وهو يجبي الأموال الأميرية وعاونه عليهم شيخا بشري واهدن وغيرهما من أهل البلاد، ولـمّا علم الأمير يوسف بذلك أرسل مدبّره الشيخ سعد بعسكر من قبل الجزار ومن رجال البلاد فأدرك الشيخ سعد المتاولة بقرية دير بعشتار فأغار عليهم وحاربهم من الظهر إلى المساء، فظفر بهم وفرّ الباقون مدحورين فتتبعهم الشيخ سعد إلى القلمون وأهلك منهم نحو مائة رجل، وقبض على الشيخ أبي النصر حمادة. وفي سنة ١٧٨٣م رهن الأمير يوسف عند الجزار مدبّره الشيخ سعد الخوري وأحضر ابنه الشيخ غندور سنة ١٧٨٤م وجعله مدبراً له عوضاً عن أبيه. وسار الجزار إلى الحج فأخذ الشيخ سعد معه إلى دمشق فاعتراه مرض ولـمّا عاد الجزار من الحج سأله أن يرخّص له بالعود إلى بلاده لمرضه فرخّص له فحضر الشيخ سعد إلى جبيل ثمّ إلى زوق مصبح طلباً للتداوي عند جبور الجلدي الحلبي الماروني جدّ عائلة طبيب، فلم ينجع به العلاج فعاد إلى جبيل وتوفي بعيد ذلك سنة ١٧٨٥م وعمره ثلاث وستون سنة وقد رثاه المعلّم الياس اده بأبيات مطلعها:

فلا ريب بعد السعد لا شيء فاخرٌ   وقد قرحتْ بالدمع منا المحاجرُ

والمصرع الأوّل في هذا البيت ختم به رثاءه وجعله تاريخاً لوفاته لكن مجموع حروف هذا المصرع بحساب الجمل سنة ١٧٨٦م.

وكان الشيخ سعد علماً للملة المارونية وعضداً لها وكان في أيّامه ابعاد البطريرك يوسف اسطفان إلى الكرمل بأمر البابا بيوس السادس بسبب الراهبة هندية، فرفع الشيخ سعد عرائض إلى الحبر الروماني وبعض كرادلة الكنيسة الرومانية مؤرخة في ١٥ آذار سنة ١٧٨٤م ملتمساً إرجاع البطريرك إلى كرسيه مبرئاً ساحته مما قذف به، وأوعز إلى أساقفة الملة ورؤساء الرهبانيات والمشايخ فاقتدوا به، وأرسل

الشيخ سعد الخوري يوسف التيان تلميذ مدرسة الموارنة برومة إلى البابا وأصحبه برسالتين من الأمير يوسف حاكم البلاد إحداهما إلى الحبر الروماني والثانية إلى مجمع نشر الإيمان مبرئاً البطريرك مما طعن عليه ومترجياً عوده إلى مقامه. وترى صور هذه الرسائل مأخوذة عن السجلات البطريركية في كتاب سلسلة بطاركة الموارنة الذي طبعه المعلم رشيد الشرتوني في سنة ١٩٠١م. وكتب أيضاً الشيخ سعد رسائل أخرى بهذا الصدد إلى الكردينال رئيس المجمع المقدّس وإلى المنسنيور بورجيا كاتب المجمع وإلى الكردينال ديرنس وغيرهم. وترى نسخ هذه الرسائل في الكتاب المذكور مع صورة جواب البابا بيوس السادس للشيخ سعد الخوري حيث يفتتحه بقوله: «إلى الإبن الحبيب والرجل الشريف الحسيب السلام والبركة الرسولية» حيث أفاض الكلام معه بما أخذ فيه على البطريرك، وانّه لما كان أقرّ بغلطه وعرف سوء تصرّفه أمر البابا بعوده إلى مقامه خاصة حباً بالطائفة المارونية لتشبثها الدائم بعرى الإيمان الكاثوليكي. وتاريخ هذا الجواب ٢٨ أيلول سنة ١٧٨٤م. ولـمّا توفي الشيخ سعد وبلغ خبر وفاته إلى رومة كتب الكردينال أنطونلي رئيس مجمع نشر الإيمان المقدّس رسالة إلى البطريرك يوسف اسطفان يعزيه وطائفته فيها بهذه الخسارة العظيمة ويبين أمانيه بأنّ ابنه الشيخ غندور يخلفه بوجاهته وغيرته. وترى صورة هذا الجواب في الكتاب المذكور أيضاً. أمّا الشيخ غندور بن سعد فلم يكن أقل ذكاءً وغيرة ووجاهة من أبيه وكان الأمير يوسف اتّخذه مدبراً له منذ رهن أباه عند الجزار كما مرّ، وقد أحسن الخدمة وتناهى بالاخلاص لمخدومه وجدّ في السعي لراحة مواطنيه ونجاحهم، وقد أرسل البطريرك يوسف اسطفان بطريرك الموارنة يومئذٍ الخوري أنطون القيالي البيروتي إلى باريس سائلاً الملك لويس السادس عشر أن ينعم بقنصلية فرنسة على الشيخ غندور فتكرّم الملك عليه بها سنة ١٧٨٧م فكان قنصلاً لفرنسة ومدبراً لحكومة جبل لبنان. ويظهر أنّ الأمير يوسف كان قد كتب إلى ملك فرنسة يسأله أن ينعم على الشيخ غندور بالقنصلية وأن يواصل حمايته للموارنة كما يظهر من براءة الملك بإيلاء الشيخ غندور هذا المنصب المحفوظة في خزائن البطريركية وترى نسخة منها في كتاب المعلّم رشيد المار ذكره في خزائن البطريركية أيضاً صورة رسالة كتبها الأميرال دي كاستريس الفرنساوي إلى الأمير يوسف جواباً عن عريضة للملك بها بيّن له سرور الملك برسالته ودوام حمايته للموارنة وترى صورة هذا الجواب أيضاً في كتاب المعلّم رشيد المذكور.

وللشيخ غندور أيادي جزيلة على أهل لبنان ولاسيما أبناء ملّته المارونية وفي جملة مساعيه النافعة لهذه الملّة إغراؤه البطريرك يوسف اسطفان على تحويل دير عين ورقة الذي كان أقرباؤه قد أنشأوه لسكنى الراهبات مدرسة إكليريكية عامّة للموارنة. وفي خزائن أوراق البطريركية المارونية رسالتان أنفذهما الشيخ غندور إلى البطريرك يوسف اسطفان يرجوه ويحثّه فيهما على جعل هذا الدير مدرسة للموارنة. ويظهر أنّ البطريرك تردّد في الإجابة عندما وردت عليه الرسالة الأولى فانثنى الشيخ غندور مبيناً له لزوم هذا الأمر ومنافعه الجمّة وسهولة وضعه بالعمل لأنّ الدير خاص بعائلته. ومن جملة ما قاله في هذه الرسالة الثانية بحروفه: «ما هي الإفادة إذا راحوا ثمان راهبات من عين ورقة إلى السماء وكان إكليروس ينوف عن ثلاثة آلاف لا يحسنون قراءة الإنجيل». فقنع البطريرك وأقنع أقرباءه ودوّن صكاً مؤرخاً في ١٤ كانون الثاني سنة ١٧٨٩م بتحويل هذا الدير إلى مدرسة وترى صورة رسالتي الشيخ غندور هاتين بحروفهما في كتاب سلسلة بطاركة الموارنة المذكور على أنّ صكّ تحويل دير عين ورقة مدرسة الذي ذكر في الكتاب المذكور ليس هو الصك الذي دوّن بذلك متضمناً قانون المدرسة ونظامها إلى غير ذلك ولـمّا عقد البطريرك يوسف اسطفان بأمر البابا بيوس السادس مجمع عين شقيق سنة ١٧٨٧م كان الشيخ غندور حاضراً به لأنّ الحبر الأعظم كان قد أمر أن يحضره سعد الخوري والده ويكون مساعداً على تنفيذ الأوامر الرسولية. ولـمّا كان سعد قد توفي فأقيم ابنه مقامه وكتب الشيخ غندور إلى مشايخ الموارنة أن يشخصوا إلى هذا المجمع بحسب أمر البابا ودعوة البطريرك فلبى أكثرهم الدعوة ورفعوا إلى الشيخ غندور كتاباً يسألونه به أن تكون له العناية بأن يأمر هذا المجمع بإقامة المطارين عند السيّد البطريرك في قنوبين وبكركي ويمضون وقتاً بعد وقت لزيارة أبرشياتهم وسندوا ذلك إلى جملة اعتبارات فأمر هذا المجمع بذلك ولكن لم يحسن لدى الكرسي الرسولي أن يجيبهم إلى طلبهم بل آثر أن يقيم كل أسقف في أبرشيته كما رسم بالمجمع اللبناني. وسنأتي على ذكر هذا المجمع.

وقد سعى الشيخ غندور بطبع المجمع اللبناني فطبع الطبعة الأولى في دير القديس يوحنا بالشوير، وقد ولاه الأمير يوسف على مجدل معوش ووادي الست وبحمدون وعين تراز مدّة، ولـمّا ردّ الجزّار الأمير يوسف الشهابي إلى ولاية لبنان سنة ١٧٩٠م رهن عنده ولده الأمير حسين ومدبّره الشيخ غندور ولم يلبث الجزار

أن أعاد الأمير بشير قاسم إلى الولاية فأخذ يشكو من أنّ دسائس الأمير يوسف تمنعه من إجراء الأحكام وجباية المال فأمر الجزار بشنق الأمير يوسف الذي كان باقياً في عكا وشنق مدبّره الشيخ غندور كما مرّ. وقيل إنّ الشيخ غندور لم يشنق بل مات خوفاً فكذا يزول مجد العالم.

عد ٧٧
المشايخ آل الضاهر

أنبأنا العلّامة البطريرك الدويهي أنّ أصل هذه الأسرة من بيت الرز الذين كان منهم ثلاثة بطاركة وأنّهم عندما دكّت أهل إهدن منازل من اتبع اليعاقبة في بقوفا هاجر بيت الرز إلى كفرحورا بالزاوية في القرن السادس عشر وهم متشبّثون بالإيمان القويم وما زال اعقابهم إلى اليوم حكاماً على زاوية رشعين يقومون بمعاضدة الكرسي البطريركي بكل جهدهم كما يفعل الآن الشيخ أبو شديد ضاهر خليفة الشدياق أنطونيوس بن الرز . انتهى كلام الدويهي. وفي القرن الثامن عشر استمرّوا حكاماً للزاوية كان يوليهم عليها والي طرابلس أو ولاة لبنان. وفي سنة ١٧٥٠م كتب لهم الأمير ملحم الشهابي الأخ العزيز كباقي مشايخ لبنان الكبار، وكان منهم الشيخ كنعان الظاهر وكان مشهوراً بشجاعته وإقدامه ونخوته. ويروون عن فراسته روايات غريبة وكانت بينه وبين بعض الطرابلسيين محاسدة وخصام فشكوه سنة ١٧٤١م إلى عبد الرحمان باشا والي طرابلس فقبض عليه وألقاه في السجن وعرض عليه أن يسلم فأبى وأكثر له من الوعد إذا طاوعه ومن الوعيد إذا خالفه فاستمرّ مجاهراً بإيمانه لا يحيله عنه حائل وتيقّن أنّ الباشا مصمّم على قتله فاحتال حتى اجتمع بالخوري ميخائيل من إهدن فاعترف عنده اعترافاً عاماً ويسّر له الله أن يناوله القربان المقدّس زاداً أخيراً وبعد ذلك أمر الباشا بقطع رأسه عند باب التباني فنفذ الأمر والتقليد الذي ينقله الشيوخ أنّ الله صنع آيات كثيرة إلى من زاروا مدفنه وأنّ بعض النصارى قطعوا يده بعد مقتله ووضعوها في كنيسة العذراء المعروفة بسيدة الحارة في طرابلس فأجرى الله آيات لمن تبرّكوا بها ولا نعلم أهو كنعان ضاهر الوارد اسمه في جملة أعيان الموارنة الذين شهدوا المجمع اللبناني أم غيره. ويترجح عندنا أنه هو هو إن صحّ أنّ مقتله كان سنة ١٧٤١م. واستمرّ آل الظاهر على إقطاعهم الزاوية

يولي الأمراء الحاكمون واحداً منهم عليه إلى أن ألغى نظام لبنان الاقطاعات سنة ١٨٦١م.

عد ٧٨
المشايخ آل الدحداح

إنّ هؤلاء المشايخ ينتسبون إلى جرجس الدحداح من العاقورة، وفي مبادئ هذا القرن الثامن عشر كان أحدهم الشيخ يوسف ابن الخوري جرجس ضليعاً في اللغة التركية حسن الخط بها وباللغة العربية، فاستخدمه الأمير حسين الحرفوش، ثمّ انتقل إلى خدمة الشيخ اسماعيل حمادة فوهبه بعض عقارات في عمل الفتوح فارتحل نحو سنة ١٧٠٥م إلى الكفور بالفتوح ثمّ إلى عرمون بكسروان. وتوفي يوسف المذكور سنة ١٧١٢م وكان ابنه موسى قد استخدمه الأمير منصور شهاب سنة ١٧٦١م، وبقي أخواه سليمان ومنصور يخدمان أولاد الشيخ اسماعيل حماده المذكور كأبيهما، وعلّم موسى ابنيه نصيفاً وسلوماً اللغة التركية وأجاد نصيف الخط والانشاء. وفي سنة ١٧٦٣م اتّفق موسى وأخوه منصور مع الشيخ سعد الخوري على طلب ولاية بلاد جبيل للأمير يوسف الشهابي وبذلا ما بوسعهما من هذا القبيل. ولمّا نجح هذا المسعى وتولى الأمير يوسف بلاد جبيل والبترون استخدم الأمير يوسف ابني أخيهما سليمان وهما يوسف ونادر مع كتبة ديوانه وجعل ناصيف بن موسى جابياً للمال الأميري، واستحضر أخاه سلوماً من خدمة زوجة الأمير مراد منصور شهاب وعيّنه بخدمته. وفي سنة ١٧٧١م جعل الأمير يوسف عمل الفتوح عهدةً لبني الدحداح ولمّا أرسل أخاه الأمير حيدراً عاملاً على بلاد جبيل أرسل معه بعض المشايخ الدحادحة، ولمّا حاصره أخوه الأمير سيّد أحمد في قلعة جبيل نجده المشايخ برجال الفتوح فأنعم عليهم الأمير يوسف ببعض عقارات في ساحل بلاد جبيل. وفي سنة ١٧٨٠م توفي الشيخ منصور بن يوسف الدحداح بعرمون فأبقى الأمير يوسف ابنه يوحنا معززاً كأبيه. ولمّا تولّى الأمير بشير الكبير البلاد سنة ١٧٩٠م وانهزم الأمير يوسف إلى نواحي دمشق كان مع الأمير يوسف بعض المشايخ الدحادحة، ولمّا نزل إلى عكا وحبسه الجزار وحبس من كان معه من الدحادحة وهم سلوم ويوسف وابراهيم فطلبهم الأمير بشير من الجزار وحبسهم في دير القمر، وطلب أحدهم

نصيفاً من أخيه الأمير حسن فانهزم بعياله إلى الضنيّة. ولمّا تولى الأمير حيدر والأمير قعدان سنة ١٧٩٢م أخرجا المشايخ الدحادحة من السجن ثمّ تولّى أولاد الأمير يوسف فاستعملوا المشائخ المذكورين في الكتابة لهم. ثمّ تولى الأمير بشير الكبير سنة ١٧٩٥م ففرّ الشيخ سلوم الدحداح باخوته مع أولاد الأمير يوسف إلى جبيل فكتب إليه الأمير بشير يهدده بأنّه إذا لم يرجع باخوته من جبيل إلى خدمته يأمر بهدم مساكنهم بعرامون وبقطع أشجارهم. فرجع الشيخ سلّوم إلى خدمة الأمير بشير واخوته إلى خدمة أخيه الأمير حسن. ولمّا تغلّب أولاد الأمير يوسف على الأمير بشير سنة ١٧٩٩م وانهزم الأمير بشير وأخوه الأمير حسن إلى الحصن صحبهما من آل الدحداح سلوم ويوسف وابراهيم ومنصور ابن سلّوم ثمّ توجّه الأمير بشير إلى مصر لمقابلة الصدر الأعظم بواسطة الأميرال سميث الانكليزي فصحبه الشيخ سلوم وبقي يوسف وابراهيم ومنصور ابن سلوم مع الأمير حسن في الحصن، وبقي بعض آل دحداح في خدمة الأمراء الشهابيين في القرن التاسع عشر كما سترى في تاريخه.

عد ٧٩

مشايخ جبة بشري وطردهم المتاولة منها

قد مرّ ذكر كثيرين من حكام جبة بشري في القرون السابقة كالشدياق خاطر الحصروني ومقدّمي بشري والشيخ أبو كرم الحدثي وأبو جبرائيل يوسف وأبو كرم بشاره جدّ آل كرم من إهدن وغرضنا الآن الكلام على من كان من مشائخ هذا العمل في القرن الثامن عشر. قد رأيت في ما مرّ أنّ المشايخ آل حمادة المتاولة تولوا مرات بلاد جبيل والبترون وجبة بشري وعزلوا أو طردوا من هذه الولاية، إلا أنّه في أواخر القرن السابع عشر أي سنة ١٦٩١م قرّر محمّد باشا والي طرابلس المشايخ الحمادية على إقطاعاتهم فتولى الشيخ حسين بن سرحال على بلاد البترون وابنه الشيخ اسماعيل على الكورة، والحاج موسى بن أحمد حمادة على الجبة، وأولاد حسن ديب على الضنيّة. ولكن في سنة ١٦٩٢م غيّر والي طرابلس من كان سالفه قد ولاهم فنصب في بلاد جبيل حسين آغا بن الحسامي، وفي بلاد البترون المقدّم

قيدبيه ابن الشاعر، وفي الزاوية والجبة الشيخ ميخائيل بن نحلوس من إهدن ابن أخت كرم أبي بشاره وهو من قيل عنه في الأغاني الشعبية:

يحرس دينك يا نحلوس   حميت الضيعة بالدبوس
جامع رشعين هديته   وفي زغرتا دقّيت ناقوس

إلى أن اغتال رجل متوالي اسمه ابن الشقراني الشيخ المذكور في الضنية وعادت الولاية على الجبّة إلى بيت أحمد حمادة، فكانت فتنة بينهم وبين الشيخ عبد السلام ابن الشيخ اسماعيل حمادة فهزمهم عبد السلام إلى الهرمل سنة ١٧٠٣م، وأقام في الجبّة نحو أربعين يوماً، وحضر إليه بعض وجوهها خيفة من شرّه وفرّ بعضهم، وفرض ضريبة على قرى الجبّة ومن لم يدفع ما أصابه منها أخذ رجاله طاسات النساء وسلاح الرجال والمؤن. وكتب إلى طرابلس يلتمس الولاية على الجبّة فلم يعطها حينئذٍ. وفي سنة ١٧١٥م حكم جبّة بشري أولاد أبي محمّد عيسى وأولاد عمّهم حسين المشطوب مشتركين ثمّ قسّموا البلاد مناصفة فأخذ حسين من أبي محمّد عيسى بشري وقنوبين وقيطو وبزعون، وأسعد ابن أخيه موسى أخذ حصرون وكفرصغاب وبلوزا وتولا وكرمسدي وراسكيفا، وأخذ أولاد حسين المشطوب النصف الآخر وكانوا ثلاثة وهم أبو ناصيف وأبو حسين وأبو قاسم فأخذ أبو ناصيف إهدن وحدها، وأبو حسين صالح أخذ عين طورين ومزرعة التفاح وبنشعي وقنات وبرحليون وحماطورا وكفرصارون وبيت زعيتر في بان، وأخذ أخوهما أبو قاسم دير قزحيا وحدشيت وبقاعكفرا، وكان في حكومتهم شيء من العدل والإستقامة واقتنوا أملاكاً سموها بكاليك مزيارا وسبعل وسرعل ووطا الرامات وكفرفو وبان وحوقا وثلث سرعل ودير نهرا والحدث وطرذا وبقرقاشا ونيحا وبنهران ومتريت. على أنّ أولاد هؤلاء المشايخ لم يسلكوا مسلك آبائهم بل عكفوا على السلب والنهب والجور حتى القتل. ومن سنة ١٧٥٠ إلى سنة ١٧٥٩م سلبوا راحة الأهلين ونكّدوا عيشهم وقتلوا كثيرين. وكان حينئذٍ من مشايخ القرى المشهورين الشيخ جرجس بولس من إهدن والشيخ عيسى الخوري والشيخ حنا ضاهر كيروز من بشري والشيخ أبو سليمان عواد من حصرون والشيخ أبو يوسف الياس من كفرصغاب والشيخ أبو خطار من عين طورين

والشيخ أبو ضاهر من حدشيت. فائتمر المشايخ المتاولة على قتلهم فقتلوا منهم الشيخ أبا ضاهر من حدشيت واغتالوا كثيرين من وجوه الأهلين، وحملتهم الجسارة على أن يرسلوا ليقبضوا على المطران يواكيم يمين من إهدن فلم يكن أهل الجبة ليطيقوا هذا الجور ولا ليتحمّلوا هذا الذل والعار فالتقى أهل إهدن رجال المتاولة الآتين للقبض على المطران، وأوقدوا عليهم النار وأشغلوا بهم السيوف وطردوهم وتتبّعوا أثرهم إلى درج قنوبين وخيّم الظلام بينهم. وفي النهار التالي غصّت إهدن بالآتين إليها من باقي القرى وقدس المطران يواكيم بكنيسة القديس جرجس بإهدن وحلف جميعهم يمين الأمانة وعدم الخيانة، وقبضوا على رجل متوالي واشتركوا في قتله جميعاً، وجعلوا مشايخ القرى المار ذكرهم مشايخ لهم وحكاماً عليهم مكان المشايخ المتاولة، وأبقوا قسمة قرى البلاد كما كانت في أيّام المتاولة. ونزل هؤلاء المشائخ إلى طرابلس وكان واليها حينئذٍ عثمان باشا الكرجي فالتزموا أي استأجروا منه قرى بلادهم ودفعوا المال المرتب عليها وكان ذلك سنة ١٧٥٩م.

وأقام هؤلاء المشايخ ثلاثة بكباشية من البلاد وهم بشاره كرم من إهدن وأبو ضاهر الفرز من بشري وأبو الياس العفريت من حصرون وعيّنوا رجالاً من البلاد للمحافظة، وكان عثمان باشا والي طرابلس يشجّعهم ويمدّهم بالمساعدات لكثرة ما كان المتاولة يقدمون عليه من التعديات في الزاوية وحدود طرابلس، وكان المشايخ يلتزمون قراهم منه ولذلك كانوا يسمونهم ملتزمي جبة بشري. وسنة ١٧٦١م هاجم المتاولة قرية بشري آتين من بعلبك إذ كان بعض المشايخ والأهلين في الساحل فدخلوها وقتلوا منها أبا ضاهر الفرز البكباشي، وجبور أصيلة، وأبا أنطونيوس سكر، وأبا رزق جعجع، وجبّور رحمة ونهبوا القرية ثمّ رجع المتاولة ثانيةً من بلاد بعلبك وبلاد جبيل بنحو ألفي رجل فالتقاهم مشايخ الجبة في أرض بشري وانتشب القتال بين الفريقين نحو ثماني ساعات ودارت الدوائر على المتاولة فانذعروا وقتل منهم اثنا عشر قتيلاً. وفي سنة ١٧٦٣م سيّر عليهم والي طرابلس محمّد باشا ابن عثمان باشا المذكور عسكراً إلى جبّة المنيطرة وقسمه إلى قسمين: أرسل فريقاً على طريق الجبل وكان معهم بشاره كرم البكباشي المذكور ورجاله، وفريقاً على طريق الساحل وكان معهم الشيخ ضاهر حاكم الزاوية ويوسف الشمر من كفرحاتا، فعسكر الجبل شتت المتاولة فهرب بعضهم إلى ناحية بعلبك وفرّ بعضهم في وادي

الميحال نحو الساحل فالتقاهم العسكر الآتي من الساحل فنكّل بهم وأحرق مزارعهم التي كانت بساحل جبيل، ولكن بينما كانِ بشاره كرم عائداً مع رجاله تحت المغيرة كمن له بعض المتاولة فقتلوه وستة من رجاله.

وفي سنة ١٧٦٤م توجّه مشايخ الجبّة إلى الأمير منصور الشهابي فولاهم على بلادهم وأمدّهم أيضاً بمحافظين لردع المتاولة عن التعدي فلم يكن ذلك كافياً لكبتهم عن إقلاق أهل البلاد إلى أن كان ما ذكرناه في عدد ١٠٤٢م من أنّ المشايخ الحمادية دهموا الأمير بشير حيدر نائب الأمير يوسف الشهابي في بلاد جبيل وهو في العاقورة ومعه شيخا بشري واهدن فقاتلهم وظهر عليهم وأبعدهم عن العاقورة، ثمّ حضر لنجدته رجال الجبة وبلغ الخبر الأمير يوسف فوجه مدبره الشيخ سعد الخوري بعسكر فأدركهم الشيخ سعد في دير بعشتار وأثخن فيهم وظلّ يطردهم إلى القلمون وكان ذلك سنة ١٧٧٧م. وعلى هذا النحو استمرّ مشايخ الجبة المذكورون يحكمون بلادهم أي بيت كرم في إهدن وما يليها، وبيت حنا ضاهر وبيت عيسى الخوري في بشري وما يليها، وبيت أبي سليمان عواد في حصرون وما يليها، وبيت أبي يوسف الياس بكفرصغاب وما يليها، وبيت أبي خطّار بعنطورين وما يليها، كما كانت القسمة في أيّام المتاولة إلّا بعض تغيّرات. وكان حكام البلاد يولون من اختاروه من كل من هذه البيوت على إقطاعاتهم إلى أن ألغيت الإقطاعات بحكم نظام لبنان سنة ١٨٦١م ووضع المشايخ يدهم على بكاليك المتاولة واستمرّوا على ذلك إلى أن صالح المشايخ أهل القرى البكاليك على حقوقهم بها أو باعوهم هذه الحقوق. انتهى عن كتاب تاريخ لأحد هؤلاء المشائخ أنطونيوس أبي خطار واعتماداً على التقليد المحفوظ في هذه البلاد.

عد ٨٠

المشايخ أبناء ادّه وغيرهم

أصل هذه الأسرة من ادّة إحدى قرى بلاد جبيل وأوّل من عرفناه من وجوهها هو الشيخ يوسف إدّه خدم الأمراء آل معن في آخر مدّتهم ثمّ انتقل إلى خدمة الأمراء الشهابيين فنال حظوة لديهم ودعوه شيخاً وكان متزوجاً بامرأة من

أسرته اسمها قمرة ولها أخوان منصور وبطرس إدّه استدعاهما إليه وأدخلهما على الأمراء الشهابيين فسروا بذكائهما وحديثهما ورأوا فيهما ملامح النجابة والأمانة والفراسة واختصّوهما بخدمتهم واكرامهم، فخدم الشيخ منصور الأمير منصور الشهابي فأقامه على تدبير شؤونه وأملاكه، وجعل بطرس رئيس الشرط. ولما أفضت ولاية الجبل وبيروت إلى الأمير يوسف الشهابي في حياة عمّه الأمير منصور عظم أمر أبناء ادّة وكان منصور معدوداً من أهل السيف والقلم، وأمّا أخوه بطرس فاشتهر بالسيف أكثر من اشتهاره بالقلم. ومن مساعيهما الحسنة بناء كنيسة القديس جرجس في بيروت للموارنة وكانت صغيرة فكبّراها بنفقتهما ونفقة مطران بيروت حينئذٍ وهو المطران يوسف فاضل، وقد كتب على مذبح هذه الكنيسة: قد تمّ بناء هذا الهيكل المبارك بسعي الشيخ منصور اده. والمعلوم أنه عاونه على ذلك أخوه الشيخ بطرس وابن أخته الشيخ الياس الآتي ذكره. ثمّ توفّي الشيخ منصور ببيروت سنة ١٧٦٩م وقبره في جانب الكنيسة المذكورة مكتوب عليه: قد درج هنا الشهير ذكره والجليل قدره الشيخ منصور ادّه الجزيل التقوى والعبادة الذي بعد أن تمّم سعي حياته البارة بعمل هذه الكنيسة وجميع أعمال البر محبوباً من الله والناس انتقل بغتة إلى مقر الراحة من هذا العالم بتحسّر، وبكاه جميع القبائل وذلك في اليوم الخامس في شهر شباط سنة ١٧٦٩م، وتوفي أخوه الشيخ بطرس ببيت شباب سنة ١٧٨٦م.

وولد ليوسف ادّه المذكور سنة ١٧٤١م ولد سماه الياس وبرع بالكتابة والإنشاء، ولما توفي أبوه سنة ١٧٦٦م خلفه في رتبته وكتب في ديوان الأمير يوسف ابن الأمير ملحم الشهابي إلى أن رآه أحد عمّال الجزّار عند الأمير يوسف فعجب من حذاقته وطلبه من الأمير يوسف فاستكتبه إلى سنة ١٧٨٦م، وغضب الجزار وقتئذٍ على ميخائيل وبطرس السكروج كاتبيه ثمّ على يوسف مارون وقتله وعيّن مكانه لكتابته الياس ادّه فأقام في خدمته مدّة راضياً عنه، ثمّ سخط عليه وأرسل جنوداً استاقوه إليه من الكنيسة يريد قتله، على أنّه تمكّن بفصاحته وحذاقته أن يستعطفه إليه فرضي عنه وأهداه محبرةً من فضة، لكن المعلّم الياس ما برح واجساً منه خائفاً على نفسه. وبعد مدّة استأذنه بأن يحضر إلى بيروت ليأخذ عياله إلى عكا فأذن له بأن يغيب شهراً وكان ذلك سنة ١٧٨٧م فأخذ يفكّر بوسيلة للنجاة من شراك هذا الظالم وعوّل على الفرار إلى حلب، فسار إليها واختبأ في

الدار الأسقفية لطائفته وأقام هناك عدّة سنين، فحنّ إلى وطنه وانتهز فرصة محاربة نابوليون بونابارت لعكا فرجع إلى وطنه ووجد الجزار ضبط أملاكه في بيروت وفي جملتها أربعة دور عند باب الدركة، فتوجّه إلى الجبل إلى بيت الدين فأكرمه الأمير بشير الكبير الشهابي ولكنّه لم يأمن على نفسه هناك من سخط الجزار، فتوطّن مدّة في جهات جبيل مستخفياً إلى وفاة الجزار سنة ١٨٠٤م. وبعد وفاته استخدمه الأمير بشير المذكور لكنّه عاد إلى بيروت يسعى في استرجاع أملاكه وأملاك أقاربه التي ضبطها الجزار فاسترجع الأملاك التي كانت في الجبل بعدالة الأمير بشير، وأقام حينئذٍ مدّة ببيروت إلى أن بلغه كتاب من مصطفى آغا متسلم طرابلس وكان من أصدقائه بأن الملك اسماعيل الكردي صاحب حمص وحماه يطلبه ليكون كاتباً عنده، فتوجّه إلى حمص فرحّب به الملك اسماعيل وأعزّه ورأسه على كتبة ديوانه وأقام هناك خمس سنين. وفي سنة ١٨١٠م كانت نفرة بين يوسف باشا كنج والي دمشق والأمير بشير كادت تفضي إلى الحرب بينهما فأرسل الملك اسماعيل المعلّم الياس اده ليسعى بالسلم بينهما ويسوي الخلاف فنجح بدرايته وأزال الخلاف، فكتب الأمير بشير إلى الملك اسماعيل يثني على مسعاه ويطلب منه المعلّم الياس ليكون في ديوانه، فأرسله الملك اسماعيل وأكرم مثواه الأمير بشير وأعزّه. ولكن غلت مراجل الحسد في قلوب أعدائه ونظرائه فسعوا به لدى الأمير بشير فتغيّر عليه وأمره أن يسكن بعبدا هو وعياله مبقياً له جعلاً سنوياً، فسكن بعبدا قرير العين إلى أن توفي بها سنة ١٧٢٧م وعمره خمس وثمانون سنة، ودفن أمام الكنيسة ونقش على مدفنه تاريخ من نظم الشيخ ناصيف اليازجي الذي كان يتردد ويتخرّج عليه بآداب اللغة وهو:

حكم الاله بما ارتضى ... واختار للفردوس عبده
والحال قال مؤرخاً ... هذا رضى الياس اده

وكان الياس اده شاعراً وله كثير من النظم ولا يخلو نظمه من أغلاط نحوية وخلل في أوزانه الشعرية ويعذر بذلك لأنّه لم يتخرّج بمدرسة بل كان يهتدي إلى النظم بالفطرة السليمة والسليقة الطبيعية.

ومنه قصيدة يمدح بها المطران جبرائيل كنيدر مطران حلب الماروني مطلعها:

أمنذرٌ ملك قد جاء للبشر   أم طالع السعد وافى داحض الكدر
أم ضوء صبحٍ يلاشي ظلمةً دهمت   أم البشير أتى في أطيب الخبرِ

إلى أن قال:

خذها إليك وان كانت مقصرةً   فشأن مثلك ينفي العيب بالعُذرِ
واستر فاني تركت الشعر من زمنٍ   لشاغلٍ عنه غشى مقلة الفكرِ

ولمّا بلغ خبر وفاة الجزار إلى الأمير بشير وهو بحضرته فاقترح عليه أبياتاً بديهية في موته فقال:

وافى السرور وصحّ ترجيح الأمل   بهلاك علجٍ لا يعادله مثل
عين المآثم والمظالم والردى   شرّ العوالم إن تفكر أو عمل

إلى أن قال:

لله درّك يا منون لقد بدت   منك الحياة وطاب حكمك واعتدل
فاز الأنام وارخوه بمقصدٍ   هلك الشقي وإلى جهنّم قد رحل

ومن نظمه تاريخ لوفاة بطرس تابت:

لا تحزنوا يا آل قوم عشيرتي   إنّ البقاء في الدهر ماضٍ فائثُ
الموت حتمٌ للبرية شاملٌ   كل ابن أنثى لا محالة مائثُ
وكفى يقين حيث تاريخي روى   إني على إيمان بطرس ثابثُ

وتاريخ لوفاة منصورة امرأة بطرس المذكور:

إنّ التقيّة بالثرى قد أدرجت   وسعت لتلك الغاية المأثوره

طوبى لنفس ارخوها ببرها ولجت لجنة ربّها منصورة

ومن نكتهِ أنه مات صديق اسمه ابراهيم وله أخ اسمه يحيى لم يكن يحبه فقال:

مات ابراهيم خلي آه وأسفي عليه

ليته قد كان يحيى ورحمة الله عليه

وله غير ذلك كثير طالع ترجمة الأب لويس شيخو له في المشرق لسنته الثانية صفحة ٦٩٣ وصفحة ٧٣٦.

وقد نصَّر الخوري ميخائيل فاضل البيروتي الأمير ابن الأمير حيدر الشهابي سنة ١٧٥٤م ثمّ نصَّر البطريرك يوسف اسطفان الأمير قاسم عمر شهاب وعائلته سنة ١٧٦٨م في غزير وقبلهم في الطائفة المارونية، ونصَّر بعده الخوري أنطون القيالي البيروتي من أولاد الأمير ملحم الأمير قاسم والأمير سيّد أحمد والأمير حيدر وتبعهم غيرهم من آل شهاب وآل بلمع حتّى أصبح أكثر هؤلاء الأمراء المقيمين بلبنان في آخر هذا القرن السابع عشر نصارى وموارنة، فلزم ذكرهم وحسبانهم من أعيان الموارنة. وكان من هؤلاء الأعيان أيضاً سمعان البيطار وهو ابن يعقوب بن سمعان البيطار الذي ارتحل من قرية جاج وسكن بكفيا ورزق هناك ثلاثة بنين توفي اثنان منهم وبقي الثالث واسمه يعقوب، ولما انسلخت ولاية الخوازنة عن القاطع وسلمت إلى الأمراء اللمعيين وكان يعقوب معزوزاً عند الشيخ أبي نوفل حصن الخازن رغب إليه أن يقيم بقرية غوسطا، فقدم إليها من بكفيا وولد له فيها سمعان صاحب الترجمة، وكان عاقلاً كريماً حسن الإدارة يعتمد عليه في مهام الحكومة، سلّمه الأمير يوسف الشهابي عمل البترون وجعله شيخاً به، فاهتمّ بعمران هذه البلاد ونجاح سكّانها وأظهر غيرة عظيمة على الأمور الدينية وأقنع الأمير يوسف حتى ملّك الرهبانية اللبنانية أديار حوب وكفيفان وميفوق وأنطوش جبيل وأنعم على رهبان دير الحقلة بمزرعة مستيتا ودير مار دوميط البوار وكنيسة القديسة صوفيا هناك وبنى كنيسة القديس بنديليمون بقرية بجدرفل وحسن بناء كنيسة بسبينا وساعد أهل البترون على بناء كنيستهم. وتوفي في مدينة عكا سنة ١٧٩٤م ودفن في ساحة كنيستها وخلفه ابنه يعقوب البيطار بمداركه واستقامته وحسن ديانته وغيرته. وكان

في هذا القرن أيضاً من الأعيان جرجس باز وعبد الأحد باز مدبران لأولاد الأمير يوسف شهاب، لكن رأينا أن نرجئ أخبارهما إلى تاريخ القرن التاسع عشر.

الفصل الثاني

بطاركة الموارنة في القرن الثامن عشر

عد ٨١

البطريرك جبرائيل البلوزاوي

ولد هذا البطريرك ببلوزا إحدى قرى جبة بشري واتّخذ الطريقة الرهبانية ورقاه البطريرك جرجس البسبعلي إلى أسقفية حلب سنة ١٦٦٣م خلفاً للأسقف يوسف البلوزاوي الذي كان قد رقي إلى هذه الأسقفية سنة ١٦٥٠م، كما مرّ وأنشأ سنة ١٦٧٣م دير طاميش في جنوبي نهر الكلب وكان يسكنه متى عاد من زيارة أبرشيته الحلبية، ثمّ أنشأ سنة ١٧٠٠م دير مار اشعيا في أرض برمانا وأسّس فيه الرهبانية المعروفة الآن بالرهبانية الأنطونيانية أو رهبان مار اشعيا، ووضع لها قانوناً أثبته أوّلاً البطريرك اسطفانوس الدويهي ثمّ أثبته الكرسي الرسولي سنة ١٧٤٠م وقلّما يختلف عن قانون الرهبان اللبنانيين، وبقي مدبراً أبرشية حلب المارونية مدّة إحدى وأربعين سنة، وأكثر من مقتنى الأملاك لدير طاميش حتى صار من أعظم الأديار حينئذٍ. ولما توفي البطريرك اسطفانوس الدويهي في ٣ أيّار سنة ١٧٠٤م أجمع أساقفة الملة المارونية على انتخابه بطريركاً في ١١ أيّار من السنة المذكورة وثبّته البابا أكليمنضوس الحادي عشر على يد قاصده الأب إيليا الكرملي الافرنسي، وبقي بعد أن صار بطريركاً، كما كان أسقفاً عائشاً العيشة الرهبانية ناسكاً متقشفاً، على أنّ أيام بطريركيته لم تكن طويلة لأنّه توفّي لرحمة الله في ٣١ من تشرين الأوّل سنة ١٧٠٥م، ودفن أمام معبد القدّيسة مارينا بقنوبين.

ولم نجد أنه رقى إلى الأسقفية إلّا ابن أخيه القس صافي البلوزاوي على أبرشية حلب في شهر تموز سنة ١٧٠٤م وسماه ميخائيل، وكان يسكن في دير طاميش حيث سكن عمّه وهو أسقف، ثمّ إنّ المطران ميخائيل هذا تنزل لعجزه عن تدبير هذه الأبرشية وخلفه فيها سنة ١٧٢٥م القس جبرائيل فرحات الشهير ودعي جرمانوس وستأتي ترجمته.

عد ٨٢
البطريرك يعقوب عواد الحصروني

هو ابن الخوري يوحنا عواد من حصرون درس العلوم بمدرسة الموارنة برومة فبرع فيها، ولمّا عاد إلى وطنه جعله البطريرك أسطفانوس الدويهي كاتباً له لمهارته في تعاطي الأعمال البطريركية ولفصاحته في تدوين الرسائل وتخرّجه في السياسة، قام بما عهد البطريرك به إليه أحسن قيام، ولذلك رقّاه هذا البطريرك إلى الأسقفية على مدينة طرابلس سنة ١٦٩٨م، ولمّا توفّي البطريرك جبرائيل البلوزاوي في ٣١ تشرين الأوّل سنة ١٧٠٥م اجتمع الأساقفة في ٥ تشرين الثاني من السنة المذكورة فانتخبوه بطريركاً وثبته البابا اكليمنضوس الحادي عشر على يد قاصده الأب فرديندوس الكرملي سنة ١٧٠٦م. على أنّ سلامة سريرة هذا البطريرك وقلّة تحذّره أوقعتاه في عداوة كثيرين، واستمال أعداؤه وحساده أكثر مطارين الملّة فعقدوا مجمعاً وحكموا عليه بالعزل خلافاً للقوانين، واستدعوه إلى مجمعهم، وتقدّم مقدّم الأساقفة فعرّاه من الحلل الحبرية وأقاموه في دير لويزه كسروان محظوراً عليه الخروج منه، وانتخبوا بطريركاً مكانه المطران يوسف مبارك وعرضوا للكرسي الرسولي طالبين تثبيته، فلم يشأ البابا أكليمنضوس الحادي عشر أن يثبته بل أرسل الأب لورنسيوس حافظ الأرض المقدّسة ليفحص عن حقيقة ما كان، فأتى إلى كسروان وجمع الأساقفة والسيّد يوسف مبارك الذي انتخبوه بطريركاً وأخذ ما لزم من التقارير وأرسلها إلى الكرسي الرسولي وأتى بالبطريرك إلى صيدا وأقامه بدير الفرنسيسيين هناك.

وقد عهد البابا اكليمنضوس الحادي عشر بهذه المهمّة إلى مجمع نشر الإيمان

المقدّس، فاجتمع آباء المجمع بمجلس عام في ٢٠ آذار سنة ١٧١٣م فأبرزوا الحكم الآتي تلخيصه: «قد نظر آباء هذا المجمع بالوشايات الموردة على البطريرك يعقوب عواد الأنطاكي وتبصّروا بكل ما يتعلّق بذلك في عدّة مجالس فوجدوا شهادات الشهود المقدّمة على البطريرك باطلة ولا التحام ولا نظام لها، ثمّ تدبّروا الفحص الذي أجراه الأب الأكرم لورنسيوس الفاحص الرسولي وأمعنوا النظر في تقارير الشهود الذين أدّوا شهاداتهم بحضرته، وطالعوا أيضاً العرائض المرفوعة إلى الأب الأقدس من مطارنة وأساقفة وغيرهم في جبل لبنان، وأصغوا إلى ما قرره السيّد المطران جرجس بنيمين الإهدني الموكّل من قبل المذكورين، وبعد مراعاة كل ما وجب مراعاته والامعان المدقق في كل هذه الأمور حكموا بأنّ كل ما قذف به البطريرك يعقوب المذكور لا ثبات له ولا اعتماد عليه، ولاسيّما أنّ المطارين ما أمهلوه المهلة اللازمة ليحامي عن نفسه كما يقتضي العدل والصواب، ولذلك برروا ساحته لأنّه لم يثبت عليه ذنب يستحق شرعاً شيئاً من التأديب، وحكموا أيضاً أنّ المطارين والأساقفة لم يكن لهم حق ولا سلطة أن يحطّوه ويخلعوه من مقامه البطريركي، وأثبتوا رأي الأب لورنسيوس الفاحص الرسولي، وأرجعوا البطريرك إلى بطريركيته محافظةً على شأنه وكرامته، على أنّه لما كان تقرر أنّ البطريرك تنزل عن بطريركيته في تلك الفترة حكموا أنه لا بدّ من الفحص في مجلس آخر عن صحّة هذا التنزّل وحذراً من أن يتأتى ضرّ على الكرسي الرسولي أو على الإيمان الكاثوليكي، أمر آباء المجمع أن يكون الأقدم بين المطارين وكيلاً وناظراً على البطريركية، ولا يحق لأحدٍ أن يدعو هذا الوكيل بطريركاً ولا هو يسوغ له أن يطمع بالبطريركية لتدبيره شؤونها في تلك المدّة، وفرضوا على الجميع الصمت عن هذه الأمور، وأمروا كاتب المجمع أن يترجم حكمهم هذا إلى العربية ويشهره في لبنان وغيره وفي ٤ نيسان سنة ١٧١٣ عرض الكردينال يوسف ساكريني رئيس مجمع نشر الإيمان حكم الكرادلة على الأب الأقدس فأثبته وأمر أن يكون العمل بموجبه.

وفي اليوم الثامن من أيّار سنة ١٧١٣م عقد آباء مجمع نشر الإيمان مجلساً آخر عاماً بحثوا فيه عن صحّة تنزل البطريرك بعد إمعان النظر في التقارير المقدّمة بهذا الشأن من كل جهة واعتبار ما يلزم اعتباره حكموا بتأييد البطريرك وإرجاعه إلى مقامه وكرسيه، وأن تردّ عليه كل حقوقه وأبرشيته، وعزلوا الوكيل الذي كانوا قد أقاموه في ٢٠ آذار وعزلوا أيضاً كل دخيلٍ وغاصب للبطريركية، وأعلنوا أن

تنزّل البطريرك باطل. وكان قد تنزّل مرّتين الأولى لما أعادوه إلى البطريركية في ١٣ آب سنة ١٧١١م على شرط تنزّله عنها، والثانية في ١٤ من الشهر المذكور في دير حريصا بحضرة الفاحص الرسولي، وأبطلوا أيضاً الانتخاب المدعى به لبطريرك آخر والوكالة له ولاشوهما كأنّهما لم يكونا، وأمروا جميع المطارنة والأساقفة وجميع الاكليرس والشعب الماروني أن يعرفوا السيّد البطريرك يعقوب عواد وحده بطريركاً حقيقياً وشرعياً على الملّة المارونية جمعاء، وأن يهتمّوا بأن يمتثل الجميع هذا الحكم وكل من خالف قولاً أو فعلاً هذه المراسيم سقط بالتأديب الذي سنّته القوانين المقدّسة على مثل هؤلاء المخالفين والحل منه محفوظ إلى الحبر الأعظم والمجمع المقدّس. وفي ٩ من شهر أيّار عرض هذا الحكم على الأب الأقدس اكليمنضوس الحادي عشر فأثبته وأمر أن يكون العمل بموجبه.

وكتب البابا اكليمنضوس الحادي عشر بأثر ذلك براءة إلى المطارنة والأساقفة والاكليرس والأمراء والشعب الماروني مؤرخة في ٢ تموز سنة ١٧١٣م وتراها مثبتة في ذيل المجمع اللبناني المطبوع حديثاً صفحة ٢٩. فالحبر الأعظم بهذه البراءة قرظ الموارنة على ثباتهم الدائم في الإيمان الكاثوليكي وطاعتهم المستمرّة للكرسي الرسولي، وأعرب عن شدّة انعطافه إلى هذه الملّة ومحبّته لها وعظمة استيائه ممّا حدث عندهم أخيراً بدسائس بعض أصحاب المآرب المقلقين من عزلهم بطريركهم، وأوضح أنّه وجّه عنايته الحبرية لتدارك هذا الأمر الخطير ووكل إلى آباء مجمع نشر الإيمان التحري بهذا الأمر. وبعد الفحص عن الدعوى بكل دقّة حكموا بأنّ عزل البطريرك كان مخالفاً للعدل وباطلاً من كل جهة وكذلك حكموا بأنّ تفرغه عن البطريركية باطل، فلهذا برروا ساحته وأعادوه إلى حقوق بطريركيته وعزلوا كل دخيل أيّاً كان وأثبت هو هذه الأحكام بسلطانه الرسولي وقال إنّه بعد صدور الحكم وصل إلى رومة القس أندراوس اسكندر بن سمعان الماروني من قبل المطران يوسف الريفوني وبيده عرائض ورسائل من البطريرك فطالعها آباء المجمع بتأنّ فحكموا أنّ لا ثبات لها ولا اعتماد عليها وإنّما يلزم الاعتماد على الحكم السابق (هذه الفقرة الأخيرة لم نجدها في براءة البابا المثبتة ترجمتها في ذيل المجمع اللبناني لكننا وجدناها في نسخة أخرى).

ولما كانت هذه الدعوى قد انتهت الآن كان أملنا وطيداً بأنكم تسارعون إلى طاعة أمرنا والعمل بأحكام المجمع المقدّس وتعرفون أنّ البطريرك يعقوب هو

بطريرككم الحقيقي والشرعي وتقدّمون له الطاعة والتكريم، ومن المؤكّد عندنا أنّ الطاعة التي أثبتموها بدلائل كثيرة من قديم الزمان إلى الآن دون سائر الملل الشرقية هي الآن أكثر لزوماً وضرورة لاقتلاع الزوان الذي زرعه عدو بينكم الخ.

ولما شهرت براءة البابا وحكم المجمع المقدّس على الملّة المارونية أذعن الجميع لها ورجع البطريرك يعقوب إلى كرسيه ومقامه، ولكن ما برَح بعض الخلاف والانقسام بين أبناء الملّة ورؤسائها، ولذلك نرى البابا اكليمنضوس الحادي عشر وجّه رسالة أخرى إلى البطريرك والأساقفة والأمراء والشعب مؤرخة في ٢٩ كانون الثاني سنة ١٧٢١م يدعوهم بها إلى إزالة بواعث الخلاف والسعي وراء السلام وتأليف الخواطر، وأرسل إليهم بهذه الرسالة الأب جبرائيل حوّا الراهب الحلبي اللبناني الذي كان بروما ليبلغهم بركته ورغائبه بأكثر تفصيل، وهذه الرسالة تجد ترجمتها مثبتة في ذيل المجمع اللبناني صفحة ٤٢.

وعاش البطريرك يعقوب بعد ذلك مكرماً مهاباً دائباً على عمل المبرّات والقيام بأعباء البطريركية أحق قيام، وأنبأنا العلّامة السمعاني في مقدّمة المجلّد الأوّل من مكتبته الشرقية أنّ هذا البطريرك عاونه كثيراً على وجدان الكتب الشرقية التي أحضرها إلى المكتبة الواتيكانية لا من لبنان فقط وليس من عند الموارنة وحدهم بل من دمشق وحلب وحمص ومصر أيضاً من عند الطوائف الأجنبية.

وأمّا الذين رقّاهم البطريرك يعقوب عواد إلى درجة الأسقفية فقد أخذنا أسماءهم عن سجلّات بطريركيتنا فهم:

الأوّل الخوري صافي الجميل من بكفيا رقاه سنة ١٧٠٦م وسمي الياس وتوفي في ١٢ تشرين الثاني سنة ١٧١٦م في دير مار عبدا هرهريا ودفن به.

الثاني الخوري باسيليوس باسيل البجاني من بيت شباب رقاه سنة ١٧١٠م إلى كرسي طرابلس وتوفي في ١٥ تشرين الثاني سنة ١٧٣٦م، وجاء اسمه في المجمع اللبناني وان لم يحضره لعجزه، وناب عنه القس ميخائيل العزيري الطرابلسي المسمّى غرسيه.

الثالث جبرائيل مبارك الغوسطاوي رقاه أخوه المطران يوسف الريفوني عندما تغلّب على البطريركية سنة ١٧١٣م إلى كرسي صيدا وتوفي في ٢٧ كانون الثاني سنة ١٧٣٣م في ريفون.

الرابع الخوري سمعان عواد ابن أخي البطريرك يعقوب رقاه عمّه سنة ١٧١٦م إلى كرسي دمشق وكان متسلماً أبرشية صيدا وهو من آباء المجمع اللبناني.

الخامس القس عبدالله قرألى الحلبي رقاه سنة ١٧١٦م إلى كرسي بيروت وكان من آباء المجمع المذكور وتوفي في ٦ كانون الثاني سنة ١٧٤٢م في زوق مصبح ونقلت جثّته إلى دير لويزة وكان مدبراً لدير حراش ورتب القانون لراهبات هذا الدير، وفي سنة ١٧٢٧م دخل إليه ثماني عشرة راهبة.

السادس الخوري الياس محاسب من غوسطا رقاه في ١٤ أيلول سنة ١٧١٧م إلى كرسي عرقا ودبر دير مار شليطا مقبس، وكان يزور المتن والجرد وجبيل والبترون والفتوح وكان من آباء المجمع اللبناني وتوفي في ٢٧ آب سنة ١٧٤٨م في دير مار شليطا المذكور.

السابع القس جبرائيل حوّا رقاه سنة ١٧٢٣م إلى كرسي قبرص وتوفي بروما سنة ١٧٥٢م.

الثامن القس جبرائيل فرحات الحلبي رقاه في ٢٩ تموز سنة ١٧٢٥م إلى كرسي حلب وسكن فيها وسمي جرمانوس وتوفي في ٩ تموز سنة ١٧٣٣م وستأتي ترجمته.

التاسع الخوري فرح الجميل من بكفيا رقاه سنة ١٧٢٦م إلى كرسي جبيل وسمي فيلبوس وهو من آباء المجمع اللبناني وتوفي في ١٧ تموز سنة ١٧٧٤م في دير شويا.

العاشر الخوري يوسف صالح الدويهي ابن أخي البطريرك اسطفانوس الدويهي رقاه في ٢٠ تشرين الأوّل سنة ١٧٢٨م إلى كرسي البترون ودعي اسطفانيوس وجعله نائباً بطريركياً ودبّر أبرشية بعلبك ومات في دير ريفون.

الحادي عشر الخوري يوسف ضرغام الخازن ابن أبي قانصوه الخازن رقاه سنة ١٧٢٨م إلى كرسي غوسطا ثمّ صار بطريركاً.

الثاني عشر الخوري اغناطيوس شرابية رقاه في ٢ تشرين الثاني سنة ١٧٣٢م إلى كرسي صور وهو من آباء المجمع اللبناني وتوفي في ٢٩ تشرين الأوّل سنة ١٧٤٧م، ويظهر أنّه كان يسكن في دير مار الياس بلوني ودير لويزة حيث توفي.

الثالث عشر الخوري يوحنا اسطفان رقاه في ١ تشرين الثاني سنة ١٧٣٢م إلى كرسي اللاذقية وتسلّم أبرشية بيروت وكان من آباء المجمع اللبناني وتوفي سنة ١٧٧٩م في عين ورقة.

الرابع عشر القس جبرائيل عواد بن عيسى أخي البطريرك رقاه في ٢٦ تشرين الأوّل سنة ١٧٣٢م إلى كرسي عكا وهو من آباء المجمع اللبناني وتوفي في ٢٥ آذار سنة ١٧٦٣م.

الخامس عشر الخوري ميخائيل البلوزاوي الثاني بهذا الاسم رقاه في كانون الثاني سنة ١٧٣٣م إلى كرسي بانياس وهو من آباء المجمع اللبناني.

السادس عشر هو القس جبرائيل حوشب رقاه إلى كرسي حلب في ١ كانون الثاني سنة ١٧٢٢م وحضر إلى المجمع اللبناني فلم يصل إلّا بعد نهايته فوقّع عليه وعاد إلى حلب سنة ١٧٣٧م.

السابع عشر القس طوبيا ابن الشيخ أبي كنعان قيس الخازن رقاه في ١ كانون الثاني سنة ١٧٣٣م إلى كرسي نابلس وسمي تارة مطران طرابلس وتارةً مطران قبرص وهو من آباء المجمع اللبناني موقعاً مطران قبرص، وتسلّم الوكالة على الكرسي البطريركي ثمّ صار بطريركاً.

وقد توفّي البطريرك يعقوب عواد في ٩ شباط سنة ١٧٣٣م ودفن في كنيسة مار شليطا مقبس.

عد ٨٣
البطريرك يوسف ضرغام الخازن

هو ضرغام بن أبي قانصوه فياض بن أبي نوفل نادر الخازن وقد تزوّج أوّلاً وولد له ولد اسمه ميلان، ثمّ توفّيت زوجته فصار كاهناً، ثمّ رقّاه البطريرك يعقوب عواد سنة ١٧٢٨م إلى أسقفية غوسطا. ولما توفي البطريرك يعقوب المذكور في ٩ شباط سنة ١٧٣٣م اجتمع الأساقفة في ٢٣ من الشهر والسنة المذكورين لانتخاب خلف له، فاختار ستة منهم: المطران عبدالله قرألي مطران بيروت، واختار ستة آخرون الياس محاسب مطران عرقا، واختار اثنان اسطفانوس

الدويهي مطران البترون، وطال الخلاف بينهم وكان المطران يوسف ضرغام الخازن يحرّضهم على الاتّفاق ويلومهم على الخلاف ويبين لهم العثار الذي سيكون من تعمّدهم رغائب بشرية وعدم اتفاقهم بروح الرب على من يرون به أهلية لتمجيد الله ونفع طائفتهم، فأمّ رأيهم أخيراً على انتخابه فانتخبوه بطريركاً في ٢٤ شباط سنة ١٧٣٣م في دير ريفون وثبّته البابا اكليمنضوس الثاني عشر سنة ١٧٣٤م على يد موفده القس عبدالله ابن الحاج عون من عجلتون. وفي أيّامه سلمت مدرسة عينطورا ومدرسة زغرتا إلى الآباء اليسوعيين بشروط بيّنها الأب الرئيس العام لجمعية الآباء المذكورين بوثيقتين الأولى بشأن مدرسة عينطورا مؤرخة في ٢٧ شباط سنة ١٧٣٤م، والأخرى بشأن مدرسة زغرتا مؤرخة في ١٠ كانون الأوّل سنة ١٧٣٥م. وسيأتي ذكر هاتين المدرستين بأكثر تفصيل. وفي أيّامه أيضاً عقد المجمع اللبناني الشهير الذي هو دستور الأمور الروحية في طائفتنا إلى اليوم وسنفرد فصلاً برأسه للكلام في هذا المجمع. وفي أيّامه أيضاً وبعنايته جدّد لويس الخامس عشر ملك فرنسة الحماية للموارنة بموجب براءة مؤرخة في ١٢ نيسان سنة ١٧٣٧م، إقتداءً بأبيه لويس الرابع عشر الذي كان قد جدّد لهم هذه الحماية ببراءة مؤرخة في ٢٨ نيسان سنة ١٦٤٩م إعتماداً على الحماية التي بذلتها فرنسة للموارنة بموجب براءة القديس لويس التاسع ملك فرنسة عند شخوصه إلى قبرص وسورية سنة ١٢٤٩م.

وأمّا الكهنة الذين رقاهم البطريرك يوسف ضرغام الخازن إلى الأسقفية فلا نعرف منهم إلّا اسطفان عواد السمعاني الذي كان مع خاله السيّد يوسف سمعان السمعاني في المجمع اللبناني وكان رقيباً فيه فرقاه البطريرك بعد ذلك إلى أسقفية أباميا. وقد عثرنا في السجلات البطريركية على رسائل من هذا المطران إلى البطريرك المذكور مؤرخة بعد المجمع المذكور، ولم نعثر في هذه السجلات على أسماء من رقاهم هذا البطريرك للأسقفية كما عثرنا على أسماء من رقّاهم غيره. ويظهر أنه من سنة ١٧٣٣م التي ارتقى فيها إلى البطريركية إلى سنة ١٧٣٦م التي عقد فيها المجمع اللبناني لم يسقف أحداً لأنّ جميع الأساقفة الذين وقّعوا على المجمع اللبناني كان سالفه البطريرك يعقوب عواد قد سقفهم إلّا المطران جبرائيل أسقف صارفية فقد كان البطريرك اسطفانوس الدويهي قد رقاه كما رأيت وأمّا هل رقى البطريرك يوسف ضرغام بعد المجمع اللبناني غير اسطفانوس عواد المار ذكره فلا

نعلم ولم نجد في السجلات البطريركية أنه رقى اسقفاً آخر كما وجدنا أسماء من رقّاهم أسلافه وخلفاؤه. والله أعلم.

وتوفي البطريرك يوسف ضرغام في ١٣ أيّار سنة ١٧٤٢م في دير ريفون ودفن في كنيسة النبي الياس في غوسطا.

عد ٨٤
البطريرك سمعان عواد

هو ابن أخي البطريرك يعقوب عواد رقاه عمّه إلى أسقفية دمشق سنة ١٧١٦م كما مرّ، وبعد وفاة البطريرك يوسف ضرغام الخازن اجتمع الأساقفة في عين ورقة فانتخبوه بطريركاً فأبى قبول الانتخاب زهداً وتورعاً، فانتخبوا المطران الياس محاسب الغسطاوي أسقف عرقا، وكان المطران طوبيا الخازن غائباً فلم يقبل انتخاب المطران الياس المذكور بل اتّفق مع المطران جبرائيل من طائفة السريان فرقيا إلى الأسقفية كاهنين من قسوس دير لويزة وهما القس عبدالله حبقوق الذي توفي في ٧ آب سنة ١٧٥٨م بكفر صغاب والقس جرمانوس صقر من حلب فانتخباه بطريركاً في دير لويزة. وأظنّ أنّ بعض المطارين المجتمعين في عين ورقة كانوا قد انتخبوا المطران طوبيا حتى ساغ له أن يدّعي البطريركية وينازع المطران الياس عليها وقدم كلّ من المنتخبين أي المطران الياس والمطران طوبيا العرائض للحبر الأعظم طالباً إثباته في البطريركية ووجه كلٌّ منهما موفداً إلى رومة لمحاماة دعواه مصحوباً ببينات وأدلّة على صحّة دعواه وسقوط دعوى خصمه منشأة من رجال فقهاء، فعين البابا بناديكتوس الرابع عشر بعضاً من كرادلة مجمع نشر الإيمان المقدّس ليجتمعوا أمامه ويفحصوا حجج كلّ منهما ويسمعوا تقريرات كلّ من موفديهما، فظهر للكرادلة أنّ الانتخابين باطلان ويلزم إعلان بطلانهما، وكان الحبر الروماني متردداً واجساً من المصاعب التي تكون من قبل الفريقين واستشار الكردينال فشنسيوس بترا رئيس مجمع نشر الإيمان الذي كان يثق بعلمه وسعة إطّلاعه على القوانين البيعية فأشار بإبطال الانتخابين، واستشار أيضاً العلاّمة السمعاني الذي كان موقناً بعلمه واستقامته ومخبرته في بني ملّته فأشار بإيضاح بطلان الانتخابين واختيار

المطران سمعان عواد الذي كان الأساقفة قد انتخبوه فأبى، فعول الحبر الأعظم على ذلك وكتب براءة مؤرخة في ١٦ آذار سنة ١٧٤٣م موجّهة إلى الأساقفة أبطل بها انتخاب المطران الياس والمطران طوبيا وأمر بأن يكون المطران سمعان عواد بطريركاً، وحتّم على المطارنة والأساقفة والاكليروس والأعيان والشعب أن يخضعوا لسلطته ويمتثلوا أوامره، وصرّح بأنّ انتخابه هذا البطريرك لا يقصد به تبطيل حقوق أساقفة الموارنة على انتخاب بطريركهم في ما يأتي من الزمان بل جلّ المقصد إزالة المنازعات وإرجاع الهدوء والسلامة. وكتب رسالة إلى البطريرك سمعان يعلمه بانتخابه ويأمره أن يباشر السلطان البطريركي على كل مخالف، وأرسل هذه الأوامر الرسولية إلى الأب يعقوب من لوكا أحد رؤساء رهبان القديس فرنسيس، وأمره أن يتوجّه بها إلى لبنان بمنزلة قاصد رسولي ويشهرها على رؤساء الملّة المارونية، وخوّله كل سلطة لازمة لتنفيذها. فتوجّه القاصد المذكور من القدس إلى كسروان ودعا إليه المطارنة والأساقفة وعلية الاكليروس والأعيان إلى دير حريصا فنشر عليهم أوامر عظيم الأحبار فأذعن جميعهم دون مخالف للأوامر الحبرية بملء الرضى والطاعة المخلصة، وأجابوا أجمعين بما قاله آباء المجمع الخلكيدوني أنّ بطرس تكلّم بلسان خليفته بناديكتوس الرابع عشر وأقبل جميعهم ينحنون أمام البطريرك سمعان مهنين له ومبدين عواطف الطاعة والسرور.

ورفع حينئذٍ البطريرك والأساقفة عرائض الطاعة والامتثال لأمر الأب الأقدس وأصحبها الاكليرس والأعيان بعرائض الشكر والثناء لقداسته، وعرض القاصد المذكور للبابا ولمجمع نشر الإيمان مبيناً باندهاش ما رآه من شعائر الطاعة للكرسي الرسولي عند الموارنة، فبلغت هذه العرائض إلى رومة سنة ١٧٤٤م وكان البطريرك قد وكّل إلى المونسنيور يوسف السمعاني أن ينوب عنه بالتماس التثبيت له من الحبر الأعظم فجمع امام الأحبار الكرادلة ومقدّمي البلاط الواتيكاني والرؤساء والأعيان في ٣ تموز سنة ١٨٤٤م ونطق بخطبةٍ يحق للموارنة أن يدوّنوها بالتبر ويخلدوا ذكرها ولا نتمالك من أن نورد بعض فقراتها وان كنّا أسلفنا ذكر بعضها. قال ونعم العلّامة القائل:

«لا شكّ في أنّكم تعلمون جيّداً أنّ الموارنة هم مسيحيون سريان يختصون بالبطريركية الأنطاكية لأنّهم يسكنون سوريا وسواحل فينيقيا وجبالها وفلسطين وقبرص ومصر وغيرها من الأمصار الشرقية، والسواد الأعظم منهم يقطنون في

لبنان، ولا يفوت علمكم أيضاً أنّه لمّا فشت في أواخر القرن السابع بدعة القائلين إنّ في المسيح مشيئة واحدة وفعلاً واحداً وأفسدت سكان البطريركية الأنطاكية فالموارنة رغبةً في أن يصونوا ملّتهم ويوقوها ذلك الفساد عزموا على أن ينتخبوا لهم بطريركاً يثبت من الحبر الروماني ويستمدّ منه درع الرياسة. ولمّا مرّت قرون وأخذ السراكسة أنطاكية وطردوا منها اللاتينيين الكاثوليكيين فرّ هؤلاء اللاتينيون إلى جبل لبنان وقبلهم بطريرك الموارنة بالترحاب والمؤانسة والوداد، فكتب إليه البابا اسكندر الرابع يشكره لذلك ويدعوه البطريرك الأنطاكي. وما برح بطاركة الموارنة يعرفون بهذا الاسم مع إنّهم نصبوا كراسيهم ثابتةً في جبل لبنان. وقد كان الموارنة كلّ حين كما هم الآن كاثوليكيين كلّ الكثلكة مرتبطين بالاتّحاد بالكرسي المقدّس باذلين الطاعة والاحترام التام للحبر الروماني ولبطريركهم، ولكن من حيث هم بشر فليس يعجب أن يحدث بينهم أو إن حدث نقص بشري في شأن بطريركهم وربّما يتذكّر بعضكم ما جرى في أيّام سالفنا السعيد الذكر اكليمنضوس الحادي عشر من عزل البطريرك يعقوب وما التحق بذاك الحبر الجليل من الإهانة العائدة أيضاً إلى حقوق الكرسي الرسولي... ولمّا تأكّد البابا برارة ذلك البطريرك وبراءته حكم برجوعه إلى كرسيه الذي حطّ عنه ظلماً فقدم الموارنة حينئذٍ دليلاً حديثاً على حسن طاعتهم وخضوعهم للكرسي الرسولي.

ونحمد الله على أنّه لم يصدر منهم في أيّام حبريتنا عزل بطريرك لكنّه حدث حادث كدرنا كدراً عظيماً وهو أنّه في سنة ١٧٤٢م انتقل إلى رحمة الله يوسف بطرس الخازن البطريرك، وعندما اجتمع المطارنة والأساقفة كالعادة لينتخبوا خلفاً له انقسموا إلى قسمين، فاختار بعضهم الياس مطران عرقا وبعضهم طوبيا مطران قبرص». وأردف البابا كلامه بإخباره عن عرائض المنتخبين له وارسال كل منهما موفداً إليه واختياره بعض كرادلة مجمع نشر الإيمان للفحص عن ذلك بحضرته وحكمهم ببطلان الانتخابين واستصوابهم تعيين بطريرك غير المنتخبين وتصويبه العمل برأيهم إقتداءً ببعض أسلافه في حوادث كهذه ذكرها لهم وإصداره الأوامر بذلك إلى أن قال: «فهذا ما لزم إيضاحه لكم قبل تلاوة رسالة البطريرك الذي اخترناه ورسائل المطارنة والأساقفة الموارنة فمنها تحيطون علماً بما قد جرى». فتقدّم المونسنيور يوسف السمعاني فرفع إلى قداسته الرسائل المذكورة فدفعها البابا إلى كاتب البراءات الرسولية وأمر فتليت أوّلاً باللغة العربية ثمّ تليت ترجمتها اللاتينية.

فحملوا الحبيس يونان بالنعش إلى دير القديس سمعان بالفراديس وأما أخوه يوسف فسار إلى قريته سمار جبيل، وبعد ثلاثة أشهر مضى المقدّم مقلد البشراني والشدياق خاطر الحصروني وبعض الأعيان، فشفعوا بهم فباركهم البطريرك وكان دير قزحيا قد خلا من الرهبان، فرخّص لهم بالعود إليه وأعطاهم عشرة رهبان وبقراً وماعزاً إلى غير ذلك مما يلزم لهم، وفصل الدير عن المحبسة ليقوم كل منهما بنفسه. ويظهر أنه لم يصحح رسامة من رسمهم الأسقف داود.

٢٨ - الأسقف سركيس الرزي أخو البطريرك ميخائيل الرزي لم يذكر الدويهي سنة ارتقائه إلى الأسقفية بل ذكر في تاريخ سنة ١٥٧٨م أنّ البطريرك ميخائيل أرسل أخاه الأسقف سركيس والقس جرجس بن يونان مع الأب جوان باطيستا ليرافقاه في تطوافه بلبنان ويقدما له ما يطلبه، والأسقف سركيس هو الذي خلف بالبطريركية أخاه البطريرك ميخائيل بعد وفاته سنة ١٥٨١م.

٢٩ - الأسقف سركيس من كفرحورا لم يذكره الدويهي، ولكن وجدنا توقيعه على المجمع الطائفي المنعقد سنة ١٥٨٠م هكذا. أنا سركيس من كفرحورا أسقف ورئيس قزحيا.

٣٠ - الأسقف يوسف البسلوقيتي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٥٨٠م فقال أنه نحو هذه السنة رقد بالرب يوسف البسلوقيتي الذي كان مستحبساً في دير القديس انطونيوس بالفراديس، ولأجل سيرته الملكية وشيخوخته النقية رقاه البطريرك ميخائيل إلى الأسقفية، ولما دنت ساعة وفاته مضى لزيارته، ثم أمر بدفن جثته بمغارة البارة مارينا بجانب دير قنوبين.

٣١ - الأسقف اقليمس الأهدني هو الذي كان البطريرك ميخائيل الرزي قد أرسله كاهناً مع المطران جرجس البسلوقيتي إلى روما، فرقاه أخوه البطريرك سركيس إلى الأسقفية سنة ١٥٨٤م ليكون معاوناً له في دير قنوبين. وذكر الدويهي وفاته سنة ١٥٩٨م وقال إنه توجّه إلى روما مرات وإنه كان حازماً أصيل الرأي.

٣٢ - الأسقف انطونيوس الجميل ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٥٨٧م وقال إنه لما كان كاهناً عنيَ ببناء كنيسة القديس عبدا في قريته بكفيا وأنفق عليها ألف قبرصي عدا ما أنفقه أهل القرية وغيرهم، فأراد البطريرك سركيس الرزي أن يكافئه

فرقاه إلى الأسقفية وأكرمه ببدلة جميلة للقداس، ولما كان البطريرك متوجهاً سنة ١٥٩٥م لزيارة كسروان لقيّه المطران انطونيوس إلى البوار عازماً أن يمنعه عن الدخول إلى هذه البلاد فربطه البطريرك، وفي اليوم الثالث بعد ذلك قضى أجله.

٣٣ و ٣٤ - الأسقف يوسف والأسقف يوحنا مطرانا قبرص ذكرهما الدويهي في تاريخ سنة ١٥٨٨م بقوله في هذه السنة كانت وفاة الأسقف يوسف بجزيرة قبرص، ورقى البطريرك خلفاً له الأسقف يوحنا بن اسكيلا المعلم من الخيزفانية ثم ذكر وفاة يوحنا هذا في سنة ١٥٩٨م.

٣٥ - الأسقف يوسف الرزي هو ابن موسى الرزي أخي البطريرك سركيس، رقاه عمه البطريرك المذكور سنة ١٥٩٥م إلى الأسقفية في عيد ميلاد الرب، وأرسله سفيراً إلى البابا اكليمنضوس الثامن لقضاء بعض حاجات الطائفة وتهنئة البابا بارتقائه إلى الحبرية العظمى، فعاد من روما سنة ١٥٩٦م ومعه الأب ايرونيموس دنديني والأب فابيوس برون اليسوعيان لعقد المجمع المار ذكره، وبعد وفاة عمه البطريرك سركيس سنة ١٥٩٦م خلفه في البطريركية كما مرّ.

٣٦ - الأسقف موسى العنيسي صير مطراناً على قبرص سنة ١٥٩٨م بعد وفاة الأسقف يوحنا بن اسكيلا المار ذكره، وكان موسى المذكور من العاقورة وتهذّب بالعلوم بروما.

ورقى البطريرك يوسف الرزي إلى الأسقفية في آخر هذا القرن أي سنة ١٦٠٠م ابن أخيه الأسقف سركيس الرزي والأسقف جرجس بن عميرة الأهدني الذي انتخب بعداً بطريركاً، والأسقف ميخائيل من بيت عبيد باهدن، والأسقف موسى من عرجس. وأقام بدير مار اليشاع ببشرّي. ونُرجئ تتمة الكلام في هؤلاء إلى تاريخ القرن السابع عشر.

عد ٥٥

المشاهير الدينيون الموارنة في القرن السادس عشر

نريد بالمشاهير الدينيين من اشتهروا في هذا القرن من الموارنة بالنسك والزهد والعلوم الدينية أو نسخ الكتب، وهم ليسوا بطاركة أو أساقفة، واعتمدنا في تراجمهم على تاريخ العلامة الدويهي.

١ - كان من سلك النساك القس موسى العكاري، وكان رئيساً على دير السيدة بحوقا، وكان تلميذاً للخوري اسطفان والقس ميخائيل رئيسي هذا الدير ثم رقى إلى الأسقفية ثم البطريركية كما مرّ.

٢ - الخوري يوحنا المعروف بالزطيمية، فهذا كان من ترتج وارتحل بعائلته سنة ١٥١٠ إلى قبرص في جملة من هاجروا من لبنان تلك السنة من جري الجور والضرائب. وكان الخوري يوحنا عالماً فاضلاً نسخ كثيراً من الكتب البيعية، وكان من جملة عمد الطائفة في تلك الأيام، وكانت له مباحث دينية مع الروم بقبرص، وكانوا يسمونه كروكليا لأنه كان يعتمّ بعمامة زرقاء، وعانى مشاق كثيرة من أبناء طائفته حسداً له. وبعد وفاته خلفه ابناه القس يوسف والشماس الياس واشتهرا بنسخ الكتب البيعية والأفعال الحسنة.

٣ - الخوري لوقا بن بطرس من ترتج أيضاً وأنشأ كنيسة جميلة في قرية كليبين بقبرص على اسم القديس لوقا الانجيلي.

٤ - الخوري زكريا وكان من جملة النازحين من لبنان إلى قبرص، وبنى كنيسة القديس ماما في قرية مطوش.

٥ - الحاج ميخائيل أخو الأسقف جبرائيل القلاعي انتقل من لحفد إلى قرية طالا بقبرص وزاد على كنيسة السيدة سوقاً آخر ومذبحاً على اسم القديس عبدا.

٦ - القس بطرس وهو الذي أرسله البطريرك سمعان الحدثي إلى البابا لاون العاشر سنة ١٥١٣م فردّه البابا إلى لبنان إذ لم يكن مصحوباً برسائل البطريرك، ثم سفره البطريرك ثانيةً إلى أم المدائن سنة ١٥١٥م فنال التثبيت على يده كما قدمنا في الكلام على هذا البطريرك، وهو الذي أحضر نسخة من رسالة فراغريفون إلى الحبر الروماني شهادة بصحة ايمان الموارنة كما مرّ.

٧ - الخوري يوسف الذي أرسله البطريرك سمعان الحدثي سنة ١٥١٥م إلى رومة مع راهبين لاقتباس اللغة اللاتينية والعلوم الدينية فعلّموا اللغة السريانية وكانوا أول من علّمها بأوروبا.

٨ - الخوري يونان المتريتي رئيس دير قزحيا، زاد في كنيسة هذا الدير سنة ١٥٢٦م على مذبح القديس بشاي مذبحين آخرين أحدهما على اسم السيدة

والثاني على اسم جبرائيل رئيس الملائكة. وفي سنة ١٥٣٩م اتفق مع رهبانه على نهي النساء عن الدخول إلى دير قزحيا، وحلف جميعهم على ذلك وأقاموا لذلك احتفالاً وتطوافاً بالدير كله. وفي سنة ١٥٤٢م انتقل إلى رحمة ربه. وكتب عنه تلميذه الحبيس جبرائيل الأهدني أنه خدم الله بالطهارة والورع مدة خمسين سنة. وكان قبل وفاته بأربع سنين يصوم يومين يومين ولا يفطر في الصوم الكبير إلّا يوم السبت والأحد، ولم يكن عدد لمطانيته في سبة الآلام، ولم يكن له مثيل في أعمال الرحمة. ويعجز القلم عن رقم فضائله. وشهد تلميذه الخوري يوحنا اللحفدي بأنّ الله صنع على يده آية كان هو شاهداً لها وهي أنه عازهم الزيت فوضع بخوراً وصلّى على خابية الزيت فطفحت به. وشهد جنازه البطريرك موسى والمطران قرياقوس وجمّ غفير تباركوا بجسده الطاهر. وقد ذكره المطران اسطفانوس عواد في فهرست المكتبة الماديشية صفحة ٢٦ إذ روى أنّ كتاب الزبور الذي كان قد كتبه حوشب في دير قزحيا سنة ١٣١٨م قد نسخه ملك جبرائيل من اهدن سنة ١٥٢٢م باهتمام الأب يونان الحبيس المتريتي. وروى ترجمة هذا الحبيس عن الدويهي كما رويناها، وذكر أيضاً تلميذه الحبيس جبرائيل الأهدني وهو ناسخ كتاب الزبور المذكور.

٩ - القس جرجس بن حرواص من قرية عرجس أنشأ دير القديس اليشاع ووسعه وأنفق عليه ١٣٧٥٠ درهماً عدا ما تبرّع به غيره من المحسنين. وكان عبد المنعم الأول مقدم بشري معاوناً له ومثله الحاجة سارة رفيقته في النسك وشريكته في بذل النفقة المذكورة، وكان ذلك سنة ١٥٣٣م. ويظهر لنا أنّ القس جرجس هذا هو الذي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٥٥٦م وقال إنّ المطران رقاه إلى الأسقفية مكافأة له لبنائه دير مار اليشاع ببشري وإن سمي في هذا المحل الأخير يوسف لا جرجس.

١٠ - القس يوحنا بن نمرون الباني كان رئيساً على دير قزحيا سنة ١٥٢٩م وكان شهيراً بالورع والنسك، ولما اختصم أهل بان وأهل عينطورين على دير قزحيا وحكم القاضي به لأهل عينطورين اعتزل القس يوحنا من الرئاسة وتولاها الخوري يوحنا اللحفدي كما مرّ عند ذكر الأسقف يوسف الجاجي. ثم عاد القس يوحنا إلى رئاسة دير قزحيا سنة ١٥٥٦م ولم يمكث بها طويلاً بل استقال منها وسكن دير القديس سمعان بقيطو، إلّا أنه في سنة ١٥٦٧م لما صير الحبيس ميخائيل

الرزي المترئس على دير قزحيا بطريركاً أعادوا القس يوحنا إلى رئاسة هذا الدير فأنشأ له مطحنة عند الدير وجرّ الماء إليها من النهر . وعظمت شهرته بالبر والورع ، ولما توفاه الله خلفه بالرئاسة الخوري ابراهيم الحدثي .

١١ - الخوري يوحنا اللحفدي كان تلميذ الحبيس يونان المتريتي وترأس على دير قزحيا بعد اعتزال القس يوحنا الباني المذكور ، ثم توفي سنة ١٥٤٢م بعد وفاة معلمه وقد اقتدى بفضائله ونسكه وتقشفاته وخدمته أربع عشرة سنة في مرضه ، وكان يقضي سبة الآلام متهجداً مكثراً من الاماتات والمطانيات .

١٢ - الحبيس يونان بن جلوان من سمار جبيل ترهّب في دير قزحيا مع أخيه القس يوسف ، وقد ذكرنا دعوة المطران داود رئيس دير قزحيا لهما إلى دير حوقا وترقيتهما سنة ١٥٧٦م إلى الأسقفية خلافاً لقوانين الكنيسة ومنع البطريرك لهما عن مباشرة حقوق الأسقفية وطاعتهما ورضى البطريرك عنهما وردهما إلى دير قزحيا فأكملا حياتهما بالنسك والزهد والورع .

١٣ - القس يعقوب عصاص من بيت الزيات من أسمر جبيل ، لبس الأسكيم الملائكي بدير قزحيا ، وقضى حياته بالنسك والقداسة في محبسة القديس سمعان بالفراديس وتوفي سنة ١٥٨٥م قال الدويهي ، وجسده ما زال سالماً في مغارة مار ادنه هناك لم يعترهِ فساد .

١٤ - الشهيد ابراهيم بن جرجس البشراني الحلبي ولد في حلب سنة ١٥٦٣ وكان والداه من بشري فهاجرا إلى حلب وكان من صغره على جانب عظيم من التقوى والعبادة ويظن أنّ الأب يوحنا ايليان المعروف بجوان باتيستا اختاره من حلب عند وصوله إليها سنة ١٥٨٢ ليكون مرشحاً للكهنوت في مدارس رومية فدرس هناك أولاً مع التلامذة الذين كانوا في منزل الموارنة قبل أن تقام المدرسة وكان يتردد إلى الشبان المبتدئين في الرهبنة اليسوعية فأثر فيه مثل سيرتهم وآدابهم ثم ذهب إلى رئيسهم يطلب منه الدخول بينهم فقبله بنوع غير اعتيادي وقضى زمان الامتحان مشهوراً بالعبادة والتقى. وفي أواخر سنة ١٥٨٤ أرسله الرؤساء إلى المدرسة اليسوعية في فلورنسا ليتمّم زمان امتحانه وينصبّ على الدرس فأقام هناك سنتين وأمره الرؤساء بالعود إلى رومية فدرس في المدرسة الرومانية العلوم الرياضية ثم الفلسفة واللاهوت على علماء يسوعيين شهيرين. وفي ٢٥ شباط سنة ١٥٨٨ قض

الإكليل لابراهيم المذكور مع غيره حسب طقس الكنيسة اللاتينية ومن بعد أن أنجز دروسه رقي إلى درجة الكهنوت ثم أرسله رؤساؤه إلى الهند سنة ١٥٩٢ وبعد أن أقام مدة في الهند سافر بأمر الطاعة إلى بلاد الحبشة في سنة ١٥٩٥ وكان وصوله إلى مصوع في آخر نيسان وبوصوله إلى هناك قبض عليه وأخذ إلى الحاكم فقضى الاب ابراهيم ليلته في الصلاة فرحاً وفي الصباح أوتي به من السجن أمام الحاكم فسأله عن اسمه ودينه وغاية سفره فأجاب إني ولدت بمدينة حلب واسمي ابراهيم ابن جرجس وديني دين المسيح أتيت هذه البلدة لأذهب منها إلى بلاد الحبشة لأبشّر بالدين الكاثوليكي وأثبته فتهدده الحاكم بالقتل فلم ينثن فأخذ يتملقه فلبث مصرّاً فزجّه في سجن المجرمين مقيّداً بالسلاسل وأمر بعض الجنود أن يعذبوه بالضرب والجوع والعطش فاحتمل كل ذلك بصبر وبعد أيام اجتمع أهل المجلس للحكم عليه بالموت فأمره الحاكم أن يشفق على شبابه ويكفر بالمسيح فأجابه: إني أؤمن بالله واحد وبأنّ المسيح تجسّد ومات لخلاصنا فحنق الحاكم وأمر بقطع رأسه فتلقى الحكم بفرح وتهليل ثم لبس رداءه الرهباني وجثا وقبّل الأرض وسلّم نفسه للجنود كالحمل فذهبوا به إلى محل العذاب وتبعه بعض النصارى فجثا وصلّى ثم حلّ ثوبه حول عنقه فضربه السيّاف ضربة هائلة فانكسر السيف فضجّ الشعب وغضب السيّاف وأخذ سيفاً آخر فضربه به فانثلم حدّه وأعاد الضربة فانكسر السيف ولم يجرح الشهيد إلا جرحاً خفيفاً فزاد ضجيج القوم وظهر تعجبهم فاستلّ السيّاف سيفاً ثالثاً وضربه فانفصل رأسه عن جثته في أواخر نيسان سنة ١٦٩٥ ولم يكن تجاوز السنة الثالثة والثلاثين من عمره وشهد الله لقداسته بآيات عديدة ظهرت من جثته حتى أخذ الوثنيون قسماً منها طرحوه في البحر وقسماً خلطوه بعظام موتاهم كي لا يكرمه المسيحيون ومات كل من عاونوا على قتله بأمراض شنيعة في مدة الأربعين يوم بعد استشهاده وقتل الحاكم عليه بأمر حاكم خلفه. انتهى عن ترجمته في كتاب تطوبيه إذ أحصاه الكرسي الرسولي عما قليل في مصاف الطوباويين.

مقالة عاشرة

تاريخ الموارنة في القرن السابع عشر

الفصل الأول

أعيان الموارنة الدنيويون في القرن السابع عشر

عد ٥٦

بعض أعيانهم في هذا القرن

ذكرنا في آخر تاريخهم في القرن السادس عشر الشدياق الحصروني والي جبة بشري فهذا توفي سنة ١٦١٢م وخلفه بولايته ابنه الشدياق رعد، وتزوج بست البنات بنت المقدّم مقلد من المقدمين العناحلة (الذين أصلهم من عين حليا وقد مرّ ذكرهم) ويقال إنه كان يسئ المعاملة لها ويتهددها بالقتل وإنها دسّت له سماً في دجاجة أكل منها هو وأخوها جمال الدين بن مقلد المذكور، فماتا وانقرضت بجمال الدين سلسلة العناحلة. وأما امرأة رعد فتزوجها موسى البشراني وسار بها إلى حلب فرُزق منها ولداً سمي عسافاً ودخل إحدى رهبانيات الفرنج ومات كاهناً. ومن بعد وفاة المقدّم رعد بن خاطر ولّى يوسف باشا سيفا والي طرابلس على جبة بشري أبا عاشينا شلهوب لأنه كان ابن بنت المقدّم عاشينا الأول بن حسام الدين العنحلاني وولد له ثلاثة بنين وهم: عاشينا ويوحنا وميخائيل. ونازعه الولاية نعمة وداود وجرجس أولاد الشدياق خاطر فائتمر عليهم مع الحاج سليمان

الملكي كاتب ديوان طرابلس فقبض يوسف باشا على نعمة وداود ابنَي خاطر وألقاهما في السجن، وكان يعدهما بأن يوليهما جبة بشري حتى استنزف الثروة التي تركها والدهما ثم أمر بخنقهما، وألقوهما في البير المعروف بالأزهري. وقبض المقدّم ابو عاشينا شلهوب على أخيهما جرجس وغرقه في النهر قريباً من المدينة، واستمر في الولاية على جبة بشري تسع سنوات. ففي سنة ١٦٢١م كبس ابنه عاشينا دير مار توما بحصرون وقتل القس دانيال العكاري طمعاً بدراهمه، وعرض الأمر للشيخ أبي صافي الخازن الذي كان الأمير فخر الدين المعني قد ولاه على جبة بشري، فقبض على عاشينا وأخذه إلى سمار جبيل وعرض أمره على الأمير فخر الدين فأمر باهلاكه، فقتله ودفنه عند جسر المدفون. وأتى والده المقدّم شلهوب ليحتج عن ابنه فقبض عليه الشيخ أبو نادر الخازن ورفع أمره إلى الأمير فخر الدين وبيّن أنه من غرض ابن سيفا فأمر بقتله أيضاً فقُتل وزُجّ في المدفون.

وكانت الوجاهة الكبرى بلبنان في أيام الأمراء المعنيين للمشايخ بني الخازن، وقد مرّ في تاريخ القرن السادس عشر أنّ أرملة الأمير قرقماز معن أرسلت ولدَيها الأميرَين فخر الدين ويونس فخبأتهما عند الشيخ ابراهيم ابن الشدياق سركيس الخازن، ولما راق كأس السياسة وعاد الأميران المذكوران إلى ولايتهما بالشوف، دعا الأمير فخر الدين ابراهيم الخازن وجعله معاوناً ومدبراً له في حكومته، وجعل أخاه رباحاً دهقاناً لأملاكه. ولما توفي الشيخ ابراهيم المذكور سنة ١٦٠٠م اتخذ الأمير فخر الدين ابنه خازناً المكنّى أبا نادر مدبراً له مكان أبيه، ولما اضطر الأمير فخر الدين أن يسير إلى أوروبا سنة ١٦١٢م ترك الشيخ أبا نادر مع أخيه الأمير يونس مدبراً له كما كان معه.

وفي سنة ١٦١٣م لما عاد الأمير يونس إلى ولاية الشوف أرسل الشيخ أبا نادر والشيخ أبا ضاهر حبيش إلى كسروان ليحصيا الأشجار ويستوفيا ما عليها من المال مع ابن المسلماني الذي كان من رجال المعنيين. وأرسل الأمير يونس الشيخ أبا رحال خطاراً أخا أبي نادر إلى توسكانا إلى الأمير فخر الدين ليطلعه على أحوال البلاد. وفي سنة ١٦١٥م أرسل الأمير يونس الشيخ أبا نادر ومعه مملوك له اسمه ذو الفقار ليحكما في كسروان ويقيما بغزير. ولما عاد الأمير فخر الدين من رحلته سنة ١٦١٧ والتقاه الأمير يونس أخوه والشيخ أبو نادر إلى عكا، أنعم على أبي نادر وعلى ذريته بولاية عمل كسروان جزاءً لصدق خدمته بحضوره وغيابه.

ثم سار أبو نادر مع الأمير فخر الدين لمقاتلة يوسف باشا سيفا انجاداً لعمر باشا والي طرابلس، وعند عودهما حاصر الأمير فخر الدين قلعة جبيل التي كانت بيد جماعة ابن سيفا وأخرجهم منهم بالأمان وولّى الشيخ أبا نادر على بلاد جبيل منضمة إلى كسروان. وفي سنة ١٦٢١م ورد أمر من الآستانة إلى الأمير فخر الدين أن يعاون والي طرابلس على يوسف باشا سيفا إذا لم يذعن للوالي المذكور، وفرّ يوسف باشا إلى عكا فأرسل الأمير فخر الدين رجالاً طردوا من جبة بشري العمال الذين كان يوسف باشا قد أقامهم بها وولّى عليها الشيخ أبا صافي الخازن رباحاً عم الشيخ أبي نادر كما مرّ. وفي سنة ١٦٣١ أصلح الشيخ أبو نوفل نادر الخازن ما كان قد خرب من قلعة سمار جبيل بزلزال قتل فيه ابنه نوفل ووالدته بنت الشيخ معتوق حبيش. ولما قبض على الأمير فخر الدين في مغارة جزين سنة ١٦٣٣م كان بمعيته الشيخ أبو نادر وعمه الشيخ أبو صافي وأخذهما معه إلى دمشق، فكفلهما الأمير اليمني وعادا إلى كسروان. وأما أبو نوفل فكان قد فرّ مع الأمير حسين بن فخر الدين إلى قلعة المرقب، فأمسكهما خليل باشا وأخذهما إلى حلب. فانهزم أبو نوفل وعاد متنكراً إلى وطنه. ولما رأى الخازنيون شدة المضايقة لهم انهزم الشيخ أبو نادر وابنه نوفل نادر وأخوه أبو خطار عبدالله وسافروا إلى توسكانا بايطاليا سنة ١٦٣٥م وكان الشيخ أبو نادر مشهوراً عند الافرنج أيضاً فقابله دوك توسكانا بالمعزة والاكرام. ولما تولّى الأمير ملحم المعني بلاد الشوف عاد المشايخ بنو الخازن من ايطاليا فردهم إلى اقطاعاتهم سنة ١٦٣٨م وجعل أبا نادر مدبراً له كما كان قبلاً. وفي سنة ١٦٤٥م توفي الشيخ أبو صافي رباح الخازن في ساحل علما. وفي أول تموز سنة ١٦٤٧م توفي الشيخ أبو نادر خازن بن ابراهيم بن سركيس الخازن بعد أن كان مدبراً لحكومة بني معن عدة سنوات وحاكماً بكسروان وجبيل والبترون والجبة والمرقب، وخلفه بوجاهته ومساعيه الحميدة ابنه نادر المكنّى أبا نوفل.

وفي سنة ١٦٥٠م أرسل الأمير ملحم معن الشيخ أبا نوفل يجبي المال الأميري من بلاد البترون، وكان الأمير التزمه من عمر باشا والي طرابلس . وفي سنة ١٦٥٦م أنعم البابا اسكندر السابع على الشيخ أبي نوفل بلقب كافلير أي فارس. وفي سنة ١٦٥٨م أرسل الأمير ملحم معن الشيخ أبا نوفل ليجبي الأموال الأميرية من عكار وجبة بشري وبلاد البترون وأداها إلى الدولة بحسب تعهده، وكان

الحكام يثقون به كل الثقة. ولما توفي الأمير ملحم معن سنة ١٦٥٨م وخلفه في ولايته ابناه الأمير أحمد والأمير قرقماز جعلا الشيخ أبا نوفل مدبراً لهما كما كان عند والدهما. وسنة ١٦٥٩م أنعم لويس الرابع عشر ملك فرنسة على الشيخ أبي نوفل أن يكون قنصلاً لدولة فرنسة ببيروت، ونال ذلك بعناية المطران اسحق الشدراوي مطران طرابلس، وحاز أيضاً وكالة قنصلية البندقية. وقد رضي السلطان الأعظم عن اقامته في هذا المنصب وأتحفه بفرمان مؤذن بذلك ومبيّن حقوق منصبه. (تراه مترجماً في كتاب النبذة التاريخية في المقاطعة الكسروانية صفحة ٨٦) وهو الذي أسكن الرهبان اليسوعيين في عينطورا وأعطاهم محل ديرهم هناك من أملاكه. وفي الكتاب الموسوم بالرسائل المعمدة لليسوعيين رسالة مسهبة من هؤلاء الرهبان الذين أتوا حينئذٍ بالثناء على الشيخ أبى نوفل ومبراته وغيرته واتساع شهرته. يمكنك الاطلاع عليها في تاريخ الموارنة المطبوع ببيروت صفحة ٢٢٢.

وقد سمعت مرات من الطيب الذكر البطريرك بولس مسعد الشهير بمعرفته تاريخ ملّتنا رواية ملخصها أنه لما فرّ الأمير أحمد والأمير قرقماز معن سنة ١٦٦٠م من وجه أحمد باشا كما مرّ، واجتمع أعيان البلاد لاختيار حاكم غيرهما فانتخبوا الأمير محمد علم الدين اليمني، ولم يدعوا الشيخ أبا نوفل وازدروه، وعزل في تلك الأثناء علي باشا عن ايالة صيدا، وقدم والٍ آخر فأخذ أبو نوفل يقدّم له الذخائر من حلب حتى بلغ صحراء جونية فالتقاه الشيخ أبو نوفل فشكر الوزير له وسأله ما يريد، فأجابه لا أطلب نعمة إلّا أن لا تعطى خلعة الولاية على قصبة دير القمر إلّا بواسطة خادمكم العاجز، فوعده الوزير بذلك. وعند حلوله بصيدا أسرع إليه أعيان الشوف يلتمسون تقرير ولاية الأمير محمد اليمني على دير القمر فأجابهم أنه لا يخلع على الأمير المذكور إلّا أن يسأله ذلك الشيخ نوفل الخازن، وأصرّ الوزير على قوله، فاضطروا أن يحضر كثيرون منهم إليه في كسروان، فبالغ في اكرامهم وسألوه أن يسير معهم إلى الوزير، فتمنّع واكتفى بعريضة أصحبهم بها إليه، فأجابهم إلى ما سألوه وعرفوا غلطهم وتهيّبوا الشيخ أبا نوفل. وكان البطريرك المذكور رحمه الله يقول لي إنّ البعض عزوا هذه الرواية إلى الشيخ أبي نادر، ولكني وجدت كتاباً قديماً دوّن الرواية بالتفصيل معزوة إلى أبي نوفل. ولا أتذكر ما عنوان الكتاب ولا أين يوجد.

وفي سنة ١٦٦٤م عاد الأمير أحمد معن إلى ولايته بعد أن انتصر على اليمنيين

فرجع المشايخ آل خازن إلى اقطاعاتهم، وعاد الشيخ نوفل مدبراً لحكومة الأمير أحمد، وفي هذه الأثناء قسم أبو نوفل حكومة كسروان على بنيه وكانوا ثمانية فأعطى أبا قانصوه فياضاً قسماً، وأبا ناصيف نوفلاً قسماً، وخازناً قسماً، وطربيه قسماً، وبقي بيده قسم كبير سلّمه إلى أبنائه الصغار وهم خاطر وسليمان وقيس وأبو النصر. وفي سنة ١٦٧١م أُحيلت اقطاعات كسروان وبكفيا وغزير إلى عهدة الشيخ أبي نوفل وأولاده بموجب فرمان سلطاني حفظ أصله عند الشيخ بطرس كنعان الخازن، وترى ترجمته مثبتة في تايخ الموارنة المطبوع ببيروت صفحة ٢٤٢. وفي سنة ١٦٧٩م في ١٣ آب توفي الشيخ أبو نوفل نادر الخازن.

وخلف أبا نوفل ابنه أبو قانصوه فياض وتمشى على آثار والده أبي نوفل وشرع سنة ١٦٨٠م في بناء دار له في قرية غوسطا وبجانبها كنيسة على اسم النبي الياس، وتولّى في كسروان على القسم الذي خصّه به أبوه، وخلفه في قنصلية فرنسة ببيروت. وفي سنة ١٦٧٨م لما ضايق والي طرابلس أولاد أبي رزق البشعلاني الآتي ذكره فرّ أحدهم يونس بأولاده وأولاد أخيه إلى كسروان واحتمى عند الشيخ أبي قانصوه فياض المذكور، ودافع عنهم ابنه الشيخ حصن الآتي ذكره، فأقاموا في حماه، ونظن أنهم أقاموا بصليما ومنهم بيت البشعلاني الساكنين الآن في القرية المذكورة. وتوفي الشيخ أبو قانصوه فياض في ١٧ تشرين الأول سنة ١٦٩١م. وذكر الدويهي في تاريخ هذه السنة وفاة الشيخ المذكور وقال بعد موته عظمت شوكة بني حماده فقتلوا حنا الأسود في الكورة ونهبوا العاقورة. وكان الشيخ أبو قانصوه جزيل الكرم محباً للعلماء شجاعاً شديد البأس.

وخلف أبا قانصوه ابنه حصن في ولايته وأنعم عليه ملك فرنسة لويس الرابع عشر بأن يكون قنصلاً لفرنسة ببيروت كأبيه وجدّه. وقد حفظ لنا العالِم دي لاروك في كتاب رحلته إلى سورية ولبنان (مجلد ٢ صفحة ٢٨٦) براءة تنصيب الشيخ حصن المذكور قنصلاً لفرنسة ببيروت، وإليك ترجمتها عن الفرنسية:

«مرسوم الملك بتنصيب الأمير حصن الخازن الماروني»

لويس ملك فرنسة وناقارا وكنت بروفنس الخ. السلام لكل من يطلع على مرسومنا هذا، لما كنا نرغب في اجابة سؤال الأمير حصن الخازن في عريضته التي

رفعها إلينا وأن نعززه باحالة قنصلية بيروت إلى عهدته كما كان أبوه وجدّه بمقتضى مرسومنا الصادر في غرة كانون الثاني سنة ١٦٦٢م، ولعلمنا بما له من الغيرة والصدق بخدمتنا وعنايته بخير رعايانا قد نصبناه بمرسومنا هذا الموقّع عليه بيدنا قنصلاً على مدينة بيروت إذ فصلنا هذه المدينة عن قنصلية صيدا المتعلقة بها الآن، ونريد أن تبقى منفصلة عنها إلى أن نصدر أمراً آخر يخالف مرسومنا هذا. وقد أقمنا وأمرنا ونصبنا ونقيم ونأمر وننصب السيد حصن الخازن المذكور قنصلاً للأمة الفرنسية في فرضة بيروت المذكورة وملحقاتها ومتعلقاتها فله بتخويله هذا المنصب أن يلي ويباشر مدة حياته جميع الحقوق والسلطة والامتيازات والانعامات التي لباقي القناصل في المشرق، ورخصنا له أن يقيم عنده نائب قنصل بحيث يكون من أمة الفرنسيين ويكون هو مسؤولاً عنه في الأمور المدنية. وقد أعلمنا مستشارنا وسفيرنا في المشرق السيد شاتوناف دي كاستنيار إنه إذا ظهر له أنّ السيد حصن الخازن متصف بالسيرة الحميدة وحسن الآداب ومتمسك بالدين الكاثوليكي الرسولي الروماني يصرفه بالقنصلية المذكورة، وبما لها من الحقوق ولا يمنعه من ذلك أي مرسوم كان يخالف ما ذكرنا، وعلى السفير المذكور أن يبذل له كل مساعدة وعناية، ونأمر ربان كل مركب وسفينة تحت العلم الفرنسي وكل تاجر من أمتنا أن يعترفوا بأنه قنصلنا ويمتثلوا أمره، ولا يمنع من ذلك الأمر الذي أصدرناه في ١١ آذار سنة ١٦٨٥م بأن لا ينصب من الأجانب قناصل لفرنسة لأننا استثنينا ونستثني من هذا الأمر السيد حصن الخازن فلا مفعول لذلك الأمر من قبله، فهذه هي ارادتنا ومسرتنا ونرغب إلى الباشاوات والولاة الاجلاّء ونسأل من كان منهم الآن ومن يكونون من بعدهم ببيروت وملحقاتها أن يمكنوا السيد حصن الخازن من تكميل فروض منصبه ولا يسمحوا بأن يكون له أقلّ مانع من اتمام فروض منصبه بل يبذلون له بعكس ذلك كل مساعدة ورعاية، واشعاراً بذلك قد وقّعنا بختمنا على هذه البراءة الصادرة في ١٢ حزيران سنة ١٦٩٧م من سني النعمة وهي الخامسة والخمسون لملكنا. التوقيع لويس. وعلى طي البراءة بأمر الملك كونت بروفنس فيليب وختم بالمهر الكبير على الشمع الأصفر».

وإليك أيضاً ترجمة جواب لويس الرابع عشر إلى الشيخ حصن قنصل فرنسة ببيروت نقلاً عن الكتاب المذكور:

«إلى السيد الأجلّ الأمير حصن قنصل الأمة الفرنسية ببيروت»

أيها السيد الأجلّ، إنّ السيد يوحنا مارماكون الكافلير الماروني رسولكم، رفع إلينا الرسالة التي كتبتموها إلينا في شهر كانون الأول سنة ١٦٩٥م تطلبون بها أن ننصبكم قنصلاً ببيروت، ولا أشك في أنكم تقدرون حمايتي لكم حق قدرها وتصرفون عنايتكم إلى مساعدة رعاياي الذين يتاجرون في سورية، ولذلك أردت رغبةً في مصلحتكم أن أفصل مدينة بيروت عن قنصلية صيدا وأجعلها قنصلية مخصوصة، وأمرت أن ترسل إليكم براءة تنصيبكم بها وبقوتها يكون لكم الحق لا أن ترفعوا العلم الفرنسي فقط على باب داركم كما كان يصنع جدكم وأبوكم، بل تكون لكم أيضاً الحقوق والانعامات التي يحرزها قناصل الأمّة الفرنسية. وقد سلمتُ إلى رسولكم عدة رسائل إلى سفيري بالقسطنطينية، وإلى قناصل فرنسة بجواركم وأمرتهم بأن يبذلوا لكم كل الرعاية والعناية بكل ما يتعلق بكم عند طلبكم ذلك، لنفعكم ومساعدة أبناء ملّتكم. وأسأله تعالى أن يرعاكم أيها السيّد الأجلّ بعين حراسته المقدّسة. كُتب في فرسايل في ١٣ من تموز سنة ١٦٩٧م. التوقيع لويس. وفي أسفل الرسالة، كولبر» (وهو وزير لويس الرابع عشر).

ويلي ذلك في الكتاب المذكور رسالتان إلى الشيخ حصن إحداهما موقّع عليها بونتشرتران فحواها أنه تلا على مسامع جلالة الملك رسالته التي سلمه اياها يوحنا مارماكون رسوله. وإنّ جلالته تعطّف بفصل قنصلية بيروت عن صيدا وتحويلها إلى عهدته، وإنه مرسل له البراءة في طي كتابه وهي في تاريخ ٢ حزيران سنة ١٦٩٧م. والثانية بتوقيع دي تورسي وفحواها أنّ عظمة العاهل تعطّف عليه بايلائه المنصب الذي كان فيه المرحوم أبوه، وإنه تلا الرسالة التي كان هو أنفذها باسم أبيه بعد عرضه الرسالة على مسامع جلالة الملك انعطف إلى ايلائه قنصلية بيروت. وكتب في ذلك إليه وإلى سفيره في القسطنطينية وإلى قناصل فرنسة بجواره يأمرهم بمعاونته ورعايته في كل ما يتعلّق به وبملّته. وتاريخ هذه الرسالة في ٢ تموز سنة ١٦٩٧م.

ويظهر أنّ الشيخ ناصيف بن نوفل ابن عم الشيخ حصن القنصل قد رفع أيضاً إلى الملك لويس الرابع عشر عريضة يشكو بها سوء حالهم عند نكبة دولة المعنيين المار ذكرها واختفاء الأمير معن فأجابه الملك لويس برسالة هذه ترجمتها:

« إلى السيد الأجلّ ناصيف أمير الموارنة »

أيها السيد الأجلّ ، إنّ كتابكم الذي رفعه إلينا السيد يوحنا مارماكون الكافلير الماروني موفدكم إلينا علمنا منه سوء المعاملة التي يعاملكم بها الحاكم الجديد الذي نصب عن عهد قريب مكان الأمير أحمد بن معن ، واتّضح لنا منه أيضاً أنّ من اللازم تفادياً من الضرّ للدين الكاثوليكي ورغبةً في تأييده في بلادكم أن نصرف عنايتنا لدخولكم بصفة حاكم على البلاد التي كنتم تتولون ادارتها من عهد قريب إذ تدفعون للباشا والي طرابلس المال المفروض على هذه البلاد . ولما كنت أرغب رغبةً شديدة في أن أساعدكم على ما يعود بالنفع عليكم ولا سيما متى كان ذلك ملائماً للحماية التي بذلتها في كل وقت للكاثوليكيين بالشرق قد سلمت إلى موفدكم أوامر وجهتها إلى سفيري بالقسطنطينية ليصرف عنايته الفعالة لينال لكم ما تبتغون . وأخيراً أسأله تعالى أن يحفظكم أيها السيد الأجلّ بحراسته المقدّسة . دُوِّن بفرساي في الثالث من تموز سنة ١٦٩٧م . التوقيع لويس . وفي أسفل الصحيفة ، كولبر .

وكتب الوزير دي تورسي كتاباً آخر إلى الشيخ ناصيف هاك ترجمته .

« أيها السيد الشريف الأجلّ ، إنكم تعلمون من الرسالة التي كتبها إليكم سيدي العاهل جواباً على رسالتكم التي أنفذتموها إليه على يد السيد مارماكون رسولكم ، كم تهتم جلالته بما يعود بالنفع عليكم وعلى الدين الكاثوليكي ، ولا أشك في أنكم تشعرون بأقرب وقت بمفاعيل الحماية التي يبذلها لكم بواسطة أوامره الموجّهة إلى سفيره بالقسطنطينية ليصرف عنايته الشديدة ليستمد لكم ما ينقذكم من الضيق الحاصل عليكم ، وينفع المسيحيين أبناء ملّتكم . ولم يبقَ لي إلّا أن أحقق لكم إني لا أنفك عن أن أرجو جلالته ليواصل كل وقت حمايته لكم وأن تتيقنوا أني صديقكم المخلص » . التوقيع ديتورسي عن فرسايل في ٢ تموز سنة ١٦٩٧م .

ويظهر أنّ رئيس أساقفة نيقوسية ومتربوليت قبرص نائب البطريرك اسطفانوس الدويهي في مدة غيابه رفع عريضة إلى لويس الرابع عشر بالمعنى الذي كتب به الشيخ ناصيف الخازن ، وبالتماس القنصلية للشيخ حصن فأجابه الملك عليها وهاك ترجمة الجواب .

«إلى السيد الأجلّ رئيس أساقفة نيقوسية متربوليت قبرص ورئيس الدين الكاثوليكي الرسولي الروماني في جبل لبنان في غياب البطريرك اسطفانوس[١]»

أيها السيد الأجلّ تناولت الكتاب الذي رفعه إليّ من قبلكم السيد يوحنا مارماكون رسول طائفتكم، وبه تبيّنون لي الضيق الحاصل ببلادكم الآن وتسألونني فيه أيضاً أن أنصب الأمير حصناً قنصلاً لفرنسة ببيروت، فعنايتي بجميع الذين يقرون بالدين القويم في أية جهة كانوا من العالم لا تدع لكم محلاً للريب في عنايتي بكم خاصةً، ولذلك شئت بطيبة خاطر أولي الأمير حصناً قنصلية بيروت مفصولة لهذه الغاية عن قنصلية صيدا، وقد كتبت في الوقت نفسه إلى سفيري بالقسطنطينية وإلى قناصل حلب وصيدا وطرابلس أن يبذلوا العناية الفعالة بما يعود بالنفع على ملّتكم وكاثوليكيي المشرق الآن وفي كل فرصة تسنح لذلك. وأخيراً أسأله تعالى أن يحفظكم أيها السيد الأجلّ بحراسته المقدّسة. دوّن بفرساي في الثالث من تموز سنة ١٦٩٧م. والتوقيع لويس. وفي أسفل الصحيفة. كولبر.

وهذه ترجمة الرسالة التي بعث بها لويس الرابع عشر إلى سفيره بالآستانة.

«إلى السيد دي كاستنيار مستشار دواويني وسفيري غير العادي بالقسطنطينية»

إنّ السيد يوحنا مارماكون الكافلير الماروني الموفد من قبل الأميرين ناصيف وحصن ومن قبل مطران نيقوسية رئيس الدين الكاثوليكي الروماني بغياب البطريرك اسطفانوس قد رفع إليّ رسائل منهم يسألون بها حمايتي من الضيق الملمّ بهم بعد أنّ السيد الأعظم (السلطان) ولّى على بلادهم الأمير أبا موسى علم الدين عوضاً

(١) أين كان الدويهي حينئذ لا نعلم حقيقة. على اننا نعلم ان نكباته كانت كثيرة وغيباته عن كرسيه متواترة.

عن الأمير أحمد بن معن، ويلتمسون أن يعطى أحدهم الأمير حصن قنصلية بيروت ليتمكن من نشر العلم الفرنسي ونيل حقوق القنصلية والانعامات المختصة بقناصل الأمّة الفرنسية، ويخمد بذلك جذوة ماحاق بهم من الضيق. ولما كان عزمي أن أساعد بكل وسعي على راحة جميع المستنيرين بالانجيل المقدّس في أي قطر كانوا من العالم، فأنا مرسل إليكم كتابي لأبلغكم ارادتي ومرغوبي أن تستوعبوا ما يشرحه لكم معتمدهم المذكور لخير الدين الكاثوليكي ونفعه ،وأن تبذلوا بعد ذلك العناية باسمي لتنولوه كل ما يبتغيه من الأمور المعقولة، وأخيراً أسأله تعالى أن يحفظكم بحراسته المقدّسة أيها السيد دي كستنيار. كُتب في فرسايل في الثالث من تموز سنة ١٦٩٧م. والتوقيع لويس. وفي أسفل الصفحة كولبر».

وقد أصحب المركيز دي تورسي الوزير وكاتب سر المملكة الكافلير يوحنا مارماكون برسالة إلى السفير المذكور مرسلاً له أمر الملك وموصياً بالكافلير المذكور. وتاريخ رسالته ١٣ تموز سنة ١٦٩٧م. وقد كتب الوزير دي تورسي المذكور أيضاً رسالة بأمر الملك إلى قناصل فرنسة بحلب وصيدا وطرابلس فحواها أنّ جلالة الملك أمره أن يكتب إليهم مبيّناً رغبة جلالته بمساعدة الأميرين نصيف وحصن الخازن ومطران نقوسية نائب البطريرك بغيابه، وأن يبذلوا بكل فرصة عنايتهم الفعالة بالمذكورين ليشعروا بمفاعيل حماية جلالته. وإنه جعل الأمير حصناً قنصلاً ببيروت منفصلة عن صيدا، وإنّ مقصد جلالته بذلك أن يخفف من جهة ثقل الضيق الملم بالمذكورين وأن يزيد من جهة أخرى عنايته برعاياه الذين يتجرون بالمدينة المذكورة وملحقاتها. وإنه كتب إليهم بطيبة خاطر توصاة بالكافلير يوحنا مارماكون معتمدهم لدى جلالته. وتاريخ هذه الرسالة ٣ من تموز سنة ١٦٩٧م.

وبعد وفاة الشيخ حصن قنصل فرنسة سمي ابنه الشيخ نوفل قنصلاً مكانه كما سترى في تاريخ القرن الثامن عشر.

وكان من أعيان طائفتنا في هذا القرن المشايخ آل حبيش فكان منهم الشيخ أبو ضاهر حبيش الذي أرسله الأمير يونس المعني إلى كسروان مع الشيخ أبي نادر الخازن سنة ١٦١٣م ليعدا الأشجار في هذا العمل ويجبيا المال المفروض عليها. وكان منهم أيضاً الشيخ أبو فارس حبيش الذي قُتل في الوقعة التي كانت بين القيسية واليمنية في مرحاتا سنة ١٦٣٦م كما في تاريخ هذه السنة.

وفي سنة ١٦٨٠م كتب الأمير أحمد المعني صكاً للشيخ طربيه بن موسى حبيش وللشيخ أبي شديد سيف بن طالب حبيش يوليهما له على غزير، فكانت اقطاعاً لآل حبيش.

عد ٥٧
أبو رزق البشعلاني وابنه يونس

كان من أعيان الموارنة في هذا القرن الشيخ أبو رزق البشعلاني، وقد ذكره العلامة الدويهي لأول مرة في تاريخ سنة ١٦٤٣م، ولم ينبئنا بأصله ولا نسبه بل قال في هذه السنة عُزل محمد باشا الأرناؤوط عن ايالة طرابلس وتولاها حسن باشا، وكان كأخيته الشيخ أبو رزق البشعلاني (نسبةً إلى بشعلي في عمل البترون). ثم قال في تاريخ سنة ١٦٤٩م عُزل (ثانيةً) الأرناؤوط عن ايالة طرابلس وتولاها صهره عمر بك، واسترد ابن الصهيوني وأبا رزق البشعلاني ونصب أخاه أبا صعب البشعلاني شيخاً على جبة بشري. ثم قال في تاريخ سنة ١٦٥١م عُزل عمر باشا المذكور عن ايالة طرابلس وتولاها حسن باشا فأسلم أمورها إلى الشيخ أبي رزق البشعلاني، إلى أن قال ثم تقوّى عليهم (أي على أبي رزق وحلفائه) ابن الصهيوني وتسلّم تدبير أمور طرابلس، وصادر أبا رزق وأتباعه. وقال في تاريخ سنة ١٦٥٣م قبض محمد باشا الأرناؤوط على الشيخ أبي رزق بحجة أن بعض آل حبيش قدموا إلى داره ومعهم جمعة بداعي زواج أحد أولادهم، فنمّ بعض أهل الفساد إلى الباشا قدومهم إنما كان لمضرّة له، فأمر الباشا بالقبض على أبي رزق وأولاده وضيوفه وسجنهم بالقلعة مكبلين بالقيود، وكان عددهم تسعين نفساً. ونهبوا داره واستباحوا ماله، وبعد ذلك ورد الخبر بعزل الأناؤوط وتولية قرا حسن. فتوجّه الأرناؤوط إلى حماه لجباية المال وأخذ أبا رزق والسجناء معه. ودعا أبا رزق للحساب عما دخل ليده من المال، وادعى أنّ الباقي عليه اثنا عشر ألفاً، وبلغ الوالي الجديد إلى حماه وأعاد الحساب بينهما فثبت أنّ الباقي على أبي رزق أربعة آلاف وخمس مئة قرش دفعها عنه ابن الصهيوني ، وخلى قرا حسن الوالي الجديد سبيله وسبيل السجناء. وأراد أن يعهد بتدبير أموره إلى الشيخ أبي رزق، ولكن وصل قبوجي من الباب العالي يطلب رأسه، فأشار عليه الوالي وابن

الصيهيوني لم يسلم فدية لنفسه ، فأذعن مكرهاً لرأيهما . وأعطوا القبوجي ألف قرش فعاد إلى الآستانة . وذخل أبو رزق طرابلس مع قرا حسن والتزم منه جبلة واللاذقية وأوصى قبل سفره إليهما أخاه أبا صعب أن يأخذ أولاده ويسير بهم إلى بلاد ابن معن ، فشق ذلك على الوالي ووجس أبو رزق من مضرته له فتزوج بامرأة موسى باشا ليبعد الوالي عن الظن بردته . وفي سنة ١٦٥٤م صير بشير باشا نائب حلب وزيراً وسار قاصداً الآستانة ، وعند وصوله إلى أدنه قُدمت له الشكوى على أبي رزق أنه كان ميالاً إلى ابن معن ، وأرسل أولاده إليه مع أخيه أبي صعب وإنّ أخاه هذا كان مع ابن معن في وقعة وادي القرن المار ذكرها . فأمر بقتله فقُتل في أوائل شهر آذار من السنة المذكورة . ذكرنا بعض هذه الأخبار في التاريخ العام وأعدنا ذكرها هنا لعزمنا أن نفصل من هذا التأليف تاريخ الموارنة في كتاب على حدة ، فكان لا بد من هذه الاعادة .

وأما الشيخ يونس ابن أبي رزق المذكور فقال في حقه الدويهي في تاريخ سنة ١٦٨٧م إنّ حسين باشا والي طرابلس قبض على الشيخ يونس واخوته عبدالله ورزق وأولاهم بسبب دعوى والدهم أبي رزق البشعلاني ، فاضطر يونس أن يطلب الاسلام لينجي عيالهم من القتل والاسلام . فهربوا جميعاً في ٢٩ ايلول ومعهم نحو عشرين نفساً إلى قاطع كسروان مستجيرين بالأمير أحمد معن والشيخ أبي قانصوه فياض الخازن ، فنجدهم ابنه حصن وأمنهم برجاله حتى حلوا بحكومة ابن معن سالمين ، وهناك جاهر يونس بصحة عقيدته . ثم قال الدويهي في تاريخ سنة ١٦٩٧م قبض قبلان باشا والي طرابلس على الشيخ يونس بن أبي رزق البشعلاني وعرض عليه الاسلام فتمنّع فرفعه على الخازوق في ٢١ أيار من السنة المذكورة .

هذا ما رواه الدويهي ، ولكن أتحفنا دي لاروك في كتاب رحلته إلى سورية ولبنان (مجلد ٢ صفحة ٢٦٣) بترجمة الشيخ يونس المذكور مسمياً اياه أميراً فنلخّص عنه ما يأتي قال:

« كان الأمير يونس من أسرة شريفة بلبنان ومن ذوي قربى حاكم الملّة المارونية ، وله أملاك في سفح لبنان في ناحيتي طرابلس وجبيل لا يقلّ دخلها عن ألف ليرة ، وكان حسن الشكل زكي العقل محنكاً بالسياسة ، يحبه الجمهور ويثق

به وزراء الباب العالي. وقد استعمله كثيرون من ولاة سورية في أهم أعمال حكومتهم حتى كاد قدره يساوي قدر الولاة. على أنّ ثروته ومنزلته هيّجتا عليه حسد أقرانه. ومباشرة أعمال منصبه أورثته خصوماً له ائتمرا على اهلاكه، وأسخطوا عليه قبلان باشا ابن المطرجي والي طرابلس وشكوه بجرائم كثيرة، وتمحلوا لها دليلاً بزيادة ثروته، فارتاح الباشا إلى سماع شكواهم وقبض على الأمير يونس وأخيه الأمير يوسف وزوجتيهما وأولادهما وكثيرين من أنسبائهما وأتباعهما، وكانوا نحو خمسين شخصاً ألقوهم في السجن، وهددوا الأمير يونس بالقتل والحاق جماعته به إلّا أن يجحد الدين المسيحي ويسلم. فأظهر بادئ ذي بدء الشجاعة والثبات وازدرى التهديد والوعيد على أنه لدى تبصره بحالة أسرته والخطر الذي يلم بها من جهة الدين إذا قُتل قبلهم عوّل على أن يتظاهر بالاسلام فيقي نفسه وذويه من التهلكة واشترط شرطاً صريحاً أن يسلم وحده وتبقى أسرته وذووه نصارى، وأن يخلى سبيلهم أجمع. فقبل الباشا شرطه وأكتفى أن ينطق هو وحده بالشهادتين. وأباح ذويه حرية دينهم وأخرجهم من السجن. وقد قال يونس قبل مقتله إنه قام بضميره حينئذٍ أنّ عمله هذا جائز بل مندوب إليه لينجي ذويه وينقذ بناته وبنات أخيه من الزواج برجال مسلمين.

وجامل الأمير يونس الباشا بعد ذلك أربعين يوماً ليخفي مقصده وأرسل سراً امرأته وأولاده وذوي قرباه إلى أعلى جبل كسروان. ولما تحقق أنهم أصبحوا آمنين فرّ هو من طرابلس وسار أولاً تواً إلى بطريرك الموارنة معترفاً بالضعف الذي استحوذ عليه وباكياً من جراء اثمه وصرّح بأنه ما انفك مسيحياً. وتُلي دستور ايمانه وتقبّل القانون الذي فُرض عليه وحلّه البطريرك من اثمه. ورغبةً في أن يبرئ ساحته أمام الناس أيضاً جمع رؤوس التشكيات الواردة عليه وبيّنات الاكراه الذي أُنزل به وأرسل ذلك إلى الآستانة مصحوباً بالحجج اللازمة للدفاع عن نفسه على يد أحد أصدقائه، وعرض أمره في الديوان السلطاني. ولما كان من متعلقات الدين أمر جلالة السلطان أن يحال النظر بالدعوى إلى المفتي الأكبر بالآستانة، وهذا بعد التحري بالدعوى حكم أنّ تظاهر الأمير يونس بالاسلام لا يعول عليه لصدوره عن اكراه. وأن لا يؤاخذ فيما بعد باسلامه. فأثنى الكثيرون على عدالة العثمانيين وانصافهم.

ولم تكن راحة لضمير الأمير يونس من جراء العثار الذي تسبب به بطرابلس فنزل إليها وجاهر أمام الباشا وديوانه بدينه المسيحي، وطاف بالمدينة مصرحاً

بذلك ، فأغضى المسلمون على هذا الصنيع وعُزل والي المدينة ونُصب غيره فدعا الأمير يونس وأقامه على برية طرابلس واستحصل له أمراً سامياً مثبتاً حكم المفتي السالف ذكره . ومبيحاً اياه وعائلته البقاء على دينهم المسيحي دون أن يزعجهم أحد . فاستمر الأمير يونس وذووه راتعين في بحبوحة الأمن والرغد خمس سنين مباشراً أعمال مأموريته بكل أمانة ونزاهة، إلّا أنه سنة ١٦٩٥م بُدّل والي طرابلس ومات من كان له من الأصدقاء في الآستانة إذ انقلب الدهر عليهم ، فاغتنم أعداؤه هذه الفرصة ليهلكوه . فاتهموه بعدة جرائم وشكوه إلى الوالي الجديد وادّعوا عليه أنه سبّ دينهم وقذف بالاسلام . فقبض عليه الوالي وغلله في السجن وما انفك مدة سنتين يقرفه ويهدده ويتملقه ليكفر بدينه، ووعده بأن يوليه أسمى المراتب ويرشحه إلى الخلافة بعده بحكومة طرابلس فلم تستمله كل هذه الوسائل إلى الاذعان للوالي ، بل كان يشكر الله على انزال هذا الاضطهاد به تكفيراً عن زلّته السالفة . وحاول الوالي مرات أن يستميله فلم يكترث بكلامه ، وأسمعه أخيراً ما أوغر صدره عليه ومزّق ثوبه وحكم عليه أن يموت على الخازوق . وكان الولاة في تلك الأيام مسلطين على حياة الرعايا وموتهم ، وقبل تنفيذ الحكم عليه أرسل الوالي عدداً من أصحابه يغرونه بالرضوخ لمرغوبه فأبى ، ثم حمّلوه الخازوق وخرجوا به إلى تلّ قريب من المدينة والناس من أمامه ووراءه بعضهم يقرّعه، بعضهم يحثه على ارضاء الوالي وهو أبكم أصمّ عن سماع كلامهم . وقبل رفعه على العود أرسل الوالي يعده بالعفو عنه وعن ذويه ورد أملاكه إليه فلم يكن يجيب إلّا أسلم نفسي بيد الله وهو يهتم بي وبذوي وأملاكي ، ولم ينفك دقيقة موته يسبّح الرب ويشكره ويدعو باسمه ويلجأ إلى رحمته وإلى العذراء والقديسين، ويكرر تلاوة قانون ايمانه إلى أن أسلم نفسه بيد الله في شهر أيار سنة ١٦٩٧م .

وبقيت جثته خمسة أيام على آلة عذابه وشرذمة من الجند تحرسها ، وشهد شهود عدل وبتوا شهادتهم باليمين أنهم رأوا اكليلاً من نور على رأسه ليلاً مدة بقائه على تلك الحال ، وشاهده الحراس فدهشوا وفرّوا . وأخيراً سأل بعض المسلمين الوالي أن يأمر بدفن جثته تفادياً من حصول ثورة من جرا ذلك ، فسمح الوالي لأحد اقربائه أن يُنزل جثته فأنزلها ووضعها أولاً في بئر قريبة من مقبرة الموارنة ثم نقلها سراً بعد يومين إلى مدفن خلف المنبر في كنيسة القديس يوحنا بطرابلس .

وبعد موت الأمير يونس اهتم بعض أصحابه أن يخرج الأمير يوسف أخاه من السجن الذي كان به ، فاسترضوا الباشا عنه وخرج وسار إلى أوروبا يسأل المحسنين ما يقوم به بأوده وأود عائلته وعائلة أخيه . قال دو لاروك قد رأيته بباريس مدة أشهر صابراً على مصابه مسلماً إلى مشيئة الله راضياً بأحكامه ، وقد أكرمه الملك وكتب إلى سفيره بالآستانة يوصيه به. ومثل ذلك كتب إلى قناصله ودوّن رسالة إلى بطريرك الموارنة يعزيه بهذه الفاجعة . ودفع إليّ الأمير يوسف المذكور شرحاً وافياً في حياة أخيه وموته فأخذت عنه هذا المختصر وهو مطابق لما كتبه بطريرك الموارنة إلى الحبر الروماني وملك فرنسة بهذا الشأن مصادقاً عليه من أساقفة جبل لبنان . وللتقرير الذي كتبه قنصل فرنسة بطرابلس مصادقاً عليه من الرهبان الفرنسيين والاسبانيين في المدينة المذكورة . وروى هنري موندرل الانكليزي في كتاب رحلته من حلب إلى أورشليم أنّ قنصل انكلترا صحبه للفرجة على قلعة طرابلس في ٨ أيار سنة ١٦٩٧م وكان يونس مسجوناً فيها لأنه أسلم ثم ارتد . وإنه مات على الخازوق بعد يومين من سفر هذا الكاتب أي في ١٢ أو ١٣ أيار سنة ١٦٩٧م .

وهذه ترجمة المنشور الذي كتبه البطريرك اسطفانوس الدويهي موصياً بالشيخ يوسف المذكور .

« الحقير اسطفانوس بطرس البطريرك الانطاكي »

السلام والبركة الرسولية لكل مطالع أو سامع وثيقتنا هذه

ليكن معلوماً أنّ ولدنا العزيز أبا يوسف رزق هو رجل ماروني كاثوليكي من رعيّتنا ومن أعيان الملّة المارونية ، وهو أخو الشيخ يونس الذي أُكره على أن يبدي جحود الايمان بفمه لا بقلبه ليخلّص نفسه وأولاده ، لكنه حالما ساعده الله على الفرار بعد نحو أربعين يوماً انسلّ ليلاً بأولاده إلى ناحية كسروان وهناك اعترف بإثمه ، وقبل طائعاً خاشعاً القانون المفروض عليه ، واهتم بعد ذلك فنال من جلالة السلطان الأعظم أمراً سامياً مسنداً إلى حكم القضاة بأنّ جحوده ايمانه مكرهاً لا يعتمد عليه ، وتظاهره بالاسلام باطل ولا صحة له . وبعد ذلك سار إلى طرابلس وجاهر علانية بدينه المسيحي مدة خمس سنوات ، وأضمر له الضغينة والحقد بعض

أصحاب الأمر بالمدينة المذكورة إلى أن تمكنوا من القائه بالسجن واماتته على الخازوق، وكان يجاهر في مدة هذا العذاب بجسارة وبسالة بالايمان بيسوع المسيح، وقد قبض معه على أخيه يوسف رزق وأُلقي بالسجن أيضاً، وألجأه الحال إلى خسارة مبالغ وافرة من المال. وباعت الحكومة أملاكه وأثاثه حتى بيته نفسه، ولما لم يعد يستطيع أن يعيش ببلاده بحسب مقامه ولا أن يقوم بأود عائلته أي أولاده وأولاد أخيه يونس هم خمسة عشر شخصاً، وقد اضطر إلى استدانة مبالغ من المال لتقديم النفقة اللازمة لحياتهم وليس له ما يفي، وقد لجأوا إلينا مراراً سائلين أن نصحب بهذه الوثيقة يوسف المذكور أبا هؤلاء الصغار وعمهم فمأمولنا بغيرة أصحاب عمل الخير ومحبتهم لجراح المخلِّص ووالدته الكلية الطهر أن تأخذهم الشفقة على المذكورين وأن يمدوا يد سخاهم إلى الشيخ يوسف المذكور وأولاده وأولاد أخيه ويكون لهم من لدنه تعالى الأجر العظيم والمجد والتسبيح لمن قال في انجيله المقدّس: «ما صنعتموه إلى أحد أخوتي هؤلاء الصغار فأليّ صنعتموه» ونسأله جلّ شأنه نحن وهم أن يجزيهم على احسانهم مائة ضعف في هذه الحياة والحياة الأخرى الأبدية.

أعطي بكرسينا قنوبين في اليوم الخامس من شهر تشرين سنة ١٦٩٩م. «وعدا توقيع البطريرك في أعلى هذه الوثيقة ذُيّلت بتوقيع يوسف الحصاراتي أسقف جبيل بحوقا ويوسف حبقوق أسقف البترون بقزحيا وجبرائيل الدويهي».

عد ٥٨

أعيان موارنة آخرون

من أعيان الموارنة أيضاً في هذا القرن الشيخ أبو كرم الحدثي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٣٥م. فقال إنّ مصطفى باشا والي طرابلس أقام على حكومة جبة بشري الشيخ أبا كرم يعقوب ابن الريس الياس الحدثي، وقال في تاريخ سنة ١٦٣٩م تولّى طرابلس محمد باشا الأرناؤوط فأتى للسلام عليه أصحاب الاقطاعات ما عدا أصحاب آل سيفا وأبا كرم الحدثي. وفي سنة ١٦٤٠م في ١٦ نيسان أرسل والي طرابلس المار ذكره عسكراً للقبض على الشيخ أبي كرم الحدثي

حاكم جبة بشري لأنه لم يحضر للسلام عليه، فقبض العسكر على ابن عمه سعد، وضيّق على الأديار والقرى بحجّة التفتيش عليه وعلى أولاده وأتباعه وضبط أملاكه، وعظم الضيق وكثر الخراب والسلب والنهب فلم يتحمل أبو كرم هذا التنكيل بأهل بلاده فانحدر إلى طرابلس طائعاً مستسلماً على يد القاضي، فأمر الوالي بأن يُلقى في السجن بالقلعة، ثم طوّفه على جمل بشوارع المدينة وفي قفاه مشاعل نار، وعرضوا عليه الاسلام فأبى إلّا التشبث بدينه فمات مشنوقاً.

ومنهم أبو جبرائيل يوسف الاهدني وكان شريكاً للشيخ أبي كرم الحدثي وتوفي سنة ١٦٤١م بعد أن حكم جبة بشري عشر سنين، وخلفه بعد وفاته أخوه الشدياق أبو ذيب ابن الشماس جرجس الأهدني فقتله محمد العراك بقرية زغرتا بدسيسة من بيت حماده المتاولة ومصطفى بك ابن الصهيوني مدبر ايالة طرابلس. وتولّى حكم جبة بشري بعده المقدّم زين الصواف، وكان معه أبو عون بن الغمة من بكفيا.

ومن هؤلاء أيضاً أبو كرم بن بشاره، وقد ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٧٦م وقال إنّ حسن باشا لما استقر على ولاية ايالة طرابلس ولّى أبا كرم بن بشاره على جبة بشري، وأرى أنّ أبا كرم هذا هو جد آل كرم. وقد خلف أبا جبرائيل يوسف الأهدني وأخاه الشدياق أبا ديب جرجس المار ذكره في الولاية على جبة بشري، ولكن أمِن عائلتهما كانا أم من عائلة أخرى لا أستطيع أن أحققه حتى الآن، ولكن مما لا ريب فيه أنّ العامة في اهدن تسمي آل كرم بيت أبي كرم إلى الآن.

ومن هؤلاء الكافلير يوحنا مارماكون الذي تقدّم ذكره، وكان موفد الشيخ حصن والشيخ ناصيف الخازن ومطران نيقوسية بقبرص إلى لويس الرابع عشر ملك فرنسة كما مرّ. ولكن من هو هذا يوحنا مارماكون؟ فالذي يتبادر إلى فهمي أنه الكافلير ناضر صفير الذي بنى هو وأخوه الخوري جرجس صفير دير القديس مارون بالرومية المعروف الآن بمدرسة الرومية نحو سنة ١٦٩٦م، إلّا أن يكون مارماكون من موارنة قبرص لأنه موفد مطران نيقوسية أيضاً. وقد أثبت دي لاروك في كتابه المذكور صفحة ٣٠٨ براءة تسميته كافلير أي فارساً من جمعية الفرسان المنسوبين إلى سيدة الكرمل، والقديس العازر حيث يقول فيليب دي كورسبليون ماركي دي

دانجو رئيس هذه الجمعية لرغبتنا في اجابة سؤال الكافلير يوحنا مارماكون الماروني الموفد من جلالة الملك من قبل الأمراء ناصيف وحصن ومطران نيقوسية بقبرص ورئيس الدين الكاثوليكي الرسولي الروماني بلبنان في مدة غياب البطريرك اسطفانوس أن نقبله ونحصيه في عداد فرسان سيدة الكرمل والقديس العازر بأورشليم. وبعد أن اتضح لنا أنه ثابت بالدين الكاثوليكي الرسولي الروماني وأنه حسن السيرة ، وإنّ الداعي لقدومه إلى فرنسة إنما هو ليبتهل إلى جلالة الملك في أن يبذل عنايته لدى السلطان العثماني لينوّل نصارى بلاده الراحة والأمن . ولما كان الملك سماه كافليراً في مرسومه إلى ناصيف أمير الموارنة ، وفي مرسومه إلى سفيره بالآستانة ، وكان يهمنا أمر جبل لبنان والأرض المقدّسة حيث أنشأت جمعية فرسان القديس العازر ، قد أحببنا سؤاله وقبلناه في جوقة هؤلاء الفرسان وأحصيناه في عديدهم ليكون له ما لهم من الشرف والحقوق والانعامات . وعليه أن يبرز يمين الأمانة المعتاد ، ويلزم أفراد هذه الجوقة في أي مقام كانوا أن يعرفوه كذلك . وبياناً لذلك قد وقّعنا على هذه الوثيقة بخط يدنا ومهرناه بمهر الجمعية . أعطي بباريس في ١٦ تموز سنة ١٦٩٧م .

الفصل الثاني

بطاركة الموارنة في القرن السابع عشر

عد ٥٩

البطريرك يوحنا مخلوف

فرغنا من كلامنا على هؤلاء البطاركة في القرن السادس عشر بذكر وفاة البطريرك يوسف الرزي في شهر آب سنة ١٦٠٨م . وبسبب القلق بالبلاد لم يتمكن الأساقفة من الاجتماع في اليوم التاسع بعد وفاته كالعادة لانتخاب خلف له ، فتأجل الانتخاب إلى أوائل شهر حزيران سنة ١٦٠٩م فاجتمع حينئذٍ الأساقفة

والأعيان واختاروا الأسقف يوحنا بن مخلوف من اهدن . وكان البطريرك يوسف الرزي قد رقاه إلى الأسقفية سنة ١٦٠٣م ليكون معاوناً له في تدبير أمور دير قنوبين . وبعد انتخابه بطريركاً سيّر إلى روما القس جرجس بن مارون والقس الياس ابن الحاج يوحنا من اهدن والشماس يوسف من كرم سدة ليأتوه بالتثبيت من البابا بولس الخامس . وعند مرورهم بقبرص أخذوا معهم القس كسبر الماروني تلميذ مدرسة روما ، وكان مشهوراً بالعلم والبرارة فنالوا من لدن الحبر الأعظم الاعزاز والتكريم ودرع الرئاسة للبطريرك وعاد المذكورون إلى لبنان في ١٠ آذار سنة ١٦١٠م . وقال بياجيوس ترسي (في كتابه سورية المقدسة صفحة ٥٣) في حق هذا البطريرك : « قد تلألأت به أنوار الفضائل فتسامى بها حتى لُقّب بالقديس . وأنار الكنيسة الشرقية بعلمه وعزاها بغيرته . وكان له لدى الأحبار الأعظمين أعلى مرتبة فأتحفوه بهدايا نفيسة ونولوه نعماً مشرفة موازية لفضله واستيهاله » . ففي سنة ١٦١٢م أرسل إليه البابا بولس الخامس في تاريخ ٢٢ تشرين الثاني رسالة يفوّض إليه بها أن يمنح البركة البابوية لجميع الموارنة رجالاً ونساءً ، ومن حضر منح هذه البركة وكان معترفاً ومتناولاً يربح غفراناً كاملاً . وترى ترجمة هذه الرسالة مثبتة في ذيل المجمع اللبناني صفحة ٢٧ .

ولما ارتقى البابا غريغوريوس الخامس عشر إلى كرسي الحبرية العظمى أرسل البطريرك يوحنا يهنئه بارتقائه ويطلب منه البركة له ولشعبه ، وأن يتكرّم على الطائفة بطبع كتاب الشحيم كما كان سالفه قد أمر بذلك . فورد له الجواب في تاريخ ١ تموز سنة ١٦٢٢م صحبة قاصده الأب ليونردوس من رهبان القديس فرنسيس إنه صار الشروع في طبع الشحيم ، وثبت له الغفارين الذين كان البابا بولس الخامس قد أنعم بها على من يزورون كنيسة قنوبين الكرسي البطريركي في عيد بشارة العذراء وعيد انتقالها ، وعيد الرسولين بطرس وبولس ليربحوا غفراناً كاملاً إذا كانوا معترفين ومغتذين بالقربان الأقدس . ومنح زوار كنيسة قنوبين الغفارين التي يربحونها لو زاروا كنيسة زعيم الرسل بروما أو غيرها من الكنائس القائمة داخل أسوار رومة . وترجمة هذه الرسالة تراها مثبتة في ذيل المجمع اللباني صفحة ٢٣ . وفي السّنة المذكورة كان قحط في البلاد فأمر البطريرك بنصب كرم درغاتا مفلح نحو عشرة فدادين وأشغل به عملة كثيرين، فكانوا يأكلون نهاراً على نفقة الكرسي ويأخذون مساءً الزاد لعيالهم .

وفي سنة ١٦٢٤ جعل دير حوقا مدرسة ابتدائية يتعلّم بها الشبان العلوم الاكليريكية، ومن نبغ منهم أرسله إلى مدرسة الطائفة بروما. وأرسل الخوري يوحنا ابن قرياقوس الحصروني من بيت صندوق (هو الذي صار بعداً أسقفاً وكان مع الصهيوني بباريس) إلى البابا أوربانوس الثامن يهنئه بتسنمه الكرسي الرسولي ويخبره بجعله دير حوقا مدرسة لملّته في المشرق، وأرسل حينئذٍ اثني عشر طالباً لمدرسة روما، فسُرّ البابا بكتابة البطريرك وعيّن مبلغاً سنوياً لمدرسة حوقا ودوّن لها دستوراً للعمل به فيها. وفي السنة التابعة أي سنة ١٦٢٥م بعث إلى البطريرك تاجاً ثميناً وغفارات نفيسة وكتباً وحللاً ورسالة مشرفة افتتحها بقوله: «لم يذبل البتّة جمال الكرمل ولم يذوِ مجد لبنان» وقد استشهدنا بفقرات منها مرات في كتبنا بياناً لثبوت الموارنة كل حين على الايمان الكاثوليكي. وتراها مترجمة برمتها في الفصل ١٨ من رد التهم الملحق بتاريخ الدويهي صفحة ٤٥٤.

وكان هذا البطريرك في أوائل بطريركته قد اضطر من قبل المظالم الجارية في جبة بشري ومضادة الشدياق خاطر الحصروني له أن يتوجه إلى ناحية الشوف ليكون تحت حماية الأمير فخر الدين المعني، والتقليد المحفوظ في جبة بشري والذي رواه الدويهي أيضاً في تاريخ سنة ١٦٠٩م أنّ البطريرك بينما كان سائراً في أرض بريسات إحدى قرى الجبة طعن بالحرم الشدياق خاطر لأنه تسبب بخروجه من وطنه. ويقولون إنّ الحاضرين ارتجفوا من الحرم وسألوا البطريرك أن يرفعه عن المقدّم خاطر، ولمعرفة البطريرك بسذاجتهم قال رفعته عنه وحولته إلى هذه الصخرة. فانشقّت الصخرة. وإلى الآن ترى صخرة فوق الحدث مشققة تسميها العامة الصخرة المحرومة، ويروون عنها هذه الرواية. وعندما دخل البطريرك على الأمير فخر الدين أحسن استقباله وبالغ في اكرامه، وكان ابنه الأمير علي قد اشترى قرية مجدل المعوش بالعرقوب الشمالي من سكانها المسلمين وأسكن فيها جماعة من النصارى، فحل البطريرك في هذه القرية وبنى فيها داراً وكنيسة وهي المعروفة الآن بكنيسة السيدة بالقرية المذكورة. وقد زرتها مرات لأنها باقية إلى اليوم، وبناؤها أشبه ببناء كنيسة القديسة مورا التي بناها هذا البطريرك أيضاً بكفر زينا في آخر حياته سنة ١٦٣٢م، إلى أن سار الشدياق خاطر الحصروني وغيره من أعيان البلاد إليه إلى مجدل معوش وأرجعوه إلى كرسيه بقنوبين. وهذا البطريرك هو الذي رقى اسحق الشدراوي الآتي ذكره إلى أسقفية طرابلس سنة ١٦٢٩م. ولهذا الأسقف

قصيدتان بالسريانية. الأولى في مدح البابا أوربانوس الثامن. والثانية في مدح هذا البطريرك. وكلتاهما مثبتتان في كتاب سرياني بمكتبة مجمع نشر الايمان المقدّس. وفي أيام هذا البطريرك واجابة لالتماسه طُبع بروما كتاب فرضنا الكبير المعروف بالشحيم، بعد الفحص الدقيق والتروي به من علماء شهيرين منهم الكردينال بلرمنيوس كما سترى.

وفي ١٥ من كانون الأول سنة ١٦٣٣م كان انتقال هذا البطريرك من دار الشقاء إلى دار البقاء المؤبد لينال جزاء جهاده ومبراته، وكان ذلك في قرية كفرزينا موطني بزاوية طرابلس، وحُمل ليلاً إلى دير قنوبين فدُفن فيه. وقال الدويهي في حقه، كان ليّن العريكة منخفض الجانب، كريم الأخلاق محب السلامة، كثير الصدقات. اتخذ سيرة النسك بدير قزحيا، ولما تسامى بفضائله وشديد غيرته على خلاص النفوس رقاه البطريرك يوسف الرزي أسقفاً معاوناً له بدير قنوبين. وأنشأ لهذا الدير عقارات كثيرة في جبة بشري وزاوية طرابلس. ولما توفي البطريرك يوسف الرزي خلفه في بطريركية انطاكية على الموارنة. انتهى ملخصاً عن تاريخ الدويهي والمشرق المسيحي للكويان في سلسلة بطاركة الموارنة وغيرهما.

عد ٦٠

البطريرك جرجس عميره

ذكر الدويهي بعض ترجمته في الفصل الثامن عشر من رد التهم فقال: كان البطريرك المذكور من: «أنسبائنا، وذهب به خاله القس يعقوب الدويهي إلى روما سنة ١٥٨٤م لاقتباس العلوم في مدرسة الموارنة الحديثة النشأة حينئذٍ. وبعد أن أتقن العلوم العقلية والنقلية والإلهية، نشر باللاتينية كتاباً في نحو اللغة السريانية طُبع بروما سنة ١٦٩٦م وعلّق عليه فاتحة تشهد له بطول الباع وغزارة الاطلاع أبان فيها قدم اللغة السريانية وسموّها على غيرها وفائدتها، حتى قال إنها اللغة الأولى للناس وأم للغة العبرانية. ولكن انتقد فالتون في مقدمات البوليكلوتا (الكتاب المقدّس بعدة لغات) الانكليزية بعض أدلّة عميرة، ثم اختصر بطرس المطوشي القبرصي الماروني

كتاب عميرة هذا وكذلك صنع جبرائيل عواد الحصروني، فأشهرا كتابين في نحو اللغة السريانية موجزين عن كتب عميرة وكان كتاباهما محفوظين بمكتبة مدرسة الموارنة بروما ومكتبة نشر الايمان المقدّس.

وعاد عميرة إلى لبنان سنة ١٥٩٥م واشتهر في السنة التابعة بعلمه وفقاهته في المجمع الطائفي الذي عقده تلك السنة البطريرك سركيس الرزي بأمر البابا اكليمنضوس الثامن لتبرئة الموارنة من بعض الأغلاط المعزوة إليهم بسبب بعض عبارات في كتبهم كما مرّ. ولما توفي البطريرك سركيس الرزي بعيد هذا المجمع وخلفه ابن أخيه يوسف الرزي رقي عميره إلى الأسقفية على اهدن فتفانى بجهاده وتعليمه وظهر ما كان عليه من ذكاء العقل ورسوخ الورع واتقاد الغيرة على نشر الفضيلة والدين القويم.

ولما توفي البطريرك يوحنا مخلوف في سنة ١٦٣٣م أجمع الأساقفة على انتخاب المطران جرجس عميره أسقف اهدن بطريكاً في ٢٧ كانون الأول سنة ١٦٣٣م، فأرسل إلى روما الخوري ميخائيل بن سعادة بن أنطون بن شمعون بن فهد الحصروني ليستمد له التثبيت ودرع الرئاسة من البابا أوربانوس الثامن فثبته سنة ١٦٣٥م. وفي أيام هذا البطريرك أُنشئت مدرسة للموارنة بمدينة رافنّا بايطاليا من تركة الخوري نصر الله شلق العاقوري. وسيأتي ذكرها في ترجمة الخوري نصر الله المذكور. وفي أيامه أيضاً تشكى أهل بقسميا الذين كانوا من الملكية غير المتحدين على القس يوحنا بن بهينا الأجبعي رئيس دير القديس مارون بكفرحي إلى ابن سيفا، فقبض عليه وأهانه وسامه ما هو فوق طاقته فترك الدير فخرب إلى أن جدد بناءه البطريرك يوسف اسطفان كما سيجئ. وفي سنة ١٦٣٨م لما قدم السلطان مراد إلى حلب أنعم على الموارنة وبطريركهم ببراءة أثنى فيها على ولائهم للدولة العلية وشدّة تعلّقهم بالأريكة السلطانية.

وفي التاسع والعشرين من تموز سنة ١٦٤٤م أنشبت المنية أظفارها بالبطريرك جرجس عميرة بعد أن استمر على الكرسي البطريركي عشر سنين وسبعة أشهر. ودُفن بقنوبين في جانب كنيسة القديسة مارينا، وله كتاب هندسة الأبنية اقترحه عليه الأمير فخر الدين المعني.

قال دي لاروك في كتاب رحلته إلى سورية ولبنان في ترجمة فرنسيس كالوب

دي شاستول الفرنسي الذي نسك بلبنان وسيأتي ذكره. إنّ بعض الموارنة سألوا فرنسيس الناسك المذكور أن يصير بطريركاً عليهم بعد وفاة البطريرك جرجس عميرة فأبى كل الاباء وأشار عليهم أن ينتخبوا بطريركاً الياس مطران اهدن الذي كان مرشده الروحي، وأشار عليه أن يقبل البطريركية، فانتخبوه، وبعد ستة أشهر مات الناسك المذكور في ١٥ أيار سنة ١٦٤٤م كما يظهر من الكتابة المنقوشة على ضريحه. على أنّ هذه الرواية غير صحيحة ويخالفها كل ما ورد في تواريخ ملّتنا المجمعة على أنّ البطريرك يوسف العاقوري خلف البطريرك جرجس عميره دون متوسط بينهما. ولذلك قال لكويان بعد ايراده الرواية المذكورة فليتبصّر اللبيب كيف تتفق هذه الرواية مع ما رواه الدويهي أنّ جرجس عميره خلفه البطريرك يوسف العاقوري ابن المطران بطرس العاقوري المعروف بابن حليب في ١٥ آب من سنة ١٦٤٤م، ومع ما رواه السمعاني في المجلد الأول من المكتبة الشرقية صفحة ٥٥٢ حيث قال مات جرجس عميره في ٢٩ تموز سنة ١٦٤٤م وفي هذا اليوم نفسه توفي البابا أوربانوس الثامن. وقال في الصفحة التالية إنّ يوسف العاقوري خلف جرجس عميره في ١٥ آب سنة ١٦٤٤م فليرَ القارئُ أي القولين أولى بالاتباع. انتهى كلام لكويان. فنحن نرى أنّ رواية دي لاروك هذه غير صحيحة ولا سيما أنه لا ريب في أنّ الناسك المذكور توفي في ١٥ أيار سنة ١٦٤٤م والبطريرك جرجس عميره توفي بعده في ٢٩ تموز سنة ١٦٤٤م. انتهى ملخصاً عن تاريخ الدويهي وعن المشرق المسيحي للكويان وعن المكتبة الشرقية للسمعاني.

عد ٦١

البطريرك يوسف العاقوري

هو ابن المطران بطرس بن حليب ابن الخوري سابا العاقوري. وكان المطران بطرس متزوجاً قبل ارتقائه إلى الدرجات المقدّسة ثم توفيت امرأته فرقاه البطريرك يوسف الرزي سنة ١٦٠١م في عشرين من تشرين الثاني إلى الأسقفية خلفاً لموسى أسقف العاقورة. وتوفي المطران بطرس سنة ١٦٠٦م في العبادية بالمتن ودُفن ببيروت كما مرّ. وكان له من الأولاد يوسف هذا الذي تزوج أيضاً قبل ارتقائه إلى الدرجات المقدّسة. ونعلم أنه كانت له بنت تزوجت بدمشق كما سيأتي. ثم

ارتقى يوسف إلى درجة الكهنوت، ثم رقاه البطريرك يوحنا مخلوف إلى أسقفية صيدا سنة ١٦٣٦م، فأقام في الأسقفية ثماني عشرة سنة دائباً على فلاحة كرم الرب متفانياً في الأعمال الخيرية والمبرات. وفي سنة ١٦٤٣م اشترى من آل حبيش أرضاً في حراش بنى فيها كنيسة وديراً للراهبات كما سيأتي.

ولما توفي البطريرك جرجس عميره في ٢٩ تموز سنة ١٦٤٤م اجتمع الأساقفة والأعيان في ١٥ آب من السنة المذكورة فانتخبوه بطريركاً. ويظهر أنه أرسل في هذه السنة المطران اسحق الشدراوي مطران طرابلس يستمد له درع الرئاسة من الحبر الروماني فأعاقه مرض أو غيره عن الوصول إلى روما، وهذا بيّن من الفاتحة التي علّقها القس عبد المسيح الحدثي الآتي ذكره على كتاب الشحيمة (الفرض) المطبوع بروما حيث يذكر وفاة البطريرك جرجس عميره سنة ١٦٤٤م وانتخاب المطران يوسف العاقوري بطريركاً في ١٥ آب عيد انتقال العذراء من السنة المذكورة. ويقول ما خلاصته: «إنّ البطريرك الجديد استشار أساقفته وأعيان طائفته في ارسال المطران اسحق الشدراوي عملاً بعادة طائفتنا إلى روما ليؤدي الطاعة نيابةً عنه للبابا اينوشنسيوس العاشر وما صار في ذلك نصيب (أما لأنّ المطران المذكور تعذر عن السفر حينئذٍ أو مرض في الطريق لأنه توجه بعداً إلى روما سنة ١٦٤٧م كما يظهر من هذه الفاتحة أيضاً). فلما جئت أنا الحقير (القس عبد المسيح بن الياس بن الطويل من قرية الحدث تلميذ مدرسة الموارنة بروما وخوري أقاربي بعين ابل) أقبل اقدام سيّدنا البطريرك أمرني أن أتوجه إلى روما نيابةً عنه وأطلب التثبيت له وأقضي بعض حاجات الطائفة، وطلبت منه رفيقاً فرفقني بالشدياق مرقس راهب من رهبان مار شليطا. فوصلنا إلى روما في ٢ من تموز سنة ١٦٤٥م فتقبلنا الحبر الروماني بالاعزاز وأنعم على البطريرك بدرع الرئاسة والتثبيت وأمر بطبع الشحيم مختصراً (وهو كتاب الفرض الاسبوعي المعروف بالشحيمة) وطبع غرامطيق سيّدنا البطريرك يوسف الذي أرسله معنا وأخذنا بطبع ذلك بعنايته، ولكن وجدنا في الشحيمة بعض أغلاط فأصلحناها نحن وحضرة سيّدنا المطران اسحق لأنه لحقنا عند آخر طبع صلوة الصبح يوم السبت. وأضفنا إلى ذلك ما يحتاجه الكاهن في ممارسة خدمته إلّا رتبة الصلاة على العرسان فلم نجد لها نسخة بروما. وتمّ ذلك في ٣٠ من شهر آذار سنة ١٦٤٧م». ونظن أنّ هذه الشحيمة هي المعروفة باليوسفية نسبةً إلى البطريرك يوسف هذا.

وأما الغرامطيق الذي ألّفه هذا البطريرك فقد كمل طبعه بروما بمطبعة مجمع نشر الايمان سنة ١٦٤٥م . ولهذا البطريرك أشعار كثيرة بلغة العامة أكثرها في الموارنة والملكية . وقد ذكررنا فقرة منها في تاريخ القرن السابع عند ذكر وقعة أميون بين الموارنة ومريق ومرقيان قائدي عسكر يوستنيانوس الأخرم . وبعد فراغه من أخبار هذه الوقعة ، أخذ يفنّد بعض أغلاط الملكية ويندد بهم لعدم اتباعهم الحساب الذي أصلحه البابا غريغوريوس الثالث عشر . وأول من اتبعه في المشرق البطريرك يوسف الرزي وطائفته المارونية سنة ١٦٠٦م كما مر .

وقد رقي هذا البطريرك في بداية رئاسته إلى الأسقفية المطران يوسف بن عميمة الكرمسدي والمطران ميخائيل بن سعادة الحصروني سفير سالفه إلى الحبر الروماني وجعلهما معاونين له في شؤون الكرسي البطريركي . وعزا إليه بياجيوس ترسي في كتابه الموسوم بسورية المقدّسة صفحة ٥٣ مقالة شعرية في رئاسة الحبر الروماني . وتوفي في ٢٣ من شهر تشرين الثاني (كذا في نسخة لكويان وفي النسخة التي بيدنا في ٣ منه) سنة ١٦٤٨م فلم يبقَ في البطريركية إلّا ثلاث سنين وثلاثة أشهر ، ودُفن بقرية العاقورة في كنيسة القديس بطرس المنقورة في الصخر . وقال الدويهي في حقه: كان شجاعاً ورعاً محباً للعلماء غيوراً في أمور الدين راغباً في انشاء الكنائس . وقاسى مشقات كبرى من جراء أعمال صهره زوج بنته المدعو قرقماز لأنه جحد الايمان في دمشق فناصبه الموارنة بدمشق فتحملوا بسببه خسائر جمّة ، واضطروا إلى المهاجرة والتشتت . انتهى ملخصاً عن تاريخ الدويهي والمشرق المسيحي للكويان ، والمجلد الأول من المكتبة الشرقية للسمعاني صفحة ٥٥٣ وعقد هذا البطريرك مجمعاً طائفياً بدير حراش سنلخص ما كان فيه في آخر هذا الملحق .

عد ٦٢

البطريركيان يوحنا الصفراوي وجرجس السبعلي

أما يوحنا الصفراوي فروى الدويهي أنه كان من بيت البواب من قرية الصفرا في فتوح كسروان . ولم نعلم حتى الآن أين تعلّم ولا متى صير كاهناً . ويظهر أنّ البطريرك جرجس عميره رقاه إلى الأسقفية سنة ١٦٣٦م. وفي اليوم التاسع بعد

ذفن البطريرك يوسف العاقوري اجتمع الأساقفة والأعيان بدير قنوبين سنة ١٦٤٨م في أواخر تشرين الثاني وأوائل كانون الأول واختاروه بطريركاً وأقاموه موضعه، وأرسل إلى روما الخوري ميخائيل بن صابونه الحصروني فثبته البابا اينوشنسيوس العاشر سنة ١٦٤٩م. وفي أيام هذا البطريرك أصدر لويس الرابع عشر ملك فرنسة براءة جدّد فيها الحماية لبطريرك الموارنة وأساقفته واكليروسه وشعبه. وهذه ترجمة البراءة المذكورة عن الفرنسية.

« لويس بنعمة الله ملك فرنسة ونافرّا »

سلامٌ لكل مطلع على خطنا هذا، فليكن معلوماً عند كل واقف على براءتنا هذه أننا بعد استشارة الملكة النائبة عنا في الملك السيدة والدتنا المحترمة قد أخذنا ووضعنا ونأخذ ونضع تحت حمايتنا الخاصة السيد الكلي الاحترام بطريرك الموارنة وجميع أساقفته واكليروسه وعامة شعبه الساكنين خاصةً بلبنان. ونوّد أن يشعروا بمفاعيل حمايتنا ومساعدتنا ولذلك نرغب إلى السيد دي لاهيونتلي أحد أعضاء مجلس الشورى في مملكتنا، وسفيرنا إلى المشرق وإلى جميع من يخلفونه في مقامه أن يمدوهم بعنايتهم بهم اجمالاً وأفراداً ويبذلوا لهم الحماية لدى أعتاب صديقنا الأكمل السلطان الأعظم، وفي أي محل آخر كان لدي الحاجة إلى الحماية كيلا تجري عليهم معاملة سيئة وغير مشروعة، بل يتيسر لهم قضاء أعمالهم والتصرف بمقتضيات مراتبهم الروحية بتمام الحرية، ونأمر قناصل الأمة الفرنسية ونواب قناصلها المنصوبين في فرض المشرق وغيرها من الأماكن المشرّع بها العلم الفرنسي الآن، وفي ما يأتي من الزمان أن يساعدوا بكل وسعهم البطريرك المشار إليه وجميع الموارنة سكان جبل لبنان، وأن يسيروا في المراكب الفرنسية أو غيرها كل ماروني أراد السفر إلى بلاد النصارى، اما لدرس العلوم واما لغير ذلك، ولا يكلفوهم إلَّا ما يمكنهم دفعه، ويعاملوهم بالمحبة والرقة. ونسأل السادة العظام عمال الحضرة العلية السلطانية ومستخدميها أن يبذلوا رعايتهم ومساعدتهم لحضرة رئيس أساقفة طرابلس وجميع الاكليروس والشعب الماروني، ونعدهم من قبلنا أننا نصنع هذا الصنيع إلى كل رجل من أمتهم يوصون عمالنا به.

أُعطي في سن جهان بمدينة لاي في ٢٨ نيسان سنة ١٦٤٩م وهي السادسة لملكنا » .

والبطريرك يوحنا هذا هو الذي رقى إلى درجة الكهنوت ثم الأسقفية على السريان اندراوس أخيخان بعد أن كان جحد اليعقوبية على يد البطريرك يوسف العاقوري . ودرس العلوم بمدرسة طائفتنا في روما كما مرّ في ترجمته وفي الثالث والعشرين من كانون الأول سنة ١٦٥٦م انتقل البطرَيرك يوحنا إلى راحة الأبرار الأبدية لينال ثواب جهاده ومبراته ، وكان انتقاله بدير قنوبين ، ودُفن هناك . وقد وصفه الدويهي بأنه كان طاهراً قنوعاً رضي الأخلاق بعيداً عن الكدر والمكر تربّى منذ حداثته بالتقوى والنسك وحاز على أعلى مراتب الورع والاتضاع ، وكان مدمناً على الصلوات وتلاوة المسبحة وغيرها من النوافل زيادةً على صلوات الفرض ، كثير الصوم والتقشف في مدة كهنوته ولا سيما في مدة أسقفيته التي كانت اثنتي عشرة سنة ، وفي مدة بطريركيته التي كانت ثماني سنين ونيف .

أما البطريرك جرجس السبعلي فقال فيه الدويهي في تاريخ سنة ١٦٥٧م إنه كان ابن الحاج رزق الله من سبعل بزاوية طرابلس (وهي الآن قرية حقيرة) وكان البطريرك الصفراوي قد رقاه إلى الأسقفية في ٢٥ من تموز سنة ١٦٥٦م ليكون معاوناً له في تدبير شؤون البطريركية . ولما توفي هذا البطريرك في ٢٣ من كانون الأول من السنة المذكورة اجتمع الأساقفة والأعيان في اليوم التاسع بعد وفاته أي في أول كانون الثاني سنة ١٦٥٧م فانتخبوه بطريركاً ، وأرسل الأب يوحنا الكرملي الذي كان قاطناً بدير القديس اليشاع في جانب بشري إلى روما وأصحبه بعرائض اداء الطاعة واستمداد التثبيت من الحبر االروماني البابا اسكندر السابع فاتفق أن مات الأب المذكور لدن بلوغه إلى روما فاضطر البطريرك أن يجدد الالتماس ، وتأخر تثبيته إلى سنة ١٦٥٩م . وقال في حقه دي لاروك في كتاب رحلته المذكور (صفحة ١٣١) إنه كان ضليعاً باللغات الشرقية ومبرزاً في معرفة الشرائع والقوانين البيعية ، وفي أيام هذا البطريرك قدم من فرنسة أربعة رجال قاصدين العزلة عن العالم للتجرد لخدمة الله في محابس جبل لبنان فاختار بعضهم السكنى بدير مار اسيا بكفر صارون ، وبعضهم بدير مار ابون بأرض الحدث ، وبعضهم بدير القديس انطونيوس في جوار قنوبين . فأمر البطريرك بمرمة الأديار المذكورة واصلاحها للسكن ، وأن يعطوا الزاد من دير الكرسي البطريركي . وفي ١٢ من شهر نيسان

سنة ١٦٧٠م كانت وفاة البطريرك جرجس بدير مار شليطا مقبس بكسروان ودُفن هناك وضريحه ظاهر إلى الآن. وقال الدويهي في حقه إنه كان شجاعاً كريم الأخلاق، صبوراً تحمّل كثيراً من جور الحكام في تلك الأيام ومن داء السلّ الذي بُلي به واستمر على الكرسي البطريركي ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر. انتهى ملخصاً عن تاريخ الدويهي والمشرق المسيحي للكويان.

عد ٦٣

العلّامة البطريرك اسطفانوس الدويهي

نعتمد في ترجمة هذا العلّامة على ما كتبه عن نفسه في رسالة أنفذها إلى القس بطرس مبارك أحد تلاميذ مدرسة الموارنة بروما، فهذا أرسل كتاباً للبطريرك يسأله به أن يلخص له ترجمته ليثبتها في مقدمة كتاب كان يريد طبعه، فأجابه البطريرك برسالته المذكورة التي وُجدت في خزانة أوراق الكرسي البطريركي. وإليك نص هذه الرسالة بحروفها:

«البركة والنعمة وحلول الروح القدس تكون حالة على ولدنا القس بطرس المكرم الخ. أشرت لنا حتى نكتب لك عن سيرتنا لتقتطف منه الذي يحسن برأيك وتجعله في مدخل الكتاب على جاري العادة بين الافرنج في طبع الكتب. يا ولدنا نحن نقرّ أنّا أخطأ الناس وأرذلهم بالنسبة إلى النعمة التي تفضل بها الله علينا، لكن لأجل خاطرك نذكر لك إننا من طائفة الدويهية المشهورة بين جماعتنا (الموارنة) في التقوى والعلم وسياسة الشعب، قد خرج منها في الجيلين الماضيين ثمانية مطارين وبطركين وكان مولدنا سنة [illegible] (سنة ١٦٣٠م) في ٢ شهر آب نهار تذكار ما اسطفانوس، وسمينا على اسمه ومنذ الصبا سلمونا والدينا إلى القراءة السريانية. وفي سنة [illegible] (١٦٤١م) أرسلنا المرحوم البطريرك جرجس بن عميره التي أمه كانت من الطائفة (الدويهية) إلى روما بصحبة القس سمعان (التولاوي) ويوسف فتيان (الحصروني). وفي مقامنا في المدرسة سعينا في اقامة المجمع (جمعية أو أخوية) باسم السيدة الطاهرة وكانت قبلنا انقطعت المجادلات (أي المباحث العامة الحافلة) فعملنا جهداً كليًّا عند معلمي المدارس وعند الجنرال

حتى جددنا العادة التي انقطعت ، وعملنا مجادلة الفلسفة على اسم الكردينال كابون ، وتمام علم اللاهوت على اسم المرحوم البطرك حنا الصفراوي . وسنة ١٦٥٥م كانت عودتنا إلى البلاد وكرم علينا مجمع انتشار الايمان أن نكون من جملة المرسلين وفي ترددنا في البلاد اعتنينا على علم الأولاد وعلى الوعظ وتهذيب الشعب بدرجة الكهنوت . وعندما طلبوا جماعتنا (الموارنة) الحلبية من المرحوم بطريرك جرجس (السبعلي) أن نكرز عليهم ثبتنا عندهم نكرز عليهم ونعلّم أولادهم ونتعاطى في أمورهم مدة ست سنين وعندما في سنة ١٦٦٨م توجهنا من عندهم إلى زيارة المواضع المقدّسة في العودة مسكنا البطريرك المرحوم وقدمنا إلى درجة المطرانية على أسقفية قبرص فزرناهم وتعبنا فيهم جهدنا . وفي السنة الثانية عندما انتقل البطريرك جرجس ابن الحاج رزق الله إلى رحمة خالقه ألزمونا رؤساء الكهنة ورؤساء الشعب في درجة البطركية . وفي كل هذه المدة احتملنا مشقات واضطهاد لا يوصف من جور العصاة . حتى أننا طفرنا إلى بلاد كسروان وإلى بلاد الشوف ، ولأجل هذه الديورة والكنائس والنصارى التزمنا نرجع لأجل حفظهم، وإلّا كانوا شرّدوا ولله الحمد قائمين بحملتنا وفي عمار الكرسي والطائفة . وفي كل هذه المدة تعبنا تعباً بليغاً حتى جمعنا غالب رتبها كما هو (هنا كلمة غير مقروءة) .

١ ܟܬܒܐ ܕܫܪܛܘܢܘܬܐ (كتاب الشرطونية وأظن أنّ المراد جمعه هذا الكتاب وترتيبه) ٢ ܕܝܪ̈ܝܐ (قبل هذه الكلمة كلمة مخزوقة فكأنها نظام أوِ قانوِن الرهبان) ٣ ܕܪܘܫܡ ܥܕܬܐ ܘܡܐܢܝܗ̇ (رسم البيعة وأثاثها) ܟܬܒܐ ܕܨܠܘ̈ܬܐ (أي كتاب الصلوات) وبعثناه إلى روما . ٥ كتاب النوافير (وهو غير كتاب منارة الأقداس الذي عدّد به النوافير بل كتاب برأسه عدد فيه النوافير وعني بترجمة مؤلفيها وذكر صورة كلام التقديس في كل منها، وضمّ إليه نافور رسم الكأس . وهذا الكتاب كان في دير مار شليطا مقبس فنُقل حديثاً إلى مكتبة البطريركية) ٦ ܐܪ̈ܙܐ ܕܥܕܬܐ (أسرار البيعة) ٧ ܕܡܥܕܥܕܢܐ (أعياد) كل السنة (وهو كتاب جمع فيه رتب الموارنة على مدار السنة بالسريانية عدد صفحاته ٣٧٩ كرتبة تبريك الماء يوم عيد الغطاس ، ورتبة أحد الشعانين وغيرها . وهذا الكتاب الآن في مكتبة البطريركية منقولاً إليها من مكتبة مار شليطا) ٨ سجلات البابوية ومكاتيب البطاركة وأرباب الدولة وحجج وقوفات الدير ومن غير (وما عدا) الكتب البيعية

التي جمعناه . وذكرنا إننا عاملون متعبين على كتاب الجنازة وغيره ، ثم إننا شرحنا عن كتاب الشرطونية . وفي كتاب آخر عن تكريس البيعة وأوانيها . وفي كتاب آخر عن تفسير القداس والمنائر ، وأيضاً في قصص الآباء أصحاب النوافير المقبولة وأيضاً عن سلسلة بطاركة الملّة المارونية ، وأيضاً على أصل الملّة المارونية ودوام اتحادها مع الكنيسة الرومانية وهي التي عندك . وأيضاً في التواريخ من بدء الهجرة إلى وقتنا هذا بل الذي تعبنا عليه بزيادة من قدوم الفرنج إلى هذه البلاد . وأيضاً جمعنا رؤوس الأبيات السريانية وفككناها على موجب وزن الشعر ونعمل متعبين بسبب مدرسة الموارنة بروما ونفعها ونشر تلاميذها . ومن غير تعبنا مع طائفتنا ما تأخرنا أيضاً عن نفع الطوائف التي بجيرتنا لأنّ المرحوم القنصل بيكت ، كان بعث عشر مكاتيب للمرحوم البطريرك حنا من صفرا حتى يرسم القس اندراوس أخيجان فما تنازل معه حتى دخلت أنا بينهم وأزحت عن بال البطرك الصعوبات التي كانت تمانعه . وبعد أن ارتسم مطراناً صار أنه طفر (فرّ) إلى جبل لبنان لأجل خاطر القنصل وسيطه إلى الرجوع ، ورحت أنا بنفسي معه وكنت أساعده في المقدرة وفي كتابة الكرز الذي كنت أعطيه . وكذلك طفر لعندنا القس اسحق (السرياني) وأنا بطريرك مسكته عندنا سنتين ورتبته ورسمته أيضاً ، وعندما طفر بعده إلى عندنا بطرس بطريرك السريان (نظنه اغناطيوس بطرس الذي خلف أخيجان في البطريركية على السريان الذي توفي في السجن بأدنه بمكيدة بطريرك اليعاقبة) ثبت عندنا مدة من الزمان بكل اعزاز واكرام ، ثم بعد المذكورين التجا إلينا الخوري نعمة والقس سبيمان السريان من جور بطريركهم الضال ، وكذلك مطران الأرمن على مرعش عندما التجا إلينا قبلناه بكل كرامة وأمرنا جماعتنا بحلب ليقبلوا جميع المرتدين من اليعاقبة والأرمن والنساطرة وغيرهم ويتلمذونهم ويقضون مصالحهم . حُرر في أول شهر أيار سنة ١٧٠١ ربانية » . وقد طبع المعلم رشيد الشرتوني من تآليف الدويهي شرح الشرطونية والتكريسات ، وشرح المنائر العشر وسلسلة بطاركة الموارنة مع اضافات . وأخذ من كتابه في أصل الموارنة ودوام اتحادهم بالكنيسة الرومانية . ومن التاريخ كتابه المعروف بتاريخ الطائفة المارونية وطبعه سنة ١٨٩٠م .

إنّ البطريرك سمعان عواد الطيب الذكر قد وضع ترجمة العلامة الدويهي آخذاً عنه وعن ثقاة من معاصريه . وهذه الترجمة أثبتها المعلم رشيد الشرتوني في فاتحة

تاريخ الموارنة للدويهي الذي طبعه ببيروت سنة ١٨٩٠م فنقتطف منها ما يلزم لتتمة الترجمة. وبيانها أنّ والد الدويهي يسمى مخايل واسم أمه مريم وهي من آل الدويهي أيضاً، وأرسله إلى روما عمه المطران الياس الدويهي على يد البطريرك جرجس عميره. وقد قال عن نفسه أنه كان يقضي وقت التنزه وهو في المدرسة في القراءة والدرس، وكثيراً ما كان يقوم عن فراشه ليلاً فيصلّي ويدرس على نور المصباح الساعتين والثلاث حتى أصيب ببصره، فكان يطلب إلى رفقائه أن يقرأوا على مسمعه الدروس اليومية، ثم شفي بشفاعة العذراء. وكان استاذه في اللاهوت الأب سبرسا اليسوعي. يقول مرات علّمت في بلاد كثيرة ولم أرَ مثل اسطفان علماً وعملاً. وشهد عارفوه أنهم لم يكونوا يجدون عليه خطيئة توجب الحلّ. وألّف بعد انجاز دروسه كتاباً ضخماً باللاتينية في الفردوس الأرضي. وبعد رجوعه إلى وطنه رُقّي إلى درجة الكهنوت وأنشأ مدرسة في اهدن وأخذ يعلّم الأولاد ويعظ الشعب إلى أن أرسله البطريرك جرجس السبعلي إلى حلب واعظاً ومرسلاً. واهتدى على يده كثير من الملكية والنساطرة واليعاقبة. وصنّف في تلك الأثناء مؤلفاً في الوعظ والارشاد في مجلدين. وقد جرى انتخابه بطريركاً سنة ١٦٧٠م بغير مشورة الشيخ أبي نوفل الخازن، فاستاء فأتى البطريرك إلى داره بكسروان فأجلّ الشيخ قدره واستغفره عما فرط منه. وأرسل إلى روما القس يوسف شمعون الحصروني (الذي صار بعداً أسقفاً) في ١٠ تشرين الثاني سنة ١٦٧٠م فثبته البابا اكليمنضوس العاشر (في ٨ آب سنة ١٦٧٢م).

وبعد بطريركيته أخذ يطوف جميع الأبرشيات ويختار كهنة من ذوي العلم والتقوى ويفحص الكتب البيعية ويصلح ما أوقعه النساخ أو أصحاب الأغراض من الخطأ فيها. وكان معتنياً برد العوائد القديمة، ورتب الطقوس. وذكر له البطريرك سمعان عواد بعض الكتب التي ذكرها هو في ترجمة نفسه وما قرظه به العلماء من طائفته كمرهج بن نيرون الباني والمطران يوسف شمعون الحصروني والبطريرك يعقوب عواد. ومن غير طائفته نخص بالذكر منهم الكردينال نرلى في كتابه في مشاهير المدرسة المارونية بروما. ولما علم البطريرك كيرليس الحلبي بطريرك الروم الانطاكي أنّ الخبز والخمر لا يستحيلان إلى جسد المسيح ودمه بقوّة كلام التقديس وحده بل بدعوة الروح القدس أيضاً. فاعترضه ورد زعمه بنصوص الكتاب والمجامع والآباء. ولما اطلع بطريرك الروم على حججه أحب أن يجادله

وحضر لجداله ومعه أربعة مطارين، وكان الجدال بحضرة أمير الشوف في دير القمر. فأفحم الدويهي بطريرك الروم وأساقفته حتى أوجب عليهم الأمير والحاضرون أن يذعنوا لتعليم الدويهي. وكان هذا سبباً لاعتناقهم الدين الكاثوليكي، وقد قاومه بعض أساقفته لأنه تشدد عليهم بعمل واجباتهم فأرسل لهم رسالة يؤنبهم بها ويهددهم فخجلوا وتسارعوا إليه يستغفرونه عما فرط منهم. وهمّ أن يتنازل عن البطريركية فمنعه أبناء الطائفة. وكان شديد الغيرة على مدرسة الطائفة في روما وعلى نشاط تلامذتها وتقدمهم بالتقوى والعلم. وله رسالتان إليهم (مثبتتان في ترجمته المعلّقة على تاريخ الموارنة) يتبيّن منهما كم كان له من العناية بهم والهيام في نجاح هذه المدرسة. وقد أنبأنا صاحب ترجمته بآيات كثيرة صنعها الله على يده في حياته وبعد وفاته.

وقد أهانه قبل وفاته الشيخ عيسى حماده إذ جاء مع بعض أقاربه إلى قنوبين طالبين منه مبلغاً من المال، فكتب إلى الشيخ حصن الخازن عما جرى له فجهز رجالاً من كسروان مع أخيه الشيخ ضرغام (هو الذي صير بعداً بطريركاً) إلى قنوبين، ولما علم بذلك الشيخ عيسى أتى متواقعاً متذللاً أمام البطريرك ليغفر له ويعدل عن السفر إلى كسروان، وأراد المشايخ الخوازنة أن يبطشوا به فنهاهم البطريرك عن ذلك وسار معهم إلى كسروان فالتقاه الأهلون بالتجلّة والاحتفاء وأقام بدير مار شليطا مقبس نحواً من أربعة أشهر، ثم وردت له رسائل من والي طرابلس على يد الخواجه طربيه ترجمان قنصلية فرنسة أن يعود إلى كرسيه آمناً فعاد في ١٩ من نيسان سنة ١٧٠٤م يوم السبت وفي صباح الأحد أقام قداساً حافلاً ومنح غفراناً كاملاً لجميع الحاضرين. وفي غد الاثنين ودعه من كانوا قد رافقوه من كسروان فشيّعهم إلى باب الدير وأراد أن يرجع إلى غرفته فتعذر عليه أن يخطو فحمله شماسه إلى فراشه، وعلم أن قد دنا أجله وأنّ الله استجاب طلبته أن لا يميته خارجاً عن كرسيه، وأخذته حمى شديدة لم تمنعه عن التسبيح لله ومباركة شعبه وتناول الأسرار المقدّسة إلى أن توفاه الله ونقله إلى راحة الأبرار صحبة القديسين الملافنة باسيليوس واثناسيوس وفم الذهب نهار السبت في الساعة الثالثة من النهار في ٣ من أيار سنة ١٧٠٤م وعمره أربع وسبعون سنة.

وقد حفظ لنا دي لاروك في كتاب رحلته إلى سورية ولبنان رسالة أنفذها لويس الرابع عشر ملك فرنسة إلى هذا البطريرك هذه ترجمتها:

«أيها البطريرك اسطفانوس بطرس الانطاكي»

أيها السيد الأجلّ، قد رفع إليّ الخوري الياس كاتب سركم الرسالة التي كتبتموها إليّ في ٢٠ من آذار سنة ١٧٠٠م وعلمت منها متأسفاً المحن التي يقاسيها الكاثوليكيون أبناء ملّتكم المارونية في جبل لبنان وشدة الضنك الذي تقاسونه لوقاية شخصكم من الاهانات التي ينزلها البعض بكم. ولما كنت مستعداً أن أبذل دائماً كل ما بوسعي من العناية بتأييد الدين الكاثوليكي الرسولي الروماني في كل مكان ولا سيما في أرجاء بطريركيتكم حيث تعاظمت المحن، قد سلمت إلى كاتب سركم رسالة جددت بها الأمر الذي أصدرته قبلاً إلى سفيري بالقسطنطينية أن يصرف عنايته واهتمامه لينال من الباب العثماني كل ما يمكن من الأمور العائدة بالنفع للدين الكاثوليكي في بلاد الموارنة ليجعلكم تشعرون بمفاعيل حمايتنا واجلالنا لكم خاصةً. وأسأله تعالى أيها السيد الأجلّ أن يحفظكم بحراسته المقدّسة. كُتب في مارلي في ١٠ آب سنة ١٧٠١م التوقيع لويس. وفي أسفل الصحيفة كولبر».

الفصل الثالث

أساقفة الموارنة في القرن السابع عشر

عد ٦٤

الأساقفة الذين رقاهم البطريركان يوسف الرزي ويوحنا مخلوف

قال الدويهي إنّ البطريرك يوسف الرزي رقى ابن أخيه سركيس الرزي إلى أسقفية دمشق سنة ١٦٠٠م وكان حبيساً بدير قزحيا. وكان قد درس العلوم في

روما وأقام بعد تسقفه بالمحبسة المذكورة أيضاً. هذا ما جاء في نسخة تاريخ الدويهي التي بيدنا، وفي النسخة التي أخذ عنها رشيد الشرتوني في طبعه تاريخ الموارنة. لكن الدويهي نفسه قال في الفصل ١٨ من رد التهم أنّ البطريرك يوسف الرزي أرسل أخاه الأسقف سركيس سنة ١٦٠٧م سفيراً إلى البابا بولس الخامس ومعه القس الياس ابن الحاج يوحنا والقس جرجس بن مارون من اهدن، فلا يظن الأسقف سركيس هذا أخا البطريرك هو غير سركيس ابن أخيه بل هما واحد. وفي رواية الدويهي في تاريخه خطأ من النساخ لأنّ البابا بولس الخامس ذكره في رسالته إلى أساقفة الموارنة وشعبهم في ٢٨ من تشرين الثاني سنة ١٦٠٨م داعياً اياه أخا البطريرك الذي كان قد توفي، ويعزيهم لفقده. وأمر البابا حينئذٍ أن يبقى الأسقف سركيس في روما للعناية بطبع الكتب وحاجات الطائفة. واستمر بروما إلى سنة ١٦٣٨م التي توفي بها. والذي علمناه مما باشره بروما في هذه المدة هو طبع كتاب الشحيم بعد أن عهد البابا بولس الخامس بفحصه إلى الكردينال بطرس الدبردندينوس محامي الموارنة وقتئذ. والكردينال روبرتوس بلرمينوس الشهير والكردينال أوكتافيوس بندينوس والأب بطرس المطوشي الماروني اليسوعي. ولما توفي الكردينالان الأولان في أثناء هذا الفحص تعيّن بدلهما الكردينال روبرتوس أو بلدينوس والكردينال اسكندر أوسينوس. وبعد أن أجاز هؤلاء طبعه سنة ١٦٢١م شرع الأسقف سركيس بطبعه تحت مناظرته فنجز طبعه في أيام البابا أوربانوس سنة ١٦٢٥م كما هو بيّن من رسالة الكردينال أوكتافيوس بندينوس محامي الموارنة إلى البطريرك يوحنا مخلوف المعلقة على طبعة الشحيم المذكورة. ثم إنه صحح بمدة اقامته بروما نسخة الأسفار المقدّسة العربية معارضاً لها بنسخ كثيرة أخذت من المشرق، وترجمها إلى اللاتينية برفقة غيره من العلماء كما يتبيّن من المقدّمة التي علقها عليها. وطُبعت نسخته هذه سنة ١٦٧١م بعد وفاته مع النسخة اللاتينية العامية ومنها نسخ كثيرة في المشرق، بل كانت هي النسخة التي تتداولها أيدي العامة قبل طبع النسخة اليسوعية ببيروت. وذكر بعضهم أنّ المطران سركيس كان له يد أيضاً مع جبرائيل الصهيوني والخوري يوحنا الحصروني في تهذيب الترجمتين السريانية والعربية اللتين طُبعتا في البوليكوتا الباريسية، ولا يبعد ذلك عن الصحة لأنّ البوليكوتا شرع في طبعها سنة ١٦٢٨م وهو توفي سنة ١٦٣٨م.

وذكر لكويان في جملة الأساقفة الموارنة وقال: أثبت توريانوس أنّ رودريكوس

اليسوعي الذي بعثه البابا بيوس الرابع إلى الموارنة عارض القوانين العربية اتي ترجمها إلى اللاتينية مع سركيس هذا أسقف دمشق الماروني . وأسهب الكلام على علمه وفقاهته . وقال الدويهي في تاريخ سنة ١٦٣٨ « وفيها في شهر حزيران توفي بروما الحبيس سركيس بن الرزي مطران دمشق وله من العمر ست وستون سنة ، وكان قد اقتبس العلوم بروما وعاش ناسكاً بمحبسة قزحيا مدة وعني في روما بطبع الشحيم ووقف متروكاته على مساعدة الطائفة وكان محبوباً من رؤساء الكنيسة الرومانية .

٢ - المطران بطرس العاقوري ذكره الدويهي وعرفه بأنه ابن الخوري سابا العاقوري من بيت حليب ، وإنّ البطريرك يوسف الرزي رقاه إلى أسقفية العاقورة في ٢٠ من تشرين الثاني بعد وفاة موسى أسقفها . وكان المطران بطرس هذا متزوجاً قبل ارتقائه إلى الدرجات المقدّسة ، ومن أولاده البطريرك يوسف العاقوري وتوفي بالعبادية (من المتن) ونُقلت جثته إلى بيروت ودُفن في كنيسة مار جرجس فيها . وكان شديد الغيرة كثير العبادة وصنّف مدائح كثيرة .

٣ - المطران يوحنا الحصروني ابن الشدياق حاتم الحوشبي رقاه البطريرك يوسف الرزي إلى الأسقفية سنة ١٦٠٣م وجعله معاوناً له في تدبير شؤون دير قنوبين . وكان قد درس العلوم بروما ودخل رهبانية القديس عبد الأحد وترجم جزءاً من كتب القديس توما الأكويني إلى العربية . ثم أرسله البطريرك المذكور سفيراً إلى الحبر الروماني ، وعاد من روما إلى لبنان سنة ١٦٠٦م وأصحبه البابا بولس الخامس بجواب أثنى فيه على الموارنة ، وأرسل للبطريرك حللاً كهنوتية وغيرها من الهدايا ، وحينئذٍ أمر البطريرك باتباع الحساب الذي أدخله البابا غريغوريوس الثالث وعيد الموارنة في طرابلس وجبة بشري وجبيل والبترون عيد الرسل مع الافرنج قبل طوائف المشرق بعشرة أيام . ثم تطرّق استعمال هذا الحساب إلى دمشق وحلب وسائر المدن والقرى إلّا جزيرة قبرص ، وتركوا التاريخ بسني اسكندر وأخذوا يؤرخون بسني الميلاد . ولما حضّ هذا الأسقف على اتباع هذا الحساب في حلب ناصبه رؤساء الطوائف الشرقية ودفعوا للحكومة مبلغاً من المال لاهلاكه، فاحتج بالمحكمة مثبتاً صحة هذا الحساب وأفحم معانديه وتوفي بروما سنة ١٦٣٢م ودُفن في دير القديس بطرس حيث صلب . وهو غير الأسقف يوحنا ابن قورياقوس الحصروني المعروف من بيت حندوق الآتي ذكره .

٤ - وممن رقّاهم البطريرك يوسف الرزي إلى الأسقفية الأسقف يوحنا مخلوف الذي صير بعداً بطريركاً، والأسقف جرجس بن عميره الذي صير بطريركاً أيضاً، ورقى أيضاً أساقفة آخرين في تاريخ القرن السادس عشر.

وأما الأساقفة الذين رقاهم البطريرك يوحنا مخلوف فنعرف منهم يوحنا الشدراوي وقد ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٠٩م قائلاً إنّ هذا البطريرك رقّى فيها إلى الأسقفية الخوري يوحنا الشدراوي. وقد ذكره المطران اسحق الشدراوي في مقدمة غرامطيقه، وقال إنه عم أبيه وإنه كتب إليه رسائل عديدة في هذا التأليف فأفادته، وكانت له بمنزلة مشكاة فأنارته. وفي سنة ١٦١٠م رقي الأسقف يوسف بن بشارة من بيت السوق وهو ابن أخي الأسقف اقليموس الأهدني المار ذكره. وفي سنة ١٦١٤م رقي جرجس بن مارون الأهدني إلى أسقفية الأفقسية بقبرص وهو الذي كان قد أرسله إلى روما يطلب التثبيت وأحضره له. وروى الدويهي أيضاً أنه في ٢٢ من تشرين الأول سنة ١٦١٩م توفي الأسقف يوسف بن يوحنا ابن القس تادروس السمراني وله في الرهبانية بدير قزحيا خمس وخمسون سنة. وذكر في تاريخ سنة ١٦٢٢م توفي الأسقف يونان بن جلوان السمراني (نسبةً إلى سمار جبيل) الذي استحبس بدير قزحيا، ونظن أنّ هذين هما الحبيس يونان وأخوه القس يوسف اللذان روى الدويهي في تاريخ سنة ١٥٧٦م أنّ المطران داود رئيس دير قزحيا رقاهما إلى الأسقفية خلافاً لقوانين الكنيسة.

فمنعهما البطريرك عن مباشرة حقوق الأسقفية فخضعا، فرضيَ عنهما وردهما إلى دير قزحيا فأكملا حياتهما مستنسكين.

الأسقف يوحنا بن قورياقوس الحصروني من بيت صندوق فهذا درس العلوم في مدرسة الموارنة بروما ورقي إلى درجة الكهنوت. وفي ١٦٢٥م أرسله البطريرك يوحنا مخلوف لتهنئة البابا أوربانوس الثامن بارتقائه إلى الحبرية العظمى فرحب البابا به وأرسل إلى البطريرك رسالة نفيسة يثني بها على الموارنة لثباتهم في الايمان الكاثوليكي، وأهدى إليه تاجاً ثميناً وكتباً وحللاً بيعية. ويوحنا هذا عاون القس جبرائيل الصهيوني الأهدني على ضبط الترجمتين السريانية والعربية المثبتتين في البوليكلوتا (الأسفار المقدّسة بعدة لغات) الباريسية التي عني بطبعها ميخائيل لي جاي. ويظهر أنه بقي في أوروبا لأنّ البوليكلوتا المذكورة شرع في طبعها سنة

١٦٢٨م. وقد ذكر كثيرون معاونته عليها ومنهم والتن في المقدمات على البوليكلوتا اللوندية، وبعد عودته إلى لبنان رقاه البطريرك يوحنا مخلوف إلى الأسقفية مكافأة لأتعابه. وأقام بدير مار جرجس بقرقاشا لكنه لم يستمر في الأسقفية إلّا أربعة أشهر وتوفي في أحد الشعانين.

الأسقف يوحنا من بيت قزوح رقاه البطريرك يوحنا في ٢٠ تشرين سنة ١٦٢٥م على دير القديس اليشاع ببشري وعلى دير الأحمر. ذكره الدويهي في تاريخ هذه السنة ونظنّه من بشري.

الأسقف سركيس السمراني ذكر الدويهي وفاته في تموز سنة ١٦٢٦م وقال إنه كان قد استحبس بدير قزحيا وكان ورعاً راغباً في العلوم ونسخ الكتب فرقى البطريرك يوحنا مخلوف مكانه ابن أخيه الأسقف بولس والأسقف يوسف العاقوري من بيت حليب على صيدا وهو الذي صير بعداً بطريركاً، والأسقف يوسف البلوزاوي على بيروت. وروى في تاريخ سنة ١٦٣٧م أنّ الأسقف بولس المذكور إذ كان ساكناً في دير قزحيا شكاه القس حنا ابن البري من غوسطا لاختلافهما على الماء إلى الأمير عساف بن يوسف باشا سيفا فدعا الأمير الأسقف إلى جبيل وأجرى عليه أنواعاً من العذاب حتى فقئت عينه ولم يتركه إلى أن دفع أربعة آلاف قرش.

الأسقف اسحق الشدراوي، ذكر السمعاني ترجمته في المجلد الأول من المكتبة الشرقية صفحة ٥٥٢ فقال ما ملخصه؛ دخل مدرسة الموارنة بروما سنة ١٦٠٣ فأقام فيها إلى سنة ١٦١٨م وبرع من خلال هذه المدة في اقتباس اللغات اللاتينية والسريانية والعربية والعلوم السامية، فرقاه جرجس عميرة مطران اهدن وقتئذٍ إلى الدرجات الصغار سنة ١٦١٩م. وفي السنة التالية رقاه إلى درجة الكهنوت وجعله رئيس كهنة ببيروت. وكان قد تزوج قبل ارتقائه إلى هذه الدرجة على عادة الشرقيين ثم ماتت امرأته. وفي ٢٥ آذار سنة ١٦٢٩م رقاه البطريرك يوحنا مخلوف إلى الأسقفية على طرابلس كما اخبر عن نفسه في فاتحة المقالة اللاهوتية المثبتة في كتاب بمكتبة نشر الايمان. وله كتاب سرياني في نحو اللغة السريانية (غرامطيق) طبعه بروما في مدرسة الموارنة سنة ١٦٣٦م، وقصيدتان على أحرف الهجاء الواحدة في مدح البابا اوربانوس الثامن، والثانية في مدح يوحنا مخلوف بطريرك الموارنة مثبتتان في كتاب بمكتبة مدرسة نشر الايمان. وله بالعربية مباحث لاهوتية بطريقة

السؤال والجواب على عمل الرب في ستة أيام الخلق وفي الفردوس الأرضي والخطيئة الأصلية والموت ويمبوس الآباء والفردوس وجهنم والمطهر وقيامة الموتى والدينونة الأخيرة، وهي في الكتاب المذكور في مكتبة مدرسة نشر الايمان. وله أيضاً ترجمة رسائل اليا بطريرك الكلدان إلى الحبر الروماني، وترجمة أعمال المجمع الذي عقده بآمد سنة ١٦١٧م من السريانية إلى اللاتينية كما مرّ. وقد أرسله وهو أسقف البطريرك يوسف العاقوري إلى البابا اينوشنسيوس العاشر ليستمد له منه التثبيت فتعذّر سفره، فأرسل البطريرك الخوري عبد المسيح ابن الطويل الحدثي عوضه ومرقس راهب دير مار شليطا مقبس، ثم لحقهما المطران اسحق وكانا يطبعان الشحيمة فأصلح معهما ما كان باقياً من طبعهما كما شرح الخوري عبد المسيح المذكور في المقدمة على الشحيمة المذكورة. وروى دي لاروك أنّ الكردينال فريدريك بورروماوس استدعاه إلى مديولان لينظّم مكتبته الشهيرة في هذه المدينة. وتوفي المطران اسحق سنة ١٦٦٣م في مدينة جبيل ودُفن في كنيسة مار يعقوب التي في سهل جبيل. ومن التقليد أنّ المطران المذكور هو جد آل طربيه من طرابلس وجبة بشري. وكان أحدهم ترجماناً لقنصل فرنسة منذ أيام البطريرك الدويهي. وكان منهم بعده تراجمة كثيرون حتى أيامنا هذه. وذكر الدويهي في تاريخ سنة ١٦٣٨م وفاة المطران عبدالله الهدناني بدير قنوبين بعد أن كان له في الرئاسة ست وثلاثون سنة، وكان حازماً واشترى عقاراً كثيراً لدير قنوبين ولم يكن ذكر ترقيته إلى الأسقفية.

عد ٦٥

أساقفة الموارنة إلى أيام الدويهي

في سنة ١٦٣٨م رقى البطريرك جرجس عميرة المطران الياس بن يوحنا من عائلة الصراصرة من اهدن ذكره الدويهي في تاريخ السنة المذكورة، وقال في تاريخ سنة ١٦٥١م إنّه فتح سوق القلعة الشرقي بقرية زغرتا، وأضافه إلى الكنيسة وبيّضه وكرّسه لكثرة المترددين إلى الكنيسة. وروى في تاريخ سنة ١٦٥٩م أنه توفي في هذه السنة وأنه كان ورعاً غيوراً وتربى بدير قزحيا، وسكن في القدس نحو عشرين سنة، واشترى فيها دار الازي بأمر البطريرك، ودخل إلى روما صحبة الأسقف جرجس بن مارون وخدم رئاسة الكهنوت عشرين سنة بمزيد التقوى.

الأسقف يوسف بن عميمة الكرمسدي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٤٤م فقال إنّ البطريرك يوسف العاقوري بعد ارتقائه إلى سدة البطريركية في هذه السنة رقى يوسف الكرمسدي إلى أسقفية دمشق، وكان معاوناً للبطريرك. وذكر في تاريخ سنة ١٦٥٣م أنّ هذا الأسقف توفي فيها لرحمة الله.

الأسقف ميخائيل بن سعادة الحصروني ذكر الدويهي في تاريخ سنة ١٦٤٤م أنّ البطريرك يوسف العاقوري رقاه إلى أسقفية طرابلس مع الأسقف يوسف الكرمسدي، وكانت ترقيتهما في دير حراش ليكونا معاونين له. وذكر الدويهي وفاته في تاريخ سنة ١٦٦٩م حيث قال في ١٣ من شباط كانت وفاة الأسقف ميخائيل بن سعادة الحصروني في مدينة طرابلس، وبموجب وصيّته دُفن في مغارة القديسة مارينا بقنوبين. وكان قد اقتبس العلوم في مدرسة الموارنة بروما وخدم الأسقفية ست وعشرين سنة بكل طهارة.

الأسقف جرجس البشعلاني ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٤٨م فقال في ٢٤ من شباط من السنة المذكورة رقى البطريرك يوسف العاقوري القس جرجس بن حبقوق البشعلاني إلى الأسقفية على العاقورة وأخذ السكنى بدير قنوبين.

الأسقف يوسف البلوزاوي ذكر الدويهي وفاته في تاريخ سنة ١٦٥٠م قائلاً فيها توفي الأسقف يوسف بن ناتان البلوزاوي ولم يكن قد ذكر سنة ترقيته ولا من رقاه.

الأسقف يعقوب الرامي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٥٣م فقال فيها توفي الأسقف يوسف الكرمسدي (المار ذكره)، وفي يوم عيد انتقال العذراء رقّى البطريرك يوحنا الصفراوي عوضه الأسقف يعقوب الرامي على دمشق.

الأسقف يوسف الحصاراتي ذكر الدويهي ترقية البطريرك يوحنا الصفراوي له إلى الأسقفية في يوم عيد انتقال العذراء سنة ١٦٥٣م مع الأسقف يعقوب الرامي الآنف الذكر على جبيل. وكان رئيساً لدير حوقا، واستمر نائباً على البطريرك المذكور في رئاسة هذا الدير. قال لكويان في أساقفة الموارنة، وقال دي لاروك في كتاب رحلته صفحة ٢٨٤ إنّ البطريرك اسطفانوس الدويهي كتب منشوراً في ٥ تشرين الأول سنة ١٦٩٩م (وهو المنشور الذي ذكرناه توصية بيوسف أخي الأمير بولس) ووقّع عليه يوسف الحصاراتي مطران جبيل بدير حوقا، وربما كان يوسف

هذا غير يوسف الذي نكتب ترجمته لأنّ للدويهي رسالة أخرى في ١٢ حزيران سنة ١٦٧٣م، وفيها توقيع يوسف الحصاراتي. فالفرق الذي هو ست وعشرون سنة يجعلنا نظنّ أنّ يوسف الذي وقّع على الرسالة سنة ١٦٩٩م هو غير يوسف الذي وقّع على الرسالة سنة ١٦٧٣م.

الأسقف جرجس من بيت شوك من قرية عرجس، ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٥٥م وقال البطريرك يوحنا الصفراوي رقاه إلى الأسقفية وجعله معاوناً له في تدبير مهام الكرسي البطريركي.

الأسقف ابراهيم السمراني ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٥٥م أيضاً وقال إنّ البطريرك أقامه بدير قزحيا، ثم ذكر وفاته وهو في هذا الدير في تاريخ سنة ١٦٧٧م وترقية ابنه القس يوحنا أسقفاً على البترون، وسلّم إليه تدبير دير قزحيا، وسوف نذكره في محلّه.

الأسقف جرجس ابن الحاج من سبعل وهو الذي انتخب من بعد بطريركاً. ذكر الدويهي ارتقاءه على الأسقفية في تاريخ سنة ١٦٥٦م وجعله معاوناً للبطريرك في قنوبين.

الأسقف سركيس الجمري من اهدن، ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٥٨م فقال فيها رجع القس سركيس الجمري من فرنسة إلى بلاده وكان له في الكهنوت ثلاث وعشرون سنة، فطلب الشيخ أبو نوفل الخازن ترقيته إلى أسقفية دمشق، ثم ذكر وفاته في تاريخ سنة ١٦٦٨م وقال فيها كانت وفاة الأسقف سركيس بن الجمري بمدينة مرسيليا في أواخر أيار.

الأسقف جبرائيل البلوزاوي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٦٣م قائلاً فيها كانت ترقية المطران جبرائيل بن يوحنا من بلوزا على مدينة حلب خلفاً للأسقف يوسف البلوزاوي. وقد ذكرنا ارتقاءه إلى الأسقفية سنة ١٦٥٠م. وذكر الدويهي في تاريخ سنة ١٦٧٣م أنّ المطران جبرائيل هذا أنشأ ديراً جديداً بأرض طاميش في قاطع بيت شباب على اسم العذراء وهو دير طاميش المشهور.

المطران اسطفانوس الدويهي هو العلامة الدويهي ذكر ترقيه إلى الأسقفية في تاريخ سنة ١٦٦٨م فقال توجهنا لزيارة القدس الشريف، وبعد أن تباركنا بتلك المواضع المقدسة ومعنا والدتنا وأخونا الحاج موسى رجعنا بالسلامة لتقبيل أيدي

السيد البطريرك جرجس (السبعلي) بدير قنوبين، فرفعنا إلى درجة المطرانية على الأفقسية بقبرص في ٨ تموز وأمرنا أن نخرج لزيارة الرعية في ايالة طرابلس وجزيرة قبرص، ولئلا نكون بطالين أشغلنا أنفسنا في سياسة الشعب وفي جمع هذه الأخبار لافادة نفوسنا ولنطلع على معرفة أحوال بلاد نحن فيها ساكنون.

الأسقف يوحنا التولاوي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٦٩م فقال في ٢٣ شباط كانت وفاة الأسقف ميخائيل بن سعاده الحصروني (الذي مرّ ذكره) ورقي الأسقف يوحنا التولاوي على صيدا، وذكر وفاته في تاريخ سنة ١٦٨٠م قائلاً فيها في ٢١ من نيسان توفي الأسقف يوحنا التولاوي ودُفن في قرية بعبدات.

عد ٦٦
أساقفة الموارنة الذين رقاهم البطريرك الدويهي

الأسقف لوقا القبرصي القرباصي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٧١م قائلاً إنه رقاه إلى الأسقفية على الافقسية بقبرص، وأخذ السكنى في الجزيرة. وذكر في سجله المحفوظ بخزينة أوراق الكرسي البطريركية أنه رقاه في ١ كانون الأول سنة ١٦٧٢م.

الأسقف بطرس بن مخلوف من غوسطا ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٧٤م فقال إنه رقاه في ٥ من تموز من السنة المذكورة على كرسي الأفقسية بقبرص (يظهر أنّ الأسقف لوقا المار ذكره توفي حينئذٍ) بحضرة سفير فرنسة الذي توجه تلك السنة إلى القدس ثم سار إلى لبنان وزار البطريرك فرقى الأسقف المذكور بحضرته وذكره في سجله المذكور أيضاً.

الأسقف يوسف الحصروني ذكره في تاريخ سنة ١٦٧٥م قائلاً وفيها قدمنا كاتبنا القس يوسف الحصروني إلى رئاسة الكهنوت على طرابلس، وكان ذلك في دير مار شليطا مقبس، وكتب في سجله أنه رقاه في ١٤ تموز من السنة المذكورة وعرفه بأنه الخوري يوسف شمعون الايبودياكن الحصروني وتوفي في ١١ كانون سنة ١٦٩٥م، وقد حضر إلى المتين سنة ١٦٨٥م، ورقّى في ٢٦ تشرين اول إلى درجتي المرتل والقاري الياس بن أبي عون وجرجس بن أبي سليمان ويوسف بن

أبي رزق وهاشم بن أبي هاشم وموسى بن أبي ناكوزة كما دوّن بخطه على كتاب الشحيم في كنيسة مار جرجس بقرية المتين المذكورة.

الأسقف يوحنا بن جلوان ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٧٧م قائلاً فيها في ١٨ أيار انتقل إلى رحمة ربه الأسقف ابراهيم بدير قزحيا وقد مرّ ذكره. وفي نهار تاسعه رقينا ولده القس يوحنا أسقفاً على البترون وتسلّم تدبير الدير المذكور وتوفي سنة ١٦٩١م.

الأسقف بطرس الاهدني ذكره الدويهي أيضاً في تاريخ سنة ١٦٨٠ قائلاً في ٢١ نيسان توفي الأسقف يوحنا التولاوي ودُفن ببعبدات كما مرّ. ورقينا مكانه على صيدا القس بطرس ابن القس ابراهيم الاهدني كاتبنا وقلدناه مصالح الكرسي. وذكر في تاريخ سنة ١٦٨٣م أنّه توفي في ٢٦ من أيار منها، وهو زائر في الشمال فنُقلت جثته من البهلولية إلى ضهر صفرا وله من العمر اثنتان وخمسون سنة.

الأسقف يوسف بن مبارك ذكره الدويهي أيضاً في تاريخ سنة ١٦٨٣م وقال إنّه كان من رهبان دير مار سركيس ريفون، ولما توفي الأسقف بطرس الاهدني رقاه بدله على صيدا في ٦ حزيران من السنة المذكورة. وهذا الأسقف توفي في ٨ ايلول سنة ١٧١٣ في ريفون بعد أن دبر البطريركية ثلاث سنين عند توقيف البطريرك يعقوب عواد كما سوف يجئ.

الأسقف جرجس الاهدني لم يذكره الدويهي في نسخة تاريخه التي بيدنا، وجاء ذكره في سجله ويظهر منه أنه رقاه في ٢٧ آب سنة ١٦٩٠م على اهدن وإنه ابن سركيس عبيد الاهدني ويسمى بنيامين والكاروز وإنه دخل الرهبنة اليسوعية وتوفي بروما. وسيأتي ذكره.

الأسقف يوسف الشامي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٩١م وقال إنه رقاه في ٢٧ كانون الثاني إلى أسقفية بيروت وتوفي سنة ١٧١٣م.

الأسقف يوحنا حبقوق من بشعلي ذكره الدويهي أيضاً في تاريخ سنة ١٦٩١م قائلاً: وفيها كانت وفاة المطران يوحنا بن جلوان السمراني رئيس دير قزحيا ورقينا عوضه الخوري حنا بن حبقوق من قرية بشعله في ٨ من أيلول على دير قزحيا، وهذا الأسقف سلم الدير المذكور إلى الرهبان اللبنانيين سنة ١٧٠٨م وتوفي سنة ١٧١٨م.

الأسقف ميخائيل الغزيري ذكر الدويهي وفاته في ٦ من تشرين الثاني سنة ١٦٩٧م، وقال أنه كان مطران دمشق، ودُفن بدير طاميش. ولم يذكر ترقيته إلى الأسقفية في تاريخه ولا في سجله فكأنه رقاه أحد أسلافه.

الأسقف جبرائيل الدويهي رقاه الدويهي على صرفند في ٢٨ كانون الثاني سنة ١٦٩٣م وترى اسمه في جملة أسماء الاساقفة الذين كانوا في المجمع اللبناني، ولم يشهده بنفسه ولكن ناب عنه القس بطرس عطايا وتوفي سنة ١٧٣٩م.

الأسقف يوحنا محاسب الغوسطاوي رقاه الدويهي على عرقا ودير مار شليطا في ٧ ايلول سنة ١٦٩٨ وتوفي بالدير المذكور سنة ١٧١٢م.

الأسقف يعقوب عواد الحصروني رقاه الدويهي على طرابلس في ٦ تموز سنة ١٦٩٨م وهو الذي صير بطريركاً بعده وسيأتي ذكره.

الأسقف خير الله اسطفان الغسطاوي رقاه الدويهي في ١٢ تشرين الثاني سنة ١٧٠٣م أسقفاً على العاقورة ودُعي جرجس، وتوفي في عين ورقة سنة ١٧٣٣م وهؤلاء الأساقفة الأربعة لا ذكر لهم في نسخة تاريخ الدويهي التي بيدنا فأسماؤهم مأخوذة عن سجله. انتهى.

الفصل الرابع

المشاهير من علماء الموارنة وفضلائهم في القرن السابع عشر

عد ٦٧

بطرس المطوشي القبرصي ونصرالله شلق العاقوري

أما بطرس المطوشي نسبةً إلى قرية مطوش في قبرص فهو أحد تلاميذ مدرسة الموارنة بروما، أرسله إليها البطريرك سركيس الرزي سنة ١٥٨٤م مع تسعة تلاميذ

آخرين منهم جرجس عميرة الذي صار بعداً بطريركاً، وسركيس الرزي أخي البطريرك الذي صار أسقفاً على دمشق، وموسى العنيسي من العاقورة الذي صار مطراناً على قبرص. وبعد أن أنجز بطرس المذكور بمدرسة روما علومه انضوى إلى جمعية الآباء اليسوعيين فكان من فضلائهم وعلمائهم، وقد أرسله البابا بولس الخامس إلى ايليا بطريرك الكلدان مع سفيره آدم رئيس شمامسة كرسيه، وصحبته الأب مارينوس اليسوعي أيضاً ليقبل الكلدان بحضورهم رجوعهم إلى الايمان الكاثوليكي، وقد انفذ البابا المذكور معهما رسالة إلى بطريركنا يوحنا مخلوف مؤرخة في ٢٥ آب سنة ١٦١٤م بها يرغب إليه أن يرشد بطرس المطوشي ويوحنا مارينوس إلى ما يتصرفان به مع بطريرك الكلدان في أمر رجوعهم فذهبا إلى آمد، وجمع البطريرك أساقفته بحضرتهما وجحدوا ضلال نسطور كما تقدّم في الكلام على هذا البطريرك. وفي جواب البطريرك إلى الحبر الروماني بولس الخامس أطيب الثناء على الموارنة الذين تعبوا معه في هذه المهمة وترجموا رسائله وأعمال مجمعهم من السريانية إلى اللاتينية.

وقد ذكر دي لاروك بطرس المطوشي وقال في حقه إنه من جمعية اليسوعيين ولاهوتي مبرز وله غرامطيق سرياني لاتيني ومقالة في اللاهوت الأدبي هي في مكتبة مدرسة الموارنة بروما. وكان الأب المطوشي في جملة من عيّنهم الكرسي الرسولي لفحص كتاب الفرض الكبير (الشحيم) مع الكردينال بلرمينوس وغيره من العلماء لطبع هذا الكتاب كما مرّ.

وأما نصر الله بن شلق فأصله من العاقورة وقد درس العلوم بمدرسة الموارنة بروما فنبغ فيها ورقي إلى درجة الكهنوت، وأقام بأوروبا إلى حين، وله مؤلف في الكنيسة وترجمة سفر أيوب من السريانية إلى اللاتينية ومقالات أخرى. وقد أحرز ثروة وافرة فأوصى عند وفاته أن تُنشأ بها مدرسة لأبناء طائفتنا في مدينة رافانا من أعمال ايطاليا. وأقام القس جبرائيل بن عواد الحصروني منفذاً لوصيته فأنشأ المدرسة كما عهد إليه على أنها لم تلبث طويلاً. فكان تأسيسها سنة ١٦٣٩م ثم أقفلت سنة ١٦٦٤م ونُقل تلاميذها إلى مدرسة الموارنة بروما. وكانت وفاة الخوري نصر الله سنة ١٦٣٥م.

عد ٦٨

القس جبرائيل الصهيوني الاهدني

وُلد باهدن نحو سنة ١٥٧٧م من بيت الصهيوني أحد فروع أسرة كرم الشهيرة، وتلقّى العلوم بمدرسة الموارنة بروما، ونبغ وحاز قصبات السبق ونال مرتبة الملفان في اللاهوت، ورقي إلى درجة القسوس في روما، وأُقيم أستاذاً للغتين. العربية والسريانية في مدرسة السابانيسا (الحكمة) الشهيرة بروما، وحاز من الشهرة ما جعل لويس الثالث عشر ملك فرنسة يدعوه سنة ١٦١٤م ليكون معلماً في المدرسة الملكية بباريس، ثم شرفه بلقب ترجمان ملكي. ولمّا همّ الأب ميخائيل لي جاي أن ينشر البوليكلوتا (الأسفار المقدّسة بعدة لغات) الباريسية وكل إليه تعريب النسخة العربية وضبطها وتنقيح النسخة السريانية ومعارضتها بنسخ عديدة، ثم ترجمة العربية والسريانية إلى اللاتينية، وعهد معه هذه المهمة إلى ابراهيم الحاقلي الماروني الشهير والخوري يوحنا الحصروني الذي صير فيما بعد أسقفاً، وقد قدمنا ذكره وأنبأنا فالريانوس دي فلا فيني معلم العبرانية في مدرسة باريس في رسائل نشرها لانتقاد طبعة لي جاي أنّ العلامة الصهيوني كان قد أعدّ مقالة مسهبة في الترجمة العربية، ولا نعلم ما الذي منعه عن اشهارها، وقد فرغ لي جاي من طبعته هذه سنة ١٦٤٥م.

على أنّ والتن العلامة الانكليزي الذي عني بطبع البوليكلوتا في لوندرة سنة ١٦٥٧م قد انتفع كثيراً بأتعاب الصهيوني ورفاقه الموارنة المذكورين. وهذا ما قاله والتن في مقدماته على طبعته المذكورة في حق الصهيوني «إنّ هذا الرجل العظيم بذل تعباً شاقاً وكثير الفائدة لكل من يرغبون في أن يتضلعوا باللغات الشرقية والأسفار المقدّسة. ومن لم يقرّ له بالفضل كان غامطاً الاحسان، فنحن نعترف بفضله ونرى أنه يلزم الجميع أن يؤدوه شكراً لا ينقضي». وله أيضاً ترجمة كتاب الزبور من العربية إلى اللاتينية طبعه بروما سنة ١٦١٤م. وكتاب في نحو اللغة العربية طُبع بباريس سنة ١٦١٦م. وترجمة جغرافية أبي عبد الله محمد الادريسي من العربية إلى اللاتينية طُبعت بباريس سنة ١٦١٩م ومقالة في بعض مدن الشرق ودين أهلها وعاداتهم وخصالهم عاونه على بعض هذه التآليف الخوري يوحنا الحصروني المار ذكره، وطبعه بباريس سنة ١٦٢٥م بالعربية واللاتينة. وفي المكتبة

المادیشية نسخة من هذا الكتاب مخطوطة بيد الصهيوني نفسه سنة ١٦١٢م كما يظهر من الحاشية المعلّقة على آخرها ، قد ذكرها المطران اسطفانوس عواد السمعاني في فهرست الكتب الشرقية في هذه المكتبة . وروى أكثر ما رويناه من ترجمة الصهيوني هنا وقال إنه توفي بباريس سنة ١٦٤٨م وكذا ذكر وفاته دي لاروك في كتاب رحلته إلى سورية ولبنان . انتهى .

عد ٦٩

العلّامة ابراهيم الحاقلي

وُلد هذا العلامة ونشأ بقرية حاقل من عمل جبيل بلبنان وتلقّى العلوم بمدرسة الموارنة بروما فنبغ وفاق أقرانه وعلّم العربية والسريانية أولاً بروما ، وقد عهد إليه الأب لي جاي في طبع البوليكلوتا الباريسية بما عهد به إلى الصهيوني والحصروني المار ذكرهما . ومن مؤلفاته ترجمة كتاب ابن الراهب المصري القبطي في التاريخ الشرقي والحاقه بترجمته مقالات مسهبة في تاريخ العرب وأنسابهم ، وقد طبعه بباريس سنة ١٦٥١ ومنها ترجمته قصيدة عبد يشوع الصوباوي المشهورة في المؤلفين البيعيين إلى اللاتينية وشرحه لها وحواشيه عليها ، طبعت بروما سنة ١٦٥٣م وقد شرحها العلامة السمعاني بعده في المجلد الثالث من المكتبة الشرقية ، واستدرك على الحاقلي قوله في محال كثيرة . وقد شرح السمعاني أيضاً كتاب ابن الراهب المذكور وانتقد على الحاقلي في عدة مواضع . وللحاقلي أيضاً كتاب في نحو اللغة السريانية طُبع بروما سنة ١٦٢٨م وترجمة الكتاب الخامس والسادس والسابع من تأليف ابولونيوس في الهندسة من العربية إلى اللاتينية اقترح عليه هذه الترجمة فردينوس الثاني دوق توسكانا . وله أيضاً مختصر في الفلسفة الشرقية طُبع بباريس سنة ١٦٤١م وترجمة قوانين القديس انطونيوس الكبير ومواعظه وأجوبته من العربية إلى اللاتينية وطبع هذه الترجمة بباريس سنة ١٦٤٦م . وله ترجمة ديوان الحيوان للسيوطي إلى اللاتينية .

وللحاقلي أيضاً كتاب الانتصار لافتيشيوس أي سعيد بن بطريق ، ذلك أنّ السلداني ترجم كتاب سعيد هذا إلى اللاتينية ، وادّعى في مقدمات ترجمته أنه

أثبت في كلامه على المراتب البيعية أنّ درجة القسوس والأساقفة واحدة ، وهذا من مزاعم لوتار وكلوين والسلداني من مشايعيهما ، فردّ الحاقلي زعم السلداني منتصراً لسعيد البطريرك الاسكندري بكتاب انطوى على مئتين واثنتين وأربعين صفحة مفنداً أدلّة السلداني ومبيّناً بشهادة الكتاب والتقليد الثابت في الكنيسة منذ نشأتها أنّ درجة الأساقفة غير درجة القسوس ، وهي تفوقها مقاماً وسلطة بموجب الوضع الالٰهي ، وإنّ كلام سعيد لا يؤخذ منه ما توهّمه السلداني . وألحق بهذا الكتاب جزءاً آخر اشتمل على نحو من خمس مئة صفحة تكلّم فيه على أصل كلمة بابا ورياسته مضاداً فيه السلداني المذكور . وممّا قاله في اسم البابا نقلاً عن مؤلفين نصارى ومسلمين أنّ هذا الاسم اصطلح عليه أولاً بطاركة الاسكندرية واستشهد في جملة شهوده أبا بكر العباسي: « في القسم الثاني من مقالته ضد النصارى » حيث قال: « فأنّ القسوس والعامة لما سمعوا أساقفتهم يسمون البطريرك أباً قالوا في نفوسهم: إذا كنّا نحن نسمي الأسقف أباً والأسقف يسمي البطريرك أباً فيجب علينا أن نسمي البطريرك بابا أي الأب أي الجد إذ كان أباً لأبينا . ثم لما سمعوا الأساقفة والبطاركة يسمون صاحب رومية أباً قالوا في أنفسهم إذا كنا نحن نسمي البطريرك أباً والبطريرك يسمي صاحب رومية أباً فيجب علينا نحن أن نسمي صاحب رومية بابا ، فعرف صاحب رومية بهذا الاسم دون غيره إلى الآن عند أهل النصرانية جميعاً ». والأظهر أنّ هذا الاسم أُخذ عن السريانية ܐܒܐ ܐܒܐ أي أبو الأب وهو الجد على أنّ اختصاص الأحبار الرومانيين به لم يكن بأمر بل كان من باب التغلّب والاستحسان . وللحاقلي في آخر هذا المؤلّف ردّ على هوتنجارس في كلامه في تاريخ العرب .

وللحاقلي أيضاً ترجمة قوانين المجمع النيقوي المعروفة بالقوانين العربية لأنها أخذت عن كتب عربية ، فالحاقلي عارض هذه القوانين على ست نسخ عربية منها ، وترجمها إلى اللاتينية وأشهرها مطبوعة . فمن هذه القوانين باليونانية واللاتينية عشرون قانوناً ، لكن الشرقيين يعزون إلى المجمع المذكور أربعة وثمانين قانوناً وتتداولها أيدي الشرقيين أي الملكية والموارنة والقبط واليعاقبة والأحباش والنساطرة ، ومنها ثلاثة وسبعون قانوناً ترجمها ماروتا أسقف تكرنيت في أواخر القرن الرابع من اليونانية إلى السريانية كما روى عبد يشوع الصوباوي في مختصر القوانين ، وأضاف إليها بعض المؤلفين العرب (لا نعلم من هم) أحد عشر قانوناً فصارت

أربعة وثمانين قانوناً. وقد دافع الحاقلي عن هذه القوانين في كتيّب أشهره وهو مثبت في مجموعة المجامع للاباي (مجلد ١١). وذكر مرهج بن نيرون الباني الماروني في كتابه افوبليا (سلاح) الايمان وأثبتها الأب كونزالس اليسوعي في كتابه عصمة الأحبار الرومانيين، ولكن نبذها غيرهم من العلماء ولم يعتدوا نسبتها إلى المجمع النيقوي صحيحة.

وقد توفي الحاقلي بروما في ١٥ تموز سنة ١٦٦٤م، ونقلت كتبه إلى المكتبة الواتيكانية بعد وفاته وذكرها السمعاني في فهرست الكتب الذي علّقه على المجلد الأول من المكتبة الشرقية وعددها أربعة وستون كتاباً.

عد ٧٠

مرهج بن نيرون الباني

أما مرهج فوُلد ببان احدى قرى جبة بشري ويسميه الغربيون فاوسطوس ترجمة كلمة مرهج. وروى دي لاروك أنّ خاله ابراهيم الحاقلي المار ذكره أخذه إلى روما وتلقى العلوم في مدرسة الموارنة بها، وحاز قصبات السبق وأقامه الكرسي الرسولي استاذاً للّغة السريانية في مدرسة السابيانسا (الحكمة) الكلية في روما خلفاً لخاله ابراهيم الحاقلي. ثم صار قانونياً في كنيسة القديس اوسطاكيوس هناك ولم يشغله ذلك عن الانصباب على التأليف والتصنيف وتنقيح كتب طائفته البيعية والعناية بطبعها. ومن تآليفه كتابه في أصل الموارنة ودينهم واسمهم وهو مشهور واستشهدنا به مرات في خلال تاريخنا هذا. وقد طبع بروما سنة ١٦٧٩م وله كتاب آخر واسمه بافوبليا (أي سلاح) الايمان الكاثوليكي، وقد استشهدنا به أيضاً مرات وقد طُبع بروما سنة ١٦٩٤م جمع به من كتب السريان والكلدان القديمة البينات الراهنة على صحة الايمان الكاثوليكي خلافاً للبروتستانت، وقد عني بتنقيح الأناجيل وسائر أسفار العهد الجديد، وطُبعت بمناظرته بالسريانية والعربية بأحرف كرشونية بروما سنة ١٧٠٣م، وأضاف إليها مقدمة كثيرة الفائدة دالة على فقاهته وطول باعه، وعاونه على تصحيح هذه الطبعة القس يوسف الباني الماروني مدرّس اللغتين السريانية والعربية في مدرسة نشر الايمان المقدسّ. وقد أُخذت الطبعة السريانية عن نسخة كانت في مدرسة الموارنة بروما مرسلة من بطريركهم إلى البابا غريغوريوس

الثالث عشر (لم يذكر مرهج في مقدماته اسم البطريرك مرسل هذه النسخة، ويلزم أن يكون ميخائيل الرزي أو أخوه سركيس الرزي فهما كانا في أيام البابا المذكور) وهي الترجمة السريانية المعروفة بالبسيطة التي استعملتها طائفتنا من أقدم الأيام. وأما العربية فكان الأب ميخائيل المطوشي قد أتى بها من جزيرة قبرص، وكانت أكثر تهذيباً وضبطاً من سائر النسخ التي عورضت بها، وهي لا تطابق السريانية المطبوعة معها كل المطابقة كما لاحظت ذلك، ولكنها لا تختلف عنها حتى يصح القول أنّ هذه العربية ترجمت عن اليونانية ولا مرية في أنها عن السريانية، وتقرب من النسخة التي هذبها المطران سركيس الرزي وطُبعت مع اللاتينية العامية سنة ١٦٧١م بروما، وتختلف كثيراً عن العربية المطبوعة في البوليكلوتا كما تأكدت بمعارضتي هذه النسخ لدن وجودي في روما. وعن طبعة الأب مرهج هذه أخذ المطران جرمانوس فرحات النسخة التي عرّبها والمستعملة الآن في طائفتنا، ولدى كتابتي تفسير الانجيل زدتها مطابقة للسريانية وأوعزت إلى الأب يوسف العلم لما كان رئيس دير الكريم للمرسلين، فصنع كذلك في كتابه تفسير رسائل القديس بولس الرسول وباقي الرسل.

وروى دي لاروك (في المجلد الثاني من رحلته إلى سورية ولبنان صفحة ١٢٩) إنه كان بينه وبين مرهج مكاتبة وأثنى على رسائله وأنه كتب إليه في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٧٠١م أنه كان مشتغلاً بطبع العهد الجديد بالسريانية والعربية وقد أنجز طبعه فيما بعد. وإنه توفي سنة ١٧١١م وعمره نحو ثمانين سنة مشهوراً بتقواه ومهارته بالعلوم الشرقية وأنه يرغب في أن يكون كاهناً اتضاعاً بل كان شماساً وقانونياً في كنيسة ... (ترك اسم الكنيسة بياضاً ونعلم أنها كنيسة القديس اوسطاكيوس روما كما مرّ)، ونرى مرهج في عنوانات كتبه لم يصف نفسه بكاهن أو قس. ولكن رأينا الدويهي يقول في تاريخ سنة ١٦٥٦م: «دخل إليه (أي إلى البطريرك يوحنا الصفراوي) القس مرهج بن نيرون فوجده ملقى على الأرض والنور ينبعث من وجهه» ولا نعلم أصاحب الترجمة أراد أم غيره يسمى باسمه فبين سنة ١٦٥٦م التي كان فيها ذلك وسنة ١٧١١م التي توفي صاحب الترجمة فيها خمس وخمسون سنة أبقي مرهج كل هذه المدة كاهناً ولا عجب إذا كان عاش ثمانين سنة وكان ارتقاؤه إلى الكهنوت وعمره خمس وعشرون سنة. انتهى.

عد ٧١

مشاهير آخرون بالغيرة والنسك

إنّ من اشتهروا بالغيرة والنسك لجديرون بالذكر كالعلماء فهم أصحاب الفلسفة الروحية الحقة، ومن هؤلاء من الموارنة في القرن السابع عشر انطونيوس الصهيوني الاهدني، والذي نعلمه من أمره أنه تلقى العلوم في مدرسة الموارنة بروما كما روى المطران اسطفانوس عواد السمعاني (في كتاب فهرست الكتب الشرقية في المكتبة الماديشية صفحة ٥١) ثم اتخذ الطريقة الرهبانية ورقي إلى درجة الكهنوت بل صار رئيس كهنة اوبرديوط لأنّ المطران اسطفانوس وصفه بكلمة رئيس كهنة في ترجمة كلامه الذي وضعه على الكتاب الآتي ذكره وهو كتاب الأناجيل ورسائل بولس الرسول وباقي أسفار العهد الجديد حتى رؤيا يوحنا. وقد نسخه بالعربية والأحرف الكرشونية نسبةً إلى رجل اسمه كرشون من الجزيرة، كان أول من كتب العربية بهذه الأحرف السريانية فأخذ النصارى يكتبون الأسفار المقدّسة بهذه الطريقة ليخفوا أسرار دينهم عن المسلمين العرب، هذا ما ذهب إليه الصهيوني ومرهج الباني والمطران اسطفانوس عواد في كتابه المذكور. وكان هذا الكتاب في جملة الكتب التي أخذت عنها طبعة أسفار العهد الجديد التي عني بها مرهج الباني المذكور سنة ١٧٠٣م. وكان انطونيوس الصهيوني نسخه قبل تسعين سنة بأمر البابا بولس الخامس ويوحنا مخلوف بطريرك الموارنة عن كتب كانت بمدرسة الموارنة كما هو بيّن من الذيل الذي علّقه انطونيوس المذكور على آخر هذا الكتاب وهو: «في سنة ١٦١١م في السادس والعشرين من حزيران كان النجاز من نسخ هذا الكتاب في أيام آبائنا بولس الخامس الحبر الروماني الكلي الطوبى والبار يوحنا (مخلوف) الاهدني البطريرك الانطاكي الذي كرسيه بلبنان وتمتد سلطته الروحية إلى سورية كلها والامصار القاصية، وهو مشتمل أسفار العهد الجديد أي الأناجيل ... بيد الحقير انطونيوس بن اوفيمياني (كذا) الصهيوني رئيس الكهنة، والراهب من اهدن بجبل لبنان السرياني الماروني الذي كتب بأمر الرؤساء فصول الأناجيل الأربعة وسائر أسفار العهد الجديد بحسب تقسيمها وعدادها في النسخة العامية الرومانية آخذاً اياها عن ثلاث نسخ كانت في مدرسة الموارنة بروما. وقد دوّن هذا المجلد السيد الشريف يوحنا راتموندوس» المشهور بمعرفة اللغات الشرقية.

وقد نسخ انطونيوس الصهيوني القسم الأول من فلسفة السريان المشتمل على أربعة كتب وهي كتاب الايساغوجي لبرفيريوس وثلاثة كتب من تآليف أرسطو الفلسفية. وهذه الكتب ترجمها حنين بن اسحق السرياني الطبيب من اليونانية إلى السريانية، والكتاب الذي نسخه الصهيوني هو في المكتبة الماديشية في عدد ١٧٦ وصفحاته ٣٥٠ صفحة. ونسخ أيضاً القسم الثاني من فلسفة السريان وهو يشتمل على تسع مقالات فلسفية لأرسطو وهو لحنين بن اسحق أيضاً، ونسخه الصهيوني في عدد ١٧٧ من المكتبة المذكورة وعدد صفحاته ٢٠٨. وله أيضاً نسخ القسم الثالث من فلسفة السريان لحنين المذكور أيضاً وهو في عدد ١٧٨ من المكتبة المذكورة منطوياً عى ٢٠٠ صفحة. وله أيضاً نسخ القسم الرابع من هذه الفلسفة لحنين في الفصاحة والشعر عدده في المكتبة المذكورة ١٧٩ وصفحاته ٣٩٥. وهذه الكتب الأربعة بالسريانية. وفي هذه المكتبة أيضاً الكتاب ٢٧٤ مقالة في الحساب والجبر بالعربية لأبي عبد الله أحمد شهاب الدين بن أبي جعفر (الذي كان في أواخر القرن الرابع عشر)، ومقالة في الخطوط الهندسية لأحمد بن علي. والمقالتان بخط انطونيوس الصهيوني. وهذا الكتاب يشتمل على ٢٤١ صفحة. فهذا ما علمناه من ترجمة هذا العالِم العامل.

وقد ذكر الدويهي في تاريخه عدة من أصحاب الفضل والنسك، فمنهم القس يعقوب الدويهي رئيس دير مار يعقوب باهدن، وقال إنه كان ورعاً فاضلاً عني ببناء الدير المذكور وبتعليم الأولاد، وتوفي سنة ١٦١٦م. ومنهم الخوري ميخائيل الاهدني الذي أخذ طريقة الحبسا بمحبسة مار ميخائيل في وادي قزحيا التي بناها أولاً القس بركة، ثم خلفه فيها القس موسى من اليمونة، وبعده القس يعقوب من بلاد البترون ثم القس ميخائيل ثم القس يوحنا، ثم القس ميخائيل، ثم القس جبرائيل ثم الخوري ميخائيل المذكور، وجميع هؤلاء من اهدن. وتوفي الخوري ميخائيل سنة ١٦١٧م وخلت المحبسة بعده من الحبسا.

ومنهم القس يوحنا ابن القس يوسف محاسب من غوسطا الذي اهتم سنة ١٦٢٨م بتجديد بناء دير مار شليطا مقبس بكسروان وهو أول الأديار المجددة في كسروان، وكان أخوه القس سركيس مترهباً بدير قزحيا فانتقل إلى مار شليطا المذكور. وتوفي القس يوحنا سنة ١٦٤٠م وقام بالرئاسة بعده أو في حياته ابن أخيه الخوري سركيس. وسيأتي ذكره عند الكلام على هذا الدير.

ومنهم القس يوسف اين القس اصاف عن عرامون الذي بنى كنيسة مار عبدا هرهريا في فتح كسروان، ثم كنيسة السيدة هناك. ولبس الاسكيم الرهباني هو واخوته اندراوس وانطونيوس ويوحنا وأختهم رفقا وسيأتي ذكرهم.

من هؤلاء خاصة مؤسسو الرهبنة الحلبية اللبنانية وهم جبرائيل حوا وعبد الله بن عبد الأحد قرألي ويوسف بن البتن، فهؤلاء ألهمهم الله أن ينشئوا رهبانية قانونية عامة فخرجوا من حلب سوية سنة ١٦٩٣م وساروا توّاً إلى أورشليم لزيارة الأماكن المقدّسة والتبرّك بها. ثم امتثلوا أمام السيد البطريرك اسطفانوس الدويهي في أول شباط سنة ١٦٩٤م وكاشفوه بعزمهم على اقامة رهبانية تستسير بقانون واحد ويرأسها رئيس عام واحد، ويكون لكل دير من أديارها رئيس خاضع لسلطان الرئيس العام ويرتبط رهبانهم بنذور الطاعة والعفة والفقر الاختياري والاتضاع على اسم القديس انطونيوس أبي النساك، فسُرّ البطريرك بعزمهم وشكر لمسعاهم ولبّى دعوتهم وأبقاهم عنده. وفي اليوم العاشر من تشرين الثاني سنة ١٦٩٥م ألبسهم الزي الرهباني في دير قنوبين على سبيل التجربة قبل ابرازهم النذور، وسلّم إليهم دير القديسة مورا حذاء اهدن ليصلحوا بناءه ويقيموا به. ولحق بهم في آخر سنة ١٦٩٥م جبرائيل فرحات، وكان من عصبتهم بل زعيمهم. وجعلوا أحدهم جرائيل حوا رئيساً عليهم وشرعوا في انشاء هذه الرهبانية ودعوا إليها باشتهار قداستهم وفضائلهم، فأمّهم كثيرون للترهّب معهم. ورقى البطريرك رئيسهم إلى درجة القسوس وأخذوا يجمعون لهم قانوناً من وصايا القديس انطونيوس وتلامذته، وأخذوا سنة ١٦٩٦م دير اليشاع النبي حذاء بشري وسكنه بعضهم ورأسوا عليه عبد الله قرألي بعد أن رقي إلى درجة القسوس. وعندما عقدوا مجمعهم العام سنة ١٦٩٩م انتخبوا القس عبدالله هذا رئيساً عاماً بدلاً من القس جبرائيل حوا، وثبّت البطريرك اسطفانوس الدويهي قانون رهبانيتهم سنة ١٧٠٠م وسنعود في تاريخ القرن الثامن عشر على ذكر هؤلاء الأفاضل.

وقد نسك في لبنان في هذا القرن الحبيس فرنسيس كالوب دي شاستويل الفرنسي، وذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٣٢م حين قدم إلى لبنان، وفي سنة ١٦٤٣م حيث توفاه الله لرحمته. وروى دي لاروك ترجمته مطوّلة في المجلد الثاني من رحلته إلى سورية ولبنان من صفحة ١٥٢ إلى صفحة ٢٦٠ فنلخّص ترجمته عنه بايجاز. فقد وُلد باكس من فرنسة في ١٩ آب سنة ١٥٨٨م وظهرت عليه

امارات التقوى منذ حداثته، ودرس من جملة علومه اللغة العبرانية وأتقنها وعلّق ملاحظات على النسخة السامرية من التوراة، وأرسلت هذه النسخة وملاحظاته إلى جبرائيل الصهيوني الماروني لتعلّق في البوليكلوتا الباريسية المتقدّم ذكرها. وكان هائماً بمطالعة الأسفار المقدّسة، علاّمة بتفسيرها، فقصد أن يعتزل بفلسطين بعيداً عن الناس ناسكاً متكاملاً بعلم الأسفار المقدّسة. واتفق أنّ سفير فرنسة بالآستانة كان مسافراً إليها فسافرا معاً من مرسيليا في ٢٠ تموز سنة ١٦٣١م فأقام فرنسيس مدة في الآستانة مجانباً الناس. ومع ذلك ظهر فضله وعلمه وعرف اليهود بمهارته بلغتهم العبرانية وتضلعه بمعرفة الأسفار المقدّسة فأكثروا من التردد إليه والاعجاب به، وأهدى أحدهم وكان أعلمهم إلى الايمان القويم وأرسله إلى فرنسة موصياً أخاه به. ونما عرف فضله وعظم اجلال الناس له من كل طبقة وملة فتعمد الخروج من الآستانة فسافر منها في ٢٠ تموز سنة ١٦٣٢م وبلغ إلى صيدا وعزم أن يتنسك بلبنان فسار إلى بيروت ومنها إلى لبنان فبلغ إلى حصرون في ١٥ ايلول تلك السنة، ولبس زي الموارنة وسار من حصرون إلى اهدن ليستشير بأمره أسقف هذا البلد الذي كان حينئذٍ جرجس عميرة، فقبله بالترحاب وأمسكه عنده أربعين يوماً، وكان يودّ لو بقي دائماً عنده، لكنّه أيقن أنّ الله يدعوه للانفراد عن العالم. وكان البطريرك والأساقفة حتى الأمير فخر الدين قد أرسلوا يترحبون به، فمضى يزورهم مبتدئاً بالأمير فخر الدين ثم البطريرك والأساقفة وقابله الجميع بالاجلال والاحتفاء ولا سيما البطريرك يوحنا مخلوف الذي أمسكه عنده أياماً، وكاشفه فرنسيس بعزمه على الانفراد عن العالم للتوبة والنسك وسأله أن يقبله في عداد أبنائه، فعجب البطريرك به ووطّد عزمه وباركه فانصرف من عنده يزور الأرز، وعاد إلى اهدن التي فضّل الاقامة بها ليتعلّم بها اللغة السريانية ليطالع الأسفار المقدّسة بها، وكان باهدن حينئذٍ كاهن فاضل من رهبان قزحيا اسمه القس الياس اعتزل عن الناس في محل قريب من اهدن، فآثر فرنسيس السكنى بالقرب إليه في دير مار يعقوب المنقور بالصخر وعزم أن لا يخرج إلّا لضرورة قصوى. وعاش هناك عيشاً قشفاً صارماً صارفاً أوقاته بالتأمل والصلوة والمطالعات الروحية مانعاً نفسه من أكل اللحم وشرب الخمر مكثراً الصوم إلى الساعة الرابعة بعد الظهر مقتنعاً يوم الأربعاء والجمعة والسبت من كل الصوم بالخبز والماء لا غير، ينام قليلاً (إذا اضطر إلى الراحة) على فراش خشن. ولما كانت الحملة على فخر الدين كما مرّ وفرّ سكان القرى اضطرّ فرنسيس أن يفرّ أيضاً مع القس الياس المذكور وأن يختبيا في المغاور

والكهوف ويعانيا مشاق الجوع والعطش. ولما استكن عاصف القلق في البلاد عاد إلى نسكه وتقشفاته، وقصده بعض التجار الافرنج وأرادوا أن يدفعوا له مالاً يستعين به على معاشه فلم يقبل شيئاً. وكانت مطالعاته لأسفار العهد القديم بالعبرانية ولأسفار العهد الجديد باليونانية والسريانية التي تعلمها. ولما صير القس الياس مطراناً على اهدن (هو الذي ذكرناه في جملة الأساقفة وقلنا أنه من عائلة الصراصرة) وسكن في دير مار سركيس اهدن أسكنه معه واستمر عاكفاً على اماتاته وصلواته ثم انتقل المطران من اهدن فلم يشأ الحبيس أن يبرح مخدعه في الدير إلى أن أتى الأب شالستينوس رئيس الكرمليين في لبنان فأقنعه أن يترك هذا الدير ويأتي فيسكن معه في دير مار اليشاع، فأتى ولكن لم يشأ أن يغيّر شيئاً من عيشته النسكية وصلواته وتأملاته حتى كان الرهبان يتعجبون كيف يمكن شخصاً ربي بالتنعم أن يعيش مثل هذه العيشة الخشنة. ومرض أخيراً فتحمل أوجاعه بالصبر الجميل والهشاشة والتسليم لمشيئة الله والاشتياق إلى ملاقاة ربه الذي نقله إلى الحيوة الخالدة مع النساك المجاهدين في ١٥ أيار سنة ١٦٤٤م ليلة عيد العنصرة، ودُفن بدير مار اليشاع المذكور. وذكر دي لاروك أنّ الله صنع بواسطته آيات كثيرة في حياته وبعد وفاته.

والذي ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٤٤م أنّه استحبس أولاً بدير السيدة بحوقا ثم بدير مار يعقوب الأحباش، ثم بدير مار سركيس على رأس النهر في رئاسة الأسقف الياس. ولما سكن هذا الأسقف في اهدن انتقل الحبيس إلى دير مار اليشاع في بشري وانتقل إلى الراحة التي لا زوال لها. وكان عبرة صالحة لأهل البلاد وبلغ أسمى المراتب بالورع والصوم والسهر وتلاوة الكتب وفي قمع جسده وتجرّده عن العالم وتعلّقه بالإلهيات حتى صدر منه معجزات وسبق فأنبأ بمزمعات. انتهى.

الفصل الخامس

الأديار والكنائس التي أُنشئت للموارنة في هذا القرن

عد ٧٢
الأديـــار

من الأديار التي جدّدها أو أنشأها الموارنة في هذا القرن دير مار شليطا مقبس بكسروان ، والظاهر من عبارة الدويهي أنّ هذا الدير لم يكن حينئذٍ أول انشائه لأنه قال بتاريخ سنة ١٦٢٨م: «اهتم القس يوحنا ابن القس يوسف المدعو المحاسب من قرية غوسطا بتجديد بناء دير مار شليطا في أرض مقبس ببلاد كسروان وصار أول الأديار التي أنشئت في تلك البلاد» .

وكان أخوه القس سركيس مترهباً بدير قزحيا فانتقل إليه . وقال في تاريخ سنة ١٦٧٢م عندما سقطت كنيسة دير ما شليطا بمقبس جدّدها الخوري سركيس على يد البنّا القس جرجس الأميوني الماروني، وفي جانبها من جهة الشمال بنينا (يتكلم الدويهي عن نفسه) داراً لسكنى البطاركة إذا توجهوا إلى تلك الناحية. وفي المشرق نقلاً عن رسالة كتبها الخوري يعقوب عواد الذي صير بعداً بطريركاً أنّ جد بيت المحاسب المسمى باسيل من ميناء طرابلس رحل مع أولاده إلى ساحل علما ثم إلى غوسطا ، وإنّ أحد أولاد باسيل هذا المسمى سركيس ارتقى إلى درجة الكهنوت وكان خبيراً بالحساب فلقّب محاسب ، ومن نسله الخوري يوسف وولده الخوري يوحنا الذي جدّد بناء هذا الدير. وقد أنبأنا صاحب الرسالة المذكورة أنّه كان في المحل الذي بنى الدير فيه كنيسة قديمة اشتراها الخوري يوسف المذكور مع الأرض الكائنة فيها من أبي يوسف المقير من غوسطا سنة ١٦١٥م، ولا يعلم في

أي وقت بُنيت الكنيسة القديمة على اسم القديس شليطا ، وأما بناء الدير فقد نُقش تاريخه على عتبة باب الكنيسة الغربي هكذا: « بسم الآب والابن وروح القدس إله واحد كمل عمار هذا الدير المبارك مار شليطا في أيام سيدنا البطريرك حنا (مخلوف) الانطاكي في تاريخ سنة ألف وستماية وثمانية وعشرين مسيحية بيد المعلّم نقولا الشامي. وكان المعتني الخوري المحاسب والخوري عطيا والخوري فرح والقرايا القريبة غوسطا ودرعون وبطحا وعجلتون وعشقوت » . وتوفي القس يوحنا في ٢١ تموز سنة ١٦٤٠م وترك رئاسة الدير لابن أخيه الخوري سركيس ، وكان القس حنا مزوجاً قبل أن يصير كاهناً وله ولد اسمه الشدياق الياس بنى كنيسة القديس سمعان العمودي في قرية غوسطا كما في احدى نسخ تاريخ الدويهي لسنة ١٦٤٥م، حيث يقول اعتنى الشدياق ايلياس ابن القس حنا الحاسب مع أهل غوسطا وجددوا كنيسة مار سمعان . وكان دير مار شليطا لسكنى الرهبان والراهبات كما كان في بعض الأديار قبل رسم المجمع اللبناني بالفصل بين الرهبان والراهبات . وكان بجانبه مسكن للبطاركة (قبل أن يزيده الديهي). وممن سكنه منهم البطريرك جرجس السبعلي ، وتوفي فيه بالطاعون فلم يُدفن في الكنيسة بل خارجها ومدفنه قائم حتّى الآن نُقش عليه تاريخ وفاته . وقد زاد البرديوط سركيس الرقوم هذا الدير أملاكاً وشهرة .

وأقام الدويهي فيه مدة فأنشأ فيه مكتبة فجعل الرهبان ينسخون كتباً ، وجمع غيرها وبقي إلى الآن قسم منها وقسم اغتالته أيدي الضياع . وتوفي سركيس البرديوط رئيس هذا الدير سنة ١٦٨١م وترك الرئاسة لابن أخيه القس يوحنا ، وكان في هذا الدير الأسقف يوحنا محاسب رقاه الدويهي إلى أسقفية عرقا سنة ١٦٩٨م وأقام في هذا الدير وتوفي به سنة ١٧١٢م كما مرّ في الكلام على الأساقفة .

ومن هذه الأديار دير حراش ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٤٣م فقال اشترى الأسقف يوسف العاقوري (هو الذي صار فيما بعد بطريركاً) من الشيخ يوسف أبي حبيش أرض مار يوحنا حراش بخراج درعون بناحية كسروان، وأنشأ كنيسة جميلة على اسم السيدة العذراء وديراً جعله لسكنى الراهبات المتنسكات وبلغ عددهنّ إلى نحو ثلاثين راهبة، ورأس عليهنّ رفقة ابنة القس يوحنا المحاسب » . وبعد وفاة هذه الرئيسة خلفتها في الرئاسة على هذا الدير ابنة أختها مريم ، وكتب

البطريرك الدويهي إلى القس يوحنا رئيس دير مار شليطا وإليها رسالة لفصل خلاف كان بينهما تراها في «المشرق» (صفحة ٣٠٢ من السنة الخامسة). وفي سنة ١٦٤٤م عقد البطريرك يوسف العاقوري مع أساقفته مجمعاً في هذا الدير لاصلاح بعض العوائد البيعية. وسنأتي على ذكر هذا المجمع.

ومنها دير مار سركيس وباخوس في ريفون، وأول من أنشأه القس سليمان مبارك من غوسطا. وكان هذا الكاهن مزوجاً وله سبعة بنين، فبعد وفاة امرأته رغب هو وبنوه الاعتزال عن العالم في أحد الأديار فأتوا أولاً دير مار شليطا حيث أقاموا بعض سنين منضوين إلى رهبان هذا الدير، ثم انفصلوا عنهم وأتوا إلى ريفون سنة ١٦٥٥م فأنشأوا الدير القديم على خربة معبد كانت هناك، وقضوا حياتهم فيه مثابرين على النسك والعمل بما يعود عليه بالنفع إلى أن توفي القس سليمان سنة ١٧١٣م كما يظهر من الخط المنقوش على ضريحه في الدير المذكور. ومن أبنائه المطران يوسف مبارك الذي انتخب بطريركاً بعد تنزيل البطريرك يعقوب عواد سنة ١٧١٠م، ثم حكم الكرسي الرسولي بارجاع البطريرك يعقوب وأبطل انتخاب المطران يوسف إلى البطريركية.

ومنها دير مار عبدا هرهريا وقد ذكر الدويهي انشاءه فقال في تاريخ سنة ١٦٥٥م: «فيها اهتم القس يوسف ابن القس اصاف من قرية عرامون وبنى كنيسة مار عبدا هرهريا في طرف فتوح جبيل ثم كنيسة السيدة قبواً، ولبس الاسكيم الرهباني هو واخوته اندراوس وانطونيوس ويوحنا ثم أختهم رفقا ثم أبوهم وأمهم بعد أن تتاركا حقوق الزواج بينهما برضاهما، وإذن مطران الأبرشية، وانقطعا عن العالم ووقفا كل ما يملكانه للدير راغبين في الفقر، وفي أن يكونوا جميعاً طائعين للقس يوسف إلى نهاية حياة كل منهم، وصاروا عبرة صالحة للناس باتخاذ الطريقة الرهبانية وبالسيرة الصالحة والعبادة والورع إلى نهاية عمرهم.

ومنها دير مار الياس النبي في غزير، بنى هناك الشيخ طربيه بن حبيش كنيسة على اسم ايليا النبي في أسفل غزير، ووقف لها بعض العقار، ثم بنى حذاء الكنيسة بعض مساكن فصارت ديراً، وكان ذلك نحو سنة ١٦٦٥م. وقال الدويهي في تاريخ سنة ١٦٨٣م رام المشائخ الحبيشية أن يبيعوا للرهبان الكبوشيين كنيسة مار الياس التي بنوها في أسفل غزير فمنعناهم عن ذلك، ولكن سمحنا لهم

بأن يقيموا بها خمساً وعشرين سنة . وفي سنة ١٦٧٠م جدّد القس يوسف اصاف المذكور آنفاً بناء دير سيدة الحقلة ، وقيل إنّ هذا الدير ودير مار عبدا هرهريا كانا مشتركين فحصل نزاع بين الخدام على حراثة الأملاك أفضى إلى فصل أحدهما عن الآخر برأي بطريرك الطائفة وأساقفتها . وفي سنة ١٦٧٣م أنشأ المطران جبرائيل البلوزاوي دير السيدة في طاميش في جنوبي نهر الكلب ذكره الدويهي في تاريخ هذه السنة ، ويظهر من خط كان منقوشاً على عتبة باب الدير القديمة أنّ الشيخ أبا نوفل الخازن وأولاده اعتنوا ببنائه وتعب به القس عطاالله وتلميذه من غزير .

وفي سنة ١٦٨٢م أنشأ الشيخ سلهب الحاقلاني دير السيدة بلويزه في خراج زوق مصبح وجعله لسكنى الرهبان العباد ثم ترهّب فيه ولده القس اغناطيوس . وتسلّم الدير ثم تسلّمه الرهبان الحلبيون اللبنانيون سنة ١٧٠٧م وخصّ عند القسمة الرهبان الحلبيين .

وفي سنة ١٦٩٠م بنى القس خيرالله اسطفان دير عين ورقة في المحل المسمى المشرع ، ثم هطلت أمطار غزيرة فخربت ما بنى ، فجدد البناء في المحل الذي فيه الآن مدرسة عين ورقة الشهيرة ، وهذا الكاهن ارتقى فيما بعد إلى الأسقفية ودُعي جرجس . وفي سنة ١٦٩٦م جدّد الخوري جرجس صفير وأخوه ناضر بناء دير القديس مارون في الرومية بجانب القليعات بكسروان الذي صار فيما بعد مدرسة كما سيجئ .

وفي سنة ١٦٩٠م جدّد البطريرك اسطفانوس الدويهي بناء دير مار سركيس اهدن فإنه قال في خط عُثر عليه في بعض نسخ تاريخه ما ملخصه: «أنّ بناء دير مار سركيس كان على قناطر، ولما تزعزعت رممها ابن عمنا المطران بولس يمين ، ولما سكن في الدير ابن أخينا الخوري ميخائيل ردم قناطره ثم تداعى عماره فلم يسكنه أحد مدة ، فدُثر فوضعنا يدنا عليه وأزلنا القناطر كلها وأقمنا حائطاً متيناً في الوسط وعمرنا قبوين في الداخل أمام كل كنيسة قبو ، وبنينا فوقهما قلالي وأقمنا الحائط الغربي من الأرض فصاعداً . وكان البناؤون أربعة من رشميا والمتكلم عليهم القس جرجس الأميوني الماروني من قرية أميون بالكورة » فهذا القس كان من الملكية فصار كاثوليكياً مارونياً . وكذلك ذكر الدويهي في الخط المذكور أنه في سنة ١٦٩١م جدّد بناء دير القديسة مورا في اهدن بعد أن خرب ، فإنّ أبا ميخائيل

انطونيوس من أصنون ترهّب فعمرنا له هذا الدير ثم أعطى الدويهي هذا الدير للرهبان الحلبيين عند تأسيسهم الرهبانية فزادوا في بنائه.

عد ٧٣

ما نعرفه من كنائس الموارنة التي بُنيت في هذا القرن

كنيسة السيدة في قرية بشعلة قال فيها الدويهي في تاريخ سنة ١٦٢٦م فيها القس يوسف ابن القس حبيب من قرية بشعلة نقض بناء كنيسة السيدة وعقدها قبواً.

وقال في تاريخ سنة ١٦٣٢م فيها القس يوحنا بن الشمالي أنشأ بقرية درعون ببلاد كسروان كنيسة القديس انطونيوس قبواً، وأخوه القس فرح بنى كنيسة السيدة. وكان الأخوان ورعين ولهما اليد الطولى في نسخ الكتب البيعية. وفيها نقض الشيخ أبو عماد بن الجميل كنيسة القديس عبدا في بكفيا وعقدها قبواً بثلاثة أسواق بمساعدة أهل بكفيا على يد البنّاء يوحنا الشامي. وكذلك القس بشارة من بيت الخراط اهتم بتوسيع كنيسة الملائكة بقرية بكفيا أيضاً.

وقال في تاريخ سنة ١٦٣٢م: «اهتم البطريرك يوحنا مخلوف فجدد كنيسة القديسة مورا بقرية كفر زينا» بقيت هذه الكنيسة على ما كانت عليه إلى أيامنا. ومن بعض سنين نقض أهل القرية البناء القديم وبدلوه بالبناء الحالي، وقد مدَّيتُهم ببعض الاسعاف لأنها كنيسة القرية التي ربيت فيها. وقال الدويهي في تايخ هذه السنة أيضاً إنّ أهل كفرحاتا بالزاوية جدّدوا كنيستهم على اسم القدس ماما، وكان هذا البطريرك منذ سنة ١٦٠٩م توجّه إلى مجدل معوش بالعرقوب الشمالي وأقام بها مدة، وبنى هناك كنيسة السيدة الباقية حتى الآن على هيئتها القديمة.

وقال في تاريخ سنة ١٦٣٦م: «وفيها انتهى بنيان كنيسة السيدة بالعربانية من قرى المتن وكرسها المطران يوسف بن حليب العاقوري مطران صيدا في السادس من تموز، وكان المهتم ببنيانها الشيخ عون المكارى وأبو عطاالله ابن القبرصي والحاج ميخائيل أبو نعمه. وقال في تاريخ سنة ١٦٣٨م إنّ كنيسة الموارنة بأياس كانت قد خربت وكنيستهم بحلب احترق سقفها مع الدرابزين، وقدم السلطان إلى حلب

فاستأذنوه في بنائهما فأذن به ، فجدد الموارنة جزوع كنيسة ايليا النبي بحلب ، وعمّر الأرمن كنيسة باياس لتكون مشتركة بين الملّتين المارونية والأرمنية .

وقال في تاريخ سنة ١٦٤١م إنّ كنيسة الموارنة بالكفريات بقبرص كانت قد رتعت بيد الروم لأنّ الروم أغروا الخوري جرجس خادمها وبعض أقربائه فاتبعوا مذهب الروم وأخذوا الكنيسة وصار حينئذٍ الخوري بطرس خادماً لكفريات . وكان ذا نفوذ وغيرة فاستفتى العلماء فأفتوا له أنّ الكنيسة لم تكن للخوري جرجس بل للموارنة ، فاستحصل خطاً شريفاً باعادتها إلى طائفته ، وفي هذه الأثناء بنى الشيخ أبو نوفل نادر الخازن كنيسة السيدة في عجلتون وعين جعلاً لكاهن يقدّس بها كل يوم .

وقال في تاريخ سنة ١٦٥٤م إنّ القس جرجس ابن القس رزق الله البجاني أنشأ بمساعدة أهل بيت شباب كنيسة القديس جرجس في بحردق بقاطع بيت شباب ، وقال في تاريخ سنة ١٦٧٣م إنّ الشيخ أبا فارس وأخاه الشيخ أبا ناضر ابنَي الحاج أبي منصور الاهدني كاتب الأمير أحمد بن معن نقضوا كنيسة السيدة في دير القمر وعقدوها قبواً . وقال في تاريخ سنة ١٦٨٥م عن نفسه جدّدنا كنيسة مار عبدا على نهر الكلب (الدير المعروف الآن بدير مار عبدا المشمر) بعد أن كانت قد خربت من زمان طويل ، وأنشأنا في جانبها داراً تابعة لدار ما شليطا بمقبس .

وفي سنة ١٦٨٩م تمّ بناركنيسة مار الياس بغوسطا أنشأها الشيخ أبو قانصوه فياض الخازن بجانب الدار التي بناها لنفسه بالقرية المذكورة .

ذيل

المجمع الذي عقده البطريرك يوسف العاقوري

في دير حراش

عقد هذا المجمع البطريرك يوسف العاقوري في ٥ من كانون الأول سنة ١٦٤٤م في دير حراش ووُجدت نسخة منه في هذا الدير، ولكن سقط منها ورقة مشتملة على بعض الكلام في سرَي التوبة والأوخاريستيا، ومنه نسخة أخرى في دير الرهبان الموارنة بروما، وقد أخذنا ملخص قوانين هذ المجمع عن نسخة حراش إذ لم نعثر على غيرها، ونرى فيها بعض ما يخالف التهذيب المعمول به الآن منبئاً لنا بما كان في تلك الأيام. وإليك ملخّص قوانين هذا المجمع معربة عن النسخة المذكورة.

أولاً في المعمودية هي سرّ من أسرار الكنيسة السبعة ويلزم أن يكون التعميد في اليوم الثامن بعد المولد وإذا دعت ضرورة فبعد أربعين يوماً، ويكون غسل الطفل بعد تعميده حالاً. ٢ لا يؤخر التعميد لغيبة العرّاب أو لصنع حفلة أو تقدمة هدايا. ٣ لا يُسمح أن يكون العرّاب من الهراطقة. ٤ لا يرشم الطفل (أي لا يُعمد دون تلاوة الصلوات التي في رتبة التعميد) إلّا عند خطر الموت، وإذا لم يوجد حينئذٍ كاهن أو شماس فيحق لأي رجل أو امرأة كان أن يعمّد بحيث يتلو الكاهن الكلمات الجوهرية وهو يسكب الماء على الطفل وهي: «أن أعمدك يا فلان أو يا فلانة بسم الآب والابن والروح القدس آمين» ومن عُمد كذلك لا يجوز اعادة صورة التعميد عليه بل تتلى عليه صلوات رتبة المعمودية ويُدهن بالميرون والزيت المقدّس ويُغسل للحال، وإن حصلت ريبة في صحة تعميده السابق فيُعمّد ثانيةً. بقول المعمّد: «إن كنتَ لست معمّداً فأنا أعمّدك يا فلان الخ». ٥ لا يُستعمل

في التعميد إلّا الماء الطبيعي صرفاً بارداً أم سخناً خلياً من العكر. ٦ يلزم الكهنة المعمدين أن يدونوا بسجل مخصوص اسم من عُمد واسم أبيه وأمه وعرابيه وزمان تعميده.

في التثبيت هو سر من أسرار الكنيسة السبعة وخادمه هو الأسقف ويعطي هذا السر من كان عمره خمس سنين فصاعداً ويلزم تدوين أسماء المثبتين كأسماء المعمّدين.

في الاعتراف هو سرّ من أسرارالكنيسة السبعة وهنا الورقة الساقطة وهي تشتمل على القوانين المتعلقة بسر التوبة وسر الأوخاريستيا وبعض القوانين المتعلقة بسر الزيجة إلى القانون السادس منها.

القانون السادس زواج أخوين بأختين وقطريب لقطريته (ربيب لربيبته) غير جائز إلّا باذن السيد البطريرك (هذا مباح الآن). ٧ كل من تعدّى على خطيبة غيره أو استعان بحكام عالميين على ذلك أو رشاهم ومن يؤذن بهذا التعدي أو يأمر أو يرتضي به من أقربائها أو غيره فليكن ساقطاً بالحرم والكاهن الذي يكللهما فليكن محروماً (لطفت الأيام هذا القانون). ٨ كل من طلب أو أخذ رشوة من أهل العروس وأقربائه ليكن محروماً. ٩ لا يذهب العريس عند العروس بل يلزم الاكليل في بيت العريس. ١٠ كل من تزوّج بابنة عمه أو بنت عمته أو بنت خاله أو بنت خالته أو بخالته أمرأة أبيه أو بامرأة عمه ومن أشبه كانت زيجته باطلة والبطريرك يوضح بطلانها. ١١ من تزوّج بامرأة وماتت فلا يحلّ له أن يتزوج ببنت عمها أو بنت خالتها. ١٢ إذا شذّ احد الزوجين عن دينه أو ثبت على المرأة الفسق أو جنّ أحدهما أو طرأ عليه مرض مهما كان فالزواج ثابت ولا طلاق إلّا بالممات. ١٣ يمنع عقد الزواج من اليوم الأول من كانون الأول إلى الغطاس ومن الأحد الأول في الصوم إلى الأحد الجديد ولا يحلّ الزواج إلّا من نهار الاثنين بعده وصاعداً. ١٤ المهر يكون برضى أهل العريس والعروس. ١٥ القرابة من جهة الميرون لا تمنع الزواج إلّا في الوجه الأول أعني بين القابل والمقبول وبين أبي المعمد وأمه وبين الذي يعمد. ١٦ يلزم أن يكون في المعمودية عرّاب وعرّابة. ١٧ لا تكن زيجة بين ابن العرابة والبنت التي قبلتها أمه (أي فليونتي لابني كما هي حرفية كلام المجمع وقد حصر المجمع اللبناني القرابة الروحية بين العرابين وبين

المعمود وأبويه ثم بين المعمّد والمعمَّد وأبويه لا سوى) . ١٨ المعمد أو الراشم لا يحل له أن يتزوج أم المعمّد أو المعمّدة . ١٩ المعمّد لا يحل له أن يتزوج بامرأة المعمّد أو الراشم . ٢٠ أبو المعمّد لا يحل له أن يتزوج بامرأة المعمّد . ٢١ المعمّد لا يحل له أن يتزوج بالبنت التي عمّدها . ومن تزوج خلافاً للقوانين المذكورة فُسخ عقد زواجه .

درجة الكهنوت القانون الأول الكهنوت سر من أسرار البيعة السبعة ، وكل من ضرب كاهناً أو شدياقاً أو راهباً أو أهانهم محروماً ولا يحلّه إلَّا البطريرك . ٢ إذا قدّس كهنة جملة عن نفس ميت فالأولى أن يتشح كلٌّ منهم بأثواب التقديس ليفي الزامه بالقداس الذي أخذ حسنته (هذا القانون غير معمول به الآن ويكفي لباقي الكهنة أن يتشحوا بالمدرعة والبطراشيل أو البطرشيل وحدهُ . ٣ لا يجوز للكاهن أن يكون جابياً لمال الحكومة أو شيخاً لقرية أو يتقلّد فريضة من أحد ولا يجوز لأحد العامة أن يُكرهه على ذلك ومن خالف يؤدبه أسقفه . ٤ الرؤساء والكهنة يصير جنازهم وعليهم عدة التقديس كاملة ولا يكون دفنهم غير بالكتونة فقط . ٥ من تزوج بنتَين واحدة بعدالأخرى أو تزوج بأرملة لا يصير كاهناً وكذلك من كان أعور أو مفلوجاً أو يقع في الهلّة أو ارتكب القتل عمداً . ٦ وكيل كرسي قنوبين يناط به تدبير أرزاقها دائماً وليس للبطريرك أن يعزله إلَّا برأي المطارين . ٧ كل من صار مطراناً أو بطريركاً حرمت عليه المآكل المزفرة .

مسحة المرضى القانون الأول هي سر من أسرار البيعة ولا يُمسح المريض إلَّا عند خطر الموت . ٢ لا يتقاعدن أحد من الكهنة عن مسحة المريض المشرف على الموت لأنها سر ضروري لحماية نفس الميت من محاربة الشيطان . ٣ كل من مات محروماً بغير اعتراف لا يحل لأحد من الكهنة أن يجنزه ويدفنه في مقبرة مكرّسة .

في الميراث القانون الأول الارث لا يكون إلَّا بعد وفاء الدين وحسنة القداسات وباقي ما يلزم لدفن الميت . ٢ إذا مات رجل عن امرأة ووارث تعطى الامرأة أولاً نقدها والثمن من متروكاته أي ثلاثة قراريط من أربعة وعشرين قيراطاً .

قوانين أخرى غير ما تقدّم

القانون الأول كل كاهن افرنجي عرّف وناول جماعتنا الموارنة بغير أمر البطريرك يكون محروماً ، وكل ماروني اعترف وتناول عند الافرنج أو غيرهم يكون محروماً . ليس لأحد من الرهبان أن ينتقل من موضع إلى آخر دون اذن السيد البطريرك ، لا يتعدى أحد من الكهنة على رعية غيره في الأمور الروحية فليس له أن يعرف أحداً بغير اذن خوري الرعية إلّا في ساعات الموت لتعميد طفل أو حل مريض مشرف على الموت .

وصايا الكنيسة

القانون الأول لا يجوز لأحد تناول الأطعمة المزفرة يومي الأربعاء والجمعة إلّا ما وقع منها في عيد الميلاد إلى عيد الغطاس ومن القيامة إلى عيد الصعود . ٢ عيد التجلي وعيد الرسولين بطرس وبولس وعيد انتقال العذراء إذا وقعت يوم اربعاء أو يوم جمعة توكل فيها المآكل المزفرة . ٣ الصوم الكبير يصام إلى الساعة التاسعة كالعادة ويلزم سماع القداس إذا وُجد وإلّا فتلزم الصلاة . ٤ يبدأ في صوم الميلاد من اليوم الخامس من كانون الأول ويصام إلى الظهر وإذا وقع بدؤه يوم الأحد فيبتدى في الصوم يوم الاثنين . ٥ يبتدى بقطاعة الرسل في اليوم الخامس عشر من حزيران وفي قطاعة السيدة من أول يوم من شهر آب وإذا وقع بدؤها يوم الأحد لا يصام . ٦ على كل مسيحي أن يحضر القداس أيام الآحاد والأعياد المأمورة بطالتها ، ومن أهمل ذلك أخطأ خطأً مميتاً رجلاً كان أو امرأة .

وهذه هي الأعياد الواجبة بطالتها تشرين الأول في ٢٨ منه عيد القديس سمعان القانوني ويهوذا الرسول . تشرين الثاني في أول يوم منه عيد جميع القديسين وفي ٣٠ منه عيد القديس اندراوس الرسول . كانون الأول في الواحد وعشرين منه عيد القديس توما الرسول وفي ٢٥ منه عيد ميلاد سيدنا يسوع المسيح وفي ٢٦ منه عيد السيدة والقديس اسطفانوس وفي ٢٧ منه عيد مار يوحنا الانجيلي . كانون الثاني في اليوم الأول منه عيد ختانة المسيح وفي السادس منه عيد

الغطاس. شباط في الثاني منه عيد دخول المسيح للهيكل وفي التاسع منه عيد مار مارون البطريرك. آذار في ١٩ منه عيد مار يوسف خطيب مريم وفي الخامس والعشرين منه عيد بشارة العذراء. أيار في أوله عيد فيلبس ويعقوب الرسولين. حزيران في الرابع والعشرين منه عيد ميلاد يوحنا المعمدان وفي ٢٩ منه عيد القديسين بطرس وبولس. تموز في الخامس والعشرين منه عيد يعقوب بن زبدي الرسول. آب في السادس منه عيد التجلي وفي الخامس عشر عيد انتقال العذراء وفي الرابع والعشرين عيد برتلماوس الرسول. أيلول في الثامن منه عيد ميلاد العذراء وفي الرابع عشر عيد ارتفاع الصليب وفي الحادي والعشرين عيد متى الرسول وفي التاسع والعشرين عيد ميخائيل رئيس الملائكة.

وأما الأعياد المتنقلة فهي عيد القيامة وثانيه، وعيد الصعود، وعيد العنصرة وثانيه، وعيد الثالوث الأقدس في الأحد الذي بعد العنصرة، وعيد جسد المسيح وهو في الخميس الثاني بعد العنصرة، وعيد كنيسة المحل. هذه هي الأعياد اللازمة البطالة بها وحضور القداس وعلى الكهنة أن يشهروا في رعاياهم وجوب البطالة في هذه الأعياد ويجتهدوا في حفظ ذلك. انتهت أعمال هذا المجمع ولم نجد في نسخة حراش المذكورة اسم الأساقفة الذين وقّعوا عليه أو شهدوه بل قيل هناك أنه انتهى في اليوم الخامس من كانون الأول سنة ١٦٤٤م وعاد كل من المطارين إلى كرسيه والكهنة والرهبان إلى محلاتهم.

المقالة الحادية عشرة

تاريخ الموارنة في القرن الثامن عشر

الفصل الأوّل

أعيانهم الدنيويون في هذا القرن

عد ٧٤

المشايخ آل خازن وآل حبيش في هذا القرن

ذكرنا في تاريخ الموارنة في القرن السابع عشر من كانوا من آل خازن قناصل لدولة فرنسة في بيروت، وأنّ الشيخ حصن بن فياض الخازن كان في هذا المقام، وبعد وفاته صير ابنه الشيخ نوفل الخازن قنصلاً لفرنسة في بيروت وبقي في هذه القنصلية إلى أن عقد المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦م فكان الشيخ نوفل قنصل فرنسة في بيروت كاتباً فيه.

وبعد أن انتقلت الولاية على جبل لبنان من آل معن إلى آل شهاب في أواخر القرن السابع عشر كان مدبرو الأمراء الحاكمين من آل شهاب غالباً من الموارنة وأبقوا آل خازن على ولايتهم بكسروان وآل حبيش على ولايتهم بغزير وما يليها، ولما تولى الأمير يوسف علم الدين اليمني على لبنان بمساعي محمود باشا أبي هرموش كما مرّ واضطرّ الأمير حيدر موسى الشهابي الحاكم حينئذٍ أن يفرّ من وجهه سار أولاً إلى كسروان معتصماً بالمشايخ آل خازن وآل حبيش ولما تقوى عليه

عسكر الأمير يوسف علم الدين ودخلوا غزير وأحرقوها ترك الأمير حيدر عياله في كسروان فخبأهم المشايخ آل خازن في بعض قراهم، وكانوا يقدمون خفية كل ما يلزم لنفقتهم ونفقة الأمير حيدر الذي اختبأ مع بعض خواصه في الهرمل، ثمّ لمّا سئمت نفوس أعيان البلاد ولاية الأمير يوسف علم الدين لجأ أعيان القيسية إلى الخازنيين ليكاتبوا الأمير حيدر شهاب المذكور أن يعود إلى البلاد فيناصروه جميعاً على اليمنية فحضر الأمير حيدر إلى المتن وكان معه الشيخ خازن الخازن وبعض أبناء عمّه وحضروا معه وقعة عندارا المشهورة حيث انتصر القيسية على اليمنية وظفروا بهم ظفراً تاماً فأقرّ الأمير حيدر المشايخ على ولايتهم في كسروان وكتب لهم الأخ العزيز، وكان في المصطلحات في تلك الأيّام أن يفرقوا بين طبقات الناس أن يكتبوا إليهم عزيزنا أو محبّنا أو أعز المحبين أو الأخ العزيز.

وفي ١٧٢٥م تولى الشيخ عبدالله بن فاضل الخازن ناحية عكار ولما كان راجعاً من دير قزحيا إلى كسروان التقاه نحو ثلاثين رجلاً من المشائخ الحمادية وأتباعهم وأرادوا إهانته لأنّه تولّى الناحية المذكورة وهم يدّعون أنّ لهم حق الولاية عليها فعاونه عليهم الرهبان فتملّص منهم. وشكا آل خازن الحمادية إلى والي طرابلس سليمان باشا العظم فأرسل عسكراً فنكل بالحمادية، ولكن نهب عسكره بلاد جبيل والبترون (عن سجل الرهبنة اللبنانية)، ولما اضطرّ البطريرك يعقوب عواد أن يبارح كرسيه قنوبين بسبب مناصرته للبطريرك كيرلس تاناس كما مرّ وأن يرقي الخوري يوسف صالح الدويهي الأسقفية ويسلمه تدبير دير قنوبين، كتب له صكاً بذلك ووقع عليه مع بعض أساقفته. وكتب له بعض آل خازن أيضاً وثيقة مشعرة برضاهم بهذه الوكالة ليتهيبه المتاولة وغيرهم، ولما عقد المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦م شهده كثيرون من آل خازن وآل حبيش وترى تواقيعهم على آخره في النسخة المطبوعة حديثاً.

وفي سنة ١٧٥٠م لما اعتدى بنو منكر الشيعة على إقليم جزين وقتلوا رجلين من أصحاب الشيخ علي جنبلاط حشد الأمير ملحم الشهابي الرجال لكبت الشيعة المذكورين فتوجّه مع الأمير الشيخ ميلان الخازن ببعض رجال كسروان وعند اشتداد القتال في جباع الحلاوة أغار الشيخ ميلان برجاله على برج هناك كان الشيعة قد اعتصموا به فأثخن فيهم وبدد شملهم فأكرمه الأمير وعظمت منزلته عنده. وفي سنة ١٧٧٠م لما افضت ولاية البلاد إلى الأمير يوسف الشهابي

وتزلف إليه المشايخ آل خازن ولى الشيخ رامح بن حيدر بن قيس الخازن على الحفد وترتج ببلاد جبيل وجعلها اقطاعاً خاصاً به وبذريته وبقيت كذلك إلى أن الغى نظام لبنان الاقطاعات فيه.

عد ٧٥
بطرس الشدياق وابن أخيه منصور وأولاده

إنّنا ننسّق ذكر الأعيان بهذا الفصل بحسب زمان اشتهارهم وخدمتهم لولاة البلاد. فبطرس الشدياق هو من سلالة رعد الحصروني جد المقدّم خاطر الحصروني الذي تقدّم ذكره في هذا التاريخ وفهد والد بطرس الذي سمّي الشدياق ارتحل من حصرون إلى كسروان بأولاده وعائلته وأقاموا بعشقوت. وفي سنة ١٧١٥م دعا الشيخ أبو شيبان الخازن بطرس الشدياق بن فهد وعهد إليه بمحاسبة الأموال الأميرية في ولايته بكسروان ثمّ جعله دهقاناً على عقاراته لما رأى فيه من الدراية والأمانة، إلى أن توجّه الشيخ المذكور سنة ١٧٢٣م إلى دير القمر ومعه الشدياق بطرس المذكور، فرأى الأمير حيدر الشهابي الوالي حينئذٍ ما رآه أبو شيبان في بطرس المذكور فطلبه منه وأقامه رئيساً لكتبته وأحبّه لصدق خدمته واخلاصه وجعله مدبراً له. ولـمّا تولّى الأمير ملحم شهاب بعد والده الأمير حيدر أبقى الشدياق مدبراً له كما كان عند والده إلّا أنّه في سنة ١٧٢٧م تغيّر عليه لوشايات رفعها حساد الشدياق إليه فوضعه في محرس منفرداً دون أن يكشف له سبب تغيّره عليه فعظم الأمر على الشدياق حتى أخرجه عن دائرة رشده، واذ كان يوماً بالكنيف ضرب بطنه بسكين فخرقه وأغمي عليه، ولما أبطأ كشفه الحارس فرآه مطروحاً على الأرض وأعلم الأمير بذلك وأمر بإحضار طبيب عالجه فلم يشفَ، وكان مدبراً للأمير حيدر سبع سنين ولابنه الأمير ملحم ثماني سنين، وكان له ابنان ظاهر وخطّار قبض الأمير ملحم عليهما وعلى ابن أخيه منصور وضبط مالهم وخيلهم، ثمّ أمر بإطلاقهم وارجاع بعض عقارهم، لكنّه وهب داري بطرس وابن أخيه منصور بعشقوت للشيخ أبي صليبي مرعب الخازن، فارتحل منصور إلى حارة الحدث ببعض أقربائه فتوطنوها وسكن ظاهر وخطار ابنا بطرس في بيروت.

وفي سنة ١٧٤١م سار منصور بأهله إلى بعلبك فخدم الأمير حيدر الحرفوش واستأجر منه أرضاً للزراعة، وقد قتل مصادفة أحد أقربائه رجلاً متواليّاً فطيب الأمير حيدر قلب منصور وأقربائه وأمر المتاولة أن لا يسوموهم ضراً ومن خالف أمره قتله، لمحبته لمنصور لاستقامته في تدبير أموره ولسعيه بالصلح بينه وبين الأمراء الشهابيين. وسنة ١٧٤٣م رجع منصور بأقربائه إلى حارة حدث بيروت، وسنة ١٧٥٧م أقامه الأمير ملحم الشهابي مدبراً لابن أخيه الأمير قاسم عمر وأرسلهما إلى دار السلطنة يلتمسان للأمير ملحم ولاية جبل الشوف وكسروان، وللأمير قاسم ولاية بلاد جبيل. ولمّا عرف بذلك الأمير منصور الشهابي أمر بقطع الأشجار التي لمنصور الشدياق في الحازمية ونال الأمير قاسم ومنصور أمراً سامياً إلى والي دمشق ليجيبوا الأمير إلى مطلوبه، لكن توفي والي دمشق قبل الإجابة فيئس الأمير قاسم من الفوز وصالح عمّه الأمير منصوراً وعوّض منصور الشدياق عما تلف له أو تكلف بيوتاً وعقاراً في قب الياس وأبقاه في خدمته، فسعى بعض المشايخ بتغيره على منصور وقتله. وكان منصور مأذوناً له أن يفتح الكتب الواردة للأمير ففتح ذاك الكتاب ثمّ ختمه وأعاده إلى الرسول فدفعه إلى الأمير فلم يخف الأمير ما فيه على منصور وطيّب قلبه، فقال له منصور لا تلقى خيراً عند عمّك الأمير منصور ما دمت أنا في خدمتك، واستأذنه بأن يفارقه ويتوجّه إلى بلاد بشاره، فأبى الأمير وألحّ منصور فرضي الأمير وأكرمه ودفع إليه كتاب توصاة إلى والي تلك البلاد، فارتحل منصور بأقربائه إلى قرية عين إبل فسكنها مدّة ثم انتقل إلى رميش، وسنة ١٧٦٣م دعاه الأمير قاسم إليه فأتى إلى حارة الحدث وعاد إلى خدمة الأمير قاسم مدبراً كما كان.

ومرض الأمير قاسم سنة ١٧٦٨م فجعل منصوراً وصياً على أولاده ودهقاناً لأملاكه، ثمّ استقال من الأمير منصور من هذه الوصاية سنة ١٧٧٠م فاستدعاه الأمير أفندي وأخوه الأمير سيّد أحمد الشهابيان واتّخذاه مدبراً لحكومتهما وبقي كذلك إلى أن فرّ الأمير سيّد أحمد شهاب سنة ١٧٨٥م من وجه أخيه الأمير يوسف إلى حوران فسار منصور معه فأمر الأمير يوسف بقطع الأشجار التي له في الحازمية. وسنة ١٧٩٣م توفي منصور الشدياق بن جعفر وعمره سبع وستون سنة ودفن بحارة الحدث وله ثلاثة أولاد فارس ويوسف وسليمان.

أمّا فارس فاستدعاه الأمير يوسف الشهابي الوالي إلى خدمته سنة ١٧٨٦م وكان الشيخ سعد الخوري مدبّر الأمير المذكور يحب فارساً كثيراً فأحبّه الأمير

يوسف ولمّا مرّ الأمير يوسف ببلاد بعلبك سنة ١٧٨٨م مطروداً من الأمير بشير قاسم الشهابي الذي كان قد أخذ الولاية أرسل الأمير جهجاه الحرفوش يقول للأمير يوسف تحوّل عن بلادي أو صليت عليك القتال، فارتبك الأمير يوسف بالجواب فقال فارس للأمير يوسف الجواب عندي. وشتم الرسول وضربه بدبوس من حديد وقال له اذهب فقل لأميرك من أنت حتى تمنع الأمير يوسف عن المرور فهو يأمرك أن تقوم حالاً من بلاد بعلبك أو فاجأك برجاله. ولما بلغ الأمير جهجاه هذا الجواب فرّ هارباً إلى بلاد الشرق وظلّ الأمير يوسف سائراً إلى الزبداني ثمّ إلى حوران، وأمر فارس الشدياق أن يقيم بدمشق وكيلاً له، ولمّا وعد الجزار الأمير يوسف بردّه إلى الولاية وحضر لديه إلى عكا كتب الأمير يوسف إلى فارس أن يلحقه إلى عكا فتوجّه ومعه خمسة عشر فارساً فأغار عليهم في الطريق عرب عنزه والسردية فقاتلهم قتالاً شديداً وقتل بعضهم لكنّهم استظهروا عليه أخيراً ورموه عن جواده إلى الأرض، فنثر لهم نقوداً ألهاهم بها وفرّ من بينهم إلى قعدان البعيش شيخهم مستجيراً به فأجاره على عادة العرب، وردّ له ولفرسانه كلّ ما سلب منهم، ولم يمكن ورثة القتلى من العرب من مضرة نزيله. وسأله فارس أن يصحبه بمن يوصله إلى إقليم البلان فأصحبه بخمسين فارس، وعند وداعه قدّم له فارس سيفه وكان ثميناً، وسار متنكراً إلى عكا خوفاً من الأمير بشير. وسنة ١٧٩٠م لمّا حضر الشيخ غندور الخوري إلى عكا يسأل الجزار الولاية للأمير يوسف أنعم عليه بها وأمره أن يبقي الشيخ غندوراً رهناً عنده وأن يأخذ فارس الشدياق مدبراً له فكان كذلك. وفي سنة ١٧٩٨ دعا الأمراء أولاد الأمير يوسف فارساً بن منصور الشدياق لخدمتهم فأقام عندهم واستمرّ فارس في خدمتهم ثمّ خدمة الأمير بشير إلى أن توفي سنة ١٨١٧م.

عد ٧٦

الشيخ سعد الخوري وابنه الشيخ غندور

إنّ أسرة الخوري تنسب إلى الخوري صالح من عائلة مبارك. ارتحل الخوري صالح المذكور من كسروان إلى قرية رشميا سنة ١٧٠٠م، ويقال إنّ الخوري عبدالله من هذه الأسرة كان مع الأمير حيدر الشهابي الوالي في وقعة عندارا سنة ١٧١١م،

وقبض على أميرين من اليمنية فأقطعه الأمير حيدر قرية رشميا ورفع عنها المال الأميري، وتعاقب الكهنة من هذه الأسرة واحدهم الخوري عبدالله ولد غندور، وغندور ولد الشيخ سعد، وسعد ولد الشيخ غندور اللذين نكتب ترجمتهما. فلمّا تولّى الأمير يوسف الشهابي سنة ١٧٧١م اتّخذ الشيخ سعداً ابن غندور مدبراً له فأحرز ثقته وعظم اعتباره لدى الأمير المذكور ولدى ملّته المارونية بل لدى الكرسي الرسولي كما سيأتي.

في تلك السنة اجتمع المشايخ آل حمادة ودهموا الأمير بشير حيدر الشهابي في العاقورة وهو يجبي الأموال الأميرية وعاونه عليهم شيخا بشري واهدن وغيرهما من أهل البلاد، ولمّا علم الأمير يوسف بذلك أرسل مدبّره الشيخ سعد بعسكر من قبل الجزار ومن رجال البلاد فأدرك الشيخ سعد المتاولة بقرية دير بعشتار فأغار عليهم وحاربهم من الظهر إلى المساء، فظفر بهم وفرّ الباقون مدحورين فتتبعهم الشيخ سعد إلى القلمون وأهلك منهم نحو مائة رجل، وقبض على الشيخ أبي النصر حمادة. وفي سنة ١٧٨٣م رهن الأمير يوسف عند الجزار مدبّره الشيخ سعد الخوري وأحضر ابنه الشيخ غندور سنة ١٧٨٤م وجعله مدبراً له عوضاً عن أبيه. وسار الجزار إلى الحج فأخذ الشيخ سعد معه إلى دمشق فاعتراه مرض ولمّا عاد الجزار من الحج سأله أن يرخّص له بالعود إلى بلاده لمرضه فرخّص له فحضر الشيخ سعد إلى جبيل ثمّ إلى زوق مصبح طلباً للتداوي عند جبور الجلدي الحلبي الماروني جدّ عائلة طبيب، فلم ينجع به العلاج فعاد إلى جبيل وتوفي بعيد ذلك سنة ١٧٨٥م وعمره ثلاث وستون سنة وقد رثاه المعلّم الياس ادّه بأبيات مطلعها:

فلا ريب بعد السعد لا شيء فاخرٌ وقد قرحتْ بالدمع منا المحاجرُ

والمصرع الأوّل في هذا البيت ختم به رثاءه وجعله تاريخاً لوفاته لكن مجموع حروف هذا المصرع بحساب الجمل سنة ١٧٨٦م.

وكان الشيخ سعد علماً للملة المارونية وعضداً لها وكان في أيّامه ابعاد البطريرك يوسف اسطفان إلى الكرمل بأمر البابا بيوس السادس بسبب الراهبة هندية، فرفع الشيخ سعد عرائض إلى الحبر الروماني وبعض كرادلة الكنيسة الرومانية مؤرخة في ١٥ آذار سنة ١٧٨٤م ملتمساً إرجاع البطريرك إلى كرسيه مبرئاً ساحته مما قذف به، وأوعز إلى أساقفة الملة ورؤساء الرهبانيات والمشايخ فاقتدوا به، وأرسل

الشيخ سعد الخوري يوسف التيان تلميذ مدرسة الموارنة برومة إلى البابا وأصحبه برسالتين من الأمير يوسف حاكم البلاد إحداهما إلى الحبر الروماني والثانية إلى مجمع نشر الإيمان مبرئاً البطريرك مما طعن عليه ومترجياً عوده إلى مقامه. وترى صور هذه الرسائل مأخوذة عن السجلات البطريركية في كتاب سلسلة بطاركة الموارنة الذي طبعه المعلم رشيد الشرتوني في سنة ١٩٠١م. وكتب أيضاً الشيخ سعد رسائل أخرى بهذا الصدد إلى الكردينال رئيس المجمع المقدّس وإلى المنسنيور بورجيا كاتب المجمع وإلى الكردينال ديبرنس وغيرهم. وترى نسخ هذه الرسائل في الكتاب المذكور مع صورة جواب البابا بيوس السادس للشيخ سعد الخوري حيث يفتتحه بقوله: «إلى الإبن الحبيب والرجل الشريف الحسيب السلام والبركة الرسولية» حيث أفاض الكلام معه بما أخذ فيه على البطريرك، وانّه لما كان أقرّ بغلطه وعرف سوء تصرّفه أمر البابا بعوده إلى مقامه خاصة حباً بالطائفة المارونية لتشبثها الدائم بعرى الإيمان الكاثوليكي. وتاريخ هذا الجواب ٢٨ أيلول سنة ١٧٨٤م. ولمّا توفي الشيخ سعد وبلغ خبر وفاته إلى رومة كتب الكردينال أنطونلي رئيس مجمع نشر الإيمان المقدّس رسالة إلى البطريرك يوسف اسطفان يعزيه وطائفته فيها بهذه الخسارة العظيمة ويبين أمانيه بأنّ ابنه الشيخ غندور يخلفه بوجاهته وغيرته. وترى صورة هذا الجواب في الكتاب المذكور أيضاً. أمّا الشيخ غندور بن سعد فلم يكن أقل ذكاءً وغيرة ووجاهة من أبيه وكان الأمير يوسف اتّخذه مدبراً له منذ رهن أباه عند الجزار كما مرّ، وقد أحسن الخدمة وتناهى بالاخلاص لمخدومه وجدّ في السعي لراحة مواطنيه ونجاحهم، وقد أرسل البطريرك يوسف اسطفان بطريرك الموارنة يومئذٍ الخوري أنطون القيالي البيروتي إلى باريس سائلاً الملك لويس السادس عشر أن ينعم بقنصلية فرنسة على الشيخ غندور فتكرّم الملك عليه بها سنة ١٧٨٧م فكان قنصلاً لفرنسة ومدبراً لحكومة جبل لبنان. ويظهر أنّ الأمير يوسف كان قد كتب إلى ملك فرنسة يسأله أن ينعم على الشيخ غندور بالقنصلية وأن يواصل حمايته للموارنة كما يظهر من براءة الملك بإيلاء الشيخ غندور هذا المنصب المحفوظة في خزائن البطريركية وترى نسخة منها في كتاب المعلّم رشيد المار ذكره في خزائن البطريركية أيضاً صورة رسالة كتبها الأميرال دي كاستريس الفرنساوي إلى الأمير يوسف جواباً عن عريضة للملك بها بيّن له سرور الملك برسالته ودوام حمايته للموارنة وترى صورة هذا الجواب أيضاً في كتاب المعلّم رشيد المذكور.

وللشيخ غندور أيادي جزيلة على أهل لبنان ولاسيما أبناء ملّته المارونية وفي جملة مساعيه النافعة لهذه الملّة إغراؤه البطريرك يوسف اسطفان على تحويل دير عين ورقة الذي كان أقرباؤه قد أنشأوه لسكنى الراهبات مدرسة إكليريكية عامّة للموارنة. وفي خزائن أوراق البطريركية المارونية رسالتان أنفذهما الشيخ غندور إلى البطريرك يوسف اسطفان يرجوه ويحثّه فيهما على جعل هذا الدير مدرسة للموارنة. ويظهر أنّ البطريرك تردّد في الإجابة عندما وردت عليه الرسالة الأولى فانثنى الشيخ غندور مبيناً له لزوم هذا الأمر ومنافعه الجمّة وسهولة وضعه بالعمل لأنّ الدير خاص بعائلته. ومن جملة ما قاله في هذه الرسالة الثانية بحروفه: «ما هي الإفادة إذا راحوا ثمان راهبات من عين ورقة إلى السماء وكان إكليروس ينوف عن ثلاثة آلاف لا يحسنون قراءة الإنجيل». فقنع البطريرك وأقنع أقرباءه ودوّن صكاً مؤرخاً في ١٤ كانون الثاني سنة ١٧٨٩م بتحويل هذا الدير إلى مدرسة وترى صورة رسالتي الشيخ غندور هاتين بحروفهما في كتاب سلسلة بطاركة الموارنة المذكور على أنّ صكّ تحويل دير عين ورقة مدرسة الذي ذكر في الكتاب المذكور ليس هو الصك الذي دوّن بذلك متضمناً قانون المدرسة ونظامها إلى غير ذلك ولـمّا عقد البطريرك يوسف اسطفان بأمر البابا بيوس السادس مجمع عين شقيق سنة ١٧٨٧م كان الشيخ غندور حاضراً به لأنّ الحبر الأعظم كان قد أمر أن يحضره سعد الخوري والده ويكون مساعداً على تنفيذ الأوامر الرسولية. ولـمّا كان سعد قد توفي فأقيم ابنه مقامه وكتب الشيخ غندور إلى مشايخ الموارنة أن يشخصوا إلى هذا المجمع بحسب أمر البابا ودعوة البطريرك فلبى أكثرهم الدعوة ورفعوا إلى الشيخ غندور كتاباً يسألونه به أن تكون له العناية بأن يأمر هذا المجمع بإقامة المطارين عند السيّد البطريرك في قنوبين وبكركي ويمضون وقتاً بعد وقت لزيارة أبرشياتهم وسندوا ذلك إلى جملة اعتبارات فأمر هذا المجمع بذلك ولكن لم يحسن لدى الكرسي الرسولي أن يجيبهم إلى طلبهم بل آثر أن يقيم كل أسقف في أبرشيته كما رسم بالمجمع اللبناني. وسنأتي على ذكر هذا المجمع.

وقد سعى الشيخ غندور بطبع المجمع اللبناني فطبع الطبعة الأولى في دير القديس يوحنا بالشوير، وقد ولاه الأمير يوسف على مجدل معوش ووادي الست وبحمدون وعين تراز مدّة، ولـمّا ردّ الجزّار الأمير يوسف الشهابي إلى ولاية لبنان سنة ١٧٩٠م رهن عنده ولده الأمير حسين ومدبّره الشيخ غندور ولم يلبث الجزار

أن أعاد الأمير بشير قاسم إلى الولاية فأخذ يشكو من أنّ دسائس الأمير يوسف تمنعه من إجراء الأحكام وجباية المال فأمر الجزار بشنق الأمير يوسف الذي كان باقياً في عكا وشنق مدبّره الشيخ غندور كما مرّ. وقيل إنّ الشيخ غندور لم يشنق بل مات خوفاً فكذا يزول مجد العالم.

عد ٧٧
المشايخ آل الضاهر

أنبأنا العلّامة البطريرك الدويهي أنّ أصل هذه الأسرة من بيت الرز الذين كان منهم ثلاثة بطاركة وأنّهم عندما دكّت أهل إهدن منازل من اتبع اليعاقبة في بقوفا هاجر بيت الرز إلى كفرحورا بالزاوية في القرن السادس عشر وهم متشبّثون بالإيمان القويم وما زال اعقابهم إلى اليوم حكاماً على زاوية رشعين يقومون بمعاضدة الكرسي البطريركي بكل جهدهم كما يفعل الآن الشيخ أبو شديد ضاهر خليفة الشدياق أنطونيوس بن الرز . انتهى كلام الدويهي. وفي القرن الثامن عشر استمرّوا حكاماً للزاوية كان يوليهم عليها والي طرابلس أو ولاة لبنان. وفي سنة ١٧٥٠م كتب لهم الأمير ملحم الشهابي الأخ العزيز كباقي مشايخ لبنان الكبار، وكان منهم الشيخ كنعان الظاهر وكان مشهوراً بشجاعته وإقدامه ونخوته. ويروون عن فراسته روايات غريبة وكانت بينه وبين بعض الطرابلسيين محاسدة وخصام فشكوه سنة ١٧٤١م إلى عبد الرحمان باشا والي طرابلس فقبض عليه وألقاه في السجن وعرض عليه أن يسلم فأبى وأكثر له من الوعد إذا طاوعه ومن الوعيد إذا خالفه فاستمرّ مجاهراً بإيمانه لا يحيله عنه حائل وتيقّن أنّ الباشا مصمّم على قتله فاحتال حتى اجتمع بالخوري ميخائيل من إهدن فاعترف عنده اعترافاً عاماً ويسّر له الله أن يناوله القربان المقدّس زاداً أخيراً وبعد ذلك أمر الباشا بقطع رأسه عند باب التباني فنفذ الأمر والتقليد الذي ينقله الشيوخ أنّ الله صنع آيات كثيرة إلى من زاروا مدفنه وأنّ بعض النصارى قطعوا يده بعد مقتله ووضعوها في كنيسة العذراء المعروفة بسيدة الحارة في طرابلس فأجرى الله آيات لمن تبرّكوا بها ولا نعلم أهو كنعان ضاهر الوارد اسمه في جملة أعيان الموارنة الذين شهدوا المجمع اللبناني أم غيره. ويترجح عندنا أنه هو هو إن صحّ أنّ مقتله كان سنة ١٧٤١م. واستمرّ آل الظاهر على إقطاعهم الزاوية

يولي الأمراء الحاكمون واحداً منهم عليه إلى أن ألغى نظام لبنان الاقطاعات سنة ١٨٦١م.

عد ٧٨
المشايخ آل الدحداح

إنّ هؤلاء المشايخ ينتسبون إلى جرجس الدحداح من العاقورة، وفي مبادئ هذا القرن الثامن عشر كان أحدهم الشيخ يوسف ابن الخوري جرجس ضليعاً في اللغة التركية حسن الخط بها وباللغة العربية، فاستخدمه الأمير حسين الحرفوش، ثمّ انتقل إلى خدمة الشيخ اسماعيل حمادة فوهبه بعض عقارات في عمل الفتوح فارتحل نحو سنة ١٧٠٥م إلى الكفور بالفتوح ثمّ إلى عرمون بكسروان. وتوفي يوسف المذكور سنة ١٧١٢م وكان ابنه موسى قد استخدمه الأمير منصور شهاب سنة ١٧٦١م، وبقي أخواه سليمان ومنصور يخدمان أولاد الشيخ اسماعيل حماده المذكور كأبيهما، وعلّم موسى ابنيه نصيفاً وسلوماً اللغة التركية وأجاد نصيف الخط والانشاء. وفي سنة ١٧٦٣م اتّفق موسى وأخوه منصور مع الشيخ سعد الخوري على طلب ولاية بلاد جبيل للأمير يوسف الشهابي وبذلا ما بوسعهما من هذا القبيل. ولمّا نجح هذا المسعى وتولى الأمير يوسف بلاد جبيل والبترون استخدم الأمير يوسف ابني أخيهما سليمان وهما يوسف ونادر مع كتبة ديوانه وجعل ناصيف بن موسى جابياً للمال الأميري، واستحضر أخاه سلوماً من خدمة زوجة الأمير مراد منصور شهاب وعيّنه بخدمته. وفي سنة ١٧٧١م جعل الأمير يوسف عمل الفتوح عهدةً لبني الدحداح ولمّا أرسل أخاه الأمير حيدراً عاملاً على بلاد جبيل أرسل معه بعض المشايخ الدحادحة، ولمّا حاصره أخوه الأمير سيّد أحمد في قلعة جبيل نجده المشايخ برجال الفتوح فأنعم عليهم الأمير يوسف ببعض عقارات في ساحل بلاد جبيل. وفي سنة ١٧٨٠م توفي الشيخ منصور بن يوسف الدحداح بعرمون فأبقى الأمير يوسف ابنه يوحنا معززاً كأبيه. ولمّا تولّى الأمير بشير الكبير البلاد سنة ١٧٩٠م وانهزم الأمير يوسف إلى نواحي دمشق كان مع الأمير يوسف بعض المشايخ الدحادحة، ولمّا نزل إلى عكا وحبسه الجزار وحبس من كان معه من الدحادحة وهم سلوم ويوسف وابراهيم فطلبهم الأمير بشير من الجزار وحبسهم في دير القمر، وطلب أحدهم

نصيفاً من أخيه الأمير حسن فانهزم بعياله إلى الضنيّة. ولمّا تولى الأمير حيدر والأمير قعدان سنة ١٧٩٢م أخرجا المشايخ الدحادحة من السجن ثمّ تولّى أولاد الأمير يوسف فاستعملوا المشائخ المذكورين في الكتابة لهم. ثمّ تولى الأمير بشير الكبير سنة ١٧٩٥م ففرّ الشيخ سلوم الدحداح باخوته مع أولاد الأمير يوسف إلى جبيل فكتب إليه الأمير بشير يهدده بأنّه إذا لم يرجع باخوته من جبيل إلى خدمته يأمر بهدم مساكنهم بعرامون وبقطع أشجارهم. فرجع الشيخ سلّوم إلى خدمة الأمير بشير واخوته إلى خدمة أخيه الأمير حسن. ولمّا تغلّب أولاد الأمير يوسف على الأمير بشير سنة ١٧٩٩م وانهزم الأمير بشير وأخوه الأمير حسن إلى الحصن صحبهما من آل الدحداح سلوم ويوسف وابراهيم ومنصور ابن سلّوم ثمّ توجّه الأمير بشير إلى مصر لمقابلة الصدر الأعظم بواسطة الأميرال سميث الانكليزي فصحبه الشيخ سلوم وبقي يوسف وابراهيم ومنصور ابن سلوم مع الأمير حسن في الحصن، وبقي بعض آل دحداح في خدمة الأمراء الشهابيين في القرن التاسع عشر كما سترى في تاريخه.

عد ٧٩
مشايخ جبة بشري وطردهم المتاولة منها

قد مرّ ذكر كثيرين من حكام جبة بشري في القرون السابقة كالشدياق خاطر الحصروني ومقدّمي بشري والشيخ أبو كرم الحدثي وأبو جبرائيل يوسف وأبو كرم بشاره جدّ آل كرم من إهدن وغرضنا الآن الكلام على من كان من مشائخ هذا العمل في القرن الثامن عشر. قد رأيت في ما مرّ أنّ المشايخ آل حمادة المتاولة تولوا مرات بلاد جبيل والبترون وجبة بشري وعزلوا أو طردوا من هذه الولاية، إلا أنّه في أواخر القرن السابع عشر أي سنة ١٦٩١م قرّر محمّد باشا والي طرابلس المشايخ الحمادية على إقطاعاتهم فتولى الشيخ حسين بن سرحال على بلاد البترون وابنه الشيخ اسماعيل على الكورة، والحاج موسى بن أحمد حمادة على الجبة، وأولاد حسن ديب على الضنيّة. ولكن في سنة ١٦٩٢م غيّر والي طرابلس من كان سالفه قد ولاهم فنصب في بلاد جبيل حسين آغا بن الحسامي، وفي بلاد البترون المقدّم

قيدبيه ابن الشاعر، وفي الزاوية والجبة الشيخ ميخائيل بن نحلوس من إهدن ابن أخت كرم أبي بشاره وهو من قيل عنه في الأغاني الشعبية:

يحرس دينك يا نحلوس   حميت الضيعة بالدبوس

جامع رشعين هديته   وفي زغرتا دقّيت ناقوس

إلى أن اغتال رجل متوالي اسمه ابن الشقراني الشيخ المذكور في الضنية وعادت الولاية على الجبّة إلى بيت أحمد حمادة، فكانت فتنة بينهم وبين الشيخ عبد السلام ابن الشيخ اسماعيل حمادة فهزمهم عبد السلام إلى الهرمل سنة ١٧٠٣م، وأقام في الجبّة نحو أربعين يوماً، وحضر إليه بعض وجوهها خيفة من شرّه وفرّ بعضهم، وفرض ضريبة على قرى الجبّة ومن لم يدفع ما أصابه منها أخذ رجاله طاسات النساء وسلاح الرجال والمؤن. وكتب إلى طرابلس يلتمس الولاية على الجبّة فلم يعطها حينئذٍ. وفي سنة ١٧١٥م حكم جبّة بشري أولاد أبي محمّد عيسى وأولاد عمّهم حسين المشطوب مشتركين ثمّ قسّموا البلاد مناصفة فأخذ حسين من أبي محمّد عيسى بشري وقنوبين وقيطو وبزعون، وأسعد ابن أخيه موسى أخذ حصرون وكفرصغاب وبلوزا وتولا وكرمسدي وراسكيفا، وأخذ أولاد حسين المشطوب النصف الآخر وكانوا ثلاثة وهم أبو ناصيف وأبو حسين وأبو قاسم فأخذ أبو ناصيف إهدن وحدها، وأبو حسين صالح أخذ عين طورين ومزرعة التفاح وبنشعي وقنات وبرحليون وحماطورا وكفرصارون وبيت زعيتر في بان، وأخذ أخوهما أبو قاسم دير قزحيا وحدشيت وبقاعكفرا، وكان في حكومتهم شيء من العدل والإستقامة واقتنوا أملاكاً سموها بكاليك مزيارا وسبعل وسرعل ووطا الرامات وكفرفو وبان وحوقا وثلث سرعل ودير نهرا والحدث وطرذا وبقرقاشا ونيحا وبنهران ومتريت. على أنّ أولاد هؤلاء المشايخ لم يسلكوا مسلك آبائهم بل عكفوا على السلب والنهب والجور حتى القتل. ومن سنة ١٧٥٠ إلى سنة ١٧٥٩م سلبوا راحة الأهلين ونكّدوا عيشهم وقتلوا كثيرين. وكان حينئذٍ من مشايخ القرى المشهورين الشيخ جرجس بولس من إهدن والشيخ عيسى الخوري والشيخ حنا ضاهر كيروز من بشري والشيخ أبو سليمان عواد من حصرون والشيخ أبو يوسف الياس من كفرصغاب والشيخ أبو خطار من عين طورين

والشيخ أبو ضاهر من حدشيت. فائتمر المشايخ المتاولة على قتلهم فقتلوا منهم الشيخ أبا ضاهر من حدشيت واغتالوا كثيرين من وجوه الأهلين، وحملتهم الجسارة على أن يرسلوا ليقبضوا على المطران يواكيم يمين من إهدن فلم يكن أهل الجبة ليطيقوا هذا الجور ولا ليتحمّلوا هذا الذل والعار فالتقى أهل إهدن رجال المتاولة الآتين للقبض على المطران، وأوقدوا عليهم النار وأشغلوا بهم السيوف وطردوهم وتتبّعوا أثرهم إلى درج قنوبين وخيّم الظلام بينهم. وفي النهار التالي غصّت إهدن بالآتين إليها من باقي القرى وقدس المطران يواكيم بكنيسة القديس جرجس بإهدن وحلف جميعهم يمين الأمانة وعدم الخيانة، وقبضوا على رجل متوالي واشتركوا في قتله جميعاً، وجعلوا مشايخ القرى المار ذكرهم مشايخ لهم وحكاماً عليهم مكان المشايخ المتاولة، وأبقوا قسمة قرى البلاد كما كانت في أيّام المتاولة. ونزل هؤلاء المشائخ إلى طرابلس وكان واليها حينئذٍ عثمان باشا الكرجي فالتزموا أي استأجروا منه قرى بلادهم ودفعوا المال المرتب عليها وكان ذلك سنة ١٧٥٩م.

وأقام هؤلاء المشايخ ثلاثة بكباشية من البلاد وهم بشاره كرم من إهدن وأبو ضاهر الفرز من بشري وأبو الياس العفريت من حصرون وعيّنوا رجالاً من البلاد للمحافظة، وكان عثمان باشا والي طرابلس يشجّعهم ويمدّهم بالمساعدات لكثرة ما كان المتاولة يقدمون عليه من التعديات في الزاوية وحدود طرابلس، وكان المشايخ يلتزمون قراهم منه ولذلك كانوا يسمونهم ملتزمي جبة بشري. وسنة ١٧٦١م هاجم المتاولة قرية بشري آتين من بعلبك إذ كان بعض المشايخ والأهلين في الساحل فدخلوها وقتلوا منها أبا ضاهر الفرز البكباشي، وجبور أصيلة، وأبا أنطونيوس سكر، وأبا رزق جعجع، وجبّور رحمة ونهبوا القرية ثمّ رجع المتاولة ثانيةً من بلاد بعلبك وبلاد جبيل بنحو ألفي رجل فالتقاهم مشايخ الجبة في أرض بشري وانتشب القتال بين الفريقين نحو ثماني ساعات ودارت الدوائر على المتاولة فانذعروا وقتل منهم اثنا عشر قتيلاً. وفي سنة ١٧٦٣م سيّر عليهم والي طرابلس محمّد باشا ابن عثمان باشا المذكور عسكراً إلى جبّة المنيطرة وقسمه إلى قسمين: أرسل فريقاً على طريق الجبل وكان معهم بشاره كرم البكباشي المذكور ورجاله، وفريقاً على طريق الساحل وكان معهم الشيخ ضاهر حاكم الزاوية ويوسف الشمر من كفرحاتا، فعسكر الجبل شتت المتاولة فهرب بعضهم إلى ناحية بعلبك وفرّ بعضهم في وادي

الميحال نحو الساحل فالتقاهم العسكر الآتي من الساحل فنكّل بهم وأحرق مزارعهم التي كانت بساحل جبيل، ولكن بينما كان بشاره كرم عائداً مع رجاله تحت المغيرة كمن له بعض المتاولة فقتلوه وستة من رجاله.

وفي سنة ١٧٦٤م توجّه مشايخ الجبّة إلى الأمير منصور الشهابي فولاهم على بلادهم وأمدّهم أيضاً بمحافظين لردع المتاولة عن التعدي فلم يكن ذلك كافياً لكبتهم عن إقلاق أهل البلاد إلى أن كان ما ذكرناه في عدد ١٠٤٢م من أنّ المشايخ الحمادية دهموا الأمير بشير حيدر نائب الأمير يوسف الشهابي في بلاد جبيل وهو في العاقورة ومعه شيخا بشري واهدن فقاتلهم وظهر عليهم وأبعدهم عن العاقورة، ثمّ حضر لنجدته رجال الجبة وبلغ الخبر الأمير يوسف فوجه مدبره الشيخ سعد الخوري بعسكر فأدركهم الشيخ سعد في دير بعشتار وأثخن فيهم وظلّ يطردهم إلى القلمون وكان ذلك سنة ١٧٧٧م. وعلى هذا النحو استمرّ مشايخ الجبة المذكورون يحكمون بلادهم أي بيت كرم في إهدن وما يليها، وبيت حنا ضاهر وبيت عيسى الخوري في بشري وما يليها، وبيت أبي سليمان عواد في حصرون وما يليها، وبيت أبي يوسف الياس بكفرصغاب وما يليها، وبيت أبي خطّار بعنطورين وما يليها، كما كانت القسمة في أيّام المتاولة إلّا بعض تغيّرات. وكان حكام البلاد يولون من اختاروه من كل من هذه البيوت على إقطاعاتهم إلى أن ألغيت الإقطاعات بحكم نظام لبنان سنة ١٨٦١م ووضع المشايخ يدهم على بكاليك المتاولة واستمرّوا على ذلك إلى أن صالح المشايخ أهل القرى البكاليك على حقوقهم بها أو باعوهم هذه الحقوق. انتهى عن كتاب تاريخ لأحد هؤلاء المشائخ أنطونيوس أبي خطار واعتماداً على التقليد المحفوظ في هذه البلاد.

عد ٨٠
المشايخ أبناء اده وغيرهم

أصل هذه الأسرة من ادّة إحدى قرى بلاد جبيل وأوّل من عرفناه من وجوهها هو الشيخ يوسف إدّه خدم الأمراء آل معن في آخر مدّتهم ثمّ انتقل إلى خدمة الأمراء الشهابيين فنال حظوة لديهم ودعوه شيخاً وكان متزوجاً بامرأة من

أسرته. اسمها قمرة ولها أخوان منصور وبطرس إدّه استدعاهما إليه وأدخلهما على الأمراء الشهابيين فسروا بذكائهما وحديثهما ورأوا فيهما ملامح النجابة والأمانة والفراسة واختصّوهما بخدمتهم واكرامهم، فخدم الشيخ منصور الأمير منصور الشهابي فأقامه على تدبير شؤونه وأملاكه، وجعل بطرس رئيس الشرط. ولما أفضت ولاية الجبل وبيروت إلى الأمير يوسف الشهابي في حياة عمّه الأمير منصور عظم أمر أبناء ادّة وكان منصور معدوداً من أهل السيف والقلم، وأمّا أخوه بطرس فاشتهر بالسيف أكثر من اشتهاره بالقلم. ومن مساعيهما الحسنة بناء كنيسة القديس جرجس في بيروت للموارنة وكانت صغيرة فكبّراها بنفقتهما ونفقة مطران بيروت حينئذٍ وهو المطران يوسف فاضل، وقد كتب على مذبح هذه الكنيسة: قد تمّ بناء هذا الهيكل المبارك بسعي الشيخ منصور اده. والمعلوم أنه عاونه على ذلك أخوه الشيخ بطرس وابن أخته الشيخ الياس الآتي ذكره. ثمّ توفّي الشيخ منصور ببيروت سنة ١٧٦٩م وقبره في جانب الكنيسة المذكورة مكتوب عليه: قد درج هنا الشهير ذكره والجليل قدره الشيخ منصور ادّه الجزيل التقوى والعبادة الذي بعد أن تمّم سعي حياته البارة بعمل هذه الكنيسة وجميع أعمال البر محبوباً من الله والناس انتقل بغتة إلى مقر الراحة من هذا العالم بتحسّر، وبكاه جميع القبائل وذلك في اليوم الخامس في شهر شباط سنة ١٧٦٩م، وتوفي أخوه الشيخ بطرس ببيت شباب سنة ١٧٨٦م.

وولد ليوسف . ادّه المذكور سنة ١٧٤١م ولد سماه الياس وبرع بالكتابة والإنشاء، ولما توفي أبوه سنة ١٧٦٦م خلفه في رتبته وكتب في ديوان الأمير يوسف ابن الأمير ملحم الشهابي إلى أن رآه أحد عمّال الجزّار عند الأمير يوسف فعجب من حذاقته وطلبه من الأمير يوسف فاستكتبه إلى سنة ١٧٨٦م، وغضب الجزار وقتئذٍ على ميخائيل وبطرس السكروج كاتبيه ثمّ على يوسف مارون وقتله وعيّن مكانه لكتابته الياس ادّه فأقام في خدمته مدّة راضياً عنه، ثمّ سخط عليه وأرسل جنوداً استاقوه إليه من الكنيسة يريد قتله، على أنّه تمكّن بفصاحته وحذاقته أن يستعطفه إليه فرضي عنه وأهداه محبرةً من فضة، لكن المعلّم الياس ما برح واجساً منه خائفاً على نفسه. وبعد مدّة استأذنه بأن يحضر إلى بيروت ليأخذ عياله إلى عكا فأذن له بأن يغيب شهراً وكان ذلك سنة ١٧٨٧م فأخذ يفكّر بوسيلة للنجاة من شراك هذا الظالم وعوّل على الفرار إلى حلب، فسار إليها واختبأ في

الدار الأسقفية لطائفته وأقام هناك عدّة سنين، فحنّ إلى وطنه وانتهز فرصة محاربة نابوليون بونابارت لعكا فرجع إلى وطنه ووجد الجزار ضبط أملاكه في بيروت وفي جملتها أربعة دور عند باب الدركة، فتوجّه إلى الجبل إلى بيت الدين فأكرمه الأمير بشير الكبير الشهابي ولكنّه لم يأمن على نفسه هناك من سخط الجزار، فتوطّن مدّة في جهات جبيل مستخفياً إلى وفاة الجزار سنة ١٨٠٤م. وبعد وفاته استخدمه الأمير بشير المذكور لكنّه عاد إلى بيروت يسعى في استرجاع أملاكه وأملاك أقاربه التي ضبطها الجزار فاسترجع الأملاك التي كانت في الجبل بعدالة الأمير بشير، وأقام حينئذٍ مدّة ببيروت إلى أن بلغه كتاب من مصطفى آغا متسلم طرابلس وكان من أصدقائه بأن الملك اسماعيل الكردي صاحب حمص وحماه يطلبه ليكون كاتباً عنده، فتوجّه إلى حمص فرحّب به الملك اسماعيل وأعزّه ورأسه على كتبة ديوانه وأقام هناك خمس سنين. وفي سنة ١٨١٠م كانت نفرة بين يوسف باشا كنج والي دمشق والأمير بشير كادت تفضي إلى الحرب بينهما فأرسل الملك اسماعيل المعلّم الياس اده ليسعى بالسلم بينهما ويسوي الخلاف فنجح بدرايته وأزال الخلاف، فكتب الأمير بشير إلى الملك اسماعيل يثني على مسعاه ويطلب منه المعلّم الياس ليكون في ديوانه، فأرسله الملك اسماعيل وأكرم مثواه الأمير بشير وأعزّه. ولكن غلت مراجل الحسد في قلوب أعدائه ونظرائه فسعوا به لدى الأمير بشير فتغيّر عليه وأمره أن يسكن بعبدا هو وعياله مبقياً له جعلاً سنوياً، فسكن بعبدا قرير العين إلى أن توفي بها سنة ١٧٢٧م وعمره خمس وثمانون سنة، ودفن أمام الكنيسة ونقش على مدفنه تاريخ من نظم الشيخ ناصيف اليازجي الذي كان يتردد ويتخرّج عليه بآداب اللغة وهو:

حكم الاله بما ارتضى واختار للفردوس عبده
والحال قال مؤرخاً هذا رضى الياس اده

وكان الياس اده شاعراً وله كثير من النظم ولا يخلو نظمه من أغلاط نحوية وخلل في أوزانه الشعرية ويعذر بذلك لأنّه لم يتخرّج بمدرسة بل كان يهتدي إلى النظم بالفطرة السليمة والسليقة الطبيعية.

ومنه قصيدة يمدح بها المطران جبرائيل كنيدر مطران حلب الماروني مطلعها:

أمنذرٌ ملك قد جاء للبشر   أم طالع السعد وافى داحض الكدر

أم ضوء صبحٍ يلاشي ظلمةً دهمت   أم البشير أتى في أطيب الخبرِ

إلى أن قال:

خذها إليك وان كانت مقصرةً   فشأن مثلك ينفي العيب بالعُذرِ

واستر فاني تركت الشعر من زمنٍ   لشاغلٍ عنه غشى مقلة الفكرِ

ولمّا بلغ خبر وفاة الجزار إلى الأمير بشير وهو بحضرته فاقترح عليه أبياتاً بديهية في موته فقال:

وافى السرور وصحّ ترجيح الأمل   بهلاك علجٍ لا يعادله مثل

عين المآثم والمظالم والردى   شرّ العوالم إن تفكر أو عمل

إلى أن قال:

لله درّك يا منون لقد بدت   منك الحياة وطاب حكمك واعتدل

فاز الأنام وارخوه بمقصدٍ   هلك الشقي وإلى جهنّم قد رحل

ومن نظمه تاريخ لوفاة بطرس تابت:

لا تحزنوا يا آل قوم عشيرتي   إنّ البقاء في الدهر ماضٍ فائثُ

الموت حتمٌ للبرية شاملٌ   كل ابن أنثى لا محالة مائثُ

وكفى يقين حيث تاريخي روى   إني على إيمان بطرس ثابتُ

وتاريخ لوفاة منصورة امرأة بطرس المذكور:

إنّ التقيّة بالثرى قد أدرجت   وسعت لتلك الغاية المأثوره

طوبى لنفس ارخوها ببرها　　ولجت لجنة ربّها منصورة

ومن نكتهِ أنه مات صديق اسمه ابراهيم وله أخ اسمه يحيى لم يكن يحبه فقال:

مات ابراهيم خلي　　آه وأسفي عليه

ليته قد كان يحيى　　ورحمة الله عليه

وله غير ذلك كثير طالع ترجمة الأب لويس شيخو له في المشرق لسنته الثانية صفحة ٦٩٣ وصفحة ٧٣٦.

وقد نصّر الخوري ميخائيل فاضل البيروتي الأمير ابن الأمير حيدر الشهابي سنة ١٧٥٤م ثمّ نصّر البطريرك يوسف اسطفان الأمير قاسم عمر شهاب وعائلته سنة ١٧٦٨م في غزير وقبلهم في الطائفة المارونية، ونصّر بعده الخوري أنطون القيالي البيروتي من أولاد الأمير ملحم الأمير قاسم والأمير سيّد أحمد والأمير حيدر وتبعهم غيرهم من آل شهاب وآل بلمع حتّى أصبح أكثر هؤلاء الأمراء المقيمين بلبنان في آخر هذا القرن السابع عشر نصارى وموارنة، فلزم ذكرهم وحسبانهم من أعيان الموارنة. وكان من هؤلاء الأعيان أيضاً سمعان البيطار وهو ابن يعقوب بن سمعان البيطار الذي ارتحل من قرية جاج وسكن بكفيا ورزق هناك ثلاثة بنين توفي اثنان منهم وبقي الثالث واسمه يعقوب، ولما انسلخت ولاية الخوازنة عن القاطع وسلمت إلى الأمراء اللمعيين وكان يعقوب معزوزاً عند الشيخ أبي نوفل حصن الخازن رغب إليه أن يقيم بقرية غوسطا، فقدم إليها من بكفيا وولد له فيها سمعان صاحب الترجمة، وكان عاقلاً كريماً حسن الإدارة يعتمد عليه في مهام الحكومة، سلّمه الأمير يوسف الشهابي عمل البترون وجعله شيخاً به، فاهتمّ بعمران هذه البلاد ونجاح سكّانها وأظهر غيرة عظيمة على الأمور الدينية وأقنع الأمير يوسف حتى ملّك الرهبانية اللبنانية أديار حوب وكفيفان وميفوق وأنطوش جبيل وأنعم على رهبان دير الحقلة بمزرعة مستيتا ودير مار دوميط البوار وكنيسة القديسة صوفيا هناك وبنى كنيسة القديس بنديليمون بقرية بجدرفل وحسن بناء كنيسة بسبينا وساعد أهل البترون على بناء كنيستهم. وتوفي في مدينة عكا سنة ١٧٩٤م ودفن في ساحة كنيستها وخلفه ابنه يعقوب البيطار بمداركه واستقامته وحسن ديانته وغيرته. وكان

في هذا القرن أيضاً من الأعيان جرجس باز وعبد الأحد باز مدبران لأولاد الأمير يوسف شهاب، لكن رأينا أن نرجئ أخبارهما إلى تاريخ القرن التاسع عشر.

الفصل الثاني

بطاركة الموارنة في القرن الثامن عشر

عد ٨١

البطريرك جبرائيل البلوزاوي

ولد هذا البطريرك ببلوزا إحدى قرى جبة بشري واتّخذ الطريقة الرهبانية ورقاه البطريرك جرجس البسبعلي إلى أسقفية حلب سنة ١٦٦٣م خلفاً للأسقف يوسف البلوزاوي الذي كان قد رقي إلى هذه الأسقفية سنة ١٦٥٠م، كما مرّ وأنشأ سنة ١٦٧٣م دير طاميش في جنوبي نهر الكلب وكان يسكنه متى عاد من زيارة أبرشيته الحلبية، ثمّ أنشأ سنة ١٧٠٠م دير مار اشعيا في أرض برمانا وأسّس فيه الرهبانية المعروفة الآن بالرهبانية الأنطونيانية أو رهبان مار اشعيا، ووضع لها قانوناً أثبته أوّلاً البطريرك اسطفانوس الدويهي ثمّ أثبته الكرسي الرسولي سنة ١٧٤٠م وقلّما يختلف عن قانون الرهبان اللبنانيين، وبقي مدبراً أبرشية حلب المارونية مدّة إحدى وأربعين سنة، وأكثر من مقتنى الأملاك لدير طاميش حتى صار من أعظم الأديار حينئذٍ. ولما توفي البطريرك اسطفانوس الدويهي في ٣ أيّار سنة ١٧٠٤م أجمع أساقفة الملة المارونية على انتخابه بطريركاً في ١١ أيّار من السنة المذكورة وثبّته البابا أكليمنضوس الحادي عشر على يد قاصده الأب إيليا الكرملي الافرنسي، وبقي بعد أن صار بطريركاً، كما كان أسقفاً عائشاً العيشة الرهبانية ناسكاً متقشفاً، على أنّ أيام بطريركيته لم تكن طويلة لأنّه توفّي لرحمة الله في ٣١ من تشرين الأوّل سنة ١٧٠٥م، ودفن أمام معبد القدّيسة مارينا بقنوبين.

ولم نجد أنه رقى إلى الأسقفية إلّا ابن أخيه القس صافي البلوزاوي على أبرشية حلب في شهر تموز سنة ١٧٠٤م وسماه ميخائيل، وكان يسكن في .دير طاميش حيث سكن عمّه وهو أسقف، ثمّ إنّ المطران ميخائيل هذا تنزل لعجزه عن تدبير هذه الأبرشية وخلفه فيها سنة ١٧٢٥م القس جبرائيل فرحات الشهير ودعي جرمانوس وستأتي ترجمته.

عد ٨٢
البطريرك يعقوب عواد الحصروني

هو ابن الخوري يوحنا عواد من حصرون درس العلوم بمدرسة الموارنة برومة فبرع فيها، ولمّا عاد إلى وطنه جعله البطريرك أسطفانوس الدويهي كاتباً له لمهارته في تعاطي الأعمال البطريركية ولفصاحته في تدوين الرسائل وتخرّجه في السياسة، قام بما عهد البطريرك به إليه أحسن قيام، ولذلك رقّاه هذا البطريرك إلى الأسقفية على مدينة طرابلس سنة ١٦٩٨م، ولمّا توفّي البطريرك جبرائيل البلوزاوي في ٣١ تشرين الأوّل سنة ١٧٠٥م اجتمع الأساقفة في ٥ تشرين الثاني من السنة المذكورة فانتخبوه بطريركاً وثبته البابا اكليمنضوس الحادي عشر على يد قاصده الأب فرديندوس الكرملي سنة ١٧٠٦م. على أنّ سلامة سريرة هذا البطريرك وقلّة تحذّره أوقعتاه في عداوة كثيرين، واستمال أعداؤه وحساده أكثر مطارين الملّة فعقدوا مجمعاً وحكموا عليه بالعزل خلافاً للقوانين، واستدعوه إلى مجمعهم، وتقدّم مقدّم الأساقفة فعرّاه من الحلل الحبرية وأقاموه في دير لويزه كسروان محظوراً عليه الخروج منه، وانتخبوا بطريركاً مكانه المطران يوسف مبارك وعرضوا للكرسي الرسولي طالبين تثبيته، فلم يشأ البابا أكليمنضوس الحادي عشر أن يثبته بل أرسل الأب لورنسيوس حافظ الأرض المقدّسة ليفحص عن حقيقة ما كان، فأتى إلى كسروان وجمع الأساقفة والسيّد يوسف مبارك الذي انتخبوه بطريركاً وأخذ ما لزم من التقارير وأرسلها إلى الكرسي الرسولي وأتى بالبطريرك إلى صيدا وأقامه بدير الفرنسيسيين هناك.

وقد عهد البابا اكليمنضوس الحادي عشر بهذه المهمّة إلى مجمع نشر الإيمان

المقدّس، فاجتمع آباء المجمع بمجلس عام في ٢٠ آذار سنة ١٧١٣م فأبرزوا الحكم الآتي تلخيصه: «قد نظر آباء هذا المجمع بالوشايات الموردة على البطريرك يعقوب عواد الأنطاكي وتبصّروا بكل ما يتعلّق بذلك في عدّة مجالس فوجدوا شهادات الشهود المقدّمة على البطريرك باطلة ولا التحام ولا نظام لها، ثمّ تدبّروا الفحص الذي أجراه الأب الأكرم لورنسيوس الفاحص الرسولي وأمعنوا النظر في تقارير الشهود الذين أدّوا شهاداتهم بحضرته، وطالعوا أيضاً العرائض المرفوعة إلى الأب الأقدس من مطارنة وأساقفة وغيرهم في جبل لبنان، وأصغوا إلى ما قرره السيّد المطران جرجس بنيمين الإهدني الموكّل من قبل المذكورين، وبعد مراعاة كل ما وجب مراعاته والامعان المدقق في كل هذه الأمور حكموا بأنّ كل ما قذف به البطريرك يعقوب المذكور لا ثبات له ولا اعتماد عليه، ولاسيّما أنّ المطارين ما أمهلوه المهلة اللازمة ليحامي عن نفسه كما يقتضي العدل والصواب، ولذلك برروا ساحته لأنّه لم يثبت عليه ذنب يستحق شرعاً شيئاً من التأديب، وحكموا أيضاً أنّ المطارين والأساقفة لم يكن لهم حق ولا سلطة أن يحطّوه ويخلعوه من مقامه البطريركي، وأثبتوا رأي الأب لورنسيوس الفاحص الرسولي، وأرجعوا البطريرك إلى بطريركيته محافظةً على شأنه وكرامته، على أنّه لما كان تقرر أنّ البطريرك تنزل عن بطريركيته في تلك الفترة حكموا أنه لا بدّ من الفحص في مجلس آخر عن صحّة هذا التنزّل وحذراً من أن يتأتى ضرّ على الكرسي الرسولي أو على الإيمان الكاثوليكي، أمر آباء المجمع أن يكون الأقدم بين المطارين وكيلاً وناظراً على البطريركية، ولا يحق لأحدٍ أن يدعو هذا الوكيل بطريركاً ولا هو يسوغ له أن يطمع بالبطريركية لتدبيره شؤونها في تلك المدّة، وفرضوا على الجميع الصمت عن هذه الأمور، وأمروا كاتب المجمع أن يترجم حكمهم هذا إلى العربية ويشهره في لبنان وغيره وفي ٤ نيسان سنة ١٧١٣ عرض الكردينال يوسف ساكريني رئيس مجمع نشر الإيمان حكم الكرادلة على الأب الأقدس فأثبته وأمر أن يكون العمل بموجبه.

وفي اليوم الثامن من أيّار سنة ١٧١٣م عقد آباء مجمع نشر الإيمان مجلساً آخر عاماً بحثوا فيه عن صحّة تنزل البطريرك بعد إمعان النظر في التقارير المقدّمة بهذا الشأن من كل جهة واعتبار ما يلزم اعتباره حكموا بتأييد البطريرك وإرجاعه إلى مقامه وكرسيه، وأن تردّ عليه كل حقوقه وأبرشيته، وعزلوا الوكيل الذي كانوا قد أقاموه في ٢٠ آذار وعزلوا أيضاً كل دخيلٍ وغاصب للبطريركية، وأعلنوا أن

تنزّل البطريرك باطل. وكان قد تنزّل مرّتين الأولى لما أعادوه إلى البطريركية في ١٣ آب سنة ١٧١١م على شرط تنزّله عنها، والثانية في ١٤ من الشهر المذكور في دير حريصا بحضرة الفاحص الرسولي، وأبطلوا أيضاً الانتخاب المدعى به لبطريرك آخر والوكالة له ولاشوهما كأنّهما لم يكونا، وأمروا جميع المطارنة والأساقفة وجميع الاكليرس والشعب الماروني أن يعرفوا السيّد البطريرك يعقوب عواد وحده بطريركاً حقيقياً وشرعياً على الملّة المارونية جمعاء، وأن يهتمّوا بأن يمتثل الجميع هذا الحكم وكل من خالف قولاً أو فعلاً هذه المراسيم سقط بالتأديب الذي سنّته القوانين المقدّسة على مثل هؤلاء المخالفين والحل منه محفوظ إلى الحبر الأعظم والمجمع المقدّس. وفي ٩ من شهر أيّار عرض هذا الحكم على الأب الأقدس اكليمنضوس الحادي عشر فأثبته وأمر أن يكون العمل بموجبه.

وكتب البابا اكليمنضوس الحادي عشر بأثر ذلك براءة إلى المطارنة والأساقفة والاكليرس والأمراء والشعب الماروني مؤرخة في ٢ تموز سنة ١٧١٣م وتراها مثبتة في ذيل المجمع اللبناني المطبوع حديثاً صفحة ٢٩. فالحبر الأعظم بهذه البراءة قرظ الموارنة على ثباتهم الدائم في الإيمان الكاثوليكي وطاعتهم المستمرّة للكرسي الرسولي، وأعرب عن شدّة انعطافه إلى هذه الملّة ومحبّته لها وعظمة استيائه ممّا حدث عندهم أخيراً بدسائس بعض أصحاب المآرب المقلقين من عزلهم بطريركهم، وأوضح أنّه وجّه عنايته الحبرية لتدارك هذا الأمر الخطير ووكل إلى آباء مجمع نشر الإيمان التحري بهذا الأمر. وبعد الفحص عن الدعوى بكل دقّة حكموا بأنّ عزل البطريرك كان مخالفاً للعدل وباطلاً من كل جهة وكذلك حكموا بأنّ تفرغه عن البطريركية باطل، فلهذا برروا ساحته وأعادوه إلى حقوق بطريركيته وعزلوا كل دخيل أيّاً كان وأثبت هو هذه الأحكام بسلطانه الرسولي وقال إنّه بعد صدور الحكم وصل إلى رومة القس أندراوس اسكندر بن سمعان الماروني من قبل المطران يوسف الريفوني وبيده عرائض ورسائل من البطريرك فطالعها آباء المجمع بتأنّ فحكموا أنّ لا ثبات لها ولا اعتماد عليها وإنّما يلزم الاعتماد على الحكم السابق (هذه الفقرة الأخيرة لم نجدها في براءة البابا المثبتة ترجمتها في ذيل المجمع اللبناني لكننا وجدناها في نسخة أخرى).

ولما كانت هذه الدعوى قد انتهت الآن كان أملنا وطيداً بأنكم تسارعون إلى طاعة أمرنا والعمل بأحكام المجمع المقدّس وتعرفون أنّ البطريرك يعقوب هو

بطريرككم الحقيقي والشرعي وتقدّمون له الطاعة والتكريم، ومن المؤكّد عندنا أنّ الطاعة التي أثبتموها بدلائل كثيرة من قديم الزمان إلى الآن دون سائر الملل الشرقية هي الآن أكثر لزوماً وضرورة لاقتلاع الزوان الذي زرعه عدو بينكم الخ.

ولما شهرت براءة البابا وحكم المجمع المقدّس على الملّة المارونية أذعن الجميع لها ورجع البطريرك يعقوب إلى كرسيه ومقامه، ولكن ما برح بعض الخلاف والانقسام بين أبناء الملّة ورؤسائها، ولذلك نرى البابا اكليمنضوس الحادي عشر وجّه رسالة أخرى إلى البطريرك والأساقفة والأمراء والشعب مؤرخة في ٢٩ كانون الثاني سنة ١٧٢١م يدعوهم بها إلى إزالة بواعث الخلاف والسعي وراء السلام وتأليف الخواطر، وأرسل إليهم بهذه الرسالة الأب جبرائيل حوّا الراهب الحلبي اللبناني الذي كان برومة ليبلغهم بركته ورغائبه بأكثر تفصيل، وهذه الرسالة تجد ترجمتها مثبتة في ذيل المجمع اللبناني صفحة ٤٢.

وعاش البطريرك يعقوب بعد ذلك مكرماً مهاباً دائباً على عمل المبرّات والقيام بأعباء البطريركية أحق قيام، وأنبأنا العلّامة السمعاني في مقدّمة المجلّد الأوّل من مكتبته الشرقية أنّ هذا البطريرك عاونه كثيراً على وجدان الكتب الشرقية التي أحضرها إلى المكتبة الواتيكانية لا من لبنان فقط وليس من عند الموارنة وحدهم بل من دمشق وحلب وحمص ومصر أيضاً من عند الطوائف الأجنبية.

وأمّا الذين رقّاهم البطريرك يعقوب عواد إلى درجة الأسقفية فقد أخذنا أسماءهم عن سجلّات بطريركيتنا فهم:

الأوّل الخوري صافي الجميل من بكفيا رقاه سنة ١٧٠٦م وسمي الياس وتوفي في ١٢ تشرين الثاني سنة ١٧١٦م في دير مار عبدا هرهريا ودفن به.

الثاني الخوري باسيليوس باسيل البجاني من بيت شباب رقاه سنة ١٧١٠م إلى كرسي طرابلس وتوفي في ١٥ تشرين الثاني سنة ١٧٣٦م، وجاء اسمه في المجمع اللبناني وان لم يحضره لعجزه، وناب عنه القس ميخائيل العزيري الطرابلسي المسمّى غرسيه.

الثالث جبرائيل مبارك الغوسطاوي رقاه أخوه المطران يوسف الريفوني عندما تغلّب على البطريركية سنة ١٧١٣م إلى كرسي صيدا وتوفي في ٢٧ كانون الثاني سنة ١٧٣٣م في ريفون.

الرابع الخوري سمعان عواد ابن أخي البطريرك يعقوب رقاه عمّه سنة ١٧١٦م إلى كرسي دمشق وكان متسلماً أبرشية صيدا وهو من آباء المجمع اللبناني.

الخامس القس عبدالله قرألى الحلبي رقاه سنة ١٧١٦م إلى كرسي بيروت وكان من آباء المجمع المذكور وتوفي في ٦ كانون الثاني سنة ١٧٤٢م في زوق مصبح ونقلت جثّته إلى دير لويزة وكان مدبراً لدير حراش ورتب القانون لراهبات هذا الدير، وفي سنة ١٧٢٧م دخل إليه ثماني عشرة راهبة.

السادس الخوري الياس محاسب من غوسطا رقاه في ١٤ أيلول سنة ١٧١٧م إلى كرسي عرقا ودبر دير مار شليطا مقبس، وكان يزور المتن والجرد وجبيل والبترون والفتوح وكان من آباء المجمع اللبناني وتوفي في ٢٧ آب سنة ١٧٤٨م في دير مار شليطا المذكور.

السابع القس جبرائيل حوّا رقاه سنة ١٧٢٣م إلى كرسي قبرص وتوفي برومة سنة ١٧٥٢م.

الثامن القس جبرائيل فرحات الحلبي رقاه في ٢٩ تموز سنة ١٧٢٥م إلى كرسي حلب وسكن فيها وسمي جرمانوس وتوفي في ٩ تموز سنة ١٧٣٣م وستأتي ترجمته.

التاسع الخوري فرح الجميل من بكفيا رقاه سنة ١٧٢٦م إلى كرسي جبيل وسمي فيلبوس وهو من آباء المجمع اللبناني وتوفي في ١٧ تموز سنة ١٧٧٤م في دير شويا.

العاشر الخوري يوسف صالح الدويهي ابن أخي البطريرك اسطفانوس الدويهي رقاه في ٢٠ تشرين الأوّل سنة ١٧٢٨م إلى كرسي البترون ودعي اسطفانيوس وجعله نائباً بطريركياً ودبّر أبرشية بعلبك ومات في دير ريفون.

الحادي عشر الخوري يوسف ضرغام الخازن ابن أبي قانصوه الخازن رقاه سنة ١٧٢٨م إلى كرسي غوسطا ثمّ صار بطريركاً.

الثاني عشر الخوري اغناطيوس شرابية رقاه في ٢ تشرين الثاني سنة ١٧٣٢م إلى كرسي صور وهو من آباء المجمع اللبناني وتوفي في ٢٩ تشرين الأوّل سنة ١٧٤٧م، ويظهر أنّه كان يسكن في دير مار الياس بلوني ودير لويزة حيث توفي.

الثالث عشر الخوري يوحنا اسطفان رقاه في ١ تشرين الثاني سنة ١٧٣٢م إلى كرسي اللاذقية وتسلّم أبرشية بيروت وكان من آباء المجمع اللبناني وتوفي سنة ١٧٧٩م في عين ورقة.

الرابع عشر القس جبرائيل عواد بن عيسى أخي البطريرك رقاه في ٢٦ تشرين الأوّل سنة ١٧٣٢م إلى كرسي عكا وهو من آباء المجمع اللبناني وتوفي في ٢٥ آذار سنة ١٧٦٣م.

الخامس عشر الخوري ميخائيل البلوزاوي الثاني بهذا الاسم رقاه في كانون الثاني سنة ١٧٣٣م إلى كرسي بانياس وهو من آباء المجمع اللبناني.

السادس عشر هو القس جبرائيل حوشب رقاه إلى كرسي حلب في ١ كانون الثاني سنة ١٧٢٢م وحضر إلى المجمع اللبناني فلم يصل إلّا بعد نهايته فوقّع عليه وعاد إلى حلب سنة ١٧٣٧م.

السابع عشر القس طوبيا ابن الشيخ أبي كنعان قيس الخازن رقاه في ١ كانون الثاني سنة ١٧٣٣م إلى كرسي نابلس وسمي تارة مطران طرابلس وتارةً مطران قبرص وهو من آباء المجمع اللبناني موقعاً مطران قبرص، وتسلّم الوكالة على الكرسي البطريركي ثمّ صار بطريركاً .

وقد توفّي البطريرك يعقوب عواد في ٩ شباط سنة ١٧٣٣م ودفن في كنيسة مار شليطا مقبس.

عد ٨٣

البطريرك يوسف ضرغام الخازن

هو ضرغام بن أبي قانصوه فياض بن أبي نوفل نادر الخازن وقد تزوّج أوّلاً وولد له ولد اسمه ميلان، ثمّ توفّيت زوجته فصار كاهناً، ثمّ رقّاه البطريرك يعقوب عواد سنة ١٧٢٨م إلى أسقفية غوسطا. ولما توفي البطريرك يعقوب المذكور في ٩ شباط سنة ١٧٣٣م اجتمع الأساقفة في ٢٣ من الشهر والسنة المذكورين لانتخاب خلف له، فاختار ستة منهم: المطران عبدالله قرألي مطران بيروت، واختار ستة آخرون الياس محاسب مطران عرقا، واختار اثنان اسطفانوس

الدويهي مطران البترون، وطال الخلاف بينهم وكان المطران يوسف ضرغام الخازن يحرّضهم على الاتّفاق ويلومهم على الخلاف ويبين لهم العثار الذي سيكون من تعمّدهم رغائب بشرية وعدم اتفاقهم بروح الرب على من يرون به أهلية لتمجيد الله ونفع طائفتهم، فأمّ رأيهم أخيراً على انتخابه فانتخبوه بطريركاً في ٢٤ شباط سنة ١٧٣٣م في دير ريفون وثبّته البابا اكليمنضوس الثاني عشر سنة ١٧٣٤م على يد موفده القس عبدالله ابن الحاج عون من عجلتون. وفي أيّامه سلمت مدرسة عينطورا ومدرسة زغرتا إلى الآباء اليسوعيين بشروط بيّنها الأب الرئيس العام لجمعية الآباء المذكورين بوثيقتين الأولى بشأن مدرسة عينطورا مؤرخة في ٢٧ شباط سنة ١٧٣٤م، والأخرى بشأن مدرسة زغرتا مؤرخة في ١٠ كانون الأوّل سنة ١٧٣٥م. وسيأتي ذكر هاتين المدرستين بأكثر تفصيل. وفي أيّامه أيضاً عقد المجمع اللبناني الشهير الذي هو دستور الأمور الروحية في طائفتنا إلى اليوم وسنفرد فصلاً برأسه للكلام في هذا المجمع. وفي أيّامه أيضاً وبعنايته جدّد لويس الخامس عشر ملك فرنسة الحماية للموارنة بموجب براءة مؤرخة في ١٢ نيسان سنة ١٧٣٧م، إقتداءً بأبيه لويس الرابع عشر الذي كان قد جدّد لهم هذه الحماية ببراءة مؤرخة في ٢٨ نيسان سنة ١٦٤٩م إعتماداً على الحماية التي بذلتها فرنسة للموارنة بموجب براءة القديس لويس التاسع ملك فرنسة عند شخوصه إلى قبرص وسورية سنة ١٢٤٩م.

وأمّا الكهنة الذين رقاهم البطريرك يوسف ضرغام الخازن إلى الأسقفية فلا نعرف منهم إلّا اسطفان عواد السمعاني الذي كان مع خاله السيّد يوسف سمعان السمعاني في المجمع اللبناني وكان رقيباً فيه فرقاه البطريرك بعد ذلك إلى أسقفية أباميا. وقد عثرنا في السجلات البطريركية على رسائل من هذا المطران إلى البطريرك المذكور مؤرخة بعد المجمع المذكور، ولم نعثر في هذه السجلات على أسماء من رقاهم هذا البطريرك للأسقفية كما عثرنا على أسماء من رقّاهم غيره. ويظهر أنه من سنة ١٧٣٣م التي ارتقى فيها إلى البطريركية إلى سنة ١٧٣٦م التي عقد فيها المجمع اللبناني لم يسقف أحداً لأنّ جميع الأساقفة الذين وقّعوا على المجمع اللبناني كان سالفه البطريرك يعقوب عواد قد سقفهم إلّا المطران جبرائيل أسقف صارفية فقد كان البطريرك اسطفانوس الدويهي قد رقاه كما رأيت وأمّا هل رقى البطريرك يوسف ضرغام بعد المجمع اللبناني غير اسطفانوس عواد المار ذكره فلا

نعلم ولم نجد في السجلات البطريركية أنه رقى اسقفاً آخر كما وجدنا أسماء من رقّاهم أسلافه وخلفاؤه. والله أعلم.

وتوفي البطريرك يوسف ضرغام في ١٣ أيّار سنة ١٧٤٢م في دير ريفون ودفن في كنيسة النبي الياس في غوسطا.

عد ٨٤

البطريرك سمعان عواد

هو ابن أخي البطريرك يعقوب عواد رقاه عمّه إلى أسقفية دمشق سنة ١٧١٦م كما مرّ، وبعد وفاة البطريرك يوسف ضرغام الخازن اجتمع الأساقفة في عين ورقة فانتخبوه بطريركاً فأبى قبول الانتخاب زهداً وتورعاً، فانتخبوا المطران الياس محاسب الغسطاوي أسقف عرقا، وكان المطران طوبيا الخازن غائباً فلم يقبل انتخاب المطران الياس المذكور بل اتّفق مع المطران جبرائيل من طائفة السريان فرقيا إلى الأسقفية كاهنين من قسوس دير لويزة وهما القس عبدالله حبقوق الذي توفي في ٧ آب سنة ١٧٥٨م بكفرصغاب والقس جرمانوس صقر من حلب فانتخباه بطريركاً في دير لويزة. وأظنّ أنّ بعض المطارين المجتمعين في عين ورقة كانوا قد انتخبوا المطران طوبيا حتى ساغ له أن يدّعي البطريركية وينازع المطران الياس عليها وقدم كلّ من المنتخبين أي المطران الياس والمطران طوبيا العرائض للحبر الأعظم طالباً إثباته في البطريركية ووجه كلٌّ منهما موفداً إلى رومة لمحاماة دعواه مصحوباً ببينات وأدلّة على صحّة دعواه وسقوط دعوى خصمه منشأة من رجال فقهاء، فعين البابا بناديكتوس الرابع عشر بعضاً من كرادلة مجمع نشر الإيمان المقدّس ليجتمعوا أمامه ويفحصوا حجج كلّ منهما ويسمعوا تقريرات كلّ من موفديهما، فظهر للكرادلة أنّ الانتخابين باطلان ويلزم إعلان بطلانهما، وكان الحبر الروماني متردداً واجساً من المصاعب التي تكون من قبل الفريقين واستشار الكردينال فشنسيوس بترا رئيس مجمع نشر الإيمان الذي كان يثق بعلمه وسعة إطّلاعه على القوانين البيعية فأشار بإبطال الانتخابين، واستشار أيضاً العلّامة السمعاني الذي كان موقناً بعلمه واستقامته ومخبرته في بني ملّته فأشار بإيضاح بطلان الانتخابين واختيار

المطران سمعان عواد الذي كان الأساقفة قد انتخبوه فأبى، فعول الحبر الأعظم على ذلك وكتب براءة مؤرخة في ١٦ آذار سنة ١٧٤٣م موجّهة إلى الأساقفة أبطل بها انتخاب المطران الياس والمطران طوبيا وأمر بأن يكون المطران سمعان عواد بطريركاً، وحتّم على المطارنة والأساقفة والاكليروس والأعيان والشعب أن يخضعوا لسلطته ويمتثلوا أوامره، وصرّح بأنّ انتخابه هذا البطريرك لا يقصد به تبطيل حقوق أساقفة الموارنة على انتخاب بطريركهم في ما يأتي من الزمان بل جلّ المقصد إزالة المنازعات وإرجاع الهدوء والسلامة. وكتب رسالة إلى البطريرك سمعان يعلمه بانتخابه ويأمره أن يباشر السلطان البطريركي على كل مخالف، وأرسل هذه الأوامر الرسولية إلى الأب يعقوب من لوكا أحد رؤساء رهبان القديس فرنسيس، وأمره أن يتوجّه بها إلى لبنان بمنزلة قاصد رسولي ويشهرها على رؤساء الملّة المارونية، وخوّله كل سلطة لازمة لتنفيذها. فتوجّه القاصد المذكور من القدس إلى كسروان ودعا إليه المطارنة والأساقفة وعلية الاكليروس والأعيان إلى دير حريصا فنشر عليهم أوامر عظيم الأحبار فأذعن جميعهم دون مخالف للأوامر الحبرية بملء الرضى والطاعة المخلصة، وأجابوا أجمعين بما قاله آباء المجمع الخلكيدوني أنّ بطرس تكلّم بلسان خليفته بناديكتوس الرابع عشر وأقبل جميعهم ينحنون أمام البطريرك سمعان مهنين له ومبدين عواطف الطاعة والسرور.

ورفع حينئذٍ البطريرك والأساقفة عرائض الطاعة والامتثال لأمر الأب الأقدس وأصحبها الاكليرس والأعيان بعرائض الشكر والثناء لقداسته، وعرض القاصد المذكور للبابا ولمجمع نشر الإيمان مبيناً باندهاش ما رآه من شعائر الطاعة للكرسي الرسولي عند الموارنة، فبلغت هذه العرائض إلى رومة سنة ١٧٤٤م وكان البطريرك قد وكّل إلى المونسنيور يوسف السمعاني أن ينوب عنه بالتماس التثبيت له من الحبر الأعظم فجمع امام الأحبار الكرادلة ومقدّمي البلاط الواتيكاني والرؤساء والأعيان في ٣ تموز سنة ١٨٤٤م ونطق بخطبةٍ يحق للموارنة أن يدوّنوها بالتبر ويخلدوا ذكرها ولا نتمالك من أن نورد بعض فقراتها وان كنّا أسلفنا ذكر بعضها. قال ونعم العلّامة القائل:

«لا شكّ في أنّكم تعلمون جيّداً أنّ الموارنة هم مسيحيون سريان يختصون بالبطريركية الأنطاكية لأنّهم يسكنون سوريا وسواحل فينيقيا وجبالها وفلسطين وقبرص ومصر وغيرها من الأمصار الشرقية، والسواد الأعظم منهم يقطنون في

لبنان، ولا يفوت علمكم أيضاً أنّه لمّا فشت في أواخر القرن السابع بدعة القائلين إنّ في المسيح مشيئة واحدة وفعلاً واحداً وأفسدت سكان البطريركية الأنطاكية فالموارنة رغبةً في أن يصونوا ملّتهم ويوقوها ذلك الفساد عزموا على أن ينتخبوا لهم بطريركاً يثبت من الحبر الروماني ويستمدّ منه درع الرياسة. ولمّا مرّت قرون وأخذ السراكسة أنطاكية وطردوا منها اللاتينيين الكاثوليكيين فرّ هؤلاء اللاتينيون إلى جبل لبنان وقبلهم بطريرك الموارنة بالترحاب والمؤانسة والوداد، فكتب إليه البابا اسكندر الرابع يشكره لذلك ويدعوه البطريرك الأنطاكي. وما برح بطاركة الموارنة يعرفون بهذا الاسم مع إنّهم نصبوا كراسيهم ثابتةً في جبل لبنان. وقد كان الموارنة كلّ حين كما هم الآن كاثوليكيين كلّ الكثلكة مرتبطين بالاتّحاد بالكرسي المقدّس باذلين الطاعة والاحترام التام للحبر الروماني ولبطريركهم، ولكن من حيث هم بشر فليس يعجب أن يحدث بينهم أو إن حدث نقص بشري في شأن بطريركهم وربّما يتذكّر بعضكم ما جرى في أيّام سالفنا السعيد الذكر اكليمنضوس الحادي عشر من عزل البطريرك يعقوب وما التحق بذاك الحبر الجليل من الإهانة العائدة أيضاً إلى حقوق الكرسي الرسولي... ولمّا تأكّد البابا برارة ذلك البطريرك وبراءته حكم برجوعه إلى كرسيه الذي حطّ عنه ظلماً فقدم الموارنة حينئذٍ دليلاً حديثاً على حسن طاعتهم وخضوعهم للكرسي الرسولي.

ونحمد الله على أنّه لم يصدر منهم في أيّام حبريتنا عزل بطريرك لكنّه حدث حادث كدرنا كدراً عظيماً وهو أنّه في سنة ١٧٤٢م انتقل إلى رحمة الله يوسف بطرس الخازن البطريرك، وعندما اجتمع المطارنة والأساقفة كالعادة لينتخبوا خلفاً له انقسموا إلى قسمين، فاختار بعضهم الياس مطران عرقا وبعضهم طوبيا مطران قبرص». وأردف البابا كلامه بإخبارهم عن عرائض المنتخبين له وارسال كل منهما موفداً إليه واختياره بعض كرادلة مجمع نشر الإيمان للفحص عن ذلك بحضرته وحكمهم ببطلان الانتخابين واستصوابهم تعيين بطريرك غير المنتخبين وتصويبه العمل برأيهم إقتداءً ببعض أسلافه في حوادث كهذه ذكرها لهم وإصداره الأوامر بذلك إلى أن قال: «فهذا ما لزم إيضاحه لكم قبل تلاوة رسالة البطريرك الذي اخترناه ورسائل المطارنة والأساقفة الموارنة فمنها تحيطون علماً بما قد جرى». فتقدّم المونسنيور يوسف السمعاني فرفع إلى قداسته الرسائل المذكورة فدفعها البابا إلى كاتب البراءات الرسولية وأمر فتليت أوّلاً باللغة العربية ثمّ تليت ترجمتها اللاتينية.

وحينئذٍ استأنف قداسته الكلام فقال: «أفهمتم أيّها الإخوة المحترمون أنّه انتهى بعون الله القادر على كل شيء أمر انتخاب بطريرك بكل سلامة وعلى النحو الذي ألهمنا الله إليه... والمطرانان الياس وطوبيا المنتخبان قبلاً إلى البطريركية حالما سمعا بانتخابنا البطريرك سمعان عواد أذعنا وقدّما على الفور الطاعة والخضوع له وبيّنا بذلك عظم طاعتهما لهذا الكرسي الرسولي، فلا غرو أنّ المطارنة والأساقفة والطائفة المارونية جمعاء يستحقون الثناء الجزيل، ولذلك نجملهم من صميم فؤادنا بتلك المدائح السامية التي قرظهم بها أسلافنا الأحبار الرومانيون فقد شبههم بيوس الرابع بالألوف الكثيرة العدد التي لم تحنِ ركبها لباعال... وأثبت هذا القول اكليمنضوس الثامن وزاد عليه بأنّ الموارنة قدّموا دائماً وفي كل حين الطاعة للكنيسة الرومانية أم سائر الكنائس ومعلمتهن، وشبّههم البابا بولس الخامس بالورد بين الأشواك. وقال في حقّهم أوربانوس الثامن لم يذبل بهاء الكرمل ولم ينقص مجد لبنان لأنّ بطريرك الموارنة وأساقفتهم وكهنتهم وشعبهم يحترمون سلطان القديس بطرس ويكرمونه بشخص الحبر الروماني». وختم البابا خطبته بمنح التثبيت للبطريرك فانبرى العلاّمة السمعاني ففاه في ذلك المحفل بخطبة شكر لقداسته معدداً نعم الاباء وأسلافه على الملة المارونية ولا تسأل عمّا حوته تلك الخطبة من المعاني السامية والعبارات البليغة والأساليب الشائقة.

ثمّ أخذ البطريرك سمعان يتفانى بحراثة كرم الرب متجراً بالوزنات الخمس رابحاً أضعافها بجهاده غير ضنين بتعب أو نصب في سبيل نفع شعبه واقتياده إلى المراعي الخلاصيّة وتنكبه عن الضلال والاثم، مكدّاً مجدّاً بالوعظ والانذار والتعليم. ولمّا رأى أنّ مصلحة شعبه تقضي عليه بالاغتراب هاجر وطنه وكرسيه في دير قنوبين وأقام بدير مشموشه في الطرف الجنوبي من لبنان، فأنشأ هذا الدير وسلّمه إلى الرهبان اللبنانيين وتوفي به في ١٢ شباط سنة ١٧٥٦م. ولهذا البطريرك عدّة تآليف والذي نعرفه منها كتاب «النجاة» يشتمل على مواعظ بليغة مؤثرة، وكتاب في «اللاهوت الأدبي» ويتبعه كتاب في أسرار الكنيسة سمّاه «خزانة الأسرار»، وكتاب في «حلّ المشاكل الواردة في الأسفار المقدّسة»، وكتاب «عنوانه زيارة الأسقف الصالح» ضمّنه إرشادات للأساقفة في زيارتهم لرعاياهم.

وأمّا الذين رقاهم إلى الأسقفية فهم:

الأوّل الخوري ميخائيل الصائغ رقاه في ٢٨ شباط سنة ١٧٤٦م إلى أسقفية دمشق وكان يدبر أبرشية بلاد جبيل والبترون.

الثاني الخوري أنطون محاسب من غوسطا رقاه إلى أسقفية عرقا سنة ١٧٤٨م وكان يدبر دير مار شليطا وأبرشية جبيل والبترون والفتوح وتوفي في ١٣ أيلول سنة ١٧٨٠م في الدير المذكور.

الثالث القس يواصاف الدبسي من بسكنتا رقاه سنة ١٧٤٨م إلى كرسي صور ويسمى مطران عكا وتوفي في ٢٦ حزيران سنة ١٧٦٠ في دير مار ساسين بسكنتا.

الرابع القس بطرس عطايا من رهبان مار اشعيا وأصله من ساحل علما رقاه سنة ١٧٤٩م على أبرشية طرابلس عاش خمسة أشهر وتوفي في ١٥ شباط سنة ١٧٥٠م في زمرين ببلاد الخوابي.

الخامس الخوري يوسف اسطفان من غوسطا رقاه في شهر آب سنة ١٧٥٠م إلى أبرشية بيروت وهو الذي صار بطريركاً.

السادس القس يمين الحاج بطرس من ساقية المسك من رهبان مار اشعيا رقاه سنة ١٧٥٢ على بانياس ودعي بطرس.

السابع الخوري يوسف ابن الشيخ أبي نصار ياغي حبيش من ساحل علما رقاه سنة ١٧٥٥ إلى أبرشية صيدا وتوفي في ٢ شباط سنة ١٧٧٠ في دير مار جرجس علما.

الثامن الخوري يواكيم يمين من إهدن رقاه في ٢٤ تموز سنة ١٧٥٥ وتوفي في ٢٦ حزيران سنة ١٧٨١ بزغرتا ودفن في كنيستها.

التاسع القس ارسانيوس عبد الأحد رقاه في ٦ أيلول سنة ١٧٥٥ على أبرشية دمشق ودير حراش وسمي مطران بعلبك وتوفي نحو سنة ١٧٨٨ في دير الرهبان بروما ودفن فيه.

العاشر القس طوبيا الراهب اللبناني ابن طربيه ابن الشدياق ابن المطران إسحاق الشدراوي رقاه ليكون وكيلاً على الكرسي البطريركي ودعي إسحاق باسم جدّه

ولم نجد تاريخ سنة ترقيته ولكن عثرنا على أنّه توفّي بطرابلس في ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٧٥٣.

الحادي عشر القس جبرائيل صقر من حلب من الرهبان اللبنانيين رقاه إلى الأسقفية سنة ١٧٥٢ وتوفي في ٥ كانون الأوّل سنة ١٧٥٣ في دير حراش وعمره ثمانون سنة وهو أخو المطران جرمانوس الذي رقاه المطران طوبيا الخازن والمطران جبرائيل السرياني إلى الأسقفية مع القس عبدالله حبقوق لزيادة عدد الأساقفة المحازبين للمطران طوبيا، وكان ذلك في ٢٠ أيّار سنة ١٧٤٢. وتوفي المطران جرمانوس صقر في ١٨ أيلول سنة ١٧٦٨ وتوفي البطريرك سمعان بدير مشموشه في ١٢ شباط سنة ١٧٥٦.

عد ٨٥
البطريرك طوبيا الخازن

هو ابن أبي كنعان قيس الخازن رقاه البطريرك يعقوب عواد إلى أسقفية نابلس سنة ١٧٣٣م ودعي مطران قبرص، وبعد وفاة البطريرك يوسف ضرغام الخازن انتخبه بعض الأساقفة للبطريركية، وانتخب باقيهم المطران الياس محاسب فأبطل البابا بناديكتوس الرابع عشر إنتخابهما كما مرّ. ولمّا توفي البطريرك سمعان عواد في ١٢ شباط سنة ١٧٥٦م اجتمع الأساقفة في ٢٨ منه وانتخبوه بطريركاً في كنيسة القديس يوسف بعينطورا وثبّته البابا بناديكتوس الرابع عشر في ٢٧ آذار سنة ١٧٥٧م على يد موفده المطران ارسانيوس عبد الأحد الحلبي مطران بعلبك المار ذكره وكان يقيم في كسروان ولاسيما في دير مار روحانا البقيعة، وقد أنشأ هذا البطريرك دير القديس أنطونيوس في بقعاتا. أمّا الذين رقاهم إلى الأسقفية فهم:

الأوّل القس ارسانيوس شكري الحلبي رقاه إلى أسقفية حلب في ٢٦ آذار سنة ١٧٦٢م وتوفي في شهر أيلول سنة ١٧٨٦م في دير عين شقيق حين اجتماع مجمع هناك سيأتي ذكره ونقلت جثّته إلى دير لويزة.

الثاني الخوري ميخائيل فاضل البيروتي رقاه في ١١ حزيران سنة ١٧٦٢م إلى

أسقفية صور وجعله نائباً للكرسي البطريركي ثمّ سلّمت إليه أبرشية بيروت سنة ١٧٨١م.

الثالث القس عبدالله الطرابلسي رقاه إلى أسقفية عرقا سنة ١٧٦٢م وسكن في دير النبي الياس ببلوني مدبراً بعض قرى كسروان وتوفي في الدير المذكور.

الرابع القس مبارك بن عبدالله مبارك من زوق مصبح رقاه سنة ١٧٦٣م إلى أسقفية الرها ودعي جبرائيل ودبّر أبرشية بعلبك وسكن دير ريفون وتوفي به سنة ١٧٨٨م بعد أن تنزل عن تدبير الأبرشية.

الخامس القس روفائيل الحاقلاني من زوق مصبح رقاه إلى أسقفية طرابلس سنة ١٧٦٥م وسمّي مطران دمشق أيضاً وتوفي في ٦ أيلول سنة ١٧٨٠م ودفن في دير لويزة.

وتوفي البطريرك طوبيا في ١٩ أيّار سنة ١٧٦٦ في عجلتون ودفن في كنيسة السّيدة بها المختصّة بعائلته.

عد ٨٦
البطريرك يوسف اسطفان

هو أحد تلامذة مدرسة الموارنة برومة درس بها اللغات والعلوم الكنسية فبرع وفاق أقرانه وارتقى إلى درجة الكهنوت المقدّسة وتفانى بالغيرة على خلاص النفوس فرقاه البطريرك سمعان عواد إلى أسقفية أبرشية بيروت سنة ١٧٥٠م وبعد وفاة البطريرك طوبيا الخازن في ١٩ أيّار سنة ١٧٦٦م اجتمع الأساقفة فانتخبوه بطريركاً في ٩ حزيران من السنة المذكورة، ونال التثبيت من البابا اكليمنضوس الثالث في ٦ نيسان سنة ١٧٦٧م على يد موفده الأب عبد الأحد أنطونيوس من لوكا أحد رهبان القديس فرنسيس، وجعل إقامته بدير مار يوسف الحصن بغوسطا الذي كان قد أنشأه من ماله في عقارٍ ورثه عن أبيه. وفي أيّام هذا البطريرك قد تثبتت قسمة الرهبانية اللبنانية إلى بلدية وحلبية فقد كان هؤلاء الرهبان قد أجروا القسمة بينهم في أيّام البطريرك سمعان إلا أنّه بقيت منازعات بينهم عرض أمرها

لمجمع نشر الإيمان المقدّس فصدر أمر البابا اكليمنضوس الثالث عشر إلى البطر
يوسف اسطفان وإلى رئيس الرهبان الفرنسيسيين ومحافظ الأرض المقدّسة أن يـ
فيما بينهم من الخلاف ويزيلاه بما يريانه ملائماً، فاجتمع البطريرك والرئيس المذ
في دير حريصا في ٨ كانون الأوّل سنة ١٧٦٨م فدعيا الأب عمانوئيل
رشميا رئيس البلديين ومدبريه، والأب لويس الحلبي رئيس الحلبيين ومدبريه وت
القسمة بينهما وأزالا الخلاف، ودوّنا صكاً بذلك وقّع عليه الرئيسان العـ
والمدبرون، وعرضا الأمر للكرسي الرسولي فأثبت البابا اكليمنضوس الرابع ـ
هذه القسمة سنة ١٧٧٠م.

إنّ أهمّ الأحداث التي كانت في أيّام هذا البطريرك هو أمر الراهبة حنّة عجـ
المعروفة بهندية وانخداعه بقداستها وصحّة إيمانها، ومحاماته عنها أوجبت الكر
الرسولي أن يطلبه إلى رومة ويربطه عن التصرّف بسلطانه البطريركي، فالـ
المذكورة كانت أصلاً من قرية بشري وهاجر أهلها إلى حلب فولدت بهذه الـ
وانضوت إلى أخوية قلب يسوع التي أنشأها الآباء اليسوعيون بحلب، ولـ
سيرتها وذكائها جعلت رئيسةً لهذه الأخوية ودار في خلدها أن تنشئ رهـ
تعرف: «بقلب يسوع الأقدس»، ولم ترَ محلاً أكثر ملائمة لذلك من جبل لبـ
فحضرت سنة ١٧٥١م إلى كسروان صحبة أحد الآباء اليسوعيين فأقامت أوّلاً
دير حراش وأخذت تبحث عن محل يناسب مقصدها فاشترت دير بكركي
الرئيس العام والمدبرين لرهبنة مار اشعيا بثلاثة آلاف وخمس مئة قرش، و
المطران جرمانوس صقر الحلبي الساكن وقتئذٍ في دير حراش يعضدها ويعاونها
مشروعها، وكان لها أخ انضوى إلى جمعية الآباء اليسوعيين قاومها أوّلاً لخوفه
عدم نجاحها، ولمّا رأى تقدّمها في مسعاها عاونها وابتدأت سنة ١٧٥٢ في تو
بناء دير بكركي وإحكامه واتقانه، ثمّ جمعت إليه شابات اهتمّت بتثقيـ
وارشادهنّ في طريق الفضيلة والكمال، ثمّ ألبستهنّ الزيّ الرهباني فزاع سيط
الراهبة وكثرت راهباتها واشتهرن بحسن سيرتهنّ وتورعهنّ، وجمعت هندية
رهباناً وكلت إليهم تدبير أملاك الدير وقضاء مهامهِ الخارجية، ولما توفي المـ
جرمانوس صقر معاضدها المذكور بذلت عنايتها في ترقية أحد رهبان ديرها
أسقفية حمص ودير بكركي القس ارسانيوس دياب سنة ١٧٦٨م وسمّي جرمانـ
وعظمت شهرة هندية حتى اعتدّها البعض قديسة وأكثر المؤمنون من الـ

بالإحسانات على ديرها فزادت في بنائه وعزمت أن تبني كنيسة كبيرة في العرصة التي بين دير الرهبان إلى الغرب وسكن الراهبات إلى الشرق.

وفي سنة ١٧٧١م طلبت هندية من البطريرك يوسف اسطفان ومطارين الطائفة تثبيت قانون رهبانيتها الذي كانت قد جمعته من قوانين بعض الرهبانيات، فأبى البطريرك إجابة سؤالها إذ لم يكن لها إلّا دير بكركي، فألحّ عليه بعض المطارين والأعيان وارتأوا أن يضاف إلى رهبانية هندية دير مار يوسف الحصن ودير مار جرجس علما وكان بهما راهبات عابدات، فحسن ذلك لدى البطريرك وأضاف الديرين المذكورين إلى بكركي وأثبت القانون.

وسنة ١٧٧٧م داخل بعضهم الريب في صحّة إيمان هندية فرفعوا عرائض إلى البابا بيوس السادس والمجمع المقدّس يدّعون بها أنّها تعلّم ضلالاً مخالفاً للإيمان القويم، فساء البطريرك وأكثر مطارينه هذا التشكي وغلب على أفكارهم أنّ ذلك دسائس مبغضين وأحبولات حاسدين فحاموها وزيّفوا تلك الأقوال، فأرسل البابا قاصداً يبحث عن الحقيقة فحضر إلى بكركي وأجرى الفحص فكانت خلاصته تقريره: «إني حضرت إلى بكركي وفحصت عن أحوال راهباته ومعتقدهنّ وسيرتهنّ وكذلك فحصت عن باقي جمهور الدير المنتمين إلى قانون قلب يسوع وكنت أخالني ألقي شبكتي في نهر متدفّق بالفضائل فوجدت أني ملقيها في بحر متموّج بالأعمال الصالحة وشعائر القداسة».

فشهادة هذا القاصد بعد فحصه زادت البطريرك وبعض الأساقفة تمسّكاً بهندية واعتباراً لصحّة إيمانها وبرارتها فاندفعوا إلى المحاماة عنها، لكن المضادين لها ما انفكوا يثلبونها ويطعنون في استقامة معتقدها، وكثر مضادوها وانضمّ إليهم بعض راهبات ديرها فاضطرّ المجمع المقدّس سنة ١٧٧٨م أن يرسل قاصداً آخر لإعادة الفحص عن تعليمها ولدى مطالعته كتاباً ألّفته وسمّته «اللاهوت السري» عثر به على ما يوجب الشك في صحّة معتقدها فانّها قالت فيه: «إنّ الإنسان الكاثوليكي إذا تناول القربان المقدّس حاصلاً على النعمة المبررة اتّحد بلاهوت المسيح اتّحاد لاهوته بناسوته سنداً إلى قول الرسول (قرنثية فصل ٧ عد ١٧) «من التصق بربّنا كان معه روحاً واحدة». فعرض الفاحص ذلك للمجمع المقدّس مع ما قرره له المضادون فأصدر البابا بيوس السادس أمراً مؤرخاً في ٢٥ حزيران سنة ١٧٧٩م

قاضياً بإلغاء رهبانيتها وإبعادها وراهباتها عن ديرها بكركي، وموجباً اللوم الشديد على البطريرك لتغاضيه عنها ومحاماته لها، وأمر بتوزيع الراهبات في أديار كسروان التي للعابدات، وتعيّن لإقامة هندية الدير المعروف بدير سيدة الحقلة حيث قضت حياتها بالتوبة والورع وكانت وفاتها به سنة ١٨٠٢م.

أمّا البطريرك فطلب القاصد منه الرجوع عن أوامر كان قد أصدرها محاماة لهندية، وأن يوقع على صورة إقرار كان المجمع المقدّس قد أرسلها ليذيلها بتوقيعه فلم يشأ أن يوقّع عليها كما كانت منشأة بل نقّحها وغيّر شيئاً فيها، وشكاه بعض خصومه أنّه التجأ إلى الذراع العالمي في هذه الأمور، ولمّا بلّغ القاصد ذلك إلى المجمع المقدّس صدر أمر الحبر الروماني بأن يكون مربوطاً عن التصرّف بسلطانه البطريركي وأن يشخص إلى رومة ليعطي جواباً عن محاماته لهندية وعن عصاوته برفضه التوقيع على صورة الإقرار المقدّمة له من القاصد الرسولي، وأقام السيّد ميخائيل الخازن مطران قيسارية ليكون مدبراً للبطريركية ما دام البطريرك مربوطاً، فسارع البطريرك بالطاعة للأمر وسار إلى دير النبي الياس في الكرمل ليسافر من حيفا إلى رومة فاعترى البطريرك هناك مرض منعه من السفر.

فعظم القلق في الطائفة وكان حينئذٍ الشيخ سعد الخوري مدبراً للأمير يوسف والي لبنان فجعله يكتب إلى البابا بيوس السادس رسالة يبرئ بها ساحة البطريرك من كل لائمة ويلتمس عوده إلى منصبه البطريركي. ورفع الشيخ سعد عرائض إلى البابا المشار إليه وإلى نيافة الكردينال رئيس المجمع المقدّس والمونسنيور بورجيا كاتب هذا المجمع والكردينال ديبرنس الفرنسي مذكراً إيّاه بحماية فرنسة للموارنة والكردينال كرسيني جواباً له عن كتاب كان قد أرسله إليه توصاة بالخوري يوسف تيان عند عوده من رومة إلى لبنان. وفي كل هذه العرائض كان الشيخ سعد يبرئ البطريرك من كل شائبة ومن كل مخالفة لأوامر الكرسي الرسولي، ويعتب لمعاملة البطريرك هذه المعاملة التي تكسر خاطر الطائفة وتحزن قلبها، وأوعز الشيخ سعد إلى الأساقفة ورؤساء الرهبانيات والأعيان ليرفعوا مثل هذه العرائض، وأرسل بها إلى رومة الخوري يوسف التيان المذكور وقد أثبت المعلّم رشيد الشرتوني (في كتابه سلسلة بطاركة الموارنة نقلاً عن السجلات البطريركية) صور كل هذه العرائض وشفعها باثبات مرسوم الجواب من البابا بيوس السادس إلى الشيخ سعد الخوري باللاتينية وترجمته العربية مؤرخاً في ١٨ أيلول سنة ١٧٨٤م مفتتحاً بقوله: «أيّها

الابن الحبيب والرجل الشريف السلام والبركة الرسولية. لم يخامرنا ريب البتة في عنايتك أيّها الابن العزيز والرجل الشريف بالمحافظة على الإيمان الكاثوليكي دون انثلام بل نثني عليك أطيب الثناء مقرين بأنّ إطفاء تلك النار البكركية كان خاصة باهتمامك ويعزى إليك إزالة ذلك القلق اعتماداً على مراسيمنا الصادرة سنة ١٧٧٩م، ولم يخطر لنا ببال أن نوجب اللوم على أخينا المحترم البطريرك يوسف اسطفان لالتجائه إليك واعتضاده بك ليتمكّن من أن يقيم بحاجاته من المداخيل الزمنية لكرسيه البطريركية». ثمّ بيّن له أنّ ما أوجب اللوم على البطريرك إنّما هو ما بلغه عنه أنّه لم يشأ أن يوقّع على صورة الإقرار المرسلة إليه من المجمع المقدّس وتأليفه بحسب هواه صورة مخالفة للمرسلة إليه، كأنه قاض بدعواه، وأنّه التجأ إلى حكام عالميين ولم يلتفت إليك أنت مدبّر حاكمه المعلومة تقواك، وانّه لمّا كان أقرّ بغلطه نادماً عليه ووقع على صورة إقراره كما أرسلت إليه فوّض إلى قاصده الأسقف أنوش أن يحضر إلى كسروان ويرد البطريرك إلى كرسيه وحقوقه جزاءً لطاعته وإجابة لالتماس جمهور الأساقفة ورغائب الطائفة وتوصاة الأمير يوسف الجليل والسامي الاقتدار وتوسّله أي توسّل الشيخ سعد.

أمّا صورة الإقرار الذي قدّمه البطريرك حينئذٍ إلى البابا بيوس السادس فقد ضمّنها في براءته المنفذة إلى مطارين الطائفة وأعيانها مؤرخة في ٢٨ أيّار سنة ١٧٨٤م فنلخّصها عن هذه البراءة: «أنا المدوّن إسمي أدناه أقرّ وأعترف بغلطي واعتقادي الباطل بقداسة حنّة عجيمي راهبة دير بكركي وانخداعها وأقبل وأصادق على مرسوم المجمع المقدّس الأوّل المؤرّخ في ٢٥ حزيران سنة ١٧٧٩م والمثبت من سيّدنا البابا بيوس السادس الكلي القداسة (المتضمّن تحريم تعليم هندية) ثمّ إنّي أقرّ وأعترف أنّ هندية المذكورة كانت مخدوعة بخبث واضح وأنّ تخيّلاتها وأوحيتها ونبواتها التي كانت تتفاخر بها وجميع آرائها الحديثة المستغربة ولاسيّما زعمها أنّ جسدها ونفسها يتّحدان مع جسد المسيح ونفسه. فهذه كلها باطلة واختراعات وقحة ولا تخلو على الأقل من رائحة البدعة، ولهذا أنقض كل اعتقاد سلف مني بمثل هذه الخداعات والأوهام النفاقية وأبطل وألاشي كل فعل أظهرت به وشهرت شيئاً من هذه الأشياء ولاسيما منشوري المؤرخ في ١٧ أيّار سنة ١٧٧٧م وكل ما صدر مني لتأييد مثل هذه الأشياء المرذولة، ثمّ أقبل وأوقر واحترم المرسومين الآخرين المبرزين من مجمع نشر الإيمان المقدّس والمثبتين من قداسته في تاريخ ٢٥ حزيران

سنة ١٧٧٩م أيضاً. وقد تضمّن الأوّل منهما إبطال وإلغاء الرهبانية التي أنشأتها الراهبة المذكورة تحت اسم أخوية قلب يسوع، والثاني يشتمل على الحكم المبرز علي بالمنع عن التصرّف بكل سلطان بطريركي إلى أن يتحسّن للأب الأقدس. واما نظراً إلى الأمر لي بأن أشخص إلى رومة لأجاوب أمام قداسته عن ذنوبي السالفة فكنت قد أخذت في السفر فمنعتني أمراضي عنه وأرسلت من يقرأ عذري فعفتني رأفة الأب الأقدس من المثول بشخصي وها أنذا قابل بطيبة خاطر أن أبقى مربوطاً إلى أن يرى قداسته أن يحلّني من هذا الرباط، وأقبل أن يكون السيّد ميخائيل الخازن متصرفاً بالسلطان البطريركي ما دمت مقيّداً بهذا الرباط».

ولـمّا كان بعض مطارين الطائفة قد رفعوا إلى مجمع نشر الإيمان المقدّس سنة ١٧٧٤م عدّة مشكلات وقعت بينهم وبين البطريرك وسأل البطريرك المجمع المذكور أن يصغي إلى تقريراته في هذه المشاكل، وأرسل روفائيل الحاقلاني مطران دمشق وكيلاً عنه إلى رومة، ولدى التبصّر بحجج الفريقين حكم آباء هذا المجمع في ٢٢ آذار سنة ١٧٧٧م في هذه المشكلات كما سيأتي، فلذلك أضاف البطريرك إلى إقراره المذكور قوله: «إنّني أقبل وأطيع مسرعاً جميع مراسيم مجمع نشر الإيمان المقدّس الصادرة في ٨ تموز سنة ١٧٧٤ ولاسيما المراسيم السبعة الصادرة منه في ٢٢ آذار سنة ١٧٧٧م».

فهذه المشكلات ومراسيم الأجوبة الصادرة بشأنها هي سبعة وهذا ملخّصها: الأوّل أنّ البطريرك كان قد أجاز أكل الأطعمة المزفرة يوم الجمعة الواقع في اليوم التاسع بعد عيد جسد المسيح ونصحه المجمع المقدّس أن يبطل هذه الإجازة فعرض السؤال هل يلزم تكرار الأمر للبطريرك ليبطل هذه الإجازة فأجاب الآباء أن تتجدد مراسيم المجمع اللبناني (قسم ١ باب ٤ عد ٣ وعد ٥) حيث عينت في العدد الثالث الأصوام المفروضة وفي العدد الخامس رخص للبطريرك لضرورة عامة أن يجعل بدء صوم الرسل في ٢٥ حزيران وبدء صوم انتقال العذراء في ٧ آب وبدء صوم الميلاد في ١٣ كانون الأول. ونبه الطريرك أن لا يقدم على هذا الترخيص على إطلاقه بل في صوم واحد ومرّة واحدة بحسب مقتضيات المكان والزمان والمسوغات.

وعرض السؤال الثاني هل يستطيع بطريرك الموارنة أن يمنح غفرانات كاملة دون

إذن الكرسي الرسولي في أيام معيّنة فأجاب الآباء لا يستطيع ويلزم القاصد أن يعلن ذلك للموارنة.

والسؤال الثالث هل للسيّد البطريرك أن يلزم أساقفة الأبرشيات بأن يأخذوا منه مناشير لزيارة أبرشياتهم، فأجاب الآباء لا يلتزم الأساقفة أن يأخذوا منشور الإجازة منه عندما يزورون أبرشياتهم بالحق المعتاد لهم.

والسؤال الرابع أيجب أن يعين مبلغ دراهم يدفعه الأساقفة كل سنة للسيّد البطريرك على سبيل العشور وبأي شروط. فأجاب الآباء أنه يلزم أن يعيّن مبلغ يدفعه الأساقفة كل سنة للبطريرك وعيّنوا قدره ألفين وخمسمائة قرش كل سنة موزعة كما سيجيء. ويحق للبطريرك أن يعطي مناشير لجمع العشور لكل من المطارين الموجودين مرّة واحدة فقط بياناً لخضوعهم له، وكذلك المطارين الذين سيكونون عند دخولهم على الأبرشية لا غير. وأمّا المبلغ المعيّن فقيمته ٤٥٠ قرش على مطران طرابلس و ٣٥٠ على مطران حلب و٣٠٠ قرش على كل من مطارين جبيل وبعلبك وبيروت وصور وصيدا و٢٥٠ على كل من مطراني دمشق وقبرص مجموع ذلك قيمته ٢٥٠٠ قرش. وزادوا على ذلك أنّ هذا التعيين يدوم ست سنين إلى أن يرى المجمع المقدّس غير ذلك ويلزم كل مطران أن يطلب منشوراً من البطريرك لجباية العشور كل سنة ويدفع ما عليه للبطريرك دفعتين. ومن تأخّر عن الدفع بغير عذر مقبول حقّ للبطريرك أن يرجع عليه بالمطالبة بحقوقه الأولى.

والسؤال الخامس أيحق للبطريرك أن يعزل المطارنة من أبرشياتهم ويمنعهم من التصرّف بسلطانهم أو يجري عليهم ما يخفض شأنهم أمام الشعب لدواع غير كافية ودون مشورة المطارين ولا إعلام الكرسي الرسولي فأجاب الآباء لا يحق للبطريرك أن يعزل المطارين من أبرشياتهم أو يمنعهم من التصرّف الكلّي بسلطانهم دون مشورة مجمع المطارنة، وفي ما سوى ذلك له أن يؤدّبهم بحسب قوانين الكنيسة.

والسؤال السادس أيلزم الترخيص للرهبان بأن يجولوا في الأبرشيات لجمع الإحسان. وكان الداعي بهذا السؤال أنّ مجمعاً عقد بغوسطا نهى الرهبان عن الجولان بالأبرشيات لجمع الاحسان، فأجاب الآباء أن يلزم المحافظة على قوانين الرهبان وعلى ما دوّن في المجمع اللبناني (قسم ٤ باب ٢ عد ٨) حيث قيل وليس

للرهبان «أن يتسوّلوا أو يبعثوا راهباً أو عالمياً في سبيل السؤال بلا رخصة من الرئيس المحلّي». وزاد الآباء على ذلك نصح الأساقفة أن يتساهلوا في منح الإذن للرهبان بالتسوّل متى تحقق عندهم احتياجهم إليه، وللرهبان أن يعرضوا أمرهم للسيّد البطريرك إذا امتنع الأسقف ضدّ الصواب عن إعطائهم الإذن بالتسوّل.

والسؤال السابع أيحق للبطريرك أي يقبل الكهنة أو الرهبان غير الخاضعين لرؤسائهم ويرخّص لهم بالذهاب إلى محل خلافاً لإرادة رؤسائهم فأجاب الآباء لا يحق له ذلك وفقاً لما تدوّن في المجمع اللبناني في قسم ٤ باب ٢ عد ٩ و ١١. فهذه خلاصة المراسيم التي قال البطريرك في إقراره إنّه يقبلها ويطيعها.

وقال بعد ذلك: «فجميع هذه المراسيم وغيرها مهما كانت مما انتشر أو سوف ينشر من أوامر المجمع المقدّس لأجل تدبير الطائفة المارونية أعلن أنني أقبلها وأوقّرها وأقوم بتكميلها بدون مخاتلة أو غش وأقدّم بكل خضوع إقراري واعترافي هذا أمام قداسة سيّدنا البابا بيوس السادس وأبتهل إليه أن يحلّني من كل تأديب التحق بي ويردني إلى نعمته وحنانه ويقبلني كابن نادم وتائب، ومتى تنازل وتقبّل توبتي الصادقة يردّني إلى التصرّف بالسلطان البطريركي وإلى تدبير طائفتي قاصداً أن أظهر نفسي في الزمان المقبل ابناً خاضعاً وطائعاً للكرسي الرسولي وأثبت كل ما قدّمته بقسمي عليه وبخط يدي وختمي أمام شاهدين في ٨ آذار سنة ١٧٨٤م. والتوقيع يوسف بطرس اسطفان البطريرك الأنطاكي والشاهدان على ذلك القس يوسف التيان مرسل رسولي والقس سمعان الصباغ مرسل رسولي.

ثمّ أردف البابا كلامه في براءته المذكورة المأخوذ عنها كل ما مرّ بقوله: «لا شكّ في أنّ من تاب حقيقة عن زلاته حقّ له أن ينال الغفران فلا هرون بعد توبته فقد كهنوته، ولا سمعان بعد ندامته على سقطته أضاع مقامه الأعلى الرسولي» ولذلك قد أمرنا الأسقف أنوش أن يسير سريعاً إلى كسروان ويردّ الأخ الموقر يوسف اسطفان إلى بطريركيته ويخوله مقامه السابق وسلطانه وجلّ رغائبنا أن تتّخذوا ذلك برهاناً أكيداً على حبّنا الأبوي للطائفة المارونية وعربوناً لاعتبارنا لها لغيرتها على الإيمان الكاثوليكي وثباتها في الاحترام للسدّة البطرسية في ٢٨ أيلول سنة ١٧٨٤م وهي السنة العاشرة لحبريتنا.

وأتمّ القاصد المذكور ما أمر به فدعا البطريرك من دير الكرمل وسار به إلى دير مار يوسف الحصن بغوسطا حيث كانت إقامته، فالتقاه أبناء الطائفة باحتفال عظيم شائق وبهجةٍ وسرورٍ فائق وشرع الأعيان والكهنة والأهلون يتقاطرون من كل فج لتهنئته. وأقام البطريرك يوسف اسطفان مجدّاً مكدّاً في خير طائفته وحراثة كرم الرب وأرسل سنة ١٧٨٦م الخوري أنطون القيالي البيروتي إلى باريس لطلب قنصلية فرنسة للشيخ غندور بن سعد الخوري، فتكرّم الملك لويس السادس عشر عليه بها. وسنة ١٧٨٩م أمر بتحويل دير عائلة مار أنطونيوس عين ورقة إلى مدرسة عامة إكليريكية للطائفة وكان قبلاً ديراً للعابدات، فصار بعداً معهداً علميّاً رقى الطائفة في مدارج التقدّم والفلاح، وأجدى عليها بكثيرين من البطاركة والأساقفة والعلماء كما سترى. وعقد مع مطارينه المجمع المعروف بمجمع عين شقيق أو مجمع وطا الجوز سنة ١٧٨٧م، ومجمع بكركي الأوّل سنة ١٧٩٠م. وسوف نلخّص ما كان بهذين المجمعين.

وفي ١٢ نيسان سنة ١٧٩٣م ارتحل هذا البطريرك إلى دار البقاء في دير مار يوسف الحصن بغوسطا ودفن فيه وكان من العلماء الأعلام وله مؤلفات كثيرة وكانت عنده مكتبة جامعة تبددت من بعده ونقل بعضها إلى دير بكركي. ومن مؤلفاته كتاب بديع في قداسة يوحنا مارون تراه مطبوعاً في كتاب «المحاماة عن الموارنة»، ورسالة مطوّلة في تربية الأولاد كتبها لسكان أبرشية بيروت إذ كان مطراناً عليهم. وله بالسريانية عدّة فروض لتتلى في الكنائس أيّام أعياد القديسين يعقوب وليمناوس تلميذي القديس مارون والثلاث مئة وخمسين شهيداً تلاميذه والقديس افرام السرياني وغيره. وله أيضاً عدّة منظومات من المعروفة بالأفراميات التي يترنّم بها في القدّاس منها أفرامية للقديس مارون، وأفراميات للرسولين بطرس وبولس والاثني عشر رسولاً. وله أيضاً طلبات لبعض القديسين يترنّم بها في مساء أعيادهم، ورتب للخدمة في القدّاس في أعياد كثيرين من القديسين، وهو الذي هذب الرتب في طائفتنا وألّف بعضها كرتبة منح الغفران الكامل والبركة البابوية ورتبة تبريك الماء يوم عيد القدّيسين بطرس وبولس ورتبة منح البركة بصورة العذراء المعروفة بسيدة الثوب، ألّفها وهو في الكرمل، ورتبة منح البركة بالصليب أيّام الجمعة في الصوم ورتبة الاستعداد للميلاد لتسعة أيّام قبل الميلاد ورتبة السجدة يوم عيد العنصرة إلى غير ذلك.

وأمّا الذين رقاهم إلى الأسقفية فهم:

الأوّل الخوري ارميا نجيم من غوسطا رقاه إلى أسقفية الناصرة في ١٧ تشرين الأوّل سنة ١٧٦٧م وتوفي في ١٥ تشرين الأوّل سنة ١٧٧٥م في دير الحصن.

الثاني الخوري ميخائيل حرب الخازن من عجلتون رقاه إلى أسقفية قيصرية فلسطين في ١٥ تشرين الثاني سنة ١٧٦٧م ثمّ دبر أبرشية دمشق والبطريركية مدّة منع البطريرك يوسف أسطفان عن التصرّف بها. وكانت وفاته في دير رام بودقن.

الثالث الخوري الياس الجميل الثاني بهذا الاسم رقاه في ١٢ كانون الثاني سنة ١٧٦٨م إلى أسقفية قبرص وتوفي في ٦ أيلول سنة ١٧٧٩م في شويا.

الرابع القس أثناسيوس الحاج موسى الشنيعي من غوسطا رقاه في ٢٩ حزيران سنة ١٧٦٨م وتوفي في أيلول سنة ١٧٧٨ ودفن بدير الحصن بغوسطا.

الخامس القس ارسانيوس دياب الحلبي رقاه إلى أسقفية حمص ودير بكركي سنة ١٧٦٩م وسمي جرمانوس وتوفي سنة ١٧٩٩م بدير القمر ودفن في كنيسة التلّة.

السادس القس ارميا نجيم الثاني ابن أخت المطران ارميا نجيم الأوّل رقاه إلى أسقفية الناصرة سنة ١٧٧٧م وكان نائباً بطريركياً وتوفي في ٢٧ آب سنة ١٧٧٩م ودفن بدير الحصن.

السابع القس بولس اسطفان أخوه رقاه إلى أسقفية قورش ونيابة الكرسي البطريركي في حزيران سنة ١٧٧٧م، ثمّ سلمت إليه أبرشية جبيل والبترون وتوفي بمدرسة عين ورقة سنة ١٨٠٨م.

الثامن القس يوسف نجيم أخو المطران ارميا نجيم الثاني رقاه في ١١ تشرين الأوّل سنة ١٧٧٩م إلى أسقفية بيروت وتوفي في ٦ آب سنة ١٨٠٢م في دير مار جرجس علما.

التاسع القس يوحنا الحلو من غوسطا رقاه إلى أسقفية عكا في ٦ آب سنة ١٧٨٨م وكان نائباً بطريركاً في الأشياء الزمنية وهو الذي انتخب بعداً بطريركاً.

العاشر الخوري يوسف التيان من بيروت رقاه إلى أسقفية دمشق في ٦ آب سنة ١٧٨٦م وكان نائباً بطريركياً في الروحيات ثمّ استقال من مطرانية دمشق وسلمت إلى المطران ميخائيل الخازن سنة ١٧٨٨م.

الحادي عشر الخوري دانيال الجميل رقاه إلى أسقفية قبرص في ٣٠ تشرين الأوّل سنة ١٧٨٦م وسمّي فيلبوس وصار بعداً بطريركاً.

الثاني عشر الخوري جرجس يمين ابن المطران يواكيم من إهدن رقاه إلى أسقفية طرابلس في ١٨ أيّار سنة ١٧٨٧م وتوفي سنة ١٧٩٥م بزغرتا.

الثالث عشر الخوري جبرائيل كنيدر من حلب رقاه إلى أسقفية حلب في ٩ أيلول سنة ١٧٨٧م وتوفي بها سنة ١٨٠٢م.

الرابع عشر القس اغناطيوس الخازن من عجلتون رقاه إلى أسقفية نابلس في ٢٩ حزيران سنة ١٧٨٧م ثمّ سلّمت إليه أبرشية طرابلس بعد وفاة المطران جرجس يمين إلى أن توفي سنة ١٨١٩م بعجلتون.

الخامس عشر القس فرنسيس مبارك رقاه إلى أسقفية بعلبك بعد أن تخلى عنها المطران جبرائيل مبارك الثاني في ٢٦ آب سنة ١٧٨٧م ودعي بطرس وتوفي في ٢٦ تشرين الثاني سنة ١٨٠٨م في دير ريفون وفي أيّامه رقي المونسنيور يوسف سمعان السمعاني العلّامة الشهير في رومة إلى مطرانية صور في ٣١ تموز سنة ١٧٦١. وتوفي في ٢٤ كانون الثاني سنة ١٧٦٨م.

عد ٨٧
البطريركان ميخائيل فاضل وفيلبوس الجميل

أمّا البطريرك ميخائيل فاضل فهو من بيروت وكان البطريرك طوبيا الخازن قد رقاه في ١١ حزيران سنة ١٧٦٢م إلى أسقفية صور وجعله نائباً بطريركيّاً إلى أن تسلّم تدبير أبرشية بيروت سنة ١٧٨١م. ولمّا توفي البطريرك يوسف أسطفان في ٢٢ نيسان سنة ١٧٩٣م تأجّل اجتماع الأساقفة لانتخاب بطريرك بسبب الطاعون الذي كان مستحوذاً تلك السنة في البلاد ولاسيّما كسروان إلى أن اجتمعوا في ١٠ أيلول سنة ١٧٩٣م، فانتخبوا المطران ميخائيل فاضل وأرسل الخوري جرجس غانم البيروتي إلى رومة ليستمدّ له التثبيت ودرع الرئاسة من الحبر الروماني فلم يبلغ إليها إلّا بعد وفاة هذا البطريرك التي كانت في ١٧ أيّار سنة ١٧٩٥م في دير حراش ودفن به، على أنّ البابا بيوس السادس أراد احصاءه في مصاف البطاركة إذ قال بخطبته في الإجتماع المنعقد لذلك في ٢٧ حزيران سنة ١٧٩٦م: «ولمّا كانت غِيَر الزمان لم تسمح لنا بأن نمنحه التثبيت وهو حي نمنحه إيّاه وهو ميت ونريد أن يحصى في سلسلة بطاركة الموارنة ولو أحرمته المنية قبول زينة درع الرئاسة». ولا نعلم أنه رقى أحداً إلى الأسقفية إلّا الخوري جرمانوس قيس الخازن من عجلتون سنة ١٧٩٤م وهذا توفي في دير مار روحانا البقيعة سنة ١٨٠٥م.

وأمّا البطريرك فيلبوس الجميل فكان من بكفيا وكان البطريرك يوسف اسطفان قد رقاه إلى أسقفية قبرص في ٣٠ تشرين الأوّل سنة ١٧٨٦م. وبعد وفاة البطريرك ميخائيل فاضل في ١٧ أيّار سنة ١٧٩٥م اجتمع الأساقفة في دير بكركي في ١٢ حزيران في السنة المذكورة وكان الأساقفة تسعة فاتّفقوا أن يرشّحوا للبطريركية المطران يوحنا الحلو والمطران فيلبوس الجميل المذكور ويرمي السبعة الباقون القرعة. فمن حاز أربعة أصوات كان بطريركاً فوقعت الأربعة أصوات للمطران فيلبوس المذكور وثبته البابا بيوس السادس في ٢٧ حزيران سنة ١٧٩٦م على يد معتمده القس ارسانيوس القرداحي الراهب الحلبي اللبناني. وقبل أن يصل إليه درع الرئاسة عاجلته المنية في ١٢ نيسان سنة ١٧٩٦م في دير السيدة في بكركي حيث دفن.

ولا نعلم أنه رقى إلى الأسقفية سوى القس أقليمس الخازن من عجلتون على

أبرشية جبيل والبترون وسمي اسطفان. ولما كان ذلك مخالفاً للقوانين البيعية لأنّ مطران هذه الأبرشية كان حيّاً وهو المطران بولس أسطفان المذكور فعزل عنها. وبعد وفاة المطران جرمانوس الخازن السالف ذكره سلمت إليه أبرشية دمشق سنة ١٨٠٥م وتوفي في ٣١ كانون الأوّل سنة ١٨٢٩م في دير مار موسى بلوني ودفن به.

ثمّ رقى البطريرك فيلبوس الخوري ميخائيل فاضل إلى أسقفية بيروت وسمي أنطونيوس لكن تغلّب عليه اسم المطران ميخائيل فاضل الثاني. وتوفي في ٦ تموز سنة ١٨١٩م.

وبعد وفاة البطريرك فيلبوس الجميل اجتمع الأساقفة في ٢٨ نيسان سنة ١٧٩٦م في دير بكركي فانتخبوا المطران يوسف التيان مطران دمشق قبلاً والنائب البطريركي بطريركاً، فكان السادس بهذا الاسم وثبته البابا بيوس السادس في ٢٤ تموز سنة ١٧٩٧م على يد معتمده القس لويس بلبيل الراهب اللبناني الذي رقاه إلى أسقفية قبرص سنة ١٧٩٨. ونرجئ تكملة ترجمة هذا البطريرك إلى تاريخ القرن التاسع عشر.

الفصل الثالث

مشاهير العلم الموارنة في القرن الثامن عشر

نحسب هذا القرن قرن الذهب في طائفتنا لكثرة علمائها فيه ولوفرة ما خلفوه من التصانيف البديعة والتآليف النفيسة حتى أفادوا الغرب بتواريخ المشرق ونقلوا إليه ما لا يحصى من آثار الشرقيين وكتبهم وكانوا كمشكاة استنار بضوئها أهل المشرق بعلوم أهل الغرب ورقوا مواطنيهم في مدارج العلم وشهد لهم علماء الغرب بالفضل واعتمدوا على ما أثبتوه إلى الآن وتفاخر بهم أبناء جلدتهم شاكرين لهم ما أجدوا عليهم به. والفضل في كل ذلك للعهد العلمي الذي

أنشأه لهم البابا غريغوريوس الثالث عشر فإنّ أكثر هؤلاء العلماء نبغوا منه وعنه أخذوا أنوار تعاليمهم النافعة وها نحن نأخذ بتدوين تراجم من عرفناه منهم وذكر ما علمناه من تآليفهم الغراء.

عد ٨٨
القس يوسف الباني الحلبي

هو يوسف بن القس جرجس الحلبي ارتحل أسلافه من قرية بان بجبل لبنان إلى حلب الشهباء فولد ونشأ بها وأرسل إلى رومة طلباً للتخرّج بالعلوم في مدرسة الموارنة فنبغ وحاز قصبات السبق وارتقى إلى درجة الكهنوت وقال في حقّه القس جبرائيل فرحات (هو المطران جرمانوس فرحات لكنّه كتب ما يأتي قبل تسقيفه) في مقدّمة تفسيره لرؤيا يوحنا: «الأب الفاضل والعالم العامل ذخيرة ملّته المارونية وسراج الكنيسة الرومانية غذي بلبانها فترعرع وبني على أساسها فلم يتزعزع الذي ضاءت أشعّة شهب علومه في أفق شهبائه حتى استعشت. وأرضع بني حلب مما حلب من فواق ثدي فضله حتى عاشت ونعشت وأفاض مما فاض من معارفه على الطلبة المستفيدين قاصيها ودانيها ودان لنتيجة مقدّمات عمله الصادق بيانها بالفضل والتقدّم قاصيها ودانيها فأفادنا الدهر به ما كنا قبل نتمناه وجاد علينا بوجوده الرضى ما كان بغيره يأباه».

وقد أنبأنا الأب جبرائيل المذكور بلسانه أنّه قصد أم المدائن ابتغاء التخرّج بالعلوم فيها فأتقن معرفة اللغات وتضلع بعلوم الفلسفة واللاهوت وآب إلى حلب موطنه وكان يتقلّب بين أن ينفق بضاعته بترشيح الكلام أو أن يخلدها في بطون الأوراق بتوشيح الأقلام واعتمد على الثاني لأنّه يحيى بحياة الدهور والأزمان ولذلك ترجم إلى العربية عدّة من الكتب التي فاق معناها وراق مبناها منها: كتاب «ميزان الزمان وقسطاس أبدية الإنسان» وقد طبع هذا الكتاب مرّات منها طبعة في مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت وأردفه بترجمة كتاب «الكمال المسيحي» في ثلاثة أجزاء وهذا الكتاب أيضاً طبع مرات. ثمّ كتاب «المعرّف والمُعترف» في علم الذمة إلى غير ذلك في التأملات العقلية والرسائل الروحية. وقد عزا إليه القس جرجس منش الحلبي الماروني في ترجمة جرمانوس فرحات أربعة مجلّدات في تفسير الرسائل

وخمسة في تفسير الأناجيل وثمانية في تفسير العهد القديم، وقال إنّ فرحات صحّح هذه الترجمات. ذكرت هذه الرواية على عهدته ومما لا شكّ فيه وأشهر تآليفه كتاب: «العنوان العجيب في رؤيا الحبيب» وهو تفسير لكتاب رؤيا يوحنا الحبيب أحد أسفار العهد الجديد وأغوصها معنى وأعسرها بياناً انتقاه من تفسيرات الأب كورينلوسن الحجري اليسوعي مقتصراً منها ما أمكن اقتصاره وزائداً عليها ما رأى زيادته لازمة. وقد فرغ من هذا التأليف سنة ١٧١٣م وقد عنيت وأنا كاهن بطبع هذا الكتاب سنة ١٨٧٠م بالمطبعة العمومية الكاثوليكية التي قنيتها بمساعدة الخواجا رزق الله خضرا بعد أن عارضته كلمة فكلمة بالنسخة التي خطتها يد معربها القس جبرائيل فرحات المذكور وبنسخة أخرى أخذت عنها.

إنّ ترجمات القس يوسف الباني هذه قد عرّبها كلّها القس جبرائيل فرحات وأظنّ أنّه عني بذلك قبل أن صير أسقفاً على حلب مدعوّاً بجرمانوس سنة ١٧٢٥م. وقد ذكرت في كتابي «سفر الأخبار في سفر الأحبار» أنّ للقس يوسف الباني أيضاً ترجمة تفسير العهد الجديد إلى العربية والذي أراه الآن أنّ ترجمة تفسير هذه الأسفار إلى العربية عدا الرؤيا إنّما هي للأب بطرس فرماج اليسوعي معرّبة بقلم المطران جرمانوس فرحات. ولم أعثر إلى الآن على سنة وفاة الأب يوسف الباني ولا أشكّ في أنّه توفي بعد سنة ١٧١٣ التي فرغ فيها من تأليف كتابه في تفسير الرؤيا كما صرّح بذلك.

عد ٨٩

المطران جرمانوس فرحات

ولد هذا النابغة في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٦٧٠م من أسرة مطر التي ارتحلت من قرية حصرون بلبنان إلى حلب الشهباء فربّاه والداه بالتقوى والورع وتخرّج باللغة السريانية في مكتب الموارنة بحلب، ثمّ تعلّم اللغة الإيطالية ودرس التصريف والنحو على الشيخ سليمان الحلبي المعروف بالنحوي ثمّ اشتغل في علم المعاني والبيان والعروض والقوافي والبديع ثمّ أتقن الفلسفة واللاهوت على العلّامة النحرير الخوري بطرس التولاوي الآتي ذكره. ولمّا أتى الأفاضل الثلاثة وهم جبرائيل حوا

وعبدالله قرأالي ويوسف بن البتن من حلب إلى لبنان سنة ١٦٩٤م لتأسيس الرهبنة تبعهم جبرائيل فرحات بعد سنتين وانضمّ إلى المؤسسين المذكورين مجاهداً في طريقة النسك الرهبانية متفانياً بحب الله مضطرماً بالغيرة على خلاص النفوس عاكفاً على التأملات الروحية مجاهداً في الأعمال الصالحة مكبّاً على التأليف والتصنيف ونظم الأشعار الروحية والأدبية متغزلاً فيها بحب الله والفضيلة ومريم العذراء وقد انتخبه اخوته الرهبان رئيساً عاماً على رهبانيتهم في ثلاثة مجامع متتالية أي من سنة ١٧١٦م إلى سنة ١٧٢٥م ويظهر من بعض قصائده أنّه زار ضريح الرسولين في رومة أم المدائن.

وفي ٢٩ تموز من السنة المذكورة رقاه البطريرك يعقوب عواد إلى أسقفية حلب المارونية ودعي جرمانوس فازداد غيرة وجهاداً في القيام بأعباء مقامه الثقيلة مثابراً على الوعظ والإرشاد دائباً على عمل المبرّات غير منقطع عن التأليف والتصنيف والتعريب وغير تارك تأملاته وتقشفاته الرهبانية مصيّراً نفسه كلّاً للكل ليربح الكل للمسيح واعظاً شعبه بمثاله الصالح فوق وعظه بكلامه وخطبه البديعة والآخذة بمجامع القلوب الحاملة سامعيها على الفضيلة والرادعة لهم عن الرزيلة واستمرّ على ذلك سبع سنوات إلى أن دهمته المنية في ٩ تموز سنة ١٧٣٢م فسلبت من عصره حليته الفاخرة ودرته الباهرة وذهب لينال ثواب أعماله الصالحة ومبرّاته الوافرة لدى من لا يضيع أجر إسقاء كأس ماء فكيف يضيع أجر من قضى سنيّه كلها مجاهداً متفانياً بحبّه وعمل مرضاته.

وأمّا ما صنف وألّف وهذّب وعرب فكثير منه في اللغة كتابه باب الاعراب عن لغة الاعراب وهو معجم اللغة العربية انتقاه من قاموس الفيروزبادي وغيره من المعجمات وقد طبع هذا الكتاب الشيخ الكونت رشيد الدحداح وزاد عليه واستدرك بعض كلمات عن المؤلف وسمى كتابه. «أحكام باب الإعراب عن لغة الأعراب» وألحق المؤلّف بمعجمه كتاباً في العوامل العربية سماه الفصل المعقود حذا به حذو ابن هشام الأنصاري في كتابه «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب». ومن تآليفه «كتاب بحث المطالب وحث الطالب» جمع به قواعد التصريف والنحو بأوجز عبارة وأوضح إشارة. وقد طبع هذا الكتاب مرات لتداول أيدي الطلبة له في أكثر المدارس إلى الآن. ومن طبعاته طبعة المعلّم بطرس البستاني له ببيروت وقد ذيلها بحواشٍ كثيرة واستدرك على المؤلف ببعضها، على أنّ أكثر ما خطأه به

كان من غرور النساخ أو سهوهم وبعضه لم يصب بتخطئته به. وقد انتقدت بعض ما جاء في تلك الحواشي بكتيّب ألّفته في خلال إقامتي في مدرسة مار يوحنا مارون مدرّساً لتلامذتها هذا الكتاب، على أنّ هذا الكتيّب لم أشهره حتى الآن. وللمؤلف كتاب بحث آخر أطول مما تتداوله أيدينا وأكثر بياناً وكان لديّ نسخةٌ من هذا المطوّل أخذت عن نسخةٍ خطتها يد المؤلف واعتمدت عليها في كثير مما عارضت به المعلّم بطرس المذكور. ومن كتبه في اللغة كتابه الموسوم «المثلثات الدرية» اقتدى فيه بمثلثات قطرب المشهورة جمع بها نظماً الأسماء المختلفة المعاني باختلاف حركة أوّلها بين الفتحة والكسرة والضمّة وشرحها شرحاً مسهباً روحياً وأدبياً وعلمياً ومنها كتابه الموسوم «ببلوغ الأرب في علم البديع» جمع به أنواع الجناس والبديع مرصّعاً إيّاه بالشواهد من بديعيات مَن سلفوه وغيرها. ومنها كتاب وسمه «برسالة الفوائد في فن العروض» ولم يكن معلوماً قبلاً بين مؤلفاته ولا منضوداً بسلك منظوماته. ومنها كتاب «ديوانه الشهير» وقد طبع مراتٍ ولكن قلّما نجد طبعة أو نسخة من هذا الديوان سلمت من خطأ النساخ وقد شرحه شرحاً مسهباً الخوري ارسانيوس الفاخوري الغزيري.

وله في الروحيات والدينيات تعريب ترجمات القس يوسف الباني المذكور وهي ترجمات كتاب «ميزان الزمان» وكتاب «الكمال المسيحي» ثلاثة أجزاء وكتاب «المُعرّف والمُعترِف، وكتاب «تفسير رؤيا يوحنا» و«تعريب ترجمات الأب بطرس فرماج اليسوعي في تفسيرات العهد الجديد في عدّة أجزاء». وللمؤلف أيضاً تعريب ترجمة أسفار العهد الجديد إلى العربية عن النسخة السريانية المعروفة بالبسيطة فانّه أصلح تلك الترجمة العربية ونقّحها وطبق بينها وبين الأصل السرياني ثمّ رتب منها الفصول التي تتلى كل يوم في القدّاس من الأناجيل ورسائل بولس الرسول. وفي طبعتي الأخيرة لهذين الكتابين زدت في مطابقة تلك الفصول مع النسخةِ السريانية حتى يمكن القارئ أن يعتمد على أنّ الترجمة العربية هي طبق ما في النسخة السريانية البسيطة. وكذلك فعل الخوري يوسف العلم رئيس كهنتنا ببيروت في كتابه «أقرب الوسائل في تفسير الرسائل» حيث جعل كلام الرسول بالعربية مطابقاً للأصل السرياني. ولصاحب الترجمة أيضاً تعريب الكتاب المعروف «بريش قريان» مشتملاً على فصول من نبوات الأنبياء وكتاب «أعمال الرسل» و«رسائل بولس الرسول» تقرأ في الصلوات في الكنائس أيّام الأعياد وبعض آحاد السنة. وهو الذي

رتب كتاب «السنكساري» أي تراجم القديسين وعربه وأصلحه كما تتداوله الأيدي الآن، إلا أنّ كثرة الأيدي التي نسخته أوقعت به كثيراً من الخطأ. والتقدّم في صناعة النقد في هذه الأيام كشفت لنا عن أغلاط كانت تظن في أيّامه صواباً ولذلك تراني في مطاوي كلامي في هذا التاريخ نبهت إلى ما رأيته في هذا الكتاب من الخطأ في ما حملني مساق تاريخي على الكلام فيه، وفي عزمي ان قدرني الله أن أنقّح هذا الكتاب وأطبعه حرصاً عليه من غفلة النساخ وتيسيراً لاقتنائه.

وله أيضاً كتاب: «ديوان البدع» جمع فيه أكثر البدع التي نشأت في بيعة الله وشيئاً من التفنيد لبعضها. وله أيضاً كتاب وسمه بـ«فصل الخطاب في صناعة الوعظ والخطابة» وهو بديع في نوعه ويغني عن كتاب فصاحة في بعض أقسامه، وهذا الكتاب قد طبعه جماعةٌ من البروتستانت ولم يخلوه من حذف وتحريف فأمر الطيب الذكر البطريرك بولس مسعد بطبعه فطبع في مطبعة الرهبان اللبنانيين في دير طاميش سنة ١٨٦٧م عن نسخة بخط المؤلف وأمرني بتصحيح طبعه فأطعت الأمر وزدت عليه مقدّمة طبعت في أوّله. وله أيضاً بعض صلوات سريانية لتتلى في الكنائس أيّام بعض الأعياد إلى غير ذلك مما لم يخطر على ذاكرتي الآن. وقد ذكر القس جرجس منش الحلبي الماروني في ترجمته التي نشرتها مجلّة الشرق في سنتها السابعة تآليف وتصحيحات وترجمات أخرى كثيرة والظاهر من مؤلفاته واعراباته واقتطافاته وترتيباته ومن الكتب الكثيرة التي ترى بخط يده المباركة أنّه لم يصرف ساعة من زمانه إلّا في خدمة الخالق والاجداء بالفوائد على الخلائق رحمنا الله بصلواته ومنَّ علينا بأمثاله ببركاته.

عد ٩٠

الأب بطرس مبارك

ولد هذا العلّامة بقرية غوسطا في نحو سنة ١٦٦٠م وتخرّج باللغات والعلوم في مدرسة الموارنة برومة فحاز قصبات السبق على أقرانه وأتقن من اللغات سبعاً: العربية والسريانية واللاتينية واليونانية والعبرانية والإيطالية والفرنسية. ولما رجع إلى الشرق سنة ١٦٨٥م رقاه البطريرك اسطفانوس الدويهي إلى درجة الكهنوت وأعاده إلى رومة وكيلاً له، وسلم إليه بعض كتبه ليهتم بترجمتها ونشرها. ويظهر أنّه ترجم منها إلى

اللاتينية كتاب «نسبة الموارنة» وكتاب «رد التهم عنهم» و «سلسلة بطاركتهم» إذ نرى العلّامة السمعاني والعلّامة لكويان يستشهدان بكلام الدويهي مأخوذاً عن هذه الترجمة. وإلى ذلك أشار الدويهي في رسالته إلى الخوري بطرس المذكور إذ أرسل إليه إجابة لطلبه ترجمة حياته ليثبتها في صدر الكتاب، وقد مرّ ذكر هذه الرسالة في ترجمة الدويهي. وبعد عوده من الشرق دعاه أمير توسكانا وأقامه على طبع الكتب الشرقية ثمّ أقيم مدرّساً للعلوم المقدّسة وربح أموالاً لم يرد أن ينفقها إلّا في سبيل الخير لملّته إرضاءً لله فأنشأ مدرسة في عينطورا وشرى لها من العقار ما يقوم ريعه بنفقة اثني عشر تلميذاً ثمّ سلّم تدبيرها إلى الآباء اليسوعيين الذين ضوى إلى جمعيتهم رغبةً في الزهد والانقطاع عن العالم. وإليك ملخّص ما قاله المجمع اللبناني (صفحة ٥٤٨ الطبعة الحديثة) إنّنا نثني خير الثناء على تلك النيّة التقوية الجديرة بالرجل المتورع ولدنا الحبيب الأب بطرس مبارك أحد الآباء اليسوعيين وأحد تلامذة مدرستنا الرومانية ومن كهنة طائفتنا وهو الذي مع ما أحرزه عند الجمهور من الشهرة علماً وتقى لم ينس شعبه ولا بيت أبيه بل نظر في خير أبناء ملّته فبنى لهم على عهدنا مدرسةً في سورية بقرية عينطورا وأجرى عليها الرزق ووكل تدبيرها إلى المرسلين اليسوعيين معلقاً على ذلك بعض شروط خيفة أن يلمّ بطائفتنا المارونية شيء من الضرر في المستقبل. وقبل الأب رتز رئيس الرهبانية اليسوعية هذا التسليم بشروطه وذيّله وأثبته بصك شرعي مؤرخ في ٢٧ شباط سنة ١٧٣٤م» وسنجيء على ذكر هذه المدرسة. وأقام بعد ذلك الأب مبارك مجداً في إتقان الفضائل والكمال الرهباني عاكفاً على عمل المبرّات متفانياً بالغيرة على مجد الله مكبّاً على تأليف الكتب النافعة وترجمتها إلى أن توفاه الله لرحمته سنة ١٧٤٢م.

وأمّا ما ألّفه وترجمه فنعلم منه ترجمته من السريانية إلى اللاتينية لمجلّدين من تآليف القديس افرام السرياني وألحق بترجمته مقدّمات بديعة دالّة على طول باعه ووفرة إطّلاعه وترجم قسماً من المجلّد الثالث من التأليف المذكور ولم يكمله بل أتمّه المطران اسطفانوس عواد السمعاني الآتي ذكره وألف مقالات ناقش بها يوحنا كوكليوس دلبرون في النوافير (رتب القدّاس) الشرقية. وله مقالة مسهبة في الرد على ريناودوسيوس في كلامه على بعض النوافير المنسوبة إلى بعض ذوي البدع وانسربت بين كتب الموارنة وليس فيها شيء يخالف المعتقد الكاثوليكي. وقد ذكر

له هذه المقالة المطران اسطفانوس عواد السمعاني في كتابه فهرست الكتب الشرقية في المكتبة الماديشية (صفحة ٨٢ كتاب ٤٣) وقال إنّ هذه المقالة لم تطبع بعد. ولبطرس مبارك أيضاً ما ذكرناه من ترجمة كتب البطريرك اسطفانوس الدويهي العربية إلى اللاتينية وقد وضع المطران اسطفانوس عواد السمعاني ترجمة بطرس مبارك ونشرها باللاتينية في المطبعة الواتيكانية ونأسف لعدم اطّلاعنا على هذه الترجمة إذ لا بدّ أنها اشتملت على ذكر ما لا نعلمه من سيرة هذا الأب العالم العامل الذي يتفاخر به اليسوعيون ويحسبونه من كبار علمائهم وعلى كتب أخرى له فاتنا العلم بها.

عد ٩١

المطران جرجس بنيمين والخوري اندراوس اسكندر

أمّا المطران جرجس فهو ابن سركيس عبيد من إهدن تخرّج بدرس اللغات والعلوم في مدرسة الموارنة برومة وصير كاهناً ثمّ رقاه البطريرك اسطفانوس الدويهي إلى أسقفية إهدن في ٢٧ آب سنة ١٦٩٠م ويسمى المطران جرجس بنيمين واشتهر بغيرته على خلاص النفوس بعلومه ولاسيما مواعظه حتى لقّب «الكاروز». وأنشأ بقرية زغرتا مدرسة وكنيسة وعيّن لهما دخلاً كافياً لنفقة مغلمين، ثمّ سلّم المدرسة إلى الآباء اليسوعيين بناءً على أن يقيموا بها معلّمين ويمارسون أعمال الرسالة في كنيسة زغرتا كما سيجيء في الكلام على هذه المدرسة. واعتزل الأسقفية وانضوى إلى جمعية الآباء المذكورين وأقام بمدرسة طائفتنا برومة مشتغلاً بتمرين طلبتها على عمل الرسالات والقاء المواعظ وإليك ما قاله آباء المجمع اللبناني بحقّه: «ونثني ثناءً حسناً على غيرة الأخ المحترم المطران جرجس بنيمين الاهدني الطائر السمعة علماً وعظةً بكلمة الله، وكفى به رجلاً أنّه اعتزل مقام الحبرية اتضاعاً منه وانتظم في سلك الرهبانية اليسوعية الجليلة، وأقام بإذن رؤسائه بمدرسة طائفتنا المارونية الرومانية حيث كان فيها طالباً، وهناك هو باذل قصارى جهده في تمرين الطلبة الذين أُتقنوا معرفة الطقس وفن الترتيل واللغتين السريانية والعربية على الوعظ وأعمال الرسالة المقدّسة، وهو إذ كان مطراناً أنشأ في قرية زغرتا مدرسة وكنيسة وعيّن لهما دخلاً كافياً لمعاش معلّم، وتوطيداً لدعائم هذه المدرسة. وإتقاناً لإدارتها عهد بتدبيرها إلى

الآباء اليسوعيين». ونعرف له من التآليف كتاباً بالعربية اشتمل على تفنيد كل البدع المشهورة ولا نعلم الآن متى كانت وفاته لكننا نعلم أنّه كان حيّاً في ٣٠ أيلول سنة ١٧٣١م إذ زار بيت العذراء بلوراتا وأعطى حينئذٍ تقريراً في شأن هذا البيت.

وأمّا الخوري اندراوس اسكندر فقد ولد ونشأ بجزيرة قبرص ودرس اللغات والعلوم في مدرسة الموارنة برومة ونبغ فيها وبرع ثمّ رقي إلى درجة الكهنوت وسمّي خوري الكنيسة البطريركية، واستخدمه الأحبار الأعظمون في جمع الكتب القديمة الشرقية إلى مكتبة الواتيكان، ونرى العلّامة السمعاني ذاكراً كتباً كثيرة فيها مبيناً أنّ الخوري اندراوس اسكندر القبرصي جلبها إلى هذه المكتبة، وفاز بمرتبة صكاك أو مسجّل رسولي من الطبقة الأولى، وأقيم معلماً للغة العربية في المدرسة الكلية المعروفة في رومة بمدرسة السابيانسا أي الحكمة وأستاذ اللغات الشرقية وترجمانها لدى الكرسي الرسولي ومجمع نشر الإيمان المقدّس ونعرف من تأليفه مقالة في ترجمة القديس مارون وثبات الموارنة الدائم في الإيمان الكاثوليكي بالإيطاليانية ومقدّمات علّقها على كتاب القدّاس بموجب رتبة طائفتنا الذي طبع تحت مناظرته سنة ١٧١٧م برومة.

ومن مبرّاته وقفه كل ما أحرزه من المال على مواطنيه الموارنة سكان جزيرة قبرص بموجب وصيّته المدوّنة في ذيل المجمع اللبناني صفحة ٧٢ من الطبعة الحديثة وملخّصها: «إنّ الخوري اندراوس اسكندر الماروني الصكاك الرسولي من الطبقة الأولى... لما رأيت الحاجة الروحية في أبناء طائفتي المارونية سكّان جزيرة قبرص وطني العزيز عمدت أن أعيضهم عما لم أستطع عمله بنفسي لإقامتي برومة بخدمة الكرسي الرسولي قياماً بما توجبه علي نذوري التي أبرزتها بمدرسة الموارنة برومة، فتركت مبلغ ستمائة ريال روماني بباريس تحت يد رئيس الرسالات العام لليسوعيين في هذه المدينة، وإرادتي هي أن يصرف ريع هذا المبلغ في بدل راتب سنوي لتلميذ ماروني قبرصي يتعلّم في مدرسة عينطورا تحت نظارة الآباء اليسوعيين، وإذا تعذّر وجود تلميذ ماروني قبرصي فيصرف الريع المذكور عندئذٍ لمرسل في جزيرة قبرص من تلامذة مدرسة رومة أو مدرسة عينطورا أو من إحدى الرهبانيات المارونية يقيم هناك لتعليم الأحداث ومزاولة أعمال الرسالة وإذا تعذّر هذا أيضاً فأريد أن يصرف الريع المذكور في شراء أثاث وآنية مقدّسة توزع على كنائس قبرص المارونية بمعرفة مطران الجزيرة المذكورة، وإذا بطلت مدرسة عينطورا لداعٍ ما فأريد أن يحفظ هذا

الريع من رأس المال بيد الرئيس العام المذكور ويدفع الريع كل سنة إلى رئيس مدرسة الموارنة برومة ليصرفه بمعرفة وكيل السيّد البطريرك في سبيل حاجات كنائس قبرص لمعاش معلّم أو مرسل فيها أو لشراء آنية مقدّسة لها واسأل السيّد البطريرك ومطران قبرص الماروني أن يتوفرا بتنفيذ وصيّتي هذه على الأوجه المبيّنة فيها. ولما كنت قد شريت ستة محلات في رومة بمبلغ سبعمائة واثنين وستين ريال دخلها كل سنة ثمانية عشر ريالاً رومانياً فأريد أن أحفظ لنفسي هذا الدخل ما دمت حياً، ومتى مت فوكيل السيّد البطريرك يستلم الدخل وينفقه حسنة اثني عشر قداساً عن نفسي ونفس والدي في كنيسة مدرسة الموارنة برومة، منها أربعة قداسات في أعياد القديس, مارون وأحد الشعانين وانتقال العذراء والقديس يوحنا الإنجيلي، والثمانية الباقية تقدّس في آحاد وأعياد على اختيار رئيس المدرسة، وما فضل عن حسنة القداسات يرسله وكيل البطريرك لمعاش تلميذ أو كاهن ماروني يقيم بقبرص لمباشرة التعليم والرسالة وإذا تعذّر ذلك فيشرى بقيمة الدخل أثاث لكنائس قبرص. وأريد أن يحفظ ذكر دائم لوثيقتي هذه فتحفظ نسخة منها بمدرسة الموارنة وأخرى عند رهبان الموارنة في دير القديسين بطرس ومرشلين، وأخرى عند وكيل السيّد البطريرك، ونسخة في خزانة البطريركية. دوّن في ١٥ آب سنة ١٧٣٤م والتوقيع الخوري اندراوس اسكندر القبرصي الماروني، وشهود هذه الوثيقة جرجس بنيمين مطران إهدن سابقاً، الأب يواصاف دبسي رئيس دير القديسين بطرس ومرشلين. اشعيا جاماتي الدمشقي الماروني ميخائيل لويس دي لوقا الماروني من قبرص» ولم نعثر إلى الآن على ما ينبئنا في أي سنة توفي بعد تاريخ وصيته هذه.

عد ٩٢

العلّامة الشهير الخوري بطرس التولاوي

ولد هذا العلّامة سنة ١٦٥٧م ونشأ بقرية تولا ببلاد البترون من بيت زيتو وربّما كان الصحيح من بيت زيتون، وقد ذكر هو نسبه في مقدّمة كتاب تأملاته فقال إنّه عبدالله بن بطرس بن اسحق التولاوي البتروني، وأرسله البطريرك جرجس البسبلي إلى مدرسة الموارنة برومة سنة ١٦٦٨م لاقتباس العلوم إذ كان عمره إحدى عشر سنة، فتخرّج بهذه المدرسة بالعلوم والفنون فنبغ وفاق أقرانه وعاد إلى لبنان

حائزاً شهادة الملفنة سنة ١٦٨٢م، فرقاه فيها البطريرك اسطفانوس الدويهي إلى درجة الكهنوت على مذبح كنيسة العذراء بدير قنوبين الكرسي البطريركي، ثمّ أرسله سنة ١٦٨٥م إلى حلب واعظاً ومعلماً فاشتهر فيها بعلومه وذكائه حتى كان العلماء المسلمون أنفسهم يجلونه ويتهيبونه بل يستفتونه في مسائل فقهية أيضاً، لأنّه درس الفقه الإسلامي وكان فيه من المبرزين المجتهدين. ويروون عنه عدّة فتاوى بديعة كان يعتمد في بعضها على علم الطبيعيات الذي كان بارعاً فيه، ونما عرف قداسته وتقواه فكان يقصده القاصي والداني للاستفادة بمشورته الصالحة وللاغتراف من كنز علومه، ورقاه المطران جبرائيل البلوزاوي مطران حلب وقتئذٍ إلى مقام خوري بردوط ورأسه على كهنة حلب سنة ١٦٩٨م وأقام مدرسة مسيحية لا تنحط عن مدارس حلب الإسلامية الشهيرة في ذلك العصر، وتتلمذ له كثيرون فنبغوا واشتهروا وعدُّوا من علماء النصارى المشاهير منهم العلّامة المطران جرمانوس فرحات الذي رأيت ترجمته، والمطران عبدالله قرألي مطران بيروت والمطران جبرائيل حوا مطران قبرص، والقس عبد المسيح لبنان، والقس عطاالله ونده، والشماس عبدالله زاخر، والخوري نيقولاوس الصائغ الملكيان الكاثوليكيان، ومكرديج الأرمني وغيرهم من العلماء المسيحيين الحلبيين في ذلك العصر.

وكان مع ذلك مدمناً الوعظ وارشاد النفوس مشهوراً فيهما بالفصاحة والبلاغة تغص الكنائس بالمتقاطرين لسماع وعظه من كل ملّة، ويقصده لينعم بارشاده كل من رغب في الخلاص والتقوى، وهو لا يبرح مكباً على التأليف والتصنيف. فنعرف من تأليفه بالعربية كتاب «المنطق» مشهوراً باسمه وكتاب غراماطيق للغة السريانية وكتاب «مجموع المجامع المارونية» و«مجموعة دعوى المرسلين» و«ترجمة القديس توما الكمبيسي» و«أخبار المجمع التريدنتي» و«رسالة في عبادة الوردية» وكتاب «ردّ على قضايا الروم الخمس» و«ترجمة تأمّلات توما الكمبيسي» و«تعريب أعمال المجمع التريدنتي» وكتاب «مواعظه» في مجلّدين و«كتاباً في الالهيات أو علم ما وراء الطبيعة» و«كتاباً في الطبيعيات» و«كتاباً في اللاهوت الاعتقادي» في خمسة أجزاء وكتاباً سماه «مرآة النفوس في عمل الرياضات الروحية» إلى غيرها من كتب مواعظ وتأمّلات روحية ومقالات ورسائل وفتاوى في الفقه الكنسي والعالمي. وأدركته المنية في سنة ١٧٤٥م ومضى ينال ثواب جهاده ومبرّاته خالداً في الجنان.

عد ٩٣

ترجمة العلّامة يوسف سمعان السمعاني

كان من الأسرة السمعانية عدّة مشاهير في هذا العصر منهم المطران يوسف شمعون السمعاني، رقاه البطريرك اسطفانوس الدويهي إلى أسقفية طرابلس في ١٤ تموز سنة ١٦٧٥م، وتوفي في ١١ كانون الأوّل سنة ١٦٩٥م، وهو عم صاحب الترجمة، وله تأليف في علم الذمّة. ومنهم البطريرك يعقوب عواد والبطريرك سمعان عواد المار ذكرهم. والذي فاق كل من تقدّمه أو اشتهر بعده من هذه الأسرة وغيرها إنّما هو العلّامة المونسنيور يوسف سمعان السمعاني رئيس أساقفة صور حلية دهره وفريد عصره، ونأخذ ترجمة هذا النابغة المنقطع النظير عن سجل حرر عند موته وحفظ في خزانة كنيسة القديس بطرس الكبرى برومة صندوق ٢٢ رزمة ٢٧، استنسخ لنا نسخة منه المرحوم الخوري يوسف السمعاني عند وجوده برومة بداعي المجمع الفاتيكاني سنة ١٨٦٩م مصادقاً عليها أنّها طبق الأصل المحفوظ في الكنيسة المذكورة من الأب أنريكوس دي بليني أحد الخوارنة الموظفين بهذه الكنيسة، ومتسلّمي خزاينها فكلامنا في ترجمة هذا العلّامة وتعداد مؤلفاته هو ترجمة هذا السجل.

ولد يوسف سمعان السمعاني السرياني الماروني في طرابلس الشام (هو من حصرون ولكن فريق من سكان هذه القرية يصرفون مدّة من السنة في حي بطرابلس يسمى حارة الحصارنة من زمان مديد) في ٢٧ تموز سنة ١٦٨٧م من أسرة حسيبة ورباه منذ حداثته تربية تقوية عمّه يوسف السمعاني مطران طرابلس، وكان رجلاً ورعاً مشهوراً بعلمه وأرسله صغيراً عمره ثماني سنين إلى مدرسة الموارنة برومة فبرع بالعلوم الإلهية والبشرية براعة دلّت على ما سيكون له من رفيع المقام بين العلماء، ولمّا أتمّ دروسه واستعدّ للرجوع إلى وطنه عهد إليه البابا اكليمنضوس الحادي عشر أن يصنع فهرستاً لاتينياً للكتب الشرقية المخطوطة التي كان نسيبه الياس السمعاني رئيس كهنة الكنيسة الأنطاكية قد أرسلها عن قرب إلى المكتبة الواتيكانية وان يلخّص فحاويها، فأتمّ ما عهد إليه به الحبر الروماني بأحسن أسلوب وعلّق على الكتب المذكورة حواشي نفيسة وكثيرة موعبة بالفقاهة والفوائد جعلت البابا يراه أهلاً لأن يعين مترجماً للكتب العربية والسريانية والكلدانية التي في

المكتبة الواتيكانية، وأقامه على ذلك في ١٠ آذار سنة ١٧١٠م. وفي ٤ تموز في السنة المذكورة نال رتبة الملفنة في الفلسفة واللاهوت ثمّ سمّي مستشاراً في اللجنة التي أقامها البابا المذكور لاصلاح الأسفار المقدّسة التي يستعملها الشرقيون. وفي سنة ١٧١٥م أرسله الكرسي الرسولي إلى الشرق إجابةً لطلب نسيبه يعقوب بطرس عواد بطريرك أنطاكية للتفتيش على الكتب المخطوطة الشرقية فأتى منها إلى رومة بكتب وافرة العدد من كل ناحية من سورية ومصر وكان منها مادة غزيرة نوضع مؤلفه الشهير الموسوم بالمكتبة الشرقية الاكليمنضوسية الواتيكانية.

وفي ٣٠ من شهر أيلول سنة ١٧٣٠ سماه البابا اكليمنضوس الثاني عشر حافظاً ثانياً للمكتبة الواتيكانية، ثمّ في ٣ من كانون الثاني سنة ١٧٣٩م خلف كرلوس ما يولي مطران حمص في الرئاسة على هذه المكتبة، فعكف بغيرة لا يعروها ملل على إتمام هذه الخطة إلى حين وفاته مجدياً على العلم بفوائد لا تقدّر، تدلّنا على ذلك المؤلفات الكثيرة التي ألّفها أو جعل غيره من العلماء يؤلفونها. وكان منذ ١٢ كانون الأوّل سنة ١٧١٣م قد سُمّي اكليريكياً ذا جعل في كنيسة زعيم الرسل الكبرى برومة ثمّ رقي إلى درجة الكهنوت في ٢١ تموز سنة ١٧١٩م خادماً النفوس في هذه الكنيسة إلى أن سمّي في ١٦ كانون الأوّل سنة ١٧٣٨م قانونياً في جملة الكهنة القانونيين فيها، ثمّ عيّن مستشاراً في مجمع نشر الايمان المقدّس في مشاغل الكنائس الشرقية، وفي المحاماة عن الإيمان الكاثوليكي ونشره، وسماه البابا اكليمنضوس الثاني عشر في جوقة خدّام غرفته camèriere سنة ١٧٣٢م ثمّ سماه سنة ١٧٣٥م في جوقة رؤساء غرفته Prelat Domestique مع الترخيص باستعمال التاج والعكاز، وقد أرسله البابا المذكور قاصداً إلى طائفته لاصلاح التهذيب البيعي فعقد مجمعاً بلبنان لم يسمع بمثله في الشرق منذ قرون وأتمّ ما قصده البابا على أحسن مما كان ينتظر، ثمّ سماه كرلوس الرابع ملك نابولي وصقلية وهو ملك إسبانيا أيضاً باسم كرلوس الثالث مؤرخاً لمملكة نابولي سنة ١٧٣٩م. وفي السنة التابعة نال أن يحسب من أعيان هذه المملكة كالمولودين فيها.

وكان البابا بناديكتوس الرابع عشر كثيراً ما يستشيره وأدخله في عداد المستشارين في مجمع الفحص المقدّس، فعاون هذا المجمع بكتاباته المتواترة التي كادت تكون في كل يوم وسماه البابا اكليمنضوس الثالث عشر عضواً في الديوان المعروف بديوان التوبة في ٢٤ أيلول سنة ١٧٥٩م، ثمّ سمّاه مهرداراً أي حافظ

الختم في ١ شباط سنة ١٧٦١م، ثمّ رقي إلى مطرانية صور في ١ كانون الأوّل سنة ١٧٦٦م ولما كان قد بلغ من العمر إلى الحادية والثمانين صرفها في ممارسة الفضائل والجهاد واكتساب محبّة الجميع واعتبارهم رقد بالرب في ٣١ كانون الأوّل سنة ١٧٦٨م برومة متزوداً بالأسرار المقدّسة التي طلبها، ودفن في كنيسة القديس يوحنا الإنجيلي بمدرسة الموارنة ونقش على صفيحة ذكراً لهذا الرجل ملخّص ما رويناه من ترجمته».

عد ٩٤
مؤلفات السمعاني

إنّ ما سنذكره في هذا الفصل أيضاً هو مترجم عن السجل الواتيكاني السابق ذكره «مؤلفات يوسف سمعان السمعاني مطران صور التي طبعت إلى الآن».

المكتبة الشرقية الاكليمنضوسية الواتيكانية وهي تشتمل على ذكر الكتب المخطوطة السريانية والعربية وتنسيقها وترجمة كل مؤلف من مؤلفيها وتراها مقسّمة في أربعة مجلّدات المجلّد الأوّل في المؤلفين السريان الكاثوليكيين طبع برومة في مطبعة نشر الإيمان سنة ١٧١٩م، المجلّد الثاني في المؤلفين السريان المونوفيزيتيين أي أصحاب الطبيعة الواحدة، المجلّد الثالث في المؤلفين السريان النساطرة، المجلّد الرابع في السريان النساطرة ومقالة في السريان أصحاب الطبيعة الواحدة.

كتاب في استعمال كهنة الروم أو غيرهم من الكهنة الشرقيين سر التثبيت، طبع برومة بمطبعة القاعة الرسولية سنة ١٧٢٥م.

التاريخ الشرقي لبطرس الراهب المصري قد ترجم هذا الكتاب أوّلاً ابراهيم الحاقلي من العربية إلى اللاتينية، ثمّ أعاد ترجمته يوسف السمعاني وألحق به أربع مقالات، طبع بالبندقية سنة ١٧٣١م.

مونولوجيون أي سنكساري الروم نشر أوّلاً باليونانية بأمر الملك باسيليوس ثمّ طبع باليونانية واللاتينية مقسوماً إلى ثلاثة أقسام: القسم الأوّل يشتمل على قصص القديسين في أيلول وتشرين الأوّل وتشرين الثاني، والقسم الثاني على قصصهم في كانون الأوّل وكانون الثاني وشباط، وهذا القسم ترجمه البابا اكليمنضوس الحادي

عشر قبل ارتقائه إلى الحبرية العظمى، والقسم الثالث يشتمل على قصصهم في الأشهر الستة الباقية وهذا القسم ترجمه يوسف سمعان السمعاني وأعاد النظر في ترجمة القسمين السابقين، وطبع باوربان سنة ١٧٢٧م.

مؤلفات القديس افرام السرياني اليونانية ترجمها يوسف سمعان السمعاني إلى اللاتينية في ثلاثة مجلّدات، وعلّق عليها مقدّمات وحواشي وفهرستاً لجميع مؤلفات القديس افرام المطبوعة أو المخطوطة الموجودة في المكتبات. طبعت هذه الترجمة برومة بمطبعة الواتيكان سنة ١٧٣٢ وسنة ١٧٤٧م.

مقالة له قدّمها إلى الكردينال انبيال رئيس أساقفة البانو في القديسين بونيفاشيوس وريدمتون وأوطيخوس الكاهن الشهيد طبعت برومة ١٧٤٨م.

غراماطيق أي كتاب نحو اللغة اليونانية طبع باوربان في جزئين.

تأبين لفريدريك أغوسطوس الثاني ملك بولونيا ألقاه في كنيسة القديس اكليمنضوس برومة في ٢٢ أيّار سنة ١٧٣٣م وطبع بمطبعة الواتيكان.

تأبين ألقاه في كنيسة الواتيكان الكبرى في ٢٢شباط سنة ١٧٣٠م في جناز البابا بناديكتوس الثالث عشر وطبع برومة سنى ١٧٣٢.

خطبة في انتخاب الحبر الروماني ألقاها للكرادلة الكلييّ السموّ في كنيسة الواتيكان الكبرى وطبعت سنة ١٨٤٠م.

براءة رسولية باسم البابا أكليمنضوس الثاني عشر أثبت بها نظام تدبير المكتبة الواتيكانية والمحافظة على كتبها وكان السمعاني رئيس المكتبة المذكورة قد جمع قوانين هذا النظام وطبعت بالمطبعة الواتيكانية سنة ١٧٣٩م.

أعمال المجلس البابوي الذي عقده البابا بناديكتوس الرابع عشر في ١٣ تموز سنة ١٧٤٤م لتثبيت سمعان بطرس عواد بطريركاً على أنطاكية مع رسالة منفذة من البطريرك والأساقفة إلى امام الأحبار المشار إليه طبعت في مطبعة نشر الإيمان المقدّس سنة ١٧٤٤م.

أعمال المجلس البابوي الذي عقده البابا بناديكتوس الرابع عشر في ٢٦ تشرين الثاني سنة ١٧٤٢م لتثبيتة انتخاب بطرس ورتبت بطريركاً على أرمينيا وكيليكيا ومنحه درع الرئاسة، طبعت في مطبعة مجمع نشر الإيمان المقدّس سنة ١٧٤٢م.

أعمال المجلس البابوي الذي عقده البابا بناديكتوس الرابع عشر في ٢٨ آذار سنة ١٧٥٧ لتثبيت البطريرك طوبيا الخازن في بطريركية الموارنة الأنطاكية وإيلائه درع الرئاسة، طبعت بمطبعة نشر الإيمان المقدّس سنة ١٧٥٧م.

قوانين وفرائض الرهبان السريان الموارنة اللبنانيين أنشأها هذا العلّامة بالعربية واللاتينية وعلق في فاتحتها رسالة عربية إلى الرئيس العام والرهبان ضمّنها الكلام على أصل رهبانية القديس أنطونيوس الكبير في سورية وجبل لبنان وانتشارها فيهما. طبعت برومة.

وله رسالة عربية إلى الرئيس العام والرهبان المنسوبين إلى القديس أشعيا في أصل الرهبان في جبل لبنان طبعت برومة سنة ١٧٤١م.

وله رسالة إلى الرئيس والراهبات الملكيات الباسيليات في أصل الراهبات الباسيليات بسورية وجبل لبنان طبعت برومة بمطبعة مجمع نشر الإيمان سنة ١٧٦٤م.

كلندريات الكنيسة كلّها يشتمل على أسماء القديسين وصورهم وأيّام أعيادهم مأخوذة عن التماثيل والصور والكتب القديمة المخطوطة طبع برومة من سنة ١٧٥٠ إلى سنة ١٧٥٥م في ستة مجلّدات بقطع ربع.

مجموعة المؤرخين الإيطاليين مأخوذة عن كتب مخطوطة في المكتبة الواتيكانية وغيرها من المكتبات علّق عليها مقدّمات وحواشي طبعت برومة سنة ١٧٥١ إلى سنة ١٧٥٣م في أربع مجلّدات قطع ربع، وفيها شروح وافية في تاريخ مملكتي نابولي وصقلية.

مكتبة الناموس الشرقي الكنسي والمدني في خمسة مجلّدات: المجلّد الأوّل يشتمل على مجموعة لقوانين كنيسة الروم طبع برومة سنة ١٧٦٢م قطع ربع، المجلّد الثاني يشتمل على دستور الحقوق المدنية في كنيسة الروم طبع برومة سنة ١٧٦٢م بالقطع المذكور، المجلدات الثالث والرابع والخامس تشتمل على حاشية على دستور الحقوق البيعية والمدنية في كنيسة الروم طبعت برومة سنة ١٧٦٣ وسنة ١٧٦٤ وسنة ١٧٦٩م بالقطع المذكور.

وله رسالة عربية إلى الرئيس العام والرهبان الروم الملكيين الباسيليين في أصل

أديار الرهبان الباسيليين وانتشارها في الكبادوك وسورية وجبل لبنان، طبعت بمطبعة مجمع نشر الإيمان سنة ١٧٥٨م.

وله أيضاً ما يأتي ذكره من المؤلفات المخطوطة بعضها كان كاملاً وبعضها مبتدئاً فيه، فأبادها حريق وقع في غرفة مكتبته وفي مكتبة اسطفانوس عواد السمعاني مطران حماة في المخادع التي بجانب المكتبة الواتيكانية في ٣٠ آب سنة ١٧٦٨م.

المجلّد الخامس من المكتبة الشرقية يشتمل على التّرجمات السريانية والعربية للأسفار المقدّسة. المجلد السادس في كتب السريان البيعية. السابع في مجموعات المجامع السريانية. الثامن في مجموعات المجامع العربية. التاسع في ترجمات كتب المؤلفين اليونان إلى السريانية والعربية. العاشر في المؤلفين العرب النصارى. الحادي عشر والثاني عشر في المؤلفين المسلمين.

تكملة مؤلفه كلندريات الكنيسة كلّها: المجلّد السابع في كلندريات اليونان والروم. المجلّد الثامن في الكلندريات القديمة عند السريان والموارنة واليعاقبة والنساطرة. التاسع في الكلندريات القديمة عند الأرمن. العاشر في الكلندريات القديمة عند المصريين والأحباش. الحادي عشر والثاني عشر في الكلندريات القديمة عند اللاتينيين.

وقد أتمّ مؤلّفه مجموعة المؤرخين الإيطاليين المطبوعة في أربعة مجلّدات بالمجلّدات الآتية: المجلّد الخامس والسادس في المؤلفين القدماء من مملكتي نابولي وصقلية. المجلّدات السابع والثامن والتاسع والعاشر تشتمل على ما بين أحوال نابولي وصقلية ويليها بيان أحوال غيرهما من نواحي إيطاليا كمملكة لمبردية وأمريات رومة وسيولاتو وتوسكانا وغيرها.

وله مؤلف آخر في صور القدّيسين وذخائرهم: المجلّد الأوّل في صور القديسين الفسيفسية (أي المنقوشة بالفسيفساء) والمصوّرة أو المنحوتة المحفوظة في الكنائس القديمة في الشرق والغرب. الثاني في صور القديسين المحفوظة في الكتب القديمة اللاتينية واليونانية والكتب الشرقية. الثالث في صور سيّدنا يسوع المسيح. الرابع في صور العذراء أم الله المكرّمة في الشرق والغرب. الخامس في الأماكن المقدّسة بفلسطين وفي ذخائر سيّدنا يسوع المسيح والعذراء القديسة. إنّ قسماً من المجلّد

الأوّل من هذا التأليف أشهره يوحنا بوتاريوس في مقالة نيقولاوس اليماني في أخربة لاتران المطبوعة سنة ١٧٥٦م من صفحة ١٣٥ إلى صفحة ٢٠١، وقسم آخر كبير من هذا التأليف نجا من الحريق وهو محفوظ بيد ورثة السمعاني المؤلف.

وله أيضاً تأليف وترجمة مجمع الموارنة اللبناني الذي عقده البطريرك يوسف الخازن وأساقفة ورؤساء الموارنة سنة ١٧٣٦ بجبل لبنان برئاسة السمعاني القاصد الرسولي من قبل البابا اكليمنضوس الثاني عشر، وقد أنشأه بالعربية وترجمه إلى اللاتينية. والنسخة اللاتينية التي أثبتها البابا بناديكتوس الرابع عشر محفوظة في خزانة أوراق مجمع نشر الإيمان المقدّس. والنسخة العربية التي عورضت بالأصل فوجدت مطابقة له نجت من الحريق وهي بيد ورثة السمعاني.

وله أيضاً أوخاليجيون الكنيسة الشرقية وهو يشتمل على الطقوس ورتبة القدّاس والفروض البيعية ورتب الأسرار والتكريسات والبركات مضافاً إليها شروح من علماء شرقيين وغربيين غير مطبوعة قبلاً. وهذا التأليف مقسوم إلى سبعة كتب: الأوّل في أوخاليجيون السريان المارونية. الثاني في أوخاليجيون الكنيسة السريانية اليعقوبية. الثالث في هذه الرتب في الكنيسة السريانية النسطورية. الرابع فيها في الكنيسة الملكية. الخامس فيها في الكنيسة الأرمنية. السادس فيها في كنيسة القبط المصرية. السابع فيها في كنيسة الأحباش.

وله أيضاً مؤلف في مجامع الكنيسة الشرقية مقسوم في ستة مجلّدات وأكثرها لم يشهر قبلاً كلّه أو بعضه وهو مأخوذ عن كتب شرقية مخطوطة: المجلّد الأوّل في مجامع الكنيسة السريانية المارونية.. الثاني في مجامع الكنيسة الكلدانية النسطورية. الثالث في مجامع السريان اليعاقبة. الرابع في مجامع الأقباط. الخامس في مجامع الأرمن. السادس في مجامع الروم والالبانيين والروتانيين.

وله أيضاً تسعة كتب في التاريخ الشرقي: الكتاب الأوّل في السريان الموارنة. الثاني في الروم الملكية. الثالث في الدروز والنصيرية. الرابع في المسلمين. الخامس في القبط. السادس في السريان اليعاقبة. السابع في الأحباش. الثامن في السريان النساطرة. والتاسع في الأرمن.

وله تسعة كتب في تاريخ سورية القديمة والحديثة: الكتاب الأوّل في وصف سورية بالإيجاز. الثاني في فلسطين. الثالث في فينيقيا. الرابع في سورية وسورية

المجوفة وسورية الفراتية. الخامس في ما بين النهرين. السادس في أشورية أي بلاد الأشوريين وهي العراق. السابع في كيليكيا. الثامن في العربية أي بلاد العرب. التاسع في جزيرة قبرص. ثمّ إنّ الكتابين الثامن والتاسع وقسماً من الكتب نجت من الحريق وهي بيد ورثة السمعاني.

وله أيضاً مقالة لاهوتية في صحّة الرسامات التي يباشرها أساقفة مصر ومقالات أخرى وتقريرات ومباحث في مواد شتى وحل مشاكل موردة من نصارى الشرق ومحولة إليه من مجمع نشر الإيمان المقدّس ومجمع الفحص، ولم تزل أصولها محفوظة في خزائن المجمعين المذكورين ولو جمعت لتألف منها عدّة مجلّدات ضخمة.

وله أيضاً غراماطيق سرياني مطوّل ألّفه بالعربية ووضع عليه الحركات السريانية نجا من الحريق وهو باقٍ عند الورثة، وله أيضاً كتاب منطق بالعربية نجا من الحريق وهو بيدهم أيضاً.

وله أيضاً كتاب في الالهيات أي علم ما وراء الطبيعة بالعربية وكتاب لاهوت اعتقادي بالعربية وكتاب في تفسير الآيات الغامضة في العهدين القديم والحديث. ولهذه المؤلفات عدّة نسخ باقية إلى الآن. «هذا ختام ما جاء في السجل الواتيكاني».

ومن كتابه الأخير وهو تفسير الآيات الغامضة الخ. مخطوطة في مكتبة بطريركية الموارنة ولا أعلم لماذا أغفل كاتب السجل المذكور ذكر كتب أخرى للسمعاني ولا نشك في أنّه مؤلّفها. منها فهرست الكتب الشرقية القديمة المخطوطة في المكتبة الواتيكانية الذي ألّفه بمعاونة ابن أخته اسطفانوس عواد السمعاني. ومنها كتابه في البطريركيات الأربع وبطاركتها الذي ألّفه بالعربية بمعاونة البطريرك سمعان عواد وهما يدرسان معاً برومة. ولهذا الكتاب الأخير عدّة نسخ ومنها كتاب في اللاهوت الأدبي ألّفه بالعربية موسوماً بشرح الوصايا العشر ونسخته الأصلية في مكتبة الرهبان الموارنة برومة.

وقد أشار السمعاني في بعض كتبه الباقية إلى بعض كتبه المفقودة فقال في كتابه كلندريات الكنيسة (مجلّد ١ صفحة ٣٠١): «وتركت جانباً طبع هذا الكتاب لأشتغل في تكملة بعض كتب كنت قد بدأت فيها أخصّها: «كتاب سورية القديمة والحديثة» وكتاب «تاريخ المجامع» وكتاب «رتب نصارى الشرق»

الذين انقسموا منذ قرون إلى سريان وملكية وأرمن وقبط ولأشتغل أيضاً بما يتعلّق بتاريخ إيطاليا وفقهائها وسأشهر عن قرب فهرستاً دالّاً على ذلك». إلى أن قال بعد ذلك إنّه يلزمه أن يتم كتابه كلندريات الكنيسة ليتفرّغ لجمع المواد اللازمة لكتابه في صور القديسين. وقال في آخر كتابه التاريخ الشرقي: «وكان في عزمي أن ألحق بذلك تاريخ بطاركة السريان الملكية والموارنة والنساطرة وتاريخ الأرمن والجركس والأحباش ولكن رأيت أنّ سلسلة تاريخية مدققة لا يمكن إلحاقها بتاريخ للخلفاء والسلاطين والمسلمين لكنني لتكلملة ما عزمت عليه سوف أستعين بالكتب السريانية والعربية المأتي بها حديثاً إلى المكتبة الواتيكانية. ولـمّا كان طابع هذا التاريخ يلحّ عليّ بتكملة طبعه أجلت إلى وقت آخر تكملة هذا التاريخ الشرقي». وقد أشار إلى تآليف أخرى في المجلّد الأوّل من المكتبة الشرقية إذ قال: «والمجلّد الرابع سوف يشتمل على ذكر المؤلفين اليونان واللاتينيين وغيرهم المترجمة مؤلفاتهم إلى السريانية سواء كانوا كاثوليكيين أم من أولي البدع ... وسلسلة البطاركة السريان الموارنة والملكية واليعاقبة والنساطرة مأخوذة عن الكتب المخطوطة بالمكتبة الواتيكانية». فأعجب بهذا الرجل الذي يعجز رجل وإن مغرماً، بالمطالعة عن أن يقرأ في حياته ما ألّفه هو في أوقات فراغه من باقي أعماله.

عد ٩٥
اعتبار الأحبار الأعظمين للعلامة السمعاني

يدلنا على علو منزلة هذا النابغة العلّامة حقيقة عند الأحبار الأعظمين الذين كانوا في أيّامه ما أولوه إياه من المناصب الرفيعة والوظائف العالية المتقدّم ذكرها، وما أجلوه به من التقاريظ المشرفة، فنرى البابا اكليمنضوس الثاني عشر قد عنون رسالته المؤرخة في ٢٦ تشرين الثاني سنة ١٧٣٥م التي أقامه بها قاصداً من لدنه لعقد المجمع اللبناني بهذا العنوان: «إلى الابن الحبيب يوسف سمعان السمعاني أحد رؤساء بلاطنا ونجينا وجليسنا الملازم لنا». وقال في حقّه في براءته إلى البطريرك يوسف الخازن المؤرخة في ٢١ تشرين الثاني سنة ١٧٣٥م: «إنّنا موجهون إليك بعاطفة الحب وفقاً لطلبك منا قاصداً من قبلنا وهو الابن الحبيب يوسف سمعان السمعاني المومأ إليه من له في مدينتنا الشريفة هذه ذكر طنان مذ عدّة سنين

لاشتهاره بالتقى والدراية والعلم والخبرة بشؤون الشرقيين خصوصاً طائفتك». وقال في رسالته إلى الأساقفة بهذا الخصوص في التاريخ المذكور: «قد تعجّلنا إنفاذ أمرنا إلى الابن الحبيب يوسف سمعان السمعاني حافظ مكتبتنا الرسولية الواتيكانية وأحد رؤساء بلاطنا المشهود له بالصلاح وسداد الرأي والخبرة بشؤون الشرقيين خصوصاً طقوس طائفتكم المعروف عندنا بغير ذلك من الصفات الجليلة والعزيز عليكم والمحبب إليكم». وترى مثل ذلك وأعظم منه في براءة البابا بناديكتوس الرابع عشر في تثبيت المجمع اللبناني المطبوعة في كتاب هذا المجمع.

وقد عثرنا في كتاب المطران اسطفانوس عواد السمعاني فهرست الكتب الشرقية في المكتبة الماديشية على رسالة من البابا بناديكتوس الرابع عشر إلى العلّامة السمعاني لم نكن نعرفها ولا رأينا ذكرها في أحد الكتب إلى الآن فأحببنا أن نثبت ترجمتها في كتابنا هذا إحياءً لذكرها وبياناً لما كان عند الأحبار الأعظمين من علوّ المنزلة ورفيع الشأن لهذا العلّامة المنقطع النظير. ذلك أنّه بعد عقد المجمع اللبناني وسفر السمعاني إلى رومة وسوس بعض أصحاب المآرب المنحرفة إلى البطريرك يوسف ضرغام الخازن وبعض الأساقفة في أن يعترضوا على هذا المجمع ويمنعوا تثبيت الكرسي الرسولي له مدّعين خاصة أنّ فصل الرهبان عن الراهبات في الأديار تحول دونه صعوبات وعقبات، وأنّ لسكنى الأساقفة كل في أبرشيته غوائل ومضارّ والأولى أن يستمروا على ما كانوا عليه من الإقامة جميعاً عند البطريرك، وأرسل المعترضون إلى رومة الخوري ميخائيل الغزيري والخوري الياس سعد البجاني تلميذي مدرسة الموارنة في رومة وأصحبوهما بعرائض الشكوى من رسوم المجمع اللبناني في ما ذكر ومن تصرّفات السمعاني في قصادته، وشاركهم في هذا الاعتراض والتشكي البطريرك كيرلس تاناس بطريرك الملكية الكاثوليكيين، فبلغ الموفدان إلى رومة وأكثرا من التشكي والطعن بالسمعاني، فجمع البابا بناديكتوس الرابع عشر كرادلة مجمع نشر الإيمان وبعد إمعان النظر في رسوم المجمع وفي اعتراضات المعترضين أثبت أعمال المجمع وكلّاً من رسومه في براءته المؤرخة في ١٠ أيلول سنة ١٧٤١م والمثبتة في ذيل المجمع اللبناني. ورغبة في تطييب قلب السمعاني وبياناً لأنّ المطاعن التي لفّقها خصومه تعود عليهم بالعار، وأرسل إليه الرسالة الآتية التي ترجمناها بما أمكن من الدقة:

«إلى الإبن الحبيب يوسف سمعان السمعاني معلّم بلاطنا الرسولي وأستاذ التبليغ

في كلا ديوانينا ورئيس خدام غرفتنا ونجينا الملازم لنا من البابا بناديكتوس الرابع عشر.

«أيّها الابن الحبيب السلام والبركة الرسولية. إنّ ما نعتقده بكم من كرم الأخلاق والتقوى والرغبة في تقدّم الفنون والعلوم المقدّسة خاصّة ليس بحديث عندنا بل قد مضى عليه نحو من ثلاثين سنة، فقد عرفناكم بذلك مذ كنّا في المقامات الصغيرة قبل ارتقائنا إلى السدّة الرسولية والمتاعب الشاقّة التي قاسيتموها في خدمة هذا الكرسي الرسولي والخصال الحميدة التي ما فتئتم تزدادون تجمّلاً بها جعلتنا ننزلكم أرفع منزلة من التوقير عندنا، لا إذ نحن في رومة فقط بل إذ كنّا مقيمين خارجاً عنها أيضاً، ولكي نبدي انعطافنا إليكم نقول إنّ الطيّب الذكر كرلوس مايولي رئيس أساقفة حمص (رئيس المكتبة الواتيكانية قبل السمعاني) الرجل الشهير بعلومه وخدماته للكرسي الرسولي كان يخبرنا وهو حيّ عن تصرّفكم معه مدّة طويلة بالرقة واللطف مثنياً على فقاهتكم بكل فن وحكمتكم وتقاوة سيرتكم وحسن خلوصكم ولطف معاشرتكم له، وأبحاثه معكم إلى أن خلفتم كرلوس المذكور بمرتبة قانوني في كنيسة القديس بطرس الكبرى بروما وبالرئاسة على المكتبة الواتيكانية، فنرى بكم مثالاً لذلك الرجل الشهير ونحبكم كما كنا نحبّه ويضاف إلى ذلك ما تبذلونه من الجهد الذي يكاد خاصّة لا يصدّق ومن العناية التي لا توصف منذ سنين متطاولة في المشاغل الشرقية خاصّةً خدمة لمجامع إخوتنا المحترمين كرادلة الكنيسة الرومانية المقدّسة في مجمع الفحص المقدّس العام ضدّ شر أولي البدع، ومجمع نشر الإيمان المقدّس، وما برحتم تثبتون بذلك ما لكم من الخبرة التامّة والحكمة الوافرة والعناية الكبرى حتى يتولانا السرور العظيم لرؤيتنا أنّكم غانمون الثناء والشكر من الجميع.

ثمّ إنّ ما شهرتموه من المجلّدات الكثيرة في المكتبة الشرقية وفي غيرها من العلوم والفنون قد أكسبكم عند القبائل القاصية أيضاً اسماً عظيماً وشهرة لا تمحوها الأيّام والدهور وقد شملنا مزيد السرور عندما علمنا ونحن في مقام الكرادلة في بونونيا أنّ سالفنا السعيد الذكر البابا اكليمنضوس الثاني عشر وقبله سالفنا الطيّب الذكر البابا اكليمنضوس الحادي عشر قد أرسلاكم إلى أصقاع الشرق لتجمعوا الكتب المخطوطة يونانية وسريانية وعربية وغيرها من اللغات، ثمّ عهد إليكم البابا اكليمنضوس الثاني عشر بالقصادة الرسولية إلى طائفتكم المارونية بطلب مجمع نشر الإيمان المقدّس

لاصلاح ما طرأ على تهذيب طائفتكم من الخلل بمجمع إقليمي يعقده هناك الإخوة المحترمون بطريرك هذه الطائفة وأساقفتها، ولمّا ارتقينا إلى هذه المنصّة الرسولية السامية وكنّا مهتمّين باثبات هذا المجمع وتأييده بالسلطان الرسولي ساءنا كثيراً ما بلغنا من أنّه أوّلاً نشأت اعتراضات ومحاورات في بعض الأمور المتضمّنة في المجمع. ثانياً أنّه انتشرت كتابات مخطوطة بل مطبوعة أيضاً لا تشتمل على إيضاح براهين تلك الاعتراضات والمحاورات أو حجج كاتبيها بل على الطعن والقذف والتنديد مقصوداً بها بجسارة الحطة بقدركم ومقامكم وشخصكم وقد أذاعوها وتداولتها الأيدي. فبعد أن بحثنا عن هذه الأمور وظهرت لنا حقيقتها جليّاً أصدرنا براءة مؤرخة في أوّل أيلول من هذه السنة أبنّا فيها كل ما يلزم بيانه في هذا الشأن وأثبتنا فيها المجمع المذكور بسلطاننا الرسولي وأيّدناه كل التأييد، ورأينا من الصواب والانصاف أن نمحو كل وصمة التحقت باسمكم من الكتابات المذكورة وأن ننزل التأديب بمؤلفيها وأن نعلن أنّها تستحق أن تحرق بالنار لا أن تنشر. ولهذا نبذنا العريضة التي قدّمها أحد الموفدين وبعض المحازبين له باسم أخوينا المحترمين يوسف بطرس بطريرك الموارنة الأنطاكي، واسم كيرلس بطريرك الروم الملكيين الأنطاكي وربّما كان اسمها مزوراً وجل ما حملنا على رذل هذه العريضة هو اشتمالها على الشكوى من أعمالكم والمقاومة لآرائكم، والطعن بكم، ونجلكم بالثناء والمدائح الرسولية ونعلن أنّكم تستحقون خير الجزاء ونصرّح بأنّكم أحسنتم كل الإحسان في تصرّفكم بقصادتكم في المجمع المذكور وأحكمتم بدعوته وأتممتم كل شيء فيه بحسب رغائب الكرسي الرسولي وطبقاً لمقامه السامي، ولما يؤول إلى شرف الطائفة المارونية ونفعها.

فواظب إذاً أيّها الابن الحبيب على مساعيك المشكورة ومتاعبك المبرورة وعلى ما اعتدت عليه من الخدمات الصادقة للكرسي الرسولي لنتفاضل في استيهال المحبّة الأبوية التي نخصّك بها، ومرغوبنا أن تكون متيقّناً أنّنا نتوقّع كل فرصة ووسيلة موافقة لنبدي لك عواطف اعتبارنا وعاطر ثنائنا وخالص تبجيلنا وشكرنا وعربوناً على ذلك نهديكم بركتنا الرسولية مكررة. دوّن برومة في جانب كنيسة مريم الكبرى ممهوراً بختم الصياد ١٤ أيلول سنة ١٧٤١م وهي السنة الثانية لحبريتنا.

عد ٩٦

المطران اسطفانوس عواد السمعاني

هو إبن أخت العلاّمة يوسف سمعان السمعاني تخرّج باللغات والعلوم والفنون بمدرسة الموارنة برومة وارتقى درجة الكهنوت وشهد المجمع اللبناني مع خاله سنة ١٧٣٦م، وكان رقيباً فيه ثمّ رقاه البطريرك يوسف ضرغام الخازن إلى الأسقفية على اباميا. والذي نعرفه من مؤلفاته كتاب في شرح أعمال الشهداء الغربيين والشرقيين لأوسابيوس القيصري في مجلّدين بقطع كامل وكتاب «فهرست الكتب المخطوطة الشرقية في المكتبة الماديشية في فيرانسا» وقد استشهدنا بهذا الكتاب مراتٍ كثيرة وهو كتاب بديع حقاً اشتمل على ذكر خمس مئة وسبعة وثلاثين كتاباً وعلى تراجم أكثر مؤلفيها وعلى فحوى كل منها، وقد أتحفنا بإيراد حواشٍ كثيرة معلّقة على بعض الكتب ولاسيما على كتاب الأناجيل الأربعة القديم جدّاً المخطوط سنة ٥٨٦م، وكان في الكرسي البطريركي الماروني سنين متطاولة، وعلّق عليه البطاركة وغيرهم حواشي نافعة جدّاً استدللنا بها على أمور لم يكن سبيل بغيرها إلى معرفتها، ولم نعلم كيف انتقل هذا الكتاب إلى المكتبة المذكورة. وله أيضاً كتاب «فهرست للكتب التي بمكتبة كيجي» في رومة. وله أيضاً «فهرست الكتب المخطوطة التي في المكتبة الواتيكانية» ألّفه مع خاله العلاّمة السمعاني في ثلاثة مجلّدات وهو بديع أيضاً. وقد أشار إليها في مقدّمات كتابه فهرست الكتب الشرقية في المكتبة الماديشية المار ذكره. وله كتاب «محاماة عن القديس يوحنا مارون» ألّفه بالإيطالية ولم يعرفه باسمه وقد ترجم بعضه أو أكثره إلى اللغة العربية وطبع في المقالات المطبوعة في كتاب المحاماة عن الموارنة. وله أيضاً ترجمة التاريخ السرياني لابن العبري إلى اللغة اللاتينية وألحق به حواشي كثيرة الإفادة وكان يشاء طبعه كما روى عن نفسه في كتاب فهرست الكتب الشرقية بالمكتبة الماديشية صفحة ١٩٧ حث قال بعد ذكر هذا الكتاب وتفصيل ما اشتمل عليه: «وقد ترجمنا إلى اللاتينية كنز الحكمة الشرقية هذا وذيلناه بحواشٍ وسوف نطبعه إن وفّق الله رغبة في تقدّم العلوم». ولا نعلم أنّه طبعه وله أيضاً تكملة ترجمة المجلّد الثالث من كتب القديس أفرام السرياني إلى اللاتينية.

ومن شاء أن يعلم علو منزلة هذا العلاّمة عند علماء الغرب فليطالع الذيل الذي

علّقه طابع كتاب الفهرست المذكور في آخره حيث أبان ما للمؤلف من طول الباع وسعة الإطّلاع والخبرة الكملى بتواريخ الشرق والذكاء المتوقّد والثبات الذي لا يعروه ملل في الأعمال العلمية والفقاهة الذي قلّ أن يكون له نظير فيها، والفضل الجزيل الذي كان له على العلم والعلماء. وقد ذكر له أكثر تآليفه التي أشرنا إليه وزاد على ذلك أنّه كان في عزمه أن يعود ثانيةً إلى فيرنسا ووعد بأنّه سوف يدوّن فهرساً آخر لجميع الكتب الشرقية الكائنة في باقي مكتبات هذه المدينة، وأنّه كان قد نظم الكتب الشرقية الوافرة العدد التي جمعها جبرائيل ماركيو العلّامة في مكتبته الشهيرة وأنشأ لها فهرساً وذيّله بحواشيه وملاحظاته، وأضاف إليه مقالة أبان فيها أنّ القديس مارون الوارد ذكره في كتاب القدّاس السرياني لم يكن مبتدع بدعة المشيئة الواحدة وأنّ أوّل من لفّق هذه التهمة إنّما هو سعيد بن البطريق وفند زعمه وقد توفي هذا العلّامة في سنة ١٧٨٢م.

عد ٩٧

يوسف لويس السمعاني وابن أخيه القس سمعان السمعاني

أمّا يوسف لويس السمعاني فهو ابن أخي العلّامة يوسف سمعان السمعاني ولد ونشأ بقرية حصرون وتخرّج باللغات والعلوم والفنون بمدرسة الموارنة برومة إذ كان عمّه وابن عمّته المطران اسطفانوس عواد فيها، وبرع واشتهر وعيّنه البابا بناديكتوس الرابع عشر معلّماً للغات الشرقية والطقوس في الكلية الرومانية المعروفة بالسابيانسا (أي الحكمة)، وله مؤلفات كثيرة نعرف منها باللاتينية مؤلّفه المعروف بها بالكوديكس لينورجيكوس أي كتاب رتب القدّاس والطقوس الدينية في ثلاثة عشر مجلّداً بقطع الربع، وكان نادر الوجود حتى بيعت النسخة منه بثلاثة آلاف فرنك كما قال من طبعوه حديثاً، واستجلبنا نسخة منه لمكتبتنا بست وعشرين ليرا فرنسية. وله أيضاً كتاب في تاريخ بطاركة الكلدان والنساطرة وكتاب في الكنائس واحترامها وحمايتها طبع برومة سنة ١٧٦٦م، ومقالات في الاتّحاد والاشتراك الكنسي وفي قوانين التوبة القديمة وفي مجمع الأبرشية. وله أيضاً ترجمة شحيم (أي كتاب فروض) السريان في أربعة مجلّدات وترجمة كتاب قدّاس الكلدان إلى اللاتينية. وله أيضاً شرح على كتاب يوحنا مورنيوس في الرسامات عند اللاتين

وعند الشرقيين طبع برومة سنة ١٧٥٦م. ويظهر من رسالة كتبها إلى البطريرك يوسف ضرغام الخازن مصونة في السجلّات البطريركية إذ كان كاهناً.

وأمّا القس سمعان السمعاني فهو أبن أخي يوسف لويس المار ذكره ولد بحصرون أيضاً ودرس العلوم في مدرسة الموارنة ونبغ فيها وانضوى إلى جمعية الرهبان الحلبيين اللبنانيين الموارنة وارتقى إلى درجة الكهنوت والذي نعرفه من تآليفه كتاب «فهرست للكتب المخطوطة الشرقية الكائنة في المكتبة النانية» في بادوا وكتاب «تاريخ العرب قبل ظهور الإسلام» و«كتاب في الكرة الفلكية». كل ذلك في اللغة اللاتينية.

عد ٩٨
غير هؤلاء من علماء الموارنة

الخوري ميخائيل الغزيري

من علماء الموارنة في القرن الثامن عشر الخوري ميخائيل الغزيري الطرابلسي أصله من غزير ونزح أهله إلى طرابلس وتفقه بالعلوم بمدرسة الموارنة برومة ورقي إلى درجة الكهنوت وكان في المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦م نائباً عن باسيليوس مطران طرابلس ويسمى غرسيه نسبة إلى عائلته. وقد وصف في هذا المجمع بأستاذ الفلسفة واللاهوت ونعرف من تآليفه كتاباً جزيل الفائدة اشتمل على «فهرست للكتب العربية في مكتبة اسكوريالي بإسبانيا» وهو مجلدان بقطع نصف نعلم أنّ منه نسختين في لبنان الواحدة كانت في مكتبة البطريركية الموارنة والثانية كانت في مكتبة الطيّب الذكر المطران نعمة الله الدحداح ونظنّها نقلت إلى مكتبة خليفته المطران بولس مسعد. وكان الخوري ميخائيل المذكور مع الخوري الياس سعد البجاني قد أرسلا إلى رومة للاعتراض على بعض رسوم المجمع اللبناني والطعن بالعلّامة السمعاني وقد رأيت من كلام البابا بناديكتوس الرابع عشر ما كان من النبذ لهذا الطعن.

اسطفانوس ورد ابن الخوري ابراهيم

المعلوم عندنا بالتقليد أنّه من قرية كفرحورا بالزاوية ورأيناه في بعض الكتب منسوباً إلى حلب وقد درس العلوم واللغات بمدرسة الموارنة برومة وارتقى إلى درجة الكهنوت وصار خورياً في صيدا، وشهد المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦م وكان كاتب أسرار المجمع. ونعرف له من التأليف كتاب «مواعظ» وكتاب «نزهة العباد» بالعربية ورسالة إلى أبناء ملّته نجدها مثبتة في كتاب تاريخ الكنيسة الأنطاكية السريانية المارونية في صفحة ٨١٩ إلى صفحة ٨٥١.

الخوري أنطون القيالي

ولد ببيروت في أواسط القرن الثامن عشر ودرس العلوم بمدرسة الموارنة برومة ورقي إلى درجة الكهنوت وصار خورياً ببيروت ونعرف من تآليفه كتاباً ردّ فيه مطاعن القس يوحنا عجيمي الملكي الكاثوليكي المار ذكره على الملّة المارونية وقد طبع كتابه هذا في كتاب «المحاماة عن الموارنة». ومن طالع هذا الكتاب قضى بأنّ مؤلفه كان ضليعاً بالتاريخ وغيره من العلوم.

القس عيسى الجاماتي

ولد ونشأ بدمشق وتخرّج بالعلوم بمدرسة الموارنة برومة ونعرف من تآليفه كتاباً في «نسبة الموارنة وردّ التهم الواردة عليهم» بالعربية.

القس يوحنا اليازجي

ولد بحلب ونعرف من تآليفه كتاباً في «المحاماة عن الموارنة» والعلماء الذين ذكرناهم في هذا الفصل لم نعثر إلى الآن على ما ينبئنا بسنة مولدهم أو سنة وفاتهم أو جميع تآليفهم ونترك الآن البحث عن ذلك إلى وقت آخر أو لأحد العلماء بعدنا.

الفصل الرابع

المجامع التي عقدها رؤساء الموارنة في هذا القرن

عد ٩٩
المجمع اللبناني

إنّ أهم المجامع التي عقدها رؤساء الموارنة في هذا القرن وأكملها وأعظمها إنّما هو المجمع الذي عقدوه في دير السيدة بلويزة سنة ١٧٣٦م، وكان العلّامة السمعاني قاصداً فيه من قبل البابا اكليمنضوس الثاني عشر، فانّ البطريرك يوسف ضرغام الخازن وأساقفته وعليّة الاكليرس الماروني والأعيان والأتقياء لمّا رأوا أنّه قد تدرّج إلى التهذيب البيعي بعض أشياء نادرة عن وضعه وبهائه الأوّلين رفعوا إلى الحبر الأعظم البابا اكليمنضوس الثاني عشر وإلى مجمع نشر الإيمان المقدّس عرائض مؤرخة بين أواخر تموز وأوائل آب سنة ١٧٣٤م التمسوا بها بالحاح أن يبعث إليهم السيّد يوسف سمعان السمعاني ليترأس من قبل الكرسي الرسولي على مجمع يعقدونه لاصلاح التهذيب البيعي وسد ما اعتور عليه من الخلل وردّه إلى بهائه القديم فكتب السيّد البطريرك عريضة إلى امام الأحبار بهذا الصدد مؤرخة في ٢٨ تموز سنة ١٧٣٤م وكتب هو وأساقفته عريضة بهذا المعنى إلى مجمع نشر الإيمان المقدّس وكذلك كتب البطريرك إلى بعض الكرادلة ورفع الرئيس العام على الرهبان اللبنانيين، ومدبروه الأربعة، عريضةً بهذا الشأن لقداسته.

فاجتمع آباء مجمع نشر الإيمان وأصدروا قراراً في ٢٤ تموز سنة ١٧٣٥م بلزوم إجابة بطريرك الموارنة وأساقفته إلى طلبهم عقد مجمع طائفي وارسال السيّد السمعاني إليهم، لذلك، وإثباتاً لهذا القرار أصدر البابا اكليمنضوس الثاني عشر براءة رسولية مؤرخة في ٢٦ تشرين الثاني سنة ١٧٣٥م إلى العلّامة السمعاني ينصبه

قاصداً من قبله إلى طائفته ليعقد المجمع بحضرته، وأبرز براءة أخرى مؤرخة في ٢١ تشرين الثاني سنة ١٧٣٥م إلى السيّد البطريرك بها يجيبه إلى طلبه عقد المجمع وتوجيه السيّد السمعاني إليه لهذه الغاية وأصحبها ببراءة أخرى إلى رؤساء أساقفة الموارنة وأساقفتهم بهذا المعنى، وأرسل مجمع نشر الإيمان رسائل مؤرخة في ١٠ كانون الأوّل سنة ١٧٣٥م إلى البطريرك والأساقفة وإلى الرئيس العام على الرهبان اللبنانيين ومجمعهم بالمعنى المومأ إليه، وترى هذه البراءات والرسائل مثبتة في صدر أعمال هذا المجمع المطبوعة حديثاً.

ووصل السيّد السمعاني إلى بيروت في أواخر حزيران ونروي ما كان إلى نهاية المجمع ملخّصاً عن عريضة رفعها إلى البابا اكليمنضوس الثاني عشر بتاريخ ١٧ كانون الثاني سنة ١٧٣٧م قال: «شيّعوني من بيروت إلى جبل لبنان محفوفاً بمظاهر الفرح والإجلال الخارقة العادة بصفة كوني قاصداً من قبلكم وتناولوا بواجب الإحترام المراسيم الحبرية والرسائل المنفذة إليهم من ذوي النيافة كرادلة الكنيسة الرومانية، وقُرِئت باللاتينية والعربية على مسمع الجم الغغفير من الاكليرس والشعب، وأنّ العبارة لتضيق عن وصف شعائر التقى والعبادة الحارة التي اقتبلوا بها هدية بركتكم الرسولية ونودي بانعقاد مجمع إقليمي لمرور ستة أسابيع أي في الخامس عشر من آب عيد انتقال العذراء في دير قنوبين، إلّا أنّه روى يتعذّر على كثيرين الحضور إلى قنوبين المجاورة لجيش والي طرابلس فأمرنا أن يكون الاجتماع في كسروان التي يتولاها مشايخ مسيحيون. وبعد انطلاقنا إلى كسروان اختلفت الآراء إذ كان بعضهم يؤثر هذا المكان وبعضهم غيره إلى أن أجمعوا جميعاً على اختيار دير لويزة. ولكن وفاءً برغبة السيّد البطريرك والمشايخ ذوي قرابته رأينا أن نعقد بعض جلسات إبتدائية وخصوصية في دير ريفون الذي اعتاد البطريرك أن يقيم فيه لأنّه لبس فيه الاسكيم الرهباني، وفيه رقي إلى الأسقفية، ثمّ إلى البطريركية. ولما كان قد نشأ بين البطريرك والأساقفة بعض مسائل تتعلّق بتوزيع الميرون وولاية وسلطة كل منهم وتعذّر البحث في هذه المسائل بدير ريفون دون قلق بسبب اضطراب هاجه بعض المشايخ أقرباء البطريرك، فرأيت مع بعض الرؤساء الأفاضل وجوب انطلاقنا من دير ريفون إلى دير لويزة مجانبةً للمنازعات ولقد تيسّر لنا ذلك لأنّ المخالفين أنفسهم غيّروا رأيهم وبذلوا جهدهم في حمل البطريرك على أن يتدارك العثار الناتج من الخصام فاعتمد البطريرك فجأة إلى المسير إلى دير لويزة مع ذويه

ليقرّر هناك الأمور التي شرع في فحصها، وأصدر البطريرك أمراً باستئناف المذاكرات في السابع والعشرين من أيلول وحكم باتّفاق الآراء بعقد المجمع لمرور ثلاثة أيّام في دير لويزة. وفي تلك المجالس التي استغرقت ثلاثة أيّام متتالية كان اشتغال الأساقفة واللاهوتيين مقصوراً على تذليل المشاكل وتوثيق عرى الإتّفاق وتأليف الخواطر. وفي آخر الأمر تمّ لنا بحوله تعالى افتتاح المجمع بما أمكن من السرعة يوم الأحد آخر أيلول سنة ١٧٣٦م، وكان فيه عدا البطريرك ورؤساء الموارنة أربعة من أساقفة الطوائف الشرقية والرئيسان العامان للرهبان اللبنانيين ورهبان مار اشعيا وعشرة من المرسلين اللاتينيين وقدرهم من خوارنة وخدمة كنائس وجمهور غفير من القسوس والرهبان وثلاثون من المشايخ الخازنيين، وإثنا عشر من الحبيشيين، وسبعة من وجهاء العوام. واستمرّ انعقاد المجمع ثلاثة أيّام وانحلّ في ثاني تشرين الأوّل والخواطر معقودة على أتم الوفاق، ولم يبقَ هناك إلّا أماني مقدّسة وآراء سديدة وأعمال مبرورة ووقّعوا جميعاً على أعمال المجمع وأخضعوا كل ما أثبتوه وأقرّوه لسلطانك لتبدله وتهذّبه وتثبته، وقد عوّلت أن أبادر بعد انحلال المجمع إلى تفقّد الكنائس والأديار لأفقه كهنة الرعايا في واجباتهم وأضع للرهبان والراهبات القوانين اللازمة، وأحضّ الأساقفة على الاجتهاد بتدبير الإكليرس والعامة بحسب رسوم المجمع المذكور وأنشأت رسالات وأقمت فيها تلاميذ مدرستنا المارونية أو رهبان دير رومة في أبرشيات صور وصيدا وبيروت وجبيل والبترون وطرابلس وقبرص، وأمرت بفتح المدارس في الأديار لأجل تهذيب الأحداث، وقد خصصت لسكنى الراهبات على حدّة أربعة أديار وهي دير مار الياس الرأس ودير مار جرجس الرومية ودير سيدة الحقلة ودير مار عبدا هرهريا، وسعيت بنقل الراهبات من دير مار الياس بلونه ودير مار أنطونيوس بقعاتا حيث كانت الراهبات مقيمات بجوار سكن الرجال إلى غيرها من اديرة النساء. وأمّا القلق الذي أثاره بعض الرؤساء والمشايخ بسبب تجديد تهذيب الأديار والكنائس والخلاف على مسائل بيعية بين الرؤساء والسيّد البطريرك وبين العامّة والإكليرس وما يلزم لذلك من العلاج كل ذلك قد بسطته بالتطويل في رسائلي إلى مجمع نشر الإيمان المقدّس». فهذا ما لخّصناه من عريضة السمعاني لقداسته البابا اكليمنضوس الثاني عشر في ١٧ كانون الثاني سنة ١٧٣٧ رغبة في ما حوته من الفوائد.

وقد أثبت البابا بناديكتوس الرابع عشر قوانين المجمع اللبناني وأحكامه برمّتها

ببراءته المؤرّخة في ١ أيلول سنة ١٧٤١ وترى هذه البراءة مثبتة في آخر ذيله المعلّق على النسخة المطبوعة حديثاً سنة ١٩٠٠م والمجمع المذكور مقسوم إلى أربعة أقسام: الأوّل في الإيمان الكاثوليكي وفيه خمسة أبواب. الثاني في الأسرار وفيه أربعة عشر باباً. الثالث في الخدّام والقسوس والرؤساء وفيه ستة أبواب. الرابع في الكنائس والمدارس والأديار والترتيبات المجمعية وفيه سبعة أبواب وهو الدستور العام للملّة المارونية وإليه المرجع في أمورها الروحية والبيعية.

عد ١٠٠

مجمع بقعاتا

عقد رؤساء الموارنة عدّة مجامع أخرى في هذا القرن لم يكن لها أهمية المجمع اللبناني ولا أبهته ولم يكن فيها ممثل للكرسي الرسولي ولم يشهدها المرسلون وأساقفة غيرهم من الطوائف كالمجمع اللبناني، وأوّل هذه المجامع مجمع بقعاتا عقده البطريرك طوبيا الخازن في ٢٥ آب سنة ١٧٥٦م في دير القديس أنطونيوس في بقعاتا من كسروان، وكان الغرض من عقده بذل العناية للعمل برسوم المجمع اللبناني وكان المجتمعون فيه عدا البطريرك فيلبوس مطران قبرص واسطفانوس مطران بعلبك وجبرائيل مطران الرها وأنطونيوس مطران جبيل ويوسف اسطفان مطران بيروت. وقد فرضوا فيه تسعة عشر رسماً أكثرها مما كان قد رسم في المجمع اللبناني وحتّموا بوضعه في العمل ووزعوا الأبرشيات على المطارين عملاً برسم هذا المجمع.

عد ١٠١

مجمع غوسطا

عقد هذا المجمع البطريرك يوسف اسطفان في ١٦ أيلول سنة ١٧٦٨م بحضرة الأب لويس رئيس رهبان القديس فرنسيس وكان جلّ الغرض من عقده إصلاح بعض العادات في الطائفة والتشدّد في حفظ رسوم المجمع اللبناني وكان حينئذٍ إختلاف بين البطريرك المذكور وعمّه المطران يوحنا اسطفان على دير عين ورقة فكتب آباء المجمع إلى المطران يوحنا يدعونه إليه وأرسلوا إليه المطران يواصاف

الدبسي مطران صور والمطران ميخائيل الخازن فحضر، وبعد سماع ما أورده من الحجج لجهة دير عين ورقة وأسقفية بيروت حكموا أنّه بعد تنزّله عن أبرشية بيروت وعن رئاسة دير عين ورقة لابن أخيه البطريرك لم يبقَ له حق بالعود إليهما، لكنهم سألوا البطريرك أن يبيحه الإقامة في دير عين ورقة مدّة حياته ولا يحق له أن يبيع شيئاً من أملاك هذا الدير إلّا بإذن السيّد البطريرك. وكان خلاف في الطائفة بداعي خدامة بعض الرهبان في الرعايا فحكموا أن لا يستخدم الرهبان في الرعايا إلّا لضرورة، وفرضوا بعض قوانين تتعلّق بالرهبان وأديارهم على ما في المجمع اللبناني إلى غير ذلك في مجلسين ١٦ و ١٧ أيلول سنة ١٧٦٨م.

وفي ١٨ أيلول عقد المجلس الثالث وبلغ البطريرك والأساقفة خبر وفاة المطران جرمانوس صقر الحلبي بدير بكركي فحزنوا عليه، ومما حكموا به في هذا المجلس لا يرقى أحد إلى الكهنوت إلّا بعد الفحص عن علمه وسيرته، وحتّموا على أبناء الطائفة أن لا يزوّجوا بناتهم لغير أبناء ملّتهم ولو كانوا كاثوليكيين إلّا برخصة من مطرانهم ولداعٍ لازم (نظنّ هذا أصل العادة الجارية إلى الآن بين الموارنة والملكية الكاثوليكيينَ وهي أنّ الآنسة المطلوبة للزواج لشخص من إحدى الملّتين يلزم رخصة مطرانها)، وجدّدوا إطلاق التأديب على من يلتجئون إلى الحكام العالميين بما يمسّ الحرية الكنسية. وفي المجلس الرابع الذي عقد في ٢٠ أيلول أقروا أن لا تعطى الوظائف البيعية بسبيل الارث وحتّموا بأن ترعى جميع رسوم المجمع اللبناني بكل تدقيق، واتّفقوا على رفع عريضة إلى الحبر الروماني ليأمر بطبع هذا المجمع، وأن لا يختلط كهنة الموارنة بكهنة غير الكاثوليكيين في الجنازات وغيرها. وفي المجلس الخامس الذي عقد في ٢١ أيلول جرى البحث في العشور وأجمعوا على أنّ كل أسقف يجبي العشور في أبرشيته بموجب دفتر ثمّ يدفعه إلى السيّد البطريرك.

وادّعى في المجلس المذكور المطران روفائيل الحاقلاني بالولاية على أبرشية طرابلس لأنّ البطريرك طوبيا الخازن رقاه إلى كرسيها، فأجاب على ذلك الخوري جرجس يمين بالوكالة عن المطران يواكيم يمين أنّ البطريرك طوبيا الخازن لما وزّع الأبرشيات في مجمع بقعاتا سلّمه أبرشية طرابلس فحكم المجمع أنّ الحق للمطران يواكيم بالولاية على هذه الأبرشية. وفي هذا المجلس أيضاً أثبت البطريرك قسمة الأبرشيات بموجب براءة البابا بناديكتوس الرابع عشر وارشاد المجمع المقدّس فكان

في أبرشية صور وصيدا المختصّة بالبطريرك المطران ارميا نجيم أسقف الناصرة وفي بيروت المطران أثناسيوس الشنيعي ولكن ولى على المدينة المطران ميخائيل فاضل وبعد وفاته تعود إلى مطران أبرشية بيروت، وفي أبرشية قبرص المطران الياس الجميل وفي دمشق المطران ارسانيوس عبد الأحد، ولكن ولى على عجلتون المطران ميخائيل الخازن ما دام حياً ويتبعه دير الرومية، وبعد وفاته يرجع ذلك إلى مطران دمشق، وولى على بسكنتا المطران يواصاف الدبسي ويتبعها عين القبو وقعفرين وزبوغا ما دام حياً وبعد موته ترد إلى أبرشية دمشق، وولى على بعلبك المطران جبرائيل مبارك وعلى بلاد جبيل والبترون المطران أنطون محاسب، وعلى طرابلس المطران يواكيم يمين وتتبعها جبة بشري ما دام حياً وبعد موته ترد إلى مطران جبيل والبترون، وولى على حلب المطران ارسانيوس شكري، والذين وقّعوا على هذا المجمع البطريرك يوسف اسطفان وميخائيل مطران بابل ويواصاف مطران عكا وميخائيل فاضل مطران صور وجبرائيل مبارك مطران بعلبك وارميا مطران الناصرة وارسانيوس شكري مطران حلب وميخائيل الخازن مطران قيسارية وارسانيوس عبد الأحد مطران دمشق والياس الجميل مطران قبرص والخوري جرجس يمين بالوكالة عن المطران يواكيم يمين ورئيس الفرنسيسيين وغيرهم من الافرنج.

عد ١٠٢
مجمع ميفوق

عقد هذا المجمع بأثر توقيف البطريرك يوسف اسطفان وما كان من القلق في الطائفة بسبب الراهبة حنّة عجيمي المعروفة بهندية فأمر البابا بيوس السادس بعقده وناب فيه عنه قاصده الأب بطرس موريتا وكان من شهده من المطارين المطران ميخائيل الخازن الذي أقيم نائباً عن البطريرك في مدّة إيقافه، ويواكيم يمين مطران طرابلس، وميخائيل فاضل مطران بيروت، وجبرائيل مبارك مطران بعلبك، وروفائيل الحاقلاني مطران دمشق، وأنطون محاسب مطران جبيل برئاسة الأب موريتا القاصد الرسولي. وافتتح هذا المجمع في ٢٠ تموز سنة ١٧٨٠م بدير السيدة في ميفوق.

وعقد المجلس الأوّل في ٢١ تموز سنة ١٧٨٠م وتعيّن فيه أصحاب الوظائف، وعقد المجلس الثاني في ٢٣ تموز وافتتحه القاصد الرسولي بخطبة نفيسة ثمّ تليت الأوامر الرسولية وأجوبة البطريرك يوسف اسطفان التي كان قد رفعها إلى مجمع نشر الإيمان وصرّح آباء المجمع بقبول قصادة القاصد الرسولي وجاهروا بالطاعة والامتثال للأوامر الرسولية فرداً فرداً وهي الأوامر التي مرّ ذكرها أيضاً في ترجمة البطريرك يوسف أسطفان، وأوّلها إبطال ما كان البطريرك قد حلله من تناول المآكل المزفرة يوم الجمعة عيد قلب يسوع. والأمر الثاني أن ليس للبطريرك أن يمنح غفراناً كاملاً إلّا بإذن صريح من الحبر الروماني. الثالث أنّ الأساقفة لا يلتزمون أن يأخذوا منشوراً من السيّد البطريرك لزيارة رعاياهم. والرابع تثبيت المبلغ الذي تقرّر أن يدفعه كل من المطارين كل سنة إلى البطريرك بدل العشور وقدره ألفان وخمسمائة غرش موزّعة على الأبرشيات كما مرّ في ترجمة البطريرك يوسف اسطفان، وتقرّر أنّ للبطريرك أن يعطي مناشير لجبايتها مرّة واحدة لكل من الأساقفة إشارة إلى تعلّقهم به وخضوعهم له، ثمّ بعد مراجعة البطريرك بهذا الخصوص تقرّر أنّ كل أسقف يطلب كل سنة من البطريرك منشوراً لجباية العشور. ثمّ قرّروا في هذا المجلس أيضاً أن تبقى كراسي الأبرشيات ثمانية كما رسم في المجمع اللبناني ويحق للسيّد البطريرك أن يرقي كهنة إلى الأسقفية شرفاً وعيّنوا حدود الأبرشيات كما ذكرها البابا بناديكتوس الرابع عشر في براءته لتقسيم الأبرشيات.

وعقد المجلس الثالث في ٢٤ تموز وقرروا فيه وجوب الامتثال لباقي الأوامر الرسولية المذكورة أعني الأمر الخامس لا يحق للبطريرك أن يكفّ الأساقفة عن التصرّف برعاياهم دون مشورة مجمع الأساقفة. السادس يسمح للرهبان أن يخدموا الرعايا لدى الحاجة إليهم. السابع لا يحقّ للبطريرك أن يقبل الكهنة والرهبان الذين يعصون أمر رؤسائهم ويلتجئون إليه إلّا بموجب ما رسم المجمع اللبناني في قسم ٤ باب ٢ عد ٩. والثامن لا يحق للبطريرك أن يسمح بأن يقام في كنائسنا مذبح يقدّس عليه كهنة غير كاثوليكيين أو يعيّن موضع يدفنون فيه موتاهم في مقابر طائفتنا. التاسع لا يجوز لكهنة طائفتنا أن يتصرّفوا بحقوق كهنة الملكيين الكاثوليكيين أو أن يحلّلوا موانع الزواج لهم ومثل ذلك لا يجوز للأساقفة الملكيين ولا لغيرهم أن يتدخّلوا في قضاء اللوازم الروحية لأبناء ملّتنا. وأمّا في الاعتراف فيحق لكهنة طائفتنا المصرفين بسر التوبة أن يعرّفوا ويحلّوا كل من طلب

أن يعترف عندهم بمقتضى الإذن القديم الممنوح لكهنة الموارنة. العاشر يلزم أن يعين كل من الأساقفة فاحصاً للكهنة ويقيمه في أبرشيته بموجب رسم المجمع اللبناني. الحادي عشر لا يسوغ للبطريرك أن يقبل هدايا لتوزيع الزيوت المقدّسة. الثاني عشر قد تفاوض آباء المجمع في محل إقامة البطريرك وأجمع رأيهم أن يكون هذا المحل دير بكركي بصفة دير تابع لدير قنوبين الكرسي البطريركي. الثالث عشر قرّروا أنّه يلزم البطريرك أن يعقد مجمعاً مع أساقفته كل ثلاث سنين مرّة. الرابع عشر حتّموا أن ينهي البطريرك عن أن يدوّن في مناشيره للذكر المؤبّد أو يكتب في سنة كذا من حبريتنا تشبهاً بالحبر الروماني. الخامس عشر ارتأوا أن يتّفق البطريرك والمطارين على اداء العشور والتحاليل. السادس عشر بحثوا في ما إذا كان يحق للبطريرك أن يرقي إلى درجة الكهنوت من رعايا الأساقفة بغير علمهم وأن يحلّهم من التأديبات أو ينزلها بهم دون علم رؤسائهم، وكان الكرادلة قد أجلوا الجواب على هذا المشكل إلى أن يرد من القاصد الرسولي إفادات ينجلي الأمر فيها. السابع عشر كان من الأسئلة المرفوعة للكرسي الرسولي هل يحق للبطريرك أن يطلب دراهم إسعافاً لكرسيه من خوارنة الرعايا والأديار فارتأى الكرادلة أنّ الكهنة المرتقين حديثاً والأديار المحدثة يلتزمون أن يعطوا ما يعطيه الكهنة القدماء والأديار السابقة البناء وأنّه يلزم تقرير مبلغ معيّن. الثامن عشر هل يجوز للبطريرك أن يؤدب الكهنة المزلين بعقوبات ثقيلة كالحبس والضرب فأجاب الكرادلة أنّه يلزم القاصد الرسولي أن يعلمهم بتفاصيل الواقع، وأن ينصح البطريرك أن يسلك مع الكهنة ولاسيما الأساقفة بأكثر دعة وأن يتحاشى القسوة، وقرّر آباء هذا المجمع أن يسألوا البطريرك والأساقفة أن لا يعاملوا الكهنة المزلين بالضرب والوثاقات والغرامات، وإذا لم يرتدعوا عن زلّاتهم أطلقوا عليهم التأديبات البيعية. التاسع عشر لما كان البطريرك أكثر عدد الأساقفة والرعايا خلافاً لرسم المجمع اللبناني أجاب الكرادلة بأنّه يلزم القاصد الرسولي أن يصرّح للبطريرك نيابة عن مجمع نشر الإيمان المقدّس أن يقتصر على ما رسم في المجمع اللبناني. العشرون لما كان البطريرك قد وضع كتاباً للقداس غير المستعمل قبلاً وفرض ثلاثة أيّام صوم قبل عيد قلب يسوع وأباح في هذا العيد أكل اللحم والأطعمة المزفرة ارتأى الكرادلة بأن يرعى في ذلك رسم المجمع اللبناني بالدقّة. وأبطل آباء المجمع ما أحدثه البطريرك يوسف اسطفان وأبطلوا أيضاً عيد قلب يسوع لأنّه فرضه دون

مشورتهم وبغير استئذان الكرسي الرسولي، وأمروا أن يعيد لذكر الحبل بلا دنس بسيّدتنا مريم العذراء في جميع الطائفة. الحادي والعشرون قد أمر أيضاً أن يزال المذبح الذي أقيم فوق قبر المطران جرمانوس صقر على الأقل أن يرفع القنديل المعلّق عليه فرفعه النائب البطريركي وأزال المذبح. فهذه هي أوامر المجمع المقدّس التي ضمّنها في رسالته المؤرخة في ١٥ آب سنة ١٧٧٤م، وقد قبل الأساقفة جميعهم بالطاعة والامتثال، وكان المجمع المقدّس قد أرسل إليهم براءتين من البابا بيوس السادس مؤرختين في ١٧ تموز سنة ١٧٧٩م، تشتمل الأولى منهما على نبذ انخداع الراهبة هندية وكذب أوحيتها وبطلان وهمها باتحاد المسيح بها وتحريم كتبها وتعاليمها والتأديب لها ولنائبتها كاترينا، فقبل الأساقفة بالاحترام هذه الأوامر ونفّذها النائب البطريركي بموجب منطوقها. والبراءة الثانية فحواها إلغاء رهبانية هندية وإخراج الراهبات من الأديار الأربعة التابعة لقانونها وهي دير بكركي ودير سيدة البزاز ودير مار جرجس علما ودير مار يوسف الحصن، فقرّر الأساقفة ذلك وأتمّه النائب البطريركي كما مرّ وعيّنوا دير بكركي لسكنى البطريرك، وأشهروا أمر قداسته بالسكوت المطلق عن غوايات هندية وأعمالها وأبطلوا أخوية قلب يسوع التي كانت هندية قد أنشأتها، وقبلوا المرسوم الثالث المتضمّن طلب البطريرك يوسف اسطفان ليشخص إلى رومة ليجاوب عن بعض أعماله تحت طائلة الحرم إن أبى الحضور، ومنعه عن كل تولٍّ بطريركي وأسقفي وابقاء القسوسية الخ. واختار الأساقفة المطران ميخائيل الخازن ليكون نائباً بطريركياً ما دام البطريرك ممنوعاً وقبلوا وارتضوا بما رسم على المطران جرمانوس دياب من الأمر بتأديبه وتكذيب نفسه في كل ما كتبه وصنعه مساعدة لهندية، ونفذ النائب البطريركي كل ما ذكر. إلّا أنّ الأساقفة رفعوا عريضةً إلى الكرسي الرسولي يسألون بها أن يوفدوا أسقفاً أو أسقفين إلى أديار مار جرجس علما وسيدة البزاز ومار يوسف الحصن ليفحصوا عن حال هذه الأديار ويعرضوا أمرها إلى النائب البطريركي، ومن لا يريد من رهبانها القسوس أن ينتقلوا إلى دير آخر لزمهم أن يخلعوا الاسكيم ويلبسوا زي الكهنة العالميين، وإن كانوا شمامسة لزمهم أن يلبسوا الشالات ويستقيموا في أديارهم بالتقوى والورع. وأمّا الراهبات اللواتي لا يردن الخروج من أديارهنّ إلى أديار أخرى قانونية فيمكن إبقاؤهنّ في أماكنهنّ على شريطة أن يخلعن أثواب رهبانية هندية ويلبسن كالعابدات، والرئيسات اللائي كنّ في هذه الأديار يعزلن

ويقام غيرهنّ ويتجدد انتخابهنّ كل ثلاث سنين، ويمنع قبول بنات أو نساء مرشّحات للرهبانية في هذه الأديار. وأمّا الراهبات اللواتي كنّ بيكركي ومضين إلى أهلهنّ بحلب أو لبنان فحكم آباء المجمع أن يعطين من مداخيل الدير ما يعشن به مما يفضل عن النفقة اللازمة للدير، وبعد موتهنّ يرجع كل ما لهنّ إلى الدير. وقد أكثر الآباء التفتيش على كتب هندية فلم يجدوا شيئاً منها فقرّروا أن ترسل مناشير حرم في كل الطائفة حتى من كان عنده شيء منها يقدّمه إلى النائب البطريركي ومن كان له علم بها يعرض الأمر له. وفي المجلس الخامس والأخير أقرّ الآباء بعض قوانين أكثرها من متضمّنات المجمع اللبناني.

عد ١٠٣

مجمع عين شقيق

لما كان البطريرك يوسف اسطفان قد رجع إلى البطريركية عقد هذا المجمع في ١٦ أيلول سنة ١٧٨٧م في كنيسة السيدة بعين شقيق من كسروان بموجب أمر البابا بيوس السادس، وكان في المجمع الأساقفة والرؤساء العامون للرهبانيات الثلاث والشيخ غندور ابن الشيخ سعد الخوري مأموراً من الكرسي الرسولي أن يكون مساعداً ومؤيداً لاجتماع المجمع وتنفيذ الأوامر الرسولية. وقد شهده أيضاً المشايخ الخوازنة والحبيشية وبيت الخوري صالح وبيت الظاهر وبيت الدحداح ومشايخ العاقورة ومشايخ جبّة بشري وغيرهم من أعيان الملّة، فقدّم المشايخ المذكورون عريضة إلى المجمع وجّهوها إلى الشيخ غندور الخوري ترى صورتها مثبتة في كتاب «سلسلة بطاركة الموارنة» للمعلّم رشيد الشرتوني صفحة ٦٤ التمسوا بها أن يكون مقام الأساقفة في الكرسي البطريركي مع السيّد البطريرك موردين لذلك حججاً كثيرة. وسأل الشيخ البطريرك والأساقفة أن يتقبّلوا هذا الالتماس فتلوه في المجلس الأوّل وأجّلوا الجواب عليه إلى المجلس الثاني، وسأل البطريرك الأساقفة ما يرون بهذا الشأن فحسن عندهم قبول الالتماس على شرط أن يدوّن المشايخ صكّاً يتعهّدون به بأنّهم لا يتعرّضون للأساقفة ولا يتدخّلون بترقيتهم ولا بتدبير الأمور الروحية، فتعهّد المشايخ بعدم التعرّض كما طلب منهم .فقبل البطريرك والأساقفة التماسهم في

المجلس الثاني وقدم المشايخ في المجلس الثالث الشكر لهم وتعهّدوا بأن تجرى الانتخابات من ذلك الحين فصاعداً طبقاً لرسم المجمع اللبناني.

وطلب أهل جبّة بشري أن يكون لهم مطران يسوسهم وحدهم منفصلاً عن مطران جبيل والبترون فحكم في المجلس الرابع بعدم التمكّن من إجابة طلبهم لمخالفته نصّ المجمع اللبناني. وفي المجلس الخامس ادّعى رهبان مار اشعيا أنّ دير بكركي يخصّهم فردّ آباء المجمع دعواهم لأنّه ثبت لهم بعد الفحص أنّ الرهبان المذكورين باعوا الدير المذكور وقبضوا ثمنه. وفي المجلس السادس عرض القس روفائيل مسابكي اللبناني للمجمع الالتماس أن ينظر بأمر المعاش لراهبات دير بكركي الحلبيات فتقرّر أن تعطى كل راهبة عشرين قرشاً في السنة. وفي المجلس السابع تلي تعهّد المشايخ بأنّهم لا يعارضون البطريرك ولا الأساقفة في أمور الانتخابات وغيرها فقبل المجمع هذا التعهّد. وفي المجلس الثامن تقرّر أن تكون هندية في دير مار الياس غزير (ثمّ نقلت لدير الحقلة كما مرّ) وكاترينا في دير مار الياس بلوني، ورسموا أيضاً أن تكون الأديار التي كانت لراهبات هندية خاضعة لمطارين الأبرشيات التي هي فيها. وفي المجلس التاسع أقرّوا إصدار نشرتين: الأولى تتضمّن بعض رسوم في تهذيب الرهبان والراهبات القانونيين. والثانية في تهذيب خوارنة الرعايا والشعب. وفي المجلسين العاشر والحادي عشر قرّروا بعض أمور أخرى لإصلاح شؤون الطائفة وأن يلتمسوا من الكرسي الرسولي تفويض السيّد البطريرك بمنح الغفرانات الكاملة.

والذين وقعوا على هذا المجمع هم البطريرك يوسف اسطفان، وميخائيل فاضل مطران بيروت، وجبرائيل مبارك مطران بعلبك، وجرمانوس دياب مطران حمص، وبولس اسطفان مطران قورش، والمطران يوسف نجيم، ويوحنا الحلو مطران عكا، ويوسف التيان مطران دمشق. على أنّ قرار هذا المجمع بأن يسكن المطارين مع البطريرك لم يقبله المجمع المقدّس لمخالفته لرسم المجمع اللبناني ولم يثبت أيضاً هذا المجمع المعروف بمجمع وطا الجوز حيث كنيسة سيدة عين شقيق.

عد ١٠٤
مجمع بكركي الأوّل

التأم هذا المجمع بأمر البابا بيوس السادس أيضاً بدير بكركي سنة ١٧٩٠م وكان قاصد البابا فيه المطران جرمانوس آدم الملكيّ الكاثوليكي والداعي لعقده العناية بتهذيب الاكليرس وإتمام الأساقفة وغيرهم فروضهم كما رسمها المجمع اللبناني، والفحص عن بعض أحكام كان بعض الأساقفة قد أبرزها، وعن بعض دعاوى موردة على بعضهم وإبطال مجمع عين شقيق وخاصّة فصل أديار الرهبان عن أديار الراهبات.

قد عقد المجلس الأوّل من هذا المجمع في اليوم الثالث من كانون الأوّل سنة ١٧٩٠م بحضرة البطريرك يوسف اسطفان والمطران جرمانوس آدم القاصد الرسولي، وتليت في هذا المجلس براءة البابا الآمرة بعقد المجمع وأوامر المجمع المقدّس وصار الامتثال لها بإجماع الآراء، وصرّح الآباء بقبول رسم المجمع اللبناني في شأن قسمة الأبرشيات كما أثبتها البابا بناديكتوس الرابع عشر، وقرروا أن يكون حقوق انتخاب الأساقفة للسيّد البطريرك والأساقفة لا للحكام العالميين، ويحق لكل أهل أبرشية أن يقدّموا مرشّحين أو ثلاثة للسيّد البطريرك أو يظهروا رضاهم بمن ينتخبه. وبحث في المجلس الثاني في تعيين مقر ثابت لإقامة البطريرك وأرجئ القرار إلى مجلس آخر لاستيفاء المداولات بذلك. وفي المجلس الثالث نظر في دعوى المشايخ بيت أبي نصيف الخازن على أن ينتخبوا مطران طرابلس، وفي ما اتّهم به المطران جرجس بنيمين أنّه ترقي إلى الأسقفية بالسيمونية أي الرشوة فحكم ببراءته من هذه التهمة وبأنّ انتخابه كان مطابقاً للقوانين. ولما لم يحضر المشايخ المذكورون لتقديم دعواهم فأرجئ الحكم بها إلى المجلس التالي. وفي المجلس الرابع أبرز هؤلاء المشائخ صكّاً من البطريرك يعقوب عواد يخوّلهم الحق أن ينتخبوا مطران عرقا ثمّ صكّاً آخر من البطريرك يوسف اسطفان فحواه أنّ هذا الحق يبقى إذا أبطل مجمع عين شقيق الذي قضى بإقامة المطارين عند البطريرك. وحيث أنّ هذا المجمع أبطل فعاد حقّهم إليهم فأجابهم القاصد أنّ صكّ البطريرك يعقوب لا يفيدهم لأنّه كان قبل المجمع اللبناني ومثله صك البطريرك يوسف اسطفان لأنّه وإن أبطل مجمع عين شقيق

فالمجمع اللبناني لم يبطل وهو ألغى مثل هذه الحقوق فحكم الآباء بسقوط دعوى المشايخ وثبوت المطران جرجس بنيمين على أبرشية طرابلس.

وفي المجلس الخامس بحث في أنطوش دير القمر إذ كان الرهبان الحلبيون قد ادّعوا بأنّه ملكهم فقرّر السيّد البطريرك أنّه سلّم هذا الأنطوش إلى الرهبان المذكورين وقرّر أهل دير القمر أنّهم لا يتعرّضون للرهبان بملكهم بل يطلبون أن يتقيّد الرهبان بخدمتهم الروحية فحكم المجمع كذلك. وفي المجلس السادس حكم بأن يقيم كل أسقف بأبرشيته، وأنّ لكل أسقف أن يتصرّف بماله الخاص به من ملك ثابت أو منتقل، وأمّا ما يخلفه الأساقفة نواب البطريرك في مدّة نيابتهم فيخصّ الكرسي البطريركي وحكم أيضاً بأنّ تلامذة المدرسة الرومانية يكونون خاضعين لمطران أبرشيتهم كباقي خوارنة الرعايا وأنّ كلاً من الأساقفة يهتم بتعيين كاهن أهل لفحص المرشّحين إلى الدرجات المقدّسة.

وفي المجلس السابع بحث في سكنى الرهبان والراهبات معاً فتلي أمر الكرسي الرسولي المؤرّخ في ١٢ حزيران سنة ١٧٩٠م وسأل القاصد آباء المجمع أن يبيّنوا رأيهم بذلك، فأجاب السيّد البطريرك والأساقفة أنّهم يرون هذا لازماً وأنّه يجب منع كل اشتراك بين الرهبان والراهبات إلّا في الأمور الروحية. وتليت رسالة من السيّد يوسف سمعان السمعاني للبطريرك بهذا المعنى فحتّموا بأن يهتم كل من الأساقفة بالعمل بموجبها. ثمّ بحث في أمر راهبات عينطورا التابعات قانون القديس فرنسيس سالاسيوس وثبت لدى آباء المجمع أنّهنّ ملتزمات بحفظ الطقس الماروني وخاضعات للسيّد البطريرك، ثمّ بحث في شأن مدرسة عينطورا ونظر في الصك الذي دوّنه رئيس الرهبان اليسوعيين العام للبطريرك فظهر من ذلك أنّه يحق للسيّد البطريرك أن يطلب مداخيل هذه المدرسة ويهتمّ بتنفيذ إرادة الواقفين.

وفي المجلس الثامن دوّنت بطلب القاصد الرسولي الرسوم الآتي ذكرها لتكون بمنزلة شريعة لا يحلّها أحد في ما بعد. الأوّل إنّ تفسيح السيّد البطريرك من شريعة الإنقطاع عن المآكل المزفرة يوم الجمعة عيد قلب يسوع يكون باطلاً ويلزم الانقطاع. الثاني: أنّ السيّد البطريرك لا يسوغ له أن يمنح غفراناً كاملاً إلّا بتفويض الكرسي الرسولي. الثالث أنّ الأسقف لا يفتقر عند زيارة أبرشيته إلى منشور من السيّد البطريرك ويلزمه أخذ هذا المنشور عند جباية العشور. الرابع إنّه لمّا كان السيّد

البطريرك قد ادّعى بأنّ مبلغ العشور الذي تقرر له كان تقريره لست سنين وقد انقضت فيحق له أن يضع ترتيباً حديثاً لذلك، أجابه القاصد أنّ هذا يستلزم مراجعة المجمع المقدّس، ثمّ ادّعى البطريرك أنّه يحق له أن يزور بنفسه أو بوكيله كلّاً من الأبرشيات كل ثلاث سنين مرّة فأجابه القاصد أنّ زيارة الأبرشيات تحق له كما قال، وأمّا أخذه العشور فلا يحق له أن يحدث به شيئاً بعد أن عيّن الكرسي الرسولي المبلغ السنوي الذي يجب أداؤه. الخامس أنّه لمّا كان قد تقرّر قبلاً أنّ ليس للسيّد البطريرك أن يعزل أحداً من الأساقفة عن أبرشيته قرّر السيّد البطريرك أنّه محافظ على هذا الرسم وعلى أنّه لا ينكر على الرهبان جمع الحسنات، ولا يأذن لأحد منهم أن يذهب إلى مكانٍ ضدّ خاطر رؤسائه، فقبل المجمع تقرير البطريرك وجعله من رسومه.

وفي المجلس التاسع أضافوا رسوماً أخرى منها. أوّلاً أنّ كل منتدب إلى الدرجة الأسقفية يلزمه أن يدفع ستين قرشاً فقط تعويضاً عن ربع المدخول المعيّن على سبيل الإحسان للكرسي البطريركي وخدّام البطريرك. ثانياً أنه يحق للسيّد البطريرك أن يجمع العشور من أبرشية فرغ كرسيها إلى أن يقام أسقف لها. ثالثاً أن لا يؤخذ شيء قطعاً من المتقدّمين إلى الدرجات المقدّسة. رابعاً أنّ كل من ترقّى إلى الدرجات المقدّسة من العالميين والقانونيين يلزم أن يرقيه مطران الأبرشية أو تكون ترقيته بإذنه. خامساً يحظّر على الرهبان تحت طائلة الرباط أن يوزّعوا سرّ التوبة على العالميين إلّا بإذن صريح من أسقف الأبرشية. سادساً لا يبني الرهبان ديراً إلّا بإذن السيّد البطريرك وأسقف الأبرشية وعيّن حينئذٍ نائبان أو وكيلان للسيّد البطريرك وهما المطران يوحنا الحلو والمطران يوسف التيّان.

وأصدر آباء المجمع الحكم النهائي في أن يكون دير بكركي مقرّاً ثابتاً للبطريرك وأن تختصّ به أملاكه الثابتة وغير الثابتة ورسموا الشروط الآتية: الأوّل أن يقيم البطريرك دائماً في هذا الدير لا يبارحه إلّا لداعٍ صوابي وإذا غاب عنه لزم أن يبقى فيه وكلاؤه وأن يعنى ببنائه وإصلاح ملكه. الثاني أن يدفع كل سنة مائتي قرش للمطران جرمانوس دياب ما دام حيّاً ولكل راهبة من راهبات هذا الدير خمسة وثلاثين غرشاً كل سنة ما دمن في قيد الحياة، وقرّروا أن يسألوا الحبر الروماني إثبات قرارهم هذا.

وفي المجلس العاشر جدّدوا قبول كل ما رسم في المجمع اللبناني وأوصوا بمطالعة

رسومه والسلوك في أحكامهم على موجبها، ولم يزيدوا عليها إلّا تكرار النهي عن الربا إلَّا لسبب ربح متعطّل أو ضرر ناتج عن القرض، وحتموا أن لا يؤخذ على كل قرش من القرض إلّا أربع بارات على الكثير في مدة السنة كاملة.

وفي المجلس الحادي عشر شدّدوا الحتم على الكهنة أن يعلموا التعليم المسيحي كل أحد وعيد وأن يقدّموا القداسات كما تعطى حسناتها وأن يحفظ في حق الولاية على الأوقاف ما رسمه المجمع اللبناني.

وفي المجلس الثاني عشر أعيدت تلاوة أعمال هذا المجمع وقبلها الآباء وتعهّدوا بالعمل بها ووقّع عليها البطريرك يوسف اسطفان والمطران جرمانوس آدم القاصد الرسولي وجرجس بنيمين مطران طرابلس ويوسف التيان النائب البطريركي ويوحنا الحلو مطران عكا والنائب البطريركي وبطرس مبارك مطران بعلبك وبولس اسطفان مطران جبيل والبترون وفيلبوس الجميل مطران قبرص وجرمانوس دياب مطران حمص والمطران يوسف نجيم، ثمّ القس عمانوئيل الرشماني المدبر اللبناني بالنيابة عن جبرائيل مطران حلب، والخوري مارون العضم بالنيابة عن ميخائيل الخازن مطران دمشق، والخوري يوسف شرف الخازن بالنيابة عن ميخائيل فاضل مطران بيروت، والقس ميخائيل صاجاتي كاتب المجمع وجبرائيل الحاج موسى كاتب المجمع. أخذنا كلامنا في هذا الفصل ملخّصاً عن أعمال هذه المجامع في السجلّات البطريركية.

الفصل الخامس

بعض أديار الموارنة ومدارسهم وكنائسهم المنشأة في القرن الثامن عشر

عد ١٠٥

نذكر أوّلاً الأديار التي أنشأها الرهبان اللبنانيون والحلبيون أو سلّمت إليهم في هذا القرن، لمّا تكاثر عدد الرهبان وضاق دير مار اليشاع عن سكناهم جميعاً وكانوا قد تركوا مرت مورا بإهدن ذهب بعضهم إلى قرية رشميا، وكانت هناك عائلة مارونية تقيّة تعرف ببيت أبي صابر وقد بنوا كنيسة على إسم القديس يوحنا المعمدان فسلّموها إلى الرهبان، وأضافوا إليها عقاراً وقفوه عليهم على شريطة أن يعلم الرهبان أولاد القرية، فأنشأوا دير مار يوحنا رشميا سنة ١٧٠٦م، ثمّ إنّ الخوري صالح الخوري وأولاده من رشميا وقفوا عليهم عقارات أنشأوا بها دير مار أنطونيوس سير قريباً من رشميا سنة ١٧٠٧م.

وقد ذكرنا قبلاً قدم دير مار قزحيا وشهرته وقيام أساقفة به، وكان منهم أخيراً فيه المطران عبدالله حبقوق ولمّا توفّي خلفه في هذا الدير المطران يوحنا حبقوق فسلّمه إلى الرهبان سنة ١٧٠٨م فزادوا في بنائه واقتنوا له أملاكاً كثيرة حتى أصبح على ممر الأيام أكبر أديار الموارنة وأشهرها. وقد مرّ أنّ الشيخ سلهب الحاقلاني أنشأ سنة ١٦٨٢م دير السيدة بلويزة في خراج زوق مصبح وجعله لسكنى الرهبان العباد وترهّب فيه ولده القس اغناطيوس ثمّ سلم هذا الدير إلى الرهبان سنة ١٧٥٧م، ووقع في القسمة بين الرهبان اللبنانيين والحلبيين في نصيب الحلبيين ومثله دير مار بطرس كريم التين في قاطع بيت شباب الذي كان المطران يوحنا حبقوق المذكور قد

سلّمه إلى الرهبان سنة ١٧١٢م، وكان البابا اكليمنضوس الحادي عشر قد وهب لهؤلاء الرهبان دير القديسين بطرس ومرشلينوس برومة على يد أحدهم القس جبرائيل حوا سنة ١٧٠٧م، فانّ هذا البابا قد أرسل القس المذكور إلى مصر إلى أحد أساقفة القبط الذي كان قد أظهر ارتياحه لاعتناق الإيمان الكاثوليكي فنجح القس جبرائيل بمسعاه واستردّ الأسقف المذكور إلى حظيرة الإيمان القويم فكافأه البابا بأن وهب الدير المذكور لرهبانيته، ثمّ جعلوه مدرسةً للرهبان سنة ١٧٢٥م. وأثبت البابا اكليمنضوس الثاني عشر قوانين هذه المدرسة إلى أن باعوها بأمر البابا بناديكتوس الرابع عشر سنة ١٧٥٣م، وشروا بثمنها محلاً آخر برومة حذاء دير مار بطرس في السلاسل وجعلوه ديراً ومدرسةً لهم على إسم القديس أنطونيوس أبي الرهبان، وقد وقع بالقسمة بين اللبنانيين والحلبيين في نصيب الحلبيين، وهو قائم إلى الآن وقد زاده المرحوم المطران أمبروسيوس نطين الدرعوني بناءً وإتقاناً وأنشأ له عقارات وأبنية للاستئجار حتى كان الآن أغنى أديارهم.

وفي سنة ١٧١٢م أنشأ بعض أناس أتقياء دير مار الياس الرأس في جانب عينطورا ثمّ سلّم إلى الرهبان اللبنانيين سنة ١٧٣٦م، وخصّه السمعاني بسكنى الراهبات سنة ١٧٣٧م إثر المجمع اللبناني كما هو ظاهر من تقريره للبابا اكليمنضوس الثاني عشر، وكان المطران جبرائيل البلوزاوي قد بنى دير طاميش سنة ١٦٧٣م ثمّ سلّم إلى الرهبان سنة ١٧٢٧م، وأنشأ البطريرك سمعان عواد دير مشموشة ثمّ سلّمه الرهبان وتوفي به في ١٢ شباط سنة ١٧٥٦م، ووهبهم الشيخ شاهين موسى الحاقلاني دير مار يوسف البرج سنة ١٧٤٦م بموجب صك أثبته مؤلف النبذة التاريخية في المقاطعة الكسروانية صفحة ١٦٨، ثمّ أنشأ الرهبان اللبنانيون دير مار أنطونيوس حوب سنة ١٧٤٩م، ونراه منضماً إلى الأديار التي ملكهم إيّاها الأمير يوسف شهاب سنة ١٧٦٥م كما سيأتي، ودير مار موسى الحبشي بالمتن سنة ١٧٥٣م، ودير مار جرجس الناعمة سنة ١٧٥٣، ودير مار ميخائيل بنابيل سنة ١٧٥٦م، ودير مار ساسين بسكنتا للراهبات سنة ١٧٥٦م، ودير مار مارون بيرسنين سنة ١٧٦٠م.

وفي سنة ١٧٦٥م ملّكهم الأمير يوسف شهاب حاكم الجبل دير السّيدة في ميفوق وما تبعه من العقارات القريبة إليه ودير مار قبريانوس في كفيفان وما تبعه، وأنطوش جبيل وما تبعه من العقار، وسلمهم كنيسة المدينة ودير مار أنطونيوس

بحوب في جوار تنورين، وتبعه كنيسة مار دوميط وعقار عين الراحة، وكانت هذه الهبة للقس أقليمس المزرعاني الرئيس العام للرهبانية ومدبريها القس عمانوئيل الرشماني والقس مرقس الكفاعي والقس يعقوب البشراني والقس جرمانوس الديراني وكانَ ذلك بعناية الشيخ سعد الخوري والشيخ سمعان البيطار.

وفي سنة ١٧٦٦م سلم الشيخ منصور يوسف الدحداح إلى هؤلاء الرهبان أيضاً دير سيدة المعونات المعروف بدير البنات قرب جبيل، وسلّمهم صكاً به كما كان تسلّمه من الأمير يوسف شهاب ليجددوه ويتولوا عليه.

وكان هؤلاء الرهبان قد أنشأوا قبل ذلك دير مار الياس الكحلونية بالمتن سنة ١٧٦٢م، ودير مار أنطونيوس البادوي المعروف بدير النبع في قاطع بيت شباب سنة ١٧٨٥، ودير مار عبدا معاد سنة ١٧٩٥م.

وأمّا الأديار التي أنشأها وتسلّمها رهبان مار اشعيا في هذا القرن فهي:

الأوّل دير مار اشعيا بناه المطران جبرائيل البلوزاوي كما مرّ. وأرسل إليه سنة ١٧٠٠م أربعة قسوس من دير طاميش وتبعهم بعد ذلك القس بطرس عطايا من ساحل علما، والقس يواصاف من عرمون كسروان، والقس سمعان عريض من قتاله. ولمّا رأى البطريرك اسطفانوس الدويهي رغبتهم في إنشاء رهبانية أثبت رسومهم وقانونهم، وكذلك خلفاؤه جبرائيل البلوزاوي ويعقوب عواد ويوسف ضرغام الخازن إلى أن أثبت الكرسي الرسولي قانون هذه الرهبانية سنة ١٧٤٠م.

الثاني دير مار الياس غزير وقد ذكرنا قبلاً إنشاء المشايخ الحبيشية وأهل غزير له ثمّ سلّموه إلى رهبان مار اشعيا أي إلى القس سليمان رئيس رهبان مار اشعيا بموجب صك مؤرّخ سنة ١٧١٢م وصادق عليه من البطريرك يعقوب عواد.

الثالث دير مار عبدا المشمّر سلّمه البطريرك يعقوب عواد إلى القس عطاالله كريكر من بيت شباب وكان هناك كنيسة وحارة فقط من أيّام البطريرك الدويهي.

الرابع دير مار الياس أنطلياس سلّمه البطريريرك يعقوب عواد إلى الرهبان المذكورين سنة ١٧٢٢م بموجب صكين.

الخامس دير مار سركيس إهدن ذكرنا أنشاءه قبلاً، وكان يخص عائلة بيت

الدويهي من إهدن فسلّمه إلى الرهبان بولس يوسف الدويهي والخوري بولس والخوري أنطون والخوري حبيب جميعهم من بيت الدويهي سنة ١٧٢٩م.

السادس دير مار جرجس ضبيه المعروف بدير عوكر سلّمه البطريرك يوسف ضرغام الخازن إلى القس ابراهيم يواصاف الرئيس العام سنة ١٧٤٠م.

السابع دير مار يوحنا القلعة سلّمه الأمير يوسف مراد أبي اللمع إلى رئيس الرهبان المذكورين الأب سمعان عريض من قتاله وسلّمهم صكاً به يقال فيه إنّه أجاز رئيس عام الرهبانية الأنطونية أن يبني ديراً في محل بيروت العتيقة فأنشأ الرئيس العام المذكور والقس ابراهيم عون المدوّن اسمه على باب كنيسة هذا الدير سنة ١٧٤٨م.

الثامن دير مار روكس ضهر الحسين وقف أرضه آل قانصوه الخازن وبناه دير المطران بطرس الحاج من بكفيا، وكان من هذه الرهبنة وكان ذلك سنة ١٧٦٢م.

التاسع دير مار بطرس القطين سلّمه إلى الرهبنة المطران جبرائيل عواد سنة ١٧٦٠م.

العاشر دير مار سمعان عين القبو سلّمه المطران يواصاف البسكنتاوي سنة ١٧٦٩م إلى الرئيس العام القس إبراهيم عون.

الحادي عشر دير مار أنطونيوس بعبدا أنشأه بيت ياغي من قرية بعبدا قاصدين أن تدخل بناتهم في الرهبانية كبيت اسطفان وبيت الخازن وبيت آصاف وبيت صفير ولم يكن في الدير إلّا معبد صغير للتقديس وبعض غرف حقيرة وكان ذلك سنة ١٧٦٤م في أيّام البطريرك طوبيا الخازن.

الثاني عشر دير مار أنطونيوس البادوي جزين أقامه الرهبان المذكورون بإذن البطريرك يوسف اسطفان ومطران الأبرشية ارميا مطران الناصرة لسكنى الراهبات ب وأخذ الرهبان ببنائه.

الثالث عشر دير مار أدنا الفتوح اتّفق الأمراء الشهابيون والمشائخ الحبيشيون والقس طوبيا عون رئيس الرهبنة العام أن يبنوا ديراً على إسم مار أدنا في مقاطع الفتوح وأرسل الرئيس العام القس سلوانس جوده فرمم أوّلاً الكنيسة القديمة التي كانت هناك وأذن له بطرس مبارك مطران الأبرشية والبطريرك يوسف اسطفان أن

يخدم أبناء الطائفة القاطنين في تلك الناحية فعاون الأب نعمةالله الغزيري القس سلوانس جوده وأنشأ هذا الدير وكان ذلك سنة ١٧٩٢م.

فهذه هي أديار الرهبان الأنطونيين التي أنشئت في هذا القرن وأمّا الأديار التي أنشئت لغير هؤلاء الرهبان فمنها دير مار يوحنا البقيعة بعرامون كسروان ذلك أنّه في سنة ١٧٠٥م حدثت مشاجرة في دير سيد الحقلة بين الرئيس والقس سمعان والقس افرام من عرامون فخرج القسّان من الدير المذكور ونبذا الطاعة لرئيسهما ثمّ أعطاهما أبو عون صوباط قطعة أرض في البقيعة وشرط عليهما أن يبنيا في القطعة المذكورة محلاً يتعلّم به أولاد قرية عرامون وما جاور الدير. قال مؤلف النبذة التاريخية في كسروان: إني طالعت الصك الذي حرّره أبو عون ثمّ انضمّ راهبان آخران من دير مار عبدا هرهريا إلى القسيسين المذكورين فشروا المحل حيث الدير الآن من الشيخ نادر أبي النصر الخازن بخمسة قروش وربع، وأخذوا سنة ١٧٢٥م ببناء الدير. وفي سنة ١٧١٨م جدّد الخوري يوسف حبيش (الذي رقي بعداً إلى الأسقفية) دير مار جرجس علما وجعله لسكنى الراهبات.

وسنة ١٧٢٦م تكرّست كنيسة هذا الدير وجدد رهبان مار اشعيا بناء دير بكركي الذي باعوه بعداً إلى الراهبة هندية.

وسنة ١٧٤٠م جدّد الحاج أبو رزق نطين وابنه القس يوحنا من درعون دير مار يوسف الحرف بجانب درعون. وفي سنة ١٧٤٤م كان إنشاء دير الزيارة بعينطورا بعناية الأب أنطونيوس رئيس رسالة اليسوعيين في سورية، فقد شرى محل الدير من الشيخ أبي شروان موسى بن طربيه الخازن بثمن قدره ألف وتسعمائة قرش دفع ثلثي المبلغ مما جمعه من الإحسان ومن الطالبات الدخول في الدير، والثلث الباقي من الثمن وهبه الشيخ المذكور للدير لأنّه كان له ابنة وشقيقة انتظمتا في سلك الطالبات، وهذا ظاهر من سجل الدير وصك الشراء المؤرّخ في ٧ حزيران سنة ١٧٤٤م. وبعد التئام الراهبات في الدير رأى الأب أنطونيوس المذكور أن يستسرن بقانون راهبات الزيارة الذي ألّفه القدّيس فرنسيس سالس وأن يكون معرّفهنّ أحد الآباء اليسوعيين، واستماح الإذن بذلك من السيّد البطريرك وأساقفة الطائفة فأجازوا ذلك بشرط أن تبقى الراهبات حافظات الطقس الماروني. وفي سجل الدير صك الإجازة هذا مصرحاً فيه أن تبقى الراهبات خاضعات لسلطان بطريرك الطائفة دون

غيره من الأساقفة ومستيسرات بقانون القديس فرنسيس المذكور وحافظات الطقس الماروني وموقع عليه من البطريرك سمعان عواد وبعض المطارين.

وفي سنة ١٧٤٩م أنشأ الشيخ عاد بن صخر الخازن الدير المعروف بدير سيدة البزاز في كسروان للعابدات واتّبعن قانون الراهبة هندية قبل إلغاء رهبانيتها. وقد جاء في النبذة التاريخية في كسروان أنّه في سنة ١٧٦٤م جدّد الشيخ نمر بن أبي نصيف نوفل الخازن دير مار الياس بلوني وهو من أديار كسروان التي جدّدت بعد خرابه، لكنّنا نعلم أنّ هذا الدير كان قبل هذا التاريخ لأنّه في سنة ١٧٣٧م نقل السمعاني الراهبات منه إلى الأديار التي خصّها بالراهبات كما أوضح في تقريره للبابا اكليمنضوس الثاني عشر.

ونحو هذا الزمان أنشأ الشيخ عبد السلام بن عبد الملك الخازن دير مار موسى في القرية المذكورة، وأنشأ البطريرك طوبيا الخازن الذي توفي سنة ١٧٦٦م دير مار أنطونيوس بقعاتا بكسروان، وقد أنشأه وهو مطران لأنّ السمعاني نقل الراهبات منه إلى الأديار التي خصّها بالراهبات كما مر. وفي السنة المذكورة كان أنشأ دير السيدة بمستيتا في بلاد جبيل ذلك أنّ الخوري بطرس ديب رئيس دير سيدة الحقلة زار اتفاقاً في جبيل الأمير يوسف الشهابي حاكم لبنان وكانت له ابنة اعتراها مرض أعيى الأطباء شفاؤه فاستأذن الشيخ سمعان البيطار الأمير ليدخل الخوري إلى مخدع ابنته ليصلي عليها علّ الله ينعطف بصلاته إلى برئها. فدخل وصلى عليها فأنعم الله بشفائها فطابت نفس الأمير وزال غمّه، ودخل الشيخ سمعان على الأمير يهنئه بابلال ابنته من المرض، فحدّثه الأمير بما يكافئ الخوري فأجابه أنّ هذا درويش راغب عن أموال الدنيا فإن لاقى لدى مولاي وهبه قطعة أرض يحرثها مع جماعته، فحسن كلامه للأمير وأمر أن يعطى الأرض المسماة مستيتا كلّها ودوّن الشيخ سمعان صكّاً بها باسم الأمير للخوري. وشرط عليه الشيخ سمعان أن يبني فيها ديراً على اسم السيدة فأخذ الخوري في بناء الكنيسة وبعض غرف بجانبها وكان الأمير يوسف المذكور أنعم على رهبان دير سيدة الحقلة بدير مار دوميط البوار بفتوح كسروان، ومحل القديسة صوفيا بأرض الصفرا هناك ثمّ حكم البطريرك يوسف اسطفان بفصل دير البوار عن دير الحقلة.

وفي سنة ١٧٦٦م أيضاً أقام البطريرك يوسف اسطفان في دير مار يوسف

الحصن بغوسطا الذي كان قد أنشأه من ماله في محل خصّه من متروكات والده.

وفي سنة ١٧٦٩م بنيت فيه كنيسة على إسم القديس يوسف البتول باحسان لويس الخامس عشر ملك فرنسة سيأتي ذكرها في جملة الكنائس.

وفي سنة ١٧٨١م استأثرت رحمة الله بالشيخ ميلان ابن البطريرك يوسف ضرغام الخازن وكان قد وقف كل ما يملكه على إنشاء دير السيدة ببقلوش لأنّه لم يكن له ولد، وباشر ببناء الدير وإعداده ليجمع إليه راهبات. وعاجلته المنية قبل أن يتم بناء الدير وخلفه في إتمام مشروعه ابن عمّه الخوري يوسف شرف بن كسروان الخازن فأكمل بناء الكنيسة سنة ١٧٨٣م. وفي سنة ١٧٩٧م بنى الخوري موسى ديب رئيس دير الحقلة الدير المعروف بدير العفص في محل وقفه أقرباؤه.

أمّا الأديار التي أنشأها الأجانب في كسروان خاصّة فهي دير مار أنطونيوس حريصا بناه رهبان القديس فرنسيس في محل وقفه عليهم الشيخ سنتو بن فياض الخازن مذ سنة ١٦٨١م، ودير القديس فرنسيس للكبوشيين، وكانوا قد حضروا إلى غزير وأقاموا أوّلاً في دير مار الياس غزير للموارنة باذن البطريرك كما مرّ ثمّ أعطاهم الأمير حيدر شهاب والي لبنان قبواً من سراي الأمراء العسافيين وباشروا في بناء ديرهم المذكور سنة ١٧١٢م. ثمّ دير المخلّص المعروف بالكريم للأرمن فانّه في سنة ١٧٠٧م حضر أربعة شبان أرمن من حلب إلى لبنان فدخل منهم راهبان في رهبانية اللبنانيين في دير قزحيا واثنان حضرا إلى كسروان، فوهبهما الشيخ صخر بن أبي قانصوه الخازن محل هذا الدير بغوسطا سنة ١٧١٦م، فترهّبا به وأسّسا رهبانية الأرمن تابعين قانون رهبان القديس أنطونيوس اللبنانيين ثمّ سكن بطاركة الأرمن في هذا الدير إلى أن وقف عليهم الشيخ شرف دهام الخازن محل دير السيدة ببزمار فأخذوا ببناء هذا الدير سنة ١٧٤٩م وجعلوه كرسياً لبطاركتهم ومدرسة لاكليرسهم.

ومن هذه الأديار دير سيدة البشارة في جانب زوق مكايل للملكيين الكاثوليكيين فإنّ ثمان عذارى حلبيات من هذه الطائفة حضرنَ إلى لبنان بقصد الرهبانية والتجأنَ إلى الآباء اليسوعيين المقيمين حينئذٍ بعينطورا فساعدوهنّ على بناء هذا الدير في محل وهبه لهنّ الشيخ موسى الخازن سنة ١٧١٩م، ومنها دير مار ميخائيل بزوق مكايل للرهبان الملكيين الكاثوليكيين الحناويين بنوه في محل وهبه لهم الشيخ موسى بن طربيه الخازن سنة ١٧٤٧م، ثمّ دير سيدة النياح أنشأه الرهبان

الملكيون الكاثوليكيون بنفقة ابراهيم خير الدمشقي كما هو مسطر في التاريخ المنقوش على باب كنيسة هذا الدير، ووهبهم المحل لبنائه أولاد أبي خطار فاضل الخازن سنة ١٧٥٣م، ثمّ دير سيدة النجاة في الشرفة حذا درعون بناه الخوري يوسف مارون الطرابلسي. ولمّا فرّ ميخائيل جروه بطريرك السريان الكاثوليكيين من ماردين إلى لبنان سلّمه الموارنة الدير المذكور لسكناه سنة ١٧٨٣م.

عد ١٠٦
مدارس الموارنة المنشأة في هذا القرن

مدرسة عينطورا

أنبأنا العلّامة الدويهي أنّ الآباء اليسوعيين كان أوّل سكناهم في لبنان سنة ١٦٥٣م، وقد أبانوا هم في إحدى رسائلهم المعروفة بالرسائل المعمرة أنّ الأب لمبر ورفيقيه الذين سافروا إلى سورية سنة ١٦٥٣م ثارت على سفينتهم ريح شديدة ألقتها في محل قريب من عينطورا فأخذهم أهل المحل إلى الشيخ أبي نوفل نادر الخازن حاكم ذلك المحل حينئذٍ، ولمّا عرف أنّهم مرسلون أنزلهم عنده وأكرمهم وأمر ببناء دار ومعبد لهم في محل من أملاكه بعينطورا، وكان يتردد إليهم ويلاطفهم ويساعدهم وهم يطنبون مدحه في رسالتهم المذكورة.

وجاء في المجمع اللبناني صفحة ٥٤٨ ما ذكرناه في ترجمة الأب بطرس مبارك وهو أنّ هذا الأب الورع العالم بنى لأبناء ملّته على عهد ذلك المجمع مدرسة بقرية عينطورا وأجرى عليها الأرزاق ووكل تدبيرها إلى المرسلين اليسوعيين معلقاً ذلك على بعض شروط خشية أن يلمّ بأبناء ملّته شيء من الضرر في المستقبل، فالمدرسة التي بناها الأب مبارك لم تكن محل اليسوعيين الذي بناه لهم الشيخ نادر الخازن بل كانت قريبة منه أو ملاصقة له. وقد ذكر المجمع اللبناني الصك الذي دوّنه الأب فرنسيس رتز رئيس اليسوعيين العام عند استلامه هذه المدرسة وهذا ملخّصه عن ذيل هذا المجمع صفحة ٦٧.

«فرنبسيس رتز رئيس الرهبانية العام. لما كان بعض أفاضل الموارنة قد أسّسوا مدرسة اكليريكية بقرية عينطورا التابعة أبرشية بيروت (هذا كان قبل المجمع اللبناني) وقد طلبوا أن تكون إدارتها بيد مرسلي جمعيتنا فأجابهم سالفنا إلى طلبهم ونصب رئيساً عليها الأب أنطون ماريانكي ونحن نثبت هذا الأمر الذي ينطبق على روح رهبانيتنا ونحكم ونجزم بأسطرنا هذه أن يستمر قائماً ثابتاً إلى ما شاء الله. ونعلن أنّ من نيّة المؤسسين الفضلاء أن يقبل في هذه المدرسة من طلبة الموارنة ولا ينفى غيرهم من طلبة باقي الطوائف وخصوصاً القبط والكلدان بشرط أنّ عدد هؤلاء لا يتجاوز ربع الطلبة، ونأمر وننهي نهياً جازماً رؤساء جمعيتنا ووكلائها ألّا يصرفوا أرزاقها ومداخيلها إلى غير وجهة وأن لا يجسروا على تخصيصها بالرسالات أو صرفها في أي سبيل خيري أيّاً كان. ونريد أن تبقى هذه الإدارة بيد وكيل الرسالات الشرقية في باريس ووكيل معاونية فرنسة المستقر هنا برومة بحيث أنّ مداخيل هذه المدرسة لا تختلط مع مجموع المداخيل الخاصّة بالرسالات المذكورة وترسل إلى رئيس المدرسة على حدة، وإذا نزلت كارثة توجب نقل المدرسة من موقعها فحرصاً على نيّة المؤسسين نأمر بألّا تنقل إلى ما وراء حدود سورية أو إلى حيث لا يوجد موارنة ونأمر أن تبقى مداخيلها وأرزاقها في حالة نقلها ثابتة على حكمها كأنّ مركزها لم يتبدّل. وإذا ترك رجال جمعيّتنا الرسالات السورية واضطرّوا إلى الخروج من سورية فتبقى إدارة أرزاق المدرسة وتدبيرها بيد من حكم الرئيس بأهليته للقيام مقامه إلى أن يرى الرئيس العام القائم وقتئذٍ من يجب تسليم الإدارة إليه في مدّة غياب المرسلين وينبغي أن ترد إليهم لحال رجوعهم إلى سورية ولو قرر رؤساء الجمعية وجوب التخلي عن إدارة هذه المدرسة فعملاً بنيّة المحسنين التي أوضحوها لنا نعلن أنّ على الرئيس العام في هذه الحال أن يعهد بالمدرسة وبنائها ومداخيلها وكل ما يعرف بها إلى أشخاص آخرين يرى فيهم الجدارة لذلك مع التوفّر على رعاية الشروط الآنفة الذكر بحيث أنّ المداخيل والأرزاق تخصص وتصرف في سبيل قيام هذه المدرسة وحفظها إلى ما شاءَ الله وإذا تعذّر الحصول على ما ذكر فتقوم مقامها مدارس صغيرة ينشئها بطريرك الموارنة في بلاد طائفته على ما يرى. وبياناً لصحّة ما تقدّم وقّعنا على هذا الصك بخط يدنا وخاتمنا برومة في ٢٧ شباط سنة ١٧٣٤».

وبقي الآباء اليسوعيون يدبرون هذه المدرسة بحسب الشروط المذكورة نحواً من أربعين سنة ولمّا أُلغيت جمعيتهم سنة ١٧٧٣ استولى البطريرك يوسف اسطفان بطريرك الموارنة على هذه المدرسة ومدرسة زغرتا الآتي ذكرها ثمّ تحوّلت جميع أديار اليسوعيين في الشرق إلى الرهبان العازريين بموجب براءة من البابا بيوس السادس مؤرخة في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٧٨٣، وأمر من لويس السادس عشر ملك فرنسة مؤرّخ في ٢١ كانون الأوّل من السنة المذكورة. ففي سنة ١٧٩٢ أقام رئيس العازريين الدعوى على هذه المدرسة وطلب تسليمها إليه كباقي أديار اليسوعيين فسلّمها البطريرك يوسف اسطفان إلى جمعيته طمعاً بأن يستحصلوا المبلغ الذي كان باقياً لهم عند إلغاء جمعية اليسوعيين وضبط في بنك باريس، وعلى الشروط التي مع اليسوعيين فلم يقبل العازريون هذه الشروط إذ أخلوا بها فتسلّم البطريرك ما كان يخص المدرسة وتسلّموا هم ما كان يخص اليسوعيين.

مدرسة زغرتا

جاء في المجمع اللبناني صفحة ٥٤٩ ما ذكرناه في ترجمة المطران جرجس بنيمين الاهدني وهو أنّ هذا الأسقف إذ كان مطراناً بسورية قد أنشأ في قرية زغرتا من أبرشية طرابلس مدرسة وكنيسة وعيّن لها دخلاً كافياً لمعاش معلّم وتوطيداً لدعائم هذه المدرسة قد عهد بتدبيرها إلى الآباء اليسوعيين الذين انضوى إلى جمعيتهم معتزلاً الأسقفية، وشرط عليهم أن يعلموا من يؤمنهم من الأحداث من القرى الدانية أصول السريانية والعربية إمّا بأنفسهم وإمّا بواسطة معلّم يؤدون له أجرته، وأن يشرحوا التعليم المسيحي للشعب أيّام الآحاد والأعياد كما يتبيّن من الصك الذي دوّنه الأب فرنسيس رتز رئيس اليسوعيين المار ذكره وهذا ملخّص هذا الصك أيضاً.

«فرنسيس رتز رئيس الرهبانية اليسوعية العام. لما كان حضرة الأب جرجس بنيمين الماروني مطران إهدن سابقاً وأحد أبناء جمعيتنا الآن قد بنى وهو أسقف داراً بجانب كنيسة السيدة في زغرتا وخصّص لهذه الدار من الحقول والعقارات الجارية على ملكه ما يفي بمعاش معلمين وإقامة مدرسة لتأديب الشبان في التقى والعلم، ولما كان سالفنا الأب ميخائيل تمبوريني عملاً بنيّة الأب بنيمين الواقف ووفاءً بالرغبة

التي أبداها خطأً خلفه مطران إهدن وبقية الوجهاء والسراة في زغرتا وإهدن في أن يشاهدوا هذه المدرسة خاضعة لديرنا بطرابلس ويروا مرسلينا يمارسون أعمال الرسالة في كنيسة السيدة بزغرتا قد عهد بتدبير هذه المدرسة وإدارة أملاكها إلى رؤساء ديرنا القائمين وقتئذٍ، فنحن نثبت ونقرر بأسطرنا هذه النافذة أبداً حكم سالفنا في مدرسة زغرتا والرسالة في الكنيسة القائمة بجانبها، ونحتم ونجزم بأن يستمر هذا الحكم ثابتاً في المستقبل ونعلن أنّ نيّة المؤسس التي أوضحها لنا إنّما هي أن يتّخذ من المعلمين بمقدار ما تحتمل مداخيل هذه المدرسة ويتحتّم عليهم أن يشربوا الأحداث الآتين إليهم من كل طائفة التقى والعلم دون طلب أجرة، أمّا اختيار المعلمين فيجب أن يكون بيد رئيس المدرسة أو معتمد من قبله وللرئيس السلطان على عزلهم ونصب غيرهم وتعيين رواتبهم والنظر بما يراه عائداً على الطلبة بمعظم الفائدة. ونعلن أيضاً أنّ مدبّري هذه المدرسة لا يكلفون بأداء الحساب عن إدارة أرزاقها إلّا لرؤساء الجمعية وأنّ هذه الأرزاق تكون مخصّصة على الدوام ومعروفة بالمدرسة ولو اقتضت الحال أن تنقل إلى محل آخر، وبعد الحصول على الإذن الصريح من لدن الرئيس القائم وقتئذٍ. وننهي نهياً مشدداً هؤلاء الرؤساء والمدبرين وكل من نيط بهم إدارة شؤونها ونحظر عليهم بقوّة الطاعة المقدّسة أن لا يقدموا على بيع أملاك هذه المدرسة الثابتة أو تبديلها ونريد أن يصرف كل الاجتهاد في الحرص على منقولاتها وأن لا تحول مداخيلها إلى وجوه أخرى ولو كانت للخير، وأن لا تخلط مع مجموع مداخيل باقي الأديار بل أن تكتب في دفتر مخصوص وتنفق في سبيل قيام المدرسة بكل أمانة. وإذا عرض ما ألجأ رجال جمعيتنا إلى الخروج من سورية دون أمل عود قريب فنريد تبعاً لنيّة المؤسس أن ترجع هذه المدرسة مع كل ما تملكه إلى يد مطران إهدن وأكابرها بكل أمانة وأن تسلم إليهم بما عليها من التكاليف مع هذا الشرط وهو أنّه إذا عاد مرسلونا بعد مدّة أية كانت إلى سورية يعتبر أن قد ردت المدرسة إليهم بمجرّد رجوعهم. وكذلك إذا أراد الرئيس العام أن يتخلّى عن تدبير هذه المدرسة وإدارتها لدواعٍ صوابية فعملاً بنيّة المؤسس ترد وتسلم مع أرزاقها إلى يد السيّد مطران إهدن وسراتها بما عليها من التكاليف. وبياناً لصحّة ما ذكر كتبنا هذا الرقيم موقّعاً عليه بخط يدنا ومهوراً بخاتمنا بروما في ١٠ كانون الأوّل سنة ١٧٣٥م. فرنسيس رتز. وبعد إلغاء الرهبانية اليسوعية سنة ١٧٧٣م ردّت مدرسة زغرتا إلى مطران إهدن بحسب هذه الوثيقة.

مدرسة عين ورقة

يظهر أنّ العناية الربانية قد تداركت الطائفة المارونية باعداد خليفة لمدرسة رومة قبل سقوطها فإنّ رجال جمهورية فرنسة عند دخولهم إلى رومة في آخر هذا القرن الثامن عشر ضبطوا مدرسة الموارنة فيها وباعوها إلى بعض العلمانيين وكان الله سبحانه قد ألهم البطريرك يوسف اسطفان أن يحوّل دير عائلته المعروف بعين ورقة إلى مدرسة عامّة للطائفة. فقد مرّ أنّ القس خيرالله اسطفان بنى دير عين ورقة سنة ١٦٩٠م وارتقى هذا القس بعد ذلك إلى الأسقفية ودعي جرجس، وأقام بهذا الدير وخلفه بعده عدّة أساقفة من هذه العائلة وأقاموا غالباً بهذا الدير وجمعوا إليه راهبات واستمرّ هذا الدير كذلك إلى أن عاد البطريرك يوسف اسطفان إلى البطريركية بعد توقيفه عنها فحينئذٍ حوّل دير عين ورقة إلى مدرسة إكليريكية عامّة للطائفة المارونية بتحريضات الشيخ غندور سعد الخوري الذي كان حينئذٍ قنصلاً لفرنسة ببرت. وله رسالتان إلى البطريرك يوسف اسطفان بهذا الشأن أثبتهما المعلّم رشيد الخوري الشرتوني في كتابه سلسلة بطاركة الموارنة الذي طبعه سنة ١٩٠١م وهما ناطقتان بما كان لهذا الرجل الهمام من الحمية والغيرة على طائفته المارونية والعناية بخيرها ونفعها. وقد حمل البطريرك على هذا المشروع الخيري ابن أخيه المطران يوسف اسطفان إذ كان بعد شماساً ثمّ صير كاهناً وأسقفاً ورئيساً لهذه المدرسة وله عليها أيادي بيضاء في نجاحها وتقدّمها. وقد أنشأ البطريرك المذكور سنة ١٧٨٩م صكّاً مطوّلاً بيّن فيه تحويل هذا الدير إلى مدرسة إكليريكية عامة ووضع فيه نظامها وأخصّ قانون تلامذتها وشرح حقوق كل أبرشية مارونية على إدخال طلبة منها إليها إلى غير ذلك، وكتب إعلاماً وجّهه إلى خلفائه من البطاركة الأنطاكيين وإلى مطارين الرعايا القائمين وقتئذٍ وإلى الشيخ غندور سعد القنصل الفرنساوي ببيروت والمشايخ الخوازنة والحبيشية والدحادحة وكل مشايخ الطائفة وأعيانها القيّمين حينئذٍ ومن يخلفهم ناشدهم بهذا الإعلام أن يسعفوا ويؤيّدوا بأنظارهم وإحسانهم ومحاماتهم مشروعه المذكور العائد إلى خير طائفتهم جيلاً بعد جيل، وطلب أن يوقّعوا على إعلامه المذكور بخطوطهم وأختامهم بياناً على رضاهم بهذا الأمر الخيري وقبولهم المحاماة عنه والمساعدة له وهذا الإعلام مؤرّخ في ١٤ كانون الثاني سنة ١٧٨٩م.

ونبغ من هذه المدرسة كثيرون من الرؤساء الأماجد والعلماء الأفاضل حتى كان في القرن التاسع عشر أكثر بطاركة الطائفة ومطارينها وكهنتها الأجلاء المشتهرين من تلامذة هذه المدرسة وسيأتي ذكر كثيرين منهم. وفي جملة الأساقفة من تلامذتها كاتب هذا التاريخ الحقير ومن هذه المدرسة خاصةً انبثت علوم اللغتين العربية والسريانية بين نصارى سورية وغيرها من العلوم والفنون.

عد ١٠٧
كنائس الموارنة المنشأة في هذا القرن

إنّ الكنائس التي أنشأها الموارنة أو جدّدوها في هذا القرن الثامن عشر كثيرة وليس من تعدادها كبير فائدة يستوجب صرف زمان في البحث عنها ولذلك نقتصر على أن نذكر منها ما عرفناه بأقل كلفة.

ومن المعلوم أنّ كل ما ذكرناه في الفصلين السابقين في الأديار والمدارس أنشئ في كل منها كنيسة أو معبد وهي تربو على ستين ديراً ومدرسة ونعلم مما سواها كنيسة سيدة الوردية بزوق مصبح أنشأها كاهنان من هذه البلدة الخوري فرح والخوري رزق الله الزوقيان سنة ١٧٠٨م كما يظهر من تاريخ نقش عليها من نظم الخوري نقولا الصائغ الملكي الكاثوليكي وكنيسة القديس يعقوب المقطع بدلبتا شرع ببنائها الخوري يعقوب الحصروني جد الطيّب الذكر البطريرك يوحنا الحاج سنة ١٧٢٢م.

وفي سنة ١٧٦٣م أنشأ أبو عبدالله الرامي وأقاربه كنيسة مار الياس النبي بفالوغا كما يظهر من التاريخ المنقوش على بابها وهو: «أنشأ هذا الهيكل المبارك على إسم القديس مار الياس وكان المعتني فيه أبو عبدالله أنطونيوس ابن المرحوم الخوري جرجس بن حبيب الرامي وبقية عائلته وكان يومئذٍ على الكرسي الأنطاكي مار طوبيا الخازن الكلي الغبطة وكان المتولي في الحكم جناب الأمير شديد المحترم سنة ١٧٦٣م». وسنة ١٧٦٥م بنيت الكنيسة الكبيرة في دير سيدة الحقلة في أيّام رئاسة الخوري بطرس ديب والقس يوحنا باسيل من معراب.

وفي سنة ١٧٦٩م أنشئت كنيسة مار يوسف الحصن بقرية غوسطا بإحسان لويس الخامس عشر ملك فرنسة فكان البطريرك يوسف اسطفان الذي أنشأ هذا

الدير في محل ورثه عن أبيه كما مرّ. استمدّ هذا الإحسان من الملك المشار إليه فأنعم به عليه ويظهر أنّ مهندسين فرنسيين وضعوا هندسة هذه الكنيسة فحنية مذابحها خاصّة بديعة وعلى مثلها بنى المطران يوسف أبو رزق رئيس مدرسة عين ورقة حنية كنيسة هذه المدرسة التي أنشأها في القرن التالي كما سيجيء.

ونحو هذا الزمان أو قبله بنيت كنيسة القديس جرجس القديمة للموارنة في بيروت وكانت صغيرة فسعى بتكبيرها الشيخ منصور اده وأخوه الشيخ بطرس بنفقة المطران يوسف فاضل مطران الأبرشية ونفقة الشيخين المذكورين ومعاونة وجوه الموارنة بالمدينة واستمرّت هذه الكنيسة هي الكاتدرائية المارونية ببيروت إلى سنة ١٨٩٤م التي بها احتفلت نهار أحد الشعانين بالقداس الأوّل في الكاتدرائية الجديدة على اسم القديس جرجس أيضاً وكنت قد بدأت في بنائها سنة ١٨٨٤م وأنفقت عليها نحو مليونين من القروش كما سيأتي.

وفي سنة ١٧٨٩م وقف يزبك خيرالله وأخواه يوحنا ومنذر قطعة أرض في مزرعة الحصين التابعة قرية غباله بالفتوح بنيت فيها كنيسة على اسم السيدة وهي المعروفة الآن بسيدة الشقيف وكان بهذا المحل خربة كنيسة قديمة مشهورة بعمل العجائب.

المقالة الثانية عشرة

تاريخ الموارنة في القرن التاسع عشر

الفصل الاول

حكام الموارنة واعيانهم

عد ١٠٨

حكام الموارنة في هذا القرن

من بعد اواسط القرن الثامن عشر الى سنة ١٨٦٠م كان حكام لبنان موارنة. فإن الامراء الشهابيين في هذه المدة الذين تولوا لبنان اي اولاد الامير يوسف والامير بشير وغيرهم كانوا موارنة، ولما قسم لبنان الى قائمقاميتين مارونية ودرزية كان على قائمقامية الموارنة اولاً الامير حيدر اسماعيل ابي اللمع ثم خلفه بعد وفاته الامير بشير احمد ابي اللمع الى ان كانت الحرب الاهلية سنة ١٨٦٠م، وكان للموارنة في نظام لبنان المعمول به الآن أربع قائمقاميات في اربع اعمال وهي البترون مع جبة بشري وزاوية طرابلس ثم كسروان مع الفتوح وبلاد جبيل ثم المتن مع قاطع بيت شباب وساحل بيروت ثم جزين مع ما يليها، ينصب فيها اربعة قائمقامين من الموارنة من الامراء وغيرهم واكثر المديرين في هذه القائمقاميات هم موارنة، ومنهم عدة مديرين في قائمقامية الشوف. واما في زحلة والكورة فلا مدير لهم فيهما لصغرهما وان كان من الموارنة جماعة كبيرة فيهما.

واما الاعيان الموارنة في هذا القرن فقد تكاثر عديدهم وربا على ما تتمحله

حالتهم وثروتهم، فالأمراء الشهابيون في لبنان صاروا جميعاً نصارى موارنة إلا قلائل منهم اتبعوا طقس الملكيين الكاثوليكيين او الملكيين غير المتحدين، وكذلك الامراء اللمعيون إلا نفراً منهم اتبعوا طقس الملكيين الكاثوليكيين، وازداد ايضاً كثيراً عدد المشايخ الخازنيين والحبيشيين وآل ظاهر وآل دحداح ومشايخ جبة بشري وآل أبي صعب وآل هاشم، وهؤلاء كانوا دائماً ما برحوا موارنة قحاً. ولكن زيادة عددهم وتوفر احتياجات المعيشة والملبس والأثاث في هذا العصر آلت بكل هذه الأسر الشريفة الى الانحطاط وضيق ذات اليد في عيالٍ كثيرة منهم، وقلّ من بقي يتمكن من أن يعيش كما يقتضيه شرف اصلهم. وزاد في الطين بلة انتشار روح الحرية في هذا العصر فحمل الاهلين على ازدراء سلطتهم وانكار وجاهتهم وعدم رعاية شرف اصلهم، فثار اهل كسروان على مشايخهم الخوازنة وطردوهم من اوطانهم واعتدوا على حاصلات املاكهم حتى قتلوا نفراً منهم، فذهب ذلك بمهابتهم وجشمهم اضراراً وخسائر، وانتشرت هذه الروح في باقي اعمال لبنان فانحطت مهابة الامراء ايضاً وباقي المشايخ لا الموارنة فقط بل غيرهم ايضاً من اية طائفة كانوا. وعندنا ان هذه الحطة في مقام شرفاء البلاد أضرّت بها كثيراً إذ كثر رؤساء القوم، ولا مشاحة انه حيث كثر الرؤساء كثر الخلاف ولم تستقم الحال. وبعد أن كانت سلطة البلاد تنحصر برأي كم وجيه من هذه الاسر امسينا ألعوبة، فتعددت آراؤنا بقدر تعداد افرادنا، على اننا لا ننكر ان بعض الجهلة من هذه الأسر تسبب بهذا الانحطاط بأعمالهم التي لم تنطبق على واجبات الحق والعدل والشرف، ولم يكن من جهة العقلاء من يتدارك غوائل عمل الجهلاء فأفضت الحال الى ما تراها فيه الآن ولله في خلقه غايات لا تدرك.

وكان من اعيان الموارنة في اواخر القرن الثامن عشر واوائل التاسع عشر الشيخ جرجس باز ابي شاكر من دير القمر وأخوه عبد الأحد، وكانا مدبري اولاد الامير يوسف شهاب والتمسا لهم سنة ١٧٩٢م من الامير حيدر والأمير قعدان والي لبنان حينئذ أن يؤجرهم بلاد جبيل فأجروهما اياها بستين ألف قرش كل سنة، وكان جرجس باز حازقاً خبيراً بأساليب السياسة استمال الى مخدوميه أعيان البلاد واصحاب المناصب فيها حتى آثروهم على الاميرين الواليين واستهانوا بهما، وأصبحا عاجزين عن ادارة البلاد وجباية المال الاميري منها، فأشار عليهما بعض اصحابهما ان يسلما الولاية الى اولاد الامير يوسف حذراً من ان يستردها الامير بشير الكبير،

فراسلا جرجس باز بذلك، فأرسل أخاه عبد الاحد إلى الجزار ومعه مائة ألف قرش فأرسل الجزار خلع الولاية إلى اولاد الامير يوسف وابقى عبد الاحد رهناً على ما بقي من المال، فلبس اولاد الامير يوسف الخلع وساروا مع جرجس باز الى دير القمر. ولما تغلب الامير بشير على اولاد الامير يوسف واخذ الولاية من الجزار سار جرجس باز بمخدوميه الى جبيل ولم يلبث الجزار أن تغير على الامير بشير سنة ١٧٩٤م وكتب الى اولاد الامير يوسف أن يحضروا لديه ليوليهم فحضروا من جبيل الى ساحل بيروت، فأرسل لهم الخلع فسار احدهم الامير حسين الى دير القمر ومعه مدبره جرجس باز وسار احدهم الامير سعد الدين الى جبيل، إلا ان الجزار تغير سنة ١٧٩٥م على اولاد الامير يوسف وعزلهم من الولاية وولى الامير بشير، فأراد ان ينتقم من اولاد الامير يوسف فعارضه بذلك جرجس باز مدبر الامراء، وتمكن في سنة ١٧٩٨م أن يردّ الولاية الى اولاد الامير يوسف، لكن اوقفهم الجزار عن المسير الى لبنان بسبب قدوم العساكر الفرنسية الى اسكندرية ثم الى عكا. وبعد أن ارتحل الفرنسيس عن عكا خلع على الاميرين حسين وسعد الدين ابني الامير يوسف وسيرهما الى لبنان وابقى اخاهما الامير قاسم رهناً عنده، فتوجه جرجس باز مع الامير حسين من جهة البقاع واخوه عبد الاحد مع الامير سعد الدين من جهة اقليم الخروب وطاردوا الامير بشير حتى اضطر الى الخروج من لبنان بدعوة سميث الاميرال الانكليزي له لمقابلة الصدر الاعظم في غزة، ولما عاد الامير بشير الى لبنان ومال السواد الاعظم من اهله الى إعادة الولاية اليه بقي جرجس باز معارضاً بما قدر عليه من التدابير الى أن وقع الصلح، على أن يتولى اولاد الامير يوسف بلاد جبيل والامير بشير باقي البلاد، واقام جرجس باز في دير القمر عند الامير بشير في اوج الوجاهة واخوه عبد الاحد في جبيل وبيده زمام الحكومة.

ولما توفي الجزار ونصب ابراهيم باشا مكانه وبلغ الى دمشق ارسل اليه الامير بشير جرجس باز بمائة فارس فأمر الوزير أن تلتقيه قواد العساكر والاعيان ودخل جرجس باز عليه فأكرمه وأجلّه وكان يستشيره في مهامه، وعظمت منزلة جرجس باز واخيه عند اعيان البلاد ولم يكن لهما ميل الى الامير بشير بل كانا يصنعان افعالاً تسوءه، فأضمر لهما السوء واتفق مع اخيه الامير حسن على اغتيالهما ووافقهما على ذلك المشايخ اليزبكية الدروز وساروا مع الامير حسن الى جبيل في ٥ ايار سنة ١٨٠٧م، واحاطت جماعة بعبد الاحد باز في داره فألقى نفسه من

شباك فقتله من كانوا اسفل، وفي النهار المذكور استدعى الامير بشير الشيخ جرجس باز اليه ولما جلس بحضرته خرج الامير واغلق الباب وامر بعض الدروز أن يدخلوا ويقتلوه فدخلوا عليه وخنقوه.

وكان من اعيان الموارنة في هذا القرن المشايخ بنو ابي صعب فأبو صعب هو جرجس ابن الخوري بطرس بن يونان ابي سليمان من المتين وكان له اربعة اولاد اسعد والياس وغالب ونصيف وقد أقام بخدمة الامير يوسف شهاب واشترى املاكاً في جبيل وارتحل اليها، ولما نزح المقدمون بنو الشاعر من تولا سنة ١٧٧٠م اشترى ابو صعب دارهم في تلك القرية، ثم شرى بعض مزارع في جنوبي جبة بشري واستوطن احداهما المعروفة بمزرعة الحاج حسن وتعرف الان بمزرعة بيت ابي صعب، وعاون مشايخ جبة بشري على طرد المتاولة منها. وقد اشتهر ابنه اسعد بفراسته وشجاعته في وقائع عديدة في ايام الامير يوسف واولاده والامير بشير الكبير. وتوفي ابو صعب جرجس سنة ١٧٩٤م واستمر ابنه اسعد يزداد شهرة في بسالته في خدمة الامير بشير الى أن توفي سنة ١٨٢٣م وله ابنان جرجس ويوحنا، وسنة ١٨٣٤م دعا الامير امين ابن الامير بشير شهاب يوحنا المذكور لخدمته وجعله رئيس كتابه، وسافر سنة ١٨٤٠م معه ومع الامير بشير والده الى مالطة، فتعلم هناك اللغة الايطالية ثم سافر معهما الى الآستانة سنة ١٨٤١م فتعلم التركية وأتقن اصول الخط العربي فنبغ فيها ورجع الى بيروت سنة ١٨٤٩م كاتباً عربياً في خدمة مصطفى باشا الشكودري، ثم استدعاه وامق باشا والي ايالة صيدا واعزه وجعله ترجماناً لطائفته عنده، ولما تولى الامير بشير احمد ابي اللمع قائمقامية النصارى سنة ١٨٥٤م جعله رئيس كتابه وقربه اليه. وسنة ١٨٥٥م أنعم عليه وامق باشا بلقب بك فكتب له الامير ولأقاربه الأخ العزيز مثل باقي مشايخ لبنان، وتزوج يوحنا زيجة اولى بنت يوسف فرنسيس نادر من المشايخ بيت الخازن، وخدم متصرفية لبنان مدات بوظيفة رئيس القلم العربي في مدة داود باشا وفرنكو باشا ورستم باشا وتوفي من سنين وكان شاعراً وله ديوان كبير.

وأما اخوه جرجس فقد اشتهر بالشجاعة في المواقع التي كانت بين النصارى والدروز سنة ١٨٤١م، وفي سنة ١٨٤٣م اختير عضواً لديوان الامير حيدر اسماعيل قائممقام النصارى، وعزل سنة ١٨٥١م ثم اعاده الامير حيدر الى وظيفته سنة ١٨٥٣م، ولما تولى الامير بشير احمد قرّبه اليه وبقي في خدمته الى أن توفي

سنة ١٨٥٨م، وكان ابناه اسعد والياس في عضوية مجلس ادارة لبنان على التعاقب في نظام لبنان الحالي عدة سنين.

عد ١٠٩

يوسف بك كرم

هو ابن الشيخ بطرس كرم حاكم اهدن وما يليها. ولد بإهدن سنة ١٨٢٥م على ما نعلم ونشأ على روح الدين والتقوى وحب الشرف وطلب المعالي وأقام له ابوه من اهتم بتعليمه اللغة العربية والفرنسية ومبادئ العلوم، وتعلم علم السلاح من اطلاق رصاص وضرب سيف على الشيخ عماد الهاشم العاقوري الشهير وبرع في ذلك ولو كان للنصارى حظ في الجندية في الممالك المحروسة وتجند لكان للسلطنة فيه قائد من اعظم قواد هذا العصر كما سترى من ذكر اعماله. وفي نحو السنة العشرين من سنة نصبه الامير حيدر اسماعيل قائمقام النصارى حاكماً على اهدن اقطاع ابيه واسرته وله في مدة حكومته هذه اعمال تذكر فتشكر من اجراء عدالة وعفاف نفس ومحافظة على آداب، ورعاية دين وتدريب شبان على محبة الدولة والوطن، مقرناً كل ذلك بصلاح سيرة وورع وايمان حيّ وغيرة على الدين والادب. وقد تفرر بحبه الطهارة حتى يمكن أن يقال عنه انه في حياته كلها ما نظر الى وجه امرأة نظراً يؤاخذ عليه، وقد عاش نحو عشرين سنة في مدن اوروبا كباريس ونابولي والناس تتعجب من فضيلته هذه، ورؤساء الدين يجعلونه مثلاً للطهر ويحثون على الاقتداء به. ومع ما كان عليه من الوجاهة وسعة اليد استمر متبتلاً حياته كلها.

وكان قد عزم في سنة ١٨٥٩م أن يجمع كهنة علماء ويوقف املاكه عليهم ويعيش معهم مثابراً على اعمال الرسالة الدينية والروحية، وقد كاشفني بهذا ورغب الي ان انضم اليهم وانا كاهن معلم في مدرسة القديس يوحنا مارون، فأجبته أن يلزم التأني بفحص دعوته لأني أرى ان المقتدرين مثله على نفع عباد الله في الزمنيات قليلون جداً، وأما الكهنة المقتدرون على الرسالة فكثيرون، وعليه ارى ان الله يدعوه لنفع عباده بالزمنيات بالاولى. كنا في هذا الحديث مساء بداره باهدن

السمنة المذكورة، وفي اليوم التالي وردت الاخبار المنبئة بحصول وقعة بين النصارى والدروز في قرية بيت مري فرأيته شبت فيه نار الغيرة وهبت عاصفة الحمية والوطنية واخذ يستدعي مشايخ جبة بشري والزاوية ووجوههما لاجتماع في قرية بان حيث خطب فيهم مبيناً ما يلزم عمله والاحتياط به وقاية من غوائل الحال المستقبل، وكأنه ناظر بذكائه ما كان بعداً، ولدى اجتماعي به ثانية أبنت له أن الله يدعوه لغير الرسالة. فقال حينئذ: (لتكن مشيئة الله).

ولما انتشبت الحرب الاهلية بين النصارى والدروز سنة ١٨٦٠م ارسل صكوك املاكه الكثيرة الى بيروت يرهنها عند من يدفع له ثلاثمائة الف غرش لينفقها في انجاده النصارى، وقام في نحو اربع مائة شاب اختارهم من جبة بشري وصحبه في سيره كثيرون الى أن بلغ بكفيا مجتمعاً اليه نحو الفي مقاتل، فورد له رسالة من قنصل افرنسة الكونت دي نيتي فوليو يمنعه فيها من التقدم الى بلاد الدروز لئلا يثبت ان النصارى معتدون، فأجابه ان الجميع يعلمون ان الدروز ابتدأوا القتال وما انفكوا يجددونه وما نحن إلا مدافعون عن نفوسنا واخوتنا، فأرسل القنصل اليه ثانية يقول قد اتفقت انا وقناصل الدول وخورشيد باشا على ان دولته يمنع الدروز عن كل عمل عدواني وانا أوقفكم في محلكم، وإذا لم تقفوا في بكفيا حيث انتم كان النصارى جميعاً مسؤولين بعملكم. فأجابه قد امتثلت الامر وان كنت على يقين ان الدروز لا يقفون عن القتال ولكني إذا شعرت بأقل حركة منهم اسرعت للحال الى المدافعة. وبعد ارسال الجواب ورد الخبر ان الدروز والعرب وغيرهم محاصرون زحلة فهبّ البك برجاله طلق العنان، ولكنه لما اطل على زحله رأى النار تشتعل في بيوتها ثم التقى بالفارين منها فعاد الى المروج ثم الى جونية جاعلاً لها مركز المدافعة متجشماً نفقات لا تقدر على رجاله وعلى كثير من الفارين. وقد بقي بجونية مع رجاله الى ان وفد فؤاد باشا والعساكر الفرنسية الى بيروت فسماه فؤاد باشا وكيل قائمقامية النصارى وأظهر له المحبة والايناس، وقدره الفرنسيون ووكلاء الدول حق قدره وكان الجنود الفرنسيون يسمونه يوسف الاول، ولكنه اختلف اخيراً مع قسم من كبرائهم لنصحه لهم بترك بعض مظاهرات تعود على شأنهم بالانحطاط وعلى البلاد بالضرر، واستمر على وكالة القائمقامية الى أن سمي داود باشا متصرفاً للبنان.

وأراد داود باشا أن يستعمل كرم بك في احدى قائمقاميات لبنان لعلمه بما له من نفوذ الكلمة وما للشعب من الهوس به، لكن البك كان يعلم بما كان من

المفاوضات بالآستانة من شأن متصرف جبل لبنان، وانه سمي اجنبياً على سبيل الاختبار مدة ثلاث سنين، وإذا لم ينجح فيها استبدل بحاكم وطني كما كانت فرنسة والنمسا وروسيا تبتغي، ولذلك ابى قبول اية وظيفة كانت. ولما كثر الالحاح عليه بقبول منصب شرط أن يستقيل منه متى أراد تخلصاً فسمي بقائمقامية (كانت حينئذ تسمى مديرية) جزين فاستقال منها في اليوم الثالث كشرطه وسار الى داره بإهدن.

وسمي الأمير مجيد شهاب قائمقاماً على كسروان والبترون (جعلا بعدئذ قضاءين) ورغب في أن يتفق مع يوسف بك كرم وكاشفه بذلك على يد بطريركية الموارنة فأبى البك إلا الاعتزال عن كل خدمة للحكومة، فوجس داود باشا من هذا الاعتزال وشكا الامر الى فؤاد باشا فكتب الى كرم بك أن يحضر اليه طلق العنان (كما في اصل الرسالة) فأسرع بالحضور الى بيروت دون ابطاء، ولما قابل فؤاد باشا امره أن يبقى حيث كان في الثكنة العسكرية، فبقي فيها مكرماً وبعد ايام صحبه فؤاد باشا معه مسافراً الى الآستانة في آخر سنة ١٨٦١م.

وأقام بالآستانة مكرماً مطلقاً له أن يتوجه حيث شاء إلا سورية وعين له راتب شهري، وانتقل بعد مدة الى قرية برنابا بجوار ازمير منتظراً نهاية مدة الاختبار بمرور ثلاث سنين، ولكن عند نهايتها في سنة ١٨٦٤م كان بعض عمال فرنسة قد غير افكار رجال وزارتها في شأن طلب حاكم وطني، فعدلوا الى تجديد ولاية داود باشا. ولدى اجتماع سفراء الدول عند ناظر الخارجية بالآستانة تقرر هذا التجديد ولما عرف يوسف بك بذلك سار مسرعاً من برنابا الى ميناء طرابلس ثم الى زغرتا فبلغها في ١٢ تشرين الثاني سنة ١٨٦٤؛ فاهتز لبنان له وأمَّه الناس افواجاً من كل انحاء لبنان، ورأى داود باشا ان لا قوة كافية له لكبته فلجأ الى بطريرك الموارنة واعداً أن يسترضي الدولة عن يوسف بك وينيله كل ما يبتغي بحيث أن يكتب له كتاباً يبين فيه انه يريد الاقامة بوطنه خاضعاً للشريعة والنظام، وبعد الإلحاح على البك بذلك كتب له كما رغب وأجابه الباشا مؤمناً له ومبدياً كل انعطاف اليه.

صنع داود باشا هذا وسافر سنة ١٨٦٥م الى الآستانة عالماً انه لا تستقيم له حال إلا أن يذلل كرم أو يبعده عن البلاد، وعرض الامر على الباب العالي مدعياً انه لا وسيلة له في حكم لبنان إلا بأن يستريح من كرم، واستعد لحربه واتى بفرقة

من الدراغون الى لبنان، وبعد عوده من الآستانة قبض في آخر السنة المذكورة على بعض انسباء كرم واصحابه قاصداً تهييجه، وأتى وأقام بصحراء جونيه يصحبه العسكر اللبناني والدراغون وفريق من العسكر العثماني، وعلم يوسف بك بما وراء الاكمة فأتى بجمهور من سكان شمالي لبنان غالبهم من اهل السلامة لا من اهل الحرب إذ كان مقصده ابداء مظاهرة تحمل الباشا على الصلح. وبلغ البك في حشده في ٦ كانون الثاني سنة ١٨٦٦م الى دير مار دوميط البوار وبينا كان يسمع القداس اطل بعض فرسان الدراغون على رجال البك وناوشهم القتال فشبت نار الحرب، وتقدم البك برجاله الى المعاملتين فزادت نار الحرب تسعراً وقتل من الطرفين عدة قتلى، وأتى بعض الكسروانيين من جهة غزير لانجاد الكرميين فصدهم العسكر الذي كان في غزير وعاد البك برجاله الى زغرتا.

ان في ما كان ليوسف بك كرم في الاحداث الآتي ذكرها موعظة فعالة ووزاعاً شديداً في ردع كل فرد من رعايا الحكومات عن أن يجسر ولاسيما في هذه الايام على أن يعاند السلطة العظمى ولو مهما كان متبوعاً او كان مزيناً به من الشجاعة والبسالة، حتى ولو كان معتقداً بأنه يخالف عمال الحكومة لا رأسها فالحكومة ترى العصيان على عمالها عصياناً عليها كما كان لهذا الرجل، فإنه بعد انكسار رجاله في المعاملتين كتب الى عمال الباب العالي بسورية والى قناصل الدول ببيروت يقيم الحجة على انه متشبث بالطاعة للمتبوع الاعظم ولا يريد العصيان ولا محاربة عسكر الدولة العلية، على انه لا بد له من المدافعة عن نفسه وأرفاقه إذا ارسل داود باشا العساكر عليه، فأخذ داود باشا يبين لهم ان ترك كرم في هذه الحال حطة في شأن الحكومة ولا يستقيم لها حال إلا باذلاله وابعاده، ويتعهد بكبته بأقرب آن وبأيسر وسيلة، فأجيب الى طلبه بتوجيه العسكر ثانية اليه فأرسل العسكر اللبناني ونحو ثلاثة آلاف مقاتل من جنود المملكة فقام البك من زغرتا الى بنشعي ومعه نحو اربعمائة رجل فتبع العسكر آثارهم واضطرمت نار الحرب ساعات وفي آخرها رجع عسكر داود باشا مدحورين الى طرابلس، وكسب الكرميون شيئاً كثيراً من سلاحهم استعانوا به على حربهم في مواقع اخرى.

فاتسع خرق هذه الفتنة وامسى ضربة لازب أن تنتصر الحكومة اعلاء لشأنها فجمع داود باشا نحو ثمانية آلاف مقاتل وسيرهم على كرم وهو في قرية سبعل واصحابه لا يبلغون خمسمائة رجل، فتلظت نار الوغى بين الفريقين من الصباح

حتى المساء، وبات كل من المتحاربين متحفزاً للقتال، وعند الصباح رأى كرم انه لم يبق لرجاله بارود فصرف جمهوراً منهم ليذهبوا في سبيلهم ومضى بمن بقي الى داره في اهدن ثم عمد الى الاختباء ومعه نحو خمسة عشر رجلاً فدخل العسكر اهدن وحرق داره.

وكان كرم يغير مخبأه وقد كبسه مرات رجال الحكومة وكان يتملص منهم سالماً ظافراً فكبسه مرة مدير بشري ومعه نحو مائتي رجل وكان في خربة بيته بإهدن ومعه سبعة رجال بدّد بهم حشد المدير. وكان مرة في وادي النسور في منعطف لبنان من جهة بعلبك فجمع قائمقام بعلبك حشداً كبيراً من جنود وغيرهم نحو الف رجل وقصدوه في مخبئه فهب اليهم بسبعة رجاله فلم يجسروا ان يدنوا منه بل ولّوا هاربين. واحتاطه مرة في نبع جوعيت نحو ألف رجل فانحدر امامهم في وادي النهر لجهة مزيارا فأقاموا له كميناً على الطريق التي بين سبعل ومزيارا واتبعه الرجال على ضفتي الوادي، ولما بلغ الكمين وايقن أن لا مناص له صاح بأصحابه وكانوا نحو خمسة عشر رجلاً: سيوفكم يا أبطال واستلّ سيفه ومشى على القوم المشتبكين في الطريق وحوله رجاله فارتاع الكامنون وانحسروا من طريقه واجتاز بينهم ومضى.

واخيراً سئمت نفسه الاختفاء فهبّ متظاهراً على نبع جوعيت وتألب اليه نحو ثلاثمائة شاب من نخبة رجاله، فسار بهم في وسط البلاد لا يعترضه احد بل رحب به الجم الغفير مارّاً بجبة بشري وبلاد البترون وجبيل وكسروان الى أن بلغ بكفيا في أواسط كانون الثاني سنة ١٨٦٧م والعسكر اللبناني يتبعه عن بعد ولم يتحرش لقتاله إلا في الوادي الفاصل بين كسروان والقاطع، وقبل ان ينتهي القتال بلغ الى البك وفد من قبل القنصل الفرنساوي العام يعرض عليه أن يكون مظللاً بحماية فرنسة ويسافر اليها بضمانتها وأن يلتقيه الى بطريركية الموارنة، ذلك ان داود باشا رأى اتساع الخرق على الراقع فلجأ الى قنصل فرنسة بهذه الوسيلة فأذعن البك لوساطة القنصل وعاد الى بكركي وجاء القنصل اليها.

وشهر القنصل اعلان حماية فرنسة لكرم على الجمهور وقبل البك هذه الحماية وأن يسافر الى فرنسة تحت رايتها وبارح بكركي قاصداً بيروت للسفر منها الى مرسيليا فاجتمعت في بكركي ألوف مؤلفة ورافقه اكثرهم الى بيروت وغصت

الطرق بالملاقين له من بكركي الى بيروت وكان لدخوله الى بيروت ملتقى قلَّ أن يسبق له نظير وسافر منها الى مرسيليا في شهر شباط سنة ١٨٦٧م.

وسار من مرسيليا الى جزائر الغرب حيث اقام مدة وجعل له عاهل فرنسة جعلاً سنوياً ألف ليرة فرنسية ثم استأذن بعدها بالحضور الى باريس فشخص اليها، ولما لم يرَ من وزير خارجيتها ما يوافق مصلحته خرج منها الى البلجيك ثم اتى الى رومة فأقام بها مدة وصرف مدة اخرى في كورفو وعاد الى نابولي فتوطنها مدة طويلة. وفي سنة ١٨٨٧م بلغ الباب العالي انه يسعى ليأخذ الجنسية الايطالية فوجس من ذلك، وكنت تلك السنة برومة فأوعز اليّ سفير دولتنا العلية أن أقنعه بالعدول عن ذلك فعند مبارحتي رومة عرجت الى نابولي وكاشفته بما قيل عنه فحقق لي ان ما عُزي اليه من اتخاذه جنسية ايطاليا لم يخطر له ببال وانه لو شاء أن يغير جنسيته العثمانية لأمكنه أن يتخذ جنسية دولة اخرى لكنه حافظ ويريد أن يحافظ ما دام حياً على صبغته العثمانية، وانه كرر قيام الحجة مراراً على انه ما قصد البتة أن يخرج من طاعة السلطان الأعظم، بل ان كل ما عمله لم يكن إلا مدافعة عن نفسه من ظلم خصمه داود باشا. واستشهد جريدة الجوائب التي كانت في مدة حربه مع داود باشا تجد في اثبات هذه الحقيقة اي انه لم يكن عاصياً على الدولة بل على داود باشا، ولما بلغت الى الآستانة العلية وعرضت ما قاله لي على فخامة الصدر الاعظم كامل باشا أسمعني انه إذا اراد كرم نصَّبه قائمقاماً او متصرفاً ايضاً على احدى مدن سورية خارجاً عن لبنان، فكاشفته بذلك فاجابني انه يابى كل خدمة ويؤثر ان يقضي ما بقي من حياته في الغربة. وهكذا كان، فإنه توفي بنابولي سنة ١٨٨٨م ودفن في احدى مدافنها ولم يحنّط. وبعد نحو خمسة عشر شهراً ارسل البكوات ابناء اخيه من يأتي برفاته الى موطنه فعجب كل من حضر من بقاء جثته سالمة من الفساد وقد اتّي بها الى اهدن وشاهدها خلق كثير لا يحصى بريئة من الفساد والتغير ويعزو الجمهور ذلك الى فضيلة طهارته التي حافظ عليها في حياته كلها بشهادة كل من عرفه في المشرق والمغرب.

الفصل الثاني

بعض مشاهير العلم من الموارنة

عد ١١٠

المعلم بطرس البستاني

هو بطرس بن بولس بن عبد الله بن كرم بن شديد بن ابي شديد بن محفوظ بن ابي محفوظ البستاني (كذا ذكر نسبه في كتابه دائرة المعارف). ولد بقرية الدبية باقليم الخروب سنة ١٨١٩م ودرس مبادئ العربية والسريانية على الخوري ميخائيل البستاني ثم ارسله نسيبه المطران عبدالله البستاني مطران صور وصيدا الى مدرسة عين ورقة، فتلقى فيها آداب اللغة العربية ثم اللغات السريانية والايطالية واللاتينية ثم العلوم الفلسفية واللاهوتية والشريعة الكنسية والتاريخ والجغرافية والحساب، وأراد البطريرك يوسف حبيش أن يرسله الى رومة للتكمل بعلومه فلم ترضَ امه اذ كان ابوه توفي فعين معلماً في المدرسة المذكورة وبقي فيها الى سنة ١٨٤٠م، حين حضرت مراكب الدولِ الى ثغور سورية لاعانة الدولة العلية على اخراج الحكومة المصرية منها فاستخدمه الانكليز ترجماناً، وتعرف حينئذ ببعض القسوس الاميريكان فكان يعلمهم العربية ويعرّب لهم الكتب التي ينشرونها، فتمكنت علاقات المودة بينه وبينهم حتى شايعهم وتابعهم على مذهبهم. وفي سنة ١٨٤٦م انشأ الدكتور فان‌ديك مدرسة بعبيه وجعله معلماً فيها وأقام على ذلك سنتين وألّف إذذاك كتابه الموسوم بـ«كشف الحجاب في علم الحساب» ثم قدم الى بيروت فعين ترجماناً في قتصلية اميريكا بها وعكف على التأليف والترجمة ودرس في اثناء ذلك اللغتين العبرانية واليونانية وعاون الدكتور سميث الاميريكي على ترجمة الاسفار المقدسة الى العربية، فوضعا ترجمة اكثرها ثم توفي سميث فأتم الدكتور فان‌ديك هذه الترجمة المشهورة وألّف المعلم بطرس حينئذ معجمه الموسوم

بـ«محيط المحيط». وانشأ في سنة ١٨٦٠م نشرة سماها «نفير سورية». وسنة ١٨٦٣م انشأ ببيروت مدرسة سماها «المدرسة الوطنية» تخرّج بها كثيرون من الطلبة وانعمت عليه الحضرة السلطانية بوسام الشرف مكافأة لخدمته. وكان ولده سليم رئيساً للمدرسة تحت إدارة والده ويدرس بها الطبيعيات والتاريخ والصف الاول في اللغة الانكليزية، ولما فرغ من معجمه محيط المحيط اقتطف منه مختصراً سماه «قطر المحيط». وفي سنة ١٨٧٠م انشأ مجلة علمية ادبية سياسية سماها «الجنان» وعهد بإدارتها وانشائها إلى ولده سليم، فكان له بها مقالات كثيرة جزيلة الفائدة ثم انشأ جريدة اسبوعية سماها «الجنة» ونشرة يومية سماها «الجنينة».

وكان قد وعد في آخر محيط المحيط بتأليف معجم لأسماء الأعلام المشاهير ثم رأى أن يتوسع في مشروعه هذا فأخذ في تأليف مؤلفه الشهير المعروف بـ«الدائرة المعارف» جامعاً فيه تراجم الاعلام من سلاطين وملوك وعلماء واعيان ومدن واعمال ومقالات في العلوم والفنون على اختلاف مواضيعها، فشرع فيه سنة ١٨٧٥م يعاونه به ابنه سليم وبعض الكتّاب، فأكمل ستة مجلدات وتوفي في بدء السابع، فأتمّ ابنه سليم السابع والثامن وتوفي قبل شروعه في التاسع فأصدر أبناؤه الباقون الجزء التاسع بمعاضدة ابن عمهم سليمان خطار البستاني الذي اخذ في اتمام هذا التأليف النافع مع نجيب ونسيب ابني المترجم، فصدر منه الجزء العاشر والحادي عشر، ومأخوذ في تأليف الثاني عشر. وتوفي المعلم بطرس في اول أيار سنة ١٨٨٣م بعد أن قضى حياته كلها خادماً للعلم. وله من التآليف ما سبقت الاشارة اليه وكتاب مسك الدفاتر وكتاب مفتاح المصباح في الصرف والنحو. وقد طبع كتاب «بحث المطالب» للمطران جرمانوس فرحات وذيَّله بحواشٍ كثيرة وخطَّأه في بعضها لاعتماده على نسخ غير صحيحة، فانتقدت تلك الحواشي بكتاب لم يطبع. وللمترجم خطب ومواعظ كثيرة وأبّنه ورثاه بعد موته عدة من مشاهير قطرنا وفاضت الجرائد العربية وغيرها بالرثاء والاسف على فقده. ومن أحبّ الاطلاع على ذلك فليطالع المجلد السابع من دائرة المعارف في كلمة دائرة وكتاب مشاهير القرن التاسع عشر لجرجي افندي زيدان. وبعد وفاته عاد ابناؤه وبعض بناته الى المذهب الكاثوليكي في الطقس الماروني وقد حافظ هو في حياته على طائفته المارونية بأمياله ومساعيه وكان ينوي العود الى المذهب الكاثوليكي لو لم يعاجله الموت بغتة وكذلك كان لابنه سليم.

عد ١١١

فارس الشدياق

هو فارس بن يوسف بن منصور بن جعفر شقيق بطرس الملقب بالشدياق من سلالة المقدم رعد بن خاطر الحصروني الماروني الذي تولى جبة بشري في القرن السابع عشر. ولد بعشقوت من كسروان سنة ١٨٠٤م وانتقل والداه الى الحدث في ساحل بيروت سنة ١٨٠٩م وتخرّج اولاً بشيء من العلوم في مدرسة عين ورقة. وتوفي والده وهو صبي فأتقن صناعة الخط وكان ينسخ الكتب لنفسه ولغيره بالاجرة، ثم سار الى مصر وفيها اتقن الدروس العربية وتولى كتابة جريدة «الوقائع» المصرية ثم سافر إلى مالطة سنة ١٨٣٤م وأقام بها زهاء اربع عشرة سنة يدرس في مدرسة المرسلين الاميريكان ويعرب ما يطبع في مطبعتهم. واخذ في التأليف والتصتيف. وفي جملة ما ألّفه هناك كتابه الذي سماه: «الواسطة في معرفة احوال مالطة». وفي سنة ١٨٤٨م طلبته جمعية ترجمة الاسفار المقدسة بلندرا من حاكم مالطة ليعاونها في ترجمة الاسفار الى العربية، فعاونها بتعريب هذه الترجمة وتنقيحها وضبطها فكانت احسن الترجمات من حيث اللغة العربية. وعاد بعد فراغه من هذه الترجمة الى باريس فاجتمع بصديقه وابن وطنه الشيخ رشيد الدحداح نزيل باريس حينئذ، وكان الشيخ رشيد قد طالع كتاب المترجم الموسوم بـ«الفرياق» واخبرني انه لامه وعتبه على تخطئته به حدود الادب والحشمة واقترح عليه أن يكتب كتاباً آخر يصلح به ما فرط منه بالفرياق فأخذ حينئذ بتأليف كتابه الموسوم بـ«كشف المخبا عن احوال اوروبا» وصف به تلك البلاد وصفاً دقيقاً محكماً بعبارة فصيحة رقيقة وقضى مدة طويلة متجولاً بأوروبا بزيّه العربي. وأتقن اثناء ذلك اللغتين الانكليزية والفرنسية وتزوج بسيدة انكليزية لم تلد له اولاداً ونال حماية دولة انكلترا. واتفق ان احمد باشا باي تونس زار فرنسة وهو فيها وأجزل عطاياه لفقرائها فنظم له المترجم قصيدته الشهيرة ومطلعها:

زارت سعاد وقلبي اليوم متبول   فما الرقيب بغير النشر مدلول

وما سعاد وقد زارت باسكن من   ظباء وجرة تهديها مطافيل

وشاحها مثل قلبي لم يزل خلفقٌ   وزندها اخرس الدملوج مجدول

وارسلها اليه الى تونس فأرسل الباي يستقدمه اليه على سفينة حربية فتعجب المترجم لهذه الدعوة وقال لعمري ما كنت أحسب ان الدهر ترك للشعر سوقاً رائجة. وأقام بتونس يدوّن بها جريدة «الرائد التونسي».

ومن جملة نظمه قصيدة مدح بها السلطان عبد المجيد ابان الحرب بينه وبين دولة روسيا تزيد على المائة والثلاثين بيتاً قال في مطلعها:

الحق يعلو والصلاح يعمرُ   والزور يمحق والفسادُ يدمرُ

ومنها من كان من بين الورى سلطانه   عبد المجيد فإنه لمظفر

من جوهر الاخلاص صور ذاته   رب قدير كيف شاء يصور

ولاه امر الدين والدنيا معا   فهو الامام الحاكم المتأمر

فسرّت جلالة السلطان بهذه القصيدة واوعزت اليه بالقدوم الى الآستانة، وكان قد شخص الى تونس فولاه الباي احسن منصب فأسلم وسُمّي احمد فارس الشدياق فطلبه الصدر الاعظم من الباي فقدم الى الاستانة فتولى تصحيح الطباعة العامرة سنين.

وفي سنة ١٢٧٧هـ (سنة ١٨٦١م) انشأ جريدة «الجوائب» الشهيرة وأجاد في انشائها وسبكها فأقبل عليها الجمهور وكثر المشتركون فيها في الهند وفارس والعراق وبلاد العرب ومصر وسورية والمغرب، واقتطف ابنه سليم منها كتاباً يسمى «منتخبات الجوائب» وقضت الاحداث بالغاء الجوائب سنة ١٨٨٤م وما زال عاكفاً على التأليف والتصنيف الى آخر ايامه. وسار قبل وفاته الى مصر فلقي بها كل تجلة واكرام من الخديوي ووزرائه وكبراء القوم وعلمائهم، ونعلم عن رسالة كتبها الى احد انسبائه انه كان ينوي العود الى لبنان موطنه ليموت بين اهله ومواطنيه وابناء ملته، فألجئ الى العود الى الآستانة حيث وافته المنية، وأوصى أن تنقل جثته الى لبنان ويدفن بالقرب من ابنائه فدفنت في الحازمية على مقربة من الحدث موطنه سنة ١٨٨٧م.

اما مؤلفاته فمنها:

١- «سر الليال في القلب والابدان» وهو كتاب في اللغة قصد به بيان مدلولات الاسماء والافعال من قلبها او تبديل بعض أحرفها وكشف اسرار معانيها واستدراك ما فات صاحب القاموس من لفظ او مثل. طبع بالآستانة سنة ١٢٨٤هـ وقد اهدى إلي نسخة منه عند وجودي بالآستانة بمعية الطيب الذكر البطريرك بولس مسعد سنة ١٨٦٧م.

٢- «الجاسوس على القاموس» انتقد به الفيروزبادي في قاموسه المحيط ضمنه افادات كثيرة لغوية، وترجمات صاحب القاموس وصاحب العباب والصحاح والمحكم ولسان العرب، وانتقد القاموس من جهة عبارته وخطته ومعاني الفاظه واشتقاقها الى غير ذلك.

٣- «كشف المخبا عن فنون اوروبا» وتقدم ذكره.

٤- «الواسطة في احوال مالطة» وتقدم ذكره ايضاً.

٥- «اللفيف في كل معنى ظريف» جمع فيه كلمات مفيدة وحكماً مأثورة وأمثالاً وحكايات ونكتاً لغوية.

٦- «غنية الطالب ومنية الراغب» في التصريف والنحو.

٧- «الباكورة الشهية في نحو اللغة الانكليزية» و«المحاورة الانسية في اللغتين العربية والانكليزية».

٨- «السند الراوي في الصرف الفرنساوي».

٩- «الساق على الساق في ما هو الفرياق». يريد بالفرياق فارس الشدياق وليته لم يكتب هذا الكتاب لأنه أورد به الفاظاً وحكايات وعبارات اراد بها المجون، لكنها تجاوزت حدود الأدب ويأبى الاديب مطالعتها. ولم يكن له من المفيد في هذا الكتاب إلا جمعه الالفاظ المترادفة ومجموعات اسماء كل موضوع على حدة كأسماء الآلات والمأكولات والمشروبات والمفروشات والحلى والجواهر واوصاف الرجال والنساء الى غير ذلك

عد ١١٢

الكونت رشيد الدحداح

هو ابن الشيخ غالب بن سلوم الدحداح ولد سنة ١٨١٣م في قرية عرامون بكسروان وأحسن والداه تربيته فأقاما له الشماس نهرا مراد (هو الذي صار بعداً المطران نقولا مراد) معلماً فكان يهذبه ويعلمه مع اخويه خليل وعباس (الذي ارتقى الى اسقفية دمشق وسمي نعمة الله) ثم ارسله والده الى مدرسة عين ورقة فتعلم بها اصول العربية والايطالية ثم دخل مدرسة بزمار للارمن الكاثوليكيين فأتقن اللغة التركية. وفي سنة ١٨٣٨م ادخله الامير امين ابن الامير بشير الكبير في كتبة ديوان أبيه فأقام هناك سنتين ولما ابعد الامير بشير الى مالطة رجع الشيخ رشيد الى بيته بعرامون ولما تولى عمر باشا لبنان سنة ١٨٤٢م قرّب اليه الشيخ رشيد وولاه نظارة البكاليك بلبنان فلم يمكث طويلاً إلا وكان ما دفعه الى ترك هذه النظارة. وفي تلك الاثناء قبض بعض خصومه على رسول له كان قد سيره الى البطريرك يوسف حبيش برسائل ذات بال، فنزل ببعض اقاربه ورجالهم الى غزير فأنفذ رسوله واسترد رسائله وكان حينئذ ما مر ذكره من القتال بين المشايخ الحبيشية والدحادحة فاضطر أن يفرّ ويختبئ الى أن ظهر بين الساعين بنصب الامير اسعد قعدان شهاب والياً على لبنان، وعين مدبراً لاعماله سنة ١٨٤٣م. ولما لم يقبل عمر باشا تولية الامير اسعد تشتت شملهم وفر الشيخ رشيد الى صيدا حيث أقام سنتين منصباً على درس الفقه وتوسطت سفارة فرنسة لدى الباب العالي فصار الصفح عن المشائخ آل الدحداح فرجعوا الى اوطانهم ورجع الشيخ رشيد الى عرامون.

ولما عاد الشيخ مرعي الدحداح من مرسيليا الى لبنان صحب معه حين عودته الى مرسيليا الشيخ رشيد وجعله كاتباً في محل تجارته وزوجه ابنته مرتا. وفي سنة ١٨٥٢م ترك محل تجارة عمه وأنشأ محلاً تجارياً بفرنسة ثم محلاً في انكلترا، واستدعى اخاه الشيخ سلوماً ليعاونه بتجارته. وكان مع انهماكه في المشاغل التجارية يعكف آونة الفراغ منها على التأليف والتصنيف فطبع سنة ١٨٤٩م «قاموس المطران جرمانوس فرحات» بعد أن هذبه وزاد عليه وسمى كتابه «احكام باب الاعراب عن لغة الاعراب». ثم طبع ديوان الشيخ عمر بن الفارض مع شرحين عليه احدهما للشيخ عبد الغني النابلسي والثاني للشيخ حسن البوريني جامعاً

بينهما. ثم انشأ في باريس جريدته المشهورة «برجيس باريس» و« وأنيس الجليس». وله فيها المقالات الخطيرة الرنانة. ومما نشره فيها قصيدة رنانة في العاهل نابوليون الثالث مطلعها:

ماذا على الممتطي أعلى ذرى الدول حتى يفوق كرام الأعصر الأُوَل

ونشر ايضاً مجموعة اشعار حكيمة لأشهر شعراء العرب سماها «طرب المسامع في الكلام الجامع». وقد تقرّب الى سمو باي تونس فجعله ترجماناً له في مدة زيارته لفرنسة، وسعى له بقرض عاد على الباي بمنافع فتكرّم عليه بمبلغ عظيم جعله له مكافأة على اتعابه. وللشيخ رشيد في مدحه قصيدته اللاميّة المشهورة ومطلعها:

بانت سعادتنا والفتح مكفولُ باسم المليك فلا تلهيك عطبول

وفي سنة ١٨٦٤م عاد الى فرنسة واستوطن باريس وامتلك قصراً في الشانزاليزا حل به سنة ١٨٧٦م الطيب الذكر البطريرك بولس مسعد والمطرانين يوحنا الحاج وبطرس البستاني وشقيقه الخوري نعمةالله والخوري يوحنا الحبيب، وهذا الكاتب، الى غيرنا من الخدم والحشم. وفي تلك السنة انعم عليه السعيد الذكر البابا بيوس التاسع بلقب كونت روماني، وعلى بكر انجاله وسلالته من بعده. وفي سنة ١٨٧٥م اشترى بلدة دينار على شاطئ بحر المانش وأجال فيها يد العمارة واوصل اليها السكة الحديدية فصارت كبيرة وزادت قيمتها على ثمنها اضعافاً كثيرة فصارت ثروة طائلة.

ومن منشوراته ومؤلفاته ايضاً كتاب «فقه اللغة» لأبي منصور الثعالبي طبعه بباريس سنة ١٨٦١م ثم طبع بمصر سنة ١٢٨٤هـ بمطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٨٨٥م في بيروت. وكتاب عنوانه «قمطرة طوامير» ضمنه مقالات ادبية وفوائد لغوية. وله كتاب كبير في عدة مجلدات لم يطبع سماه «السيار المشرق في بوار المشرق» نقل عنه نتفاً في كتابه قمطرة طوامير. وقد تلا عليَّ المجلد الثاني منه سنة ١٨٧٥م إذ كنت بباريس فعجبت منه كثيراً وهو في العرب ومن تنصر منهم ومناظراتٍ مع علماء التفسير من المسلمين وكلام في ما اتفقوا عليه وما اختلفوا فيه. وله ايضاً رسالة في فنِ المناظرات نحو خمسين صفحة عَنوانها: «تروح البال في

القلم والمال». وقد أدركته المنية في ٥ أيار سنة ١٨٨٩م وهو في السادسة والسبعين من عمره الذي صرفه في خدمة الدين والعلم والاعمال الخطيرة.

عد ١١٣

ابراهيم بك النجار

هو ابن خليل النجار من دير القمر ولد سنة ١٨٢٢م بدير القمر ولما شخص الدكتور كلوط بك رئيس اطباء العساكر المصرية الى لبنان ورأى افتقار اهله الى اطباء نال من محمد علي باشا الرخصة بقبول بعض شبان سوريين يدرسون الطب في مدرسة قصر العيني بمصر، فانتخب الامير بشير الكبير ابراهيم بك المذكور وأرسله الى هذه المدرسة سنة ١٨٣٧م، فتلقى الدروس الطبية فيها بجدّ ونجاح حائزاً قصبات السبق بين أقرانه ونال الشهادة المعتادة في سنة ١٨٤٢م، واستأذن بالعود الى بلاده فأذن له به لكنه سافر من اسكندرية الى ازمير ليعود الى لبنان. وإذ كان الامير بشير الكبير انتقل حينئذ الى الآستانة فآثر أن يسير اليها قبل عوده الى لبنان ليشاهد من ربي بنعمته ويقضي الوطر بزيارة عاصمة السلطنة. فسار وقبله الامير بشير بالبشاشة والاكرام وامر بافراد منزل له في داره وكان في تلك الاثناء أن توفق الى اخراج حصاةٍ من رجل رومي وزن الحصاة خمسة واربعين درهماً فكان ذلك وسيلة لتعرفة باريس الأطباء بالآستانة. ونال من كلية الطب الدكتوراه بعد الامتحان، واقام مدة في الآستانة يمارس المعالجات مع اطباء المدرسة وأتقن في هذه المدة اللغتين التركية والفرنسية. ثم عين في جملة الاطباء العسكريين براتبٍ كافٍ، فأقام على ذلك اربع سنين وانعمت عليه الحضرة السلطانية برتبة سرهزار اي رئيس ألف، وأمرت بأن تكون خدمته في الآستانة العلية، فاسترحم أن يعفى من الخدمة في دار السعادة فصدرت الارادة بأن يكون طبيباً اولاً للعساكر ببيروت، فباشر صناعته للعساكر وعامة الناس بنجاح وشهرة لا ينساها الكثيرون، ويتذكرون ما كان عليه من اللطف والرقة ودماثة الاخلاق وحب عمل الخير وفصاحة اللسان. وله من التآليف كتاب: «مصباح الساري ونزهة القاري» طبعه على نفقته ببيروت سنة ١٢٧٢هـ (سنة ١٨٥٨م) تكلم فيه عن اسفاره والسلاطين العثمانيين الى السلطان

عبد المجيد خان، ووصف الآستانة ورتب الدولة ودخلها وخرجها. وله ايضاً كتاب سماه: «هدية الأحباب وهداية الطلاب» تكلم فيه في بعض المبادئ الطبيعية. وتوفي سنة ١٨٦٠م ولم نظفر بمعرفة سنة وفاته.

الفصل الثالث

بطاركة الموارنة ومن رقوهم الى الاسقفية في هذا القرن

عد ١١٤
البطريرك يوسف التيان

فرغنا من كلامنا في تاريخ القرن الثامن عشر على بطاركة الموارنة بذكر وفاة البطريرك فيلبوس الجميل وانتخاب البطريرك يوسف التيان خلفاً له في ٢٨ نيسان سنة ١٧٩٦م وتثبيت البابا بيوس السادس له في ٢٤ تموز سنة ١٧٩٧م. ونقول الآن ان يوسف التيان ولد ببيروت وأرسله البطريرك يوسف اسطفان الى مدرسة الطائفة برومة فتخرج بها باللغات والعلوم السامية، وفاق اقرانه ورقي الى درجة الكهنوت. وفي سنة ١٧٨٤م أجمع رأي البطريرك يوسف اسطفان ومطارين الطائفة واعيانها على أن يرسلوه الى رومة نائباً عن الطائفة لقضاء حاجاتها ولا سيما عود البطريرك يوسف اسطفان الى مقامه البطريركي الذي كان قد وقف عنه. وفي خزائن اوراق البطريركية المارونية رسالة من الشيخ سعد الخوري الى الكردينال كرسيني جواب له عن رسالة أوصاه بها بالخوري يوسف التيان. فالشيخ المذكور يجيبه عنها بأنه عند وصول الخوري المشار اليه الى لبنان أبدى له كل مساعدة احتراماً لتوصاة نيافته ولاستحقاق هذا الكاهن نظراً الى اخلاقه وعلومه وسلوكه فانه جذب اليه محبة الجميع. ويكفي بياناً لذلك ان طائفتنا المارونية لم تجد اجدر منه للنيابة عنها امام الكرسي الرسولي فانتدب لذلك باجماع الرأي وبشكر لعناية نيافته

التي جعلت مدرستنا تربي اشخاصاً نظيره وليت جميع تلامذتها يكونون مثله. فأتمّ الخوري يوسف التيان وفادته الى رومة وقضى وطر الطائفة على احسن حال وبأسرع زمان وعاد الى لبنان مصحوباً بالأوامر الرسولية لرد البطريرك الى مقامه وكرامته.

وفي ٦ آب سنة ١٧٨٦م رقاه البطريرك يوسفِ اسطفان الى الاسقفية على دمشق فدبر هذه الابرشية سنتين ثم استقال منها وجعل نائباً بطريركاً في الروحيات، وسلمت ابرشية دمشق الى المطران ميخائيل الخازن سنة ١٧٨٨م. ولما توفي البطريرك فيلبوس الجميل اجتمع الاساقفة في دير بكركي فانتخبوا المطران يوسف التيان بطريركاً في ٢٨ نيسان سنة ١٧٩٦م، فأرسل القس لويس بليبل الراهب اللبناني (الذي صار بعداً اسقفاً على قبرص سنة ١٧٩٨م) الى الحبر الروماني مستمداً التثبيت فأناله إياه البابا بيوس السادس في ٢٤ تموز سنة ١٧٩٧م، فأقام يدبر البطريركية بغيرة لا يدانيها ملل متحملاً هذا العبء الثقيل طامعاً بالاجر المؤبَّد.

وفي سنة ١٧٩٩م كانت مناقشة بينه وبين المطران جرمانوس آدم الملكي الكاثوليكي مدارها على السلطة المطلقة للحبر الروماني على الاساقفة ولو مجتمعين، فكتب البطريرك الى المطران ثلاث رسائل بيَّن بها صراحة صحة آرائه ورهن رأي معارضه، وقد جمعت الرسائل الثلاث مع بعض شروح في كتاب لم يطبع واعرف منه نسختين احداهما في مدرسة مار يوحنا مارون طالعتها سنة ١٨٥٧م وأنا مدرس لتلامذه هذه المدرسة والأخرى في البطريركية في بكركي.

ان البطريرك يوسف التيان كان يؤثر العيشة بالنسك والزهد والانفراد على اعباء البطريركية ويرغب في العزلة متفرغاً لعبادة الله ومسؤولاً عن نفسه لا عن نفوس الطائفة جمعاء، وزاد في اضرام رغبته هذه معاكسة بعض الأساقفة لبعض رغائبه الخيرية واستمالوا اليهم بعض اصحاب الامر فاغتنم هذه الفرصة وسيلة لنوال بغيته فاستقال من البطريركية سنة ١٨٠٩م ولزم العيشة النسكية في دير القديس يوحنا مارون (الذي صير بعد ذلك مدرسة)، وفي دير قنوبين. ويروون عنه في نسكه اخباراً معمرة يقتدي بها الى أن أدركته المنية في دير قنوبين في ٢٠ شباط سنة ١٨٢٠م ودفن في مدفن البطاركة اسلافه حذاء مغارة القديسة مارينا. وقد تلا على المرحوم المطران بولس مطران طرابلس تاريخاً لوفاته بها، وقال اليَّ إنه من نظم اسعد

الشدياق فحفظه عنه وهو مخمساً:

يا[1] شعب مارون الجليل المنقذِ بالله ما للترب نشراً قد شذي
فأجابني مسترجعاً بتعوذِ هذا ضريح العالم الفرد الذي
أضحت به أحبارنا تتباهى

فسطا المنون على ذخيرة ملكنا وخبا بهذا الرمس معدن سبكنا
من حق من احشائنا ان يسكنا يوسف فريد العصر بطريركنا
فخر الأئمة مجدها وبهاها

فالدرس مندرس الطريقة بعده إذ خص في علم الحقيقة وحده
ولنشره في العمر افنى جهده وبكت له العلياء تندب بعده
حزناً كيعقوب وتصرخ اها

سهم المنية صح فيه رشقها وبدمع أعينها السخية شرفها
وبظلمة دجناء أمسى شرفها والبيعة الغرّاء أظلم أفقها
وجدا وقد ارخت غاب ضياها

١٨٢٠

وأما الاساقفة الذين رقاهم التيان فهم:

١- القس يوسف بليبل من ساقية المسك رقاه الى اسقفية قبرص في ١٢ آذار سنة ١٧٩٨ ودعي عبدالله، وتوفي سنة ١٨٤٢ بكرسيه المعروف بدير مار شليطا بقرنة شهوان ودفن هناك.

٢- الخوري جرمانوس ثابت من بيروت رقاه في ٨ ايار سنة ١٨٠٠ الى الاسقفية على الكرسي البطريركي وبلاد جبيل والبترون وكان اخا البطريرك لأمه. ولما كانت ترقيته الى الاسقفية ببلاد جبيل والبترون مخالفة للقوانين لأن مطرانها

بولس اسطفان كان حياً امر الكرسي الرسولي بعزل المطران جرمانوس عن هذه الابرشية ورد المطران بولس اليها ولكن لما توفي المطران بولس انتخب المطران جرمانوس لتدبير هذه الابرشية فسلمها اليه البطريرك يوحنا الحلو في ١٠ آذار سنة ١٨١٠م فدبرها الى أن توفي في ١٤ حزيران سنة ١٨٣٣م في مدرسة مار يوحنا مارون ودفن فيها.

٣- القس جرمانوس حوا من حلب رقاه الى اسقفية هذه المدينة في ١ تموز سنة ١٨٠٤م ثم توفي في ١٣ حزيران سنة ١٨٢٧م.

٤- الخوري انطون الخازن من درعون رقاه في ١٠ تشرين الثاني سنة ١٨٠٥م الى اسقفية الناصرة ثم تسلم ابرشية بعلبك سنة ١٨٠٨م وتوفي في ١٨ شباط سنة ١٨٥٨م في دير بقلوش ودفن في كنيسته.

عد ١١٥
البطريرك يوحنا الحلو

أصله من قرية غوسطا بكسروان انضوى الى احدى الرهبانيات ورقي الى درجة القسوس ثم رقاه البطريرك يوسف اسطفان في ١٦ آب سنة ١٧٨٧م الى اسقفية عكا وجعله نائباً بطريركياً في الزمنيات. وعند انتخاب البطريرك فيلبوس الجميل كان المطارين تسعة فاتفقوا على ترشيح المطران يوحنا الحلو والمطران فيلبوس الجميل ويقترع السبعة الباقون فمن أصابته أربعة أصوات كان البطريرك. فكانت الاصوات الاربعة للمطران فيلبوس الجميل فكان هو البطريرك كما مرَّ. وبعد ان استقال البطريرك يوسف التيان من البطريركية اجتمع الاساقفة في دير القديس يوسف بعينطورا فانتخبوا المطران يوحنا الحلو بطريركاً في ٨ حزيران سنة ١٨٠٩م وطلب تثبيته من الكرسي الرسولي. ولما كان البابا بيوس السابع ممسكاً في سافونه بسبب الاضطهاد الذي جرى عليه أثبت انتخابه هناك في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٨١٠م، وكتب الى رئيس مجمع نشر الايمان أن يعلمه ذلك مؤجلاً تسليم الدرع

والاحتفالات المعتادة الى زمن آخر، ولما عاد البابا الى رومة سنة ١٨١٤م أنفذ اليه درع الرئاسة واعمال التثبيت في ١٩ كانون الاول من السنة المذكورة. واما من كان موفد هذا البطريرك الى الحبر الروماني فأرى فيه اختلافاً فروى الطيب الذكر البطريرك بطرس بولس مسعد في الدر المنظوم ان موفده الذي نال التثبيت على يده إنما هو القس ارسانيوس القرداحي. ويؤخذ عن بعض اوراق في سجل البطريركية ان موفده كان القس يوسف السمعاني الحصروني. ولا وقت لي الآن لأحتق اي الروايتين أحق بالاتباع. ومما كان في ايام هذا البطريرك من الامور الهامة انتقاله للسكنى بدير قنوبين منذ سنة ١٨١١م، واخذه في اصلاح املاكه واحواله بعد أن كان مهملاً لسكنى البطاركة في كسروان، ثم تحويل دير مار يوحنا مارون بكفرحي مدرسة خاصة لأبرشية جبيل والبترون سنة ١٨١٢م، وجعل دير مار مارون الروميّة بكسروان مدرسة عامة للطائفة سنة ١٨١٧م، وعقد مجمع لويزه سنة ١٨١٨م. وقد ذهب للقاء ربه ونيل اجر جهاده في ١٢ أيار سنة ١٨٣٢م في دير قنوبين ودفن في حائط الكنيسة الشمالي في مدفن صنعه لنفسه.

واما الذين رقاهم هذا البطريرك الى الاسقفية فهم:

١- الخوري خيرالله اسطفان ابن اخي البطريرك يوسف اسطفان رقاه في ١٨ شباط سنة ١٨١٠م الى اسقفية قورش ورئاسة مدرسة عين ورقة، وكان بعد البطريرك يوسف التيان أعلم اساقفتنا في عصره واشدهم غيرة وحمية، وكان له اليد الطولى في اقناع عمه البطريرك وعائلته بجعل ديرهم عين ورقة مدرسة للطائفة، وهو الذي عني بتحسين احوالها ونجاح تلامذتها وجعلته غيرته يتحمل المشاق في سبيل خير المدرسة والطائفة حتى اضطر أن يختبئ مدة، واستمر مجاهداً الى أن أدركته المنية في دير مار روحانا البقيعة في ٤ تشرين الثاني سنة ١٨٢٣م وأرّخ احد الشعراء وفاته بقوله:

لما رأيت المدرسة تنعي وفوها يشتكي

لفراق يوسف حبرها ذاك الغيور الناسكِ

نـاديـتـهـا خـنـسـاء لـن يـلـقـى بـكـاؤكِ صـخـركِ
ورأيـت عـظـم مـصـابـهـا ارخـت غـابـت شـمـسـكِ

سنة ١٨٣٢

٢- الخوري اسطفان الدويهي الاهدني رقاه في ١٩ آذار سنة ١٨١٠م الى اسقفية عرقا وجعله نائباً له في الزمنيات، ثم اسقتال من هذه النيابة وسلمت اليه اسقفية اهدن سنة ١٨١٣م واستمر عليها الى سنة ١٨٤٤م حين أدركته المنية وكان من تلاميذ مدرسة الموارنة برومة.

٣- الخوري مارون العضم من زوق ميكائيل رقاه في ٨ تشرين الثاني سنة ١٨١٤م اسقفاً على حماه وجعله نائباً له في الروحيات ودعي يوحنا مارون، وتوفي بزوق مكايل سنة ١٨٢٣م ودفن في كنيسة مار دوميط في القرية المذكورة.

٤- القس انطونيوس زوين من يحشوش رقاه في ٤ آب سنة ١٨١٤م الى اسقفية صور وجعله نائباً في الزمنيات، وتوفي في ٢٣ نيسان سنة ١٨٤٨م بدير حراش ودفن في كنيسة سيدة بكركي العليا حذاء جدارها الجنوبي.

٥- الخوري عبدالله البستاني من الدبية رقاه في ١٥ آب سنة ١٨١٩م الى اسقفية صيدا بمنزلة نائب فيها عن البطريرك لانها كانت ابرشية البطريرك، ثم صير اسقفاً شرعياً عليها في ٢٥ ايار سنة ١٨٣٧م، واخذ البطريرك يدبر ابرشية جبيل كابرشية خاصة له وتوفي المطران عبدالله البستاني في ٦ تشرين الثاني سنة ١٨٦٦م.

٦- الخوري بطرس ابو كرم من بسكنتا في ٢٨ تشرين الثاني سنة ١٨١٩م على ابرشية بيروت وتوفي ببسكنتا في ١٥ كانون الثاني سنة ١٨٤٤م وهو من تلامذة مدرسة عين ورقة وله كتاب رد على «يونسكين والبروتستانت».

٧- الخوري يوسف جوان من ساحل علما رقاه في ٣ كانون الثاني سنة ١٨٢٠م الى اسقفية طرابلس وهو الذي خلفه في البطريركية بعد وفاته.

٨- الخوري يوحنا نصر الناصري رقاه في ١٨ تشرين الاول سنة ١٨٢٠م الى اسقفية الناصرة وسمي جبرائيل وتولى القضاء للنصارى بلبنان وتوفي بغزير سنة ١٨٣٨م ودفن في كنيسة السيدة فيها.

وقد رقي في ايام البطريرك يوحنا الحلو الاب لويس غندلفي العازاري القاصد الرسولي الى الاسقفية، ولكن رقاه اليها البطريرك يوسف التيان سنة ١٨١٦م وتوفي سنة ١٨٢٥ بدير مار يوسف بعينطورا.

عد ١١٦
البطريرك يوسف حبيش

هو يعقوب ابن الشيخ جوان حبيش من ساحل علما بكسروان وتخرج بالعلوم بمدرسة عين ورقة ورقاه المطران انطون الخازن الى درجة الكهنوت في ٢٦ حزيران سنة ١٨١٤م على كنيسة مار جرجس بدير علما ودعي يوسف، ثم رقاه البطريرك يوحنا الحلو الى اسقفية طرابلس في ٣٠ كانون الثاني سنة ١٨٢٠م ولما توفي البطريرك يوحنا الحلو في ١٢ أيار سنة ١٨٢٣م اجتمع الاساقفة في دير قنوبين وانتخبوه بطريركاً في ٢٥ ايار من تلك السنة، ونال التثبيت ودرع الرياسة من البابا لاوون الثاني عشر على يد وكيله القس باسيليوس ودروسون من رهبان الارمن الكريميين، فكان عاقلاً حازماً طاهراً دبر البطريركية اثنتين وعشرين سنة احسن تدبير واقدسه، وكان اول بطريرك من مدرسة عين ورقة وافرغ جهده في نجاح هذه المدرسة وتقدمها في العلوم، وعني بتحويل دير مار عبدا هرهريا مدرسة عمومية للطائفة المارونية سنة ١٨٣٠م، وكذا فعل بدير مار سركيس وباخوس بقرية ريفون سنة ١٨٣٢م، ثم جعل مدرسة الموارنة التي كانت بعينطورا ديراً للمرسلين اللبنانيين سنة ١٨٤٠م. ولما كانت الحرب الوطنية بين النصارى والدروز سنة ١٨٤١م كابد من جرائها اتعاباً وخسائر لا تقدَّر. واشتهر بكرمه على الفارين والمعوزين ولما تجددت هذه الحرب سنة ١٨٤٥م كانت سبباً لموته كمداً وحزناً فتوفاه الله في ٢٣ أيار سنة ١٨٤٥م المذكورة في دير الديمان الذي انشأه فوق

وادي قديشا حيث دير قنوبين ودفن في كنيسة قنوبين في مدفن سالفه البطريرك يوحنا الحلو.

اما الذين رقاهم الى درجة الاسقفية فهم:

١- القس نقولا موسى من جزين الراهب الانطونياني رقاه الى اسقفية طرابلس في ٢ آذار سنة ١٨٢٦م ودعي بولس، وسكن اولاً في دار الامير عبدالله شهاب بغزير ثم انشأ لنفسه كرسياً في قرية كرم سدة من جبة بشري كمله سنة ١٨٤١م، ودبر ابرشية طرابلس سبعاً واربعين سنة ونيفاً وتوفي في ٢٨ ايلول سنة ١٨٧٣م.

٢- القس بولس اروتين الحلبي رقاه الى اسقفية حلب في ١٣ أيار سنة ١٨٢٩م وتوفي بها في ٢٦ نيسان سنة ١٨٥١م.

٣- الخوري يوحنا رزق من جزين تلميذ مدرسة عين ورقة رقاه الى اسقفية قورش ورئاسة المدرسة المذكورة في ٣ أيار سنة ١٨٢٩م مع المطران بولس اروتين المذكور وسمي يوسف وتوفي في ٦ ك٢ سنة ١٨٦٥م وقد جدد اكثر بناء مدرسة عين ورقة وزاد في املاكها.

٤- الخوري يوسف الخازن من عجلتون رقاه الى اسقفية دمشق في ٦ نيسان سنة ١٨٣٠م وهو الذي خلفه بعد وفاته.

٥- الخوري نقولا جوان حبيش اخو البطريرك رقاه الى اسقفية حماه ودير مار جرجس علما في ٢٨ اذار سنة ١٨٤١م ودعي فيلبوس وتوفي في ٨ شباط سنة ١٨٥٧م في دير علما المذكور.

٦- الخوري بولس مسعد من عشقوت رقاه الى اسقفية طرسوس مع اخيه المطران فيلبوس في ٢٨ آذار سنة ١٨٤١م وجعله نائباً له في الروحيات وكاتباً لاسراره ومراسلاته مع الاوروبيين واعتمد عليه في مشاغله.

٧- القس طوبيا عون الراهب اللبناني من معلقة الدامور رقاه في يوم واحد مع اخيه والمطران بولس مسعد الى اسقفية عكا ثم سلمت اليه ابرشية بيروت سنة ١٨٤٥م وتوفي في ٢ نيسان سنة ١٨٧١م ودفن بكرسيه الذي انشأه بعين

سعادة لسكناه وجدد ووسع بناء القلاية الاسقفية في بيروت، واقتنى املاكاً وافرة لكرسيه ساعدتنا بعد خلافتنا له سنة ١٨٧٢م على المشروعات التي قمنا بها بعون الله.

واما الخوري روفائيل غنطوس كوبا الحلبي الماروني فقد رقاه الكرسي الرسولي برومة الى اسقفية ليفورنو في ١٠ تموز سنة ١٨٣٤م وتوفي هناك في ٣ ك[٢] سنة ١٨٤١م.

٨- الخوري يوسف جعجع من بشري تلميذ عين ورقة وخوري الموارنة بدمشق رقاه في ٢٦ ك[١] سنة ١٨٤٣م الى اسقفية قبرص وتوفي في ١ تشرين الاول سنة ١٨٨٤م.

٩- الخوري نقولا مراد من عرامون بكسروان التمس البطريرك في ٢٢ تشرين الاول سنة ١٨٤١م من البابا غريغوريوس السادس عشر أن يرقيه الى الاسقفية ليبقى يرقي تلاميذ الموارنة المتعلمين برومة الى الكهنوت، فرقاه الكردينال يعقوب فرنسوني رئيس مجمع نشر الايمان في ٥ ت[٢] سنة ١٨٤٣م الى اسقفية اللاذقية، ثم توفي في ٢٧ ك[١] سنة ١٨٦٣م بدير الرهبان الحلبيين برومة ودفن فيه ثم نقلت جثته الى مقبرة القديس لورنسيوس برومة.

عد ١١٧
البطريرك يوسف الخازن

هو الشيخ شاس بن راجي بن بولس الخازن من عجلتون تخرّج بالعلوم بمدرسة عين ورقة وارتقى الى درجة الكهنوت ثم رقاه البطريرك يوسف حبيش الى اسقفية دمشق في ٦ نيسان سنة ١٨٣٠م فساس الابرشية بالدعة والحلم والمثل الصالح ولما توفي البطريرك يوسف حبيش في ٢٣ أيار سنة ١٨٤٥م بدير الديمان. اجتمع الاساقفة في دير ميفوق وانتخبوه بطريركاً في ١٨ آب سنة ١٨٤٥م وارتأوا أن يتوجهوا الى دير الديمان ليشهروا انتخابه ويرقوه المقام البطريركي هناك، وكان اكثر الاعيان والمشايخ في بلاد جبيل والبترون وجبة بشري يؤثرون المطران بولس مسعد النائب البطريركي على المنتخب ولم يكونوا يعلمون ان الانتخاب قد تم. فأقبل

حشد كبير من اهل بشري الى الديمان بعد وصول المطارين اليه قاصدين عمل مظاهرات يحملون المطارين بها على انتخاب من يؤثرون، ومن شيمة الجمهور أن لا يقف على حد ما يختطه لهم العقلاء فاتصل بعض الجهلة الى اهانة بعض المطارين والكهنة والخدم فقام المطارين من الديمان وأتوا الى كسروان وهناك اكملوا حفلة الترقية للبطريرك وكتبوا الى الحبر الروماني يسألون تثبيت منتخبهم، فاثبته البابا غريغوريوس السادس عشر في ١٩ ك[٢] سنة ١٨٤٦م على يد وكيله المطران نقولا مراد، وعاد في الصيف الى دير كرسيه في الديمان فاستقبله الجميع ولاسيما أهل بشري بالاجلال والاحتفاء، ولقيهم البطريرك بحنان ابوي فكان حلم البطريرك وطاعة الاهلين متساويين باستحقاق المدح والثناء. ودبر هذا البطريرك الطائفة بروح الرب والدعة والمحبة الأبوية نيفاً وتسع سنين وانتقل الى لقاء ربه ونيل الثواب لفضائله في ٣ من تشرين الثاني سنة ١٨٤٥م في الديمان ودفن في الضريح الذي دفن به سالفاه البطريرك يوحنا الحلو والبطريرك يوسف حبيش.

ولم يرقِّ هذا البطريرك الى الاسقفية إلا كاهنين الاول القس اقليموس الخازن رقاه في ٢ نيسان سنة ١٨٤٨م الى اسقفية دمشق خلفاً له ودعي اسطفان وتوفي في ٨ ك[١] سنة ١٨٦٨م والثاني القس بولس جرجس مطر من حلب رقاه الى اسقفية هذه المدينة في ٢٨ ايلول سنة ١٨٥١م وسمي يوسف.

عد ١١٨
البطريرك بولس مسعد

هو بولس بن مبارك مسعد من عشقوت يتصل نسبه بالشدياق خاطر الحصروني حاكم جبة بشري، ولد بولس سنة ١٨٠٦م في قرية عشقوت وأرضعه والداه لبن التقى والبرارة وتخرّج بالعلم مدة على العالم الفاضل الخوري انطون عريضة من بشري إذ كان يعلم بعض الطلبة في مدرسة الموارنة في عينطورا، ثم دخل مدرسة عين ورقة واتقن فيها اللغات السريانية والعربية والايطالية واللاتينية وبعض العلوم ولما رأى البطريرك يوسف حبيش ما منَّ الله به عليه من الذكاء وتوقد الذهن والتقى أرسله الى رومة ليتم سائر علومه الكنسية في مدرسة مجمع

نشر الايمان المقدس اذ كانت هذه المدرسة تقبل بعض الطلبة الموارنة وتنفق عليهم مما بقي من الدخل لمدرسة الموارنة برومة فأكمل في هذه المدرسة دروسه الفلسفية واللاهوتية وما يلحق بها وفاق على أقرانه محرزاً رضى رؤسائه وعجبهم مما جمّله الله به من الذكاء والتقى، وارتقى الى درجة الكهنوت وعاد الى لبنان سنة ١٨٣٠م فأمسكه البطريرك يوسف حبيش عنده وجعله كاتبه وسلم اليه كل اوراقه اللازم حفظها، واعتمد عليه في مشاغله كلها وكان مجيباً الى رغائب البطريرك مجتهداً في خدمته اميناً على اسراره فزاد توقير البطريرك له وعظم ميل الناس اليه ومحبتهم له، فرقاه البطريرك في ٢٨ آذار سنة ١٨٤١م الى اسقفية طرسوس شرفاً وجعله نائباً له في الروحيات مكافأة له، فازداد جهاداً في خدمته وإخلاصاً وأمانة لمخدومه، فكان للبطريرك يوسف حبيش كاليد اليمنى الى أن انتقل هذا البطريرك الى حياة الابرار في ٢٣ ايار سنة ١٨٤٥م.

ولما اجتمع الاساقفة في ميفوق لانتخاب خلف له كان المترجم مرشح أكثريتهم ومحل آمال غالب الأعيان والوجوه على ان حالة البلاد القلقة حينئذ بسبب الحرب بين النصارى والدروز جعل الاساقفة يتحازون وهو مقدامهم الى انتخاب المطران يوسف الخازن أملاً بأن جاه أقربائه وسلطتهم حينئذ تعاون على ظفر النصارى فانتخبوه وابقى المطران بولس مسعد على نيابته الى أن توفّاه الله في ٣ ت٢ سنة ١٨٥٤م فاجتمع الاساقفة في بكركي وانتخبوا صاحب الترجمة بالصوت الحي واجماع الرأي خلفاً في ١ ت٢ في السنة المذكورة، وأرّخ المرحوم مارون النقاش وفاة السلف وانتخاب الخلف بقوله:

في أفق كرسي انطاكية عجبٌ ... بدرٌ توارى وبدرٌ فوق سدتهِ

ان غاب ذاك واضنانا بغيبتهِ ... قد ناب هذا وأشفانا بنوبتهِ

دعا الله لذاك المصطفى خلفاً ... ارخت بولس مختار لدعوتهِ

سنة ١٨٥٤

ونال التثبيت ودرع الرئاسة من البابا بيوس التاسع في ٢٣ آذار سنة ١٨٥٥م على يد وكيله القس امبروسيوس نطين الدرعوني الراهب الحلبي اللبناني واقام يدبر

الطائفة بحكمة وسداد وغيرة، وعقد في سنة ١٨٥٦م مجمعاً طائفياً في دير بكركي سنأتي على ذكره. واشتهر في سنة ١٨٦٠م بحنانه على الفارين من جنوب لبنان لسبب احداث لبنان وإنفاقه عليهم مبالغ طائلة على اختلاف طوائفهم وعقب ذلك الاحداث المعروفة بحوادث يوسف بك كرم فاشتهر فيها بحكمته ودرايته وحسن سياسته.

وقد سافر سنة ١٨٦٧م الى رومة لدعوة الحبر الروماني له للاحتفاء بالعيد القرني للقديسين الرسولين بطرس وبولس واعلان تطويب بعض الشهداء، وكنت بخدمته في سفره، وبعد عودتنا منه شهرت كتابي الموسوم بـ«سفر الاخبار في سفر الاحبار» جمعت فيه تاريخ المدن التي مررنا او أقمنا بها، واستوعبت شرح الحفلات التي كانت بأم المدائن حينئذٍ ووضعت ثلاث نبذ تاريخية: الاولى في رومة والرومانيين والثانية في تاريخ فرنسة والثالثة في القسطنطينية ومن ملك فيها من الملوك والسلاطين. وقد سافر البطريرك من رومة الى باريس وتشرف بمقابلة نابوليون الثالث ونال من مكارمه كل تجلّة وتكريم وكنت في جملة حاشيته بهذه المقابلة، ثم سار الى القسطنطينية وغمرته حينئذٍ ومن كان بمعيته من الاساقفة والكهنة نعم السلطان الاعظم السلطان الغازي عبد العزيز خان فأنعم بالمثول لديه على البطريرك وحاشيته وهذا الحقير في جملتهم، فكان ذلك في ١١ ايلول سنة ١٨٦٧م حين تلا البطريرك دعاء حميماً لجلالته بالعربية وترجمة فرنقو افندي (الذي سمي بعدئذ حاكماً للبنان) الى التركية. ولما كان قد سبق التكرم على البطريرك بالوسام المجيدي من الطبقة الاولى ولم تكن العادة أن يعطى البطاركة وقتئذٍ من هذا الوسام تكرّم جلالته على البطريرك بحقة عطوس من حجر ثمين مرصع بالالماس تساوي نحو اربعمائة ليرة، واحسن الى المطرانين بطرس البستاني ويوحنا الحاج وبولس افندي حوا الذي كان بمعية غبطته والكونت رشيد الدحداح بالوسام المجيدي من الرتبة الثالثة، وعلى الخوارنة نعمة الله الدحداح ويوحنا حبيب وهذا الكاتب ويوسف افندي حوا وسمعان افندي مسعد بهذا الوسام من الرتبة الرابعة، وعلى جبرائيل الشمالي خادم غبطته وبطرس يوحنا الخوري (الذي صار بعد كاهناً بهذا الاسم) وخليل يوسف (هو الخوري بطرس مارون) من الرتبة الخامسة ولم يكن لاحد البطاركة قبل هذا البطريرك ما كان من التجلة والتكريم له في الآستانة، فقد أعد له ولحاشيته دار من فخر الدور فيها لنزوله وأقيم فيها معبد مخصوص بأمر من الصدر الاعظم لمباشرة

الفروض الدينية وعينت عربتان واربعة فرسان للسير بمعية غبطته ودفع من النفقة لمصروف غبطته ما زاد عليها كثيراً، بعد الاقامة بهذه الضيافة السلطانية ثلاثة وعشرين يوماً، وما ادراك ما الضيافة السلطانية! وسافر غبطته من الآستانة عائداً الى لبنان في ٢٣ ايلول سنة ١٨٦٧م وبلغ طرابلس في غرة تشرين الاول ثم صعد الى دير كرسيه بالديمان ولا حاجة الى ذكر ما كان من الملتقى الشائق والاحتفاء الرائق لغبطته بطرابلس ولبنان، وقد استمر على الكرسي البطريركي نحو ست وثلاثين سنة. وقد أدركته المنية في ١٨ نيسان سنة ١٨٩٠م وله من العمر نحو خمس وثمانين سنة وكان هذا البطريرك متسامياً بالفضائل والعلوم وقد خدمته نحو سبع عشرة سنة منها خمس سنين مدرساً لتلامذة المدرسة البطريركية المعروفة بمدرسة مار يوحنا مارون حيث كان يصرف كل سنة اشهراً، وكنت اقضي لديه في الديمان مدة العطلة واثنتا عشرة سنة كنت فيها كاتبه وامين اسراره وملازماً له في اشغاله فعرفته حق المعرفة وسبرت فضائله العميقة، فكان من الطهارة في اعلى درجاتها بل ربما كان حريصاً على عفته اكثر مما يجب الحرص، وكان من الورع والزهد في اقصى غايتهما وكذلك كان في سائر الفضائل، وكان يعترف عندي مرات فأحقق امام الله اني كنت أتلبك لأجد له مادة للحل. واما من حيث العلوم فكان بارعاً في كثير منها ولاسيما في اللاهوت ومعرفة القوانين البيعية والتاريخ وخاصة ما تعلق منه بالطوائف الشرقية ولاسيما طائفتنا المارونية فهو استاذي به، ولكنني حتى الآن بمعزل عن لحاقه، وقد تفرد بقوة ذاكرته فقد اتفق مرات أن يذكرني بأمور طالعها من سنين عديدة ويهديني الى محلها فأجدها كما قال.

واما مؤلفاته فمنها كتابه الموسوم بـ«الدر المنظوم رداً على المسائل والأجوبة المعزوّة الى البطريرك مكسيموس مظلوم» مع الملحق به وقد طبع هذا الكتاب بدير طاميش سنة ١٨٦٣م بعد أن عهد اليَّ بتنقيح بعض عباراته وكنت احب أن افصل فيه الفوائد التي لا تتعلق بموضوع الجدل في حواش اعلقها على ذيل الكتاب فلم يسمح لي بذلك خشية أن لا يحسن الطابعون تعليق تلك الحواشي. وله ايضاً كتاب في انبثاق الروح القدس من الآب والابن رد فيه على فتح‌الله مراش الحلبي فأفحمه واعتنق الايمان الكاثوليكي. وهذا الكتاب طبع برومة وقد جمع شتات اوراق الكرسي البطريركي في هذه القرون الاخيرة فكان منه سجل كبير كأنه خزانة دراري. وله نبذة في تاريخ الاسرة الخازنية ومقالة في دوام بتولية العذراء ومقالات

كثيرة في المدافعة عن حقوق الطائفة في بعض الاديار وعن المجمع اللبناني وعن حقوق البطريركية الى غير ذلك. وقد كان يجمع مواد لتكملة تاريخ الدويهي من سنة ١٧٠٤م الى ايامه، واعلم انه جمع اكثر المواد اللازمة لهذا التأليف وكان ينتظر فقط بعض افادات من حلب وقد سألته مرات وانا بخدمته ان يدفع لي تلك المواد لأتمم ما اعدها له بارشاده فلم يسمح الوقت بذلك، وبعد أن رقاني الى اسقفية بيروت كنت ارجوه أن يسلم تلك المواد لاحد ليصنعها ويجعل له فهرساً فقط وكان يسوفني بذلك الى ان قال لي في آخر ايامه رحمه الله انه ما عاد يعلم اين وضع تلك المواد لكننا نجدها بعد موته في المكتبة او في خزائن الاوراق.

اما الذين رقاهم الى الأسقفية:

١- الخوري يوسف المريض من زوق مكايل رقاه في ١٨ ايار سنة ١٨٥٦ الى اسقفية عرقا وجعله نائباً روحياً وتوفي بغتة في ٢٣ ت[٢] سنة ١٨٨٦م.

٢- الخوري بطرس نادر البستاني من الدبية رقاه في ٢٨ ايلول سنة ١٨٥٦م الى اسقفية عكا وجعله اولاً معاوناً لعمه المطران عبدالله البستاني المار ذكره وبعد وفاته سنة ١٨٦٦م سلم اليه ابرشية صور وصيدا الى أن فاضت روحه الذكية وذهبت لتنال اجر جهادها في ٢ من ت[٢] سنة ١٨٩٩م.

٣- الخوري بطرس مسعد اخوه رقاه الى اسقفية حماة شرفاً في ٢٧ شباط سنة ١٨٥٩م وجعله نائباً زمنياً له وتوفي بغتة سنة ١٨٨٥م.

٤- الخوري يوحنا الحاج من دلبتا رقاه في ١٥ آب سنة ١٨٦١م الى اسقفية بعلبك وهو الذي خلفه في البطريركية وسيجيء ذكره.

٥،٦،و٧- في ١١ شباط سنة ١٨٧٢م رقّى الخوري نعمة الله الدحداح الى اسقفية دمشق والخوري يوسف فريفر الى اسقفية اللاذقية شرفاً ورقاني انا الحقير الى اسقفية بيروت، وتوفي المطران نعمةالله في ٣ تشرين سنة ١٨٩٠م والمطران يوسف فريفر في ٨ شباط سنة ١٨٨٩م.

٨- الخوري اسطفان عواد رقاه في ١٥ك[١] سنة ١٨٧٨م الى اسقفية طرابلس.

٩و١٠- في ١٥ آب سنة ١٨٨٢م رقى الخوري يوسف جبرائيل الزغبي الى اسقفية قبرص والخوري يوسف سركيس مسعد ابن عمه الى اسقفية عكا شرفاً.

١١- الخوري بولس حكيم من حلب رقاه في ١٦ تموز سنة ١٨٨٥م الى اسقفية هذه المدينة.

١٢ الى ١٥- في ١٤ ك[1] سنة ١٨٨٩م رقى الخوري يوحنا حبيب الى اسقفية الناصرة شرفاً والخوري الياس الحويك الى اسقفية عرقا شرفاً ونائباً روحياً والخوري يوسف نجم على عكا نائباً زمنياً والخوري بولس مسعد ابن اخيه على حماه شرفاً وسلمت اليه بعد وفاة المطران نعمة الله الدحداح ابرشية دمشق سنة ١٨٩٠م. وتوفي المطران يوحنا جبيب في ٤ حزيران سنة ١٨٩٤م واما المطران امبروسيوس نطين الدرعوني فرقاه الكردينال فرانكي رئيس مجمع نشر الايمان المقدس سنة ١٨٧٥م باجازة البطريرك.

عد ١١٩

البطريرك يوحنا الحاج

هو ابن الخوري يعقوب الحاج من قرية دلبتا ولد بها سنة ١٨١٨م ويتصل نسبه بالشدياق خاطر الحصروني المذكور مراراً ودخل مدرسة عين ورقة سنة ١٨٣٠م، واتقن فيها اللغات السريانية والعربية واللاتينية والايطالية ثم العلوم الرياضية والفلسفية واللاهوتية فنبغ في جميعها، وقد رقي الى درجة الكهنة واتقن علم الفقه وتولى القضاء اولاً برفقة الخوري يوحنا حبيب، فكانا يقضيان في دعاوى النصارى خارجاً عن المحكمة. وبعد أن استقال الخوري يوحنا حبيب من القضاء في محكمة قائمقامية النصارى في ١٣ ت[1] سنة ١٨٥٥م عهد اليه بالقضاء فيها، وكان مثالاً للعفة والاستقامة والامانة، ولما كان ما كان من الحرب الاهلية سنة ١٨٥٩م وسنة ١٨٦٠م وجرى الصلح على طريقة مضى ما مضى تمنع من التوقيع على صك الصلح ولم يثن عزيمته وعد ولا وعيد. وفي ١٥ آب سنة ١٨٦١م رقاه البطريرك بولس مسعد الى اسقفية بعلبك خلفاً للمرحوم المطران انطون الخازن فتاجر بوزناته احسن تجارة وربح بها. ولم يكن لسالفه كرسي يقيم به بل كان مسكنه دير بقلوش المختص بأسرته، ولم يقتن لكرسي الابرشية عقاراً ولا خلّف مالاً فأخذ الاسقف الحديث يجدّ في انشاء كرسي

لأبرشيته فشرى املاكاً وافرة ووفقه الله حتى اصبح كرسي بعلبك اغنى كراسي اسقفيات الموارنة وبنى لسكناه في قرية عرامون محلاً كافياً لاقامته به مع حاشيته، ولسكنى جمهور من التلامذة الاكليريكيين مع معلميهم. وبعد انتخابه بطريركاً خص الكرسي البطريركي ببعض الاملاك التي شراها ووقف بعضها الآخر على انشاء مدرسة عليا اكليريكية تقام بجانب البطريركية، وبقي لكرسي بعلبك ما يقوم بنفقة اسقفها، ومدرسة اكليريكية على سعة. وقد سافر مع البطريرك بولس مسعد سنة ١٨٦٧م الى رومة وباريس والآستانة العلية كما مر. ولما توفي الطيب الذكر البطريرك بولس مسعد في ٢٨ نيسان سنة ١٨٩٠م خلفه مطران بعلبك الغيور ونال التثبيت ودرع الرئاسة على يد قاصده المطران الياس الحويك. ومن اعماله الخطيرة في بطريركيته تجديد دير بكركي على طرازٍ حديث حتى اصبح كقصر يعزله النظير، وقد سعى نائبه المطران الياس الحويك بارشاده، فنال تجديد مدرسة الموارنة برومة بفضل السعيد الذكر البابا لاوون الثالث عشر، ونال ايضاً من فضل حكومة فرنسة ثمانية كراسي لثمانية تلاميذ موارنة يتعلمون بمدرسة سان سولبيس بباريس على نفقة حكومة فرنسة، واشترى في القدس داراً للموارنة يقيم بها نائب بطريركي يعتني بشؤون ابناء الطائفة المقيمين والمترددين الى هناك.

وقد نال من وسامات الشرف من عواطف سلاطيننا العظام الوسام المجيدي من الرتبة الثالثة حين زيارته بمعية البطريرك بولس مسعد سنة ١٨٦٧م، ثم الوسام المجيدي من الرتبة الأولى اثر ارتقائه الى البطريركية، ثم العثماني الاول سنة ١٨٩٨م، وتوفاه الله في ٢٦ ك[١] سنة ١٨٩٨م ودفن في كنيسة كرسيه في بكركي.

اما الذين رقاهم إلى الاسقفية فهم:

١- الخوري نعمة‌الله سلوان احد المرسلين اللبنانيين رقاه الى اسقفية قبرص في ١٢ حزيران سنة ١٨٩٢م.

٢- وفي النهار نفسه رقى ابن اخته الخوري يوحنا مراد الى اسقفية بعلبك خلفاً له.

٣- الخوري فرنسيس الشمالي احد المرسلين اللبنانيين رقاه الى اسقفية حلب في ٢٦ ك[١] سنة ١٨٩٢م ودعي جرمانوس وتوفي سنة ١٨٩٥م.

٤- الخوري ارسانيوس انطون يوسف دياب من حلب رقاه الى اسقفية هذه المدينة في ٢٢ آذار سنة ١٨٩٦ ودعي يوسف.

٥- وفي النهار المذكور نفسه رقى القس يوسف دريان الراهب الحلبي اللبناني من عشقوت الى اسقفية طرسوس شرفاً.

٦- الخوري بولس راجي عواد من حصرون رقاه الى اسقفية الناصرة في ٢٤ ايلول سنة ١٨٩٦م.

٧- وفي النهار المذكور نفسه رقى الخوري يوسف اسطفان رئيس مدرسة عين ورقة الى اسقفية قورش ورئاسة هذه المدرسة.

عد ١٢٠

البطريرك الياس الحويك

هو الياس بن الخوري بطرس الحويك ولد بقرية حلتا من عمل البترون في كانون الاول سنة ١٨٤٣م تخرّج اولاً بتعلم بعض اصول اللغتين السريانية والعربية في مدرسة مار يوحنا مارون، ثم دخل مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير وأتقن فيها اللغات اللاتينية والفرنسية والايطالية وبعض الرياضيات والفصاحة. ولما رآه البطريرك بولس مسعد متوقد الذهن ورع السيرة قوي الصحة ارسله الى مدرسة مجمع نشر الايمان المقدس برومة ليتم علومه فأقام بها الى سنة ١٨٧٠م حائزاً قصبات السبق على اقرانه في الدروس الفلسفية واللاهوتية ونال رتبة الملفان في الفلسفة واللاهوت ورقي الى درجة الكهنوت وعاد الى لبنان سنة ١٨٧٠م، فأقامه البطريرك بولس مسعد استاذاً لتلامذة مدرسة مار يوحنا مارون. ولما رقاني الى اسقفية بيروت سنة ١٨٧٢م سألته أن يكون لي كاتباً فأسرَّ ان في نيته أن يجعله كاتباً له مكاني وكذلك صنع، فانه اتخذ الخوري الياس كاتباً وأميناً على اسراره فخدمه خدمة النصوح المتيقظ واحرز ثقته كاملة، وقام بأعباء وظيفته أحسن قيام،

فأحبه الجميع وقدروه حق قدره وعظم البطريرك منزلته لديه وتفانى هو بخدامة رئيسه وطائفته بالاستقامة والنزاهة والدراية فرقاه البطريرك في ١٤ ك[١] سنة ١٨٨٩م الى اسقفية عكا مع المطارين يوحنا حبيب ويوسف نجم وبولس مسعد وجعله نائباً له في الروحيات فواصل خدمته الصادقة له الى وفاته. ولما انتخب المطران يوحنا الحاج الى مقام البطريركية سنة ١٨٠٩م ارسله الى رومة موفداً اياه الى الحبر الروماني يطلب التثبيت ودرع الرئاسة فناله له من لدنه، وبقي ساعياً بتجديد المدرسة المارونية برومة فغنم بذلك بنعمة البابا لاوون الثالث عشر. وسار الى فرنسة فأنعمت حكومتها بتعيين ثمانية كراسي لثمانية تلاميذ موارنة من الابرشيات الثماني يتعلمون على نفقتها في مدرسة سان سولبيس بباريس وعاد الى لبنان سنة ١٨٩٢م معرجاً الى الآستانة حيث نال من تعطفات مولانا الاعظم احسن رعاية واحسن اليه بالوسام المجيدي من الرتبة الثانية والى مدرسة الموارنة برومة بعشرة آلاف فرنك، ثم سافر ثانية فشهد المجمع الاورشليمي في اورشليم سنة ١٨٩٣م مع المطارين اسطفان عواد ونعمة الله سلوان ويوحنا مراد وهذا الحقير. ثم سرنا جميعاً «إلا المطران نعمة الله» الى رومة لتهنئة البابا لاوون الثالث عشر بيوبيله الكهنوتي، وبعد قضاء فرض التهنئة نيابة عن الطائفة استمر المطران الياس في رومة يكمل مسعاه بتجديد المدرسة المارونية ثم سار الى فرنسة للاستعانة على هذا الغرض فدعاه الحبر الروماني ليشترك مع باقي البطاركة الشرقيين في مداولة قداسته معهم في شأن الكنائس الشرقية، وشرى حينئذ برومة المحل اللازم للمدرسة بما تكرم به امام الاحبار وما انعمت به الحضرة السلطانية وما جمعه المترجم وعاد الى لبنان وشرى داراً للبطريركية في القدس الشريف. وإذ لم تستقم إدارة المدرسة كما يحب الحبر الاعظم استدعى المطران الياس الى رومة وعهد اليه بادارتها واصلاح شؤونها وبقي هناك الى ٢٧ ك[١] سنة ١٨٩٨م إذ بلغه نعي المثلث الرحمة البطريرك يوحنا الحاج فسافر الى لبنان وبلغ الى بيروت ثم الى بكركي في ٥ ك[٢] سنة ١٨٩٩م.

وفي اليوم التالي وهو ٦ من ك[٢] عيد الغطاس اجتمعنا في الكنيسة وقدمنا الابتهالات لله ليلهم ما به مجده وخير الطائفة واقترع فأصابته القرعة ليكون بطريركنا. وفي الاحد التالي ٩ من الشهر المذكور اتممنا حفلة الترقية الى المنصب البطريركي وشمل الطائفة جمعاء مزيد البهجة والسرور بانتخابه واستبشروا بالخير

والفلاح بعنايته، وعكف على تدبير شؤون الطائفة بخيرها بغيرة لا تعرف الملل معلماً بأقواله ومثاله عاملاً بكلية جهده ويشهد له الجميع حتى خصومه بالطهارة والقداسة والورع وصلاح النية والرغبة في كل خير لطائفته ولجميع الناس، وكاد ينجز الصرح العظيم الذي انشأه لكرسيه على مقربة من دير قنوبين وسماه جديدة قنوبين، وسيكون بعد تمامه عن قرب ان شاء الله افسح من الصرح الذي جدده سالفه في دير بكركي، فإياه تعالى نسأل أن يطيل عمره ويفيض عليه القوة من العلاء لخير الدين الكاثوليكي ونفع شعبه، ولم يرقّ الى الاسقفية إلى الآن إلا الخوري بولس بصبوص رقاه الى اسقفية صيدا سنة ١٩٠٠م وسلم اليه تدبير أبرشية صور ايضاً.

الفصل الرابع

ما عقده اساقفة الموارنة من المجامع في القرن التاسع عشر

عد ١٢١

مجمع لويزة

في اوائل تشرين الثاني سنة ١٨١٦م أنفذ البابا بيوس السابع براءة الى البطريرك يوحنا الحلو واساقفة الموارنة مفتتحة بقوله: «لما كانت الكنيسة كلها» وارسل اليهم مجمع نشر الايمان المقدس صحبة القس يوسف السمعاني المدبر الاول في رهبانيته الحلبية مرسوماً جل ما تضمنه الامر لهم بعقد مجمع طائفي يثبتون فيه منع الرهبان والراهبات عن السكنى في دير واحد وتعيين اديار لكل فريق منهم وتعيين محل يقيم به البطريرك وكراسي دائمة لكل اسقف في ابرشيته. فاجتمع البطريرك والاساقفة في دير السيدة بلويزة برئاسة السيد يوسف لويس غندلفي القاصد الرسولي. وعقد المجمع الاول في ١٣ من نيسان سنة ١٨١٨م فأقاموا عرشاً في وسط الكنيسة وضعوا فوقه كتاب الاناجيل الطاهرة والصليب الكريم وجلس المجتمعون حول العرش المذكور كل بحسب رتبته ومقامه، وبعد استمداد عون الروح

القدس تليت براءة البابا ومرسوم المجمع المقدس وأخذ الآباء في البحث اولاً في منع سكنى الرهبان والراهبات في دير واحد، فختموا بلزوم هذا الافتراق وعينوا لسكنى الراهبات سبعة اديار وهي: دير مار عبدا هرهريا، ودير سيدة الحقلة، ودير مار شليطا مقبس، ودير مار جرجس علما، ودير مار الياس بلوني، ودير مار جرجس بحردق الجديد. وعينوا لسكنى الرهبان العباد ستة اديار وهي: دير السيدة بمستيتا، ودير مار دوميط بغدراس، ودير مار روحانا بالبقيعة، ودير مار سركيس بريفون، ودير مار انطونيوس ببقعاتا، ودير مار جرجس بحردق القديم. وعينوا للعابدات خمسة اديار وهي: دير مار يوسف الحرف، ودير مار يوسف الحصن، ودير مار موسى ببلوني، ودير مار انطونيوس بالكنيّسة، ودير السيدة بشويّا. وجعلوا دير مار جرجس بالرومية مدرسة اكليريكية عامة للطائفة، وسموها مدرسة مار مارون يتعلم فيها الطلبة الغراماطيق السرياني والنحو والصرف العربي وآداب هذه اللغة، ثم يرسلون الى مدرسة عين ورقة فيتعلمون المنطق والفصاحة والفلسفة واللاهوت النظري والادبي وارتأوا ان لا يقبل طلبة في عين ورقة لدرس اللغة السريانية والعربية وآدابهما، بل يدرس تلامذتها العلوم من الفصاحة والمنطق فصاعداً، وليت رأيهم هذا صار فعلاً. فالأصلح كثيراً أن تكون هذه المدارس الصغيرة ابتدائية وتكون مدرسة واحدة كبرى للعلوم السامية يجتمع فيها التلامذة الاكليريكيون من كل الطائفة.

ثم صير آباء المجمع في دير مار يوحنا بذكريت مدرسة خاصة بأبرشية قبرص خاضعة لمطران هذه الابرشية، وحتموا أن يكون سلوك الرهبان في اديارهم على ما خطه لهم المجمع اللبناني، وأن تسير الراهبات بموجب القانون الذي وضعه لهنَّ المطران عبدالله قرألي ما عدا اقامة الصلاة نصف الليل فقد عفاهنَّ منها، واما العابدات فيتدبرنَّ بحسب قانون سيؤلفونه لهنَّ.

وقد حتموا ايضاً أن لا يقام رئيس لأديار الراهبات بل ينصب الاسقف وكيلاً لتدبير املاك الدير يدبرها على مأثور رئيسة الدير ووكيلتها كما هو مرسوم بالمجمع اللبناني، وأن تكون دراهم الدير مسلّمة الى الرئيسة والوكيلة لا الى وكيل الاملاك، وانه يلزم تقديم حساب الدخل والخرج كل سنة لاسقف الابرشية، وأن تجتمع الراهبات مرة كل ثلاث سنين وينتخبن الرئيسة ومن دونها من اصحاب الوظائف في الدير، وأن يكون مرشدهنّ كاهناً ورعاً متقدماً بالسن مشهوراً بالعلم والسيرة الصالحة، ولا يسمع وكيل الاملاك اعترافهن إن كان كاهناً، ولا يعترض

المرشد في شيء من أمورهنّ الروحية. وحتموا بالخصوص أن يكون وكيل على املاك دير حراش وأن يتعين لراهباته أبٌ روحي اي مرشد حسب قانونهنّ، وأمروا اخيراً أمراً جازماً تحت طائلة الحرم المحفوظ حلّه للاسقف بأن لا يترهب رجل في اديار الراهبات او العابدات ولا يسكن هناك راهب البتة ولو كان كاهناً إلا الوكيل والمرشد وأن لا يدخل احدٌ اديارهن إلا بموجب رسم المجمع اللبناني. واما إقامة الصلاة في الخورس في اديار الراهبات القانونيات فقد عفوهن منها لعدم معرفتهن اللغة السريانية الى أن يتعلمن هذه اللغة، وأمروا أن تصلي الراهبات في الشبية والمسبحة ولا يسمح أن يقيم الصلاة في كنائسهن الرهبان او الكهنة من اية رتبة كانوا، وحتموا بأن لا تطلب دراهم من المرشحات الفقيرات لئلا يكون فقرهن سبباً مانعاً من دعوتهن الى الرهبانية، وأذنوا للرهبان المقيمين في اديار الاساقفة والمدارس بأكل اللحم لتكون المساواة في المائدة.

وكان لبعض العيال دعاوٍ على بعض الاديار والكنائس فعين آباء المجمع قضاة في هذه الدعاوى السيد يوسف لويس غندلفي القاصد الرسولي والسيد يوسف التيان المستقيل من البطريركية والمطران يوحنا مارون العضم لينظروا في الدعاوى المذكورة ويحكموا بها ويعرضوا حكمهم على المجمع المقدس ليرى إذا كان مطابقاً للقوانين، وقد اقام هؤلاء القضاة بدير مار شليطا وحكموا بعدة دعاوى.

وقد نصب آباء المجمع وكلاء على اديار الراهبات الخوري يوسف اصاف في دير مار عبدا هرهريا، والخوري موسى ديب في دير سيدة الحقلة، والخوري فرنسيس شلالا بدير مار شليطا مقبس، والخوري اسطفان الخازن في دير السيدة ببقلوش، والخوري يواكيم نجيم في دير مار جرجس بعلما، والقس جرمانوس بدير مار الياس بلوني، والخوري حزقيال بدير مار جرجس بحردق. وأقاموا رؤساء على اديار الرهبان القس انطونيوس التحومي بدير مستيتا، والقس الياس بدير مار دوميط، والخوري موسى زوين بدير مار روحانا، وامر ابدال هؤلاء الوكلاء والرؤساء او عزلهم منوط برأي مطران الابرشية وهو يسهر على تصرفهم حتى إذا كانوا متغافلين او مذنبين عزلهم.

اما المجلس الثاني فعقدوه في ١٤ نيسان سنة ١٨١٨م وكان البحث فيه عن كراسي البطريرك والمطارين وصوبوا اقامة البطريرك يوحنا في كرسيه قنوبين، وامروا

أن يكون دار الكنيسة في حلب مسكناً لاسقفها، ومدرسة مار يوحنا مارون مسكناً لاسقف جبيل والبترون، ودير مار سركيس وباخوس بريفون مقاماً لاسقف بعلبك، ودير مار انطونيوس ببقعاتا كرسياً لابرشية دمشق، ومدرسة قرنة شهوان كرسياً لابرشية قبرص، ودير مار يوحنا بقتاله كرسياً لابرشية بيروت. واما مطران طرابلس فارتأوا أن يبقى حيث هو حينئذ ريثما يتسنى له الاقامة في محل صالح لسكناه في الابرشية، وابرشية صور وصيدا كانت وقتئذ ابرشية البطريرك. ومنعوا اخيراً جولان الرهبان للتسول في المدن والقرى إلا أن يكونوا مصحوبين بمناشير من رؤسائهم او من السيد البطريرك او من الاساقفة، ومن خالف فالاسقف يربطه ان كان كاهناً وينزع ثوبه الرهباني ان كان راهباً بسيطاً ويأخذ ما جمعه. وختموا مجمعهم بقولهم: قد قبلنا كل ما تدوّن بهذه الرسوم ووقعنا عليه بأختامنا. ويلي ذلك تواقيع البطريرك يوحنا الحلو ويوسف لويس غندلفي القاصد الرسولي، والبطريرك يوسف التيان المتنازل عن البطريركية، ويوحنا مارون مطران حماه، واغناطيوس الخازن مطران طرابلس، واسطفان الخازن مطران دمشق، وميخائيل فاضل مطران بيروت، وعبدالله بلبيل مطران قبرص، وجرمانوس ثابت مطران جبيل والبترون، وانطونيوس الخازن مطران بعلبك، ويوسف اسطفان مطران قورش، وسمعان زوين مطران صور، والنائب البطريركي.

وقد رفع آباء المجمع اعمال مجمعهم الى البابا بيوس السابع ملتمسين اثباتها فاثبتها البابا في براءته المؤرخة في ٢٠ ايار سنة ١٨١٩م المتبدية «لما ظهر لنا». وفي جملة ما ضمنها اياه اطراؤه الموارنة لثباتهم على التشبث الدائم بعرى الايمان الكاثوليكي المقدس، كما كان قد اثنى عليهم كثيراً في براءته التي اصدرها لعقد هذا المجمع سنة ١٨١٦م انتهى ملخصاً عن نسخة من اعمال هذا المجمع في خزائن الكرسي البطريركي.

عد ١٢٢
مجمع بكركي الاخير

قد عقد الطيب الذكر البطريرك بولس مسعد سنة ١٨٥٦م مجمعاً في بكركي سماه المجمع البلدي وكان مأموراً به من البابا بيوس التاسع، وترأس عليه

نيابة عن قداسته السيد بولس برونوفي القاصد الرسولي، فدعا البطريرك الاساقفة والرؤساء العامين للرهبانيات الثلاث المارونية وبعض الاعيان ورؤساء المرسلين اللاتينيين، وكان هو قد ألّف رسوم هذا المجمع واعدها لتتلى في مجالسه. وبعد اجتماع المدعوين عقدوا ثلاثة مجالس في ١١ و١٢ و١٣ من شهر نيسان بحضرة القاصد الرسولي. وفي المجلس الاول خطب البطريرك وعدد المجامع التي عقدها بطاركة الموارنة واساقفتهم من مجمع البطريرك سركيس الرزي سنة ١٥٩٦ الى مجمع لويزه سنة ١٨١٨م المار ذكره فكانت اثني عشر مجمعاً ذكرنا اكثرها وزدنا عليها مجمع البطريرك ميخائيل الرزي سنة ١٥٨٠، وهذا المجمع مطوّل يفوق باقي المجامع المارونية إلا المجمع اللبناني. وقد افرغ مؤلفه جهده في نظامه وجعله مطابقاً للمجمع اللبناني مؤيداً له إلا في بعض الامور التي اقتضى العصر تبديلها او تلطيفها. منها مثلاً اعياد كنائس القرى التي فيها كنائس كثيرة فعفا من البطالة فيها إلا عيد الكنيسة الكبرى فيها. وبعد ختام المجمع وقع عليه من شهدوه وضم الى كتاب وارسل الى رومة ليثبته الكرسي الرسولي، والحق البطريرك في آخره بعض رسائل الأحبار الأعظمين المتعلقة بالموارنة فلم يثبته الكرسي الرسولي ولم ينبذه الى الآن.

الفصل الخامس

الأديار والكنائس والمدارس التي أنشأها الموارنة في القرن التاسع عشر

عد ١٢٣
الاديار مساكن البطريرك والاساقفة

دير الكرسي البطريركي

منذ اواسط القرن الخامس عشر اخذ بطاركة الموارنة السكنى بدير قنوبين القديم واول من انتقل اليه البطريرك يوحنا الجاجي الذي توفي سنة ١٤٤٥، وما زال خلفاؤه يسكنون هذا الدير الى ايام البطريرك يوسف ضرغام الخازن الذي ارتقى الى البطريركية سنة ١٧٣٣م، فأقام بكسروان واقام خليفته البطريرك سمعان عواد مدة في دير مشموشة ثم خلفه البطريرك طوبيا الخازن ثم البطريرك يوسف اسطفان ثم البطاركة ميخائيل فاضل وفيلبوس الجميل ويوسف التيان فأقاموا بكسروان. وتقرر في مجمع بكركي سنة ١٧٩٠م أن يكون دير بكركي مقراً ثابتاً للبطريرك، ولكن بعد أن رقي البطريرك يوحنا الحلو الى البطريركية سنة ١٨٠٩م جعل سكناه مذ سنة ١٨١١م في دير قنوبين، واخذ في اصلاح املاكه واسترداد ما اخذ منها، واثبت مجمع لويزه انتقاله اليه واكمل احسان حال هذا الدير البطريرك يوسف حبيش الذي ارتقى الى البطريركية سنة ١٨٢٢م، إلا انه لما كان دير قنوبين صعب المسالك ويتعاظم الحرّ فيه ايام الصيف انشأ هذا البطريرك بعض مساكن في المحل المعروف

بالديمان وصاروا يصرفون به مدة الصيف ويقضون مدة الشتاء بكسروان. وكان كذلك في ايام البطريرك يوسف الخازن والبطريرك بولس مسعد، ولما ارتقى البطريرك يوحنا الحاج الى البطريركية بدّل المساكن التي كانت بالديمان بغيرها في محل قريب منه وجدد دير بكركي وجعله على الطراز الجديد، فكان صرحاً قل له النظير بلبنان، وهو الآن سكن بطاركتنا مدة الشتاء ولما تسلم كرسي البطريركية بطريركنا الحالي أخذ في إنشاء صرح آخر على مقربة من الديمان وقنوبين وكاد بناؤه يتم وسيكون بعد تمامه أكبر وأفسح من دير بكركي، وسماه جديدة قنوبين يقضي به البطريرك مدة الصيف.

الأديار كراسي المطارين

كان مطارنة طائفتنا يقيمون في المحابس والمناسك او مع البطريرك في دير واحد يعيشون عيشة مشتركة ويرسلهم البطريرك لزيارة الابرشيات غير مقيد بأن يرسل الى كل ابرشية من ارتقى الى كرسيها، واستمروا على ذلك الى أن عقد المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦م فحتّم ان يقيم كل اسقف في ابرشيته وبين رعيته، فلم يتيسر للحال أن ينشئ الأساقفة اديارآً في ابرشياتهم لسكناهم فيها بل قطن كل منهم بدير اراده او كان مختصاً بأقاربه، فلم يرَ أعيان الطائفة ذلك ملائماً لشأن الطائفة وانتظام احوالها. ولما عقد المجمع المعروف بمجمع عين شقيق سنة ١٧٨٦م قدم المشايخ والاعيان رسالة الى الشيخ غندور الخوري الذي كان في المجمع يسألونه بها ان يسعى مع آباء المجمع ليقرروا وجوب سكنى الاساقفة مع البطريرك في كرسيه، وارتضى آباء المجمع بالاجابة لطلبهم، ولما رفعت اعمال هذا المجمع الى الحبر الروماني رفض هذا الامر ونبذه وامر أن تكون اقامة الاساقفة كل في ابرشيته طبقاً لرسم المجمع اللبناني، فعاد الاساقفة الى السكنى بأحد الاديار، ثم عينت الاديار التي يقيم بها كل من المطارين في مجمع لويزة المار ذكره المنعقد سنة ١٨١٨م كما مر. إلا ان مطارين طائفتنا اخذوا ينشئون كراسي لسكناهم مذ سنة ١٨٣٥م، فلم ينتهِ القرن التاسع عشر إلا انشأ كل منهم ديراً لسكناه وبعضهم بنى ايضاً معهداً علمياً لتربية اكليرس ابرشيته على النحو الآتي بيانه.

كرسي طرابلس

لما ارتقى المطران بولس موسى لاسقفية طرابلس سنة ١٨٢٦م كان يسكن بغزير في دار الامير عبد الله شهاب فكان يتوجه لزيارة ابرشيته ثم يعود الى مأواه المذكور، على انه في سنة ١٨٣٥م اخذ في بناء دير لسكناه واختار كنيسة مار يعقوب الكائنة بين قريتي كرمسدة وكفرفو، فأنشأ هناك ديراً على اسم القديس انطونيوس البادوي لانه استعان على البناء بمال كان لكنيسة هذا القديس في كفرزينا، وكان ينوي بناء مدرسة اكليريكية ايضاً فلم تساعد الحال عليها الى أن ارتقى الى هذه الاسقفية خليقته المطران اسطفان عواد فزاد كثيراً على ما بناه سالفه وجعله مدرسة اكليريكية لابرشيته وادخل اليها بعض التلامذة.

كرسي ابرشية قبرص

عين آباء مجمع لويزة مدرسة قرنة شهوان اي دير مار شليطا مقاماً لمطران قبرص، وسكن هناك المطران عبدالله بليبل إلى حين وفاته سنة ١٨٤٢م ولما خلفه المطران يوسف جعجع سنة ١٨٤٣م شرع في بناء دير لكرسيه على مقربة من دير مار شليطا المذكور، واتم القسم الاسفل أقبية فسيحة متينة وسكنها الى حين وفاته سنة ١٨٨١م. ولما خلفه المطران يوسف الزغبي سنة ١٨٨٢م بنى على الاقبية مساكن وصيّرها مدرسة عالية اكليريكية سيأتي ذكرها في جملة المدارس. ولما توفي خلفه المطران نعمةالله سلوان مطران قبرص جدد بعض البناء وغير بعضه ليكون اكثر صلاحية لسكنى التلامذة واقامة مطران الابرشية.

كرسي ابرشية بيروت

عين آباء مجمع لويزة دير مار يوحنا بقتاله مقاماً لمطران بيروت، وكان المطران بطرس ابو كرم يقيم تارة فيه وطوراً ببيروت او قرى الابرشية او ببيته في بسكنتا،

ولما توفي سنة ١٨٤٤م وسلمت ابرشية بيروت الى سالفنا المطران طوبيا عون سنة ١٨٤٥م اقام مدة ببيروت ثم اخذ بإنشاء محل لسكناه في مزرعة عين سعادة التابعة لبيت مري في عقار وقفه عليه عساف ماضي من المحل المذكور، ثم زاد على ما بناه بعض غرف لسكنى تلامذة اكليريكيين ادخل صفاً منهم بحياته، وجدد ببيروت المحلة المعروفة بالقلاية لسكناه مدة الشتاء والربيع، وقنى لكرسيه املاكاً يكفي ريعها للنفقة عليه وعلى حاشيته والتلامذة. ولما دعاني الله لأخلفه في هذه الأبرشية زدت في عين سعادة عدة غرف واصلحت البناء السابق. ولما انتقضت بعض الغرف بالقلاية لبناء الكنيسة الكبرى انشأت فوق ما بقي منها محلاً لاشغال الأسقفية ولاجتمعات احتفالية على اني نقلت الصف الاكليريكي من مدرسة عين سعادة الى مدرسة الحكمة التي انشأتها ببيروت وسيأتي ذكرها في جملة المدارس، وزدت في عقارات الكرسي زيادة تذكر وشريت املاكاً كثيرة بجوانب المدرسة خصصتها بها.

كرسي ابرشية صور وصيدا

كان المطران عبدالله البستاني يسكن بعض قلالي في مشموشه، وبعد أن ارتقى ابن اخيه المطران بطرس الى كرسي عكا معاوناً له في حياته وخلفاً بعد موته شرى في بيت الدين المحل المعروف بالمقصف مسكن الامير بشير الكبير مدة الصيف وجعله كرسياً له، ثم شرى المقصف الآخر المعروف بمقصف الامير امين ابن الامير بشير المذكور والقناة الموصلة الماء الى سراي بتدين، والمقصفين المذكورين، وعقارات أخرى كثيرة هناك، وفي مزرعة بكفيا وغيرها، وخص كل ذلك بكرسيه فكان بهذه الابرشية مقر لأساقفتها له من الدخل ما يكفي لإنشاء مدرسة اكليريكية. وكان في عزم المثلث الرحمة المطران بطرس المذكور أن ينشئها فلم تساعده الحال على ذلك وخاصة لانه كان يرغب في وفاء الدين الذي اضطر اليه في شراء ما مرَّ من العقارات، وقد اخذ خليفته المطران بولس بصبوص في إنشاء هذه المدرسة في مقصف الامير امين المذكور.

كرسي ابرشية بعلبك

كان المطران انطون الخازن الذي دبر هذه الابرشية اكثر من خمسين سنة يقيم في دير بقلوش الخاص بأسرته الخازنية، ولما توفي سنة ١٨٥٨م وارتقى الى هذا الكرسي المطران يوحنا الحاج سنة ١٨٦١م اخذ يجهد نفسه في انشاء كرسي لأبرشيته فوفقه الله الى ذلك بأقرب وقت وشرى عقارات كثيرة، ثم ابتاع دار قعدان بك الخازن بعرامون واخذ يبني محلاً لسكناه ومدرسة اكليريكية لابرشيته، فكلل الله عمله بالنجاح ولما ارتقى الى البطريركية سنة ١٨٨٩م ورقي ابن اخته المطران يوحنا مراد الى اسقفية بعلبك خلفاً له اتم ما كان خاله قد أنشأه، ولكن لم يتيسر له الى الآن ادخال صف اكليريكي الى المدرسة.

كرسي ابرشية دمشق

كان المطران اسطفان الخازن الاول يسكن في دير عائلته ببلوني ولما خلفه المطران يوسف الخازن سكن في دير البشارة بزوق مكايل، ولما صير بطريركاً سنة ١٨٤٥م ورقي الى أسقفية دمشق المطران اسطفان الخازن الثاني سنة ١٨٤٨م سكن بدير مار موسى بلوني، وبعد أن توفي سنة ١٨٦٨م خلفه المطران نعمة الله الدحداح سنة ١٨٧٢م وسكن في محل المرسلين اللبنانيين بعينطورا، وبعد وفاته سلمت ابرشية دمشق سنة ١٨٩٠م الى المطران بولس مسعد اسقفها الحالي، فهمّ بإنشاء كرسي لهذه الأبرشية فوفقه الله الى بناء هذا الكرسي في أعلى قرية ريفون مجتمعاً كل ما يلزم لإقامة اسقف وحاشيته وبعض التلامذة ايضاً.

عد ١٢٤

المدارس التي انشأها الموارنة في هذا القرن

مدرسة عين ورقة

حوّل البطريرك يوسف اسطفان دير عائلته عين ورقة مدرسة اكليريكية عامة للطائفة سنة ١٧٨٩م وادخل اليها صفاً من الطلبة سنة ١٧٩٢م وترأس عليها الخوري خيرالله اسطفان، فصرف عنايته في نجاحها ولما رقي الى الاسقفية ازدادت المدرسة رونقاً وتقدماً الى أن رزئت بوفاته سنة ١٨٢٣م فقيض الله لها بعده المطران يوسف رزق الجزيني الذي رقاه البطريرك يوسف حبيش الى اسقفية قورش ورئاسة هذه المدرسة سنة ١٨٢٩م، فغير كثيراً من ابنيتها وانشأ كنيستها الشهيرة واستمر مترأساً عليها الى أن دعاه ربه اليه سنة ١٨٦٥م. ورأس من بعده الخوري يواكيم اسطفان ثم الخوري بولس اسطفان واخيراً الخوري يوسف اسطفان الذي رقاه البطريرك يوحنا الحاج الى اسقفية قورش ورئاسة المدرسة سنة ١٨٩٦م فزاد بمدة رئاسته كثيراً في ابنية المدرسة واملاكها وحسن حالتها وهو رئيسها وينوي تجديد ابنية في هذه المدرسة التي عم نفعها لهذه الامصار، ومن تلامذتها انبعثت انوار العلوم الدينية في هذه الاقطار قبل كل ما سواها من المدارس الشرقية ونبغ منها رؤساء وعلماء كثيرون فمن تلامذتها بطاركتنا يوسف حبيش ويوسف الخازن وبولس مسعد ويوحنا الحاج، ومطارين طائفتنا عبدالله البستاني وبطرس ابو كرم وجبرائيل الناصري ويوسف رزق ونقولا مراد ويوسف جعجع ويوسف المريض ويوحنا حبيب وبطرس البستاني ويوسف مسعد ونعمةالله سلوان وانا الحقير، ومن الكهنة الأجلاء يوسف الرزي الواعظ الشهير ويوحنا الصائغ المسمى الاسطنبولي ويوسف الصوري وفرنسيس زوين ويوحنا البزماري وارسانيوس ويوسف الفاخوري الى غيرهم. ومن العلماء المشاهير الشيخ بشارة الخوري والشدياق شاهين المزرعاني والمعلم بطرس البستاني واللغوي الشهير فارس الشدياق الى غيرهم.

مدرسة مار يوحنا مارون

جدد دير مار يوحنا مارون بكفرحي بعد اندراسه البطريرك يوسف اسطفان وأسكن به رهباناً عباداً الى أن جعله البطريرك يوحنا الحلو سنة ١٨١٢م مدرسة خاصة بابرشية جبيل والبترون ولم يكن لها من الدخل إلا ما يقوم بأود نحو عشرة تلاميذ، واستمر كذلك الى ايام البطريرك بولس مسعد حين جعل الخوري يوسف فريفر رئيساً عليها فجدد قسماً كبيراً من بنائها، ولما رقاه البطريرك الى اسقفية اللاذقية وجعله نائباً له في ابرشية جبيل والبترون ورئيساً للمدرسة لم يألُ جهداً في انماء دخل هذه المدرسة وتكثير املاكها وتوسيع ابنيتها واتقانها وجمع تلامذة عالميين فيها زيادة على الاكليريكيين، فحسنت حالها وانتظمت امورها وبعد وفاته سنة ١٨٨٩ عهد برئاستها الى المونسنيور بطرس ارسانيوس من كور فزاد في مساكنها وما برح مهتماً في نجاحها ونظامها.

مدرسة مار مارون الرومية

كان تجديد دير مار مارون الرومية بكسروان سنة ١٦٩٦م عني بتجديده الخوري جرجس صفير وأخوه ناضر الى أن ارتأى آباء مجمع لويزة المنعقد سنة ١٨١٨م أن يجعلوه مدرسة اكليريكية عامة للطائفة فصير كذلك، إلا ان قلة الدخل لهذه المدرسة قصرت عدد تلامذتها على عشرة: ثمانية من ابرشيات الطائفة الثماني واثنين من عائلة بيت صفير ولم تزل حالتها كذلك.

مدرسة مار عبدا هرهريا

مرّ ان هذا الدير أنشأه القس يوسف اصاف سنة ١٦٥٥م وسكن فيه رهبان وراهبات عابدات، وعين في مجمع لويزة سنة ١٨١٨م من جملة الاديار التي خصت بسكنى الراهبات، ثم اهتم البطريرك يوسف حبيش بجعله مدرسة اكليريكية

عامة للطائفة المارونية. وكان لهذه المدرسة املاك وافرة ودخل جزيل وقد زادهما رئيسها الخوري يوسف بن حاتم اصاف، وكان بناؤها غير صالح فأخذ من خمس سنين يجدد بناءها على الطراز الحديث. وقد نبغ من هذه المدرسة اساقفة وكهنة فضلاء وعلماء أجلّاء. فمن تلامذتها الاساقفة المرحوم المطران جرمانوس الشمالي والمطران بولس عواد والمطران بولس بصبوص. ومن الكهنة رئيسها والخوري يوسف العلم وغيرهما. ومن علمائها اسطفان اصاف ويوسف الياس باخوس وغيرهما.

مدرسة ريفون

مرَّ في تاريخ القرن السابع عشر ان دير ريفون أنشأه القس سليمان مبارك سنة ١٦٥٠م وكان يسكنه رهبان عباد، وعين في مجمع لويزه مقاماً لمطران بعلبك، ثم حسن للبطريرك يوسف حبيش أن يجعله مدرسة اكليريكية للطائفة سنة ١٨٣١م ولكن لما لم يكن لها من الدخل إلا ما يقيم بعشرة تلاميذ اقتصر فيها على هذا العدد، وقد جدد بناءها وحسنه الخوري فرنسيس مبارك وزاد فيه كنيسة ظريفة، وتوفي هذا الرئيس سنة ١٨٧٢م.

مدرسة الحكمة

كل ما مرّ ذكره من المدارس انشئ لتهذيب الاكليريكيين وتعليمهم ولم يكن في طائفتنا مدرسة لتعليم الشبان العالميين، ولما دعاني الله بوافر سخائه لا باستحقاقي الى اسقفية بيروت كان اول اهتمامي انشاء هذه المدرسة للعالميين، واشرت الى ذلك في اول خطبة القيتها في هذه المدينة واخذت استعد لذلك وابحث عن محل يوافق هذا الغرض فشريت عدة قطع من الارض في المحلة المعروفة بالغابة سنة ١٨٤٧م وأخذت في البناء مستعيناً على ذلك بثمن معمل حرير بشملان كان المرحوم سالفي قد شراه فبعته الى الخواجة يوحنا فريج بمائتي ألف غرش وبثمن نصف قرية كفريا بالبقاع الغربي كان المرحوم سالفي قد شراه فبعته الى الخواجة يوسف سرسق بمائتي

ألف غرش ايضاً، بعد أن كاشفت بهذا البيع السيد البطريرك ومجمع نشر الايمان المقدس. وابتدأت في البناء السنة المذكورة بنوع انني أنجزت سنة ١٨٧٥م قسماً كبيراً منه وادخلت الطلبة اليه في اول ت٢ من هذه السنة، وواصلت السعي في تكملة هذه المدرسة فوهبني الله التوفيق فكان اكثر البناء القائم الآن مع الكنيسة كاملاً في آخر سنة ١٨٧٨م. فمزيد اهتمامي بهذا المشروع وإلقائي الخطب في كنيسة بيروت الكبرى مدة الصوم مع الانقطاع والصوم سبّبت لي مرض احتقان الدماغ سنة ١٨٧٥م، ولولا براعة النطاسي الشهير الدكتور سوكه الفرنسي لكنت من يومئذ في الابدية. ولما بللت من مرضي أشار عليّ بالسفر الى اوروبا فعملت بمشورته وسرت الى رومة اولاً ونلت حظوة كبرى بعيني السعيد الذكر البابا بيوس التاسع والمثلث الرحمة الكردينال فرنكي رئيس مجمع نشر الايمان المقدس، فدفع إليّ نيافته كتب توصاة الى فرنسة لمساعدتي بمشروعي المذكور، وكنت قد أرسلت الخوري يوسف الزغبي والخوري لويس زوين الى فرنسة للتكمل بعلومهما ومعاونتي بعد عودهما على إدارة المدرسة، فسلمت إليهما كتب التوصاة فجمع أحدهما الخوري لويس من فرنسة نحو عشرين ألف فرنك والخوري يوسف الزغبي هذا القدر من بلجيكا وانكلترا فأوقفتهما بعد ذلك عن السؤال، فكان الداخل لهذا المشروع نحو اربعماية الف قرش من ثمن العقارات المذكورة ومائتي ألف قرش ونيف من الإحسانات المشار إليها، وما كلفت أحداً من أبناء أبرشيتي أو غيرها لدفع شيء، ولا سألت بنفسي شيئاً من احد في اوروبا، ولا اعلم كيف بارك الله هذا العمل المقصود منه وجهه الكريم ونفع القريب حتى كان مجمل ما صرفته في هذه المدرسة من نفقة البناء والأثاث وشراء العقارات وتعمير مساكن للأجرة نحو ثلاثين ألف ليرة فرنسية الى الآن. وفي هذه المدرسة وجوانبها الآن نحو مائة ألف ذراع أرض. ولها من البيوت والمساكن ما يؤجر بنحو خمسة عشر الف غرش في السنة وكل هذه العقارات والبيوت خصصتها بالمدرسة مفروزة عن الاملاك المعروفة بالكرسي الاسقفي لنفقة الاسقف وحاشيته وخدمه، وقد نجحت والحمد الله هذه المدرسة ولا ينقص تلامذتها في كل سنة عن ثلاثمائة طالب السواد الاعظم منهم داخليون، وقد نبغ منها كهنة علماء وخطباء وشعراء وكتّاب وكنت ارسلت اخي الخوري بولس بعد اتمام دروسه في مدرسة عين ورقة الى باريس سنة ١٨٧٥م للتكمل في دروسه ومراعاة ادارة المدارس في اوروبا، فعاد إليّ سنة ١٨٨٠م

وعهدت اليه بادارة هذه المدرسة ورئاستها فأتمّ ذلك بما يرضي الله ويعزيني عن اتعابي، فإياه تعالى أسأل أن يتيح لهذه المدرسة التوفيق والنجاح لمجد الله الاعظم وخير سكان هذه الامصار الشرقية بمنّه وكرمه وشفاعة القديس يوسف شفيعها.

مدرسة قرنة شهوان ومدرسة غزير

أشرت انفاً اني ارسلت الخوري يوسف الزغبي والخوري لويس زوين الى فرنسة للتكمل بالعلوم ومعاونتي في مدرسة الحكمة بعد عودهما ثم عهدت اليهما بجمع شيء من الاسعاف لها فجمعا ما ذكرته آنفاً فأوقفتهما عن الجمع وبقي كل منهما مدة بعد ذلك في اوروبا، فيظهر ان الله بارك مساعيهما واتاح لهما التوفيق فشرى الخوري لويس زوين بعد عوده دار الامير منقذ شهاب في غزير وزاد عليها وجعلها مدرسة على اسم مار لويس معدة لقبول طلبة عالميين واكليريكيين، وكذلك صنع الخوري يوسف جبرائيل الزغبي فانه بعد عوده من اوروبا سنة ١٨٨٢م وارتقائه الى اسقفية قبرص بنى طبقة عليا فوق الطبقة السفلى التي كان المطران يوسف جعجع قد أنشأها وجعلها مدرسة اكليريكية وعالمية. ولما توفي المطران المذكور وخلفه المطران نعمة الله سلوان سنة ١٨٩٢م زاد بعض البناء في هذه المدرسة وحسّن بعضه وجرّ اليها الماء من منبع في بحرصاف، وما برحت هذه المدرسة ناجحة موفقة وكان لي في هاتين المدرستين تعزية كبرى إذ كان إنشاء مدرسة الحكمة سبباً لانشاء مدرستين أخريين.

مدرسة المحبة في عرامون ومدرسة العريمة

اما مدرسة المحبة فأنشأها بعرامون الخوري جبرائيل شباط سنة ١٨٦٧م واستعان على إنشائها بإحسانات جمعها من اوروبا بأسفاره اليها وهي تقبل طلبة داخليين قليليين وخارجيين، ولقلة دخلها لم تنجح كثيراً لكنها دامت من حين تأسيسها الى الآن. وبعد وفاة الخوري جبرائيل مؤسسها يدبرها الآن اخوه يوسف شباط.

واما مدرسة العريمة فقد أنشئت سنة ١٨٦٥م بما وقفه المرحوم المطران نقولا مراد المتوفي برومة سنة ١٨٦٣م، ثم بما وقفه أخوه همام مراد من العقارات والنقود،

وابتاع دار الشيخ منصور الدحداح في اسفل عرامون وبنى فيها كنيسة على اسم القديس نيقولاوس، وجعل بعده الولاية على هذه المدرسة لمجمع الايمان المقدس والرئاسة لمن ينتخبه من أقربائه ولم ينجح هذه المشروع الى الآن وقل من دخل هذه المدرسة من التلامذة.

المدرسة الوطنية

نذكر هذه المدرسة في جملة المدارس التي أنشأها الموارنة لأن منشئها ماروني أصلاً وهو المعلم بطرس البستاني، وقد افتتحها سنة ١٨٦٣ وجعلها تحت إدارة ابنه سليم الذي كان يعلم بها العلوم والصف الاول في اللغة الانكليزية، وتخرج بها كثيرون من الموارنة ايضاً ولم تكن تتعرض لتلامذتها في امر دينهم بل كانت ترسلهم لقضاء فروضهم الدينية في كنائس طوائفهم ودامت خمس عشرة سنة وقد اقفلت لما فتحت ابواب مدرسة الحكمة سنة ١٨٧٥م.

المدارس الرهبانية

اما الرهبانيات الثلاث في طائفتنا فكان رؤساؤها يخصصون ديراً من اديارهم لتعليم المرشحين للكهنوت فيه، وكان رؤساء الرهبانية اللبنانية يخصصون احياناً ديرين او ثلاثة اديار لهذا التعليم فكان كذلك دير قزحيا وكفيفان والقطارة وميفوق والناعمة. والآن اكبر مدرسة لرهبانهم في دير نسبيه بغوسطا وقد شروا من بضع سنين داراً في بيروت وجعلوها سكناً لنحو اثني عشر راهباً يتلقون الدروس السامية في المدرسة الكلية للآباء اليسوعيين بهذه المدينة. واما الرهبان المعروفون بالانطونيانيين فيعلمون قسوسهم في أحد اديارهم كدير القلعة في بيت مري الى أن جعل القس عمانوئيل البعبداتي دير مار اشعيا في برمانا مدرسة للمرشحين من هؤلاء الرهبان للكهنوت، وعززها اذ هو الآن الرئيس العام للرهبانية. واما الرهبان الحلبيون فديرهم بروِمة هو مدرسة لهم وقد زاد بناءها وأنمى دخله المطران امبروسيوس نطين الدرعوني

وزادها نظاماً في هذه السنين الاخيرة الأب لويس الخازن رئيسها وكانوا يعلمون المعدين للدخول في هذه المدرسة مبادئ اللغات والعلوم في دير مار اليشاع بجانب بشري.

مدرسة المرسلين اللبنانيين

لما شرى الطيب الذكر المطران يوحنا حبيب وهو كاهن دير المخلص بالكريم وقفه على المرسلين اللبنانيين ليكون كرسياً لجمعيتهم ومدرسة للمرشحين للانضواء اليها، وكان كذلك، إلا انه حسن لآباء جمعيتهم حيناً ما أن يقيموا تلامذتهم في المحل الخاص بهم بعينطورا ثم وجدوا في ذلك بعض المصاعب فأرجعوا تلامذتهم الى الكريم فينقص عددهم او يزيد بالنسبة الى عدد الطالبين المنضوين اليهم ويعلمونهم من اللغات السريانية والعربية والفرنسية واللاتينية والعلوم الاكليريكية السامية.

ان ذكر انشاء كل هذه المدارس عند الموارنة في هذا القرن يبين صريحاً النهضة العلمية في الطائفة ولاسيما ان راعيت ان اكثرية التلامذة في المدارس التي يديرها الآباء اليسوعيون والعزاريون والمرسلون المعروفون بإخوة التعليم المسيحي وغيرهم من شبان الموارنة. فالرغبة في تعليم الآباء اولادهم هي عامة وشاملة حتى تراها جاوزت الحدود ولو رغب عامة الناس وأواسطهم في تعليم اولادهم الصنائع والحرف لكان هذا أولى واصلح بمصلحتهم ومصلحة البلاد.

عد ١٢٥
اديار الرهبان اللبنانيين المنشأة بهذا القرن

ذكرنا في تاريخ القرن الثامن عشر ما أنشأه هؤلاء الرهبان من الأديار فيه ونذكر الآن ما أحدثوه في القرن التاسع عشر فقد بنوا دير مار مارون عنّاية ببلاد جبيل سنة ١٨١٤م، ودير مار سركيس وباخوس بقرية قرطبا سنة ١٨١٥م، وفي سنة ١٨٤٩م فصلوا بعض املاك عن دير قزحيا وأقاموا بها ديرين: الاول على اسم

مار انطونيوس في الجديدة وخصوا به املاك قزحيا التي كانت بمارشينا ونهر جرعت وكفرياشيت، والثاني دير مار جرجس عشاش وخصوا له الاملاك التي كانت لقزحيا في المحل المذكور وأنشأوا سنة ١٨٤٦م دير مار روكس بجانب عجلتون وأخذوا ببنائه سنة ١٨٦٥م وفصلوا قسماً من املاك دير مشموشه سنة ١٨٤٩م وانشأوا به اولاً دير مار تقلا بريمات ثم نقلوا هذا الدير الى بحنين وسموه باسم دير المخلص. واخذوا في هذه السنة ايضاً في بناء دير مار يوحنا بقبيع من قرى المتن الجنوبي وأنشأوا دير مار شليطا بالقطاره من بلاد جبيل سنة ١٨٥٢م وجعلوه مدرسة مدة ما ثم ابتنوا دير مار جرجس بحنين من قرى عكار سنة ١٨٥٣م، ودير مار يعقوب النصبيني بالحصن من بلاد البترون سنة ١٨٦٢م. وفصلوا قسماً أخر من املاك قزحيا وخصوه بدير مار سمعان بقرب ايطو وجعلوه مسكناً للراهبات، وفصلوا عن دير قزحيا أيضاً املاكه بقرية بصرما بالكورة وبعض املاكه بقرية بشنين بالزاوية واقاموا بها ديراً على اسم سيدة النجاة ببصرما سنة ١٨٧٦م، وجعلوا المدرسة التي كانت لهم بساقية المسك ديراً على اسم مار ميخائيل سنة ١٨٨٢م، واخذوا في سنة ١٨٨٠م يبنون ديرهم بنسبيه بقرية غوسطا على اسم سيدة النصر وهو من اكبر أديارهم، ويعلمون فيه الآن المرشحين من الراهبات للكهنوت. وقد احدثوا في هذا القرن من المدارس لتعليم الاولاد القراءة والخط واصول الديانة مدرسة بيان من قرى بشري سنة ١٨٠٦م، وزادها القس افرام جعجع البشراني في مدة رئاسته لها بناء واملاكاً. ومدرسة العبادية سنة ١٨٣٠م فوقف بعض الامراء اللمعيين عليهم بعض العقار وشرط عليهم اقامة مدرسة وقسوس بها يخدمون موارنة هذه القرية ويعلمون اولادهم. وأنشأوا سنة ١٨٣٧م مدرسة رأس المتن، وسنة ١٨٣٩م مدرسة الشبانية، وسنة ١٨٥٥م مدرسة غباله. واحدث الأب عمانوئيل المتيني مدرسة المتين ولهم مدرسة في حمانا واخرى في بسكنتا، ومدرسة الفريكة ومدرسة كفرحيال قرب قرطبة انشأها القس دانيال الحدثي، ومدرسة في بصا بجوار تنورين واخرى في وادي جزين ومدرسة في صغبين، وانشأوا مدرسة حديثة في بدادون. هذا عدا مدرسة عجلتون التي انشأوها في القرن الثامن عشر سنة ١٧٥١م، ومدرسة وادي شحرور التي احدثوها سنة ١٧٨٥م بعقار وقفه بعض الأمراء الشهابيين. ولهم من القناطيش انطوش جبيل احدثوه سنة ١٧٦٢م، وانطوش زحله سنة ١٧٦٩م، وانطوش دير القمر سنة ١٧٨٢م، وانطوش معلقة زحله سنة ١٨٠٨م، وانطوش يافا

سنة ١٨٥٥م، وأنشأوا فيها كنيسة في هذه السنين الاخيرة، وانطوش بعلبك أنشأوه سنة ١٨٥٧م، وانطوش ابلح سنة ١٨٦٠م، وانطوش مجدلون سنة ١٨٦٨م.

عد ١٢٦
اديار الرهبان الانطونيين المنشأة بهذا القرن

ذكرنا في تاريخ القرن الثامن عشر ما انشأوه فيه من الاديار فنذكر هنا ما احدثوه منها في القرن التاسع عشر:

١- دير مار دوميط برومية اشترى محله وبعض العقار له القس ابراهيم عون ثم استأذن القس يوسف الشبابي والقس تادروس جباره البطريرك يوحنا الحلو بأن بنيا هناك ديراً فأقاما الجهة الجنوبية منه سنة ١٨١٨م وبنى بعدهما القس بولس الحماني الجهة الشمالية والغربية والكنيسة كما يظهر من خط على باب مقعد الدير المذكور وكان رهبان دير القلعة يذهبون الى رومية فيشتغلون في بناء هذا الدير الاسبوع كله ويعودون مساء الاحد الى ديرهم.

٢- دير مار الياس بالكنيسة اتفق رئيس عام هذه الرهبانية ومدبروها على بناء دير بالكنيسة واستأذنوا المطران يوسف جعجع مطران الابرشية بانشائه فاهتم به القسوس شاول وغريغوريوس والياس الذين كانوا من هذه القرية وخصوا به بعض املاك كانت لدير مار دوميط رومية ودير مار سمعان بعين القبو.

٣- دير مار يوسف بحرصاف اخذ في انشائه القس فيلبوس الحاج بطرس من بكفيا سنة ١٨٥١م، لكنه بقي حقيراً الى أن ترأس عليه القس لويس الحاج بطرس ثم صار مدبراً في رهبانيته فأفرغ جهده بتوسيع بناء هذا الدير وتأسيسه وشراء عقارات له، وبنى فيه كنيسة ظريفة واستعان على ذلك ببعض الاحسانات.

٤- دير مار نوهرا القنزوح اخذ بانشائه القس برنردوس الغزيري سنة ١٨٦٤م بعد الاستئذان من البطريرك بولس مسعد والمطران يوحنا الحاج اسقف الابرشية ثم اكمل بناءه القس فرنسيس المدبر ابن اخي القس برنردوس المذكور.

٥- دير مار سركيس بكفردلاقس هو دير صغير على مقربة من زغرتا اهتم بانشائه في هذا القرن القس انطون الحلبي، فانه شرى عقارات باسم هذا الدير وسلمها الى القس تيموتاوس الاهدني فأخذ في بناء بعض قلالي ثم بنى القس انطونيوس الاجبعي الكنيسة.

٦- دير المخلص بقرية عين العلق أنشأه سنة ١٨٧٠ القس يوسف البعبداتي الريس العام وعهد ببنائه الى القس يشوع الشبابي واخيه القس ابراهيم فبنياه وشريا له املاكاً.

٧- دير مار مارون الرويس في شننعير ابتاع ارضه القس مرقس الشننعيري والقس بولس الغزيري وتعذر عليهما نقد الثمن فدفعه القس فيلبوس الحثوني الدلبتاوي الانطونياني، واجاز الرئيس العام والمدبرون أن يكون ديراً وأن يتسلمه القس فيلبوس المذكور، وأعطوه صكاً بذلك مؤرخاً في ١٩ تشرين الثاني سنة ١٨٧٤م.

ولهذه الرهبانية عدة اناطيش:

١- انطوش زحله طلب القس ابراهيم عون المذكور قطعة ارض في زحله من الامير بشير قيدبيه اللمعي وبنى فيها كنيسة وبعض مساكن وعهد اليه مطران الابرشية بخدمة النفوس هناك، وقد احترقت الكنيسة المذكورة مراراً آخرها سنة ١٨٨٢م مصادفة.

٢- انطوش قب الياس انشأه القس توما مدلج الرئيس العام في قطعة ارض وهبه اياها الامير سيد احمد شهاب ثم باعه أرضاً فسيحة وكرماً، فأرسل رهباناً يحرثونها ثم بنى هناك كنيسة على اسم ايليا النبي وبنى بجانبها بعض مساكن.

٣- انطوش قرنايل أنشأه الرئيس العام على هذه الرهبانية إذ ساله الامير يوسف مراد اللمعي أن يبني هناك كنيسة على اسم قديس ذي بطش وشجاعة فبناها على اسم ايليا النبي، ورغب الامير الى اهله أن يعتنقوا الدين الكاثوليكي في الطقس الماروني فنصر القس صامويل والقس يوسف حفيديه الامير بشير والد

الامير سعيد بيت مري، والامير على والد الاميرين يوسف ومحمود علي.

٤- انطوش شملان بنى الامير حيدر الشهابي كنيسة هناك اولاً ثم وقف عليها عودتين لمعاش الكاهن الذي يخدمها، ثم وقفت امرأته اكثر املاكها على الرهبان، وكان القس يوسف البعبداتي يخدم دارهما فزاد هذا الوقف املاكاً بشرائه لها، وبنى مساكن يقيم بها الرهبان سنة ١٨٢٨م، وقد صيّر الرهبان هذا الانطوش مذ بضع سنين ديراً.

٥- انطوش حوش حالا في قائمقامية بعلبك أنشأه احد القسوس إذ شرى هناك ارضاً سنة ١٥٤٨م وبنى كنيسة على اسم القديس روكس وألحق بها بعض مساكن.

٦- انطوش قرنة الحمرا كان أنشأه الرئيس العام القس ابراهيم البسكنتاوي واتفق مع مدبري الرهبنة واستأذنوا البطريرك يوسف حبيش سنة ١٨٢٧ بأن يبنوا مدرسة بقرنة الحمراء من قاطع بيت شباب، فأذن لهم وسلموا العناية بها الى القس يمين البجاني فبنى بعض المساكن ثم بنى الكنيسة القس جبرائيل من برمانا وقد صيّر هذا الانطوش ديراً منذ بعض سنين.

٧- انطوش قرنة شهوان اهتم بإنشائه القس شاول من الكنيسة الرئيس العام ليكون مدرسة للأولاد، فرخص له بذلك البطريرك يوسف حبيش والمطران عبدالله بليبل، فوكل الرئيس العام باتمام ذلك الى القس زكريا من عائلة بيت جباره.

٨- انطوش بحنس كان إنشاؤه سنة ١٨٥٢ في ارض وقفها رجل مستحبس اسمه يعقوب من القرية المذكورة شارطاً أن يبني الرهبان فيها انطوشاً. وأن يقوموا بأوده ما دام حياً، فقبل القس فيلبوس الحاج بطرس الرئيس العام شرطه وأقام على اتمام ذلك القس يوسف البعبداتي.

٩- انطوش ترسيس أنشئ سنة ١٨٢٧ فان الموارنة المتوطنين بترسيس وادنا رفعوا عريضة للبطريرك يوسف حبيش سائلين أن يرسل اليهم كاهناً لخدمتهم الروحية فأرسل اليهم القس فرنسيس جعاره الغزيري فأقام على خدمتهم. وفي سنة ١٨٥٦م أمر البطريرك بولس مسعد الرئيس العام القس بطرس الغزيري أن يرسل كاهناً من رهبانه لخدمة اهل ترسيس الموارنة واعطاهم صكاً باختصاصهم بالرسالة بكيليكيا اي ترسيس وادنا ومرسين وأمرهم أن

يبنوا كنيسة بترسيس فبنوها بمالهم وبعض الاحسان وما برح الرهبان يخدمون بها.

١٠- انطوش اسكلة طرابلس بني سنة ١٨٥٥ بأمر البطريرك بولس مسعد للقس بطرس الغزيري الرئيس العام الذي اشترى هناك داراً وارضاً، واهتم الرهبان ببناء كنيسة ومساكن فيها واقام بعض قسوسهم يخدمون الموارنة هناك الى الآن.

١١- انطوش بسكنتا أنشئ سنة ١٨٥٧ باهتمام القس سلوانس البسكنتاوي وأذن الرئيس العام والمدبرين فبنى فيها بعض قلالي وشرى بعض العقار، وابتدأ في بناء الكنيسة وعاجله الموت فأكملها بعده القس بطرس كرم البسكنتاوي.

عد ١٢٧

الاديار التي انشأها الرهبان الحلبيون وغيرهم في هذا القرن

١- دير مار دوميط بفيطرون اخذ الرهبان الحلبيون اللبنانيون بإنشائه سنة ١٨٥٤ لكن الذي كمل هذا الدير وجمّله انما هو القس سابا دريان العشقوتي الذي استمر على رئاسة هذه الرهبانية سنين كثيرة، وجعله مدرسة ابتدائية يتعلم بها الرهبان المرشحون للدخول الى مدرستهم برومة.

٢- دير مار سركيس وباخوس بعشقوت أنشأه القس سابا العشقوني الرئيس العام المذكور وشرى له املاكاً.

٣- دير مار اليشاع في جبة بشري بناه الرهبان المذكورون في المحل المسمّى مزرعة نهرا بين بشري وبقاع كفرا لسكناهم بدلاً من دير مار اليشاع القديم في الوادي المقدس فلما كان الدير القديم صعب المسالك بنوا هذا الدير لسكناهم تاركين الدير القديم على ما كان عليه.

٤- مدرسة عبيه رغب في إنشائها المرحوم المطران بطرس ابو كرم مطران بيروت فكتب الى القس جناديوس الزوقي الرئيس العام حينئذ على الرهبان المذكورين والى مدبري الرهبانية مظهراً رغبته فيها ومعيناً الشروط اللازمة لذلك، فأجابه الرئيس والمدبرون في ٥ اذار سنة ١٨٣٧م مصرحين بالاجابة الى رغبته

والاستنارة بالشروط التي ذكرها، وهي أن يكون من رهبانهم ثلاثة قسوس يخدمون الرعية في عبيه ويكون احدهم مقيداً بتعليم اولاد القرية مجاناً.

في سنة ١٨٣١م وقفت ارملة الشيخ بشارة جفال الخازن وشقيقته دارهما في في زوق مكايل واملاكهما وكل ما يتعلق بهما على دير بني هناك وقبل البطريرك يوسف حبيش ووقفهما وكرس دارهما ديراً على اسم سيدة البشارة، وفوض البطريرك بالولاية على هذا الدير الى المطران يوسف الخازن مطران دمشق وجعله مسكناً لراهبات يستسرن بقانون راهبات الزيارة.

وفي سنة ١٨٧٨م انشأ المطران بطرس مسعد كنيسة على اسم القديسين الرسولين بطرس وبولس بقرية عشقوت وبنى حذاءهما بعض غرف، وشرى لها بعض املاك لتكون مدرسة يتعلم بها اولاد القرية وغيرهم اذا امكن.

عد ١٢٨
بعض الكنائس المنشأة للموارنة في هذا القرن

إن تعداد كل الكنائس التي أنشئت للموارنة في القرن التاسع عشر امر طويل ممل قليل الفائدة، ولذلك اقتصر على ذكر الكنائس التي قدرني الله على بنائها في بيروت واهتممت أن تبنى بالقرى التابعة ابرشيتها. ففي سنة ١٨٧٤ ساعدني الله على بناء كنيسة مار مارون بحي القيراط في ارض اشتريتها من المرحوم نعوم افندي قيقانو وفرغت من بنائها وتجهيزها سنة ١٨٧٥م وكانت النفقة عليها نحو مائتين وخمسين الف قرش، وفي سنة ١٨٧٨م انشئت بعون الله كنيسة القديس يوسف بمدرسة الحكمة السابق ذكرها وكانت نفقتها في جملة النفقة على المدرسة المذكورة.

وفي سنة ١٨٨٢م بنيت بعون الله كنيسة القديس ميخائيل رئيس الملائكة بحي الرميل وكان في محلها كنيسة على اسم هذا القديس بنيت سنة ١٨٣١م بأمر ابراهيم باشا ابن محمد علي باشا والي مصر، فان الكنيسة كانت في الكوارنتينا حيث حلت عساكر ابراهيم باشا ولما رأى ان النساء يضطرون أن يمررن بين العساكر الى الكنيسة أمر الخوري ميخائيل ابي كرم أن يشتري لرعيته قطعةً ارض

خارجة عن الكوارنتينا وهو يبني كنيسة الرعية على قياس كنيستهم القديمة، فذهب الخوري الى الامير حيدر احمد بشملان فوهب قطعة الارض حيث الكنيسة الآن وشرط أن يقدم قداس كل سنة على نيته، ودفع ابراهيم باشا قيمة ثمن الارض الفين وخمسمائة قرش، وأشغل عسكره بناءها على هيئة الكنيسة القديمة طولاً وعرضاً وعلواً، ثم زيد على هذا البناء في ما بعد سوق مسقوف بالاخشاب، فهدمت البناء القديم واقمت البناء الجديد وكمل بعون الله سنة ١٨٨٣م وكانت نفقته نحو مائة وستين ألف قرش.

في سنة ١٨٨٤م شرعت ببناء كنيسة مار جرجس الكاتدرائية فإن الكنيسة القديمة كانت قد أمست تضيق على ابناء الطائفة ومجالاتها حرجة، فأخذت بإنشاء هذه الكنيسة حذا القلاية مسكن الاسقفية وكنت قد صورت كنيسة مريم الكبرى برومة بكل أجزائها فجعلت كنيستنا على هيئتها ما أمكن، وأتاح الله لي رجلاً ايطالياً يسمى يوسف ماجيوري خبير بهيئات الكنائس ونقوشها أقمته على ذلك الى أن يسر الله الفراغ من العمل سنة ١٨٩٤م، ودشنتها باقامة القداس الاول فيها احد الشعانين من السنة المذكورة، وقد بلغ ما أنفقته عليها نحو مليونين من القروش.

وفي سنة ١٨٩٤م عنيت بأن صيرت الدار التي كنت قد اشتريتها من الخواجات ابناء كميد مدرسة للبنات مزيداً عليها طبقة ثالثة ومصلحاً فيها ما يلزم اصلاحه، واستحضرت اليها اربع راهبات من رهبانية العائلة المقدسة، وأخذنَ في التعليم فيها. وبعد خمس سنوات وجسن بأن البناء غير ثابت وتركنَ السكنى فيها فاضطررت الى هدمه وبناء اربع دور هناك معدة للاجرة. وسنة ١٩٠١م اخذت في بناء كنيسة ايليا النبي في رأس بيروت، فان الكنيسة التي بنيت هناك في ايام المرحوم سالفنا المطران طوبيا أمست لا تسع الموارنة سكان ذلك الحي.

ومنذ السنة السالفة اي سنة ١٩٠٣م قد كان الفراغ من البناء الخارج وهمنا الآن في تكميل ما يلزم بداخلها، وقد بلغت النفقة عليها الى الآن نحو ثلاثمائة ألف قرش، وكل هذه النفقات على الكنائس لم أثقل على أحد بشيء منها بل جميعها من دخل عقارات كنيسة مار جرجس الكبرى التي ساعدني الله على زيادتها كثيراً وإنماء دخلها.

وأما الكنائس التي اهتممت بإنشائها بالقرى فهي كنيسة القديس يوسف في

قرية حريك وكنيسة مار ميخائيل في قرية الشياح، وكنيسة مار عبدا بقرية رومية، وكنيسة مار ميخائيل بقرية رمحالا، وكنيسة القديس سركيس وباخوس في بحنس. ومن الكنائس الصغيرة التي اهتممت بها وأقمت ببعض نفقتها كنيسة بلبيل وكنيسة عيناب وكنيسة المريجات. وقد انشأ الشيخ عقل شديد واولاده كنيسة السيدة العذراء بالمتين وخولتهم حق الولاية عليها. وانشأ شهدان هيكل الغريب كنيسة على اسم العذراء ايضاً في معلقة الدامور وفقنا الله الى كل ما به مجده الاعظم وخير النفوس.

عد ١٢٩

ذيل في زيادات عثرنا عليها أو انتبهنا إليها بعد الطبع

أ – أوردنا في صفحة ١٥٠ في ذكر الخلاف الذي كان بين الموارنة واليعاقبة شهادة ابن العبري في كتابه تاريخ الدول لسنة ٧٨٥ وله شهادة أخرى أكثر صراحة وبياناً وهي قوله في تاريخه السرياني (صفحة ٢٧٠ و٢٧٤) حيث يشكو من أنّ الخلكيدونيين يضايقونهم أشدّ الضيق بإرشاد رهبان مارون ويقول: «وأخذ رهبان مارون الذين في منبج وحمص يظهرون قسوتهم فهدموا كثيراً من الكنائس والأديار ولما كان جماعتنا (أي اليعاقبة) يشكون إلى هرقل لم يكن يستجيبهم وإنما إله النقمة أرسل العرب لينقذونا من الروم ولكن لم ترجع كنائسنا إلينا» بل أمر الخليفة أن تبقى بيد كل فريق الكنائس التي بيدهم.

بً – في صفحة ١٥١ أثبتنا هذا الخلاف بين الموارنة واليعاقبة بذكر الجدال الذي كان بين بني مارون وأساقفة اليعاقبة بحضرة الخليفة معاوية سنة ٦٥٩ وإفحام الموارنة أساقفة اليعاقبة. وفاتنا أن نستشهد في هذا المقام برسالة رهبان القديس مارون إلى اليعاقبة وجواب هؤلاء لهم على تلك الرسالة بالتقريع لهم على تمسكهم بالمجمع الخلكيدوني ورسالة البابا لاون الكبير وكنا قد أثبتنا الرسالة والجواب في المقالة الأولى من هذا التاريخ عدد ٥ مأخوذين عن نسخة فوتوغرافية عن الأثر الذي في المتحف البريطاني ١٢١٥٥ صفحة ١٦٣.

جً – في صفحة ١٥٤ عدد ٢١ فنّدنا ما يُعزى إلى تيموتاوس القسطنطيني من الطعن بالموارنة بأنهم ينكرون المجامع الرابع والخامس والسادس مبينين أنّ تيموتاوس

هذا كان في أوائل القرن السادس فلا تصلح شهادته على إنكار الموارنة المجمعين الخامس والسادس بل هي مزادة على كتابه وبيّنّا أنه لا وجود لكلامه في نسخة كتابه التي طبعها كوتيلاريوس. ففي هذه السنة ١٩٠٦ نشر الأب برغوار أحد الآباء الصعوديين في الآستانة كتاباً في الكنيسة البيزنطية أفرد فيه فصلاً للكلام في الطائفة المارونية فطعن بهم وأورد لذلك شهادة القديس جرمانس بطريرك القسطنطينية خليفة تيموتاوس المذكور فرددنا قول الأب برغوار المذكور مبينين أنّ ما قاله القديس جرمانس هو: «ويصنع ذلك من يسمون موارنة فإنّ دير هؤلاء الكائن في جبال سورية وكثيرون منهم ينكرون المجمع السادس بل الخامس والرابع أيضاً. ولا مراء بأنّ كلام القديس جرمانس هذا منتحل عن الكلام المعزوّ إلى خليفته تيموتاوس وذاك بطلانه ظاهر فلا قوة لكلام هذا. وألحقنا بردّنا هذا استشهادنا بأثر المتحف البريطاني المشار إليه آنفاً وهو بيّنة لا ترد على أنّ الموارنة كانوا يدافعون عن المجمع الرابع لا ينكرونه.

إنّ الأب برغوار المذكور استشهد لطعنه بالموارنة توادورس أبي كارا ولدى إمعان النظر في ذلك وجدنا أنّ كلمة ماروني التي يستند عليها ليست لأبي كارا بل وجدت في مخطوط في القرن الثامن عشر. ولما طبع الأب قسطنطين الباشا خطبة أبي كارا التي فيها العبارة المحكى عنها وخشي أن يمسّ إحساسات الموارنة فبدل كلمة ماروني بمونرتيليتي فأبنّا في ردّنا على الأب المذكور أنّ كلمة ماروني المدخلة في خطبته المذكورة لا أصل لها في كلامه ولم توجد إلا في المخطوط الذي كتب في القرن الثامن عشر لأننا تفحّصنا نحن وغيرنا تآليف أبي كارا التي طبعها الأب مين في المجلد ٩٧ من مكتبة الآباء الذين كتبوا باليونانية. فلم نجد أثراً لكلمة ماروني بل وجدناه يصرّح بأنّ سرجيوس وبيروس وقورش الخ. هم الذين ابتدعوا بدعة المشيئة الواحدة ولا ذكر في كلامه لمارون أو الموارنة مع أنّ سياق كلامه كان يقتضي ذلك لو كان هو الذي كتب كلمة ماروني في هذا المحل وكان في القرن الثامن عشر يوحنا عجيمي الملكي الكاثوليكي قد طعن بالموارنة سنداً إلى هذه الكلمة. ونظن أنه أخذها عن المخطوط المذكور آنفاً لأنّ يوحنا المذكور هو من جون في جنوب لبنان القريبة من دير المخلص حيث يوجد المخطوط المذكور الذي اعتمد عليه الأب قسطنطين الباشا. وقد ردّ الأب انطون القيالي البيروتي طعن عجيمي بإسهاب وتفصيل وترى ردّه في كتاب المحاماة عن الموارنة المطبوع حديثاً.